

## سورة 1

- فالنعيم كلها، أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير، ذو قدرة يقدر على كل شيء. 1
- عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات. فيؤمنون مثلاً، بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم. كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبياؤه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها. واعلم أن من القواعد المتفق بالعبادة، لما اتصف به من صفات الألوهية وهي صفات الكمال. الرحمن الرحيم اسمان دالان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت بسم الله أي: أبتدى بكل اسم لله تعالى، لأن لفظ اسم مفرد مضاف، فيعم جميع الأسماء الحسنَى. الله هو المألوه المعبود، المستحق لإفراده داخلته تحت ربوبيته الخاصة. فدل قوله رب العالمين على انفراده بالخلق والتدبير، والنعيم، وكمال غناه، وتمازج فقر العالمين إليه، بكل وجه واعتبار. 2
- بينهم وبينه، وحقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة عن كل شر. ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب. فإن مطالبهم كلها لما فيه مصالحهم، التي فيها بقاؤهم في الدنيا. والخاصة: تربيته لأوليائه، فيرببهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكملهم لهم، ويدفع عنهم الصوارف، والعوائق الحائلة لو فقدوها، لم يمكن لهم البقاء. فما بهم من نعمة، فمنه تعالى. وتربيته تعالى لخلقه نوعان: عامة وخاصة. فالعامة: هي خلقه للمخلوقين، ورزقهم، وهدايتهم بجميع الوجوه. رب العالمين الرب، هو المربي جميع العالمين وهم من سوى الله بخلقه إياهم، وإعدادهم لهم الآلات، وإنعامه عليهم بالنعيم العظيمة، التي الحمد لله هو الثناء على الله بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد الكامل،
- التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم، ثم قال تعالى وأنزل التوراة أي: على موسى والإنجيل على عيسى. 3
- فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه مصداقاً لما بين يديه من الكتب السابقة، فهو المزي لها، بعبادة ورحمته بهم أن نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب، الذي هو أجل الكتب وأعظمها المشتمل على الحق في إخباره وأوامره ونواهي، ومن قيامه تعالى
- لعظمته، خاضعون لعزته، منتظرون لمجازاته، راجون ثوابه، خائفون من عقابه، فلذلك خصه بالذكر، وإلا، فهو المالك ليوم الدين ولغيره من الأيام. 4
- للخلق تمام الظهور، كمال ملكه وعدله وحكمته، وانقطاع أملاك الخلق. حتى إنه يستوي في ذلك اليوم، الملوك والرعايا والعبيد والأحرار. كلهم مذعنون بمماليكه بجميع أنواع التصرفات، وأضاف الملك ليوم الدين. وهو يوم القيامة، يوم يدان الناس فيه بأعمالهم، خيرها وشرها، لأن في ذلك اليوم، يظهر مالك يوم الدين المالك: هو من اتصف بصفة الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب ويعاقب، ويتصرف
- دخولها فيها، لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر، واجتناب النواهي. 5
- عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصوداً بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة، وذكر الاستعانة بعد العبادة مع تحصيل ذلك. والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة. والاستعانة هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضار، مع الثقة به في ولا نستعين بغيرك. وقدم العبادة على الاستعانة، من باب تقديم العام على الخاص، واهتماماً بتقديم حقه تعالى على حق عبده. و العبادة اسم جامع لكل وحدك بالعبادة والاستعانة، لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك، وقوله إياك نعبد وإياك نستعين أي: نخصك
- الدينية علماً وعملاً. فهذا الدعاء من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد ولهذا وجب على الإنسان أن يدعو الله به في كل ركعة من صلاته، لضرورته إلى ذلك. 6
- إلى الصراط واهدنا في الصراط. فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان، والهداية في الصراط، تشمل الهداية لجميع التفاصيل اهدنا الصراط المستقيم أي: دلنا وأرشدنا، ووفقنا للصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق والعمل به، فاهدنا ثم قال تعالى:
- مبتدع وضال فهو مخالف لذلك. وتضمنت إخلاص الدين لله تعالى، عبادة واستعانة في قوله: إياك نعبد وإياك نستعين فالحمد لله رب العالمين. 7
- حقيقة، خلافاً للقدرة والجبرية. بل تضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال في قوله: اهدنا الصراط المستقيم لأنه معرفة الحق والعمل به. وكل وإثبات الجزاء على الأعمال في قوله: مالك يوم الدين وأن الجزاء يكون بالعدل، لأن الدين معناه الجزاء بالعدل. وتضمنت إثبات القدر، وأن العبد فاعل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ الحمد كما تقدم. وتضمنت إثبات النبوة في قوله: اهدنا الصراط المستقيم لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة. من لفظ: الله ومن قوله: إياك نعبد وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتنا لنفسه، وأثبتنا له رسوله من غير تعطيل عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: رب العالمين وتوحيد الإلهية وهو إفراد الله بالعبادة، يؤخذ كاليهود ونحوهم. وغير صراط الضالين الذين تركوا الحق على جهل وضلال، كالنصارى ونحوهم. فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو

المستقيم هو: صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. غير صراط المغضوب عليهم الذين عرفوا الحق وتركوه وهذا الصراط

## سورة 2

في أوائل السور، الأسلم فيها، السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثاً بل لحكمة لا نعلمها. 1 الحروف المقطعة

فزادتهم رجساً إلى رجسهم فعقوبة المعصية، المعصية بعدها، كما أن من ثواب الحسنة، الحسنة بعدها، قال تعالى: ويزيد الله الذين اهتدوا هدى 10 قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة وقال تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى: وأما الذين في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً بيان لحكمته تعالى في تقدير المعاصي على العاصين، وأنه بسبب ذنوبهم السابقة، يبتليهم بالمعاصي اللاحقة الموجبة لعقوباتها كما والمعافي من عوفي من هذين المرضين، فحصل له اليقين والإيمان، والصبر عن كل معصية، فرفل في أثواب العافية. وفي قوله عن المنافقين: في قلوبهم كلها من مرض الشبهات، والزنا، ومحبة الفواحش والمعاصي وفعلها، من مرض الشهوات، كما قال تعالى: فيطمع الذي في قلبه مرض وهي شهوة الزنا، والنفاق، لأن القلب يعرض له مرضان يخرجانه عن صحته واعتداله: مرض الشبهات الباطلة، ومرض الشهوات المردية، فالكفر والنفاق والشكوك والبدع، وقوله: في قلوبهم مرض والمراد بالمرض هنا: مرض الشك والشبهات

فعدم إيمانهم هو الذي أوجب لهم نقض العهود، ولو صدق إيمانهم، لكانوا مثل من قال الله فيهم: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه 100 معاهداتهم، وعدم صبرهم على الوفاء بها. ف كلما تفيد التكرار، فكلما وجد العهد ترتب عليه النقض، ما السبب في ذلك؟ السبب أن أكثرهم لا يؤمنون، وهذا فيه التعجيب من كثرة

تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون. 101 الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه وراء ظهورهم وهذا أبلغ في الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به. العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم، فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله أي: ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب

فلم يكن فعلهم إياه جهلاً، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة. ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون علماً يثمر العمل ما فعلوه. 102 ولقد علموا أي: اليهود لمن اشتراه أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة. ما له في الآخرة من خلاق أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، مضرة محضة، فليس له داع أصلاً، فالمنهيات كلها إما مضرة محضة، أو شرها أكبر من خيرها. كما أن المأمورات إما مصلحة محضة أو خيرها أكثر من شرها. يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فهذا السحر عن قدرة الله، فخالقوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين. ثم ذكر أن علم السحر مضرة محضة، ليس فيه منفعة لا دنيوية ولا دنيوية كما والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشينة، فأخرجوها كما في قوله تعالى في الآية السابقة: فإنه نزل على قلبك بإذن الله وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: وجعل بينكم مودة ورحمة وفي الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملكان، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه. ثم ذكر مفاصد السحر فقال: وتروجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحاناً مع نصحهما لئلا يكون لهم حجة. فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه نحن فتنة فلا تكفر أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيهان عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحاناً وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر. وما يعلمان من أحد حتى ينصحا، و يقولان إنما الشياطين كفروا بذلك. يعلمون الناس السحر من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين وبه حصل له الملك العظيم. وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قوله: وما كفر سليمان أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ولكن كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل. كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، يؤمنوا بهذا الرسول، فصار كفرهم به كفراً بكتابهم من حيث لا يشعرون. ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به الإعراض كأنهم في فعلهم هذا من الجاهلين وهم يعلمون صدقه، وحقيقة ما جاء به. تبين بهذا أن هذا الفريق من أهل الكتاب لم يبق في أيديهم شيء حيث لم

## تفسير السعدي

فلما كفروا بهذا الرسول وبما جاء به، نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله الذي أنزل إليهم أي: طرحوه رغبة عنه وراء ظهورهم وهذا أبلغ في أي: ولما جاءهم هذا الرسول الكريم بالكتاب العظيم بالحق الموافق لما معهم، وكانوا يزعمون أنهم متمسكون بكتابهم،

فلم يكن فعلهم إياه جهلا، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة. ولبنس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون علما يثمر العمل ما فعلوه. 103 ولقد علموا أي: اليهود لمن اشتراه أي: رغب في السحر رغبة المشتري في السلعة. ما له في الآخرة من خلاق أي: نصيب، بل هو موجب للعقوبة، مضره محضة، فليس له داع أصلا، فالمنهيات كلها إما مضره محضة، أو شرها أكبر من خيرها. كما أن المأمورات إما مصلحة محضة أو خيرها أكثر من شرها. يوجد بعض المنافع الدنيوية في بعض المعاصي، كما قال تعالى في الخمر والميسر: قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فهذا السحر عن قدرة الله، فخالفوا كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة والتابعين. ثم ذكر أن علم السحر مضره محضة، ليس فيه منفعة لا دنيوية ولا دنيوية كما والقدر ليست مستقلة في التأثير، ولم يخالف في هذا الأصل من فرق الأمة غير القدرية في أفعال العباد، زعموا أنها مستقلة غير تابعة للمشينة، فأخرجوها كما في قوله تعالى في الآية السابقة: فإنه نزل على قلبك بإذن الله وفي هذه الآية وما أشبهها أن الأسباب مهما بلغت في قوة التأثير، فإنها تابعة للقضاء هذا دليل على أن السحر له حقيقة، وأنه يضر بإذن الله، أي: بإرادة الله، والإذن نوعان: إذن قدري، وهو المتعلق بمشيئة الله، كما في هذه الآية، وإذن شرعي فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه مع أن محبة الزوجين لا تقاس بمحبة غيرهما، لأن الله قال في حقهما: وجعل بينكم مودة ورحمة وفي الشياطين، والسحر الذي يعلمه الملك، فتركوا علم الأنبياء والمرسلين وأقبلوا على علم الشياطين، وكل يصبو إلى ما يناسبه. ثم ذكر مفسد السحر فقال: وتروجه إلى من برأه الله منه وهو سليمان عليه السلام، وتعليم الملكين امتحانا مع نصحتهما لئلا يكون لهما حجة. فهؤلاء اليهود يتبعون السحر الذي تعلمه نحن فتنة فلا تكفر أي: لا تتعلم السحر فإنه كفر، فينهيه عن السحر، ويخبرانه عن مرتبته، فتعليم الشياطين للسحر على وجه التدليس والإضلال، ونسبته بأرض بابل من أرض العراق، أنزل عليهما السحر امتحانا وابتلاء من الله لعباده فيعلمانهم السحر. وما يعلمان من أحد حتى ينصحا، و يقولان إنما الشياطين كفروا بذلك. يعلمون الناس السحر من إضلالهم وحرصهم على إغواء بني آدم، وكذلك اتبع اليهود السحر الذي أنزل على الملكين الكائنين وبه حصل له الملك العظيم. وهم كذبة في ذلك، فلم يستعمله سليمان، بل نزهه الصادق في قلبه: وما كفر سليمان أي: بتعلم السحر، فلم يتعلمه، ولكن كتاب الله اتبعوا ما تتلوا الشياطين وتختلق من السحر على ملك سليمان حيث أخرجت الشياطين للناس السحر، وزعموا أن سليمان عليه السلام كان يستعمله ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان، ومن ترك الذل لربه، ابتلي بالذل للعبيد، ومن ترك الحق ابتلي بالباطل. كذلك هؤلاء اليهود لما نبذوا فلم ينتفع، ابتلي بالاشتغال بما يضره، فمن ترك عبادة الرحمن، ابتلي بعبادة الأوثان، ومن ترك محبة الله وخوفه ورجاءه، ابتلي بمحبة غير الله وخوفه ورجائه، ولما كان من العوائد القدرية والحكمة الإلهية أن من ترك ما ينفعه، وأمكنه الانتفاع به

لم يذكر المسموع، ليعم ما أمر باستماعه، فدخل فيه سماع القرآن، وسماع السنة التي هي الحكمة، لفظا ومعنى واستجابة، ففيه الأدب والطاعة. 104 تشويش أو احتمال لأمر غير لائق، فأمرهم بلفظة لا تحتل إلا الحسن فقال: وقولوا انظرنا فإنها كافية يحصل بها المقصود من غير محذور، واسمعوا النهي عن الجائر، إذا كان وسيلة إلى محرم، وفيه الأدب، واستعمال الألفاظ، التي لا تحتل إلا الحسن، وعدم الفحش، وترك الألفاظ القبيحة، أو التي فيها نوع بها معنى فاسدا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة، سدا لهذا الباب، ففيه كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين: راعنا أي: راع أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحا، وكان اليهود يريدون

الفضل العظيم ومن فضله عليكم، إنزال الكتاب على رسولكم، ليذكركم ويعلمكم الكتاب والحكمة، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون، فله الحمد والمنة. 105 والمشاركين للمؤمنين، أنهم ما يودون أن ينزل عليكم من خير أي: لا قلبا ولا كثيرا من ربكم حسدا منهم، وبغضا لكم أن يختصكم بفضله فإنه ذو ثم توعد الكافرين بالعذاب المؤلم الموجه، وأخبر عن عداوة اليهود

فدل على أن النسخ لا يكون لأقل مصلحة لكم من الأول؛ لأن فضله تعالى يزداد خصوصا على هذه الأمة، التي سهل عليها دينها غاية التسهيل. 106 فأخبر الله تعالى عن حكمته في النسخ، وأنه ما ينسخ من آية أو ناسها أي: ننسها العباد، فنزيلها من قلوبهم، نأت بخير منها وأنفع لكم أو مثلها مشروع، إلى حكم آخر، أو إلى إسقاطه، وكان اليهود ينكرون النسخ، ويزعمون أنه لا يجوز، وهو مذكور عندهم في التوراة، فإنكارهم له كفر وهوى محض. النسخ: هو النقل، فحقيقة النسخ نقل المكلفين من حكم

بهم. ومن تأمل ما وقع في القرآن والسنة من النسخ، عرف بذلك حكمة الله ورحمته عباده، وإيصالهم إلى مصالحهم، من حيث لا يشعرون بلطفه. 107 ولي عباده، ونصيرهم، فيتولاهم في تحصيل منافعهم، وينصرهم في دفع مضارهم، فمن ولايته لهم، أن يشرع لهم من الأحكام، ما تقتضيه حكمته ورحمته من أنواع التقادير، كذلك لا يعترض عليه فيما يشرعه لعباده من الأحكام. فالعبد مدبر مسخر تحت أوامر ربه الدينية والقدرية، فما له والاعتراض؟ وهو أيضا، والأرض فإذا كان مالكا لكم، متصرفا فيكم، تصرف المالك البر الرحيم في أقداره وأوامره ونواهي، فكما أنه لا حجر عليه في تقدير ما يقدره على عباده وأخبر أن من قدح في النسخ فقد قدح في ملكه وقدرته فقال: ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السماوات

ونحو ذلك. ولما كانت المسائل المنهي عنها مذمومة، قد تصل بصاحبها إلى الكفر، قال: ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل 108 أمر الله به كما قال تعالى فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ويقررهم عليه، كما في قوله يسألونك عن الخمر والميسر و يسألونك عن اليتامى

## تفسير السعدي

وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم فهذه ونحوها، هي المنهي عنها. وأما سؤال الاسترشاد والتعلم، فهذا محمود قد بذلك، أسئلة التعنت والاعتراض، كما قال تعالى: يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ينهى الله المؤمنين، أو اليهود، بأن يسألوا رسولهم كما سئل موسى من قبل والمراد

109 الله بأمره إياهم بالجهد، فشقى الله أنفس المؤمنين منهم، فقتلوا من قتلوا، واسترقوا من استرقوا، وأجلوا من أجلوا إن الله على كل شيء قدير وهذا من حسدهم الصادر من عند أنفسهم. فأمرهم الله بمقابلة من أساء إليهم غاية الإساءة بالعفو عنهم والصفح حتى يأتي الله بأمره. ثم بعد ذلك، أتى المكاييد، وكيدهم راجع عليهم كما قال تعالى: وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ثم أخبر عن حسد كثير من أهل الكتاب، وأنهم بلغت بهم الحال، أنهم ودوا لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا وسعوا في ذلك، وأعملوا

للحقائق، وجمعا بين فعل الباطل واعتقاده حقا، وهذا أعظم جناية ممن يعمل بالمعصية، مع اعتقاد أنها معصية فهذا أقرب للسلامة، وأرجى لرجوعه. 11 المؤمنين لعدوهم ومولاتهم للكافرين قالوا إنما نحن مصلحون فجمعوا بين العمل بالفساد في الأرض، وإظهارهم أنه ليس بإفساد بل هو إصلاح، قلبا أي: إذا نهي هؤلاء المنافقون عن الإفساد في الأرض، وهو العمل بالكفر والمعاصي، ومنه إظهار سرائر

وفعل كل القربات، ووعدهم أنهم مهما فعلوا من خير، فإنه لا يضيع عند الله، بل يجدونه عنده وافرا موفرا قد حفظه إن الله بما تعملون بصير 110 ثم أمرهم الله بالاستغفار في الوقت الحاضر، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة

مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعاوى. 111 مقبولة، إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا، فلو قلبت عليه دعواه، وادعى أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أمانى غير

لهم المرغوب، ونجوا من المرهوب. ويفهم منها، أن من ليس كذلك، فهو من أهل النار الهالكين، فلا نجاة إلا لأهل الإخلاص للمعبود، والمتابعة للرسول. 112 بأن عبده بشره، فأولئك هم أهل الجنة وحدهم. فله أجره عند ربه وهو الجنة بما اشتملت عليه من النعيم، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فحصل بلى أي: ليس بأمانيتكم ودعاويكم، ولكن من أسلم وجهه لله أي: أخلص لله أعماله، متوجها إليه بقلبه، وهو مع إخلاصه محسن في عبادة ربه، بينهما، فالبرهان هو الذي يصدق الدعاوى أو يكذبها، ولما لم يكن بأيديهم برهان، علم كذبهم بتلك الدعاوى. ثم ذكر تعالى البرهان الجلي العام لكل أحد، فقال: صادقين، وهكذا كل من ادعى دعوى، لا بد أن يقيم البرهان على صحة دعواه، وإلا، فلو قلبت عليه دعواه، وادعى مدع عكس ما ادعى بلا برهان لكان لا فرق هودا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى، فحكموا لأنفسهم بالجنة وحدهم، وهذا مجرد أمانى غير مقبولة، إلا بحجة وبرهان، فأتوا بها إن كنتم أي: قال اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان

العدل، الذي أخبر به عباده، فإنه لا فوز ولا نجاة إلا لمن صدق جميع الأنبياء والمرسلين، وامتلأ أوامر ربه، واجتنب نواهيه، ومن عداهم، فهو هالك. 113 ضلل بعضا، وكفر بعضهم بعضا، كما فعل الأميون من مشركي العرب وغيرهم. فكل فرقة تضلل الفرقة الأخرى، ويحكم الله في الآخرة بين المختلفين بحكمه وذلك أنه بلغ بأهل الكتاب الهوى والحسد، إلى أن بعضهم

وتكريمها، فقال تعالى: في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وللمساجد أحكام كثيرة، يرجع حاصلها إلى مضمون هذه الآيات الكريمة. 114 في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية، كما قال تعالى: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر بل قد أمر الله تعالى برفع بيوتته وتعظيمها الدنيا خزي أي: فضيحة كما تقدم ولهم في الآخرة عذاب عظيم وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيمانا ممن سعى الآيات العظيمة، أخبر بها الباري قبل وقوعها، فوقعت كما أخبر. واستدل العلماء بالآية الكريمة، على أنه لا يجوز تمكين الكفار من دخول المساجد. لهم في الفيل، قد ذكر الله ما جرى عليهم، والنصارى، سلط الله عليهم المؤمنين، فأجلوهم عنه. وهكذا كل من اتصف بوصفهم، فلا بد أن يناله قسطه، وهذا من له في فتح مكة، ومنع المشركين من قربان بيته، فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وأصحاب إلا خائفين ذليلين، فلما أخافوا عباد الله، أخافهم الله، فالمشركون الذين صدوا رسوله، لم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا يسيرا، حتى أذن الله والنصارى حين أخبروا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادة لله، ومشاقة، فجازاهم الله، بأن منعهم دخولها شرعا وقدرًا، منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة، فدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش، حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية، وغيرها من الطاعات. وسعى أي: اجتهد وبذل وسعه في خرابها الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقديرها، والخراب المعنوي: أي: لا أحد أظلم وأشد جرما، ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة

وهو تعالى واسع الفضل والصفات عظيمها، عليم بسرائركم ونياتكم. فمن سعته وعلمه، وسع لكم الأمر، وقبل منكم المأمور، فله الحمد والشكر. 115 من الجهات، خارجة عن ملك ربه. فتم وجه الله إن الله واسع عليم فيه إثبات الوجه لله تعالى، على الوجه اللائق به تعالى، وأن لله وجهًا لا تشبهه الوجوه، إليها، ثم يتبين له الخطأ، أو يكون معذورا بصلب أو مرض ونحو ذلك، فهذه الأمور، إما أن يكون العبد فيها معذورا أو مأمورا. وبكل حال، فما استقبل جهة أن كنتم مأمورين باستقبال بيت المقدس، أو تؤمرون بالصلاة في السفر على الراحلة ونحوها، فإن القبلة حيثما توجه العبد أو تشتهه القبلة، فيتحرى الصلاة

## تفسير السعدي

ومغاربيها، فإذا كان مالكا لها، كان مالكا لكل الجهات. فأينما تولوا وجوهكم من الجهات، إذا كان توليكم إياها بأمره، إما أن يأمركم باستقبال الكعبة بعد أي: ولله المشرق والمغرب خصهما بالذكر، لأنهما محل الآيات العظيمة، فهما مطالع الأنوار

كلهم، تحت تدبير الخالق، وخاص: وهو قنوت العبادة. فالنوع الأول كما في هذه الآية، والنوع الثاني: كما في قوله تعالى: وقوموا لله قانتين 116 المملوكون المقهورون، وهو الغني وأنتم الفقراء، فكيف مع هذا، يكون له ولد؟ هذا من أبطل الباطل وأسمجه. والقنوت نوعان: قنوت عام: وهو قنوت الخلق مفتقرين إليه، وهو غني عنهم، فكيف يكون منهم أحد، يكون له ولدا، والولد لا بد أن يكون من جنس والده، لأنه جزء منه. والله تعالى المالك القاهر، وأنتم ما في السماوات والأرض أي: جميعهم ملكه وعبيده، يتصرف فيهم تصرف المالك بالممالك، وهم قانتون له مسخرون تحت تدبيره، فإذا كانوا كلهم عبيده، من له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، الذي لا يعتريه نقص بوجه من الوجوه. ومع رده لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيهه عن ذلك فقال: بل له منهم، قد حلم عليهم، وعافاهم، ورزقهم مع تنقصهم إياه. سبحانه أي: تنزهه وتقده عن كل ما وصفه به المشركون والظالمون مما لا يليق بجلاله، فسبحان والمشركون، وكل من قال ذلك: اتخذ الله ولدا فنسبوه إلى ما لا يليق بجلاله، وأسأوا كل الإساءة، وظلموا أنفسهم. وهو تعالى صابر على ذلك وقالوا أي: اليهود والنصارى

أي: خالفهما على وجه قد اتقنهما وأحسنهما على غير مثال سبق. وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون فلا يستعصى عليه، ولا يمتنع منه. 117 ثم قال: بديع السماوات والأرض

قد بينا الآيات لقوم يوقنون فكل موقن، فقد عرف من آيات الله الباهرة، وبراهينه الظاهرة، ما حصل له به اليقين، واندفع عنه كل شك وريب. 118 مع رسلهم، يطلبون آيات التعنت، لا آيات الاسترشاد، ولم يكن قصدهم تبين الحق، فإن الرسل، قد جاءوا من الآيات، بما يؤمن بمثله البشر، ولهذا قال تعالى: أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة الآيات وقوله: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات. فهذا دأبهم كقولهم: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك الآية، وقالوا: لولا كما كلم الرسل، أو تأتينا آية يعنون آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الكاسدة، التي تجرأوا بها على الخالق، واستكبروا على رسله أي: قال الجهلة من أهل الكتاب وغيرهم: هلا يكلمنا،

لمن عصاك بالشقاوة والهلاك الديني والأخروي. ولا تسأل عن أصحاب الجحيم أي: لست مسئولا عنهم، إنما عليك البلاغ، وعلينا الحساب. 119 والنهي عن كل قبيح، والمعجزات الباهرة، فجميع الآيات تدخل في هذه الثلاثة. قوله: بشيرا أي لمن أطاعك بالسعادة الدنيوية والأخروية، نذيرا وكذبهم. وأما الثالث: فهو معرفة ما جاء به صلى الله عليه وسلم من الشرع العظيم، والقرآن الكريم، المشتغل على الإخبارات الصادقة، والأوامر الحسنة، للناظرين، فمن عرفها، وسبر أحواله، عرف أنها لا تكون إلا أخلاق الأنبياء الكاملين، لأن الله تعالى جعل الأوصاف أكبر دليل على معرفة أصحابها وصدقهم صلى الله عليه وسلم معرفة تامة، وعرف سيرته وهديه قبل البعثة، ونشؤه على أكمل الخصال، ثم من بعد ذلك، قد ازدادت مكارمه وأخلاقه العظيمة الباهرة العظيم، يأمرهم بعبادة الرحمن وحده لا شريك له، فبمجرد رسالته يعرف العاقل صدقه، وهو آية كبيرة على أنه رسول الله، وأما الثاني: فمن عرف النبي البعثة. وقد علم أن الله تعالى لم يخلق خلقه سدى، ولم يتركهم هملا، لأنه حكيم عليم، قدير رحيم، فمن حكمته ورحمته بعباده، أن أرسل إليهم هذا الرسول عليه من عبادة الأوثان والنيران، والصلبان، وتبديلهم للأديان، حتى كانوا في ظلمة من الكفر، قد عمتهم وشملتهم، إلا بقايا من أهل الكتاب، قد انقضوا قبيل أرسلناك والثالث دخل في قوله: بالحق وبيان الأمر الأول وهو نفس إرساله أنه قد علم حالة أهل الأرض قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وما كانوا ثلاثة أمور: الأول: في نفس إرساله، والثاني: في سيرته وهديه ودله، والثالث: في معرفة ما جاء به من القرآن والسنة. فالأول والثاني، قد دخلا في قوله: إنا الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به فقال: إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا فهذا مشتمل على الآيات التي جاء بها، وهي ترجع إلى ثم ذكر تعالى بعض آية موجزة مختصرة جامعة للآيات

في الأرض، وأدر لهم الأرزاق، ليستعينوا بها على طاعته وعبادته، فإذا عمل فيها بضده، كان سعيها فيها بالفساد فيها، وإخراجا لها عما خلقت له. 12 والأشجار، والنبات، بما يحصل فيها من الآفات بسبب المعاصي، ولأن الإصلاح في الأرض أن تعمر بطاعة الله والإيمان به، لهذا خلق الله الخلق، وأسكنهم كانوا قد علموا بذلك علما تقوم به عليهم حجة الله، وإنما كان العمل بالمعاصي في الأرض إفسادا، لأنه يتضمن فساد ما على وجه الأرض من الحبوب والثمار سبيل الله، وخادع الله وأوليائه، ووالى المحاربين لله ورسوله، وزعم مع ذلك أن هذا إصلاح، فهل بعد هذا الفساد فساد؟ ولكن لا يعلمون علما ينفعهم، وإن ضمنه أن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح قلب الله عليهم دعواهم بقوله: ألا إنهم هم المفسدون فإنه لا أعظم فسادا ممن كفر بآيات الله، وصد عن ولما كان في قولهم: إنما نحن مصلحون حصر للإصلاح في جانبهم وفي

الله صلى الله عليه وسلم فإن أمته داخلة في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب. 120 ما لك من الله من ولي ولا نصير فهذا فيه النهي العظيم، عن اتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول أنه الهدى، فقل لهم: إن هدى الله الذي أرسلت به هو الهدى وأما ما أنتم عليه، فهو الهوى ببديل قوله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم يخبر تعالى رسوله، أنه لا يرضى منه اليهود ولا النصارى، إلا باتباعه دينهم، لأنهم دعاة إلى الدين الذي هم عليه، ويزعمون

## تفسير السعدي

هم المؤمنون حقاً، لا من قال منهم: نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه ولهذا توعدهم بقوله ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون 121 بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم. فهؤلاء، آتاهم الكتاب، ومن عليهم به منة مطلقة، أنهم يتلونه حق تلاوته أي: يتبعونه حق اتباعه، والتلاوة: الاتباع، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون يخبر تعالى أن الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت ثم قال: الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون 122 قد تقدم تفسير الآية

منهم: نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه ولهذا توعدهم بقوله ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون وقد تقدم تفسير الآية التي بعدها. 123 وهؤلاء هم السعداء من أهل الكتاب، الذين عرفوا نعمة الله وشكروها، وآمنوا بكل الرسل، ولم يفرقوا بين أحد منهم. فهؤلاء، هم المؤمنون حقاً، لا من قال به منة مطلقة، أنهم يتلونه حق تلاوته أي: يتبعونه حق اتباعه، والتلاوة: الاتباع، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، ويعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، يخبر تعالى أن الذين آتاهم الكتاب، ومن عليهم

السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة، فأين الظلم وهذا المقام؟ ودل مفهوم الآية، أن غير الظالم، سينال الإمامة، ولكن مع إتيانه بأسبابها. 124 الظلم لهذا المقام، فإنه مقام آتاه الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل الرحيم اللطيف، وأخبر بالمانع من نيل هذا المقام فقال: لا ينال عهدي الظالمين أي: لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه وضرها، وحط قدرها، لمنافاة درجته ودرجة ذريته، وهذا أيضاً من إمامته، ونصحه لعباد الله، ومحبتة أن يكثر فيهم المرشدون، فله عظمة هذه الهمم العالية، والمقامات السامية. فأجابه أولو العزم من المرسلين وأتباعهم، من كل صديق متبع لهم، داع إلى الله وإلى سبيله. فلما اغتبط إبراهيم بهذا المقام، وأدرك هذا، طلب ذلك لذريته، لتلوه الدائم، والأجر الجزيل، والتعظيم من كل أحد. وهذه لعمر الله أفضل درجة، تنافس فيها المتنافسون، وأعلى مقام، شمر إليه العاملون، وأكمل حالة حصلها فشكر الله له ذلك، ولم يزل الله شكورا فقال: إني جاعلك للناس إماماً أي: يقتدون بك في الهدى، ويمشون خلفك إلى سعادتهم الأبدية، ويحصل لك الثناء الصادق، الذي ترتفع درجته، ويزيد قدره، ويزكو عمله، ويخلص ذهبه، وكان من أجلهم في هذا المقام، الخليل عليه السلام. فأتى ما ابتلاه الله به، وأكملاه ووفاه، المشركون: أن الله ابتلاه وامتنحنه بكلمات، أي: بأوامر ونواهي، كما هي عادة الله في ابتلائه لعباده، ليتبين الكاذب الذي لا يثبت عند الابتلاء، والامتحان من يخبر تعالى، عن عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، المتفق على إمامته وجلالته، الذي كل من طوائف أهل الكتاب تدعيه، بل وكذلك

ذلك. ومنها: أن الإضافة تقتضي التشريف والإكرام، ففي ضمنها أمر عباده بتعظيمه وتكريمه. ومنها: أن هذه الإضافة هي السبب الجاذب للقلوب إليه. 125 وأضاف الباري البيت إليه لفوائد، منها: أن ذلك يقتضي شدة اهتمام إبراهيم وإسماعيل بتطهيره، لكونه بيت الله، فيبذلان جهدهما، ويستفرغان وسعهما في السجود أي: المصلين، قدم الطواف، لاختصاصه بالمسجد الحرام، ثم الاعتكاف، لأن من شرطه المسجد مطلقاً، ثم الصلاة، مع أنها أفضل، لهذا المعنى. أي: أوحينا إليهما، وأمرناهما بتطهير بيت الله من الشرك، والكفر والمعاصي، ومن الرجس والنجاسات والأقذار، ليكون للطائفتين فيه والعاكفتين والركع مصلين أي: معبداً، أي: اقتدوا به في شعائر الحج، ولعل هذا المعنى أولى، لدخول المعنى الأول فيه، واحتمال اللفظ له. وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل إبراهيم في الحج، وهي المشاعر كلها: من الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، ومزدلفة ورمي الجمار والنحر، وغير ذلك من أفعال الحج. فيكون معنى قوله: وأن المراد بهذا، ركعتا الطواف، يستحب أن تكونا خلف مقام إبراهيم، وعليه جمهور المفسرين، ويحتمل أن يكون المقام مفرداً مضافاً، فيعم جميع مقامات حرمة وتعظيماً، وتشريفاً وتكريماً. واتخذوا من مقام إبراهيم مصلًى يحتمل أن يكون المراد بذلك، المقام المعروف الذي قد جعل الآن، مقابل باب الكعبة، الجمادات كالأشجار. ولهذا كانوا في الجاهلية على شركهم يحترمونه أشد الاحترام، ويجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم، فلا يهيجه، فلما جاء الإسلام، زاده مرجعاً يثوبون إليه، لحصول منافعتهم الدينية والدنيوية، يترددون إليه، ولا يقضون منه وطراً، و جعله آمناً يأمن به كل أحد، حتى الوحش، وحتى ركننا من أركان الإسلام، حاطاً للذنوب والآثام. وفيه من آثار الخليل وذريته، ما عرف به إمامته، وتذكرت به حالته فقال: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس أي: ثم ذكر تعالى، نموذجاً باقياً دالاً على إمامة إبراهيم، وهو هذا البيت الحرام الذي جعل قصده،

عبادة الله، ثم ينتقل منه إلى نعيم الجنة، وأما الكافر، فيتمتع فيها قليلاً ثم أضطره أي: ألجئه وأخرجه مكرهاً إلى عذاب النار وبئس المصير 126 وكان رزق الله شاملاً للمؤمن والكافر، والعاصي والطائع، قال تعالى: ومن كفر أي: أرزقهم كلهم، مسلمهم وكافرهم، أما المسلم فيستعين بالرزق على عليه السلام هذا الدعاء للمؤمنين، تأدباً مع الله، إذ كان دعاؤه الأول، فيه الإطلاق، فجاء الجواب فيه مقيداً بغير الظالم. فلما دعا لهم بالرزق، وقيد بالمتؤمن، أي: وإذ دعا إبراهيم لهذا البيت، أن يجعله الله بلداً آمناً، ويرزق أهله من أنواع الثمرات، ثم قيد

هذا العمل العظيم، وكيف كانت حالهما من الخوف والرجاء، حتى إنهما مع هذا العمل دعوا الله أن يتقبل منهما عملهما، حتى يحصل فيه النفع العميم. 127 أي: واذكر إبراهيم وإسماعيل، في حالة رفعهما القواعد من البيت الأساس، واستمرارهما على

للعلم النافع، والعمل الصالح، ولما كان العبد مهما كان لا بد أن يعتريه التقصير، ويحتاج إلى التوبة قالاً: وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم 128 كله، والعبادات كلها، كما يدل عليه عموم اللفظ، لأن النسك: التعبد، ولكن غلب على متعبدات الحج، تغليباً عرفياً، فيكون حاصل دعائهما، يرجع إلى التوفيق

## تفسير السعدي

ليكون أبلغ. يحتمل أن يكون المراد بالمناسك: أعمال الحج كلها، كما يدل عليه السياق والمقام، ويحتمل أن يكون المراد ما هو أعم من ذلك وهو الدين وذريتهما بالإسلام، الذي حقيقته، خضوع القلب، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح. وأرنا مناسكتنا أي: علمناها على وجه الإراءة والمشاهدة، ودعوا لأنفسهما،

الخلق عامة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: أنا دعوة أبي إبراهيم ولما عظم الله إبراهيم هذا التعظيم، وأخبر عن صفاته الكاملة قال تعالى: 129 يضع الأشياء مواضعها، فبعزتك وحكمتك، ابعث فيهم هذا الرسول. فاستجاب الله لهما، فبعث الله هذا الرسول الكريم، الذي رحم الله به ذريتهما خاصة، وسائر الصالحة والتبري من الأعمال الردية، التي لا تزكي النفوس معها. إنك أنت العزيز أي: القاهر لكل شيء، الذي لا يمتنع على قوته شيء. الحكيم الذي له، وليعرفوه حقيقة المعرفة. يتلو عليهم آياتك لفظا، وحفظا، وتحفيظا ويعلمهم الكتاب والحكمة معنى. ويزكيهم بالتربية على الأعمال ربنا وابعث فيهم أي: في ذريتنا رسولا منهم ليكون أرفع لدرجتهم، ولينقادوا

دفع ما يضره، وهذه الصفة منطبقة على الصحابة والمؤمنين وصادقة عليهم، فالعبرة بالأوصاف والبرهان، لا بالدعاوى المجردة، والأقوال الفارغة. 130 نفسه، وسعيه فيما يضرها، وهذه الصفة منطبقة عليهم وصادقة عليهم، كما أن العقل والحجاء معرفة الإنسان بمصالح نفسه، والسعي فيما ينفعه، وفي السفه وفي ضمنه أنهم هم العقلاء أرباب الحجى والنهى. فرد الله ذلك عليهم، وأخبر أنهم هم السفهاء على الحقيقة، لأن حقيقة السفه جهل الإنسان بمصالح قببحهم الله الصحابة رضي الله عنهم، بزعمهم أن سفههم أوجب لهم الإيمان، وترك الأوطان، ومعاداة الكفار، والعقل عندهم يقتضي ضد ذلك، فنسبواهم إلى قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس، أي: كإيمان الصحابة رضي الله عنهم، وهو الإيمان بالقلب واللسان، قالوا بزعمهم الباطل: أنؤمن كما آمن السفهاء؟ يعنون أي: إذا

في الدنيا أي: اخترناه ووفقناه للأعمال، التي صار بها من المصطفين الأخيار. وإنه في الآخرة لمن الصالحين الذين لهم أعلى الدرجات. 130 ورضي لها بالدون، وباعها بصفقة المغبون، كما أنه لا أرشد وأكمل، ممن رغب في ملة إبراهيم، ثم أخبر عن حالته في الدنيا والآخرة فقال: ولقد اصطفيناه أي: ما يرغب عن ملة إبراهيم بعد ما عرف من فضله إلا من سفه نفسه أي: جهلها وامتنعها،

إذ قال له ربه أسلم قال امتثالا لربه أسلمت لرب العالمين إخلاصا وتوحيدا، ومحبة، وإنابة فكان التوحيد لله نعته. 131

وانصبغوا بأخلاقه، حتى تستمروا على ذلك فلا يأتاكم الموت إلا وأنتم عليه، لأن من عاش على شيء، مات عليه، ومن مات على شيء، بعث عليه. 132 الانقياد، واتباع خاتم الأنبياء قال: يا بني إن الله اصطفى لكم الدين أي: اختاره وتخيره لكم، رحمة بكم، وإحسانا إليكم، فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وجعلها كلمة باقية في عقبه، وتوارث فيهم، حتى وصلت ليعقوب فوصى بها بنيه. فأنتم يا بني يعقوب قد وصاكم أبوكم بالخصوص، فيجب عليكم كمال ثم ورثه في ذريته، ووصاهم به،

والعمل. ومن المعلوم أنهم لم يحضروا يعقوب، لأنهم لم يوجدوا بعد، فإذا لم يحضروا، فقد أخبر الله عنه أنه وصى بنيه بالحنيفية، لا باليهودية. 133 فقالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إله واحد فلا نشرك به شيئا، ولا نعدل به أحدا. ونحن له مسلمون فجمعوا بين التوحيد أي: مقدماته وأسبابه، فقال لبنيه على وجه الاختبار، ولتقر عينه في حياته بامتثالهم ما وصاهم به: ما تعبدون من بعدي ؟ فأجابوه بما قرت به عينه ولما كان اليهود يزعمون أنهم على ملة إبراهيم، ومن بعده يعقوب، قال تعالى منكرًا عليهم: أم كنتم شهداء أي: حضروا إذ حضر يعقوب الموت

أنكم على ملتهم، والرضا بمجرد القول، أمر فارغ لا حقيقة له، بل الواجب عليكم، أن تنظروا حالتكم التي أنتم عليها، هل تصلح للنجاة أم لا؟ 134 لها ما كسبت ولكم ما كسبتم أي: كل له عمله، وكل سيجازى بما فعله، لا يؤخذ أحد بذنب أحد ولا ينفع أحد إلا إيمانه وتقواه فاشتغالكم بهم وادعائكم، ثم قال تعالى: تلك أمة قد خلت أي: مضت

أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، قائما بالتوحيد، تاركا للشرك والتنديد. فهذا الذي في اتباعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والغواية. 135 من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم، زاعمين أنهم هم المهتدون وغيرهم ضال. قل له مجيبا جوابا شافيا: بل نتبع ملة إبراهيم حنيفا أي: دعا كل

ورحمته وإحسانه عليهم بالنعم الدينية المتصلة بسعادة الدنيا والآخرة، فسبحان من جعل كتابه تبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون. 136 بالقلب واللسان والجوارح والإخلاص لله في ذلك، وعلى الفرق بين الرسل الصادقين، ومن ادعى النبوة من الكاذبين، وعلى تعليم الباري عباده، كيف يقولون، الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، واشتملت على الإيمان بجميع الرسل، وجميع الكتب، وعلى التخصيص الدال على الفضل بعد التعميم، وعلى التصديق وهو له على العامل وهو مسلمون فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على إيجازها واختصارها على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد وكان القول لا يغني عن العمل قال: ونحن له مسلمون أي: خاضعون لعظمته، منقادون لعبادته، بباطننا وظاهرنا، مخلصون له العبادة بدليل تقديم المعمول، يتناقضوا في أخبارهم وأوامرهم ونواهيهم، كما يعلم ذلك من سبر أحوال الجميع، وعرف ما يدعون إليه. فلما بين تعالى جميع ما يؤمن به، عموما وخصوصا، له بالحق، من غير تخالف ولا تناقض لكونه من عند ربهم ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا بخلاف من ادعى النبوة، فلا بد أن النبوة، وأنه يحصل الفرق بينهم بمجرد معرفة ما يدعون إليه، فالرسل لا يدعون إلا إلى الخير، ولا ينهاون إلا عن كل شر، وكل واحد منهم، يصدق الآخر، ويشهد

## تفسير السعدي

الكتب، ويرسل إليهم الرسل، فلا تقتضي ربوبيته تركهم سدى ولا هملا. وإذا كان ما أوتي النبيون، إنما هو من ربهم، ففيه الفرق بين الأنبياء وبين من يدعي عن الله، ووسائط بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه، ليس لهم من الأمر شيء. وفي قوله: من ربهم إشارة إلى أنه من كمال ربوبيته لعباده، أن ينزل عليهم الدنيوية والأخروية. لم يأمرنا أن نؤمن بما أوتي الأنبياء من الملك والمال ونحو ذلك، بل أمرنا أن نؤمن بما أعطوا من الكتب والشرائع. وفيه أن الأنبياء مبلغون رسولهم فيما أخبرهم به، فيكون كفرا برسولهم. وفي قوله: وما أوتي النبيون من ربهم دلالة على أن عطية الدين، هي العطية الحقيقية المتصلة بالسعادة تكذيبهم تصديقهم، فإن الرسول الذي زعموا، أنهم قد آمنوا به، قد صدق سائر الرسل وخصوصا محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا كذبوا محمدا، فقد كذبوا وإن زعموا أنهم يؤمنون بما يؤمنون به من الرسل والكتب فإنهم يكفرون بغيره، فيفرون بين الرسل والكتب، بعضها يؤمنون به وبعضها يكفرون به، وينقض نفرق بين أحد منهم أي: بل نؤمن بهم كلهم، هذه خاصية المسلمين، التي انفردوا بها عن كل من يدعي أنه على دين. فاليهود والنصارى والصابئون وغيرهم الكبار. فالواجب في الإيمان بالأنبياء والكتب، أن يؤمن بهم على وجه العموم والشمول، ثم ما عرف منهم بالتفصيل، وجب الإيمان به مفصلا. وقوله: لا إلى آخر الآية، فيه الإيمان بجميع الكتب المنزلة على جميع الأنبياء، والإيمان بالأنبياء عموما وخصوصا، ما نص عليه في الآية، لشرفهم ولإتيانهم بالشرائع رسله، واليوم الآخر، والغيوب الماضية والمستقبلية، والإيمان بما تضمنه ذلك من الأحكام الشرعية الأمرية، وأحكام الجزاء وغير ذلك. وما أنزل إلى إبراهيم يشمل القرآن والسنة لقوله تعالى: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة. فيدخل فيه الإيمان بما تضمنه كتاب الله وسنة رسوله، من صفات الباري، وصفات أحد، متصف بكل صفة كمال، منزّه عن كل نقص وعيب، مستحق لإفراده بالعبادة كلها، وعدم الإشراك به في شيء منها، بوجه من الوجوه. وما أنزل إلينا ونحوه، فإنه لا يقال إلا مقرونا بالاستثناء بالمشيئة، لما فيه من تزكية النفس، والشهادة على نفسه بالإيمان. فقوله: آمنا بالله أي: بأنه موجود، واحد وفي قوله: قولوا آمنا بالله إلخ دلالة على جواز إضافة الإنسان إلى نفسه الإيمان، على وجه التقييد، بل على وجوب ذلك، بخلاف قوله: أنا مؤمن بحبل الله جميعا، والحث على الائتلاف حتى يكون داعيهم واحدا، وعملهم متحدا، وفي ضمنه النهي عن الافتراق، وفيه: أن المؤمنين كالجسد الواحد. والدعوة لها، إذ هي أصل الدين وأساسه. وفي قوله: آمنا ونحوه مما فيه صدور الفعل، منسوباً إلى جميع الأمة، إشارة إلى أنه يجب على الأمة، الاعتصام عليه، إذا كان خيرا ومعه أصل الإيمان، لكن فرق بين القول المجرد، والمقترن به عمل القلب. وفي قوله: قولوا إشارة إلى الإعلان بالعقيدة، والصدع بها، الثواب والجزاء، فكما أن النطق باللسان، بدون اعتقاد القلب، نفاق وكفر، فالقول الخالي من العمل عمل القلب، عديم التأثير، قليل الفائدة، وإن كان العبد يؤجر الظاهرة وكذلك إذا جمع بين الإيمان والأعمال الصالحة، فقوله تعالى: قولوا أي: بألستكم، متواطئة عليها قلوبكم، وهذا هو القول التام، المترتب عليه دخل فيه ما ذكر، وكذلك الإسلام، إذا أطلق دخل فيه الإيمان، فإذا قرن بينهما، كان الإيمان اسما لما في القلب من الإقرار والتصديق، والإسلام، اسما للأعمال لأعمال القلوب والجوارح، وهو بهذا الاعتبار يدخل فيه الإسلام، وتدخل فيه الأعمال الصالحة كلها، فهي من الإيمان، وأثر من آثاره، فحيث أطلق الإيمان، هذه الآية الكريمة، قد اشتملت على جميع ما يجب الإيمان به. واعلم أن الإيمان الذي هو تصديق القلب التام، بهذه الأصول، وإقراره المتضمن بعضهم، وسبى بعضهم، وأجلى بعضهم، وشردهم كل مشرد. ففيه معجزة من معجزات القرآن، وهو الإخبار بالشيء قبل وقوعه، فوقع طبق ما أخبر. 137 بما بين أيديهم وما خلفهم، بالغيب والشهادة، بالظواهر والبواطن، فإذا كان كذلك، فكاف الله شرفهم. وقد أنجز الله لرسوله وعده، وسلطه عليهم حتى قتل بذل ما يقدر عليهم من أذية الرسول، فلماذا وعد الله رسوله، أن يكفيه إياهم، لأنه السميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، العليم الذي كانوا عليه، لما تولوا وأعرضوا، فالمشاق: هو الذي يكون في شق والله ورسوله في شق، ويلزم من المشاققة المحادة، والعداوة البليغة، التي من لوازمها، فزعموا أن الهداية خاصة بما كانوا عليه، و الهدى هو العلم بالحق، والعمل به، وضده الضلال عن العلم والضلال عن العمل بعد العلم، وهو الشقاق فقد اهتدوا للصراف المستقيم، الموصل لجنات النعيم، أي: فلا سبيل لهم إلى الهداية، إلا بهذا الإيمان، لا كما زعموا بقولهم: كونوا هودا أو نصارى تهتدوا الكتب، الذين أول من دخل فيهم، وأولى خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن، وأسلموا لله وحده، ولم يفرقوا بين أحد من رسل الله أي: فإن آمن أهل الكتاب بمثل ما أمتتم به يا معشر المؤمنين من جميع الرسل، وجميع بالحصر. وقال: ونحن له عابدون فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار، ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازما. 138 الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك، حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص: أن يقصد العبد وجه الله وحده، في تلك الأعمال، فتقديم المعمول، يؤذن عابدون بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهذين الأصلين: الإخلاص والمتابعة، لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أفصح صبغة ممن انصبغ بغير دينه. وفي قوله: ونحن له من الكفر، والشرك، والكذب، والخيانة، والمكر، والخداع، وعدم العفة، والإساءة إلى الخلق، في أقواله، وأفعاله، فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان إلى عبيده. وخوفه، ورجاؤه، فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من كل وصف قبيح، ورنذيلة وعيب، فوصفه: الصدق في قوله وفعله، والصبر والحلم، والعفة، والشجاعة، والإحسان القولي والفعل، ومحبة الله وخشيته، في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا، أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح، فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن، وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتحلى الله صبغة أي: لا أحسن صبغة من صبغته وإذا أردت أن تعرف نموذجا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى والأخروية، لحت الدين على مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ومعالي الأمور، فلماذا قال على سبيل التعجب المتقرر للعقول الزكية: ومن أحسن من أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعا واختيارا ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية



## تفسير السعدي

به قياما تاما، بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم، فإذا كان صفة من صفاتكم، : الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا

ولا ينازع فيها إلا كل مكابر جهول، ففي هذه الآية، إرشاد لطيف لطريق المحاجة، وأن الأمور مبنية على الجمع بين المتماثلين، والفرق بين المختلفين. 139 بالله من غيرهم؛ لأن الإخلاص، هو الطريق إلى الخلاص، فهذا هو الفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، بالأوصاف الحقيقية التي يسلمها أهل العقول، وتفريق بين متماثلين، ومكابرة ظاهرة. وإنما يحصل التفضيل، بإخلاص الأعمال الصالحة لله وحده، وهذه الحالة، وصف المؤمنين وحدهم، فتعين أنهم أولى فاستوينا نحن وإياكم بذلك. فهذا لا يوجب أن يكون أحد الفريقين أولى بالله من غيره؛ لأن التفريق مع الاشتراك في الشيء، من غير فرق مؤثر، دعوى باطلة، يزعمون أنهم أولى بالله من المسلمين، وهذا مجرد دعوى، تفتقر إلى برهان ودليل. فإذا كان رب الجميع واحدا، ليس ربا لكم دوننا، وكل منا ومنكم له عمله، على المعاند، ويوضح الحق، ويبين الباطل، فإن خرجت عن هذه الأمور، كانت ممارسة، ومخاصمة لا خير فيها، وأحدثت من الشر ما أحدثت، فكان أهل الكتاب، قول خصمه، فكل واحد منهما، يجتهد في إقامة الحجة على ذلك، والمطلوب منها، أن تكون بالتي هي أحسن، بأقرب طريق يرد الضال إلى الحق، ويقيم الحجة المحاجة هي: المجادلة بين اثنين فأكثر، تتعلق بالمسائل الخلافية، حتى يكون كل من الخصمين يريد نصرة قوله، وإبطال

إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزئون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، أنا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. 14 في قلوبهم، وذلك أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر قالوا: هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس

والترهيب، ويفيد أيضا ذكر الأسماء الحسنی بعد الأحكام، أن الأمر الديني والجزائي، أثر من آثارها، وموجب من موجباتها، وهي مقتضية له. 140 النار، مثوى للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها. فيفيد ذلك الوعد والوعيد، والترغيب وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلماذا قال: وما الله بغافل عما تعملون بل قد أحصى أعمالهم، وعددها وادخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئس فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق، وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله، وهذه الشهادة، فلماذا كان ظلمهم أعظم الظلم. ولهذا قال تعالى: ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، ذلك. وهذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء، لم يكونوا هودا ولا نصارى، فكتموا هذا العلم أن يقول بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلانه لكل أحد، كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟ والنار أحر أم الماء؟ والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعين لا محالة، وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه من وضوحه لم يحتج يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين وهم يقولون: بل كان يهوديا أو نصرانيا. فإما أن يكونوا، هم الصادقين العالمين، أو يكون ومحاجة في رسل الله، زعموا أنهم أولى بهؤلاء الرسل المذكورين من المسلمين. فرد الله عليهم بقوله: أنتم أعلم أم الله فالله يقول: ما كان إبراهيم وهذه دعوى أخرى منهم،

لقطع التعلق بالمخلوقين، وأن المعول عليه ما اتصف به الإنسان، لا عمل أسلافه وآبائه، فالنفع الحقيقي بالأعمال، لا بالانتساب المجرد للرجال. 141 تقدم تفسيرها، وكررها،

أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية، التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى: يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام 142 وبغيا. ولما كان قوله: يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والمطلق يحمل على المقيّد، فإن الهداية والضلال، لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله، وقد يوجب التسليم لأمره، بمجرد ذلك، فكيف وهو من فضل الله عليكم، وهدايته وإحسانه، أن هداكم لذلك فالمعتزض عليكم، معترض على فضل الله، حسدا لكم إلى هذه القبلية التي هي من ملة أبيكم إبراهيم، فالأي شيء يعترض المعتزض بتولييتكم قبله داخلة تحت ملك الله، لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له؟ فهذا صراط مستقيم أي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكا لله، ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه، ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ومنه هدايتكم يترك هذه الشبهة، حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى: قل لهم مجيبا: لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وقد كان في قوله السفهاء ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به. ولكنه تعالى مع هذا لم إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية، إنما كان قول المؤمنين إذا على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند، وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم كما قال تعالى: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة قليل العقل، والحلم، والديانة، فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام، فالعاقل لا يبالى باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه. ودلت الآية على أنه لا يعترض المقدس، أي: أي شيء صرفهم عنه؟ وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه، فسلاهم، وأخبر بوقوعه، وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وهي استقبال بيت مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة، ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها، مصالح أنفسهم، بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى، ومن أشبههم من المعتضضين على أحكام الله وشرائعه، وذلك أن المسلمين كانوا

## تفسير السعدي

واعترض وجوابه، من ثلاثة أوجه، وصفة المعترض، وصفة المسلم لحكم الله دينه. فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس، وهم الذين لا يعرفون قد اشتملت الآية على معجزة، وتسليية، وتطمين قلوب المؤمنين،

ميز عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه، وأن امتحنهم امتحانا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجاتهم، وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها. 143 أعمال الجوارح. وقوله: إن الله بالناس لرءوف رحيم أي: شديد الرحمة بهم عظيمها، فمن رأفته ورحمته بهم، أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها، وأن أمر الله وطاعة رسوله في وقتها، وطاعة الله، امتثال أمره في كل وقت، بحسب ذلك، وفي هذه الآية، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الإيمان تدخل فيه كان الله ليضيع إيمانكم بتقديره لهذه المحنة أو غيرها. ودخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة، فإن الله لا يضيع إيمانهم، لكونهم امتثلوا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه قد يكون سببا لترك بعض المؤمنين إيمانهم، فدفع هذا الوهم بقوله: وما بل إذا وجدت المحن المقصود منها، تبين المؤمن الصادق من الكاذب، فإنها تمحص المؤمنين، وتظهر صدقهم، وكأن في هذا احترازا عما قد يقال إن قوله: لما يزداد به إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فكما ابتدأكم، بأن هداكم للإيمان، فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره، وثوابه، وحفظه من كل مكدر، نوعان: حفظ عن الضياع والبطلان، بعصمته لهم عن كل مفسد ومزيل له ومنقص من المحن المقلقة، والأهواء الصادة، وحفظ له بتنميته لهم، وتوفيقهم ممتنع عليه، ومستحيل، أن يضيع إيمانكم، وفي هذا بشارة عظيمة لمن من الله عليهم بالإسلام والإيمان، بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه، وحفظه عليهم ذلك، وشق على من سواهم. ثم قال تعالى: وما كان الله ليضيع إيمانكم أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى، بل هي من الممتنعات عليه، فأخبر أنه له بالإحسان، حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر بقاع الأرض، وجعل قصده، ركنا من أركان الإسلام، وهادما للذنوب والآثام، فلماذا خف على شبهة لا حقيقة لها. وإن كانت أي: صرفك عنها لكبيرة أي: شاقة إلا على الذين هدى الله فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا، وأقروا إيمانا، وطاعة للرسول. وأما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه، فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته، ويبدلي بالحجة الباطلة، المبنية ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر، ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة، فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك ولا عقابا، لتتمام عدله، وإقامة الحجة على عباده، بل إذا وجدت أعمالهم، ترتب عليها الثواب والعقاب، أي: شرعنا تلك القبلة لنعلم ونمتحن من يتبع الرسول استقبال بيت المقدس أولا إلا لنعلم أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب، وإلا فهو تعالى عالم بكل الأمور قبل وجودها. ولكن هذا العلم، لا يعلق عليه ثوابا أو أوجه، فإنها معصومة في ذلك. وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك. يقول تعالى: وما جعلنا القبلة التي كنت عليها وهي اتفاقهم على الخطأ، لم يكونوا وسطا، إلا في بعض الأمور، ولقوله: ولتكونوا شهداء على الناس يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها. وفي الآية دليل على أن إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة، وأنهم معصومون عن الخطأ، لإطلاق قوله: وسطا فلو قدر ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأمة، فقبل قولها. فإن شك شك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبههم صلى الله عليه وسلم، فلماذا قال تعالى: ويكون الرسول عليكم شهيدا فاما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الأمة، فإنما المقصود، الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين، لوجود التهمة يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود. فإن والحلم، والعدل والإحسان، ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا أمة وسطا كاملين ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، والمشارب والملابس والمناكب، وحرم عليهم الخبائث من ذلك، فلهم الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها. ووهبهم الله من العلم لهم، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا، بل أباحوا ما دب ودرج. بل طهارتهم أكمل طهارة وأنما، وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم وفي باب الطهارة والمطاعم، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم، ولا يظهرهم الماء من النجاسات، وقد حرمت عليهم الطيبات، عقوبة فيهم، كالنصارى، وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك، ووسطا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وأصارهم، ولا تهاون النصارى. أمة وسطا أي: عدلا خيارا، وما عدا الوسط، فأطراف داخلية تحت الخطر، فجعل الله هذه الأمة، وسطا في كل أمور الدين، وسطا في الأنبياء، بين من غلا ذكر في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية، ومنة الله عليها فقال: وكذلك جعلناكم

والأخروية، فلماذا قال تعالى: وما الله بغافل عما يعملون بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها، وفيها وعيد للمعترضين، وتسليية للمؤمنين. 144 فاما إذا تيقن أن الصواب والحق مع المعترض عليه، وأن المعترض معاند، عارف ببطلان قوله، فإنه لا محل للمبالاة، بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية وبغيا، فإذا كانوا يعلمون بخطئهم فلا تبالوا بذلك، فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه، إذا كان الأمر مشتبها، وكان ممكنا أن يكون معه صواب. من أهل الكتاب وغيرهم، وذكر جوابهم، ذكر هنا، أن أهل الكتاب والعلم منهم، يعلمون أنك في ذلك على حق وأمر، لما يجدونه في كتبهم، فيعترضون عناد عينا، وإلا فيكفي شطرها وجهتها، وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، ولما ذكر تعالى فيما تقدم، المعترضين على ذلك وشرق وغرب، جنوب وشمال. فولوا وجوهكم شطره أي: جهته. ففيها اشتراط استقبال الكعبة، للصلاة كلها، فرضها، ونفلها، وأنه إن أمكن استقبال يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها فقال: فول وجهك شطر المسجد الحرام والوجه: ما أقبل من بدن الإنسان، وحيثما كنتم أي: من بر وبحر، فلنولينك أي: نوجهك لولايتنا إياك، قبله ترضاها أي: تحبها، وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه صلى الله عليه وسلم، حيث إن الله تعالى

## تفسير السعدي

- جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة، وقال: وجهك ولم يقل: بصرك لزيادة اهتمامه، ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر. يقول الله لنبيه: قد نرى تقلب وجهك في السماء أي: كثرة تردده في جميع
- في ذلك، وأيضا، فإذا كان هو صلى الله عليه وسلم لو فعل ذلك وحاشاه صار ظالما مع علو مرتبته، وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى. 145
- في جملتهم، وأي ظلم أعظم، من ظلم، من علم الحق والباطل، فأثر الباطل على الحق، وهذا، وإن كان الخطاب له صلى الله عليه وسلم، فإن أمته داخلة وهم على الباطل، إنك إذا أي: إن اتبعتم، فهذا احتراز، لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام، لمن الظالمين أي: داخل فيهم، ومندرج يعلمون أنه ليس بدين، ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه من بعد ما جاءك من العلم بأنك على الحق، الشبه من باب التبرع. ولئن اتبعت أهواءهم إنما قال: أهواءهم ولم يقل دينهم لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم الحق بأدلته اليقينية، لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها، ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافي الحق الواضح، فهو باطل، فيكون حل يتضمن أنه صلى الله عليه وسلم اتصف بمخالفتهم، فلا يمكن وقوع ذلك منه، ولم يقل: ولو أتوا بكل آية لأنهم لا دليل لهم على قولهم. وكذلك إذا تبين بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلك يا محمد، وهم الأعداء حقيقة الحسدة، وقوله: وما أنت بتابع قبلكم أبلغ من قوله: ولا تتبع لأن ذلك عليه، فتوضح له الآيات البيّنات، وأما من جزم بعدم اتباع الحق، فلا حيلة فيه. وأيضا فإن اختلافهم فيما بينهم، حاصل، وبعضهم، غير تابع قبلة بعض، فليس على اتباعه، ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك، لأنهم معاندون، عرفوا الحق وتركوه، فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق، وهو مشتبه أنك لو أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية أي: بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ما تدعو إليه، ما تبعوا قبلك أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة، دليل وترك الهدى، عمدا وعدوانا، فمنهم: اليهود والنصارى، أهل الكتاب الأول، الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم عن يقين، لا عن جهل، فهذا أخبره الله تعالى يبذل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة، ويتلطف بهدايتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله، فكان من الكفار، من تمرّد عن أمر الله، واستكبر على رسل الله، كان النبي صلى الله عليه وسلم من كمال حرصه على هداية الخلق
- وغير ذلك، وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق، وتشيينه، وتقييحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك، فهؤلاء الكاتمون، عكسوا الأمر، فانعكست أحوالهم. 146
- الحق وهم يعلمون، فمنهم من آمن به ومنهم من كفر به جهلا، فالعالم عليه إظهار الحق، وتبيينه وتزيينه، بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهان ومثال، وهم يعلمون ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وفي ضمن ذلك، تسلية للرسول والمؤمنين، وتحذير له من شرهم وشبههم، وفريق منهم لم يكتفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون، ولكن فريقا منهم وهم أكثرهم الذين كفروا به، كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، قد تقرر عندهم، وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به، حق وصدق، وتيقنوا ذلك، كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفةهم يخبر تعالى: أن أهل الكتاب
- أي: فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه، بل تفكر فيه وتأمل، حتى تصل بذلك إلى اليقين، لأن التفكير فيه لا محالة، دافع للشك، موصل لليقين. 147
- مفاسدها، لصدوره من ربك، الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه تربية العقول والنفوس، وجميع المصالح. فلا تكون من الممترين الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء، لما اشتمل عليه من المطالب العالية، والأوامر الحسنة، وتزكية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها، ودفع الحق من ربك أي: هذا
- أول وقتها، والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة، والإتيان بسنن العبادات وآدابها، فله ما أجمعها وأنفعها من آية. 148
- بعمله ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل، كالصلاة في ما رتب الله عليها من الثواب قال: أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، وعمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر. ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، أكمل الأحوال، والمبادرة إليها، ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات، فالسابقون أعلى الخلق درجة، والخيرات تشمل جميع خلق الله له الخلق، وأمرهم به. والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات، فإن الاستباق إليها، يتضمن فعلها، وتكميلها، وإيقاعها على لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة، كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة، وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع، وهو الذي من جهة إلى جهة، ولكن الشأن كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده، فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية، وهو الذي إذا كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته، وليس الشأن في استقبال القبلة، فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال، ويدخلها النسخ والنقل، أي:
- فتأدبوا معه، وراقبوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر. 149
- واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال. وما الله بغافل عما تعملون بل هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم، وجهك شطر المسجد الحرام أي: جهته، ثم خاطب الأمة عموما فقال: وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وقال: وإنه للحق من ربك أكده بـ إن أي: ومن حيث خرجت في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم، فول

## تفسير السعدي

الآية. قوله: ويمدهم أي: يزيدهم في طغيانهم أي: فجورهم وكفرهم، يعمهون أي: حاثرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى بهم. 15 نور المنافقين، وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع، ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا، فإذا مشي المؤمنون بنورهم، طغى بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون وهذا جزاء لهم، على استهزائهم بعباده، فمن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا قال تعالى: الله يستهزئ

فضل النهار، ولولا القبيح، ما عرف فضل الحسن، ولولا الظلمة ما عرف منفعة النور، ولولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحا ظاهرا، فله الحمد على ذلك. 150 وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل، وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق، لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء، فلولا الليل، ما عرف التيسير، ونبههم على سلوك طرقها، وبينها لهم أتم تبين، حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق، المعاندين له فيجادلون فيه، فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته له عدا، فضلا عن القيام بشكره، ولعلكم تهتدون أي: تعلمون الحق، وتعملون به، فإله تبارك وتعالى من رحمته بالعباد، قد يسر لهم أسباب الهداية غاية ما أتم به نعمته عليه وعليهم، وأنزل الله عليه: اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فله الحمد على فضله، الذي لا يبلغ ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة، ولا تحصر، منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا، وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، لم يزل يتزايد، وكلما شرع لهم شريعة، فهي نعمة عظيمة قال: ولأتم نعمتي عليكم فأصل النعمة، الهداية لدينه، بإرسال رسوله، وإنزال كتابه، ثم بعد متقرر عندهم، صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم. ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة، نعمة عظيمة، وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته، للحق من ربك فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال: وإنه للحق من ربك ومنها: أنه أخبر وهو العالم بالخفيات أن أهل الكتاب الباطلة، التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها، ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبله أهل الكتاب، ومنها قوله: وإنه وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله: فول وجهك والأمة عموما في قوله: فولوا ووجهكم ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات هذه الآيات. منها: الأمر بها، ثلاث مرات، مع كفاية المرة الواحدة، ومنها: أن المعهود، أن الأمر، إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعاً، أو للأمة عموماً، أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون، وأكثرها فيها من الكلام والشبه، فهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها التي هي أصل كل خير، فمن لم يخش الله، لم ينكف عن معصيته، ولم يمتثل أمره. وكان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة، أشاعها حجتهم باطلة، والباطل كاسمه مخذول، مخذول صاحبه، وهذا بخلاف صاحب الحق، فإن للحق صولة وعزا، يوجب خشية من هو معه، وأمر تعالى بخشيته، والاحتجاج عليه، وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج محلاً يؤبه لها، ولا يلقي لها بال، فهذا قال تعالى: فلا تخشوهم لأن وانقطعت حججهم عليه. إلا الذين ظلموا منهم أي: من احتج منهم بحجة، هو ظالم فيها، وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم، فهذا لا سبيل إلى إقناعه حججهم، وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم، وهو من ذريته، وقد ترك استقبال قبلته؟ فباستقبال الكعبة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين، البيت الحرام، والمشركون يرون أن من مفاخرهم، هذا البيت العظيم، وأنه من ملة إبراهيم، وأنه إذا لم يستقبله محمد صلى الله عليه وسلم، توجهت نحوه من أهل الكتاب والمشركين، فإنه لو بقي مستقبلاً بيت المقدس، لتوجهت عليه الحجة، فإن أهل الكتاب، يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة، هي الكعبة وقال هنا: لنلا يكون للناس عليكم حجة أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة، لينقطع عنكم احتجاج الناس

أن يكون المعنى عاماً، فيكون الكفر أنواعاً كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي، على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه. 151 بالشكر. ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال: ولا تكفرون المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها، ويحتمل النعم الحقيقية؟ التي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي بالنعم، واعترافاً، وباللسان، ذكراً وثناءً، وبالجوارح، طاعة لله وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيهِ، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر عموماً فقال: واشكروا لي أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقراراً خير منهم وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر، فهذا أمر به ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ النعم على الإطلاق، ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده، فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها؛ فهذا قال تعالى: فاذكروني أذكركم فأمر تعالى بذكره، لأنهم كانوا قبل بعثته، في ضلال مبين، لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل، نالته هذه الأمة فعلى يده صلى الله عليه وسلم، وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول وتنزيل الأمور منازلها. فيكون على هذا تعليم السنة داخلاً في تعليم الكتاب، لأن السنة، تبين القرآن وتفسره، وتبصر عنه، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ذلك من أنواع التزكية. ويعلمكم الكتاب أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه، والحكمة قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التبغاض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهاها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني. ويزكيكم أي: يظهر أخلاقكم ونفوسكم،

## تفسير السعدي

الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولاً، على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله، عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقته، وأمانته وكماله ونصحه. يتلو عليكم آياتنا وهذا يعم يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا

أن يكون المعنى عاماً، فيكون الكفر أنواعاً كثيرة، أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي، على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه. 152 بالشكر. ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال: ولا تكفرون المراد بالكفر هاهنا ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها، ويحتمل النعم الحقيقية؟ التي تدوم، إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك، ليزيدهم من فضله، وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا قال تعالى: لنن شكرتم لأزيدنكم وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من العلم وتزكية الأخلاق والتوفيق للأعمال، بيان أنها أكبر النعم، بل هي بالنعم، واعترافاً وباللسان، ذكراً وثناءً وبالجوارح، طاعة لله وانقياداً لأمره، واجتناباً لنهيه، فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، خصوصاً، ثم من بعده أمر بالشكر عموماً فقال: واشكروا لي أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم، والشكر يكون بالقلب، إقراراً خير منهم وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان، وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه، والذكر هو رأس الشكر، فلماذا أمر به ووعد عليه أفضل جزاء، وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ النعم على الإطلاق، ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده، فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها؛ فلماذا قال تعالى: فاذكروني أذكركم فأمر تعالى بذكره، لأنهم كانوا قبل بعثته، في ضلال مبين، لا علم ولا عمل، فكل علم أو عمل، نالته هذه الأمة فعلى يده صلى الله عليه وسلم، وبسببه كان، فهذه النعم هي أصول وتنزيل الأمور منازلها. فيكون على هذا تعليم السنة داخلاً في تعليم الكتاب، لأن السنة، تبين القرآن وتفسره، وتعتبر عنه، ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ذلك من أنواع التزكية. ويعلمكم الكتاب أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه، والحكمة قيل: هي السنة، وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، ومن الخيانة إلى الأمانة، ومن الكبر إلى التواضع، ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق، ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد، وغير بتربيتها على الأخلاق الجميلة، وتنزيهاها عن الأخلاق الرذيلة، وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الكذب إلى الصدق، ووجوب الإيمان به، ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب، حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني. ويزكيكم أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، الآيات القرآنية وغيرها، فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال، التي دلتكم أولاً، على توحيد الله وكماله، ثم على صدق رسوله، عليكم بأصول النعم ومتمماتها، فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم، تعرفون نسبه وصدقته، وأمانته وكماله ونصحه. يتلو عليكم آياتنا وهذا يعم يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله، بل أنعمنا

يوجب للعبد في قلبه، وصفاً، وداعياً يدعوه إلى امتثال أوامر ربه، واجتناب نواهيه، هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء. 153 بمناجاة ربه ودعائه لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة، الذي هو لها فصار العبد إذا دخل فيها، استشعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله، مستغرقاً الدين، ونور المؤمنين، وهي الصلة بين العبد وبين ربه، فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعاً فيها ما يلزم فيها، وما يسر، وحصل فيها حضور القلب، المعية العامة، فهي معية العلم والقدرة، كما في قوله تعالى: وهو معكم أين ما كنتم وهذه عامة للخلق. وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي عماد محبته ومعونته، ونصره وقربه، وهذه منقبة عظيمة للصابرين، فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله، لكفى بها فضلاً وشرفاً، وأما وصفة، وملكة بمعونته وتوقيفه، وتسديده، فهانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره، وسهل عليهم كل عظيم، وزالت عنهم كل صعوبة، وهذه معية خاصة، تقتضي فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله، فلماذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه مع الصابرين أي: مع من كان الصبر لهم خلقاً، تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط، إن لم يقاومها صاحبها بالصبر لله، والتوكل عليه، واللجأ إليه، والافتقار على الدوام. إلا بصبر عظيم، وكف لدواعي قلبه ونوازعها لله تعالى، واستعانة بالله على العصمة منها، فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصاً إن استمر، فهذا والملازمة عليها، لم يدرك شيئاً، وحصل على الحرمان، وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد، فهذه لا يمكن تركها المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار، إلى تحمل الصبر، وتجرجع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح، وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر تتركها، وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها، فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه، خصوصاً الطاعات الشاقة الدينية والدنيوية بالصبر والصلاة فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره، فهو ثلاثة أقسام: صبرها على طاعة الله حتى تؤديها، وعن معصية الله حتى أمر الله تعالى المؤمنين، بالاستعانة على أمورهم

الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة. وفي الآية، دليل على نعيم البرزخ وعذابه، كما تكاثرت بذلك النصوص. 154 فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفساً فنفساً في سبيل الله، لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر العظيم، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الأجر العظيمة والغنائم، لا يكون كذلك والله تعالى قد: اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد، ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكّل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش. وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله، وملازمة الصبر

## تفسير السعدي

وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أرواح الشهداء في لا يضيع أجر المؤمنين فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفتحه الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل، مما تظنون وتحسبون. فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها. ومن المعلوم جميع الأمور ذكر نموذجاً مما يستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيله، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقتها في نفسه، ولكونه مؤدياً لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على

ما هو خير له وأنفع منها، فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى: وبشر الصابرين أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب. 155 واحتسب أجرها عند الله، وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له، بل المصيبة تكون نعمة في حقه، لأنها صارت طريقاً لحصول والرضا والشكران، وحصل له السخط الدال على شدة النقصان. وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب، فحسب نفسه عن التسخط، قولاً وفعلًا، وهو وجود هذه المصيبة، وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر، ففاز بالخسارة والحرمان، ونقص ما معه من الإيمان، وفاته الصبر بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقع كما أخبر، فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: جازعين وصابرين، فالجاذع، حصلت له المصيبتان، فوات المحبوب، أو بدن من يحبه، والثمرات أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد ونحوه. فهذه الأمور، لا للأموال من الملوك الظلمة، وقطاع الطريق وغير ذلك. والأنفس أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب، ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك. ونقص من الأموال وهذا يشمل جميع النقص المعترى للأموال من جوائح سماوية، وغرق، وضياح، وأخذ الظلمة إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده بشيء من الخوف من الأعداء والجوع أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو هو فساد، وحكمة الله تقتضي تمييز أهل الخير من أهل الشر. هذه فائدة المحن، لا إزالة ما مع المؤمنين من الإيمان، ولا ردهم عن دينهم، فما كان الله ليضيع الصادق من الكاذب، والجاذع من الصابر، وهذه سنته تعالى في عباده؛ لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة، لحصل الاختلاط الذي أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن، ليتبين

وجدنا أجرنا موفوراً عنده، وإن جزعنا وسخطنا، لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر، فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر. 156 والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك، ومع أننا ملوكون لله، فإننا إليه راجعون يوم المعاد، فمجاز كل عامل بعمله، فإن صبرنا واحتسبنا وأموالهم، فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه، بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه، فيوجب له ذلك، الرضا عن الله، قالوا إنا لله أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه، فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء، فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة، ثم وصفهم بقوله: الذين إذا أصابهم مصيبة وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره. فالصابرين، هم

ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر. وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وبيان أنواع المصائب. 157 النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، من الله، والعقوبة، والزال والفساد، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطيئ في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله. ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم أي: ثناء وتنويه بحالهم ورحمة عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، وأولئك هم المهتدون الذين عرفوا الحق، وهو أولئك الموصوفون بالصبر المذكور عليهم صلوات من ربهم

نيتته وإيمانه وتقواه، ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها، بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم. 158 منه ذراعاً، تقرب منه باعاً، ومن أتاها يمشي، أتاها هرولة، ومن عامله، ربح عليه أضعافاً مضاعفة. ومع أنه شاكر، فهو عليم بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب عند ربه كاملاً موفراً، لم تنقصه هذه الأمور. ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئاً لله، أعاضه الله خيراً منه، ومن تقرب منه شبراً، تقرب منه ذراعاً، ومن تقرب في قلبه نوراً وإيماناً، وسعة، وفي بدنه قوة ونشاطاً، وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء، وفي أعماله زيادة توفيق. ثم بعد ذلك، يقدم على الثواب الآجل يقبل من عباده اليسير من العمل، ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر، الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته، أعانه على ذلك، وأثنى عليه ومدحه، وجازاه إلا العناء، وليس بخير له، بل قد يكون شراً له إن كان متعمداً عالماً بعدم مشروعية العمل. فإن الله شاكر عليم الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى، الذي طاعة الله، ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه. ودل تقييد التطوع بالخير، أن من تطوع بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه لا يحصل له أي: فعل طاعة مخلصاً بها لله تعالى خيراً من حج وعمره، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك فهو خير له فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من نوع يتعبد لله بعبادة، لم يشرعها أصلاً، ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة، فتفعل على غير تلك الصفة، وهذا منه. وقوله: ومن تطوع

## تفسير السعدي

والحج، وهو عبادة مفردة. فأما السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار فإنها تتبع النسك، فلو فعلت غير تابعة للنسك، كانت بدعة، لأن البدعة نوعان: تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة، أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة، بخلاف الطواف بالبيت، فإنه يشرع مع العمرة لوهم من توهم وتخرج من المسلمين عن الطواف بينهما، لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام، فنفي تعالى الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم. ودل الأحاديث النبوية وفعله النبي صلى الله عليه وسلم وقال: خذوا عني مناسككم فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما هذا دفع وأن تعظيم شعائره، من تقوى القلوب. والتقوى واجبة على كل مكلف، وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة، كما عليه الجمهور، ودلت عليه عبادته، وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال: ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب فدل مجموع النصين أنهما من شعائر الله، يخبر تعالى أن الصفا والمروة وهما معروفان من شعائر الله أي أعلام دينه الظاهرة، التي تعبد الله بها

من جنس عمله، فالكاتب لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد. 159 كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملأه، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدين، كتم ما أنزل الله، والغش لعباد الله، فأولئك يلعنهم الله أي: يبعدهم ويطردهم عن قربه ورحمته. ويلعنهم اللاعنون ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يبينوا الناس ما من الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله من البينات الدالات على الحق المظاهرات له، والهدى وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته، فإن حكمها

القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين وقوله: وما كانوا مهتدين لتحقيق لضلالتهم، وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء، فهذه أو صافهم القبيحة. 16 على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن عاليها؟ فما ربحت تجارتها، بل خسر فيها أعظم خسارة. قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم وإذا كان من بذل دينارا في مقابلة درهم خاسرا، فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهما؟ فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبنس التجارة، وبنس الصفقة صفقتهم أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، وأولئك أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات الذين اشتروا الضلالة بالهدى

التي وسعت كل شيء ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأتابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم، لطفا وكرما، هذا حكم التائب من الذنب. 160 لأنه التواب أي: الرجاء على عبادته بالعفو والصفح، بعد الذنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع، إذا رجعوا، الرحيم الذي اتصف بالرحمة العظيمة، ذلك في الكاتم أيضا، حتى يبين ما كتمه، ويبيد ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها، فمن أتى بسبب التوبة، تاب الله عليه، عما هم عليه من الذنوب، ندما وإقلاعا، وعزما على عدم المعاودة وأصلحوا ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن. ولا يكفي إلا الذين تابوا أي رجعوا

عنهم العذاب بل عذابهم دائم شديد مستمر ولا هم ينظرون أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون. 161 ثابتا، صارت اللعنة عليهم وصفا ثابتا لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما. و خالدين فيها أي: في اللعنة، أو في العذاب والمعنيان لا يخفف على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه، ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لأنه لما صار كفرهم وصفا وأما من كفر واستمر

عنهم العذاب بل عذابهم دائم شديد مستمر ولا هم ينظرون أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى، ولم يبق لهم عذر فيعتذرون. 162 ثابتا، صارت اللعنة عليهم وصفا ثابتا لا تزول، لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما. و خالدين فيها أي: في اللعنة، أو في العذاب والمعنيان لا يخفف على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه، ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب فأولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لأنه لما صار كفرهم وصفا وأما من كفر واستمر

وبيان أصل الدليل على ذلك وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم، واندفاع جميع النقم، فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى. 163 مع الخالق المدير القادر القوي، الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء. ففي هذه الآية، إثبات وحدانية الباري وإلهيته، وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين أظلم الظلم، وأقبح القبيح، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد، وأن يشرك المخلوق من تراب، برب الأرباب، أو يعبد المخلوق المدير العاجز من جميع الوجوه، لا ينفع أحدا، علم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة، وأن يفرد بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل، وغير ذلك من أنواع الطاعات. وأن من وبين لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. فإذا علم أن ما بالعباد من نعمة، فمن الله، وأن أحدا من المخلوقين، وعمت كل حي، فبرحمته وجدت المخلوقات، وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات، وبرحمته اندفع عنها كل نقمة، وبرحمته عرف عباده نفسه بصفاته وآلانه، ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه الرحمن الرحيم المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد، فقد وسعت كل شيء

## تفسير السعدي

وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق، ولا مدبر غيره، فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله يخبر تعالى وهو أصدق القائلين أنه إله واحد أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه،

فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه. 164  
دلالات، على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبر به الرسل من اليوم الآخر، وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها. فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة، علم بذلك، أنها خلقت للحق وبالحق، وأنها صحائف آيات، وكتب ذلك دليلا على حلمه وصبره، وعفوه وصفحه، وعميم لطفه؟ فله الحمد أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا. والحاصل، أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه أليس من القبيح بالعباد، أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا ببره وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟ أليس ويروي التلول والوهاد، وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه، فإذا كان يضرهم كثرته، أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفا، ويصرفه عناية وعظما، فما أعظم ومحبة وإنابة وعبادة؟ وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء، فيحيي به البلاد والعباد، وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات، وتصلح الأبدان والأشجار والحبوب والنوابت، إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده المستحق لكل ذل وخضوع، تدره، وتارة تمزقه وتزيل ضرره، وتارة تكون رحمة، وتارة ترسل بالعذاب. فمن الذي صرفها هذا التصريف، وأودع فيها من منافع العباد، ما لا يستفنون عنه؟ ومستودعها. وفي تصريف الرياح باردة وحارة، وجنوبا وشمالا، وشرقا ودبورا وبين ذلك، وتارة تثير السحاب، وتارة تؤلف بينه، وتارة تلقحه، وتارة ومنها: ما يعتبر به، ومع أنه بث فيها من كل دابة، فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم، المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها، ويعلم مستقرها للناس، ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع. فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من دره، ومنها: ما يركبون، ومنها: ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم، أي: في الأرض من كل دابة أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة، ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وسخرها افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟ أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟ أليس ذلك دليلا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟ وبث فيها هو من ضرورات الخلائق، التي لا يعيشون بدونها. أليس ذلك دليلا على قدرة من أنزله، وأخرج به ما أخرج ورحمته، ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة وما أنزل الله من السماء من ماء وهو المطر النازل من السحاب. فأحيا به الأرض بعد موتها فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما وجدت هذه الأمور العظام، فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه، وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم. يتمتع عليه شيء؟ بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته. وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءا من أجزاء الأسباب، التي بها العاجز، الذي خرج من بطن أمه، لا علم له ولا قدرة، ثم خلق له ربه القدرة، وعلمه ما يشاء تعليمه، أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا للمراكب البرية والبحرية، النار والمعادن المعينة على حملها، وحمل ما فيها من الأموال؟ فهل هذه الأمور، حصلت اتفاقا، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها، وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟ أم من الذي سخر لها البحر، تجري فيه بإذنه وتسخير، والرياح؟ أم من الذي خلق لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس، وبما تقوم به مصالحهم وتنظم معاشهم. فمن التي تجري في البحر وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها، وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها. ثم سخر وعظمه ملكه وسلطانه، مما يوجب أن يؤله ويعبد، ويفرد بالمحبة والتعظيم، والخوف والرجاء، وبذل الجهد في محابه ومراضيه. وفي الفلك عن إدراكه من الرجال الفحول، ما يدل ذلك على قدرة مصرفها، وعلمه وحكمته، ورحمته الواسعة، ولطفه الشامل، وتصريفه وتدبيره، الذي تفرّد به، وعظمته، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما على وجه الأرض، من أشجار ونوابت، كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير، تنبهر له العقول، وتعجز على الدوام، إذا ذهب أحدهما، خلفه الآخر، وفي اختلافهما في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط، وما ينشأ عن ذلك من الفصول، ذلك أبلغ الدليل على كماله، واستحقاقه أن يفرد بالعبادة، لانفراد بالخلق والتدبير، والقيام بشئون عباده و في اختلاف الليل والنهار وهو تعاقبهما التي بها خلقها، وحكمته التي بها أتقنها، وأحسنها ونظمها، وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم. وفي خلق الأرض مهادا للخلق، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار. ما يدل ذلك على انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير، وبيان قدرته العظيمة وتدبره، ففي خلق السماوات في ارتفاعها واتساعها، وإحكامها، وإتقانها، وما جعل الله فيها من الشمس والقمر، والنجوم، وتنظيمها لمصالح العباد. وفي صفاته، ولكنها لقوم يعقلون أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له، فعلى حسب ما من الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله وفكره أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة، آيات أي: أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر

الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم 165  
قول يقولونه، وأماني يتمنونها، حقا وغيظا على المتبوعين لما تبرأوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر، إبليس، ومع هذا يقول لأتباعه لما قضي الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيئات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم وحينئذ يمتنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيه، بأن يتركوا الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الحق في موضعه، فكانت أعماله حقا، لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربه، غير منقطع كما قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل



## تفسير السعدي

وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضررتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه، ورجا نفعه، فهذا قد وضع بعد هذا الخسران خسران؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبداً، فهل بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وتبين ولم تدفع عنهم أندادهم شيئاً، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع، بل يحصل لهم الضرر منها، من حيث ظنوا نفعها. وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت وعجزها، لا كما اشتبه عليهم في الدنيا، وظنوا أن لها من الأمر شيئاً، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، فخاب ظنهم، وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب، لله جميعاً وأن الله شديد العذاب أي: لعلموا علماً جازماً، أن القوة والقدرة لله كلها، وأن أندادهم ليس فيها من القوة شيء، فتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصددهم عن سبيل الله، وسعيهم فيما يضرهم. إذ يرون العذاب أي: يوم القيامة عياناً بأبصارهم، أن القوة والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئاً، ومحبه عين شقاء العبد وفساده، وتشئت أمره. فلماذا توعدهم الله بقوله: ولو يرى الذين ظلموا باتخاذ أندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له، وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة، الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه، صنماً، أو غير ذلك، وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام، فلماذا مدح الله المؤمنين بقوله: والذين آمنوا أشد حبا لله أي: من أهل الأنداد النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضرر والأمر شيء، فعلم علماً يقيناً، بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأنداداً، سواء كان ملكاً أو نبياً، أو صالحاً، وغيره مخلوق، والرب الرازق ومن عده مرزوق، والله هو الغني وأنتم الفقراء، وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه، والله هو أم بظاهر من القول إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن فالمخلوق ليس نداً لله لأن الله هو الخالق، جعلوا بعض المخلوقات أنداداً له، تسمية مجردة، ولفظاً فارغاً من المعنى، كما قال تعالى: وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم، ليقربوهم إليه، وفي قوله: اتخذوا دليل على أنه ليس لله ند وإنما المشركون أو معرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته، فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب. وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله، لا يسوونهم نظراء ومثلاء، يساووهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة. ومن كان بهذه الحالة بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد علم أنه معاند لله، مشاق له، القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذكر هنا أن من الناس مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين أنداداً لله أي: ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى، لما بين وحدانيته وأدلتها

من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم 166 عند ربه، غير منقطع كما قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق بالله الملك الحق المبين، وأخلص العمل لوجهه، ورجا نفعه، فهذا قد وضع الحق في موضعه، فكانت أعماله حقاً، لتعلقها بالحق، ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه مرجو، وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها، ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضررتهم غاية الضرر، وهذا بخلاف من تعلق عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبداً، فهل بعد هذا الخسران خسران؟ ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل ورجوا غير بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم، وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين، وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت وتبرأ المتبوعون من التابعين، وتقطعت بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا، لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة

الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم 167 قول يقولونه، وأماني يتمنونها، حقاً وغيظاً على المتبوعين لما تبرأوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر، إبليس، ومع هذا يقول لأتباعه لما قضي الشرك بالله، ويقبلوا على إخلاص العمل لله، وهيئات، فأت الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار، ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، وإنما هو وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا فيتبرأوا من متبوعيه، بأن يتركوا

ويدخل فيه أيضاً تناول المأكولات المحرمة، إنه لكم عدو مبين أي: ظاهر العداوة، فلا يريد بأمركم إلا غشكم، وأن تكونوا من أصحاب السعير، 168 عن اتباع خطوات الشيطان أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السواائب، والحام، ونحو ذلك، وهو ضد الحلال. وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يأثم تاركه لظاهر الأمر، ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به إذ هو عين صلاحهم نهاهم أكلاً وانتفاعاً، وأن المحرم نوعان: إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب، وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، محرم، أو معينا على محرم. طيباً أي: ليس بخبيث، كالميتة والدم، ولحم الخنزير، والخبائث كلها، ففي هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات، حالة كونها حلالاً أي: محللاً لكم تناوله، ليس بغصب ولا سرقة، ولا محصلاً بمعاملة محرمة أو على وجه هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما

الشر، ويسعى بجهد على إهلاكك في الدنيا والآخرة؟ الذي كل الشر في طاعته، وكل الخسران في ولايته، الذي لا يأمر إلا بشر، ولا ينهى إلا عن خير. 169 الأرباح في معاملة المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر، أم تتبع داعي الشيطان، الذي هو عدو الإنسان، الذي يريد لك أي الداعيين هو، ومن أي الحزبين؟ أتتبع داعي الله الذي يريد لك الخير والسعادة الدنيوية والأخروية، الذي كل الفلاح بطاعته، وكل الفوز في خدمته، وجميع

## تفسير السعدي

على إغواء الخلق بما يقدر عليهم. وأما الله تعالى، فإنه يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، فليُنظر العبد نفسه، مع الله بلا علم، من أكبر المحرمات، وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها، فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبدلون مكرهم وخداعهم، القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه، أو كلام رسوله، على معان اصطلاح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على بغير بصيرة، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: الله خلق هذا الصنف من المخلوقات، لليلة الفلانية بلا برهان له بذلك، فقد قال على الله بلا علم، ومن أعظم بلا علم، ومن زعم أن لله ندا، وأوثانا، تقرب من عبدها من الله، فقد قال على الله بلا علم، ومن قال: إن الله أحل كذا، أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا، علم، في شرعه، وقدره، فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو نفى عنه ما أثبتته لنفسه، أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله وشرب الخمر، والقتل، والكذب، والبخل ونحو ذلك، مما يستفحشه من له عقل، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون فيدخل في ذلك، القول على الله بلا صاحبه، فيدخل في ذلك، جميع المعاصي، فيكون قوله: والفحشاء من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الفحشاء من المعاصي، ما تنهى قبحه، كالزنا، الداعية للحذر منه، ثم لم يكتف بذلك، حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به، وأنه أقبح الأشياء، وأعظمها مفسدة فقال: إنما يأمركم بالسوء أي: الشر الذي يسوء فلم يكتف ربنا بنهيها عن اتباع خطواته، حتى أخبرنا وهو أصدق القائلين بعداوتة

كل هم وغم وعذاب، وحصل لهم ظلمة القبر، وظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلم المعاصي على اختلاف أنواعها، وبعد ذلك ظلمة النار وبنس القرار. 171 بذلك دماؤهم، وسلمت أموالهم، وحصل لهم نوع من الأمن في الدنيا، فبينما هم على ذلك إذ هجم عليهم الموت، فسلهم الانتفاع بذلك النور، وحصل لهم الحاصلة بعد النور، فكيف يكون حال هذا الموصوف؟ فكذلك هؤلاء المنافقون، استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين، ولم تكن صفة لهم، فانتفعوا بها وحقت العظيمة والنار المحرقة، فذهب ما فيها من الإشراق، وبقي ما فيها من الإحراق، فبقي في ظلمات متعددة: ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة المطر، والظلمة وأمنها، وانتفع بتلك النار، وقرت بها عينه، وظن أنه قادر عليها، فبينما هو كذلك، إذ ذهب الله بنوره، فذهب عنه النور، وذهب معه السرور، وبقي في الظلمة إلى النار شديدة فاستوقدها من غيره، ولم تكن عنده معدة، بل هي خارجة عنه، فلما أضاءت النار ما حوله، ونظر المحل الذي هو فيه، وما فيه من المخاوف أي: مثلهم المطابق لما كانوا عليه كمثل الذي استوقد ناراً، أي: كان في ظلمة عظيمة، وحاجة

فلو هدوا لرشدوا، وحسن قصدهم، وكان الحق هو القصد، ومن جعل الحق قصده، ووازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا، واتبعه إن كان منصفاً. 170 بالأنبياء، ومع هذا فأبأ بهم أجهل الناس، وأشدهم ضلالاً وهذه شبهة لرد الحق واهية، فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله مما تقدم وصفه رغبوا عن ذلك وقالوا: بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فاكثفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان ثم أخبر تعالى عن حال المشركين

واقترح النار على بصيرة، واتباع الباطل، ونبت الحق أن هذا ليس له مسكة من عقل، وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء، فإنه من أسفه السفهاء. 171 العاقل، أن من دعي إلى الرشاد، وزيد عن الفساد، ونهي عن اقتحام العذاب، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه، وفوزه، ونعيمه فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه، نظر اعتبار، بكما، فلا ينطقون بما فيه خير لهم. والسبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح، بل هم أسفه السفهاء، وأجهل الجهلاء. فهل يستريب يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة، ولكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فلماذا كانوا صما، لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول، عمياً، لا ينظرون لن يزولوا عن عنادهم، أخبر تعالى، أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينطق بها علمها وليس لها علم بما يقول راعيها ومناديها، فهم لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، وردهم لذلك بالتقليد، علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق، ولا مستجيبين له، بل كان معلوماً لكل أحد أنهم ثم قال تعالى: ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون

والأمر بالشكر، عقيب النعم؛ لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلب النعم المفقودة كما أن الكفر، ينفر النعم المفقودة ويزيل النعم الموجودة. 172 فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبد وحده، كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به، ويدل أيضاً على أن أكل الطيب، سبب للعمل الصالح وقبوله، لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصة من التبعة، ولأن إيمانه يحجزه عن تناول ما ليس له. وقوله إن كنتم إياه تعبدون أي: فاشكروه، إليه، فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً فاشكروا في هذه الآية، هو العمل الصالح، وهنا لم يقل حالاً على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم، فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون

الضرورات تبيح المحظورات فكل محظور، اضطر إليه الإنسان، فقد أباحه له، الملك الرحمن. فله الحمد والشكر، أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً. 173 تعالى أنه غفور، فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال، خصوصاً وقد غلبته الضرورة، وأذهبت حواسه المشقة. وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: فقال: إن الله غفور رحيم ولما كان الحل مشروطاً بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة، ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها أخبر إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلاً لنفسه. وهذه الإباحة والتوسعة، من رحمته تعالى بعباده، فلماذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة الجناح الإثم رجع الأمر إلى ما كان عليه، والإنسان بهذه الحالة، مأمور بالأكل، بل منهى أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه. فيجب، إذا عليه الأكل، ويأثم الحد في تناول ما أباح له، اضطراراً، فمن اضطر وهو غير قادر على الحلال، وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها، فلا إثم أي: جناح عليه، وإذا ارتفع

## تفسير السعدي

اضطر أي: ألجى إلى المحرم، بجوع وعدم، أو إكراه، غير باغ أي: غير طالب للمحرم، مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه، ولا عاد أي: متجاوز المحرمات، تستفاد من الآية السابقة، من قوله: حالاً طيباً كما تقدم. وإنما حرم علينا هذه الخبائث ونحوها، لطفاً بنا، وتنزيهاً عن المضر، ومع هذا فمن الأوثان من الأحجار، والقبور ونحوها، وهذا المذكور غير حاصر للمحرمات، جيء به لبيان أجناس الخبائث المدلول عليها بمفهوم قوله: طيبات فعموم الجراد، وسماك البحر، فإنه حلال طيب. والدم أي: المسفوح كما قيد في الآية الأخرى. وما أهل به لغير الله أي: ذبح لغير الله، كالذي يذبح للأصنام بغير تذكية شرعية، لأن الميتة خبيثة مضرّة، لرداءتها في نفسها، ولأن الأغلب، أن تكون عن مرض، فيكون زيادة ضرر واستثنى الشارع من هذا العموم، ميتة ولما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث فقال إنما حرم عليكم الميتة وهي: ما مات

وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟ 174 والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يذكروا لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار، ولا يذكروهم أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح إلا النار لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك: ما يأكلون في بطونهم هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله،

وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة، فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟ 175 والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يذكروا لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار، ولا يذكروهم أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح إلا النار لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم، ولا يكلمهم الله يوم القيامة من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه، فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك: ما يأكلون في بطونهم هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله،

الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه، وعدم الافتراق، وأن كل من خالفه، فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة والمخاصمة، والله أعلم. 176 الضلالة على الهدى، فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة، ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار، لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها، وأن الآيات، الوعيد للكاتمين لما أنزل الله، المؤثرين عليه، عرض الدنيا بالعذاب والسخط، وأن الله لا يطهرهم بالتوفيق، ولا بالمغفرة، وذكر السبب في ذلك بإيتارهم وترتب على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به، وحكموه في كل شيء، فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبة والاجتماع عليه. وقد تضمنت هذه لفظة شقاق أي: محادة، بعيد عن الحق لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض، فمرج أمرهم، وكثر شقاقهم، الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، والذين حرفوه وصرفوه على أهوائهم ومراداتهم ما يدل على أن الله أنزله لهداية خلقه، وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، فمن صرفه عن مقصوده، فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة. وإن ممن أباه واختار سواها. بأن الله نزل الكتاب بالحق ومن الحق، مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. وأيضاً في قوله: نزل الكتاب بالحق ذلك المذكور، وهو مجازاته بالعدل، ومنعه أسباب الهداية،

الأبرار الصادقون المتقون. وقد علم ما رتب الله على هذه الأمور الثلاثة، من الثواب الدنيوي والأخروي، مما لا يمكن تفصيله في مثل هذا الموضع. 177 ولزوماً، لأن الوفاء بالعهد، يدخل فيه الدين كله، ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات، ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم، وأولئك هم المتقون لأنهم تركوا المحظور، وفعلوا المأمور؛ لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمنها بما ذكر من العقائد الحسنة، والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره، والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم الذين صدقوا الجراح أو الأسر، فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتساباً، ورجاء لثواب الله تعالى الذي منه النصر والمعونة، التي وعد بها الصابرين. أولئك أي: المتصفون لثواب الله تعالى. وحين البأس أي: وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم، لأن الجلال، يشق غاية المشقة على النفس، ويجزع الإنسان من القتل، أو فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك؛ لأن النفس تضعف، والبدن يألم، وذلك في غاية المشقة على النفوس، خصوصاً مع تناول ذلك، فإنه يؤمر بالصبر، احتساباً ورجاء الثواب من الله عليها. والضراء أي: المرض على اختلاف أنواعه، من حمى، وقرح، ورياح، ووجع عضو، حتى الضرر والإصبع ونحو ذلك، يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم، وإن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم. فكل هذه ونحوها، مصائب، يؤمر بالصبر عليها، والاحتساب، لغيره. فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم، وإن جاع أو جاعت عياله تألم، وإن أكل طعاماً غير موافق لهواه تألم، وإن عرى أو كاد تألم، وإن نظر إلى ما بين ذلك. والصابرين في البأساء أي: الفقر، لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة، لكونه يحصل له من الآلام القلبية والبدنية المستمرة ما لا يحصل بها عباده والتزموها، ودخلوا تحت عهدها، ووجب عليهم أداؤها، وحقوق العباد، التي أوجبها الله عليهم، والحقوق التي التزمها العبد كالأيمان والتذور، ونحو ما مع صاحبه من الإيقان. والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والعهد: هو الالتزام بالزام الله أو إلزام العبد لنفسه. فدخل في ذلك حقوق الله كلها، لكون الله ألزم قد تقدم مراراً، أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة، لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات، عبادات قلبية، وبدنية، ومالية، وبهما يوزن الإيمان، ويعرف

## تفسير السعدي

غنيا وفي الرقاب فيدخل فيه العتق والإعانة عليه، وبذل مال للمكاتب ليوفي سيده، وفداء الأسرى عند الكفار أو عند الظلمة. وأقام الصلاة وآتى الزكاة ابتلي بأرش جناية، أو ضريبة عليه من ولاة الأمور، أو يسأل الناس لتعمير المصالح العامة، كالمساجد والمدارس والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حق وإن كان ولو بتزويده أو إعطائه آلة لسفره، أو دفع ما ينوبه من المظالم وغيرها. والسائلين أي: الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج، توجب السؤال، كمن مظنة الحاجة، وكثرة المصارف، فعلى من أنعم الله عليه بوطنه وراحته، وخوله من نعمته، أن يرحم أخاه الغريب، الذي بهذه الصفة، على حسب استطاعته، بما يقدرون عليه، وبما يتيسر، وابن السبيل وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فحث الله عباده على إعطائه من المال، ما يعينه على سفره، لكونه العمل فمن رحم يتيم غيره، رحم يتيمه. والمساكين وهم الذين أسكنتهم الحاجة، وأذلهم الفقر فلهم حق على الأغنياء، بما يدفع مسكنتهم أو يخففها، أرحم بهم من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم، الإحسان إلى من فقد أبائهم ليصيروا كمن لم يفقد والده، ولأن الجزء من جنس والقبولي، على حسب قربهم وحاجتهم. ومن يتامى الذين لا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغنون بها، وهذا من رحمته تعالى بالعباد، الدالة على أنه تعالى ببرك وإحسانك. من الأقارب الذين تتوجع لمصابهم، وتفرح بسرورهم، الذين يتناصرون ويتعاقلون، فمن أحسن البر وأوفقه، تعاهد الأقارب بالإحسان المالي المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فكل هؤلاء ممن آتى المال على حبه. ثم ذكر المنفق عليهم، وهم أولى الناس ويخشى الفقر، وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة، كانت أفضل، لأنه في هذه الحال، يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر. وكذلك إخراج النفيس من يكاد يخرج العبد. فمن أخرجه مع حبه له تقربا إلى الله تعالى، كان هذا برهانا لإيمانه، ومن إيتاء المال على حبه، أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، وآتى المال وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلا كان أو كثيرا، أي: أعطى المال على حبه أي: حب المال، بين به أن المال محبوب للنفوس، فلا أنزلها الله على رسوله، وأعظمها القرآن، فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام، والنبیین عموما، خصوصا خاتمهم وأفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم. به الرسول، مما يكون بعد الموت. والملائكة الذين وصفهم الله لنا في كتابه، ووصفهم رسوله صلى الله عليه وسلم والكتاب أي: جنس الكتب التي ذلك. ولكن البر من آمن بالله أي: بأنه إله واحد، موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص. واليوم الآخر وهو كل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف، وهذا نظير قوله صلى الله عليه وسلم: ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب ونحو يقول تعالى: ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد، فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين. 178 إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا وشرفا لقوم يعقلون. وقوله: لعلمك تتقون وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة، فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى، يحب من عباده، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكر الحياة لإفادة التعظيم والتكثير. ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر، الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية فقال: ولكم في القصص حياة أي: تتحقق بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا رني القاتل قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول، لأن جانيته لا تزيد على جنائية غيره. ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصص أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئا له، فيجب قتله بذلك. وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوما منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: فمن اعتدى بعد ذلك أي: بعد العفو فله عذاب أليم المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه. وإذا وفي قوله: فمن عفي له من أخيه ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجانا. وفي قوله: أخيه دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يحرجه. وعلى القاتل أداء إليه بإحسان من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، واختيار الدية إلى الولي. فإذا عفا عنه وجب على الولي، أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل بالمعروف من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق، بل فمن عفي له من أخيه شيء أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصص، وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود بعض أهل العلم فلم يجز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك. وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلها قال: والعبد بالعبد، ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها أدنية شديدة جدا من الولد له. وخرج من العموم أيضا، الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة. وأيضا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: القصص الحر بالحر يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى، والأنثى بالأنثى، فيكون منطوقها مقدما على مفهوم قوله: الأنثى بالأنثى لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية، ومن أشبههم من إيواء المحدثين. ثم بين تفصيل ذلك فقال:

## تفسير السعدي

لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل، وأنه عليهم القصاص في القتلى أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد. وتوجيه الخطاب يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض

الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن ينقاد لأمر الله، ويعظم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين. 179 إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب، وكفى بذلك فضلا وشرفا لقوم يعقلون. وقوله: لعلمكم تتقون وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة، وأن من كان بهذه المثابة، فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب الذين وجه والألباب الثقيلة، خصهم بالخطاب دون غيرهم، وهذا يدل على أن الله تعالى، يحب من عباده، أن يعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر ما في أحكامه من الحكم، والانزجار، ما يدل على حكمة الحكيم الغفار، ونكر الحياة لإفادة التعظيم والتكثير. ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته، إلا أهل العقول الكاملة مقتولا اندعر بذلك غيره وانزجر، فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر، الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية فقال: ولكم في القصاص حياة أي: تنحقن بذلك الدماء، وتنقمع به الأشقياء، لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل، وإذا ربي القاتل قتله، ولا يجوز العفو عنه، وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول، لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره. ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئا له، فيجب قتله بذلك. وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل، فإن الآية تدل على أنه يتعين عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل، وصار معصوما منهم ومن غيرهم، ولهذا قال: فمن اعتدى بعد ذلك أي: بعد العفو فله عذاب أليم المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان، فلم يخرج بالقتل منها، ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها، وإنما ينقص بذلك إيمانه. وإذا وفي قوله: فمن عفي له من أخيه ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجانا. وفي قوله: أخيه دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن إلا الإحسان بحسن القضاء، وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذم الناس للإنسان، مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يخرجه. وعلى القاتل أداء إليه بإحسان من غير مطل ولا نقص، ولا إساءة فعلية أو قولية، فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، واختيار الدية إلى الولي. فإذا عفا عنه وجب على الولي، أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل بالمعروف من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق، بل فمن عفي له من أخيه شيء أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص، وتجب الدية، وتكون الخيرة في القود بعض أهل العلم فلم يجز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك. وفي هذه الآية دليل على أن الأصل وجوب القود في القتل، وأن الدية بدل عنه، فلهاذا قال: والعبد بالعبد، ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت، ودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها أذية شديدة جدا من الولد له. وخرج من العموم أيضا، الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة. وأيضا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، ما يدل على أنه ليس من العدل، أن يقتل الوالد بولده، ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة، ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب اختلال في عقله، أو مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى، وخرج من عموم هذا الأبوان وإن علوا، فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك، مع أن في قوله: القصاص الحر بالحر يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر، والأنثى بالأنثى والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدا على مفهوم قوله: الأنثى بالأنثى لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد، ويمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية، ومن أشبههم من إيواء المحدثين. ثم بين تفصيل ذلك فقال: لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل، وأنه عليهم القصاص في القتلى أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد. وتوجيه الخطاب يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض

فهم لا يرجعون لأنهم تركوا الحق بعد أن عرفوه، فلا يرجعون إليه، بخلاف من ترك الحق عن جهل وضلال، فإنه لا يعقل، وهو أقرب رجوعا منهم. 18 فلهاذا قال تعالى عنهم: صم أي: عن سماع الخير، بكم أي: عن النطق به، عمي عن رؤية الحق،

واختلف المورد. فهذا الجمع، يحصل الاتفاق، والجمع بين الآيات، لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ، الذي لم يدل عليه دليل صحيح. 180 بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره، وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين، لأن كلا من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظا، آيات المواريث، بعد أن كان مجعلا، وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف، فإن الإنسان مأمور الوصية للوالدين والأقربين مجعلة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري. ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في منسوخة بآية المواريث، وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين، مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل، والأحسن في هذا أن يقال: إن هذه وقوله: حقا على المتقين دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت، وقد جعله الله من موجبات التقوى. واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية الناس إليه بالمعروف، على قدر حاله من غير سرف، ولا اقتصار على الأبعد، دون الأقرب، بل يرتبهم على القرب والحاجة، ولهذا أتى فيه بأفعل التفضيل. أي: أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك، وكان قد ترك خيرا أي: مالا وهو المال الكثير عرفا، فعليه أن يوصي لوالديه وأقرب أي: فرض الله عليكم، يا معشر المؤمنين إذا حضر أحدكم الموت نيته ذلك، أثابه ولو أخطأ، وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل، فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله، هذا حكم الوصية العادلة. 181

## تفسير السعدي

ووصيته، فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجوز في وصيته، عليم بنيته، وعلیم بعمل الموصى إليه، فإذا اجتهد الموصي، وعلم الله من على الذين يبدلونه وإلا فالموصي وقع أجره على الله، وإنما الإثم على المبدل المغير. إن الله سمیع يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي قد يبدل ما وصى به قال تعالى: فمن بدله أي: الإيصاء للمذكورين أو غيرهم بعدما سمعه أي: بعدما عقله، وعرف طريقه وتنفيذه، فإنما إثمهم ولما كان الموصي قد يمتنع من الوصية، لما يتوهمه أن من بعده،

فدلت هذه الآيات على الحث على الوصية، وعلى بيان من هي له، وعلى وعيد المبدل للوصية العادلة، والترغيب في الإصلاح في الوصية الجائزة. 182  
الله، غفور لميتهم الجائر في وصيته، إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضاً لأجل براءة ذمته، رحيم بعباده، حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون، إن الله غفور أي: يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه، ومنه مغفرته لمن غض من نفسه، وترك بعض حقه لأخيه، لأن من سامح، سامحه بينهم على وجه التراضي والمصالحة، ووعظهم بتبرئة ذمة ميتهم فهذا قد فعل معروفًا عظيمًا، وليس عليهم إثم، كما على مبدل الوصية الجائزة، ولهذا قال: الجور والجنف، وهو: الميل بها عن خطأ، من غير تعمد، والإثم: وهو التعمد لذلك. فإن لم يفعل ذلك، فينبغي له أن يصلح بين الموصي إليهم، ويتوصل إلى العدل وأما الوصية التي فيها حيف وحنف، وإثم، فينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها، أن ينصحه بما هو الأحسن والأعدل، وأن ينهه عن

تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى، ومنها: أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى. 183  
عليه، ومنها: أن الصيام يضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي، ومنها: أن الصائم في الغالب، إلى الله، راجيا بتركها، ثوابه، فهذا من التقوى. ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله أمر الله واجتناب نهيه. فمما اشتمل عليه من التقوى: أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك من الأمور الثقيلة، التي اختصت بها. ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال: لعلكم تتقون فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى، لأن فيه امتثال التي هي مصلحة للخلق في كل زمان. وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال، والمصارعة إلى صالح الخصال، وأنه ليس يخبر تعالى بما من به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام، كما فرضه على الأمم السابقة، لأنه من الشرائع والأوامر

وقيل: وعلى الذين يطيقونه أي: يتكلفونه، ويشق عليهم مشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم مسكين وهذا هو الصحيح 184  
أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم، ولهذا قال: وأن تصوموا خير لكم ثم بعد ذلك، جعل الصيام حتما على المطيق وغير المطيق، يفطر ويقضيه في أيام آخر في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتما، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق، وخير المطيق للصوم بين قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس. وقوله: وعلى الذين يطيقونه أي: يطيقون الصيام فدية عن كل يوم يفطرونه طعام مسكين وهذا السفر، وحصلت الراحة. وفي قوله: فعدة من أيام فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملا كان، أو ناقصا، وعلى أنه يجوز أن يقضي أياما للمشفقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر. ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام آخر إذا زال المرض، وانقضى الصيام، أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة. ثم سهل تسهila آخر. فقال: فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام آخر وذلك ولما ذكر أنه فرض عليهم

عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد. 185  
العدة وهذا والله أعلم لئلا يتوهم متوهم، أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه، دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، ويشكر الله تعالى إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات. وهذه جملة لا يمكن تفصيلها، لأن تفاصيلها، جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات. ولتكملا تيسير، ويسهلها أشد تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله. وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله، سهله تسهila آخر، يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة فقال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم الشهر فليصمه هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر. ولما كان النسخ للتخيير، بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر، لئلا وهذا إحسان الله عليكم فيه، أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام. فلما قرره، وبين فضيلته، وحكمة الله تعالى في تخصيصه قال: فمن شهد منكم الدينية والدينية، وتبيين الحق بأوضح بيان، والفرقان بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة. فحقيق بشهر، هذا فضله، الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتغل على الهداية لمصالحكم شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أي:

والأعمال الصالحة. ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا 186  
قال: فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان بالإجابة، وخصوصا إذا أتى بأسباب إجابة الدعاء، وهي الاستجابة لله تعالى بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة، فلهذا عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده من داعيه، بالإجابة، ولهذا قال: أجب دعوة الداع إذا دعان والدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من

## تفسير السعدي

فنزل: وإذا سألك عبادي عني فإني قريب لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضا هذا جواب سؤال، سأل النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فقالوا: يا رسول الله، أقریب ربنا فننادیه؟ أم یبعد فننادیه؟

قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله، فإذا بين الله للناس آياته، لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سببا للتقوى. 187

أتم تبیین، وأوضحها لهم أكمل إیضاح. یبین الله آياته للناس لعلهم يتقون فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان كل سبب يدعو إليها، وأما الأوامر فيقول الله فيها: تلك حدود الله فلا تعتدوها فينهى عن مجاوزتها. كذلك أي: بين الله لعباده الأحكام السابقة تفعلوها لأن القربان، يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه. والعبد مأمور بترك المحرمات، والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك المعذور، وتحريم الوطء على المعتكف، ونحو ذلك من المحرمات حدود الله التي حددها لعباده، ونهاهم عنها، فقال: فلا تقربوها أبلغ من قوله: فلا وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف. تلك المذكورات وهو تحريم الأكل والشرب والجماع ونحوه من المفطرات في الصيام، وتحريم الفطر على غير وانقطاعا إليه، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد. ويستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم، وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس.

بقوله: ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد أي: وأنتم متصفون بذلك، ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف، وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى، عن المفطرات إلى الليل وهو غروب الشمس ولما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام ليست بإباحته عامة لكل أحد، فإن المعتكف لا يحل له ذلك، استثناء ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق. ثم إذا طلع الفجر أتموا الصيام أي: الإمساك وأنه يستحب تأخيرها أخذًا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد. وفيه أيضا دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع قبل أن يغتسل، الأسود من الفجر هذا غاية للأكل والشرب والجماع، وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكًا في طلوع الفجر فلا بأس عليه. وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرک. وكلوا واشربوا حتى يبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته، وحصول مقاصد النكاح. ومما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان، والسعة من الله بشاروهن وطأ وقبلة ولمسا وغير ذلك. وابتغوا ما كتب الله لكم أي: انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى والمقصود ما أمروا به. فتاب الله عليكم بأن وسع لكم أمرا كان لولا توسعته موجبا للإثم وعفا عنكم ما سلف من التخون. فالآن بعد هذه الرخصة المشقة لبعضهم، فخفف الله تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع، سواء نام أو لم ينام، لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض كان في أول فرض الصيام، يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم الأكل والشرب والجماع، فحصلت

في نكاله. وعلى هذا فالوكيل إذا علم أن موكله مبطل في دعواه، لم يحل له أن يخاصم عن الخائن كما قال تعالى: ولا تكن للخائنين خصيما 188

فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة، وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له، ويكون أكلا لمال غيره، بالباطل والإثم، وهو عالم بذلك. فيكون أبلغ في عقوبته، وأشد لا يبيح محرما، ولا يحل حراما، إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية، فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة، ولا شبهة، ولا استراحة.

ولو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع، وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة، غلبت حجة المحق، وحكم له الحاكم بذلك، فإن حكم الحاكم، الزكوات والصدقات، والأوقاف، والوصايا، لمن ليس له حق منها، أو فوق حقه. فكل هذا ونحوه، من أكل المال بالباطل، فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه، حتى أجرة على عمل لم يقوموا بواجبه، ويدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات والقربات التي لا تصح حتى يقصد بها وجه الله تعالى، ويدخل في ذلك الأخذ من مقابلة عوض مباح، ويدخل في ذلك أخذها بسبب غش في البيع والشراء والإجارة، ونحوها، ويدخل في ذلك استعمال الأجزاء وأكل أجرتهم، وكذلك أخذهم أو عارية، أو نحو ذلك، ويدخل فيه أيضا، أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرمة، كعقود الربا، والقمار كلها، فإنها من أكل المال بالباطل، لأنه ليس في نوعين: نوعا بحق، ونوعا بباطل، وكان المحرم إنما هو أكلها بالباطل، قيده تعالى بذلك، ويدخل في ذلك أكلها على وجه الغصب والسرقة والخيانة في ودیعة لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويحترم ماله كما يحترم ماله؛ ولأن أكله لمال غيره يجرى غيره على أكل ماله عند القدرة. ولما كان أكلها أي: ولا تأخذوا أموالكم أي: أموال غيركم، أضافها إليهم،

سبب للفلاح، الذي هو الفوز بالمطلوب، والنجاة من المروء، فمن لم يتق الله تعالى، لم يكن له سبيل إلى الفلاح، ومن اتقاه، فاز بالفلاح والنجاح. 189

بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود. واتقوا الله هذا هو البر الذي أمر الله به، وهو لزوم تقواه على الدوام، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، فإنه أو بعضه، والمتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله، يحصل به مقصوده، وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور وأتاه من أبوابه وثابر عليه، فلا الذي قد جعل له موصلا، فالآمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود من السهولة عليهم، التي هي قاعدة من قواعد الشرع. ويستفاد من إشارة الآية أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الله أنه ليس ببر لأن الله تعالى، لم يشرعه لهم، وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبد ببدعة، وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا، لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبدا بذلك، وظنا أنه بر. فأخبر من حاجات الخلق، فجعله تعالى، حسابا، يعرفه كل أحد، من صغير، وكبير، وعالم، وجاهل، فلو كان الحساب بالسنة الشمسية، لم يعرفه إلا النادر من الناس.

أشهر معلومات، ويستغرق أوقاتا كثيرة قال: والحج وكذلك تعرف بذلك، أوقات الديون المؤجلات، ومدة الإجازات، ومدة العدد والحمل، وغير ذلك مما هو ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا، ليعرف الناس بذلك، مواقيت عباداتهم من الصيام، وأوقات الزكاة، والكفارات، وأوقات الحج. ولما كان الحج يقع في

## تفسير السعدي

أو عن ذاتها، قل هي مواقيت للناس أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفا في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، يقول تعالى: يسألونك عن الأهلة جمع هلال ما فائدتها وحكمتها؟

ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمات المطر، ورعد وهو الصوت الذي يسمع من السحاب، وبرق وهو الضوء اللامع المشاهد مع السحاب. 19 ثم قال تعالى: أو كصيب من السماء يعني: أو مثلهم كصيب، أي: كصاحب صيب من السماء، وهو المطر الذي يصب، أي: ينزل بكثرة، فيه ظلمات وقتل الحيوانات، وقطع الأشجار ونحوها، لغير مصلحة تعود للمسلمين. ومن الاعتداء، مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوا، فإن ذلك لا يجوز. 190 رأي لهم ولا قتال. والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل، من النساء، والمجانين والأطفال، والرهبان ونحوهم والتمثيل بالقتلى، على الإخلاص، ونهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين. الذين يقاتلونكم أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال، غير الشيوخ الذين لا وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال، أمرهم الله به، بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم، وفي تخصيص القتال في سبيل الله حث هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله،

فليس عليكم أيها المسلمون حرج في قتالهم. ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، وهي: أنه يرتكب أخف المفسدتين، لدفع أعلاهما. 191 كان القتال عند المسجد الحرام، يتوهم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام، أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك، والصد عن دينه، أشد من مفسدة القتل، فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله، والشرك في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه وهذا من رحمته وكرمه بعباده. ولما عند المسجد الحرام وأنه لا يجوز إلا أن يبدأوا بالقتال، فإنهم يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم، وهذا مستمر في كل وقت، حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا، واقتلوهم حيث تقتضوهم هذا أمر بقتالهم، أينما وجدوا في كل وقت، وفي كل زمان قتال مدافعة، وقتال مهاجمة ثم استثنى من هذا العموم قتالهم عن قتالكم عند المسجد الحرام فلا عدوان إلا على الظالمين أي: فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه. 192 دين الله تعالى، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه، من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال، فإن انتهوا ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدين لله تعالى، فيظهر عن قتالكم عند المسجد الحرام فلا عدوان إلا على الظالمين أي: فليس عليهم منكم اعتداء، إلا من ظلم منهم، فإنه يستحق المعاقبة، بقدر ظلمه. 193 دين الله تعالى، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه، من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال، فإن انتهوا ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به، سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدين لله تعالى، فيظهر ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد. 194 التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه مع المتقين أي: بالنصر، والتأييد، والتوفيق. هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي. ولما كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له، جمعا بين الأدلة، ولهذا قال تعالى، تأكيداً وتقوية لما تقدم: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه فإنه يجوز أخذه من ماله. وإن كان السبب خفياً، كمن جحد دين غيره، أو خانه في ودعة، أو سرق منه ونحو ذلك، فإنه يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك، أنه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضعيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب إذا امتنع من يكن له حرمة، ومن قتل مكافئاً له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضواً، منه، اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله، ولكن هل لصاحب الحق أن هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل، ومن هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم ذلك حرج، وعلى هذا فيكون قوله: والحرمان قصاص من باب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما لقلوب الصحابة، بتمام نسكهم، وكماله. ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في عام الحديبية، عن الدخول لمكة، وقاضوهم على دخولها من قابل، وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا بهذا، فيكون فيه، تطيب يقول تعالى: الشهر الحرام بالشهر الحرام يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد. 195 التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، وأخبر تعالى أنه مع المتقين أي: بالنصر، والتأييد، والتوفيق. هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي. ولما كانت النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له، جمعا بين الأدلة، ولهذا قال تعالى، تأكيداً وتقوية لما تقدم: فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه فإنه يجوز أخذه من ماله. وإن كان السبب خفياً، كمن جحد دين غيره، أو خانه في ودعة، أو سرق منه ونحو ذلك، فإنه يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟ خلاف بين العلماء، الراجح من ذلك، أنه إن كان سبب الحق ظاهراً كالضعيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب إذا امتنع من يكن له حرمة، ومن قتل مكافئاً له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضواً، منه، اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله، ولكن هل لصاحب الحق أن هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل، ومن هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم



## تفسير السعدي

ذلك حرج، وعلى هذا فيكون قوله: والحرمت قصاص من باب عطف العام على الخاص، أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام، أو ما لقلوب الصحابة، بتمام نسكهم، وكماله. ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتهم في الشهر الحرام فقد قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في عام الحديبية، عن الدخول لمكة، وقاضوهم على دخولها من قابل، وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا بهذا، فيكون فيه، تطيب يقول تعالى: الشهر الحرام بالشهر الحرام يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه

العقاب، كما أن من رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى الثواب، وأما من لم يخف العقاب، ولم يرج الثواب، اقتحم المحارم، وتجراً على ترك الواجبات 196 المحظورات المذكورة في هذه الآية. واعلموا أن الله شديد العقاب أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى، فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يوجب عليه هدي لعدم الموجب لذلك. واتقوا الله أي: في جميع أموركم، بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، ومن ذلك، امتثالكم، لهذه الأمور، واجتناب هذه قصر فأكثر، أو بعيداً عنه عرفات، فهذا الذي يجب عليه الهدي، لحصول النسكين له في سفر واحد، وأما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام، فليس

مكة، وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله. ذلك المذكور من وجوب الهدي على المتمتع لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام بأن كان عند مسافة الجمار، والمبيت بمنى ولكن الأفضل منها، أن يصوم السابع، والثامن، والتاسع، وسبعة إذا رجعت أي: فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها في أشهر الحج. فمن لم يجد أي الهدي أو ثمنه فصيام ثلاثة أيام في الحج أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر، أيام رمي ومثلها القران لحصول النسكين له. ويدل مفهوم الآية، على أن المفرد للحج، ليس عليه هدي، ودلت الآية، على جواز، بل فضيلة المتعة، وعلى جواز فعلها في في أضحية، وهذا دم نسك، مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة، ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة، وقبل الشروع في الحج، فمن تمتع بالعمرة إلى الحج بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعته بعد الفراغ منها. فما استيسر من الهدي أي: فعليه ما تيسر من الهدي، وهو ما يجرى

مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع، إزالة ما به يترفه. ثم قال تعالى: فإذا أمنتُم أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره، أفضل، فالصدقة، فالصيام. ومثل هذا، كل ما كان في معنى ذلك، من تقليم الأظفار، أو تغطية الرأس، أو لبس المخيط، أو الطيب، فإنه يجوز عند الضرورة، ذلك فإنه يحل له أن يحلق رأسه، ولكن يكون عليه فدية من صيام ثلاثة أيام، أو صدقة على ستة مساكين أو نسك ما يجرى في أضحية، فهو مخير، والنسك والتواضع الذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر، فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض، ينتفع بحلق رأسه له، أو قروح، أو قمل ونحو فإذا طاف وسعى للعمرة، أحرم بالحج، ولم يكن له إحلال بسبب سوق الهدي، وإنما منع تبارك وتعالى من ذلك، لما فيه من الذل والخضوع لله والانكسار له،

يوم النحر، والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية. ويستدل بهذه الآية على أن المتمتع إذا ساق الهدي، لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر، بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر. وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر، تقليم الأظفار بجامع الترفه، ويستمر المنع مما ذكر، حتى يبلغ الهدي محله، وهو وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر، بحلق أو غيره، لأن المعنى واحد من الرأس، أو من البدن، لأن المقصود من ذلك، حصول الشعث والمنع من الترفه

المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدي، فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع ثم يحل. ثم قال تعالى: ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لما صدهم الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض، أو ضلالة، أو عدو، ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع. فما استيسر من الهدي أي: فاذبحوا ما استيسر من

لله تعالى. السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما، إلا بما استثناه الله، وهو الحصر، فلماذا قال: فإن أحصرتم أي: منعتهم والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما، ولو كانا نفلاً. الخامس: الأمر بإتقانها وإحسانها، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما. السادس: وفيه الأمر بإخلاصهما

التي قد دل عليها فعل النبي صلى الله عليه وسلم وقوله: خذوا عني مناسككم الثالث: أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة. الرابع: أن الحج يستدل بقوله تعالى: وأنتموا الحج والعمرة على أمور: أحدها: وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما. الثاني: وجوب إتمامهما بأركانها، وواجباتهما،

فقال: واتقوا يا أولي الأبواب أي: يا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل، وفساد الرأي 197 نعيم دائم أبداً، ومن ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر، وممنوع من الوصول إلى دار المتقين. فهذا مدح للتقوى. ثم أمر بها أولي الأبواب

البنية بلغة ومتاع. وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأخراه، فهو زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل عن المخلوقين، والكف عن أموالهم، سؤالاً واستشفاقاً، وفي الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين، وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة تدارك ما أمكن تداركه فيها، من صلاة، وصيام، وصدقة، وطواف، وإحسان قلبي وفعلي. ثم أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك، فإن التزود فيه الاستغناء وعبادة، داخل في ذلك، أي: فإن الله به عليم، وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصاً في تلك البقاع الشريفة والحرمت المنيفة، فإنه ينبغي إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر، ولهذا قال تعالى: وما تفعلوا من خير يعلمه الله أتى به من لتنصيب على العموم، فكل خير وقربة

يكون مبروراً والمبرور، ليس له جزاء إلا الجنة، وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان، فإنها تغلظ المنع عنها في الحج. واعلم أنه لا يتم التقرب لكونها تثير الشر، وتوقع العداوة. والمقصود من الحج، الذل والانكسار لله، والتقرب إليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات، فإنه بذلك

الفعلية والقولية، خصوصاً عند النساء بحضرتهم. والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام. والجدال وهو: المماراة والمنازعة والمخاصمة، جدال في الحج أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصاً الواقع في أشهره، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه، من الرفث وهو الجماع ومقدماته

قريباً، فإن قوله: فمن فرض فيهن الحج دليل على أن الفرض قد يقع في الأشهر المذكورة وقد لا يقع فيها، وإلا لم يقيد. وقوله: فلا رفث ولا فسوق ولا

## تفسير السعدي

الآية الشافعي ومن تابعه، على أنه لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره، قلت لو قيل: إن فيها دلالة لقول الجمهور، بصحة الإحرام بالحج قبل أشهره لكان من ذي الحجة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالباً. فمن فرض فيه الحج أي: أحرم به، لأن الشروع فيه يصير فرضاً، ولو كان نفلاً. واستدل بهذه وأما الحج فقد كان من ملة إبراهيم، التي لم تزل مستمرة في ذريته معروفة بينهم. والمراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء: شوال، وذو القعدة، وعشر أشهر معلومات عند المخاطبين، مشهورات، بحيث لا تحتاج إلى تخصيص، كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الصلوات الخمس. يخبر تعالى أن الحج واقع في

كما من عليكم بالهداية بعد الضلال، وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون، فهذه من أكبر النعم، التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب واللسان. 198 بالحرام. السابع: أن عرفة في الحل، كما هو مفهوم التقييد بمزدلفة واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين أي: اذكروا الله تعالى تدل عليه الفاء والترتيب. الرابع، والخامس: أن عرفات ومزدلفة، كلاهما من مشاعر الحج المقصود فعلها، وإظهارها. السادس: أن مزدلفة في الحرم، كما قيده يقف في المزدلفة داعياً، حتى يسفر جداً، ويدخل في ذكر الله عنده، إيقاع الفرائض والنوافل فيه. الثالث: أن الوقوف بمزدلفة، متأخر عن الوقوف بعرفة، كما من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف. الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضاً معروف، يكون ليلة النحر بائناً بها، وبعد صلاة الفجر، قوله: فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام دلالة على أمور: أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفاً أنه ركن من أركان الحج، فالإفاضة المقصود هو الحج، وكان الكسب حلالاً منسوباً إلى فضل الله، لا منسوباً إلى حذق العبد، والوقوف مع السبب، ونسيان المسبب، فإن هذا هو الحرج بعينه. وفي لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حرج إذا لم يشغل عما يجب إذا كان

قد أكمل العبادة، ومن بها على ربه، وجعلت له محلاً ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت، ورد الفعل، كما أن الأول، حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أخر. 199 بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة. وهكذا ينبغي للعبد، كلما فرغ من عبادة، أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنه أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد، في أداء عبادته وتقصيره فيها، وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه والطواف، والسعي، والمبيت بـ منى ليالي التشريق وتكميل باقي المناسك. ولما كانت هذه الإفاضة، يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك، من مزدلفة من حيث أفاض الناس، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفاً عندهم، وهو رمي الجمار، وذبح الهدايا، ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أي: ثم أفيضوا

التوفيق. فالمتقون حصلت لهم الهدايتان، وغيرهم لم تحصل لهم هداية التوفيق. وهداية البيان بدون توفيق للعمل بها، ليست هداية حقيقية تامة. 2 يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً فالتقون هم المنتفعون بالآيات القرآنية، والآيات الكونية. ولأن الهداية نوعان: هداية البيان، وهداية الهداية، وهو التقوى التي حقيقتها: اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه، بامتنال أوامره، واجتناب النواهي، فاهتدوا به، وانتفعوا غاية الانتفاع. قال تعالى: الخلق. فالأشقياء لم يرفعوا به رأساً. ولم يقبلوا هدى الله، فقامت عليهم به الحجة، ولم ينتفعوا به لشقايتهم، وأما المتقون الذين أتوا بالسبب الأكبر، لحصول الطرق النافعة لهم، في دنياهم وأخراهم. وقال في موضع آخر: هدى للناس فعمم. وفي هذا الموضع وغيره هدى للمتقين لأنه في نفسه هدى لجميع هدى لجميع مصالح الدارين، فهو مرشد للعباد في المسائل الأصولية والفروعية، ومبين للحق من الباطل، والصحيح من الضعيف، ومبين لهم كيف يسلكون والشبه، وما به الهداية إلى سلوك الطرق النافعة. وقال هدى وحذف المعمول، فلم يقل هدى للمصلحة الفلانية، ولا للشئ الفلاني، لإرادة العموم، وأنه عدم، والعدم المحض، لا مدح فيه. فلما اشتمل على اليقين وكانت الهداية لا تحصل إلا باليقين قال: هدى للمتقين والهدى: ما تحصل به الهداية من الضلالة الكتاب مشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب. وهذه قاعدة مفيدة، أن النفي المقصود به المدح، لا بد أن يكون متضمناً لضد، وهو الكمال، لأن النفي والمتأخرين من العلم العظيم، والحق المبين. ف لا ريب فيه ولا شك بوجه من الوجوه، ونفي الريب عنه، يستلزم ضده، إذ ضد الريب والشك اليقين، فهذا وقوله ذلك الكتاب أي هذا الكتاب العظيم الذي هو الكتاب على الحقيقة، المشتمل على ما لم تشتمل عليه كتب المتقدمين

رد على القدرية القائلين بأن أفعالهم غير داخلة في قدرة الله تعالى، لأن أفعالهم من جملة الأشياء الداخلة في قوله: إن الله على كل شيء قدير 20 شرهم ونفاقهم، إن الله على كل شيء قدير فلا يعجزه شيء، ومن قدرته أنه إذا شاء شيئاً فعله من غير ممانع ولا معارض. وفي هذه الآية وما أشبهها، طرق الإيمان، قال تعالى: ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أي: الحسية، ففيه تحذير لهم وتخويف بالعقوبة الدنيوية، ليحذروا، فيرتدعوا عن بعض وعلماً فلا يفوتونه ولا يعجزونه، بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها أتم الجزاء. ولما كانوا مبتلين بالصمم، والبكم، والعمى المعنوي، ومسدودة عليهم الصيب الذي يسمع الرعد، ويجعل أصابعه في أذنيه خشية الموت، فهذا تمكن له السلامة. وأما المنافقون فأنى لهم السلامة، وهو تعالى محيط بهم، قدرة في آذانهم، وأعرضوا عن أمره ونهيهِ ووعده ووعيدهِ، فيروعه وعبده، وتزعجه وعوده، فهم يعرضون عنها غاية ما يمكنهم، ويكرهونها كراهة صاحب في تلك الظلمات مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا أي: وقفوا. فهكذا حال المنافقين، إذا سمعوا القرآن وأوامره ونواهيهِ ووعده ووعيدهِ، جعلوا أصابعهم كلما أضاء لهم البرق

والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكملهُ، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به، والحث عليه. 200 ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم،

## تفسير السعدي

المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة سالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً، أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين. والحسنة وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهما تهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمده عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: من يقول ربنا آتنا في الدنيا أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم،

والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به، والحث عليه. 201 ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة سالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً، أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين. والحسنة وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهما تهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمده عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: من يقول ربنا آتنا في الدنيا أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم،

والقرب من الرب الرحيم، فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء به، والحث عليه. 202 ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة. وحسنة الآخرة، هي السلامة من العقوبات، في القبر، والموقف، والنار، وحصول رضا الله، والفوز بالنعيم المقيم، المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة سالحة، وولد تقر به العين، وراحة، وعلم نافع، وعمل صالح، دعوة كل داع، مسلماً أو كافراً، أو فاسقاً، ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلاً على محبته له وقربه منه، إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين. والحسنة وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهما تهم ونياتهم، جزاء دائراً بين العدل والفضل، يحمده عليه أكمل حمد وأتمه، وفي هذه الآية دليل على أن الله يجيب وقصر همته على الدنيا، ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه، وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم: من يقول ربنا آتنا في الدنيا أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته، وليس له في الآخرة من نصيب، لرغبته عنها، ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم، ويستدفعونه ما يضرهم،

فمن اتقاه، وجد جزاء التقوى عنده، ومن لم يتقه، عاقبه أشد العقوبة، فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله، فهذا حث تعالى على العلم بذلك. 203 في شيء دون شيء، كان الجزاء من جنس العمل. واتقوا الله بامثال أوامره واجتناب معاصيه، واعلموا أنكم إليه تحشرون فمجازيكم بأعمالكم، فقط قيده بقوله: لمن اتقى أي: اتقى الله في جميع أموره، وأحوال الحج، فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء، ومن اتقاه فالمتأخر أفضل، لأنه أكثر عبادة. ولما كان نفي الحرج قد يفهم منه نفي الحرج في ذلك المذكور وفي غيره، والحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر بها ليلة الثالث ورمي من الغد فلا إثم عليه وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده، في إباحة كلا الأمرين، ولكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين، كالعشر، وليس ببعيد. فمن تعجل في يومين أي: خرج من منى ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني فلا إثم عليه ومن تأخر بأن بات ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح، والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء: إنه يستحب فيها التكبير المطلق،

وما يترتب على ذلك، ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين، الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيقتهم، والسماحة سجيبتهم. 204 فلو كان صادقا، لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فهذا قال: وهو ألد الخصام أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من اللد والصعوبة والتعصب، ويؤكد ما يقول بأنه ويشهد الله على ما في قلبه بأن يخبر أن الله يعلم، أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك، لأنه يخالف قوله فعله. إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه فقال: ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا أي: إذا تكلم راق كلامه للسامع، وإذا نطق، ظننته يتكلم بكلام نافع، لما أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وخصوصاً في الأوقات الفاضلة الذي هو خير ومصلحة وبر، أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله، فالكلام

لها وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس، بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم، وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم. 205 حسناً. ففي هذه الآية دليل على أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص، ليست دليلاً على صدق ولا كذب، ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي بركتها، بسبب العمل في المعاصي، والله لا يحب الفساد وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض، وإن قال بلسانه قولا أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض ويهلك بسبب ذلك الحرث والنسل فالزروع والثمار والمواشي، تتلف وتنقص، وتقل وإذا تولى هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك سعى في الأرض ليفسد فيها

عذاب دائم، وهم لا ينقطع، ويأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب، ولا يرجون الثواب، جزاء لجناياتهم ومقابلة لأعمالهم، فعياداً بالله من أحوالهم. 206

## تفسير السعدي

بالإثم فيجمع بين العمل بالمعاصي والكبر على الناصحين. فحسبه جهنم التي هي دار العاصين والمتكبرين، ولبئس المهاد أي: المستقر والسكن، ثم ذكر أن هذا المفسد في الأرض بمعاصي الله، إذا أمر بتقوى الله تكبر وأنف، و أخذته العزة

وبذلوا، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم 207 لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال: إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة إلى آخر الآية. وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوا طلبا لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفي الرءوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم هؤلاء هم الموفقون

ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي: في العمل بمعاصي الله إنه لكم عدو مبين والعدو المبين، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم. 208 يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته. ولما كان الدخول في السلم كافة، لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال: منها شيئا، وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعا للدين، وأن يفعل كل ما هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا في السلم كافة أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا

ما يوجب ترك الزلل، فإن العزيز القاهر الحكيم، إذا عصاه العاصي، قهره بقوته، وعذبه بمقتضى حكمته فإن من حكمته، تعذيب العصاة والجناة. 209 خلل وزلل، قال تعالى: فإن زلتم من بعد ما جاءكم البينات أي: على علم ويقين فاعلموا أن الله عزيز حكيم وفيه من الوعيد الشديد، والتخويف، ولما كان العبد لا بد أن يقع منه

العبادة الجامعة، لامثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وتصديق خبره، فأمرهم تعالى بما خلقهم له، قال تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون 21 هذا أمر عام لكل الناس، بأمر عام، وهو

أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته، فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي، بل قد خالف المعقول والمنقول. 210 قلت: لا أعقل من الذي نفىته إلا التشبيه، قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبتته إلا التشبيه، فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفىته. والحاصل ففرق بين ما أثبتته، وما نفىته، ولن تجد إلى الفرق سبيلا، فإن قلت: ما أثبتته لا يقتضي تشبيها، قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفىته لا يقتضي تشبيها، فإن إما أن تثبت الجميع كما أثبتته الله لنفسه، وأثبتته رسوله، وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكرا لرب العالمين، وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض، لذاته، وصفات خلقه، تبع لذواتهم، فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه. ويقال أيضا، لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضا، أو أثبت الأسماء دون الصفات: يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم: الكلام على الصفات، يتبع الكلام على الذات، فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات، فله صفات لا تشبهها الصفات، فصفاته تبع نفي هذه الصفات، بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل، وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال، فإن زعموا أن إثباتها مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان. وأما العقل فليس في العقل ما يدل على عقلي، أما النقلي فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنها تحتاج لدلائلها على سلطان، بل حقيقتها القدر في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب، فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم، ممن ينفي هذه الصفات، ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من التي أخبر بها تعالى، عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف، خلافا ما هو عليه. وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية، كالاستواء، والنزول، والمجيء، ونحو ذلك من الصفات وتبويض وجوه أهل السعادة وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكل يجازى بعمله، فهناك يعرض الظالم على يديه إذا علم حقيقة الملائكة الكرام، فتحيط بالخالق، وينزل الباري تبارك تعالى: في ظلل من الغمام ليفصل بين عباده بالقضاء العدل. فتوضع الموازين، وتنشر الدواوين، ما يقلقل قلوب الظالمين، ويحق به الجزاء السيئ على المفسدين. وذلك أن الله تعالى يطوي السماوات والأرض، وتنتثر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنتزل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان، النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال، الذي قد حشي من الأهوال والشدائد والفظائع، وهذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب، يقول تعالى: هل

اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي، فصار الكفر بدل النعمة، وأما من شكر الله تعالى، وقام بحقها، فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها. 211 ينزل الله عليهم عقابه ويحرمهم من ثوابه، وسمى الله تعالى كفر النعمة تبديلا لها، لأن من أنعم الله عليه نعمة دينية أو دنيوية، فلم يشكرها، ولم يقر بواجبها، على الحق، وعلى صدق الرسل، فتبتقونها وعرفوها، فلم يقوموا بشكر هذه النعمة، التي تقتضي القيام بها. بل كفروا بها وبدلوا نعمة الله كفرا، فلماذا استحقوا أن يقول تعالى: سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة تدل

فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر، وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب. 212 ونعي على الكافرين. ولما كانت الأرزاق الدنيوية والأخروية، لا تحصل إلا بتقدير الله، ولن تنال إلا بمشيئة الله، قال تعالى: والله يرزق من يشاء بغير حساب والبهجة والحبور. والكفار تحتهم في أسفل الدركات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة، والشقاء السرمدي، الذي لا ينتهي له، ففي هذه الآية تسلية للمؤمنين،

## تفسير السعدي

الحقيقي، في الدار الباقية، فهذا قال تعالى: والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة فيكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع النعيم والسرور، والكفران، بل المؤمن في الدنيا، وإن ناله مكروه، فإنه يصبر ويحتسب، فيخفف الله عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره. وإنما الشأن كل الشأن، والتفضل بهم وقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا؟ وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم القاصر، فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان، وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان أهواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها، فأقبلوا عليها، وأكبوا على تحصيلها، وعظموها، وعظموا من شاركهم في صنيعهم، واحتقروا المؤمنين، واستهزأوا يخبر تعالى أن الذين كفروا بالله وبآياته ورسله، ولم ينقادوا لشرعه، أنهم زينوا لهم الحياة الدنيا، فزينت في أعينهم وقلوبهم، فرضوا بها، واطمأنوا بها وصارت لئلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير وهدى بفضلهم ورحمتهم، وإعانتهم ولطفهم من شاء من عباده، فهذا فضله وإحسانه، وذاك عدله وحكمته. 213 لهم ورحمته. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم فعم الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم، عدلا منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق، الأمة لما اختلفوا فيه من الحق فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب، وأخطأوا فيه الحق والصواب، هدى الله للحق فيه هذه الأمة بإذنه تعالى وتيسيره أولى الناس بالاجتماع عليه، وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات، والأدلة القاطعات، فضلوا بذلك ضلالا بعيدا. فهدى الله الذين آمنوا من هذه اتفاقهم عليها واجتماعهم، فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف. فاختلوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه، وسنة رسوله، فصل النزاع، لما أمر بالرد إليهما. ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب، وكان هذا يقتضي العادلة، فكل ما اشتملت عليه الكتب، فهو حق، يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع، وهذا هو الواجب عند الاختلاف والتنازع، أن يرد الاختلاف إلى من حرمان الرزق، والضعف، والإهانة، والحياة الضيقة، وأشد ذلك، سخط الله والنار. وأنزل معهم الكتاب بالحق وهو الإخبارات الصادقة، والأوامر بثمرات الطاعات، من الرزق، والقوة في البدن والقلب، والحياة الطيبة، وأعلى ذلك، الفوز برضوان الله والجنة. ومنذرين من عصى الله، بثمرات المعصية، عليهم، وقيل بل كانوا مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء، ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم مبشرين من أطاع الله نوح عليه السلام، فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين، وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة أي: كان الناس أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد

أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعند الامتحان، يكرم المرء أو يهان. 214 من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين. وقوله تعالى: ألم أحسب الناس اشتدت عليه وصعبت، إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحت، وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه معه متى نصر الله. فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: ألا إن نصر الله قريب فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن. فكلما الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به. ولكن لشدة الأمر وضيقه قال الرسول والذين آمنوا الله عنهم مستهم البأساء أي: الفقر والضراء أي: الأمراض في أبدانهم وزلزلوا بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال، وقتل فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتبني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه. فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة أثنائها. ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، بمن قبلهم، فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقعة في سبيله، يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل

فإن الله به عليهم فيجازيكم عليه، ويحفظه لكم، كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها. 215 لشدة الحاجة، عمم تعالى فقال: وما تفعلوا من خير من صدقة على هؤلاء وغيرهم، بل ومن جميع أنواع الطاعات والقربات، لأنها تدخل في اسم الخير، وإغنائهم. وابن السبيل أي: الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعان على سفره بالنفقة، التي توصله إلى مقصده. ولما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف، فوصى الله بهم العباد، رحمة منه بهم ولطفًا، والمساكين وهم أهل الحاجات، وأرباب الضرورات الذين أسكنتهم الحاجة، فينفق عليهم، لدفع حاجاتهم والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة، واليتامى وهم الصغار الذين لا كاسب لهم، فهم في مظنة الحاجة لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم، وفقد الكاسب، ترك الإنفاق عليهم، ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة، على الولد الموسر، ومن بعد الوالدين الأقربون، على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب، على حسب القرب فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما، ومن أعظم برهما، النفقة عليهما، ومن أعظم العقوق، أي: يسألونك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما فقال: قل ما أنفقتم من خير أي: مال قليل أو كثير،

يعلم وأنتم لا تعلمون فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم. ولما كان الأمر بالقتال، لو لم يقيد، لشمّل الأشهر الحرم وغيرها. 216 الله، ويجعل الخير في الواقع، لأنه يعلم أن الله تعالى أرحم بالعبء من نفسه، وأقدر على مصلحة عبده منه، وأعلم بمصلحته منه كما قال تعالى: والله مطردا، ولكن الغالب على العبد المؤمن، أنه إذا أحب أمرا من الأمور، فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له، فالأوفق له في ذلك، أن يشكر لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك، وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تنوهم فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك. وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر الأعداء على الإسلام وأهله، وحصول الذل والهوان، وفوات الأجر العظيم وحصول العقاب. وهذه الآيات عامة مطردة، في أن أفعال الخير التي تكرها النفوس مما هو مرب، على ما فيه من الكراهة وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة، فإنه شر، لأنه يعقب الخذلان، وتسلب

## تفسير السعدي

المخاوف والتعرض للمتألف، ومع هذا، فهو خير محض، لما فيه من الثواب العظيم، والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم، وغير ذلك، النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، وكثر المسلمون، وقووا أمرهم الله تعالى بالقتال، وأخبر أنه مكروه للنفوس، لما فيه من التعب والمشقة، وحصول أنواع هذه الآلة، فيها فرض القتال في سبيل الله، بعد ما كان المؤمنون مأمورين بتركه، لضعفهم، وعدم احتمالهم لذلك، فلما هاجر

الآلة بمفهومها، أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام، أنه يرجع إليه عمله الذي قبل رده، وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة. 217 على ذلك حتى مات كافرا، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة لعدم وجود شرطها وهو الإسلام، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ودلت الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ثم أخبر تعالى أن من ارتد عن الإسلام، بأن اختار عليه الكفر واستمر دينه، ويعلي كلمته. وتكون هذه الآلة صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على من قبلهم: إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه، أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام، وأن يخلد كل من أراد أن يطفئ نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشككهم في دينهم. ولكن المرجو من الله تعالى، الذي من على المؤمنين بالإسلام، يقاتلون غيرهم، حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، الذين بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس، من أصحاب السعير، فهم يذللون قدرتهم في ذلك، ساعون بما أمكنهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين، وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم، وإنما غرضهم أن يرجعوه عن دينهم، ويكونوا كافرا بعد إيمانهم حتى يكونوا فيه والباد، فهذه الأمور كل واحد منها أكبر من القتل في الشهر الحرام، فكيف وقد اجتمعت فيهم؟ فعلم أنهم فسقة ظلمة، في تعبيرهم المؤمنين. ثم وسلم وأصحابه، لأنهم أحق به من المشركين، وهم عماره على الحقيقة، فأخرجوهم منه ولم يمكنهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف الحرام، الذي هو بمجرده، كاف في الشر، فكيف وقد كان في شهر حرام وبلد حرام؟ وإخراج أهله أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي صلى الله عليه وسلم سبيل الله أي: صد المشركين من يريد الإيمان بالله وبرسوله، وفتنتهم من آمن به، وسعيهم في ردهم عن دينهم، وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام، والبلد بالقتال بالأشهر الحرم، وكانوا في تعبيرهم ظالمين، إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عبروا به المسلمين، قال تعالى في بيان ما فيهم: وصعد نازلة بسبب ما حصل، لسرية عبد الله بن جحش، وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذهم أموالهم، وكان ذلك على ما قيل في شهر رجب، غيرهم المشركون أكبر مزاياها، تحريم القتال فيها، وهذا إنما هو في قتال الابتداء، وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم، كما يجوز في البلد الحرام. ولما كانت هذه الآلة وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ، لأن المطلق محمول على المقيد، وهذه الآلة مقيدة لعوم الأمر بالقتال مطلقا؛ ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم، بل الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم، منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا،

إياهم، لم يريدوها، ولولا إقذارهم عليها، لم يقدروا عليها، ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولا وآخرا، وهو الذي من بالسبب والمسبب. 218 الذنوب، التي قد غفرت وواضحت آثارها، وإذا حصلت له الرحمة، حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛ بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم، فلولا توفيقه المذكورة، حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات وحصلت له رحمة الله. وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة، التي هي آثار قال: والله غفور أي: لمن تاب توبة نصوحا رحيم وسعت رحمته كل شيء، وعم جوده وإحسانه كل حي. وفي هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعول عليها، بل يرجو رحمة ربه، ويرجو قبول أعماله ومغفرة ذنوبه، وستر عيوبه. ولهذا همة صاحبه، ونقص عقله، بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر، وسقي، ونحو ذلك. وفي قوله: أولئك يرجون رحمة الله إشارة إلى دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة، وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور، وهو دال على ضعف الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياما به وتكميلا. فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة، وفي هذا جزاؤه، أفضل الجزاء، وهو السبب الأكبر، لتوسيع دائرة الإسلام وخذلان عباد الأصنام، وأمن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم. فمن قام بهذه الأعمال إلى الله ونصرة دينه. وأما الجهاد: فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء، والسعي التام في نصرة دين الله، وقمع دين الشيطان، وهو ذروة الأعمال الصالحة، يقبل له صرف ولا عدل، ولا فرض، ولا نفل. وأما الهجرة: فهي مفارقة المحبوب المألوف، لرضا الله تعالى، فيترك المهاجر وطنه وأمواله، وأهله، وخالته، تقريبا تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة وأهل الشقاوة، وأهل الجنة من أهل النار؟ وهو الذي إذا كان مع العبد، قبلت أعمال الخير منه، وإذا عدم منه لم هذه الأعمال الثلاثة، هي عنوان السعادة وقطب رحي العبودية، وبها يعرف ما مع الإنسان، من الربح والخسران، فأما الإيمان، فلا تسأل عن فضيلته، وكيف أن أوامره، فيها مصالح الدنيا والآخرة، وأيضا لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها، فترفضوها وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها. 219 أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان، لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة أي: لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه، وتعرفوا وما به النفع لنا ولإخواننا فيستحق على ذلك أتم الحمد. ولما بين تعالى هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه قال: كذلك يبين الله لكم الآيات ولا يكلفهم ما يشق عليهم. ذلك بأن الله تعالى لم يأمرنا بما أمرنا به حاجة منه لنا، أو تكليفا لنا بما يشق بل أمرنا بما فيه سعادتنا، وما يسهل علينا، وفقير ومتوسط، كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمره. ولهذا أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم، أن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم، فيسر الله لهم الأمر، وأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو المتيسر من أموالهم، الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم، وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه، من غني فيها الشارع. ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة وهذا سؤال عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم،

## تفسير السعدي

الطرفين، من النرد، والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية، بعوض سوى مسابقة الخيل، والإبل، والسهام، فإنها مباحة، لكونها معينة على الجهاد، فهذا رخص عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا. فأما الخمر: فهو كل مسكر خامر العقل وغطاه، من أي نوع كان، وأما الميسر: فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان إلى قوله: منتهون وهذا من لطفه ورحمته وحكمته، ولهذا لما نزلت، قال ويجتنب ما ترجحت مضرت، ولكن لما كانوا قد ألفوهما، وصعب التحريم بتركهما أول وهلة، قدم هذه الآية، مقدمة للتحريم، الذي ذكره في قوله: يا كسب المال بالتجارة بالخمر، وتحصيله بالقمار والطرب للنفوس، عند تعاطيهما، وكان هذا البيان زاجرا للنفوس عنهما، لأن العاقل يرجح ما ترجحت مصلحته، فأخبر أن إثمهما ومضارهما، وما يصدر منهما من ذهاب العقل والمال، والصد عن ذكر الله، وعن الصلاة، والعداوة، والبغضاء أكبر مما يظنونه من نفعهما، من فكاكه وقع فيهما إشكال، فهذا سألوهم عن حكمهما، فأمر الله تعالى نبيه، أن يبين لهم منافعهما ومضارهما، ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما، وتحريم تركهما. أي: يسألك يا أيها الرسول المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر، وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام،

وكلا المعنيين صحيح، وهما متلازمان، فمن أتى بالعبادة كاملة، كان من المتقين، ومن كان من المتقين، حصلت له النجاة من عذاب الله وسخطه. 22 وحده، اتقيتم بذلك سخطه وعذابه، لأنكم أتيتم بالسبب الدافع لذلك، ويحتمل أن يكون المعنى: أنكم إذا عبدتم الله، صرتم من المتقين الموصوفين بالتقوى، لا شريك له في العبادة، وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك. وقوله تعالى: لعلمكم تتقون يحتمل أن المعنى: أنكم إذا عبدتم الله وهو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله وأسفه السفه. وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبين الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون، وأنتم تعلمون رزقا لكم به ترتزقون، وتقوتون وتعيشون وتفكحون. فلا تجعلوا لله أندادا أي: نظراء وأشباها من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم قال المفسرون: المراد بالسماء هاهنا: السحاب، فأنزل منه تعالى ماء، فأخرج به من الثمرات كالحبوب، والثمار، من نخيل، وفواكه، وزروع وغيرها فيها من المنافع ما هو من ضروراتكم وحاجاتكم، كالشمس، والقمر، والنجوم. وأنزل من السماء ماء والسماء: هو كل ما علا فوقك فهو سماء، ولهذا تستقرون عليها، وتنتفعون بالأنبية، والزراعة، والحراثة، والسلوك من محل إلى محل، وغير ذلك من أنواع الانتفاع بها، وجعل السماء بناء لمسكنكم، وأودع عبادته وحده، بأنه ربكم الذي رباكم بأصناف النعم، فخلقكم بعد العدم، وخلق الذين من قبلكم، وأنعم عليكم بالنعم الظاهرة والباطنة، فجعل لكم الأرض فراشا ثم استدل على وجوب

لعباده شيئا مجردا عن الحكمة، فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة، أو راحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راحة، لتمازج حكمته ورحمته. 220 وافق الحكمة أو خالفها، بل يقال: إن أفعاله وكذلك أحكامه، تابعة لحكمته، فلا يخلق شيئا عبثا، بل لا بد له من حكمة، عرفناها، أم لم نعرفها وكذلك لم يشرع الكاملة، والقهر لكل شيء، ولكنه مع ذلك حكيم لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته الكاملة وعنايته التامة، فعرزته لا تنافي حكمته، فلا يقال: إنه ما شاء فعل، وتوسعة على المؤمنين، وإلا فلو شاء الله لأعنتكم أي: شق عليكم بعدم الرخصة بذلك، فحرجتم. وشق عليكم وأثمت، إن الله عزيز أي: له القوة المقاصد وفي هذه الآية، دليل على جواز أنواع المخالطات، في المأكل والمشرب، والعقود وغيرها، وهذه الرخصة، لطف من الله تعالى وإحسان، شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس، ومن علم الله من نيته، أن قصده بالمخالطة، التوصل إلى أكلها وتناولها، فذلك الذي حرج وأثم، و الوسائل لها أحكام إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، والمرجع في ذلك إلى النية والعمل، فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله، فلو دخل عليه تعالى أن المقصود، إصلاح أموال اليتامى، بحفظها وصيانتها، والاتجار فيها وأن خلطتهم بإيهاهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامى، لأنهم عن طعام اليتامى، خوفا على أنفسهم من تناولها، ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها، وسألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فأخبرهم لما نزل قوله تعالى: إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا شق ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم

الصالح. وبيّن آياته أي: أحكامه وحكمها للناس لعلمهم يتذكرون فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه، وعلم ما جهلوه، والامتثال لما ضيعوه. 221 أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة، التي من آثارها، دفع العقوبات وذلك بالدعوة إلى أسبابها من الأعمال الصالحة، والتوبة النصوح، والعلم النافع، والعمل ونحوه على المسلم، كالخدمة ونحوها. وفي قوله: ولا تنكحوا المشركين دليل على اعتبار الولي في النكاح. والله يدعو إلى الجنة والمغفرة عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى، وخصوصا، الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك أي: في أقوالهم أو أفعالهم وأحوالهم، فمخالطتهم على خطر منهم، والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنما هو الشقاء الأبدي. ويستفاد من تعليل الآية، النهي حتى يؤمنوا وهذا عام لا تخصيص فيه. ثم ذكر تعالى، الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة، لمن خالفهما في الدين فقال: أولئك يدعون إلى النار جميع النساء المشركات، وخصصتها آية المائدة، في إباحة نساء أهل الكتاب كما قال تعالى: والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب ولا تنكحوا المشركين المشركات ما دمن على شركهن حتى يؤمن لأن المؤمنة ولو بلغت من الدمامة ما بلغت خير من المشركة، ولو بلغت من الحسن ما بلغت، وهذه عامة في أي: ولا تنكحوا النساء

مطلقا، شرطا لصحة الصلاة والطواف، وجواز مس المصحف، ويشمل التطهر المعنوي عن الأخلاق الرذيلة، والصفات القبيحة، والأفعال الخسيسة. 222

## تفسير السعدي

أي: المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث. ففيه مشروعية الطهارة مطلقا، لأن الله يحب المتصف بها، ولهذا كانت الطهارة لصحته. ولما كان هذا المنع لطفًا منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى: إن الله يحب التوابين أي: من ذنوبهم على الدوام ويحب المتطهرين أي: اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله أي: في القلب لا في الدبر، لأنه محل الحرث. وفيه دليل على وجوب الغتسال للحائض، وأن انقطاع الدم، شرط المنع الموجود وقت جريانه، الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم، والغتسال منه. فلما انقطع الدم، زال الشرط الأول وبقي الثاني، فلماذا قال: فإذا تطهرن أراد أن يباشر امرأته وهي حائض، أمرها أن تنزّر، فيباشرها. وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحيض حتى يطهرن أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، زال ولا تقربوهن حتى يطهرن يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة، ينبغي تركه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا الفرج خاصة، فهذا هو المحرم إجماعا، وتخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على أن مباشرة الحائض وملامستها، في غير الوطء في الفرج جائز. لكن قوله: أذى، وإذا كان أذى، فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، ولهذا قال: فاعتزلوا النساء في المحيض أي: مكان الحيض، وهو الوطء في يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض، كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقا كما يفعله اليهود؟ فأخبر تعالى أن الحيض داخل في هذه البشارة. وفيها محبة الله للمؤمنين، ومحبة ما يسرهم، واستحباب تنشيطهم وتشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي والأخروي. 223 وبشر المؤمنين لم يذكر المبشر به ليدل على العموم، وأن لهم البشري في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وكل خير واندفاع كل ضرر، رتب على الإيمان فهو واتقوا الله أي: في جميع أحوالكم، كونوا ملازمين لتقوى الله، مستعينين بذلك لعلمكم، أنكم ملاقوه ومجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها. ثم قال: التقرب إلى الله بفعل الخيرات، ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القرية والاحتساب، وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم. إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث، وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في تحريم ذلك، ولعن فاعله. وقدموا لأنفسكم أي: من مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القلب، لكونه موضع الحرث، وهو الموضع الذي يكون منه الولد. وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر، لأن الله لم يبيح نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم

سماعه لأقوال الحالفين، وعلمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر، وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم، قد استقر علمها عنده 224 مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك. ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: والله سمع أي: لجميع الأصوات عليم بالمقاصد والنيات، ومنه ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، أنه إذا تزاخمت المصالح، قدم أهمها فهنا تتميم اليمين مصلحة، وامتنال أوامر الله في هذه الأشياء، مستحب، استحباب له الحنث، ومن حلف على فعل محرم، وجب الحنث، أو على فعل مكروه استحباب الحنث، وأما المباح فينبغي فيه حفظ اليمين عن الحنث. عن أن يبروا: أن يفعلوا خيرا، أو يتقوا شرا، أو يصلحوا بين الناس، فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه، وحرّم إقامته على يمينه، ومن حلف على ترك في كل شيء، ولكن الله تعالى استثنى من ذلك إذا كان البر باليمين، يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فهى عبادة أن يجعلوا أيمانهم عرضة، أي: مانعة وحائلة المقصود من اليمين، والقسم تعظيم المقسم به، وتأكيده المقسم عليه، وكان الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان، وكان مقتضى ذلك حفظها الأفعال. والله غفور لمن تاب إليه، حلیم بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر، وصفح مع قدرته عليه، وكونه بين يديه. 225 والله وكلفه على أمر ماض، يظن صدق نفسه، وإنما المؤاخدة على ما قصده القلب. وفي هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في منه ولا كسب قلب، ولكنها جرت على لسانه كقول الرجل في عرض كلامه: لا والله و بلى

حيث جعل لأيمانهم كفارة وتحلة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك، ورحيم بهم أيضا، حيث فاءوا إلى زوجاتهم، وحنوا عليهن ورحموهن. 226 ولهذا قال: فإن فاءوا أي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه، وهو الوطء. فإن الله غفور يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف، بسبب رجوعهم. رحيم فإن وطئ، فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين، وإن امتنع، أجبر على الطلاق، فإن امتنع، طلق عليه الحاكم. ولكن الفينة والرجوع إلى زوجته، أحب إلى الله تعالى، أشهر. وإن كان أبدا، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، ضربت له مدة أربعة أشهر من يمينه، إذا طليبت زوجته ذلك، لأنه حق لها، فإذا تمت أمر بالفينة وهو الوطء، من زوجته خاصة، فإن كان لدون أربعة أشهر، فهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر، وإن أتم يمينه، فلا شيء عليه، وليس لزوجه عليه سبيل، لأنه ملكه أربعة وهذا من الأيمان الخاصة بالزوجة، في أمر خاص وهو حلف الزوج على ترك وطء زوجته مطلقا، أو مقيدا، بأقل من أربعة أشهر أو أكثر. فمن آلى من نسائهم وعلى وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة، يجبر إما على الوطء، أو على الطلاق، ولا يكون ذلك إلا لتركه واجبا. 227 فإن الله سمع عليم فيه وعيد وتهديد، لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاقة. ويستدل بهذه الآية على أن الإيلاء، خاص بالزوجة، لقوله: على رغبتهم عنهن، وعدم إرادتهم لأزواجهم، وهذا لا يكون إلا عزمًا على الطلاق، فإن حصل هذا الحق الواجب منه مباشرة، وإلا أجبره الحاكم عليه أو قام به. وإن عزموا الطلاق أي: امتنعوا من الفينة، فكان ذلك دليلا

واللاتي لم يدخل بهن، فليس لهن عدة، والإماء، فعدتهن حيثتان، كما هو قول الصحابة رضي الله عنهم، وسياق الآيات يدل على أن المراد بها الحرة. 228 له العزة القاهرة والسلطان العظيم، الذي دانت له جميع الأشياء، ولكنه مع عزته حكيم في تصرفه. ويخرج من عموم هذه الآية، الحوامل، فعدتهن وضع الحمل، النبوة والقضاء، والإمامة الصغرى والكبرى، وسائر الولايات مختص بالرجال، وله ضعفا ما لها في كثير من الأمور، كالميراث ونحوه. والله عزيز حكيم أي: درجة أي: رفعة ورياسة، وزيادة حق عليها، كما قال تعالى: الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ومنصب



## تفسير السعدي

وكذلك الوطاء الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق. وأما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً. وللرجال عليهن الزمان من مثله، ويختلف ذلك باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، والأشخاص والعوائد. وفي هذا دليل على أن النفقة والكسوة والمعاشرة، والمسكن، والولائم مثل الذي عليهن لأزواجهن من الحقوق اللازمة والمستحبة. ومرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف، وهو: العادة الجارية في ذلك البلد وذلك بل إن تراضيا على التراجع، فلا بد من عقد جديد مجتمع الشروط. ثم قال تعالى: ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: أبغض الحلال إلى الله الطلاق وهذا خاص في الطلاق الرجعي، وأما الطلاق البائن، فليس البعل بأحق برجعته، وهي: أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها، فجعلت له هذه المدة، ليتروى بها ويقطع نظره. وهذا يدل على محبته تعالى، للألفة بين الزوجين، وكرهته للفراق، الجمهور على أنه يملك ذلك، مع التحريم، والصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح، لا يملك ذلك، كما هو ظاهر الآية الكريمة، وهذه حكمة أخرى في هذا التريض، إن لم يريدوا الإصلاح، فليسوا بأحق بردهن، فلا يحل لهم أن يرابعوهن، لقصد المضارة لها، وتطويل العدة عليها، وهل يملك ذلك، مع هذا القصد؟ فيه قولان. بردهن في ذلك أي: لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة، أن يردهن إلى نكاحهن إن أرادوا إصلاحاً أي: رغبة وألفة ومودة. ومفهوم الآية أنهم وفي ذلك دليل على قبول خبر المرأة، عما تخبر به عن نفسها، من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه ثم قال تعالى: وبعولتهن أحق الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر، وإلا فلو آمن بالله واليوم الآخر، وعرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن، لم يصدر منهن شيء من ذلك. العدة، فيكون ذلك سفاحاً، لكونها أجنبية عنه، فلماذا قال تعالى: ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر فصدور نفقة غير واجبة عليه، بل هي سحت عليها محرمة من جهتين: من كونها لا تستحقه، ومن كونها نسبتته إلى حكم الشرع وهي كاذبة، وربما راجعها بعد انقضاء ففيه من انقطاع حق الزوج عنها، وإباحتها لغيره وما يتفرع عن ذلك من الشر، كما ذكرنا، وإن كذبت وأخبرت بعدم وجود الحيض، لتطول العدة، فتأخذ منه مع من نكاحها باطل في حقه، وفيه الإصرار على الكبيرة العظيمة، وهي الزنا لكفى بذلك شراً. وأما كتمان الحيض، بأن استعجلت وأخبرت به وهي كاذبة، توابع ذلك، من الإرث منه وله، ومن جعل أقارب الملحق به، أقارب له، وفي ذلك من الشر والفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد، ولو لم يكن في ذلك، إلا إقامتها ألحقته بغير أبيه، حصل من قطع الرحم والإرث، واحتجاب محارمه وأقاربه عنه، وربما تزوج ذوات محارمه، وحصل في مقابلة ذلك، إلحاقه بغير أبيه، وثبوت ذلك، من حمل أو حيض، لأن كتمان ذلك، يفضي إلى مفاصد كثيرة، فكتمان الحمل، موجب أن تلحقه بغير من هو له، رغبة فيه واستعجالاً لانقضاء العدة، فإذا علم أنه ليس في رحمها حمل، فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب، ولهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن ما خلق الله في أرحامهن وحرّم عليهن، كتمان أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك، مع أن الصحيح أن القرء، الحيض، ولهذه العدة عدة حكم، منها: العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء، أي: النساء اللاتي طلقهن أزواجهن يتربصن بأنفسهن أي: ينتظرن ويعتددن مدة ثلاثة قروء أي: حيض، أو الخلق، فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة، وحقوق العباد، لا يترك الله منها شيئاً، والظلم الذي بين العبد وربّه فيما دون الشرك، تحت المشيئة والحكمة 229 منه إلى الحرام، فلم يسعه ما أحل الله؟ والظلم ثلاثة أقسام: ظلم العبد فيما بينه وبين الله، وظلم العبد الأكبر الذي هو الشرك، وظلم العبد فيما بينه وبين حدود الله أي: أحكامه التي شرعها لكم، وأمر بالوقوف معها، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون وأي ظلم أعظم ممن اقتحم الحلال، وتعدى فيما افتدت به لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة، وفي هذا مشروعية الخلع، إذا وجدت هذه الحكمة. تلك أي ما تقدم من الأحكام الشرعية المخالعة بالمعروف، بأن كرهت الزوجة زوجها، لخلقها أو خلقه أو نقص دينه، وخافت أن لا تطيع الله فيه، فإن خفت ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما شيئا من مالها، لأنه ظلم، وأخذ للمال في غير مقابلة بشيء، فلماذا قال: ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله وهي أي: عشرة حسنة، ويجري مجرى أمثاله مع زوجاتهم، وهذا هو الأرجح، وإلا يسرحها ويفارقها بإحسان ومن الإحسان، أن لا يأخذ على فراقه لها لذلك، لأن من زاد على الثنتين، فإما متجري على المحرم، أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة، فلماذا أمر تعالى الزوج، أن يمسك زوجته بمعروف أن الطلاق أي: الذي تحصل به الرجعة مرتان ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها، ويراجع رأيّه في هذه المدة، وأما ما فوقها، فليس محلاً فكان إذا أراد مضارتها، طلقها، فإذا شارفت انقضاء عدتها، راجعها، ثم طلقها وصنع بها مثل ذلك أبداً، فيحصل عليها من الضر ما الله به عليم، فأخبر تعالى كان الطلاق في الجاهلية، واستمر أول الإسلام، يطلق الرجل زوجته بلا نهاية،

فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها 23 خلافاً للمعتزلة، وفيها أيضاً، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: أعدت للكافرين فلو كان عصاة الموحدين يخلدون تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وفي قوله: أعدت للكافرين ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسراء، فقال: سبحان الذي أسرى بعبده وفي مقام الإنزال، فقال: مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق. وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم، قيامه ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير هو الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقاً في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلاء، ظهر له الفرق العظيم. وفي قوله: وإن كنتم في ريب إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة: الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه؟ هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن

## تفسير السعدي

لبعض ظهيرا وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل، التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم بالخطب، وهذه النار الموصوفة معدة ومهيأة للكافرين بالله ورسله. فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله. وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تتقد وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى، ودليل واضح جلي على صدقه وصدق أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم، فإن هذا أمر نصف، فيه الفصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم ما جاء به، فقال: وإن كنتم معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فها هنا وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحة

تعالى جعل تبيينه لحدوده، خاصا بهم، وأنهم المقصودون بذلك، وفيه أن الله تعالى يحب من عباده، معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها. 230 شرائعه التي حددها وبينها ووضحها. يبينها لقوم يعلمون لأنهم هم المنتفعون بها، النافعون لغيرهم. وفي هذا من فضيلة أهل العلم، ما لا يخفى، لأن الله والكبار، نظر في نفسه، فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، ووثق بها، أقدم، وإلا أحجم. ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة قال: وتلك حدود الله أي: فيها أمر الله، ويسلك بها طاعته، لم يحل الإقدام عليها. وفي هذا دلالة على أنه ينبغي للإنسان، إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور، خصوصا الولايات، الصغار، إن لم يظن أن يقيما حدود الله، بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية، والعشرة السيئة غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحا، لأن جميع الأمور، إن لم يقيم صاحبه، وذلك إذا ندما على عشرتهما السابقة الموجبة للفراق، وعزما أن يبدلها بعشرة حسنة، فهنا لا جناح عليهما في التراجع. ومفهوم الآية الكريمة، أنهما عقدا جديدا بينهما، لإضافته التراجع إليهما، فدل على اعتبار التراضي. ولكن يشترط في التراجع أن يظن أن يقيما حدود الله بأن يقوم كل منهما، بحق لأنه ليس بزواج، فإذا تزوجها الثاني راغبا ووطنها، ثم فارقها وانقضت عدتها فلا جناح عليهما أي: على الزوج الأول والزوجة أن يتراجعا أي: يجدا فيه العقد والوطء، وهذا بالاتفاق. ويشترط أن يكون نكاح الثاني، نكاح رغبة، فإن قصد به تحليلها للأول، فليس بنكاح، ولا يفيد التحليل، ولا يفيد وطء السيد، فإن طلقها أي: الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره أي: نكاحا صحيحا ويطؤها، لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحا، ويدخل يقول تعالى:

أن الله بكل شيء عليم فهذا بين لكم هذه الأحكام بغاية الإحكام والإتقان التي هي جارية مع المصالح في كل زمان ومكان، فله الحمد والمنة. 231 أو الترهيب، فالحكم به، يزول الجهل، والحكمة مع الترغيب، يوجب الرغبة، والحكمة مع الترهيب يوجب الرهبة. واتقوا الله في جميع أموركم واعلموا صحيح، ولهذا قال يعظكم به أي: بما أنزل عليكم، وهذا مما يقوي أن المراد بالحكمة، أسرار الشريعة، لأن الموعظة ببيان الحكم والحكمة، والترغيب، وعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. وقيل: المراد بالحكمة أسرار الشريعة، فالكتاب فيه، الحكم، والحكمة فيها، بيان حكمة الله في أوامره ونواهيه، وكلا المعنيين عليكم من الكتاب والحكمة أي: السنة اللذين بين لكم بهما طرق الخير ورغبكم فيها، وطرق الشر وحذركم إياها، وعرفكم نفسه ووقائعه في أوليائه وأعدائه، رفقا به وسعيا في مصلحته. واذكروا نعمة الله عليكم عموما باللسان ثناء وحما، وبالقلب اعترافا وإقرارا، وبالأركان بصرفها في طاعة الله، وما أنزل عليها، وعدم الامتنال لواجبها، مثل استعمال المضارة في الإمساك، أو الفراق، أو كثرة الطلاق، أو جمع الثلاث، والله من رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، العلم بها والعمل، والوقوف معها، وعدم مجاوزتها، لأنه تعالى لم ينزلها عبثا، بل أنزلها بالحق والصدق والجد، نهى عن اتخاذها هزوا، أي: لعبا بها، وهو التجرؤ ظلم نفسه ولو كان الحق يعود للمخلوق فالضرر عائد إلى من أراد الضرر. ولا تتخذوا آيات الله هزوا لما بين تعالى حدوده غاية التبيين، وكان المقصود، ولا تمسكوهن ضرارا أي: مضارة بهن لتعتدوا في فعلكم هذا الحلال، إلى الحرام، فالحلال: الإمساك بمعروف والحرام: المضارة، ومن يفعل ذلك فقد انقضت عدتهن. فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف أي: إما أن تراجعوهن، ونيتكم القيام بحقوقهن، أو تتركوهن بلا رجعة ولا إضرار، ولهذا قال: ثم قال تعالى: وإذا طلقتم النساء أي: طلاقا رجعيًا بواحدة أو ثنتين. فبلغن أجلهن أي: قاربن

وغيره. وفي هذه الآية، دليل على أنه لا بد من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء عن العضل، ولا ينهاهم إلا عن أمر، هو تحت تدبيرهم ولهم فيه حق. 232 أن المصلحة في عدم تزويجه، فإله يعلم وأنتم لا تعلمون فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم، مرید لها، قادر عليها، ميسر لها من الوجه الذي تعرفون لكم وأظهر وأطيب مما يظن الولي أن عدم تزويجه هو الرأي: واللائق وأنه يقابل بطلاقه الأول بعدم التزويج له كما هو عادة المترفعين المتكبرين. فإن كان يظن من التزوج به حنقا عليه وغضا واشمئزازا لما فعل من الطلاق الأول. وذكر أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإيمانه يمنعه من العضل، فإن ذلك أركى لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث إذا خرجت من العدة، وأراد زوجها أن ينكحها، ورضيت بذلك، فلا يجوز لوليها، من أب وغيره أن يعضلها أي: يمنعها هذا خطاب

غير وجه المضارة فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتن بالمعروف أي: للمرضعات، والله بما تعملون بصير فمجازيكم على ذلك بالخير والشر. 233 أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل، أنه لا يجوز فطامه. وقوله: وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم أي: تطلبوا لهم المراضع غير أمهاتهم على

## تفسير السعدي

فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا؟ فإن كان مصلحة ورضيا فلا جناح عليهما في فطامه قبل الحولين، فدلّت الآية بمفهومها، على أنه إن رضي على القريب الوارث الموسر، فإن أراد أي: الأبوان فصلا أي: فطام الصبي قبل الحولين، عن تراض منهما بأن يكونا راضيين وتشاورا ذلك أي: على وارث الطفل إذا عدم الأب، وكان الطفل ليس له مال، مثل ما على الأب من النفقة للرضع والكسوة، فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين، قوله: مولود له أن الولد لأبيه، لأنه موهوب له، ولأنه من كسبه، فلذلك جاز له الأخذ من ماله، رضي أو لم يرض، بخلاف الأم. وقوله: وعلى الوارث مثل النفقة، والكسوة أو الأجرة، ولا مولود له بولده بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له، أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع الضرر. ودل بالنفقة حتى يجد، لا تضار والدته بولدها ولا مولود له بولده أي: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها، إما أن تمتنع من إرضاعه، أو لا تعطى ما يجب لها من النفقة حتى يجد، لا تضار والدته بولدها ولا مولود له بولده أي: لا تكلف نفس إلا وسعها فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئا وهذا شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة، فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع. ودل هذا، على أنها إذا كانت في حباله، وحمله وفصاله ثلاثون شهرا أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، وأنه يمكن وجود الولد بها. وعلى المولود له أي: الأب رزقهن وكسوتهن بالمعروف حولان، فقد تم رضاعه وصار اللبن بعد ذلك، بمنزلة سائر الأغذية، فهذا كان الرضاع بعد الحولين، غير معتبر، لا يحرم. ويؤخذ من هذا النص، ومن قوله تعالى: إلى أمر بأن يرضعن أولادهن حولين ولما كان الحول، يطلق على الكامل، وعلى معظم الحول قال: كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فإذا تم للرضيع هذا خبر بمعنى الأمر، تنزيلا له منزلة المتقرر، الذي لا يحتاج

فيما فعلن في أنفسهن دليل على أن الولي ينظر على المرأة، ويمنعها مما لا يجوز فعله ويجبرها على ما يجب، وأنه مخاطب بذلك، واجب عليه. 234 بين العلماء. والله بما تعملون خبير أي: عالم بأعمالكم، ظاهرها وباطنها، جليلها وخفيها، فمجازيكم عليها. وفي خطابه للأولياء بقوله: فلا جناح عليكم أي: على وجه غير محرم ولا مكروه. وفي هذا وجوب الإحدا مدة العدة، على المتوفى عنها زوجها، دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه وخمسة أيام. وقوله: فإذا بلغن أجلهن أي: انقضت عدتهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن أي: من مراجعتها للزينة والطيب، بالمعروف ويتحرك في ابتدائه في الشهر الخامس، وهذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل، وكذلك الأمة، عدتها على النصف من عدة الحرة، شهران أي: إذا توفي الزوج، مكثت زوجته، متربصة أربعة أشهر وعشرة أيام وجوبا، والحكمة في ذلك، ليتبين الحمل في مدة الأربعة،

واعلموا أن الله غفور لمن صدرت منه الذنوب، فتأب منها، ورجع إلى ربه حليم حيث لم يعاجل العاصين على معاصيهم، مع قدرته عليهم. 235 يحل حتى يبلغ الكتاب أجله أي: تنقضي العدة. واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم أي: فانووا الخير، ولا تنووا الشر، خوفا من عقابه ورجاء لثوابه. من هي في عدتها، إذا انقضت، ولهذا قال: أو أكنتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن هذا التفصيل كله في مقدمات العقد. وأما عقد النكاح فلا أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك، ونحو ذلك، فهذا جائز لأنه ليس بمنزلة الصريح، وفي النفوس داع قوي إليه. وكذلك إضمار الإنسان في نفسه أن يتزوج لحق زوجها الأول، بعدم مواعدها لغيره مدة عدتها. وأما التعريض، وهو الذي يحتمل النكاح وغيره، فهو جائز للبان كأن يقول لها: إنني أريد التزوج، وإنني أن التصريح، لا يحتمل غير النكاح، فلها حرم، خوفا من استعجالها، وكذبها في انقضاء عدتها، رغبة في النكاح، ففيه دلالة على منع وسائل المحرم، وقضاء فيحرم على غير مبينها أن يصرح لها في الخطبة، وهو المراد بقوله: ولكن لا تواعدهن سرا وأما التعريض، فقد أسقط تعالى فيه الجناح. والفرق بينهما: هذا حكم المعتدة من وفاة، أو المبانة في الحياة،

الحكم الإلهي، وأدله على حكمة شارع ورحمته ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون؟ فهذا حكم المطلقات قبل المسيس وقبل فرض المهر. 236 ليس لهم أن يبخسوهن. فكما تسببوا لتشوفهن واشتياقهن، وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه، فعليهم في مقابلة ذلك المتعة. فله ما أحسن هذا المقتر أي: المعسر قدره وهذا يرجع إلى العرف، وأنه يختلف باختلاف الأحوال ولهذا قال: متاعا بالمعروف فهذا حق واجب على المحسنين وفرض المهر، وإن كان في ذلك كسر لها، فإنه ينجبر بالمتعة، فعليكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئا من المال، جبرا لخواطرن. على الموسع قدره وعلى أي: ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم، بتطليق النساء قبل المسيس،

في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة، أو مخالطة، فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، ولهذا قال: إن الله بما تعملون بصير. 237 وإعطاء الواجب. وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق، والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة، ولو الإحسان والمعروف، وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة، لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتين: إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، لكونه غير مالك ولا وكيل. ثم رغب في العفو، وأن من عفا، كان أقرب لتقواه، لكونه إحسانا موجبا لشرح الصدر، ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من إذا كان يصح عفوها، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وهو الزوج على الصحيح لأنه الذي بيده حل عقدته؛ ولأن الولي لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة، قبل المسيس، وبعد فرض المهر، فللمطلقات من المهر المفروض نصفه، ولكم نصفه. هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة، بأن تعفو عن نصفها لزوجها، أي: إذا طلقتم النساء

كما أمر بقوله وقوموا لله قانتين أي: ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوت والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة. 238 وجميع ما لها من واجب ومستحب، وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات، وتقيد النهي عن الفحشاء والمنكر خصوصا إذا أكملها

## تفسير السعدي

يأمر بالمحافظة على الصلوات عموماً وعلى الصلاة الوسطى، وهي العصر خصوصاً، والمحافظة عليها أداؤها بوقتها وشروطها وأركانها وخشوعها

وتماها كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمة، تقتضي مقابلتها بالذكر والشكر ليبقي نعمته عليكم ويزيدكم عليها. 239  
بل أوجب من صلاتها مطمئناً خارج الوقت فإذا أمنتكم أي: زال الخوف عنكم فاذكروا الله وهذا يشمل جميع أنواع الذكر ومنه الصلاة على كمالها  
أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط، وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة، فصلاها على تلك الصورة أحسن وأفضل  
أو ركباناً على الخيل والإبل وغيرها، ويلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها، وفي هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها حيث  
منه ليشمل الخوف من كافر وظالم وسبع، وغير ذلك من أنواع المخاوف، أي: إن خفتكم بصلاتكم على تلك الصفة فصلوها رجالاً أي: ماشين على أقدامكم،  
فإن خفتكم لم يذكر ما يخاف

فيها، لم تكن معدة للكافرين وحدهم، خلافاً للخوارج والمعتزلة. وفيها دلالة على أن العذاب مستحق بأسبابه، وهو الكفر، وأنواع المعاصي على اختلافها 24  
خلافاً للمعتزلة، وفيها أيضاً، أن الموحدين وإن ارتكبوا بعض الكبائر لا يخلدون في النار، لأنه قال: أعدت للكافرين فلو كان عصاة الموحدين يخلدون  
تبارك الذي نزل الفرقان على عبده وفي قوله: أعدت للكافرين ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان  
بالعبودية، التي لا يلحقه فيها أحد من الأولين والآخرين. كما وصفه بالعبودية في مقام الإسرائ، فقال: سبحانه الذي أسرى بعبده وفي مقام الإنزال، فقال:  
مجتهد في طلبه، فهذا في الغالب أنه لا يوفق. وفي وصف الرسول بالعبودية في هذا المقام العظيم، دليل على أن أعظم أوصافه صلى الله عليه وسلم، قيامه  
ويتركه، فهذا لا يمكن رجوعه، لأنه ترك الحق بعد ما تبين له، لم يتركه عن جهل، فلا حيلة فيه. وكذلك الشاك غير الصادق في طلب الحق، بل هو معرض غير  
هو الشاك الحائر الذي لم يعرف الحق من الضلال، فهذا إذا بين له الحق فهو حري بالتوفيق إن كان صادقا في طلب الحق. وأما المعاند الذي يعرف الحق  
هذا القرآن العظيم بغيره من كلام البلاء، ظهر له الفرق العظيم. وفي قوله: وإن كنتم في ريب إلى آخره، دليل على أن الذي يرجى له الهداية من الضلالة:  
الذي له الكمال المطلق، والغنى الواسع من كل الوجوه؟ هذا ليس في الإمكان، ولا في قدرة الإنسان، وكل من له أدنى ذوق ومعرفة بأنواع الكلام، إذا وزن  
لبعض ظهيرا وكيف يقدر المخلوق من تراب، أن يكون كلامه ككلام رب الأرباب؟ أم كيف يقدر الناقص الفقير من كل الوجوه، أن يأتي بكلام ككلام الكامل،  
التحدي، وهو تعجيز الخلق أن يأتوا بمثل هذا القرآن، قال تعالى قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم  
بالحطب، وهذه النار الموصوفة معدة ومهيأة للكافرين بالله ورسله. فاحذروا الكفر برسوله، بعد ما تبين لكم أنه رسول الله. وهذه الآية ونحوها يسمونها آيات  
ما جاء به، فيتعين عليكم اتباعه، واتقاء النار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدة، أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنما تنقد  
وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هذا التقييم على وجه الإنصاف والتنزل معكم، فهذا آية كبرى، ودليل واضح جلي على صدقه وصدق  
أمر يسير عليكم، خصوصا وأنتم أهل الفصاحة والخطابة، والعداوة العظيمة للرسول، فإن جئتم بسورة من مثله، فهو كما زعمتم، وإن لم تأتوا بسورة من مثله  
أنه من عند الله، وقلتم أنتم أنه تقوله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورة من مثله، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهادكم، فإن هذا  
أمر نصف، فيه الفيصلة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم، لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتاب زعم  
ما جاء به، فقال: وإن كنتم معشر المعاندين للرسول، الرادين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه، مما نزلنا على عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فها هنا  
وهذا دليل عقلي على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحة

للزوجة، والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل تكميل الحول، فلو كان لزوم المسكن واجبا لم ينف الحرج عنهم. 240  
وعشرا وقيل لم تنسخها بل الآية الأولى دلت على أن أربعة أشهر وعشر واجبة، وما زاد على ذلك فهي مستحبة ينبغي فعلها تكميلا لحق الزوج، ومراعاة  
الزينة والطيب ونحو ذلك وأكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة بما قبلها وهي قوله: والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر  
سنة لا يخرجن منها فإن خرجن من أنفسهن فلا جناح عليكم أيها الأولياء فيما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم أي: من مراجعة  
أي: الأزواج الذين يموتون ويتركون خلفهم أزواجا فعليهم أن يوصوا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج أي: يوصون أن يلزم من بيوتهم مدة  
كل مطلقة احتججا بعموم هذه الآية، ولكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيد، وتقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والميسيس خاصة. 241  
لبعض حقوقها، وهذه المتعة واجبة على من طلق قبل الميسيس، والفرض سنة في حق غيرها كما تقدم، هذا أحسن ما قيل فيها، وقيل إن المتعة واجبة على  
أي: لكل مطلقة متاع بالمعروف حقا على كل متق، جبرا لخطرها وأداء

حدوده، وحلاله وحرامه والأحكام النافعة لكم، لعلكم تعقلونها فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها، ثم قال تعالى: 242  
ولما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة والرحمة امتن بها على عباده فقال: كذلك يبين الله لكم آياته أي:

فلا تزيدهم النعمة شكرا، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه، وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم. 243  
أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفاً وحلماً، وبيانا لآياته لخلقهم بإحياء الموتى، ولهذا قال: إن الله لذو فضل أي: عظيم على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون  
غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر، فقال الله لهم موتوا فماتوا ثم إن الله تعالى أحياهم إما بدعوة نبي  
يقص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو

## تفسير السعدي

السابقة توطئة لهذا الأمر، فكما لم ينفذ الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم، بل أتاها ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك. 244 نياتكم وأقصدوا بذلك وجه الله، واعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئا، ولو ظننتم أن في القعود حياتكم وبقاءكم، فليس الأمر كذلك، ولهذا ذكر القصة أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، فقال: وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم أي: فأحسنوا ثم

الأمر بالقتال والنفقة في سبيل الله، وذكر الأسباب الداعية لذلك الحادثة عليه، من تسميته قرضا، ومضاعفته، وأن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون. 245 دليل على أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر، وخصوصا الأسباب التي تترك بها أوامر الله. وفيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعيانا في هذه الدار. وفيها: ذلك للإنفاق غير ضائع على أهله، بل لهم يوم يجدون ما قدموه كاملا موفرا مضاعفا، فهذا قال: وإليه ترجعون فيجازيكم بأعمالكم. ففي هذه الآيات ويبسط أي: يوسع الرزق على من يشاء ويقبضه ممن يشاء، فالتصرف كله بيديه ومدار الأمور راجع إليه، فالإمساك لا يبسط الرزق، والإنفاق لا يقبضه، ومع أضعاف كثيرة، بحسب حالة المنفق، ونيتة ونفع نفقته والحاجة إليها، ولما كان الإنسان ربما توهم أنه إذا أنفق افتقر دفع تعالى هذا الوهم بقوله: والله يقبض الخيرات، خصوصا في الجهاد، والحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى، فيضاعفه له أضعافا كثيرة الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى الأموال في ذلك، أمر تعالى بالإنفاق في سبيله ورغب فيه، وسماه قرضا فقال: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فينفق ما تيسر من أمواله في طرق ولما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة وبذل

ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه، فحازوا شرف الدنيا والآخرة، وأما أكثرهم فظلموا أنفسهم وتركوا أمر الله، فلماذا قال: والله عليم بالظالمين - 246 وضعفوا عن المصادمة، وزال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والجبن إلا قليلا منهم فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله مع أنه فرض علينا وقد حصل ما حصل، ولهذا لما لم تكن نياتهم حسنة ولم يقو تولكلهم على ربهم فلما كتب عليهم القتال تولوا فجنبوا عن قتال الأعداء من ديارنا وأبنائنا أي: أي شيء يمنعنا من القتال وقد أجبنا إليه، بأن أخرجنا من أوطاننا وسببت ذرارينا، فهذا موجب لكوننا نقاتل ولو لم يكتب علينا، فكيف شيئا وهو إذا كتب عليكم لا تقومون به، فعرض عليهم العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على عزمهم ونيتهم، فقالوا: وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر، فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة قال لهم نبيهم هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا أي: لعلمكم تطلبون كل بيت لا يرضى أن يكون من البيت الآخر رئيس، فالتمسوا من نبيهم تعيين ملك يرضي الطرفين ويكون تعيينه خاصا لعوائدهم، وكانت أنبياء بني إسرائيل لنا ملوكا نقاتل في سبيل الله ليجتمع متفرقنا ويقاوم بنا عدونا، ولعلمهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم، كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، الذين يبحثون عن مصالحهم ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه، وذلك أنهم أتوا إلى نبي لهم بعد موسى عليه السلام فقالوا له ابعت لنا ملكا أي: عين يقص تعالى على نبيه قصة الملأ من بني إسرائيل وهم الأشراف والرؤساء، وخص الملأ بالذكر، لأنهم في العادة هم

ما في قلوبهم من كل ريب وشك وشبهة لتبينه أن أسباب الملك متوفرة فيه، وأن فضل الله يؤتية من يشاء من عباده، ليس له راد، ولا لإحسانه صاد. 247 كثير الكرم، لا يخص برحمته وبره العام أحدا عن أحد، ولا شريفا عن وضع، ولكنه مع ذلك عليم بمن يستحق الفضل فيضعه فيه، فأزال بهذا الكلام خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالما بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفذه الرأي الذي لا ينفذه شيئا والله واسع الفضل على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب، حصل بذلك الكمال، ومتى فاتته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي، حصل في الملك الانقياد لذلك وزاده بسطة في العلم والجسم أي: فضله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي لشرف النسب وكثرة المال، ولم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها، فلماذا قال لهم نبيهم: إن الله اصطفاه عليكم فلزمكم ونحن أحق بالملك منه. ومع هذا فهو فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال، وهذا بناء منهم على ظن فاسد، وهو أن الملك ونحوه من الولايات مستلزم أبوا إلا أن يعترضوا، فقالوا: أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال أي: كيف يكون ملكا وهو دوننا في الشرف والنسب وقال لهم نبيهم مجيبا لطلبهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا فكان هذا تعيينا من الله الواجب عليهم فيه القبول والانقياد وترك الاعتراض، ولكن والله عليم بالظالمين

ذلك التابوت سكنة تسكن بها قلوبهم، وتطمئن لها خواطرهم، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، فأثت به الملائكة حاملة له وهم يرونه عيانا. 248 ثم ذكر لهم نبيهم أيضا آية حسية يشاهدونها وهي إتيان التابوت الذي قد فقدوه زمانا طويلا وفي

القلة مع نصره، والله مع الصابرين بالنصر والمعونة والتوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله، فوقع موعظته في قلوبهم وأثرت معهم. 249 فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله أي: بإرادته ومشينته فالأمر لله تعالى، والعزيز من أعزه الله، والدليل من أذله الله، فلا تغني الكثرة مع خذلانه، ولا تضر يظنون أنهم ملاقوا الله أي: يستيقنون ذلك، وهم أهل الإيمان الثابت واليقين الراسخ، مثبتين لباقيهم ومطمئنين لخواطرهم، وأمريين لهم بالصبر كم من النهر الشرب المنهي عنه فأروا... قتلهم وكثرة أعدائهم، قالوا أي: قال كثير منهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وعددهم وعددهم قال الذين صبر لقتلهم وكثرة عدوهم، فلماذا قال تعالى: فلما جاوزه أي: النهر هو أي: طالوت والذين آمنوا معه وهم الذين أطاعوا أمر الله ولم يشربوا من وتحصل فيه المشقة الكبيرة، وكان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلوا على الله، وتضرعا واستكانة وتبرؤا من حولهم وقوتهم، وزيادة

## تفسير السعدي

عنه، ورجعوا على أعقابهم ونكصوا عن قتال عدوهم وكان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتطاول ولعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه، وفي هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان، فعصى أكثرهم وشربوا من النهر الشرب المنهي فهو عاص ولا يتبعنا لعدم صبره وثباته ولمعصيته ومن لم يطعمه أي: لم يشرب منه فإنه مني إلا من اغترف غرفة بيده فلا جناح عليه في ذلك، بني إسرائيل وكانوا عددا كثيرا وجما غفيرا، امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك فقال: إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني أي: لما تملك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود

للإيمان والعمل الصالح، فذلك أول البشارة وأصلها، ومن بعده البشري عند الموت، ومن بعده الوصول إلى هذا النعيم المقيم، نسأل الله أن يجعلنا منهم 25 الأسباب. وفيه استحباب بشارة المؤمنين، وتنشيطهم على الأعمال بذكر جزائنها وثمراتها، فإنها بذلك تخف وتسهل، وأعظم بشرى حاصلة للإنسان، توفيقه والسبب الموصل لذلك، هو الإيمان والعمل الصالح، فلا سبيل إلى الوصول إلى هذه البشارة، إلا بهما، وهذا أعظم بشارة حاصلة، على يد أفضل الخلق، بأفضل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ومن قام مقامه من أمته، والمبشر: هم المؤمنون العاملون الصالحات، والمبشر به: هي الجنات الموصوفات بتلك الصفات، طرفهن على أزواجهن، وقاصرات أسنتهن عن كل كلام قبيح. ففي هذه الآية الكريمة، ذكر المبشر والمبشر، والمبشر به، والسبب الموصل لهذه البشارة، فالمبشر: والرائحة الكريهة، ومطهرات الخلق أيضا، بكمال الجمال، فليس فيهن عيب، ولا دمامة خلق، بل هن خيرات حسان، مطهرات اللسان والطرف، قاصرات إلى أزواجهن بالخلق الحسن، وحسن التبعل، والأدب القولي والفعل، ومطهر خلقهن من الحيض والنفاس والمني، والبول والغائط، والمخاط والبصاق، من العيب الفلاني ليشمل جميع أنواع التطهير، فهن مطهرات الأخلاق، مطهرات الخلق، مطهرات اللسان، مطهرات الأبصار، فأخلاقهن، أنهن عرب متحبات وأقواتهم من الطعام والشراب وفواكههم، ذكر أزواجهم، فوصفهن بأكمل وصف وأوجزه، وأوضحه فقال: ولهم فيها أزواج مطهرة فلم يقل مطهرة مختلف الطعوم وقيل: متشابهة في اللون، مختلفا في الاسم، وقيل: يشبه بعضه بعضا، في الحسن، واللذة، والفكاكة، ولعل هذا الصحيح ثم لما ذكر مسكنهم، في الحسن واللذة، ليس فيها ثمرة خاصة، وليس لهم وقت خال من اللذة، فهم دائما متلذذون بأكملها. وقوله: وأتوا به متشابهة قيل: متشابهة في الاسم، وتشرب منها تلك الأشجار فتنبت أصناف الثمار. كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أي: هذا من جنسه، وعلى وصفه، كلها متشابهة جنة يجتن بها داخلها، وينعم فيها ساكنها. تجري من تحتها الأنهار أي: أنهار الماء، واللبن، والعسل، والخمر، يفجرونها كيف شاءوا، ويصرفونها أين أرادوا، الرحمن في جنته. فبشرهم أن لهم جنات أي: بساتين جامعة من الأشجار العجيبة، والثمار الأنيقة، والظل المديد، والأغصان والأفنان وبذلك صارت بها تصلح أحوال العبد، وأمور دينه ودنياه، وحياته الدنيوية والأخروية، ويزول بها عنه فساد الأحوال، فيكون بذلك من الصالحين، الذين يصلحون لمجاورة ومن قام مقامه الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، فصدقوا إيمانهم بأعمالهم الصالحة. ووصفت أعمال الخير بالصالحات، لأن الأعمال الصالحات، على طريقته تعالى في القرآن يجمع بين الترغيب والترهيب، ليكون العبد راغبا راهبا، خائفا راجيا فقال: وبشر أي: يا أيها الرسول لما ذكر جزاء الكافرين، ذكر جزاء المؤمنين، أهل

وجنوده قالوا جميعهم ربنا أفرغ علينا صبرا أي: قو قلوبنا، وأوزعنا الصبر، وثبت أقدامنا عن التزلزل والفرار، وانصرنا على القوم الكافرين. 250 ولهذا لما برزوا لجالوت

الله ذو فضل على العالمين حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم والمدافعة عنهم ومكنتهم من الأرض بأسباب يعلمونها، وأسباب لا يعلمونها. 251 بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار وتكالب الكفار لفسدت الأرض باستيلاء الكفار عليها وإقامتهم شعائر الكفر ومنعهم من عبادة الله تعالى، وإظهار دينه ولكن وهذا كله من آثار الجهاد في سبيله، فلو لم يكن لم يحصل ذلك فلماذا قال تعالى: ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض أي: لولا أنه يدفع كان من قبله من الأنبياء يكون الملك لغيرهم، فلما نصرهم الله تعالى اطمأنوا في ديارهم وعبدوا الله آمين مطمئنين لخدلان أعدائهم وتمكينهم من الأرض، المشتتة على الشرع العظيم والصراط المستقيم، ولهذا قال وعلمه مما يشاء من العلوم الشرعية والعلوم السياسية، فجمع الله له الملك والنبوة، وقد ملك الكفار بيده لشجاعته وقوته وصبره وآتاه الله أي: أتى الله داود الملك والحكمة أي: من عليه بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة، وهي النبوة الدعاء لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، ونصرهم عليهم فهزمهم بإذن الله وقتل داود عليه السلام، وكان مع جنود طالوت، جالوت أي: باشر قتل من هاهنا نعلم أن جالوت وجنوده كانوا كفارا، فاستجاب الله لهم ذلك

وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين المقاتلين، وأنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها، ثم قال تعالى: 252 وتمييز الخبيث من الطيب، والصادق من الكاذب، والصابر من الجبان، وأنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط وعدم التمييز. ومنها: أن من رحمته قوله: ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزمهم بإذن الله ومنها: أن من حكمة الله تعالى فالأول كما في قولهم لنبيهم وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فكانه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا، والثاني في الولايات، وبفقدتهما أو فقد أحدهما نقصانها وضررها. ومنها: أن الاتكال على النفس سبب الفشل والخذلان، والاستعانة بالله والصبر والالتجاء إليه سبب النصر، لهؤلاء، لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع وزوال الشبه والريب. ومنها: أن العلم والرأي: مع القوة المنفذة بهما كمال به كلمتهم ويلم متفرقهم، وتحصل له الطاعة منهم، ومنها: أن الحق كلما عورض وأوردت عليه الشبه ازداد وضوحا وتميز وحصل به اليقين التام كما جرى الطريق الذي تستقيم به أمورهم وفهمه، ثم العمل به، أكبر سبب لارتقائهم وحصول مقصودهم، كما وقع لهؤلاء المأ حين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع

## تفسير السعدي

ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. وفي هذه القصة من الآيات والعبر ما يتذكر به أولو الأبواب، فمنها: أن اجتماع أهل الكلمة والحل والعقد وبحثهم في لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده شيء من هذه الأمور، فدل أنه رسول الله حقا ونبيه صدقا الذي بعثه بالحق ودين الحق وإنك لمن المرسلين فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من أخبار الأمم السالفين والأنبياء وأتباعهم وأعدائهم التي ثم قال تعالى: تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق أي: بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن للاعتبار والاستبصار وبيان حقائق الأمور

ومن لم يؤمن بهم فهو كافر، ومن قدح في واحد منهم أو سبه فهو كافر يتحتم قتله، ودلائل هذه الجمل كثيرة، من تدبر القرآن تبين له الحق 253 كذب وخيانة وكتمان وغيوب مزرية، وأنهم لا يقررون على خطأ فيما يتعلق بالرسالة والتكليف، وأن الله تعالى خصهم بوحيه، فلماذا وجب الإيمان بهم وطاعتهم لا من أهل البوادي، وأنهم مصطفون مختارون، جمع الله لهم من الصفات الحميدة ما به الاصطفاء والاختيار، وأنهم سالمون من كل ما يقدر في رسالتهم من معرفته برسله، ما يجب لهم ويمتنع عليهم ويجوز في حقهم، ويؤخذ جميع ذلك مما وصفهم الله به في آيات متعددة، منها: أنهم رجال لا نساء، من أهل القرى صلى الله عليه وسلم من الاستواء والنزول والأقوال، والأفعال التي يعبرون عنها بالأفعال الاختيارية. فائدة: كما يجب على المكلف معرفته بربه، فيجب عليه نافذة، وفي هذا ونحوه دلالة على أن الله تعالى لم يزل يفعل ما اقتضته مشيئته وحكمته، ومن جملة ما يفعله ما أخبر به عن نفسه وأخبر به عنه رسوله وإنما تنفع الأسباب مع عدم معارضة المشيئة، فإذا وجدت اضمحل كل سبب، وزال كل موجب، فلماذا قال ولكن الله يفعل ما يريد فأرادته غالبية ومشيئته فكان موجب هذا الاختلاف التفرق والمعاداة والمقاتلة، ومع هذا فلو شاء الله بعد هذا الاختلاف ما اقتتلوا، فدل ذلك على أن مشيئة الله نافذة غالبية للأسباب، أحواله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات الموجبة للاجتماع على الإيمان ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ألقاها إلى مريم وروح منه وأيدناه بروح القدس أي: بالإيمان واليقين الذي أيده به الله وقواه على ما أمر به، وقيل أيده بجبريل عليه السلام يلازمه في ما تفرق في غيره، وجمع الله له من المناقب ما فاق به الأولين والآخرين وأتينا عيسى ابن مريم البينات الدالات على نبوته وأنه عبد الله ورسوله وكلمته العام، فمنهم من كلمه الله كموسى بن عمران خصه بالكلام، ومنهم من رفعه على سائرهم درجات كنبينا صلى الله عليه وسلم الذي اجتمع فيه من الفضائل سائر الناس بإيحائه وإرسالهم إلى الناس، ودعائهم الخلق إلى الله، ثم فضل بعضهم على بعض بما أودع فيهم من الأوصاف الحميدة والأفعال السديدة والنفع يخبر تعالى أنه فضل بعض الرسل على بعض بما خصهم من بين

مثله، فلماذا قال تعالى: والكافرون هم الظالمون وهذا من باب الحصر، أي: الذين ثبت لهم الظلم التام، كما قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم 254 من حق الله وحق عباده وتعدوا الحلال إلى الحرام، وأعظم أنواع الظلم الكفر بالله الذي هو وضع العبادة التي يتعين أن تكون لله فيصرفها الكافر إلى مخلوق صديق لا بوجهة ولا بشفاعه، وهو اليوم الذي يخسر المبطلون ويحصل الخزي على الظالمين، وهم الذين وضعوا الشيء في غير موضعه، فتركوا الواجب العاملون إلى مثقال ذرة من الخير، فلا بيع فيه ولو افتدى الإنسان نفسه بملء الأرض ذهبا ليفتدي به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منه، ولم ينفعه خليل ولا وهذا من لطف الله بعباده أن أمرهم بتقديم شيء مما رزقهم الله، من صدقة واجبة ومستحبة، ليكون لهم ذخرا وأجرا موفرا في يوم يحتاج فيه

وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا، ثم قال تعالى: 255 هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء، فقد اشتملت يؤوده أي: يثقله حفظهما وهو العلي بذاته فوق عرشه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته العظيم الذي تتضائل عند عظمتها بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، فلماذا قال: ولا هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحير الأفكار وتكل الأبصار، وتقلل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف عظمت وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السماوات والأرض على عظمتها وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل شيء ولا من العلم مثقال ذرة إلا ما علمهم تعالى، ولهذا قال: ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض وهذا يدل على كمال وما خلفهم أي: ما يستقبل منها، فعلمه تعالى محيط بتفاصيل الأمور، متقدمها ومتأخرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم من الأمر من يشاء من عباده أذن لمن أراد أن يكرمه من عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافع قبل الإذن، ثم قال يعلم ما بين أيديهم أي: ما مضى من جميع الأمور ولا في الأرض فلماذا قال: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلها لله تعالى، ولكنه تعالى إذا أراد أن يرحم وما في الأرض أي: هو المالك وما سواه مملوك وهو الخالق الرازق المدبر وغيره مخلوق مرزوق مدبر لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات الاسم الأعظم الذي إذا دعي الله به أجاب، وإذا سئل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميته أن لا تأخذه سنة ولا نوم والسنة النعاس له ما في السماوات من الاستواء والنزول والكلام والقول والخلق والرزق والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كل ذلك داخل في قيومية الباري، ولهذا قال بعض المحققين: إنهما والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي أتصف بها رب العالمين من فعله ما يشاء هذان الاسمان الكريمان يدلان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مطابقة وتضمنا ولزوما، فالحي من له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع تعالى باطل، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقا ناقصا مدبرا فقيرا من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئا من أنواع العبادة، وقوله: الحي القيوم العبادة والطاعة والتأله له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مستحقا أن يكون عبدا لربه، ممتثلا لأوامره مجتنباً نواهيه، وكل ما سوى الله

## تفسير السعدي

نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن لا إله إلا هو أي: لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي تتعين أن تكون جميع أنواع لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلماذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، وذلك

والله سميع عليم فيجازي كلا منهما بحسب ما علمه منهم من الخير والشر، وهذا هو الغاية لمن استمسك بالعروة الوثقى ولمن لم يستمسك بها. 256 انفصام لها وأما من عكس القضية فكفر بالله وآمن بالطاغوت، فقد أطلق هذه العروة الوثقى التي بها العصمة والنجاة، واستمسك بكل باطل ماله إلى الجحيم بالعروة الوثقى أي: بالدين القويم الذي ثبتت قواعده ورسخت أركانه، وكان المتمسك به على ثقة من أمره، لكونه استمسك بالعروة الوثقى التي لا هو قول كثير من العلماء، فمن يكفر بالطاغوت فيترك عبادة ما سوى الله وطاعة الشيطان، ويؤمن بالله إيمانا تاما أوجب له عبادة ربه وطاعته فقد استمسك الحق، وأما القتال وعدمه فلم تتعرض له، وإنما يؤخذ فرض القتال من نصوص أخر، ولكن يستدل في الآية الكريمة على قبول الجزية من غير أهل الكتاب، كما ليس إيمانه صحيحا، ولا تدل الآية الكريمة على ترك قتال الكفار المحاربين، وإنما فيها أن حقيقة الدين من حيث هو موجب لقبوله لكل منصف قصد اتباع خبيث النفس يرى الحق فيختار عليه الباطل، ويبصر الحسن فيميل إلى القبيح، فهذا ليس له حاجة في إكراهه على الدين، لعدم النتيجة والفائدة فيه، والمكره تبينت أعلامه للعقول، وظهرت طريقه، وتبين أمره، وعرف الرشد من الغي، فالموفق إذا نظر أدنى نظر إليه أثره واختاره، وأما من كان سبي القصد فاسد الإرادة، إلى الإكراه عليه، لأن الإكراه لا يكون إلا على أمر خفية أعلامه، غامضة آثاره، أو أمر في غاية الكراهة للنفس، وأما هذا الدين القويم والصراط المستقيم فقد يخبر تعالى أنه لا إكراه في الدين لعدم الحاجة

وفاتهم النعيم والبهجة والمسرات، وكانوا من حزب الشيطان وأوليائه في دار الحسرة، فلماذا قال تعالى: أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 257 أزا، ويزعجونهم إلى الشر إزعاجا، فيخرجونهم من نور الإيمان والعلم والطاعة إلى ظلمة الكفر والجهل والمعاصي، فكان جزاؤهم على ذلك أن حرّموا الخيرات، الطاغوت فتولوا الشيطان وحزبه، واتخذوه من دون الله وليا ووالوه وتركوا ولاية ربهم وسيدهم، فسلطهم عليهم عقوبة لهم فكانوا يؤزّونهم إلى المعاصي والطاعة والعلم، وكان جزاؤهم على هذا أن سلمهم من ظلمات القبر والحشر والقيامة إلى النعيم المقيم والراحة والفسحة والسرور والذين كفروا أولياؤهم قد اتخذوه حبيبا ووليا، ووالوا أوليائه وعادوا أعداءه، فتولاهم بلطفه ومن عليهم بإحسانه، فأخرجهم من ظلمات الكفر والمعاصي والجهل إلى نور الإيمان ثم ذكر السبب الذي أوصلهم إلى ذلك فقال: الله ولي الذين آمنوا وهذا يشمل ولايتهم لرهبهم، بأن تولوه فلا يبيعون عنه بدلا ولا يشركون به أحدا،

بل ربها وخالقها سبحانه يأتي بها من مشرقها فتنتقاد لأمره ومشيتته، فهي مربوبة مسخرة مدبرة، لا إله يعبد من دون الله. من مفتاح دار السعادة 258 يتخذ الصنم على صورته، ويعبد من دونه، وكذلك الكواكب أظهرها وأكبرها للحس هذه الشمس وهي مربوبة مدبرة مسخرة، لا تصرف لها بنفسها بوجه ما، ولا يصلح الحي الذي يموت للإلهية لا في حال حياته ولا بعد موته، فإن له ربا قادرا قاهرا متصرفا فيه إحياء وإماتة، ومن كان كذلك فكيف يكون إلها حتى الكواكب والقبور، ثم صورت الأصنام على صورها، فتضمن الدليلان اللذان استدل بهما إبراهيم إبطال إلهية تلك جملة بأن الله وحده هو الذي يحيي ويميت، بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال، قال ابن القيم رحمه الله: وفي هذه المناظرة نكتة لطيفة جدا، وهي أن شرك العالم إنما هو مستند إلى عبادة كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: والله لا يهدي القوم الظالمين بل يبيقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو يقدح في سبيله بهت الذي كفر أي: تحير فلم يرجع إليه جوابا وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبتل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق أحد حتى ذلك الكافر فأت بها من المغرب وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقا في دعواه، فلما قال له أمرا لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحا ويتكلم بشيء لا يصلح أن يكون شبهة فضلا عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل فقال إبراهيم: فإن الله يأتي بالشمس من المشرق أي: عيانا يقر به كل وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصا فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: أنا أحيي وأميت ولم يقل أنا الذي أحيي وأميت، لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، يفعل الله، فقال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء وما حمله على ذلك إلا أن آتاه الله الملك فطغى وبغى ورأى نفسه مترئسا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله فزعم أنه يفعل كما يقول تعالى: ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أي: إلى جرأته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك،

وإبقاء طعامه وشرابه بحاله، والثالث في قوله: فلما تبين له أي: تبين له أمر كان يجهله ويخفى عليه، فعلم بذلك صحة ما ذكرناه، والله أعلم. 259 كثير فائدة، ما الفائدة الدالة على إحياء الله للموتى في قرية خربت ثم رجع إليها أهلها أو غيرهم فعمروها؟! وإنما الدليل الحقيقي في إحيائه وإحياء حمارة وحمارة ونفسه ليراه بعينه فيقر بما أنكره، ولم يذكر في الآية أن القرية المذكورة عمرت وعادت إلى حالتها، ولا في السياق ما يدل على ذلك، ولا في ذلك ودليلا للناس لثلاثة أوجه أحدها قوله أني يحيي هذه الله بعد موتها ولو كان نبيا أو عبدا صالحا لم يقل ذلك، والثاني: أن الله أراه آية في طعامه وشرابه له ذلك وعلم قدرة الله تعالى قال أعلم أن الله على كل شيء قدير والظاهر من سياق الآية أن هذا رجل منكر للبعث أراد الله به خيرا، وأن يجعله آية وانظر إلى العظام كيف ننشزها أي: ندخل بعضها في بعض، ونركب بعضها ببعض ثم نكسوها لحما فنظر إليها عيانا كما وصفها الله تعالى، فلما تبين ولنجعلك آية للناس على قدرة الله وبعثه الأموات من قبورهم، لتكون أنموذجا محسوسا مشاهدا بالأبصار، فيعلموا بذلك صحة ما أخبرت به الرسل



## تفسير السعدي

التغير والفساد، مع أن الطعام والشراب من أسرع الأشياء فسادا وانظر إلى حمارك وكان قد مات وتمزق لحمه وجلده وانتثرت عظامه، وتفرقت أوصاله طعامك وشرابك لم يتسنه أي: لم يتغير بل بقي على حاله على تطاول السنين واختلاف الأوقات عليه، ففيه أكبر دليل على قدرته حيث أبقاؤه وحفظه عن يوما أو بعض يوم استقصارا لتلك المدة التي مات فيها لكونه قد زالت معرفته وحواسه وكان عهد حاله قبل موته، فقليل له بل لبثت مائة عام فانظر إلى وجهه لا قدرة الله تعالى، فلما أراد الله به خيرا أراه آية في نفسه وفي حمارة، وكان معه طعام وشراب، فأما الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت على عروشه، فلم يبق بها أنيس بل بقيت موحشة من أهلها مقفرة، فوقف عليها ذلك الرجل متعجبا و قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها استبعادا لذلك على توحيد الله بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء، فقال: أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها أي: قد باد أهلها وفني سكانها وسقطت حيطانها وهذا أيضا دليل آخر

كالمدكور في هذه الآية ونحوها، ونوع غير مخرج من الإيمان كما في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الآية. 26 اقتضت حكمته وفضله هداية من اتصف بالإيمان وتحلى بالأعمال الصالحة. والفسق نوعان: نوع مخرج من الدين، وهو الفسق المقتضي للخروج من الإيمان الخارجين عن طاعة الله المعاندين لرسول الله الذين صار الفسق وصفهم فلا يبيغون به بدلا، فاقتضت حكمته تعالى إضلالهم لعدم صلاحيتهم للهدى، كما من فاوت بين عباده، وانفرد بالهداية والإضلال. ثم ذكر حكمته في إضلال من يضلهم وأن ذلك عدل منه تعالى فقال: وما يضل به إلا الفاسقين أي: العباد من نزول الآيات القرآنية، ومع هذا تكون لقوم محنة وحيرة وضلالة وزيادة شر إلى شرهم، ولقوم منحة ورحمة وزيادة خير إلى خيرهم، فسبحان هذه إيمانا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون فلا أعظم نعمة على يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فهذه حال المؤمنين والكافرين عند نزول الآيات القرآنية. قال تعالى: وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا فيعترضون ويتحيرون، فيزدادون كفرا إلى كفرهم، كما ازداد المؤمنون إيمانا على إيمانهم، ولهذا قال: علمهم وإيمانهم، وإلا علموا أنها حق، وما اشتملت عليه حق، وإن خفي عليهم وجه الحق فيها لعلمهم بأن الله لم يضلها عبثا، بل لحكمة بالغة، ونعمة سابغة. والشكر. ولهذا قال: فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم فيتفهمونها، ويتفكرون فيها. فإن علموا ما اشتملت عليه على وجه التفصيل، ازداد بذلك الأمثال في الأشياء الحقة، واعتراض على الله في ذلك. فليس في ذلك محل اعتراض. بل هو من تعليم الله لعباده ورحمته بهم. فيجب أن تتلقى بالقبول ما أي: أي مثل كان بعوضة فما فوقها لاشتمال الأمثال على الحكمة، وإيضاح الحق، والله لا يستحيي من الحق، وكان في هذا جوابا لمن أنكر ضرب يقول تعالى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا

سخر بها المخلوقات، فلم يستعص عليه شيء منها، بل هي منقادة لعزته خاضعة لجلاله، ومع ذلك فأفعاله تعالى تابعة لحكمته، لا يفعل شيئا عبثا: 260 أراه الله إياه في قوله وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين ثم قال: واعلم أن الله عزيز حكيم أي: ذو قوة عظيمة تحصل لهن حياة كاملة، ويأتينك في هذه القوة وسرعة الطيران، ففعل إبراهيم عليه السلام ذلك وحصل له ما أراد وهذا من ملكوت السماوات والأرض الذي أي: مزقه، اخلط أجزاءهن بعضها ببعض، واجعل على كل جبل، أي: من الجبال التي في القرب منه، جزء من تلك الأجزاء ثم ادعهن يأتينك سعيا أي: العرفان، فقال له ربه فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك أي: ضمنهن ليكون ذلك بمرأى منك ومشاهدة وعلى يدك. ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فلماذا قال الله له: أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمنن قلبي وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان ويكمل به الإيقان ويسعى في نيته أولو عن خليله إبراهيم أنه سأله أن يريه بصره كيف يحيي الموتى، لأنه قد تيقن ذلك بخبر الله تعالى، ولكنه أحب أن يشاهده عيانا ليحصل له مرتبة عين اليقين، وهذا فيه أيضا أعظم دلالة حسية على قدرة الله وإحيائه الموتى للبعث والجزاء، فأخبر تعالى

لعلمهم يرجعون إليه وينيبون إليه، فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم ولا تغني عنهم الآيات ولا تفيد بهم المثالات أنزل بهم عقابه وحرهم جزيل ثوابه. 261 هذا فهو حليم على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه يمنعه من معاجلته للعاصين، بل يمهلهم ويصرف لهم الآيات مخلوقات، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم، والله غني عنها، ومع فالعبد لا يمن بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضا فإن المان مستعبد لمن يمن عليه، والذل والاستعباد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع الآيات أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسدا لها محرما، لأن المنة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضا بترك المؤاخذه، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمن أو غيره، ومفهوم مؤاخذته والعفو عنه، ويدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له ومغفرة لمن أساء إليك بترك ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملا خالصا لله سالما من المفسدات. قول معروف أي: تعرفه القلوب ولا ويفسدها من المن بها على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية، فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله، ولا يتبعونها بما ينقصها

فهؤلاء لهم أجرهم اللائق بهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فحصل لهم الخير واندفع عنهم الشر لأنهم عملوا عملا خالصا لله سالما من المفسدات. 262 ولا يتبعونها بما ينقصها ويفسدها من المن بها على المنفق عليه بالقلب أو باللسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابلته، ولا أذية له قولية أو فعلية،

أي: الذين ينفقون أموالهم في طاعة الله وسبيله،

لعلهم يرجعون إليه وينيبون إليه، فإذا علم تعالى أنه لا خير فيهم ولا تغني عنهم الآيات ولا تفيد بهم المثالات أنزل بهم عقابه وحرّمهم جزيلا ثوابه. 263 هذا فهو حليم على من عصاه لا يعاجله بعقوبة مع قدرته عليه، ولكن رحمته وإحسانه وحلمه يمنعه من معاجلته للعاصين، بل يمهّلهم ويصرف لهم الآيات مخلوقات، وكلها مفتقرة إليه بالذات في جميع الحالات والأوقات، فصدقتكم وإنفاقكم وطاعاتكم يعود مصلحتها إليكم ونفعها إليكم، والله غني عنها، ومع فالعبد لا يمن بنعمة الله وإحسانه وفضله وهو ليس منه، وأيضا فإن المان مستعبد لمن يمن عليه، والذل والاستعبد لا ينبغي إلا لله، والله غني بذاته عن جميع الآيات أن الصدقة التي لا يتبعها أذى أفضل من القول المعروف والمغفرة، وإنما كان المن بالصدقة مفسدا لها محرما، لأن المنة لله تعالى وحده، والإحسان كله لله، إحسان قولي، والمغفرة إحسان أيضا بترك المؤاخذه، وكلاهما إحسان ما فيه مفسد، فهما أفضل من الإحسان بالصدقة التي يتبعها أذى بمن أو غيره، ومفهوم مؤاخذته والعفو عنه، ويدخل فيه العفو عما يصدر من السائل مما لا ينبغي، فالقول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها أذى، لأن القول المعروف تنكره، ويدخل في ذلك كل قول كريم فيه إدخال السرور على قلب المسلم، ويدخل فيه رد السائل بالقول الجميل والدعاء له ومغفرة لمن أساء إليك بترك قول معروف أي: تعرفه القلوب ولا

لا يملك لهم ضررا ولا نفعا وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية، فهذا قال: والله لا يهدي القوم الكافرين 264 تمنع من انتفاعه بشيء من عمله، فهذا لا يقدر على شيء من أعمالهم التي اكتسبها، لأنهم وضعوها في غير موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب وتبين أن عمله بمنزلة السراب، وأن قلبه غير صالح لنبات الزرع وزكائه عليه، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة المرائي، قلبه غليظ قاس بمنزلة الصفوان، وصدقته ونحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصفوان، إذا رآه الجاهل بحاله ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، كمثل صفوان وهو الحجر الأملس الشديد عليه تراب فأصابه وابل أي: مطر غزير فتركه صلبا أي: ليس عليه شيء من التراب، فكذا حال هذا شك أن عمله من أصله مردود، لأن شرط العمل أن يكون لله وحده وهذا في الحقيقة عمل للناس لا لله، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور، فمثله المطابق لحاله بذلك وجه الله في ابتداء الأمر، فإن المنة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراعاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا تكميل الأعمال وحفظها من كل ما يفسدها لن لا يضيع العمل سدى، وقوله: كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر أي: أنتم وإن قصدتم وأنتم لا تشعرون فكما أن الحسنات يذهبن السيئات فالسيئات تبطل ما قابلها من الحسنات، وفي هذه الآية مع قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم حث على يبطل الصدقة، ويستدل بهذا على أن الأعمال السيئة تبطل الأعمال الحسنة، كما قال تعالى: ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم ينهى عباده تعالى لطفًا بهم ورحمة عن إبطال صدقاتهم بالمن والأذى ففيه أن المن والأذى

له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: والله بما تعملون بصير فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازه عليه أتم الجزاء 265 ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه أنواع المسرات والفرحات، ومع هذا تجد النفوس عنه راغبة، والعزائم عن طلبه خادمة، أترى ذلك زهدا في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعده الله ورجاء عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتنا وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه نفسك، الذي يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمي له ما أنفق أتم تنمية وأكملها والمنمي لها هو الذي أرحم بك من أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها فإن لم يصبها وابل فطل أي: مطر قليل يكفيها أكثر الثمار وأحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح والشمس، ف أصابها أي: تلك الجنة التي بربوة وابل وهو المطر الغزير فأتت أكلها ضعفين غزيرة الظلال، من الاجتنان وهو الستر، لستر أشجارها ما فيها، وهذه الجنة بربوة أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار ووسطه وآخره، فثماره فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتا من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء كمثل جنة أي: كثيرة الأشجار النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدا الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، الله أي: قصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه وتثبيتا من أنفسهم أي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة

صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيما وخطره جسيما، فهذا أمر تعالى بالتفكر وحث عليه، فقال: كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون 266 الحال وكان له أدنى مسكة من عقل لم يقدم على ما فيه ضرته ونهاية حسرته ولكن ضعف الإيمان والعقل وقلة البصيرة يصير صاحبه إلى هذه الحالة التي لو كان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمل نفعه هباء منثورا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه. والله سريع الحساب فلو علم الإنسان وتصور هذه يحصل له من عمله جنة موصوفة بغاية الحسن والبهاء، وتلك المفسدات التي تفسد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار، والعبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات من الهم والغم والحزن، فلو قدر أن الحزن يقتل صاحبه لقتله الحزن، كذلك من عمل عملا لوجه الله فإن أعماله بمنزلة البذر للزروع والثمار، ولا يزال كذلك حتى أصاب تلك الجنة إعصار وهو الريح القوية التي تستدير ثم ترتفع في الجو، وفي ذلك الإعصار نار فاحترقت تلك الجنة، فلا تسأل عما لقي ذلك الذي أصابه الكبر ثم إنه أصابه الكبر فضعف عن العمل وزاد حرصه، وكان له ذرية ضعفاء ما فيهم معاونة له، بل هم كل عليه، ونفقته ونفقتهم من تلك الجنة، فبينما هو كذلك إذ

## تفسير السعدي

لفضلها وكثرة منافعها، لكونهما غذاء وقوتا وفاكهة وحلوى، وتلك الجنة فيها الأنهار الجارية التي تسقيها من غير مؤنة، وكان صاحبها قد اغتبط بها وسرته، لمن عمل عملا لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالا تفسده، فمثله كمثل صاحب هذا البستان الذي فيه من كل الثمرات، وخص منها النخل والعنب وهذا المثل مضروب

هذا فهو حميد على ما يأمركم به من الأوامر الحميدة والخصال السديدة، فعليكم أن تمتثلوا أوامره لأنها قوت القلوب وحياة النفوس ونعيم الأرواح 267 الذي لا ترغبونه ولا تأخذونه إلا على وجه الإغماض والمسامحة واعلموا أن الله غني حميد فهو غني عنكم ونفع صدقاتكم وأعمالكم عائد إليكم، ومع تحصيله فأنفقوا منه شكرا لله وأداء لبعض حقوق إخوانكم عليكم، وتظهروا لأموالكم، واقتصدوا في تلك النفقة الطيب الذي تحبونه لأنفسكم، ولا تيمموا الرديء يأمر تعالى عباده المؤمنين بالنفقة من طيبات ما يسر لهم من المكاسب، ومما أخرج لهم من الأرض فكما من عليكم بتسهيل

من نائها، وأما الأموال التي غير معدة لذلك ولا مقدورا عليها فليس فيها هذا المعنى، ومنها: أن الرديء ينهى عن إخراجه ولا يجزئ في الزكاة 268 عند من لا يقدر ربه على استخراجها منه، ليس فيها زكاة، لأن الله أوجب النفقة من الأموال التي يحصل فيها النماء الخارج من الأرض، وأموال التجارة مواساة له وجبت عليه ومنها: أن الأموال المعدة للاقتناء من العقارات والأواني ونحوها ليس فيها زكاة، وكذلك الديون والغصب ونحوها إذا كانت مجهولة، أو في الخارج من الأرض من الحبوب والثمار والمعادن، ومنها: أن الزكاة على من له الزرع والتمر لا على صاحب الأرض، لقوله أخرجنا لكم فمن أخرجت بيان الأسباب الموجبة لذلك، ومنها: وجوب الزكاة من النقيدين وعروض التجارة كلها، لأنها داخلة في قوله: من طيبات ما كسبتم ومنها: وجوب الزكاة فيجازيكم عليها من سعته وفضله وإحسانه، فلينظر العبد نفسه إلى أي الداعيين يميل، فقد تضمنت هاتان الآيتان أمورا عظيمة منها: الحث على الإنفاق، ومنها: ثوابها وتوفيتها يوم القيامة، وليس هذا عظيما عليه لأنه واسع الفضل عظيم الإحسان عليم بما يصدر منكم من النفقات قليلها وكثيرها، سرها وعلنها، مغفرة لذنوبكم وتظهيرا لعيوبكم وفضلا وإحسانا إليكم في الدنيا والآخرة، من الخلف العاجل، وانشرح الصدر ونعيم القلب والروح والقبر، وحصول غاية الغش إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير بل أطيعوا ربكم الذي يأمركم بالنفقة على وجه يسهل عليكم ولا يضركم، ومع هذا فهو يعدكم وإياكم أن تتبعوا عدوكم الشيطان الذي يأمركم بالإمساك، ويخوفكم بالفقر والحاجة إذا أنفقتهم، وليس هذا نصحا لكم، بل هذا

بل أجابوا ما عرض لفطرهم من الفساد، وتركوا طاعة رب العباد، فهؤلاء ليسوا من أولي الأبواب، فهذا قال تعالى: وما يذكر إلا أولو الأبواب . 269 قسمين قسم أجابوا دعوتهم فتذكروا ما ينفعهم ففعلوه، وما يضرهم فتركوه، وهؤلاء هم أولو الأبواب الكاملة، والعقول التامة، وقسم لم يستجيبوا لدعوتهم، قد فطر عباده على عبادته ومحبة الخير والقصد للحق، فبعث الله الرسل مذكرين لهم بما ركز في فطرهم وعقولهم، ومفصلين لهم ما لم يعرفوه، انقسم الناس بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك، ولما كان الله تعالى فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوته العلمية والعملية فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرا كثيرا وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتها! وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، على الأسرار والحكم وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن من عليه وآتاه الله الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، وإن من لما أمر تعالى بهذه الأوامر العظيمة المشتمة

اتصف بالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر وحقيقة فوات الخير الذي كان العبد بصدد تحصيله وهو تحت إمكانه. 27 قد يكون كفرا وقد يكون معصية وقد يكون تفريطا في ترك مستحب، المذكور في قوله تعالى: إن الإنسان لفي خسر فهذا عام لكل مخلوق إلا من عام في كل أحوالهم ليس لهم نوع من الربح؛ لأن كل عمل صالح شرطه الإيمان فمن لا إيمان له لا عمل له وهذا الخسار هو خسار الكفر، وأما الخسار الذي والعمل بالمعاصي وهو: الإفساد في الأرض. ف فأولئك أي: من هذه صفته هم الخاسرون في الدنيا والآخرة، فحصر الخسارة فيهم لأن خسارتهم فوصلوا ما أمر الله به أن يوصل من هذه الحقوق، وقاموا بها أتم القيام، وأما الفاسقون، ففقطعوها، ونبدوها وراء ظهورهم معتاضين عنها بالفسق والقطيعة به ومحبتة وتعزيره والقيام بحقوقه، وما بيننا وبين والدين والأقارب والأصحاب وسائر الخلق بالقيام بتلك الحقوق التي أمر الله أن نصلها. فأما المؤمنون ما أمر الله به أن يوصل وهذا يدخل فيه أشياء كثيرة، فإن الله أمرنا أن نصل ما بيننا وبينه بالإيمان به والقيام بعبوديته، وما بيننا وبين رسوله بالإيمان الثقيلة والإلزامات، فلا يبالون بتلك الموائيق بل ينقضونها ويتركون أوامره ويرتكبون نواهيه وينقضون العهود التي بينهم وبين الخلق. ويقطعون ثم وصف الفاسقين فقال: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وهذا يعم العهد الذي بينهم وبينه والذي بينهم وبين عباده الذي أكد عليهم بالموائيق فإنه ظالم قد وضع الشيء في غير موضعه، واستحق العقوبة البليغة، ولم ينفعه أحد من الخلق ولم ينصره، فهذا قال: وما للظالمين من أنصار 270 بالفضل العظيم والثواب الجسيم، وإن لم ينق العبد ما وجب عليه من النفقات ولم يوف ما أوجبه على نفسه من المنذورات، أو قصد بذلك رضى المخلوقات، وإن الله تعالى يعلمها فلا يخفى عليه منها شيء، ويعلم ما صدرت عنه، هل هو الإخلاص أو غيره، فإن صدرت عن إخلاص وطلب لمرضاة الله جازى عليها وهذا فيه المجازاة على النفقات، واجبها ومستحبها، قليلها وكثيرها، التي أمر الله بها، والنذور التي ألزمها المكلف نفسه،

الثواب قال: ويكفر عنكم من سيئاتكم ففيه دفع العقاب والله بما تعملون خبير من خير وشر، قليل وكثير والمقصود من ذلك المجازاة. 271 على أنه ينبغي للمتصدق أن يتحرى بصدقته المحتاجين، ولا يعطي محتاجا وغيره أحوج منه، ولما ذكر تعالى أن الصدقة خير للمتصدق ويتضمن ذلك حصول

## تفسير السعدي

فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه، فهو أفضل من الإسرار، ودل قوله: وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ففي هذا أن صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأما إذا لم تؤت الصدقات الفقراء فمفهوم الآية أن السر ليس خيرا من العلانية، وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله فنعمها هي أي: فنعم الشيء هي لحصول المقصود بها وإن تخفوها أي: تسروها وتؤتوها الفقراء أي: إن تبدوا الصدقات فتظهروها

من خير يوف إليكم يوم القيامة تستوفون أجوركم وأنتم لا تظلمون أي: تنقصون من أعمالكم شيئا ولا مثقال ذرة، كما لا يزداد في سيناتكم. 272 هذا إخبار عن نفقات المؤمنين الصادرة عن إيمانهم أنها لا تكون إلا لوجه الله تعالى، لأن إيمانهم يمنعهم عن المقاصد الردية ويوجب لهم الإخلاص وما تنفقوا قال: وما تنفقوا من خير أي: قليل أو كثير على أي شخص كان من مسلم وكافر فلأنفسكم أي: نفعه راجع إليكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله ليس عليك هدي الخلق، وإنما عليك البلاغ المبين، والهداية بيد الله تعالى، ففيها دلالة على أن النفقة كما تكون على المسلم تكون على الكافر ولو لم يهتد، فهذا يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم

النفقة من حيث هي على أي شخص كان، فهي خير وإحسان وبر يثاب عليها صاحبها ويؤجر، فهذا قال: وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم 273 أي: إلحاح، بل إن صدر منهم سؤال إذا احتاجوا لذلك لم يلحوا على من سألو، فهؤلاء أولى الناس وأحقهم بالصدقات لما وصفهم به من جميل الصفات، وأما يتفرس بها ما هم عليه، وأما الفطن المتفرس فمجرد ما يراهم يعرفهم بعلامتهم، السادس قوله: لا يسألون الناس إلحافا أي: لا يسألونهم سؤال إلحاف، أنه قال: تعرفهم بسيماهم أي: بالعلامة التي ذكرها الله في وصفهم، وهذا لا ينافي قوله: يحسبهم الجاهل أغنياء فإن الجاهل بحالهم ليس له فطنة لا يستطيعون ضربا في الأرض أي: سفرا للتكسب، الرابع قوله: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف وهذا بيان لصدق صبرهم وحسن تعففهم. الخامس: أحصروا في سبيل الله أي: قصروها على طاعة الله من جهاد وغيره، فهم مستعدون لذلك محبوسون له، الثالث عجزهم عن الأسفار لطلب الرزق فقال: ثم ذكر مصرف النفقات الذين هم أولى الناس بها فوصفهم بست صفات أحدها الفقر، والثاني قوله:

المطلوب، ونجوا من الشرور والمهروب، ولما كمل تعالى حالة المحسنين إلى عبادته بأنواع النفقات ذكر حالة الظالمين المسيئين إليهم غاية الإساءة 274 ربهم أي: أجر عظيم من خير عند الرب الرحيم ولا خوف عليهم إذا خاف المقصرون ولا هم يحزنون إذا حزن المفرطون، ففازوا بحصول المقصود ينفقون أموالهم في سبيل الله أي: طاعته وطريق مرضاته، لا في المحرمات والمكروهات وشهوات أنفسهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ثم ذكر حالة المتصدقين في جميع الأوقات على جميع الأحوال فقال: الذين

سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلولا ما مع الإنسان من التوحيد لصار عمله صالحا للخلود فيها بقطع النظر عن كفره. 275 التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع خادون اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور وأمره إلى الله في مجازاته وفيما يستقبل من أموره ومن عاد إلى تعاطي الربا ولم تنفعه الموعظة، بل أصر على ذلك فأولئك أصحاب النار هم فيها فله ما سلف أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله للنصيحة، دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر وعظ وتذكير وترهيب عن تعاطي الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ، وإقامة للحجة عليه فانتهى عن فعله وانزجر عن تعاطيه والإجماع على ربا النسينة، وشذ من أباح ربا الفضل وخالف النصوص المستفيضة، بل الربا من كبائر الذنوب وموبقاتها فمن جاءه موعظة من ربه أي: بما يشاركه في العلة نسينة، ومنه جعل ما في الذمة رأس مال، سلم، وربا فضل، وهو بيع ما يجري فيه الربا بجنسه متفاضلا، وكلاهما محرم بالكتاب والسنة، أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع وحرم الربا لما فيه من الظلم وسوء العاقبة، والربا نوعان: ربا نسينة كبيع الربا عنهم، قال الله تعالى رادا عليهم ومبيناً حكمتهم العظيمة وأحل الله البيع أي: لما فيه من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه، وهذا عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت آراؤهم، وصاروا في هينتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخ العقل الأدبي الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين، ويحتمل أن يكون قوله: لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أنه لما انسلبت لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و قالوا إنما البيع مثل الربا وهذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهله، أو متجاهل عظيم عناده، جازاهم ليوم نشورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين يخبر تعالى عن أكلة الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم

يحب كل كفار لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره عباد الله أئيم أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته. 276 الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده والله لا إلى النار ويربي الصدقات أي: ينميها وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمي أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم تعالى: يحق الله الربا أي: يذهب ويذهب بركته ذاتا ووصفا، فيكون سببا لوقوع الآفات فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زادا له ثم قال

## تفسير السعدي

- عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص رءوس أموالكم. 277
- لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر وإن تبتم ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم،
- عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص رءوس أموالكم. 278
- لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر وإن تبتم ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم،
- عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص رءوس أموالكم. 279
- لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر وإن تبتم ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، ومن جملة تقواه أن يذروا لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر حالة المؤمنين وأجرهم،
- أفيليق بكم أن تكفروا به وهل هذا إلا جهل عظيم وسفه وحماقة ؟ بل الذي يليق بكم أن تؤمنوا به وتتقوه وتشكروه وتخافوا عذابه وترجوا ثوابه. 28
- والنشور ثم إليه ترجعون فيجازيكم الجزاء الأوفى، فإذا كنتم في تصرفه وتدبيره وبره وتحت أوامره الدينية ومن بعد ذلك تحت دينه الجزائي منكم الكفر بالله الذي خلقكم من العدم وأنعم عليكم بأصناف النعم ثم يميّتكم عند استكمال آجالكم ويجازيكم في القبور ثم يحييكم بعد البعث هذا استفهام بمعنى التعجب والتوبيخ والإنكار، أي: كيف يحصل
- وفاء فنظرة إلى ميسرة وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون إما بإسقاطها أو بعضها. 280
- وإن كان المدين ذو عسرة لا يجد
- على الصغير والكبير والجلي والخفي، وأن الله لا يظلمه مثقال ذرة، أوجب له الرغبة والرغبة، وبدون حلول العلم في ذلك في القلب لا سبيل إلى ذلك. 281
- ما نزل من القرآن، وجعلت خاتمة لهذه الأحكام والأوامر والنواهي، لأن فيها الوعد على الخير، والوعيد على فعل الشر، وأن من علم أنه راجع إلى الله فمجازيه خير لكم إن كنتم تعلمون إما بإسقاطها أو بعضها. واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهذه الآية من آخر رءوس أموالكم. وإن كان المدين ذو عسرة لا يجد وفاء فنظرة إلى ميسرة وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به وأن تصدقوا
- عزيز مقتدر وإن تبتم عن الربا فلكم رءوس أموالكم أي: أنزلوا عليها لا تظلمون من عاملتموه بأخذ الزيادة التي هي الربا ولا تظلمون بنقص ولم يقبل نصيحته فإنه مشاق لربه محارب له، وهو عاجز ضعيف ليس له يدان في محاربة العزيز الحكيم الذي يمهل للظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه، أخذه أخذ ومن جملة تقواه أن يذروا ما بقي من الربا أي: المعاملات الحاضرة الموجودة، وأما ما سلف، فمن اتعظ عفا الله عنه ما سلف، وأما من لم ينزجر بموعظة الله حالة المؤمنين وأجرهم، وخاطبهم بالإيمان، ونهاهم عن أكل الربا إن كانوا مؤمنين، وهؤلاء هم الذين يقبلون موعظة ربهم وينقادون لأمره، وأمرهم أن يتقوه، عباد الله أئيم أي: قد فعل ما هو سبب لإثمه وعقوبته. لما ذكر أكلة الربا وكان من المعلوم أنهم لو كانوا مؤمنين إيماناً ينفعهم لم يصدر منهم ما صدر ذكر الإحسان ربه أكرم منه، فيحسن عليه كما أحسن على عباده والله لا يحب كل كفار لنعم الله، لا يؤدي ما أوجب عليه من الصدقات، ولا يسلم منه ومن شره أجر صاحبها وهذا لأن الجزاء من جنس العمل، فإن المرابي قد ظلم الناس وأخذ أموالهم على وجه غير شرعي، فجوزي بذهاب ماله، والمحسن إليهم بأنواع فيه ونزع البركة عنه، وإن أنفق منه لم يؤجر عليه بل يكون زاداً له إلى النار ويربي الصدقات أي: ينميها وينزل البركة في المال الذي أخرجت منه وينمي لصار عمله صالحاً للخلود فيها بقطع النظر عن كفره. ثم قال تعالى: يذهب ويذهب بركته ذاتاً ووصفاً، فيكون سبباً لوقوع الآفات ما يمنعه ترتب عليه مقتضاه، وقد علم بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة أن التوحيد والإيمان مانع من الخلود في النار، فلو لا ما مع الإنسان من التوحيد الذنوب التي دون الشرك بالله، والأحسن فيها أن يقال هذه الأمور التي رتب الله عليها الخلود في النار موجبات ومقتضيات لذلك، ولكن الموجب إن لم يوجد تنفعه الموعظة، بل أصر على ذلك فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون اختلف العلماء رحمهم الله في نصوص الوعيد التي ظاهرها تخليد أهل الكبائر من للنصيحة، دل مفهوم الآية أن من لم ينته جوزي بالأول والآخر وأمره إلى الله في مجازاته وفيما يستقبل من أموره ومن عاد إلى تعاظم الربا ولم وإقامة للحجة عليه فانتهى عن فعله وانزجر عن تعاظمه فله ما سلف أي: ما تقدم من المعاملات التي فعلها قبل أن تبلغه الموعظة جزاء لقبوله كبائر الذنوب وموبقاتها فمن جاءه موعظة من ربه أي: وعظ وتذكير وترهيب عن تعاظم الربا على يد من قيضه الله لموعظته رحمة من الله بالموعوظ،

## تفسير السعدي

يجري فيه الربا بجنسه متفاضلا، وكلاهما محرم بالكتاب والسنة، والإجماع على ربا النسينة، وشذ من أباح ربا الفضل وخالف النصوص المستفيضة، بل الربا من لما فيه من الظلم وسوء العاقبة، والربا نوعان: ربا نسينة كبيع الربا بما يشاركه في العلة نسينة، ومنه جعل ما في الذمة رأس مال، سلم، وربا فضل، وهو بيع ما من عموم المصلحة وشدة الحاجة وحصول الضرر بتحريمه، وهذا أصل في حل جميع أنواع التصرفات الكسبية حتى يرد ما يدل على المنع وحرم الربا وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخ العقل الأدبي عنهم، قال الله تعالى رادا عليهم ومبيناً حكمته العظيمة وأحل الله البيع أي: لما فيه إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أنه لما انسلبت عقولهم في طلب المكاسب الربوية خفت أحلامهم وضعفت آراؤهم، وصاروا في هيئتهم إلا من جاهل عظيم جهله، أو متجاهل عظيم عناده، جازاهم الله من جنس أحوالهم فصارت أحوالهم أحوال المجانين، ويحتمل أن يكون قوله: لا يقومون فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النكال وعسر الوبال، فكما تقلبت عقولهم و قالوا إنما البيع مثل الربا وهذا لا يكون الربا وسوء مآلهم وشدة منقلبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم ليوم نشورهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس أي: يصرعه الشيطان بالجنون، يخبر تعالى عن أكلة

الأحكام مما يستنبط من هذه الآية الكريمة على حسب الحال الحاضرة والفهم القاصر، ولله في كلامه حكم وأسرار يخص بها من يشاء من عباده. 282 فيها العرف في كل مكان وزمان، فكل من كان مرضيا معتبرا عند الناس قبلت شهادته، الخمسون: يؤخذ منها عدم قبول شهادة المجهول حتى يزكى، فهذه وحقه أن يتقدم على ما هنا لتقدم موضعه اشتراط العدالة في الشاهد لقوله: ممن ترضون من الشهداء التاسع والأربعون: أن العدالة يشترط تتجزأ في الإنسان، فتكون فيه مادة فسق وغيرها، وكذلك مادة إيمان وكفر لقوله: فإنه فسوق بكم ولم يقل فأنتم فاسقون أو فساق. الثامن والأربعون: هذه المحرمات من خصال الفسق لقوله: وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم السابع والأربعون أن الأوصاف كالفسق والإيمان والنفاق والعداوة والولاية ونحو ذلك والكاتب أن يضار صاحب الحق بالامتناع أو طلب أجرة شاقة ونحو ذلك، وهذان هما الرابع والأربعون والخامس والأربعون والسادس والأربعون أن ارتكاب في مرض أو شغل يشق عليه، أو غير ذلك هذا على جعل قوله: ولا يضار كاتب ولا شهيد مبني للمجهول، وأما على جعلها مبني للفاعل ففيه نهي الشاهد النهي عن مضارة الكاتب بأن يدعى وقت اشتغال وحصول مشقة عليه، الثالث والأربعون: النهي عن مضارة الشهيد أيضا بأن يدعى إلى تحمل الشهادة أو أدائها إلى الكتابة، الحادي والأربعون: أنه وإن رخص في ترك الكتابة في التجارة الحاضرة، فإنه يشرع الإشهاد لقوله: وأشهدوا إذا تبايعتم الثاني والأربعون: إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها فيه الرخصة في ترك الكتابة إذا كانت التجارة حاضرا بحاضر، لعدم شدة الحاجة الشك والريب والتنازع والتشاجر، التاسع والثلاثون: يؤخذ من ذلك أن من اشتبه وشك في شهادته لم يجز له الإقدام عليها بل لا بد من اليقين، الأربعون: قوله: أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا فإنها متضمنة للعدل الذي به قوام العباد والبلاد، والشهادة المقترنة بالكتابة تكون أقوم وأكمل وأبعد من صغير وكبير وصفة الأجل وجميع ما احتوى عليه العقد من الشروط والقيود، الثامن والثلاثون: بيان الحكمة في مشروعية الكتابة والإشهاد في العقود، وأنه الشهداء المقبولة شهادتهم، لم يجب عليه الإجابة لعدم الفائدة بها ولأنه ليس من الشهداء، السابع والثلاثون: النهي عن السأمة والضجر من كتابة الديون كلها أنه يجب على الشاهد إذا دعي للشهادة وهو غير معذور، لا يجوز له أن يأبى لقوله: ولا يأبى الشهداء إذا ما دعوا السادس والثلاثون: أن من لم يتصف بصفة يؤخذ من المعنى أن الشاهد إذا خاف نسيان شهادته في الحقوق الواجبة وجب عليه كتابتها، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، والخامس والثلاثون: المرأتين لقوة حفظه ونقص حفظها، الثالث والثلاثون: أن من نسي شهادته ثم ذكرها فذكر فشهادته مقبولة لقوله: فتذكر إحداها الأخرى الرابع والثلاثون: أو نساء غير مقبولة، لأنهم ليسوا منا، ولأن مبنى الشهادة على العدالة وهو غير عدل، الثاني والثلاثون: فيه فضيلة الرجل على المرأة، وأن الواحد في مقابلة العبد البالغ مقبولة كشهادة الحر لعموم قوله: واستشهدوا شهيدين من رجالكم والعبد البالغ من رجالنا، الحادي والثلاثون: أن شهادة الكفار ذكورا كانوا يقبلهن إلا مع الرجل، وقد يقال إن الله أقام المرأتين مقام رجل للحكمة التي ذكرها وهي موجودة سواء كن مع رجل أو منفردات والله أعلم. الثلاثون: أن شهادة الثامن والعشرون: أن شهادة الصبيان غير مقبولة لمفهوم لفظ الرجل، التاسع والعشرون: أن شهادة النساء منفردات في الأموال ونحوها لا تقبل، لأن الله لم به يحفظ الحق واجبا، السابع والعشرون: أن نصاب الشهادة في الأموال ونحوها رجلان أو رجل وامرأتان، ودلت السنة أيضا أنه يقبل الشاهد مع يمين المدعي، الإرشاد إلى ما يحفظ الحقوق، فهو عائد لمصلحة المكلفين، نعم إن كان المتصرف ولي يقيم أو وقف ونحو ذلك مما يجب حفظه تعين أن يكون الإشهاد الذي الله أمر بكتابة الديون وغيرها، ولا يحصل ذلك إلا بالتعلم، السادس والعشرون: أنه مأمور بالإشهاد على العقود، وذلك على وجه الندب، لأن المقصود من ذلك من صاحبه، لأن المقصود من ذلك التوثيق والعدل، وما لا يتم المشروع إلا به فهو مشروع، الخامس والعشرون: أن تعلم الكتابة مشروع، بل هو فرض كفاية، لأن الثالث والعشرون: صحة تصرف الولي في مال من ذكر، الرابع والعشرون: فيه مشروعية كون الإنسان يتعلم الأمور التي يتوكل بها المتدينون كل واحد والسفيه والمجنون والمعتوه ونحوهم وتصرفهم غير صحيح، لأن الله جعل الإملاء لوليهم، ولم يجعل لهم منه شيئا لطفاً بهم ورحمة، خوفا من تلاف أموالهم، ثبوت الولاية في الأموال، الحادي والعشرون: أن الحق يكون على الصغير والسفيه والمجنون والضعيف، لا على وليهم، الثاني والعشرون: أن إقرار الصغير يلزم من عليه الحق من العدل، وعدم البخس لقوله بالعدل التاسع عشر: أنه يشترط عدالة الولي، لأن الإملاء بالعدل المذكور لا يكون من فاسق، العشرون: أن من لا يقدر على إملاء الحق لصغره أو سفهه أو خرسه، أو نحو ذلك، فإنه ينوب وليه منابه في الإملاء والإقرار، الثامن عشر: أنه يلزم الولي من العدل ما عشر: أنه يحرم على من عليه حق من الحقوق أن يبخل وينقص شيئا من مقداره، أو طيبه وحسنه، أو أجله أو غير ذلك من توابعه ولواحقه، السابع عشر: أن قوله هو المقبول دون قول من له الحق، لأنه تعالى لم ينهه عن بخس الحق الذي عليه، إلا أن قوله مقبول على ما يقوله من مقدار الحق وصفته، السادس

## تفسير السعدي

به على نفسه، ولو ادعى بعد ذلك غلطا أو سهوا، الخامس عشر: أن من عليه حقا من الحقوق التي البيئة على مقدارها وصفتها من كثرة وقلة وتعجيل وتأجيل، شيئا، الرابع عشر: أن إقرار الإنسان على نفسه مقبول، لأن الله أمر من عليه الحق أن يمل على الكاتب، فإذا كتب إقراره بذلك ثبت موجهه ومضمونه، وهو ما أقر لا يكتب إلا ما أملاه من عليه الحق، الثاني عشر: أن الذي يمل من المتعاقدين من عليه الدين، الثالث عشر: أمره أن يبين جميع الحق الذي عليه ولا يبخل منه أن يكتب بين المتدائنين، فكما أحسن الله إليه بتعليمه، فليحسن إلى عباد الله المحتاجين إلى كتابته، ولا يمتنع من الكتابة لهم، الحادي عشر: أمر الكاتب أن المعروف بالعدالة المذكورة يعمل بها، ولو كان هو والشهود قد ماتوا، العاشر: قوله: ولا يأب كاتب أن يكتب أي: لا يمتنع من من الله عليه بتعليمه الكتابة واحد منهما، وما يحصل به التوثيق، لأنه لا سبيل إلى العدل إلا بذلك، وهذا مأخوذ من قوله: وليكتب بينكم كاتب بالعدل التاسع: أنه إذا وجدت وثيقة بخط ولا كتابته، السابع أنه يجب عليه العدل بينهما، فلا يميل لأحدهما لقربة أو صداقة أو غير ذلك، الثامن: أن يكون الكاتب عارفا بكتابة الوثائق وما يلزم فيها كل والنسيان والمنازعة والمشاجرة شر عظيم، الخامس: أمر الكاتب أن يكتب، السادس: أن يكون عدلا في نفسه لأجل اعتبار كتابته، لأن الفاسق لا يعتبر قوله حالا ولا إلى أجل مجهول، الرابع: الأمر بكتابة جميع عقود المداينات إما وجوبا وإما استحبابا لشدة الحاجة إلى كتابتها، لأنها بدون الكتابة يدخلها من الغلط التي عليها المؤمنون إخبار مقرر لها ذاكرا أحكامها، وذلك يدل على الجواز، الثاني والثالث أنه لا بد للسلم من أجل وأنه لا بد أن يكون معيننا معلوما فلا يصح أطول آيات القرآن، وقد اشتملت على أحكام عظيمة جليلة المنفعة والمقدار، أحدها: أنه تجوز جميع أنواع المداينات من سلم وغيره، لأن الله أخبر عن المداينة هذه آية الدين، وهي

وحفظ الحقوق وقطع المشاجرات والمنازعات، وانتظام أمر المعاش، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه لا نحصى ثناء عليه. 283

الله عباده إليها على حكم عظيمة ومصالح عيمة دلت على أن الخلق لو اهتموا بإرشاد الله لصلحت دنياهم مع صلاح دينهم، لاشتمالها على العدل والمصلحة، ويترتب على ذلك فوات حق من له الحق، ولهذا قال تعالى: ومن يكتنمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم وقد اشتملت هذه الأحكام الحسنة التي أرشد ولا تكتنموا الشهادة لأن الحق مبني عليها لا يثبت بدونها، فكتنمها من أعظم الذنوب، لأنه يترك ما وجب عليه من الخبر الصدق ويخبر بضده وهو الكذب، من دون رهن فعلى من عليه الحق أن يؤدي إليه كاملا غير ظالم له ولا باخس حقه وليتق الله ربه في أداء الحق ويجازي من أحسن به الظن بالإحسان السفر، لأنه في مظنة الحاجة إليه لعدم الكاتب فيه، هذا كله إذا كان صاحب الحق يحب أن يتوثق لحقه، فما كان صاحب الحق آمنا من غريمه وأحب أن يعامله الحق، فلولا أن قول المرتهن مقبول في قدر الذي رهنه به لم يحصل المعنى المقصود، ولما كان المقصود بالرهن التوثيق جاز حضرا وسفرا، وإنما نص الله على ودل أيضا على أن الراهن والمرتهن لو اختلفا في قدر ما رهنه به، كان القول قول المرتهن، ووجه ذلك أن الله جعل الرهن عوضا عن الكتابة في توثيق صاحب به التوثيق فرهان مقبوضة أي: يقبضها صاحب الحق وتكون وثيقة عنده حتى يأتيه حقه، ودل هذا على أن الرهن غير المقبوضة لا يحصل منها التوثيق، أي: إن كنتم مسافرين ولم تجدوا كاتبًا يكتب بينكم ويحصل

ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره ومشينته وتقديره وجزائه 284

الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم ونهاهم وسيحاسبهم على ما أسروه وأعلنوه، فيغفر لمن يشاء وهو لمن أتى بأسباب المغفرة، خلقهم ورزقهم ودبرهم لمصالحهم الدينية والدنيوية، فكانوا ملكا له وعبيدا، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وهو ربهم ومالكهم هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات وما في الأرض، الجميع

ويعذب من يشاء بذنبه الذي لم يحصل له ما يكفره والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، بل كل الخلق طوع قهره ومشينته وتقديره وجزائه 285

الذي يتصرف فيهم بحكمته وعدله وإحسانه، وقد أمرهم ونهاهم وسيحاسبهم على ما أسروه وأعلنوه، فيغفر لمن يشاء وهو لمن أتى بأسباب المغفرة، خلقهم ورزقهم ودبرهم لمصالحهم الدينية والدنيوية، فكانوا ملكا له وعبيدا، لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، وهو ربهم ومالكهم هذا إخبار من الله أنه له ما في السماوات وما في الأرض، الجميع

وترزقنا الإيمان والأعمال التي يحصل بها النصر، والحمد لله رب العالمين. تم تفسير سورة البقرة بعون الله وتوفيقه صلى الله على محمد وسلم 286

القوم الكافرين، الذين كفروا بك وبرسك، وقاوموا أهل دينك ونبذوا أمرك، فانصرونا عليهم بالحجة والبيان والسيوف والسنان، بأن تمكن لنا في الأرض وتخذلهم الأوقات، ثم أنعمت علينا بالنعمة العظيمة والمنحة الجسيمة، وهي نعمة الإسلام التي جميع النعم تبع لها، فنسألك يا ربنا ومولانا تمام نعمتك بأن تنصرونا على والشروع، والرحمة يحصل بها صلاح الأمور أنت مولانا أي: ربنا ومليكننا وإلهنا الذي لم تزل ولايتك إيانا منذ أوجدتنا وأنشأتنا فنعمك دارة علينا متصلة عدد ما لم يخففه على غيرها ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وقد فعل وله الحمد واعف عنا واغفر لنا وارحمنا فالعفو والمغفرة يحصل بهما دفع المكاره علينا إصرًا أي: تكاليف مشقة كما حملته على الذين من قبلنا وقد فعل تعالى فإن الله خفف عن هذه الأمة في الأوامر من الطهارات وأحوال العبادات نفسا أو مالا فليس عليه إثم، وإنما الضمان مرتب على مجرد الإلتلاف، وكذلك المواضع التي تجب فيها التسمية إذا تركها الإنسان ناسيا لم يضر. ربنا ولا تحمل أو فعل محظورا من محظورات الإحرام التي ليس فيها إلتلاف ناسيا، فإنه معفو عنه، وكذلك لا يحث من فعل المحلوف عليه ناسيا، وكذلك لو أخطأ فأنلف ما يقع بهما رحمة بهم وإحسانا، فعلى هذا من صلى في ثوب مغصوب، أو نجس، أو قد نسي نجاسة على بدنه، أو تكلم في الصلاة ناسيا، أو فعل مفطرا ناسيا، ذهول القلب عن ما أمر به فيتركه نسيانا، والخطأ: أن يقصد شيئا يجوز له قصده ثم يقع فعله على ما لا يجوز له فعله: فهذان قد عفا الله عن هذه الأمة بذلك، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله قال: قد فعلت. إجابة لهذا الدعاء، فقال ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا والفرق بينهما: أن النسيان:

## تفسير السعدي

معه وأن كل عامل سيجازى بعمله، وكان الإنسان عرضة للتقصير والخطأ والنسيان، وأخبر أنه لا يكلفنا إلا ما نطيق وتسعه قوتنا، أخبر عن دعاء المؤمنين بـ اكتسب في عمل الشر للدلالة على أن عمل الشر لا يكتب على الإنسان حتى يعمل به ويحصل سعيه، ولما أخبر تعالى عن إيمان الرسول والمؤمنين ولا تذهب حسنات العبد لغيره، وفي الإتيان بـ كسب في الخير الدال على أن عمل الخير يحصل للإنسان بأدنى سعي منه بل بمجرد نية القلب وأتى بعضه كما في التخفيف عن المريض والمسافر وغيرهم، ثم أخبر تعالى أن لكل نفس ما كسبت من الخير، وعليها ما اكتسبت من الشر، فلا تزر وازرة وزر أخرى أمر العباد بما أمرهم به رحمة وإحساناً، ومع هذا إذا حصل بعض الأعداء التي هي مظنة المشقة حصل التخفيف والتسهيل، إما بإسقاطه عن المكلف، أو إسقاط في الدين من حرج فأصل الأوامر والنواهي ليست من الأمور التي تشق على النفوس، بل هي غذاء للأرواح ودواء للأبدان، وحمية عن الضرر، فالله تعالى المستقرة وغيرها مؤاخذون به، فأخبرهم بهذه الآية أنه لا يكلف نفساً إلا وسعها أي: أمراً تسعه طاقتها، ولا يكلفها ويشق عليها، كما قال تعالى ما جعل عليكم نزل قوله تعالى وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله شق ذلك على المسلمين لما توهّموا أن ما يقع في القلب من الأمور اللازمة والعارضة لما

علمه كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير لأن خلقه للمخلوقات، أدل دليل على علمه، وحكمته، وقدرته. 29 في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها و يعلم ما تسرون وما تعلنون يعلم السر وأخفى. وكثيراً ما يقرن بين خلقه للخلق وإثبات الآية، أي: لما خلق تعالى الأرض، قصد إلى خلق السماوات فسواهن سبع سماوات فخلقها وأحكمها، وأتقنها، وهو بكل شيء عليم ف يعلم ما يلج كما في قوله تعالى: ثم استوى على العرش لتستووا على ظهوره وتارة تكون بمعنى قصد كما إذا عدت بـ إلى كما في هذه معناها، الكمال والتمام، كما في قوله عن موسى: ولما بلغ أشده واستوى وتارة تكون بمعنى علا و ارتفع وذلك إذا عدت بـ على لنا. وقوله: ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم استوى ترد في القرآن على ثلاثة معاني: فتارة لا تعدى بالحرف، فيكون أيضاً يؤخذ من فحوى الآية، ومعرفة المقصود منها، وأنه خلقها لنفعنا، فما فيه ضرر، فهو خارج من ذلك، ومن تمام نعمته، منعنا من الخبائث، تنزيها والاعتبار. وفي هذه الآية العظيمة دليل على أن الأصل في الأشياء الإباحة والطهارة، لأنها سيق في معرض الامتنان، يخرج بذلك الخبائث، فإن تحريرها هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً أي: خلق لكم، برا بكم ورحمة، جميع ما على الأرض، للارتفاع والاستمتاع

على عبده، فعنوان سعادة العبد إخلاصه للمعبود، وسعيه في نفع الخلق، كما أن عنوان شقاوة العبد عدم هذين الأمرين منه، فلا إخلاص ولا إحسان. 3 وواسوا إخوانكم المعدمين. وكثيراً ما يجمع تعالى بين الصلاة والزكاة في القرآن، لأن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة والنفقة متضمنة للإحسان بقوتكم وملكم، وإنما هي رزق الله الذي خولكم، وأنعم به عليكم، فكما أنعم عليكم وفضلكم على كثير من عباده، فاشكروه بإخراج بعض ما أنعم به عليكم، غير ضار لهم ولا مثقل، بل ينتفعون هم بإنفاقه، وينتفع به إخوانهم. وفي قوله: رزقناهم إشارة إلى أن هذه الأموال التي بين أيديكم، ليست حاصلة أسبابه وتنوع أهله، ولأن النفقة على الزوجات والأقارب، والماليك ونحو ذلك. والنفقات المستحقة بجميع طرق الخير. ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة فيه النفقات الواجبة كالزكاة، والنفقة على الزوجات والأقارب، والماليك ونحو ذلك. والنفقات المستحقة بجميع طرق الخير. ولم يذكر المنفق عليهم، لكثرة وهي التي يترتب عليها الثواب. فلا ثواب للإنسان من صلاته، إلا ما عقل منها، ويدخل في الصلاة فرائضها ونوافلها. ثم قال: ومما رزقناهم ينفقون يدخل باطناً بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتدبر ما يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قال الله فيها: إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر الصلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنه لا يكفي فيها مجرد الإتيان بصورتها الظاهرة. فإقامة الصلاة، إقامتها ظاهراً، بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها. وإقامتها وكيفية، وما أخبرت به الرسل من ذلك فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفية. ثم قال: ويقيمون الصلاة لم يقل: يفعلون المهتدين بهدى الله. ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بـ بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلية، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم. وزكت عقول المؤمنين المصدقين فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذابين في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله. فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسوله. التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر. إنما الشأن ثم وصف المتقين بالعقائد والأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة، لتضمن التقوى لذلك فقال: الذين يؤمنون بالغيب حقيقة الإيمان: هو التصديق

عدوه من وليه، وحزبه من حربه، وليظهر ما كمن في نفس إبليس من الشر الذي انطوى عليه، واتصف به، فهذه حكم عظيمة، يكفي بعضها في ذلك. 30 ويحصل من العبوديات التي لم تكن تحصل بدون خلق هذا الخليفة، كالجهاد وغيره، وليظهر ما كمن في غرائز بني آدم من الخير والشر بالامتحان، وليتبين أضعاف ما في ضمن ذلك من الشر فلو لم يكن في ذلك، إلا أن الله تعالى أراد أن يجتبي منهم الأنبياء والصديقين، والشهداء والصالحين، ولتظهر آياته للخلق، إني أعلم من هذا الخليفة ما لا تعلمون ؛ لأن كلامكم بحسب ما ظننتم، وأنا عالم بالظواهر والسرائر، وأعلم أن الخير الحاصل بخلق هذا الخليفة، أضعاف ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة. قال الله تعالى للملائكة: ونحن نسبح بحمدك أي: ننزهك التنزيه اللائق بحمدك وجلالك، ونقدس لك يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ظنهم أن الخليفة المجعول في الأرض سيحدث منه ذلك، فنزهوا الباري عن ذلك، وعظموه، وأخبروا أنهم قائمون بعبادة الله على وجه خال من المفسدة فقالوا:



## تفسير السعدي

- عليهم السلام: أتجعل فيها من يفسد فيها بالمعاصي ويسفك الدماء وهذا تخصيص بعد تعميم، لبيان شدة مفسدة القتل، وهذا بحسب هذا شروع في ذكر فضل آدم عليه السلام أبي البشر أن الله حين أراد خلقه أخبر الملائكة بذلك، وأن الله مستخلفه في الأرض. فقالت الملائكة على الملائكة امتحاناً لهم، هل يعرفونها أم لا؟. فقال أنبئونني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين في قولكم وظنكم، أنكم أفضل من هذا الخليفة. 31 وما هو مسمى بها، فعلمه الاسم والمسمى، أي: الألفاظ والمعاني، حتى المكبر من الأسماء كالقصعة، والمصغر كالقصيعة. ثم عرضهم أي: عرض المسميات الله في الأرض، أراد الله تعالى، أن يبين لهم من فضل آدم، ما يعرفون به فضله، وكمال حكمة الله وعلمه ف علم آدم الأسماء كلها أي: أسماء الأشياء، ثم لما كان قول الملائكة عليهم السلام، فيه إشارة إلى فضلهم على الخليفة الذي يجعله موضعه اللائق به، فأقروا، واعترفوا بعلم الله وحكمته، وقصورهم عن معرفة أدنى شيء، واعترفوا بفضل الله عليهم وتعليمه إياهم ما لا يعلمون. 32 الحكيم: من له الحكمة التامة التي لا يخرج عنها مخلوق، ولا يشذ عنها مأمور، فما خلق شيئاً إلا لحكمة: ولا أمر بشيء إلا لحكمة، والحكمة: وضع الشيء في وجوده، إنك أنت العليم الحكيم العليم الذي أحاط علماً بكل شيء، فلا يغيب عنه ولا يعزب مثقال ذرة في السماوات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر. قالوا سبحانه أي: ننزهك من الاعتراض منا عليك، ومخالفة أمرك. لا علم لنا بوجه من الوجوه إلا ما علمتنا إياه، فضلاً منك والأرض وهو ما غاب عنا فلم نشاهده، فإذا كان عالماً بالغيب فالشهادة من باب أولى، وأعلم ما تبدو أي: تظهرون وما كنتم تكتمون 33 عنها، فلما أنبأهم بأسمائهم تبين للملائكة فضل آدم عليهم وحكمة الباري وعلمه في استخلاف هذا الخليفة، قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات حينئذ قال الله: يا آدم أنبئهم بأسمائهم أي: أسماء المسميات التي عرضها الله على الملائكة فعجزوا فهو أكمل مما عرفه ابتداءً، ومنها: الاعتبار بحال أبوي الإنس والجن وبيان فضل آدم وأفضال الله عليه وعداوة إبليس له إلى غير ذلك من العبر. 34 العبد، ومنها: أن الله أمرهم بالسجود لآدم إكراماً له لما بان فضل علمه، ومنها: أن الامتحان للغير إذا عجزوا عما امتحنوا به ثم عرفه صاحب الفضيلة ما لم يعلموه. وفيه فضيلة العلم من وجوه: منها: أن الله تعرف لملائكته بعلمه وحكمته، ومنها: أن الله عرفهم فضل آدم بالعلم وأنه أفضل صفة تكون في والمأمورات فالوجب عليه التسليم واتهام عقله والإقرار لله بالحكمة، وفيه اعتناء الله بشأن الملائكة وإحسانه بهم بتعليمهم ما جهلوا وتنبههم على إثبات الكلام لله تعالى وأنه لم يزل متكلماً يقول ما شاء ويتكلم بما شاء وأنه عليم حكيم، وفيه أن العبد إذا خفيت عليه حكمة الله في بعض المخلوقات وهذا الإباء منه والاستكبار نتيجة الكفر الذي هو منطوق عليه فتبين حينئذ عداوته لله ولآدم وكفره واستكباره. وفي هذه الآيات من العبر والآيات لله تعالى، فامثلوا أمر الله وبادروا كلهم بالسجود، إلا إبليس أبى امتنع عن السجود واستكبر عن أمر الله وعلى آدم، قال: أسجد لمن خلقت طينا ثم أمرهم تعالى بالسجود لآدم إكراماً له وتعظيماً وعبودية
- الله أعلم بها، وإنما نهاهما عنها امتحاناً وابتلاءً أو لحكمة غير معلومة لنا فتكونا من الظالمين دل على أن النهي للتحريم لأنه رتب عليه الظلم. 35 الثمار والفواكه وقال الله له: إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى ولا تقربا هذه الشجرة نوع من أنواع شجر الجنة نعمته عليه بأن خلق منه زوجة ليسكن إليها ويستأنس بها وأمرهما بسكنى الجنة والأكل منها رغداً أي: واسعاً هنيئاً، حيث شئتما أي: من أصناف لما خلق الله آدم وفضله أتم
- التي خلقتكم لها، وخلقت لكم، ففيها أن مدة هذه الحياة، مؤقتة عارضة، ليست مسكناً حقيقياً، وإنما هي معبر يتزود منها لتلك الدار، ولا تعمر للاستقرار. 36 بدلاً ثم ذكر منتهى الإبطاء إلى الأرض، فقال: ولكم في الأرض مستقر أي: مسكن وقرار، ومتاع إلى حين انقضاء آجالكم، ثم تنتقلون منها للدار إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بنس للظالمين أن العدو يجد ويجتهد في ضرر عدوه وإيصال الشر إليه بكل طريق وحرمانه الخير بكل طريق، ففي ضمن هذا، تحذير بني آدم من الشيطان كما قال تعالى مما كانا فيه من النعيم والرغد وأهبطوا إلى دار التعب والنصب والمجاهدة. بعضكم لبعض عدو أي: آدم وذريته أعداء لإبليس وذريته، ومن المعلوم ويزين لهما تناول ما نهيا عنه حتى أزلهما، أي: حملهما على الزلل بتزيينه. وقاسمهما بالله إني لكما لمن الناصحين فاغتربا به وأطاعاه فأخرجهما فلم يزل عدوهما يوسوس لهما
- وتوبته نوعان: توفيقه أولاً، ثم قبوله للتوبة إذا اجتمعت شروطها ثانياً. الرحيم بعباده، ومن رحمته بهم، أن وفقهم للتوبة، وعفا عنهم وصفح. 37 كلمات وهي قوله: ربنا ظلمنا أنفسنا الآية، فاعترف بذنبه وسأل الله مغفرته فتاب الله عليه ورحمه إنه هو التواب لمن تاب إليه وأناب. فتلقى آدم أي: تلقف وتلقن، وألهمه الله من ربه
- أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي. 38 لغريمه، هم فيها خالدون لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون. وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى واندفع عنه المروءة، وهذا عكس من لم يتبع هداة، فكفر به، وكذب بآياته. ف أولئك أصحاب النار أي: الملازمون لها، ملازمة صاحب لصاحبه، والغريم فمن اتبع هداة، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه، من الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء، فحصل له المرغوب، فنفاهما عن اتباع هداة وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفى الضلال والشقاء عن اتباع هداة وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة،

## تفسير السعدي

يشقى فرتب على اتباع هذه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، جميع أخبار الرسل والكتب، والامتنثال للأمر والاجتناب للنهي، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفي الآية الأخرى: فمن اتبع هداي فلا يضل ولا رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني ويدنيكم من رضائي، فمن تبع هداي منكم، بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق الآيتين 38 و 39 :- كرر الإهباط، ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: فإما يأتينكم مني هدى أي: أي وقت وزمان جاءكم مني يا معشر الثقلين هدى، أي:

تفسير

أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفيها صفات الفريقين والأعمال الموجبة لذلك، وأن الجن كالإنس في الثواب والعقاب، كما أنهم مثلهم، في الأمر والنهي. 39 لغريمه، هم فيها خالدون لا يخرجون منها، ولا يفتر عنهم العذاب ولا هم ينصرون. وفي هذه الآيات وما أشبهها، انقسام الخلق من الجن والإنس، إلى واندفع عنه المرهوب، وهذا عكس من لم يتبع هداي، فكفر به، وكذب بآياته. ف أولئك أصحاب النار أي: الملازمون لها، ملازمة صاحب لصاحبه، والغريم فمن اتبع هداي، حصل له الأمن والسعادة الدنيوية والأخروية والهدى، وانتفى عنه كل مكروه، من الخوف، والحزن، والضلال، والشقاء، فحصل له المرغوب، فنفاها عن اتبع هداي وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضلال والشقاء عن اتبع هداي وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة، يشقى فرتب على اتباع هذه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن والفرق بينهما، أن المكروه إن كان قد مضى، أحدث الحزن، وإن كان منتظرا، أحدث الخوف، جميع أخبار الرسل والكتب، والامتنثال للأمر والاجتناب للنهي، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفي الآية الأخرى: فمن اتبع هداي فلا يضل ولا رسول وكتاب يهديكم لما يقربكم مني، ويدنيكم مني ويدنيكم من رضائي، فمن تبع هداي منكم، بأن آمن برسلي وكتبي، واهتدى بهم، وذلك بتصديق الآيتين 38 و 39 :- كرر الإهباط، ليرتب عليه ما ذكر وهو قوله: فإما يأتينكم مني هدى أي: أي وقت وزمان جاءكم مني يا معشر الثقلين هدى، أي:

تفسير

الآخر، أحد أركان الإيمان؛ ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرغبة والعمل، و اليقين هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل. 4 فلا يفرقون بين أحد منهم. ثم قال: وبالأخرة هم يوقنون و الآخرة اسم لما يكون بعد الموت، وخصه بالذكر بعد العموم، لأن الإيمان باليوم الإيمان بالكتب الإيمان بالرسل وبما اشتملت عليه، خصوصا التوراة والإنجيل والزبور، وهذه خاصية المؤمنين يؤمنون بجميع الكتب السماوية وبجميع الرسل بما حاصله عدم التصديق بمعناها، وإن صدقوا بلفظها، فلم يؤمنوا بها إيمانا حقيقيا. وقوله: وما أنزل من قبلك يشمل الإيمان بالكتب السابقة، ويتضمن ولا يؤمنون ببعضه، إما بجحده أو تأويله، على غير مراد الله ورسوله، كما يفعل ذلك من يفعله من المبتدعة، الذين يؤولون النصوص الدالة على خلاف قولهم، والسنة، قال تعالى: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة فالتقون يؤمنون بجميع ما جاء به الرسول، ولا يفرقون بين بعض ما أنزل إليه، فيؤمنون ببعضه، ثم قال: والذين يؤمنون بما أنزل إليك وهو القرآن

ثم أمرهم بالسبب الحامل لهم على الوفاء بعهد، وهو الرهبة منه تعالى، وخشيته وحده، فإن من خشيته أوجبت له خشيته امتثال أمره واجتناب نهيه. 40 بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لن أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمنتم برسلي إلى قوله: فقد ضل سواء السبيل ما عهده إليهم من الإيمان به، وبرسله وإقامة شرعه. أوف بعهدكم وهو المجازاة على ذلك. والمراد بذلك: ما ذكره الله في قوله: ولقد أخذ الله ميثاق النعم التي سيذكر في هذه السورة بعضها، والمراد بذكرها بالقلب اعترافا، وباللسان ثناء، وبالجوارح باستعمالها فيما يحبه ويرضيه. وأوفوا بعهدي وهو فرق بني إسرائيل، الذين بالمدينة وما حولها، ويدخل فيهم من أتى من بعدهم، فأمرهم بأمر عام، فقال: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وهو يشمل سائر يا بني إسرائيل المراد بإسرائيل: يعقوب عليه السلام، والخطاب مع

اتقيتم الله وحده، أوجبت لكم تقواه، تقديم الإيمان بآياته على الثمن القليل، كما أنكم إذا اخترتم الثمن القليل، فهو دليل على ترحل التقوى من قلوبكم. 41 المناصب والمآكل، التي يتوهمون انقطاعها، إن آمنوا بالله ورسوله، فاشتروها بآيات الله واستحبوها، وأثروها. وإياي أي: لا غيري فاتقون فإنكم إذا بهم من بعدهم. ثم ذكر المانع لهم من الإيمان، وهو اختيار العرض الأدنى على السعادة الأبدية، فقال: ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وهو ما يحصل لهم من به أبلغ من قوله: ولا تكفروا به لأنهم إذا كانوا أول كافر به، كان فيه مبادرتهم إلى الكفر به، عكس ما ينبغي منهم، وصار عليهم إثمهم وإثم من اقتدى الرسل جميعهم. فلما أمرهم بالإيمان به، نهاهم وحذرهم من ضده وهو الكفر به فقال: ولا تكونوا أول كافر به أي: بالرسول والقرآن. وفي قوله: أول كافر جاء بهذا القرآن والبشارة به، فإن لم تؤمنوا به، كذبتكم ببعض ما أنزل إليكم، ومن كذب ببعض ما أنزل إليه، فقد كذب بجميعه، كما أن من كفر برسول، فقد كذب لأن ما جاء به هو الذي جاء به موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء، فتكذبتكم له تكذيب لما معكم. وأيضا، فإن في الكتب التي بأيديكم، صفة هذا النبي الذي آمن به وصدق به، لكونكم أهل الكتب والعلم. وأيضا فإن في قوله: مصدقا لما معكم إشارة إلى أنكم إن لم تؤمنوا به، عاد ذلك عليكم، بتكذيب ما معكم، له لا مخالفا ولا مناقضا، فإذا كان موافقا لما معكم من الكتب، غير مخالف لها فلا مانع لكم من الإيمان به، لأنه جاء بما جاءت به المرسلون، فأنتم أولى من صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالإيمان به، واتباعه، ويستلزم ذلك، الإيمان بمن أنزل عليه، وذكر الداعي لإيمانهم به، فقال: مصدقا لما معكم أي: موافقا ثم أمرهم بالأمر الخاص، الذي لا يتم إيمانهم، ولا يصح إلا به فقال: وآمنوا بما أنزلت وهو القرآن الذي أنزله على عبده ورسوله محمد

بذلك، وكنتم الحق الذي يعلمه، وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم، لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين. 42

## تفسير السعدي

سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم. ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه وإظهار الحق، ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته، ليميز الحق من الباطل، ولتستبين أي: تخلصوا الحق بالباطل وتكتموا الحق فنهاهم عن شيئين، عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم، تمييز الحق، ثم قال: ولا تلبسوا

بالجماعة للصلاة ووجوبها، وفيه أن الركوع ركن من أركان الصلاة لأنه عبر عن الصلاة بالركوع، والتعبير عن العبادة بجزئها يدل على فرضيته فيها. 43 وبين الإخلاص للعبود، والإحسان إلى عبيده، وبين العبادات القلبية البدنية والمالية. وقوله: واركعوا مع الراكعين أي: صلوا مع المصلين، ففيه الأمر مستحقيها، واركعوا مع الراكعين أي: صلوا مع المصلين، فإنكم إذا فعلتم ذلك مع الإيمان برسول الله وآيات الله، فقد جمعت بين الأعمال الظاهرة والباطنة، ثم قال: وأقيموا الصلاة أي: ظاهرا وباطنا وآتوا الزكاة

الأول، وهو دون الأخير، وأيضا فإن النفوس مجبولة على عدم الانقياد لمن يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتنائهم بالأقوال المجردة. 44 أحدهما، لا يكون رخصة في ترك الآخر، فإن الكمال أن يقوم الإنسان بالواجبين، والنقص الكامل أن يتركهما، وأما قيامه بأحدهما دون الآخر، فليس في رتبة بالمعروف، والنهي عن المنكر، لأنها دلت على التوبيخ بالنسبة إلى الواجبين، وإلا فمن المعلوم أن على الإنسان واجبين: أمر غيره ونهيه، وأمر نفسه ونهيه، فترك تعالى: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. وليس في الآية أن الإنسان إذا لم يقم بما أمر به أنه يترك الأمر دل على عدم عقله وجهله، خصوصا إذا كان عالما بذلك، قد قامت عليه الحجة. وهذه الآية، وإن كانت نزلت في سبب بني إسرائيل، فهي عامة لكل أحد لقوله عما يضره، وذلك أن العقل يحث صاحبه أن يكون أول فاعل لما يأمر به، وأول تارك لما ينهى عنه، فمن أمر غيره بالخير ولم يفعله، أو نهاه عن الشر فلم يتركه، وتنسون أنفسكم أي: تتركونها عن أمرها بذلك، والحال: وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون وأسمى العقل عقلا لأنه يعقل به ما ينفعه من الخير، وينعقل به أتأمرون الناس بالبر أي: بالإيمان والخير

منشراح صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعوه إليها، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه. 45 الأمور وإنها أي: الصلاة لكبيرة أي: شاقة إلا على الخاشعين فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، معونة عظيمة على كل أمر من الأمور، ومن يتصبر يصبره الله، وكذلك الصلاة التي هي ميزان الإيمان، وتنتهى عن الفحشاء والمنكر، يستعان بها على كل أمر من طاعة الله حتى يؤديها، والصبر عن معصية الله حتى يتركها، والصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، فبالصبر وحبس النفس على ما أمر الله بالصبر عليه أمرهم الله أن يستعينوا في أمورهم كلها بالصبر بجميع أنواعه، وهو الصبر على

عن فعل السيئات، فهؤلاء لهم النعيم المقيم في الغرفات العاليات، وأما من لم يؤمن بقاء ربه، كانت الصلاة وغيرها من العبادات من أشق شيء عليه. 46 ملاقو ربهم فيجازيهم بأعمالهم وأنهم إليه راجعون فهذا الذي خفف عليهم العبادات وأوجب لهم التسلي في المصيبات، ونفس عنهم الكربات، وزجرهم هو: خضوع القلب وطمانينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلا وافتقارا، وإيمانا به وبلقائه. ولهذا قال: الذين يظنون أي: يستيقنون أنهم والخشوع

لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته. 47 ولا يؤخذ منها عدل هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض، كالعدل، أو بغيره، كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لا تجزي نفس عن نفس شيئا هذا في تحصيل المنافع، ولا هم ينصرون هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع. ولا يقبل منها شفاعته معه لافتدوا به من سوء العذاب ولا يقبل منهم ذلك ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم المكروه، فنفي الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، ولا يؤخذ منها عدل أي: فداء ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله الأقربين شيئا لا كبيرا ولا صغيرا وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه. ولا يقبل منها أي: النفس، شفاعته لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع وخوفهم بيوم القيامة الذي لا تجزي فيه، أي: لا تغني نفس ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين عن نفس ولو كانت من العشيرة تفسير الآيتين 47 و 48: ثم كرر على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظا لهم، وتحذيرا وحثا.

لعلمه أنهم لا يملكون له مثقال ذرة من النفع، وأن يعلقه بالله الذي يجلب المنافع، ويدفع المضار، فيعبده وحده لا شريك له ويستعينه على عبادته. 48 ولا يؤخذ منها عدل هذا نفي للنفع الذي يطلب ممن يملكه بعوض، كالعدل، أو بغيره، كالشفاعة، فهذا يوجب للعبد أن ينقطع قلبه من التعلق بالمخلوقين، لا تجزي نفس عن نفس شيئا هذا في تحصيل المنافع، ولا هم ينصرون هذا في دفع المضار، فهذا النفي للأمر المستقل به النافع. ولا يقبل منها شفاعته معه لافتدوا به من سوء العذاب ولا يقبل منهم ذلك ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم المكروه، فنفي الانتفاع من الخلق بوجه من الوجوه، فقوله: له، ولا يرضى من العمل إلا ما أريد به وجهه، وكان على السبيل والسنة، ولا يؤخذ منها عدل أي: فداء ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا ومثله الأقربين شيئا لا كبيرا ولا صغيرا وإنما ينفع الإنسان عمله الذي قدمه. ولا يقبل منها أي: النفس، شفاعته لأحد بدون إذن الله ورضاه عن المشفوع وخوفهم بيوم القيامة الذي لا تجزي فيه، أي: لا تغني نفس ولو كانت من الأنفس الكريمة كالأنبياء والصالحين عن نفس ولو كانت من العشيرة

## تفسير السعدي

تفسير الآيتين 47 و 48 :- ثم كرر على بني إسرائيل التذكير بنعمته، وعظا لهم، وتحذيرا وحثا.

عدوهم وهم ينظرون لتقر أعينهم. وفي ذلكم أي: الإنجاء بلاء أي: إحسان من ربكم عظيم فهذا مما يوجب عليكم الشكر والقيام بأوامره. 49 فلا يقتلونهم، فأنتم بين قتيل ومذل بالأعمال الشاقة، مستحيي على وجه المنة عليه والاستعلاء عليه فهذا غاية الإهانة، فمن الله عليهم بالنجاة التامة وإغراق قبل ذلك يسومونكم أي: يولونهم ويستعملونهم، سوء العذاب أي: أشده بأن كانوا يذبحون أبناءكم خشية نموكم، ويستحيون نساءكم أي:

هذا شروع في تعداد نعمه على بني إسرائيل على وجه التفصيل فقال: وإذ نجيناكم من آل فرعون أي: من فرعون وملئه وجنوده وكانوا

حصر الفلاح فيهم؛ لأنه لا سبيل إلى الفلاح إلا بسلوك سبيلهم، وما عدا تلك السبيل، فهي سبل الشقاء والهلاك والخسار التي تفضي بسالكها إلى الهلاك. 5 مستعل بالهدى، مرتفع به، وصاحب الضلال منغمس فيه محتقر. ثم قال: وأولئك هم المفلحون والفلاح هو الفوز بالمطلوب والنجاة من المرهوب، في هذا الموضع، الدالة على الاستعلاء، وفي الضلالة يأتي بـ في كما في قوله: وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين لأن صاحب الهدى

المذكورة المتضمنة للعقيدة الصحيحة والأعمال المستقيمة، وهل الهداية الحقيقية إلا هدايتهم، وما سواها مما خالفها، فهو ضلالة. وأتى بـ على

أولئك أي: الموصوفون بتلك الصفات الحميدة على هدى من ربهم أي: على هدى عظيم، لأن التنكير للتعظيم، وأي هداية أعظم من تلك الصفات

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 50

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 51

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 52

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 53

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 54

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

فهو أعظم جرما وأكبر إثما. ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا فعفا الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون الله. 55

العميمة، ثم إنهم لم يصبروا قبل استكمال الميعاد حتى عبدوا العجل من بعده، أي: ذهابه. وأنتم ظالمون عالمون بظلمكم، قد قامت عليكم الحجة،

تفسير الآيات من 50 الى 55 :- ثم ذكر منته عليهم بوعده لموسى أربعين ليلة لينزل عليهم التوراة المتضمنة للنعم العظيمة والمصالح

الصاعقة إما الموت أو الغشية العظيمة، وأنتم تنظرون وقوع ذلك، كل ينظر إلى صاحبه، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون 56

وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وهذا غاية الظلم والجراة على الله وعلى رسوله، فأخذتكم

بتلك الأفعال المخالفة لأوامرنا لأن الله لا تضره معصية العاصين، كما لا تنفعه طاعات الطائعين، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فيعود ضرره عليهم. 57

ما رزقناكم أي: رزقا لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفهي، فلم يشكروا هذه النعمة، واستمروا على قساوة القلوب وكثرة الذنوب. وما ظلمونا يعني

والكأمة والخبز وغير ذلك. والسلوى طائر صغير يقال له السماني، طيب اللحم، فكان ينزل عليهم من المن والسلوى ما يكفيهم وبقيتهم كلوا من طيبات

والبرية الخالية من الضلال وسعة الأرزاق، فقال: وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن وهو اسم جامع لكل رزق حسن يحصل بلا تعب، ومنه الزنجبيل

ثم ذكر نعمته عليكم في التيه

أي أن يحط عنهم خطاياهم بسؤالهم إياه مغفرته. نغفر لكم خطاياكم بسؤالكم المغفرة، وسنزيد المحسنين بأعمالهم، أي: جزاء عاجل وأجلا. 58

فيها الرزق الرغد، وأن يكون دخولهم على وجه خاضعين لله فيه بالفعل، وهو دخول الباب سجدا أي: خاضعين ذليلين، وبالقول وهو أن يقولوا: حطة

وهذا أيضا من نعمته عليهم بعد معصيتهم إياه، فأمرهم بدخول قرية تكون لهم عزا ووطنا ومسكنا، ويحصل لهم

كان هذا الطغيان أكبر سبب لوقوع عقوبة الله بهم، قال: فأنزلنا على الذين ظلموا منهم رجزا أي: عذابا من السماء بسبب فسقهم وبغيهم. 59

## تفسير السعدي

حطة: حبة في حنطة، استهانة بأمر الله، واستهزاء وإذا بدلوا القول مع خفته فتبدلهم للفعل من باب أولى وأحرى، ولهذا دخلوا يزحفون على أديبارهم، ولما فبدل الذين ظلموا منهم، ولم يقل فبدلوا لأنهم لم يكونوا كلهم بدلوا قولاً غير الذي قيل لهم فقالوا بدل

الدعوة إلا إقامة الحجة، وكان في هذا قطعاً لطمع الرسول صلى الله عليه وسلم في إيمانهم، وأنت لا تأس عليهم، ولا تذهب نفسك عليهم حسرات. 60 مستمرون على كفرهم، فسواء عليهم أنذرتهم، أم لم تنذرهم لا يؤمنون، وحقيقة الكفر: هو الجحود لما جاء به الرسول، أو جحد بعضه، فهؤلاء الكفار لا تفيدهم لكفرهم، المعاندين للرسول يخبر تعالى أن الذين كفروا، أي: اتصفوا بالكفر، وانصبغوا به، وصاروصفا لهم لازماً، لا يردعهم عنه رادع، ولا ينجع فيهم وعظ، إنهم فلها لما ذكر صفات المؤمنين حقاً، ذكر صفات الكفار المظهرين

لا متكدرين، ولهذا قال: كلوا واشربوا من رزق الله أي: الذي آتاكم من غير سعي ولا تعب، ولا تعثوا في الأرض أي: تخربوا على وجه الإفساد. 60 اثنتا عشرة قبيلة، قد علم كل أناس منهم مشربهم أي: محلهم الذي يشربون عليه من هذه الأعين، فلا يزاحم بعضهم بعضاً، بل يشربونه متهنين ماء يشربون منه. فقلنا اضرب بعصاك الحجر إما حجر مخصوص معلوم عنده، وإما اسم جنس، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وقبائل بني إسرائيل استسقى، أي: طلب لهم

من الشر يعود بضرر الجميع. ومنها: أن أفعالهم أكثرها لم ينكروها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا الله. 61 حتى كان متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد، وكان الحادث من بعضهم حادثاً من الجميع. لأن ما يعملهم بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعملهم فخطوبوا بها، لأنها نعم تشملهم وتعمهم. ومنها: أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم، مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها، حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين؟. ومنها: أن نعمة الله على المتقدمين منهم، نعمة واصله إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء، نعمة على الأبناء، عندهم، ما يبين به لكل أحد منهم أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق، ومعالي الأعمال، فإذا كانت هذه حالة سلفهم، مع أن المظنة أنهم أولى وأرفع ونسبت لهم لفوائد عديدة، منها: أنهم كانوا يتمدحون ويزكون أنفسهم، ويزعمون فضلهم على محمد ومن آمن به، فبين الله من أحوال سلفهم التي قد تقررت كل بلاء. واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن، وهذه الأفعال المذكورة خطوبوا بها وهي فعل أسلافهم، فإن المعاصي يجز بعضها بعضاً، فالغفلة ينشأ عنها الذنب الصغير، ثم ينشأ عنه الذنب الكبير، ثم ينشأ عنها أنواع البدع والكفر وغير ذلك، فنسأل الله العافية من فمن المعلوم أن قتل النبي لا يكون بحق، لكن لئلا يظن جهلهم وعدم علمهم. ذلك بما عصوا بأن ارتكبوا معاصي الله وكانوا يعتدون على عباد الله، الدالات على الحق الموضحة لهم، فلما كفروا بها عاقبهم بغضبه عليهم، وبما كانوا يقتلون النبيين بغير الحق وقوله: بغير الحق زيادة شناعة، وإلا بها وفازوا، إلا أن رجعوا بسخطه عليهم، فبئست الغنيمة غنيمتهم، وبئست الحالة حالتهم. ذلك الذي استحقوا به غضبه بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله بقلوبهم، فلم تكن أنفسهم عزيزة، ولا لهم همم عالية، بل أنفسهم أنفُس مهينة، وهمهم أردأ الهمم، وباءوا بغضب من الله أي: لم تكن غنيمتهم التي رجعوا دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لأوامر الله ونعمه، جازاهم من جنس عملهم فقال: وضربت عليهم الذلة التي تشاهد على ظاهر أبدانهم والمسكنة أي مصر هبطتموه وجدتموها، وأما طعامكم الذي من الله به عليكم، فهو خير الأطعمة وأشرفها، فكيف تطلبون به بدلاً؟ ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر لهم موسي أتستبدلون الذي هو أدنى وهو الأطعمة المذكورة، بالذي هو خير وهو المن والسلوى، فهذا غير لائق بكم، فإن هذه الأطعمة التي طلبتم، لنا مما تنبت الأرض من بقلها أي: نباتها الذي ليس بشجر يقوم على ساقه، وقتائها وهو الخيار وفومها أي: ثومها، والعدس والبصل معروف، قال على وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها، لن نصبر على طعام واحد أي: جنس من الطعام، وإن كان كما تقدم أنواعاً، لكنها لا تتغير، فادع لنا ربك يخرج أي: واذكروا، إذ قلتهم لموسى،

بهم. ذكر تعالى حكماً عاماً يشمل الطوائف كلها، ليتضح الحق، ويزول التوهم والإشكال، فسبحان من أودع في كتابه ما يبهر عقول العالمين. 62 في بعض النفوس أنهم كلهم يشملهم الذم، فأراد الباري تعالى أن يبين من لم يلحقه الذم منهم بوصفه، ولما كان أيضاً ذكر بني إسرائيل خاصة يوهم الاختصاص تنزيل من يعلم الأشياء قبل وجودها، ومن رحمته وسعت كل شيء. وذلك والله أعلم أنه لما ذكر بني إسرائيل وذمهم، وذكر معاصيهم وقبائحهم، ربما وقع عليه وسلم وأن هذا مضمون أحوالهم، وهذه طريقة القرآن إذا وقع في بعض النفوس عند سياق الآيات بعض الأوهام، فلا بد أن تجد ما يزيل ذلك الوهم، لأنه فعليه الخوف والحزن. والصحيح أن هذا الحكم بين هذه الطوائف، من حيث هم، لا بالنسبة إلى الإيمان بمحمد، فإن هذا إخبار عنهم قبل بعثة محمد صلى الله الآخر، وصدقوا رسلهم، فإن لهم الأجر العظيم والأمن، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأما من كفر منهم بالله ورسله واليوم الآخر، فهو بضد هذه الحال، الكتاب خاصة، لأن الصابئين، الصحيح أنهم من جملة فرق النصارى، فأخبر الله أن المؤمنين من هذه الأمة، واليهود والنصارى، والصابئين من آمن بالله واليوم والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وهذا الحكم على أهل ثم قال تعالى حاكماً بين الفرق الكتابية: إن الذين آمنوا

وصبر على أوامر الله، واذكروا ما فيه أي: ما في كتابكم بأن تتلوهم وتتعلموه، لعلكم تتقون عذاب الله وسخطه، أو لتكونوا من أهل التقوى. 63 إذ أخذنا ميثاقكم وهو العهد الثقيل المؤكد بالتخويف لهم، برفع الطور فوقهم وقيل لهم: خذوا ما آتيناكم من التوراة بقوة أي: بجد واجتهاد،

أي: واذكروا

هذا التأكيد البليغ توليتم وأعرضتم، وكان ذلك موجبا لأن يحل بكم أعظم العقوبات، ولكن لولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين 64

فبعد

كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت الآيات. فأوجب لهم هذا الذنب العظيم، أن غضب الله عليهم وجعلهم قردة خاسئين حقيرين ذليلين. 65 أي: ولقد تقرر عندكم حالة الذين اعتدوا منكم في السبت وهم الذين ذكر الله قصتهم مبسطة في سورة الأعراف في قوله: وأسألهم عن القرية التي أي: من بعدهم، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه، ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات. 66 وجعل الله هذه العقوبة نكالا لما بين يديها أي: لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها، ممن هو في وقتهم. وما خلفها

أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزأه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده. 67 فقال نبي الله: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى لكم موسى في تبیین القاتل: اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: ألتخذنا هزا مع موسى، حين قتلتم قتيلا، وادارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلقتم في قاتله، حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد لولا تبیین الله لكم يحدث بينكم شر كبير، فقال أي: واذكروا ما جرى لكم

أي: ما سنها؟ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض أي: كبيرة ولا بكر أي: صغيرة عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون واتركوا التشديد والتعنت. 68 فلما قال لهم موسى ذلك، علموا أن ذلك صدق فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها أي: شديد تسر الناظرين من حسنها. 69

كما لم يؤمنوا به أول مرة وهذا عقاب عاجل. ثم ذكر العقاب الآجل، فقال: ولهم عذاب عظيم وهو عذاب النار، وسخط الجبار المستمر الدائم. 70 عندهم، وإنما منعوا ذلك، وسدت عنهم أبواب الإيمان بسبب كفرهم وجحودهم ومعاندتهم بعد ما تبين لهم الحق، كما قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم وعلى أبصارهم غشاوة أي: غشاء وغطاء وأكنت تمنعها عن النظر الذي ينفعهم، وهذه طرق العلم والخير، قد سدت عليهم، فلا مطمع فيهم، ولا خير يرجى من الإيمان فقال: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم أي: طبع عليها بطابع لا يدخلها الإيمان. ولا ينفذ فيها، فلا يعون ما ينفعهم، ولا يسمعون ما يفيدهم. ثم ذكر الموانع المانعة لهم

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا فلم نهتد إلى ما تريد وإنما إن شاء الله لمهتدون 70

إن شاء الله لم يهتدوا أيضا إليها، فذبحوها أي: البقرة التي وصفت بتلك الصفات، وما كادوا يفعلون بسبب التعنت الذي جرى منهم. 71 وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم اعترضوا أي: بقرة لحصل المقصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا بساقية، مسلمة من العيوب أو من العمل لا شية فيها أي: لا لون فيها غير لونها الموصوف المتقدم. قالوا الآن جئت بالحق أي: بالبيان الواضح، قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول أي: مذلة بالعمل، تثير الأرض بالحرث أي: ليست

وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى، لعلكم تعقلون فتتزعجرون عن ما يضركم. 72 فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا القتل ببعضها، أي: بعضو منها، إما معين، أو أي عضو منها، فليس في تعيينه فائدة، فضره ببعضها فأحياء الله،

يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق. 73 من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بالفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعا إذا لم تصح عن رسول الله صلى ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج والذي أرى أنه وإن لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه. واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، وإن منها لما يهبط من خشية الله فهذه الأمور فضلت قلوبكم. ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال: وما الله بغافل عما تعملون بل هو عالم بها حافظ

أو بمعنى بل ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار. وقوله: أو أشد قسوة أي: إنها لا تقصر عن قساوة الأحجار، وليست بالنعيم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها كالحجارة التي هي لعلكم تعقلون فتتزعجرون عن ما يضركم. ثم قست قلوبكم أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، من بعد ذلك أي: من بعد ما أنعم عليكم فليس في تعيينه فائدة، فضره ببعضها فأحياء الله، وأخرج ما كانوا يكتمون، فأخبر بقاتله، وكان في إحيائه وهم يشاهدون ما يدل على إحياء الله الموتى، بتلك الصفات، وما كادوا يفعلون بسبب التعنت الذي جرى منهم. فلما ذبحوها، قلنا لهم اضربوا القتل ببعضها، أي: بعضو منها، إما معين، أو أي عضو منها، لحصل المقصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا إن شاء الله لم يهتدوا أيضا إليها، فذبحوها أي: البقرة التي وصفت

## تفسير السعدي

غير لونها الموصوف المتقدم. قالوا الآن جئت بالحق أي: بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم اعترضوا أي: بقرة أي: مدلة بالعمل، تثير الأرض بالحرثة ولا تسقي الحرث أي: ليست بساقية، مسلمة من العيوب أو من العمل لا شية فيها أي: لا لون فيها من حسنها. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا فلم نهتد إلى ما تريد وإنما إن شاء الله لمهتدون قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول فافعلوا ما تؤمرون واتركوا التشديد والتعنت. قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها أي: شديد تسر الناظرين أن ذلك صدق فقالوا: ادع لنا ربك يبين لنا ما هي أي: ما سنها؟ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض أي: كبيرة ولا بكر أي: صغيرة عوان بين ذلك بالدين والعقل، استهزاء بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده. فلما قال لهم موسى ذلك، علموا بالله أن أكون من الجاهلين فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، وأما العاقل فيرى أن من أكبر العيوب المزرية اذبحوا بقرة، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض، فقالوا: آتخذنا هزوا فقال نبي الله: أعود وادارأتم فيه، أي: تدافعتم واختلقتم في قتاله، حتى تفاقم الأمر بينكم وكاد لولا تبيين الله لكم يحدث بينكم شر كبير، فقال لكم موسى في تبين القتال: أي: واذكروا ما جرى لكم مع موسى، حين قتلتم قتيلا،

يغلب على الظن كذبها أو كذب أكثرها، معاني لكتاب الله، مقطوعا بها ولا يستريب بهذا أحد، ولكن بسبب الغفلة عن هذا حصل ما حصل، والله الموفق. 74 من المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن القرآن يجب الإيمان به والقطع بألفاظه ومعانيه، فلا يجوز أن تجعل تلك القصص المنقولة بالروايات المجهولة، التي الله عليه وسلم، وذلك أن مرتبتها كما قال صلى الله عليه وسلم: لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم فإذا كانت مرتبتها أن تكون مشكوكا فيها، وكان جاز نقل أحاديثهم على وجه تكون مفردة غير مقرونة، ولا منزلة على كتاب الله، فإنه لا يجوز جعلها تفسيرا لكتاب الله قطعاً إذا لم تصح عن رسول الله صلى ونزلوا عليها الآيات القرآنية، وجعلوها تفسيرا لكتاب الله، محتجين بقوله صلى الله عليه وسلم: حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج والذي أرى أنه وإن لصغيرها وكبيرها، وسيجازيكم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه. واعلم أن كثيرا من المفسرين رحمهم الله، قد أكثروا في حشو تفاسيرهم من قصص بني إسرائيل، وإن منها لما يهبط من خشية الله فهذه الأمور فضلت قلوبكم، ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال: وما الله بغافل عما تعملون بل هو عالم بها حافظ أو بمعنى بل ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم، فقال: وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار. وقوله: أو أشد قسوة أي: إنها لا تقصر عن قسوة الأحجار، وليست بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده، ثم وصف قسوتها بأنها كالحجارة التي هي ثم قست قلوبكم أي: اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة، من بعد ذلك أي: من بعد ما أنعم عليكم

فإذا كانت هذه حالهم في كتابهم الذي يرونه شرفهم ودينهم يصدون به الناس عن سبيل الله، فكيف يرجى منهم إيمان لكم؟! فهذا من أبعد الأشياء. 75 الطمع فيهم، فإنهم كانوا يحرفون كلام الله من بعد ما عقلوه وعلموه، فيضعون له معاني ما أرادها الله، ليوهموا الناس أنها من عند الله، وما هي من عند الله، هذا قطع لأطماع المؤمنين من إيمان أهل الكتاب، أي: فلا تطمعوا في إيمانهم وحالتهم لا تقتضي

وما هم عليه باطل، فيحتجون عليكم بذلك عند ربكم أفلا تعقلون أي: أفلا يكون لكم عقل، فتتركوا ما هو حجة عليكم؟ هذا يقوله بعضهم لبعض. 76 أتحدثونهم بما فتح الله عليكم أي: أنظفرون لهم الإيمان وتخبروهم أنكم مثلهم، فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟ يقولون: إنهم قد أقرروا بأن ما نحن عليه حق، آمنا فأظهروا لهم الإيمان قولا بألسنتهم، ما ليس في قلوبهم، وإذا خلا بعضهم إلى بعض فلم يكن عندهم أحد من غير أهل دينهم، قال بعضهم لبعض: ثم ذكر حال منافقي أهل الكتاب فقال: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا

وزعموا أنهم بإسرارهم لا يتطرق عليهم حجة للمؤمنين، فإن هذا غلط منهم وجهل كبير، فإن الله يعلم سرهم وعلنهم، فيظهر لعباده ما أنتم عليه. 77 أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فهم وإن أسروا ما يعتقدونه فيما بينهم،

ومنافقيهم، ومن لم ينافق منهم، فالعلماء منهم متمسكون بما هم عليه من الضلال، والعوام مقلدون لهم، لا بصيرة عندهم فلا مطعم لكم في الطائفتين. 78 عندهم خبر بما عند الأولين الذين يعلمون حق المعرفة حالهم، وهؤلاء إنما معهم ظنون وتقاليد لأهل العلم منهم. فذكر في هذه الآيات علماءهم، وعوامهم، أي: من أهل الكتاب أميون أي: عوام، ليسوا من أهل العلم، لا يعلمون الكتاب إلا أمانى أي: ليس لهم حظ من كتاب الله إلا التلاوة فقط، وليس ومنهم

لنلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله. وهذه الأمور كثيرة جدا في أهل الأهواء جملة، كالرافضة، وتفصيلا مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء. 79 الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمة، وهذا هو أصول الدين، الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية، ومتناول لمن كنتم ما عنده من الكتاب والسنة، إلا مجرد تلاوة حروفه، ومتناول لمن كتب كتابا بيده مخالفا لكتاب الله، لينال به دنيا وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة. وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أمانى، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم وفي ضمنها الوعيد الشديد. قال شيخ الإسلام لما ذكر هذه الآيات من قوله: أفطمعوا إلى يكسبون فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، بهذين الأمرين فقال: فويل لهم مما كتبت أيديهم أي: من التحريف والباطل وويل لهم مما يكسبون من الأموال، والويل: شدة العذاب والحسرة،

## تفسير السعدي

من وجهين: من جهة تلبيس دينهم عليهم، ومن جهة أخذ أموالهم بغير حق، بل بأبطل الباطل، وذلك أعظم ممن يأخذها غصبا وسرقة ونحوهما، ولهذا توعدهم فعلا ذلك مع علمهم ليشترتوا به ثمنا قليلا والدنيا كلها من أولها إلى آخرها ثمن قليل، فجعلوا باطلهم شركا يصطادون به ما في أيدي الناس، فظلموهم توعدهم تعالى المحرفين للكتاب، الذين يقولون لتحريفهم وما يكتبون: هذا من عند الله وهذا فيه إظهار الباطل وكتم الحق، وإنما

هم بمؤمنين فإنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، فأكذبهم الله بقوله: وما هم بمؤمنين لأن الإيمان الحقيقي، ما تواطأ عليه القلب واللسان 8 تعالى: يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم فوصفهم الله بأصل النفاق فقال: ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما ليسوا منهم. فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جلا أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضا عن كثير من فجورهم قال ممن لم يسلم، فأظهر بعضهم الإسلام خوفا ومخادعة، ولتحقق دماؤهم، وتسلم أموالهم، فكانوا بين أظهر المسلمين في الظاهر أنهم منهم، وفي الحقيقة هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة، وبعد أن هاجر، فلما كانت وقعة بدر وأظهر الله المؤمنين وأعزهم، ذل من في المدينة وإذا خاصم فجر وأما النفاق الاعتقادي المخرج عن دائرة الإسلام، فهو الذي وصف الله به المنافقين في هذه السورة وغيرها، ولم يكن النفاق موجودا قبل والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان وفي رواية: واعلم أن النفاق هو: إظهار الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي،

الله ونقضهم الموائيق، فتعين بذلك أنهم متقولون مختلقون، قائلون عليه ما لا يعلمون، والقول عليه بلا علم، من أعظم المحرمات، وأشنع القبيحات. 80 وعذابهم، وقد علم من حالهم أنهم لم يتخذوا عند الله عهدا، لتكذيبهم كثيرا من الأنبياء، حتى وصلت بهم الحال إلى أن قتلوا طائفة منهم، ولنكولهم عن طاعة الأمرين اللذين لا ثالث لهما: إما أن يكونوا قد اتخذوا عند الله عهدا، فتكون دعواهم صحيحة. وإما أن يكونوا متقولين عليه فتكون كاذبة، فيكون أبلغ لخزيهم فهذا الوعد الموجب لنجاة صاحبه الذي لا يتغير ولا يتبدل. أم تقولون على الله ما لا تعلمون ؟ فأخبر تعالى أن صدق دعواهم متوقفة على أحد هذين الإساءة والأمن. ولما كان هذا مجرد دعوى، رد الله تعالى عليهم فقال: قل لهم يا أيها الرسول اتخذتم عند الله عهدا أي بالإيمان به وبرسله وبطاعته، مع هذا أنهم يزكون أنفسهم، ويشهدون لها بالنجاة من عذاب الله، والفوز بثوابه، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة، أي: قليلة تعد بالأصابع، فجمعوا بين ذكر أفعالهم القبيحة، ثم ذكر

عليهم كما ترى، فإنها ظاهرة في الشرك، وهكذا كل مبطل يحتج بآية، أو حديث صحيح على قوله الباطل فلا بد أن يكون فيما احتج به حجة عليه. 81 إلا الشرك، فإن من معه الإيمان لا تحيط به خطيئته. فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وقد احتج بها الخوارج على كفر صاحب المعصية، وهي حجة في سياق الشرط، فيعم الشرك فما دونه، والمراد به هنا الشرك، بدليل قوله: وأحاطت به خطيئته أي: أحاطت بعاملها، فلم تدع له منفذا، وهذا لا يكون غيره، لا أمانهم ودعواهم بصفة الهالكين والناجين، فقال: بلى أي: ليس الأمر كما ذكرتم، فإنه قول لا حقيقة له، ولكن من كسب سيئة وهو نكرة ثم ذكر تعالى حكما عاما لكل أحد، يدخل به بنو إسرائيل وغيرهم، وهو الحكم الذي لا حكم

متبعا بها سنة رسوله. فحاصل هاتين الآيتين، أن أهل النجاة والفوز، هم أهل الإيمان والعمل الصالح، والهالكون أهل النار المشركون بالله، الكافرون به. 82 والذين آمنوا بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وعملوا الصالحات ولا تكون الأعمال صالحة إلا بشرطين: أن تكون خالصة لوجه الله،

في هذه الأوامر، فعنود بالله من الخذلان. وقوله: إلا قليلا منكم هذا استثناء، لئلا يوهم أنهم تولوا كلهم، فأخبر أن قليلا منهم، عصمهم الله وثبتهم. 83 بها عليهم وأخذ الموائيق عليكم توليتم على وجه الإعراض، لأن المتولي قد يتولى، وله نية رجوع إلى ما تولى عنه، وهؤلاء ليس لهم رغبة ولا رجوع إلى العيب. ثم بعد هذا الأمر لكم بهذه الأوامر الحسنة التي إذا نظر إليها البصير العاقل، عرف أن من إحسان الله على عباده أن أمرهم بها، وتفضل من أذى الخلق، امتثالا لأمر الله، ورجاء لثوابه. ثم أمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لما تقدم أن الصلاة متضمنة للإخلاص للمعبود، والزكاة متضمنة للإحسان يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملا لكل أحد، صبوراً على ما يناله النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن وغير ذلك من كل كلام طيب. ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك بالإحسان إلى الناس عموما فقال: وقولوا للناس حسنا ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة محرم، لكن لا يجب أن يلحق بالأول، وكذا يقال في صلة الأقارب واليتامى، والمساكين، وتفصيل الإحسان لا تنحصر بالحد، بل تكون بالحد، كما تقدم. ثم أمر أو عدم الإحسان والإساءة، لأن الواجب الإحسان، والأمر بالشيء نهي عن ضده. وللإحسان ضدان: الإساءة، وهي أعظم جرما، وترك الإحسان بدون إساءة، وهذا ثم قال: وبالوالدين إحسانا أي: أحسنوا بالوالدين إحسانا، وهذا يعم كل إحسان قولي وفعلي مما هو إحسان إليهم، وفيه النهي عن الإساءة إلى الوالدين، إلا الله هذا أمر بعبادة الله وحده، ونهي عن الشرك به، وهذا أصل الدين، فلا تقبل الأعمال كلها إن لم يكن هذا أساسها، فهذا حق الله تعالى على عباده، الآية. فقوله: وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل هذا من قسوتهم أن كل أمر أمروا به، استعصوا: فلا يقبلونه إلا بالأيمن الغليظة، والعهود الموثقة لا تعبدون لاشتمالها على المصالح العامة، في كل زمان ومكان، فلا يدخلها نسخ، كأصل الدين، ولهذا أمرنا بها في قوله: واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا إلى آخر وهذه الشرائع من أصول الدين، التي أمر الله بها في كل شريعة،



## تفسير السعدي

فلهذا قال: فلا يخفف عنهم العذاب بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم مكروهه. 84 الكتاب، والإيمان ببعضه فقال: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، وأجلى من أجلى. ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب أي: أعظمه وما الله بغافل عما تعملون ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض تعالى: فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، فداء الأسير وتكفرون ببعض وهو القتل والإخراج. وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، تفسير الآيات من 84 الـ 86 وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في

فلهذا قال: فلا يخفف عنهم العذاب بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم مكروهه 85 الكتاب، والإيمان ببعضه فقال: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، وأجلى من أجلى. ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب أي: أعظمه وما الله بغافل عما تعملون ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض تعالى: فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، فداء الأسير وتكفرون ببعض وهو القتل والإخراج. وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في

فلهذا قال: فلا يخفف عنهم العذاب بل هو باق على شدته، ولا يحصل لهم راحة بوقت من الأوقات، ولا هم ينصرون أي: يدفع عنهم مكروهه 86 الكتاب، والإيمان ببعضه فقال: أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة توهموا أنهم إن لم يعينوا حلفاءهم حصل لهم عار، فاختاروا النار على العار، وأجلى من أجلى. ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب أي: أعظمه وما الله بغافل عما تعملون ثم أخبر تعالى عن السبب الذي أوجب لهم الكفر ببعض تعالى: فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا وقد وقع ذلك فأخزاهم الله، وسلط رسوله عليهم، فقتل من قتل، وسبى من سبى منهم، فداء الأسير وتكفرون ببعض وهو القتل والإخراج. وفيها أكبر دليل على أن الإيمان يقتضي فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأن المأمورات من الإيمان، قال بعضهم بعضا، وإذا وجدوا أسيرا منهم، وجب عليهم فداؤه، فعملوا بالأخير وتركوا الأولين، فأنكر الله عليهم ذلك فقال: أفتؤمنون ببعض الكتاب وهو أوزارها، وكان قد حصل أسارى بين الطائفتين فدى بعضهم بعضا. والأمور الثلاثة كلها قد فرضت عليهم، ففرض عليهم أن لا يسفك بعضهم دم بعض، ولا يخرج اليهودي حليفه على مقاتليه الذين تعينهم الفرقة الأخرى من اليهود، فيقتل اليهودي اليهودي، ويخرجه من دياره إذا حصل جلاء ونهب، ثم إذا وضعت الحرب فنزلت عليهم الفرق الثلاث من فرق اليهود، بنو قريظة، وبنو النضير، وبنو قينقاع، فكل فرقة منهم حالفت فرقة من أهل المدينة. فكانوا إذا اقتتلوا أعان زمن الوحي بالمدينة، وذلك أن الأوس والخزرج وهم الأنصار كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مشركين، وكانوا يقتتلون على عادة الجاهلية، وهذا الفعل المذكور في هذه الآية، فعل للذين كانوا في

الإيمان بهم، ففريقا منهم كذبتم وفريقا تقتلون فقدتم الهوى على الهدى، وآثرتهم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى. 87 إنه جبريل عليه السلام، وقيل: إنه الإيمان الذي يؤيد الله به عباده. ثم مع هذه النعم التي لا يقدر قدرها، لما أتوكم بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم عن بعيسى ابن مريم عليه السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، وأيدناه بروح القدس أي: قواه الله بروح القدس. قال أكثر المفسرين: يمتن تعالى على بني إسرائيل أن أرسل لهم كلمه موسى، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسول الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم

فلهذا قال تعالى: بل لعنهم الله بكفرهم أي: أنهم مطرودون ملعونون، بسبب كفرهم، فقليل المؤمن منهم، أو قليلا إيمانهم، وكفرهم هو الكثير. 88 لما دعوتهم إليه، يا أيها الرسول، بأن قلوبهم غلف، أي: عليها غلاف وأغطية، فلا تفقه ما تقول، يعني فيكون لهم بزعمهم عذر لعدم العلم، وهذا كذب منهم، أي: اعتذروا عن الإيمان

## تفسير السعدي

فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به، وبكتبه، وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم. 89  
وغضب عليهم غضبا بعد غضب، لكثرة كفرهم وتوالى شكهم وشركهم. وللكاافرين عذاب مهين أي: مؤلم موجع، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم،  
وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به، بغيا وحسدا، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله،  
ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه حتى إنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب، استنصروا بهذا النبي، وتوعدهم بخروجه،  
أي: ولما جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء، المشتمل على تصديق

القوة والنصرة. ثم في الآخرة لهم العذاب الأليم الموجه المفجع، بسبب كذبهم وكفرهم وفجورهم، والحال أنهم من جهلهم و حماقتهم لا يشعرون بذلك. 9  
بذلك أموالهم وحقت دماؤهم، وصار كيدهم في نحورهم، وحصل لهم بذلك الخزي والفضيحة في الدنيا، والحزن المستمر بسبب ما يحصل للمؤمنين من  
وإضرارها وكيدها؛ لأن الله تعالى لا يتضرر بخداعهم شيئا وعباده المؤمنون، لا يضرهم كيدهم شيئا، فلا يضر المؤمنين أن أظهر المنافقون الإيمان، فسلمت  
لأن المخادع، إما أن ينتج خداعه ويحصل له ما يريد أو يسلم، لا له ولا عليه، وهؤلاء عاد خداعهم عليهم، وكأنهم يعملون ما يعملون من المكر لإهلاك أنفسهم  
ويبطن خلافه لكي يتمكن من مقصوده ممن يخادع، فهؤلاء المنافقون، سلخوا مع الله وعباده هذا المسلك، فعاد خداعهم على أنفسهم، فإن هذا من العجائب؛  
وإنما هذا مخادعة لله ولعباده المؤمنين. والمخادعة: أن يظهر المخادع لمن يخادعه شيئا،

فبئس الحال حالهم، وبئس ما استعاضوا واستبدلوا من الإيمان بالله وكتبه ورسله، الكفر به، وبكتبه، وبرسله، مع علمهم وتيقنهم، فيكون أعظم لعذابهم. 90  
وغضب عليهم غضبا بعد غضب، لكثرة كفرهم وتوالى شكهم وشركهم. وللكاافرين عذاب مهين أي: مؤلم موجع، وهو صلي الجحيم، وفوت النعيم المقيم،  
وأنهم يقاتلون المشركين معه، فلما جاءهم هذا الكتاب والنبي الذي عرفوا، كفروا به، بغيا وحسدا، أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فلعنهم الله،  
ما معهم من التوراة، وقد علموا به، وتيقنوه حتى إنهم كانوا إذا وقع بينهم وبين المشركين في الجاهلية حروب، استنصروا بهذا النبي، وتوعدهم بخروجه،  
أي: ولما جاءهم كتاب من عند الله على يد أفضل الخلق وخاتم الأنبياء، المشتمل على تصديق

في أيديهم ونقضا له. ثم نقض عليهم تعالى دعواهم الإيمان بما أنزل إليهم بقوله: قل لهم: فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين - 91  
له غيرها، ولا تتم دعواه إلا بسلامة بينته، ثم يأتي هو لبينته وحجته، فيقدح فيها ويكذب بها أليس هذا من حماقة والجنون؟ فكان كفرهم بالقرآن، كفرا بما  
أنه حجة لهم على صدق ما في أيديهم من الكتب، فلا سبيل لهم إلى إثباتها إلا به، فإذا كفروا به وجحدوه، صاروا بمنزلة من ادعى دعوى بحجة وبينه ليس  
ومهيمن عليه. فلم تؤمنون بما أنزل عليكم، وتكفرون بنظيره؟ هل هذا إلا تعصب واتباع للهوى لا للهدى؟ وأيضا، فإن كون القرآن مصدقا لما معهم، يقتضي  
والنواهي، وهو من عند ربهم، فالكفر به بعد ذلك كفر بالله، وكفر بالحق الذي أنزله. ثم قال: مصدقا لما معهم أي: موافقا له في كل ما دل عليه من الحق  
وألزمهم إلزاما لا محيد لهم عنه، فرد عليهم بكفرهم بالقرآن بأمرين فقال: وهو الحق فإذا كان هو الحق في جميع ما اشتمل عليه من الأخبارات، والأوامر  
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا ولهذا رد عليهم تبارك وتعالى هنا ردا شافيا،  
الرسول والكتب، وزعم الإيمان ببعضها دون بعض، فهذا ليس بإيمان، بل هو الكفر بعينه، ولهذا قال تعالى: إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا  
أن الواجب أن يؤمن بما أنزل الله مطلقا، سواء أنزل عليهم، أو على غيرهم، وهذا هو الإيمان النافع، الإيمان بما أنزل الله على جميع رسل الله. وأما التفريق بين  
وإذا أمر اليهود بالإيمان بما أنزل الله على رسوله، وهو القرآن استكبروا وعتوا، وقالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه أي: بما سواه من الكتب، مع  
أي:

موسى بالبينات أي: بالأدلة الواضحات المبينة للحق، ثم اتخذتم العجل من بعده أي: بعد مجيئه وأنتم ظالمون في ذلك ليس لكم عذر. 92

ولقد جاءكم

والكفر برسل الله، وكثرة العصيان، وقد عهد أن الإيمان الصحيح، يأمر صاحبه بكل خير، وينهاه عن كل شر، فوضح بهذا كذبهم، وتبين تناقضهم. 93  
فالتزمت بالقول، ونقضتم بالفعل، فما هذا الإيمان الذي ادعيتهم، وما هذا الدين؟. فإن كان هذا إيمانا على زعمكم، فبئس الإيمان الداعي صاحبه إلى الطغيان،  
الحق، وأنتم قتلتم أنبياء الله، واتخذتم العجل إلها من دون الله، لما غاب عنكم موسى، نبي الله، ولم تقبلوا أوامره ونواهيته إلا بعد التهديد ورفع الطور فوقكم،  
هذه حالتهم وأشربوا في قلوبهم العجل بسبب كفرهم. قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين أي: أنتم تدعون الإيمان وتتمدحون بالدين  
وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا أي: سماع قبول وطاعة واستجابة، قالوا سمعنا وعصينا أي: صارت

والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا. والله بصير بما يعملون تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم. 94  
بأحد من الرسل والكتب. ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات،  
أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون  
أحد أنهم في غاية المعاندة والمحاددة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون  
بالله ورسله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم، وهو تمني الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك. فعلم كل  
الموت وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا

## تفسير السعدي

من دون الناس كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى فتمنوا أي: قل لهم على وجه تصحيح دعواهم: إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة

والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا. والله بصير بما يعملون تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم. 95 بأحد من الرسل والكتب. ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون أحد أنهم في غاية المعاندة والمحاداة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم، وهو تمنى الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك. فعلم كل الموت وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا من دون الناس كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى فتمنوا أي: قل لهم على وجه تصحيح دعواهم: إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة

والحال أنهم لو عمروا العمر المذكور، لم يغن عنهم شيئا ولا دفع عنهم من العذاب شيئا. والله بصير بما يعملون تهديد لهم على المجازاة بأعمالهم. 96 بأحد من الرسل والكتب. ثم ذكر شدة محبتهم للدنيا فقال: يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وهذا أبلغ ما يكون من الحرص، تمنوا حالة هي من المحالات، أنه طريق لهم إلى المجازاة بأعمالهم الخبيثة، فالموت أكره شيء إليهم، وهم أحرص على الحياة من كل أحد من الناس، حتى من المشركين الذين لا يؤمنون أحد أنهم في غاية المعاندة والمحاداة لله ولرسوله، مع علمهم بذلك، ولهذا قال تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من الكفر والمعاصي، لأنهم يعلمون بالله ورسوله، وإما أن يباهلوا على ما هم عليه بأمر يسير عليهم، وهو تمنى الموت الذي يوصلهم إلى الدار التي هي خالصة لهم، فامتنعوا من ذلك. فعلم كل الموت وهذا نوع مباهلة بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس بعد هذا الإلجاء والمضايقة لهم بعد العناد منهم، إلا أحد أمرين: إما أن يؤمنوا من دون الناس كما زعمتم، أنه لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى، وأن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، فإن كنتم صادقين بهذه الدعوى فتمنوا أي: قل لهم على وجه تصحيح دعواهم: إن كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة

بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله. فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك. 97 بالخير الديني والأخروي، لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملأته، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته رسول محض. مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة وتكبر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك، والله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك، أن وليك جبريل عليه السلام، ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، تفسير الآيتين 97 و98: أي: قل لهؤلاء اليهود، الذين

بل لما ينزل به من عند الله من الحق على رسل الله. فيتضمن الكفر والعداوة للذي أنزله وأرسله، والذي أرسل به، والذي أرسل إليه، فهذا وجه ذلك. 98 بالخير الديني والأخروي، لمن آمن به، فالعداوة لجبريل الموصوف بذلك، كفر بالله وآياته، وعداوة لله ولرسله وملأته، فإن عداوتهم لجبريل، لا لذاته رسول محض. مع أن هذا الكتاب الذي نزل به جبريل مصدقا لما تقدمه من الكتب غير مخالف لها ولا مناقض، وفيه الهداية التامة من أنواع الضلالات، والبشارة وتكبر على الله، فإن جبريل عليه السلام هو الذي نزل بالقرآن من عند الله على قلبك، وهو الذي ينزل على الأنبياء قبلك، والله هو الذي أمره، وأرسله بذلك، فهو زعموا أن الذي منعهم من الإيمان بك، أن وليك جبريل عليه السلام، ولو كان غيره من ملائكة الله، لآمنوا بك وصدقوا، إن هذا الزعم منكم تناقض وتهافت، تفسير الآيتين 97 و98: أي: قل لهؤلاء اليهود، الذين

والدلالة على الحق، قد بلغت مبلغا عظيما ووصلت إلى حالة لا يمتنع من قبولها إلا من فسق عن أمر الله، وخرج عن طاعة الله، واستكبر غاية التكبر. 99 يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولقد أنزلنا إليك آيات بينات تحصل بها الهداية لمن استهدى، وإقامة الحجة على من عاند، وهي في الوضوح

## سورة 3

وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح. 1 ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل، النار، أي: حطها، الملازمون لها دائما أبدا، وهذه الحال التي ذكر الله تعالى أنها لا تغني الأموال والأولاد عن الكفار شيئا، سنته الجارية في الأمم السابقة. 10

## تفسير السعدي

ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون وأخبر هنا أن الكفار هم وقود ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون وليس للأولاد والأموال قدر عند الله، إنما ينفع العبد إيمانه بالله وأعماله الصالحة، كما قال تعالى وما أموالكم النكبات التي ترد عليهم، ويقولون نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين فيوم القيامة يبدو لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات الجاحدين بدينه وكتابه، قد استحقوا العقاب وشدة العذاب بكفرهم وذنوبهم وأنه لا يغني عنهم مالهم ولا أولادهم شيئا، وإن كانوا في الدنيا يستدفعون بذلك يخبر تعالى أن الكفار به وبرسله،

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 100 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصولات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيّنات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربه كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيمانهم، وأن ذلك وذلك لحسدكم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيء، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدكم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدكم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب تفسير الآيات من 98 الى 101 :- يوبخ تعالى

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 101 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصولات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيّنات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربه كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيمانهم، وأن ذلك وذلك لحسدكم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيء، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدكم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدكم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب تفسير الآيات من 98 الى 101 :- يوبخ تعالى

فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها. 102 تهتدون بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من عليكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك يبين الله لكم آياته أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال لعلكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار أي: قد استحققت النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها فأنقذكم منها بما من وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالات بعضهم لبعض، ولهذا قال: فألف بين قلوبكم بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاختتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثه الله ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتنقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف

## تفسير السعدي

فاتقوا الله ما استطعتم وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جدا، يجمعها فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، ثم أمرهم تعالى بما وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة، وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود: الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال هذا أمر من

فضله وإحسانه، وإن من أعظم ما يذكر من نعمه نعمة الهداية إلى الإسلام، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واجتماع كلمة المسلمين وعدم تفرقها. 103 تهتدون بمعرفة الحق والعمل به، وفي هذه الآية ما يدل أن الله يحب من عباده أن يذكروا نعمته بقلوبهم وألسنتهم ليزدادوا شكرا له ومحبة، وليزيدهم من عليكم من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم كذلك يبين الله لكم آياته أي: يوضحها ويفسرها، ويبين لكم الحق من الباطل، والهدى من الضلال لعلكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار أي: قد استحققت النار ولم يبق بينكم وبينها إلا أن تموتوا فتدخلوها فأنقذكم منها بما من وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تألف قلوبهم وموالات بعضهم لبعض، ولهذا قال: فألف بين قلوبكم بعضهم بعضا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعثه الله ثم ذكرهم تعالى نعمته وأمرهم بذكرها فقال: واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي التعاون على البر والتقوى، كما أن بالافتراق والتعادي يختل نظامهم وتقطع روابطهم ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام، قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من يعينهم على التقوى وهو الاجتماع والاعتصام بدين الله، وكون دعوى المؤمنين واحدة مؤتلفين غير مختلفين، فإن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف فاتقوا الله ما استطعتم وتفاصيل التقوى المتعلقة بالقلب والجوارح كثيرة جدا، يجمعها فعل ما أمر الله به وترك كل ما نهى الله عنه، ثم أمرهم تعالى بما وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، وهذه الآية بيان لما يستحقه تعالى من التقوى، وأما ما يجب على العبد منها، فكما قال تعالى: صحته ونشاطه وإمكانه مداوما لتقوى ربه وطاعته، منيبا إليه على الدوام، ثبته الله عند موته ورزقه حسن الخاتمة، وتقوى الله حق تقواه كما قال ابن مسعود: الله لعباده المؤمنين أن يتقوه حق تقواه، وأن يستمروا على ذلك ويثبتوا عليه ويستقيموا إلى الممات، فإن من عاش على شيء مات عليه، فمن كان في حال هذا أمر من

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: وأولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب، الناجون من المرهوب 104 النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع الباطلة، وكل هذه الأمور من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله ولتكن منكم أمة إلخ أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في بالشرع كالصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من شرائع الإسلام، وكتفقد المكاييل والموازين وتفقد أهل الأسواق ومنهم من الغش والمعاملات يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يقرب إلى الله ويبعد من سخطه ويأمرون بالمعروف وهو ما عرف بالعقل والشرع حسنه ويبنهون عن المنكر وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه، وهذا أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين من الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله أمة أي: جماعة يدعون إلى الخير وهو اسم جامع لكل ما من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ، ولهذا قال تعالى: وأولئك لهم عذاب عظيم 105 فقال: ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ومن العجائب أن اختلفهم من بعد ما جاءهم البينات الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولي ثم نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلفهم،

تركتهم سبيل الرشاد وسلكتهم طريق الغي؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فليس يليق بكم إلا النار، ولا تستحقون إلا الخزي والفضيحة والعار. 106 فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم على وجه التوبيخ والتقريع: أكفرتم بعد إيمانكم أي: كيف آثرتكم الكفر والضلal على الإيمان والهدى؟ وكيف وقال تعالى: والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون من البهجة والسرور والنعيم والحبور الذي ظهرت آثاره على وجوههم كما قال تعالى: ولقاهم نضرة وسرورا في وجوههم وسرورا في قلوبهم، الشقاوة والشر، أهل الفرقة والاختلاف، هؤلاء اسودت وجوههم بما في قلوبهم من الخزي والهوان والذلة والفضيحة، وأولئك أبيضت وجوههم، لما في قلوبهم للخوف والرجاء فقال: يوم تبيض وجوه وهي وجوه أهل السعادة والخير، أهل الائتلاف والاعتصام بحبل الله وتسود وجوه وهي وجوه أهل يخبر تعالى عن حال يوم القيامة وما فيه من آثار الجزاء بالعدل والفضل، ويتضمن ذلك الترغيب والترهيب الموجب

## تفسير السعدي

بما فيها من النعيم المقيم والعيش السليم، في جوار أرحم الراحمين، لما بين الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الأحكام الأمرية والأحكام الجزائية 107 بدخول الجنات ورضى ربهم ورحمته ففي رحمة الله هم فيها خالدون وإذا كانوا خالدين في الرحمة، فالجنة أثر من آثار رحمته تعالى، فهم خالدون فيها وأما الذين ابيضت وجوههم فيهننون أكمل تهنئة ويبشرون أعظم بشارة، وذلك أنهم يبشرون

للعالمين نفى إرادته ظلمهم فضلا عن كونه يفعل ذلك فلا ينقص أحدا شيئا من حسناته، ولا يزيد في ظلم الظالمين، بل يجازيهم بأعمالهم فقط 108 وأوامره ونواهيه مشتملة على الحكمة والرحمة وثوابها وعقابها، كذلك مشتمل على الحكمة والرحمة والعدل الخالي من الظلم، ولهذا قال: وما الله يريد ظلما تلك آيات الله نتلوها أي: نقصها عليك بالحق لأن

في الأرض، الذي خلقهم ورزقهم ويتصرف فيهم بقدره وقضائه، وفي شرعه وأمره، وإليه يرجعون يوم القيامة فيجازيهم بأعمالهم حسننها وسيئها. 109 أي: هو المالك لما في السماوات وما

وعاندوا، أخذهم الله بذنوبهم عدلا منه لا ظلما والله شديد العقاب على من أتى بأسباب العقاب وهو الكفر والذنوب على اختلاف أنواعها وتعدد مراتبها 11 كما جرى لفرعون ومن قبله ومن بعدهم من الفراعة العتاة الطغاة أرباب الأموال والجنود لما كذبوا بآيات الله وجحدوا ما جاءت به الرسل

لا سبيل إلى السلامة منها من كل معادي، فلو قاتلوا المؤمنين لولوا الأدبار فرارا ثم تستمر هزيمتهم ويدوم ذلهم ولا هم ينصرون في وقت من الأوقات 110 الله بعباده المؤمنين أنه رد كيدهم في نحورهم، فليس على المؤمنين منهم ضرر في أديانهم ولا أبدانهم، وإنما غاية ما يصلون إليه من الأذى أذية الكلام التي الخطاب ما يدعوهم إلى الإيمان، ولكن لم يؤمن منهم إلا قليل، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله المعادون لأوليائه الله بأنواع العداوة، ولكن من لطف قد قامت بما أمرها الله بالقيام به، وامثلت أمر ربها واستحقت الفضل على سائر الأمم ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم وفي هذا من دعوته بلطف إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أمرا منه تعالى لهذه الأمة، والأمر قد يمثلته المأمور ويقوم به، وقد لا يقوم به، أخبر في هذه الآية أن الأمة وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغييهم وعصيانهم، فهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، لما كانت الآية السابقة وهي قوله: ولتكن منكم أمة يدعون لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم

لا سبيل إلى السلامة منها من كل معادي، فلو قاتلوا المؤمنين لولوا الأدبار فرارا ثم تستمر هزيمتهم ويدوم ذلهم ولا هم ينصرون في وقت من الأوقات 111 الله بعباده المؤمنين أنه رد كيدهم في نحورهم، فليس على المؤمنين منهم ضرر في أديانهم ولا أبدانهم، وإنما غاية ما يصلون إليه من الأذى أذية الكلام التي الخطاب ما يدعوهم إلى الإيمان، ولكن لم يؤمن منهم إلا قليل، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله المعادون لأوليائه الله بأنواع العداوة، ولكن من لطف قد قامت بما أمرها الله بالقيام به، وامثلت أمر ربها واستحقت الفضل على سائر الأمم ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم وفي هذا من دعوته بلطف إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر أمرا منه تعالى لهذه الأمة، والأمر قد يمثلته المأمور ويقوم به، وقد لا يقوم به، أخبر في هذه الآية أن الأمة وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم وغييهم وعصيانهم، فهذا كانوا خير أمة أخرجت للناس، لما كانت الآية السابقة وهي قوله: ولتكن منكم أمة يدعون لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله وجهادهم على ذلك يمدح تعالى هذه الأمة ويخبر أنها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم

بعد هذه الجراءة والجنائية شيء أعظم منها، وذلك كله بسبب عصيانهم واعتدائهم، فهو الذي جرأهم على الكفر بالله وقتل أنبياء الله، ثم قال تعالى: 112 لليقين والإيمان، فكفروا بها بغيا وعنادا ويقتلون الأنبياء بغير حق أي: يقابلون أنبياء الله الذين يحسنون إليهم أعظم إحسان بأشر مقابلة، وهو القتل، فهل والسبب الذي أوصلهم إلى هذه الحال ذكره الله بقوله: ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله التي أنزلها الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الموجبة إلا تحت أحكام المسلمين وعهدهم، تؤخذ منهم الجزية ويستدلون، أو تحت أحكام النصارى وقد باءوا مع ذلك بغضب من الله وهذا أعظم العقوبات، أنه عاقبهم بالدلة في بواطنهم والمسكنة على ظواهرهم، فلا يستقرون ولا يطمئنون إلا بحبل أي: عهد من الله وحبل من الناس فلا يكون اليهود أخبر تعالى

الله أناء الليل وهم يسجدون وهذا بيان لصلاتهم في أوقات الليل وطول تهجدهم وتلاوتهم لكتاب ربهم وإيثارهم الخضوع والركوع والسجود له. 113 هؤلاء المؤمنون، فقال تعالى منهم أمة قائمة أي: مستقيمة على دين الله، قائمة بما ألزمها الله به من المأمورات، ومن ذلك قيامها بالصلاة يتلون آيات الأمة المستقيمة، وبين أفعالها وثوابها، فأخبر أنهم لا يستوون عنده، بل بينهم من الفرق ما لا يمكن وصفه، فأما تلك الطائفة الفاسقة فقد مضى وصفهم، وأما لما بين تعالي الفرق الفاسقة من أهل الكتاب وبين أفعالهم وعقوباتهم، بين هاهنا

الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فهذا قال والله عليم بالمتقين كما قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين 114 فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا من خير قليلا كان أو كثيرا فلن يكفروه أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة من الصالحين الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من في الخيرات أي: يباردون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن

## تفسير السعدي

بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم وصفهم بالهمم العالية و أنهم يسارعون وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، يؤمنون بالله واليوم الآخر أي: كإيمان المؤمنين إيماناً يوجب لهم الإيمان بكل نبي

الأعمال ثوابها تبع لما يقوم بقلب صاحبها من الإيمان والتقوى، فلماذا قال والله عليم بالمتقين كما قال تعالى: إنما يتقبل الله من المتقين 115 فضله وإحسانه، وأنهم مهما فعلوا من خير قليلاً كان أو كثيراً فلن يكفروه أي: لن يحرموه ويفوتوا أجره، بل يثيبهم الله على ذلك أكمل ثواب، ولكن عوائده، فهؤلاء الذين وصفهم الله بهذه الصفات الجميلة والأفعال الجليلة من الصالحين الذين يدخلهم الله في رحمته ويتغمدهم بغفرانه وينيلهم من في الخيرات أي: يبادرون إليها فينتهزون الفرصة فيها، ويفعلونها في أول وقت إمكانها، وذلك من شدة رغبتهم في الخير ومعرفتهم بفوائده وحسن بكل خير، ونهيهم عن كل شر، ومن ذلك حثهم أهل دينهم وغيرهم على الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، ثم وصفهم بالهمم العالية و أنهم يسارعون وترك كل ما يعاقب عليه في ذلك اليوم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فحصل منهم تكميل أنفسهم بالإيمان ولوازمه، وتكميل غيرهم بأمرهم أرسله، وكل كتاب أنزله الله، وخص الإيمان باليوم الآخر لأن الإيمان الحقيقي باليوم الآخر يحث المؤمن به على ما يقر به إلى الله، ويثاب عليه في ذلك اليوم، يؤمنون بالله واليوم الآخر أي: كإيمان المؤمنين إيماناً يوجب لهم الإيمان بكل نبي

في زيادة نعم الله عليهم، تقتضي منهم شكرها، ويعاقبون على عدم القيام بها وعلى كفرها، ولهذا قال: أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 116 الله، كما قال تعالى: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً بل تكون أموالهم وأولادهم زاداً لهم إلى النار، وحجة عليهم يخبر تعالى أن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً، أي: لا تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله، ولا تجدي عليهم شيئاً من ثواب كانوا أنفسهم يظلمون حيث كفروا بآيات الله وكذبوا رسوله وحرصوا على إطفاء نور الله، هذه الأمور هي التي أحبطت أعمالهم وذهبت بأموالهم 117 فيهم: إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وما ظلمهم الله بإبطال أعمالهم ولكن هو كذلك إذ أصابته ريح فيها صر، أي: برد شديد محرق، فأهلك زرعهم، ولم يحصل له إلا التعب والعناء وزيادة الأسف، فكذا هؤلاء الكفار الذين قال الله من أموالهم التي يصدون بها عن سبيل الله ويستعينون بها على إطفاء نور الله، بأنها تبطل وتضمحل، كمن زرع زرعاً يرجو نتيجته ويؤمل إدراك ريعه، فبينما ثم ضرب مثلاً لما ينفقه الكفار

بطانة، وإنما العاقل من إذا ابتلي بمخالطة العدو أن تكون مخالطة العدو ولا يطلعه من باطنه على شيء ولو تملق له وأقسم أنه من أوليائه. 118 للمؤمنين قد بينا لكم الآيات أي: التي فيها مصالحكم الدينية والدنيوية لعلكم تعقلون فتعرفونها وتفرقون بين الصديق والعدو، فليس كل أحد يجعل يسمع منهم فهذا لا يألونكم خبالاً أي: لا يقصرون في حصول الضرر عليكم والمشقة وعمل الأسباب التي فيها ضرركم ومساعدة الأعداء عليكم قال الله أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية وذلك أنهم هم الأعداء الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء فظهرت على أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر مما ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهر عنهم على سرائرهم

ضرركم لا يضرهم إلا أنفسهم، وإن غيظهم لا يقدر على تنفيذه، بل لا يزالون معذبين به حتى يموتوا فينتقلوا من عذاب الدنيا إلى عذاب الآخرة. 119 الأنامل وهي أطراف الأصابع من شدة غيظهم عليكم قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور وهذا فيه بشارة للمؤمنين أن هؤلاء الذين قصدوا كله أي: جنس الكتب التي أنزلها الله على أنبيائه وهم لا يؤمنون بكتابتكم، بل إذا لقوكم أظهروا لكم الإيمان وإذا لقوكم قالوا آمناً وإذا خلوا عضوا عليكم قال الله مهيّجاً للمؤمنين على الحذر من هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب، ومبيناً شدة عداوتهم ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب مغلوبون في الدار أنهم محشورون ومجموعون يوم القيامة لدار البوار، وهذا هو الذي مهدوه لأنفسهم فبئس المهاد مهادهم، وبئس الجزاء جزاؤهم. 120 وسيفعل هذا تعالى بعباده وجنده المؤمنين إلى يوم القيامة، ففي هذا عبرة وآية من آيات القرآن المشاهدة بالحس والعيان، وأخبر تعالى أن الكفار مع أنهم وفي هذا إشارة للمؤمنين بالنصر والغلبة وتحذير للكفار، وقد وقع كما أخبر تعالى، فنصر الله المؤمنين على أعدائهم من كفار المشركين واليهود والنصارى، ثم قال تعالى قل يا محمد للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد

والتقوى لم يضرهم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم لأنه محيط بهم علمه وقدرته فلا منفذ لهم عن ذلك ولا يخفى عليهم منهم شيء. 120 تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضرهم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر وهي الصبر إن تمسككم حسنة كالنصر على الأعداء وحصول الفتح والغنائم تسؤمهم أي: تغهم وتحزنهم وإن

أتم الجزاء، وأيضاً فالله سميع عليم بكم، يكلؤكم، ويتولى تدبير أموركم، ويؤيدكم بنصره كما قال تعالى لموسى وهارون إنني معكما أسمع وأرى 121 عليه والله سميع لجميع المسموعات، ومنه أنه يسمع ما يقول المؤمنون والمنافقون كل يتكلم بحسب ما في قلبه عليم بنيات العبيد، فيجازيهم عليها وإقامتهم في مقاعد القتال، وما ذاك إلا لكمال علمه ورأيه، وسداد نظره وعلو همته، حيث يباشر هذه الأمور بنفسه وشجاعته الكاملة صلوات الله وسلامه تبوء المؤمنين مقاعد للقتال أي: تنزلهم وترتبهم كل في مقعده اللائق به، وفيها أعظم مدح للنبي صلى الله عليه وسلم حيث هو الذي يباشر تدبيرهم

## تفسير السعدي

من أهلك والغدو هاهنا مطلق الخروج، ليس المراد به الخروج في أول النهار، لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يخرجوا إلا بعدما صلوا الجمعة جبل أحد وكف الله عنهم أيدي المشركين وانكفأوا إلى بلادهم، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة قال الله تعالى وإذ غدوت ساقطهم، فجال المسلمون جولة ابتلاهم الله بها وكفر بها عنهم، وأذاقهم فيها عقوبة المخالفة، فحصل ما حصل من قتل من قتل منهم، ثم إنهم انحازوا إلى رأس إليه، فلما أخلوا موضعهم فلم يبق فيه إلا نفر يسير، منهم أميرهم عبد الله بن جبير، جاءت خيل المشركين من ذلك الموضع واستدبرت المسلمين وقاتلت عليه وسلم في الجبل، قال بعضهم لبعض: الغنيمة الغنيمة، ما يقعدنا هاهنا والمشركون قد انهزموا، ووعظهم أميرهم عبد الله بن جبير عن المعصية فلم يلتفتوا انهزم المشركون هزيمة قبيحة وخلفوا معسكرهم خلف ظهورهم، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فلما رأهم الرماة الذين جعلهم النبي صلى الله عليه وسلم رجالاً من أصحابه في خلة في جبل أحد وأمرهم أن يلزموا مكانهم ولا يبرحوا منه ليأمنوا أن يأتيهم أحد من ظهورهم، فلما التقى المسلمون والمشركون حارثة فثبتهم الله، فلما وصلوا إلى أحد رتبهم النبي صلى الله عليه وسلم في مواضعهم وأسندوا ظهورهم إلى أحد، ورتب النبي صلى الله عليه وسلم خمسين في ألف، فلما ساروا قليلاً رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلاث الجيش ممن هو على مثل طريقته، وهمت طائفتان من المؤمنين أن يرجعوا وهم بنو سلمة وبنو آلان مقاتل، حتى نزلوا قرب المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم هو وأصحابه بعد المراجعة والمشاورة حتى استقر رأيهم على الخروج، وخرجوا يقدرون عليه من العدد بالأموال والرجال والعدد، حتى اجتمع عندهم من ذلك ما جزموا بحصول غرضهم وشفاء غيظهم، ثم وجهوا من مكة للمدينة في ثلاثة قد أصبتم مثليها وحاصل قضية أحد وإجمالها أن المشركين لما رجع فلهم من بدر إلى مكة، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة، استعدوا بكل ما من المكروه الذي هو في الحقيقة خير لهم، كان المكروه بالنسبة إلى المحبوب نذراً يسيراً، وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة في قوله أولما أصابتكم مصيبة القصتين أن الله يحب من عباده إذا أصابهم ما يكرهون أن يتذكروا ما يحبون، فيخف عنهم البلاء ويشكروا الله على نعمه العظيمة التي إذا قوبلت بما ينالهم القصتين، وأن الله نصر المؤمنين في بدر لما صبروا واتقوا، وأدال عليهم العدو لما صدر من بعضهم من الإخلال بالتقوى ما صدر، ومن حكمة الجمع بين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم، وكان هذا حكماً عاماً ووعداً صادقاً لا يتخلف مع الإتيان بشرطه، فذكر نموذجاً من هذا في هاتين وقصتها مشهورة في السير والتواريخ، ولعل الحكمة في ذكرها في هذا الموضع، وأدخل في أثنائها وقعة بدر لما أن الله تعالى قد وعد المؤمنين هذه الآيات نزلت في وقعة أحد

بربهم والاستنصار له، والتبري من حولهم وقوتهم، والاعتماد على حول الله وقوته، فبذلك ينصرهم ويدفع عنهم البلايا والمحن، ثم قال تعالى: 122 بحسب إيمان العبد يكون توكله، وأن المؤمنين أولى بالتوكل على الله من غيرهم، وخصوصاً في مواطن الشدة والقتال، فإنهم مضطرون إلى التوكل والاستعانة إلى النور ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون ففيها الأمر بالتوكل الذي هو اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقة بالله، وأنه لما هما بهذه المعصية العظيمة وهي الفشل والفرار عن رسول الله عصفهما، لما معهما من الإيمان كما قال تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات فلها قال والله وليهما أي: بولايته الخاصة، التي هي لطفه بأوليائه، وتوفيقهم لما فيه صلاحهم وعصمتهم عما فيه مضرتهم، فمن توليه لهما أنهما بهم وإحسانه إليهم أنه، لما همت طائفتان من المؤمنين بالفشل وهم بنو سلمة وبنو حارثة كما تقدم ثبتهما الله تعالى نعمة عليهما وعلى سائر المؤمنين، ومن لطفه

قال فاتقوا الله لعلكم تشكرون لأن من اتقى ربه فقد شكره، ومن ترك التقوى فلم يشكره، إذ تقول يا محمد للمؤمنين يوم بدر مبشراً لهم بالنصر. 123 معسكرهم ستأتي إن شاء الله القصة في سورة الأنفال، فإن ذلك موضعها، ولكن الله تعالى هنا أتى بها ليتذكر بها المؤمنون ليتقوا ربهم ويشكروه، فلها مكة والمدينة فاقتتلوا، ونصر الله المسلمين نصراً عظيماً، فقتلوا من المشركين سبعين قتيلاً من صناديد المشركين وشجعانهم، وأسروا سبعين، واحتوا على من مكة لفكاً غيرهم، وخرجوا في زهاء ألف مقاتل مع العدة الكاملة والسلاح العام والخيل الكثيرة، فالتقوا هم والمسلمون في ماء يقال له بدر بين من المدينة بثلاث مئة وبضعة عشر من أصحابه، ولم يكن معهم إلا سبعون بعيراً وفرسان لطلب عير لقريش قدمت من الشام، فسمع به المشركون فتجهزوا به يوم بدر وهم أذلة في قلة عددهم وعددهم مع كثرة عدد عدوهم وعددهم، وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة، خرج النبي صلى الله عليه وسلم وهذا امتنان منه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم

وإمدادهم بهم، وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الشرطين الأولين كما تقدم في قوله: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً 124 أي: معلمين بعلامة الشجعان، فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط: الصبر، والتقوى، وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإزالة الملائكة المذكورين من الملائكة منزليين بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا أي: من مقصدهم هذا، وهو وقعة بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أن يكفيكم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف

وإمدادهم بهم، وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الشرطين الأولين كما تقدم في قوله: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً 125 أي: معلمين بعلامة الشجعان، فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط: الصبر، والتقوى، وإتيان المشركين من فورهم هذا، فهذا الوعد بإزالة الملائكة المذكورين من الملائكة منزليين بل إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا أي: من مقصدهم هذا، وهو وقعة بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين أن يكفيكم أن يمددكم ربكم بثلاثة آلاف



## تفسير السعدي

في إدالة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين إدالة غير مستقرة، قال تعالى: ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم بعض 126 ولهذا قال عند الله العزيز فلا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين لبيّن لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه، عند الله فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء وما جعله الله أي: إمداده لكم بالملائكة إلا بشرى تستبشرون بها وتفرحون ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من

بخسارة وغم وحسرة، وإذا تأملت الواقع رأيت نصر الله لعباده المؤمنين دائرا بين هذين الأمرين، غير خارج عنهما إما نصر عليهم أو خذل لهم. 127 أنفسهم ذلك، ويحرصوا عليه غاية الحرص، ويبدلوا قواهم وأموالهم في ذلك، فينصر الله المؤمنين عليهم ويردهم خائبين لم ينالوا مقصودهم، بل يرجعون فبهذه الأمور تحصل منهم المقاومة والمقاتلة فقطع شيء من ذلك ذهاب لبعض قوتهم، الأمر الثاني أن يريد الكفار بقوتهم وكثرتهم، طمعا في المسلمين، ويمنوا على بلد، أو غنيمة مال، فيقوى بذلك المؤمنون ويذل الكافرون، وذلك لأن مقاومتهم ومحاربتهم للإسلام تتألف من أشخاصهم وسلاحهم وأموالهم وأرضهم يخبر تعالى أن نصره عباده المؤمنين لأحد أمرين: إما أن يقطع طرفا من الذين كفروا، أي: جانبنا منهم وركنا من أركانهم، إما بقتل، أو أسر، أو استيلاء

فقال أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليدل ذلك على كمال عدل الله وحكمته، حيث وضع العقوبة موضعها، ولم يظلم عبده بل العبد هو الذي ظلم نفسه 128 على أن النعمة محض فضله على عبده، من غير سبق سبب من العبد ولا وسيلة، ولما ذكر العذاب ذكر معه ظلمهم، ورتبه على العذاب بالقاء المفيدة للسببية، من لا يملك من الأمر مثقال ذرة، إن هذا لهو الضلال البعيد، وتأمل كيف لما ذكر تعالى توبته عليهم أسند الفعل إليه، ولم يذكر منهم سببا موجبا لذلك، ليدل ذلك باب أولى ففيها أعظم رد على من تعلق بالأنبياء أو غيرهم من الصالحين وغيرهم، وأن هذا شرك في العبادة، نقص في العقل، يتركون من الأمر كله له ويدعون العبد وإن ارتفعت درجته وعلا قدره قد يختار شيئا وتكون الخيرة والمصلحة في غيره، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له من الأمر شيء فغيره من فعل، وقد تاب الله على هؤلاء المعينين وغيرهم، فهداهم للإسلام رضي الله عنهم، وفي هذه الآية مما يدل على أن اختيار الله غالب على اختيار العباد، وأن أن يتوب عليهم ويمن عليهم بالإسلام فعل، وإن اقتضت حكمته إبقاءهم على كفرهم وعدم هدايتهم، فإنهم هم الذين ظلموا أنفسهم وضروها وتسببوا بذلك، مصالحهم، وإنما الأمر لله تعالى هو الذي يدبر الأمور، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، فلا تدع عليهم بل أمرهم راجع إلى ربهم، إن اقتضت حكمته ورحمته أنزل الله تعالى على رسوله نهيا له عن الدعاء عليهم باللعنة والطرده عن رحمة الله ليس لك من الأمر شيء إنما عليك البلاغ وإرشاد الخلق والحرص على كيف يفلح قوم شجوا نبينهم وجعل يدعو على رؤساء من المشركين مثل أبي سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، لما جرى يوم أحد ما جرى، وجرى على النبي صلى الله عليه وسلم مصائب، رفع الله بها درجته، فشج رأسه وكسرت رباعيته، قال

فله تعالى رحمة وإحسان سيرحم بها عباده لا تخطر ببال بشر، ولا يدرك لها وصف، ففسأله تعالى أن يتغمدنا ويدخلنا برحمته في عباده الصالحين. 129 وأن منهم من يغفر الله له ومنهم من يعذبه، فلم يختما باسمين أحدهما دال على الرحمة، والثاني دال على النعمة، بل ختمها باسمين كليهما يدل على الرحمة، إحسانه وعميم إحسانه، فقال والله غفور رحيم ففيها أعظم بشارة بأن رحمته غلبت غضبه، ومغفرته غلبت مؤاخذته، فالآية فيها الإخبار عن حالة الخلق يكله إلى نفسه الجاهلة الظالمة المقتضية لعمل الشر فيعمل الشر ويعذبه على ذلك، ثم ختم الآية باسمين كريمين دالين على سعة رحمته وعموم مغفرته وسعة كذلك فهم دائرون بين مغفرته وتعذيبه فيغفر لمن يشاء بأن يهديه للإسلام فيغفر شركه ويمن عليه بترك العصيان فيغفر له ذنبه، ويعذب من يشاء بأن والجمادات كلها، وجميع ما في السماوات والأرض، الكل ملك لله مخلوقون مدبرون متصرف فيهم تصرف الممالك، فليس لهم مثقال ذرة من الملك، وإذا كانوا نفى عن رسوله أنه ليس له من الأمر شيء قرر من الأمر له فقال ولله ما في السماوات وما في الأرض من الملائكة والإنس والجن والحيوانات والأفلاك ولما

سبب أعظم منه لا يدركه إلا أهل البصائر والإيمان بالله والتوكل على الله والثقة بكفايته، وهو نصره وإعزازه لعباده المؤمنين على أعدائه الكافرين. 13 إلى مجرد الأسباب الظاهرة والعدد والعدد لجزم بأن غلبة هذه الفئة القليلة لتلك الفئة الكثيرة من أنواع المحالات، ولكن وراء هذا السبب المشاهد بالأبصار كفر به، ففي هذا عبرة لأولي الأبصار، أي: أصحاب البصائر النافذة والعقول الكاملة، على أن الطائفة المنصورة معها الحق، والأخرى مبطله، وإلا فلو نظر الناظر هذا بقوله رأي العين فنصر الله المؤمنين وأيدهم بنصره فهزمهم، وقتلوا صناديدهم، وأسروا كثيرا منهم، وما ذاك إلا لأن الله ناصر من نصره، وخاذل من المشركون أضعاف المؤمنين، فلماذا قال يرونهم مثليهم رأي العين أي: يرى المؤمنون الكافرين يزيدون عليها زيادة كثيرة، تبلغ المضاعفة وتزيد عليها، وأكد وأخرى كافرة أي: كفار قريش الذين خرجوا من ديارهم بطرا وفخرا ورناء الناس، ويصدون عن سبيل الله، فجمع الله بين الطائفتين في بدر، وكان قد كان لكم آية أي: عبرة عظيمة في فئتين التقتا وهذا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه

فالإزامة بما فوق ذلك ظلم متضاعف، فيتعين على المؤمن المتقي تركه وعدم قربانه، لأن تركه من موجبات التقوى. والفلاح متوقف على التقوى 130 بكثرته، وتنبيهه لحكمة تحريمه، وأن تحريم الربا حكمته أن الله منع منه لما فيه من الظلم. وذلك أن الله أوجب إنظار المعسر، وبقاء ما في ذمته من غير زيادة، ذلك، اغتناما لراحته الحاضرة، فيزداد بذلك ما في ذمته أضعافا مضاعفة، من غير نفع وانتفاع. ففي قوله: أضعافا مضاعفة تنبيه على شدة شناعته المعسر ولم يحصل منه شيء، قالوا له: إما أن تقضي ما عليك من الدين، وإما أن نزيد في المدة، ويزيد ما في ذمتك، فيضطر الفقير ويستدفع غريمه ويلتزم

## تفسير السعدي

المستلزم لأعمال الجوارح، فنهاهم عن أكل الربا أضاعافا مضاعفة، وذلك هو ما اعتاده أهل الجاهلية، ومن لا يبالي بالأوامر الشرعية من أنه إذا حل الدين، على أو اتركوا كذا، يدل على أن الإيمان هو السبب الداعي والموجب لامتناع ذلك الأمر، واجتناب ذلك النهي؛ لأن الإيمان هو التصديق الكامل بما يجب التصديق به، مقيدتين، فقال: واتقوا الله واتقوا النار فقلوه تعالى: يا أيها الذين آمنوا كل ما في القرآن من قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا افعلوا كذا، بغيرها من باب أولى وأحرى، ويدل على ما قلنا أن الله ذكر لفظ التقوى في هذه الآيات ثلاث مرات: مرة مطلقة وهي قوله: أعدت للمتقين ومرتين النفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التقوى، التي يحصل بها النصر والفلاح والسعادة، فذكر الله في هذه الآيات أهم خصال التقوى التي إذا قام العبد بها فقيامه كما في قوله تعالى: وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ثم قال: بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بالآيات. فكان في إدخال هذه الآيات أثناء قصة أحد أنه قد تقدم أن الله تعالى وعد عباده المؤمنين، أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم على أعدائهم، وخذل الأعداء عنهم، اشتملت عن أوامر وخصال من خصال الخير، أمر الله بها وحث على فعلها، وأخبر عن جزاء أهلها، وعلى نواهي حث على تركها. ولعل الحكمة والله أعلم حده، وما يدخل فيه وما لا يدخل، ثم اجتهد واستعان بربه في تركه، وأن هذا ينبغي مراعاته في جميع الأوامر الإلهية والنواهي، وهذه الآيات الكريما قد أمر به ليتمكن بذلك من امتثاله، فإذا عرف ذلك اجتهد، واستعان بالله على امتثاله في نفسه وفي غيره، بحسب قدرته وإمكانه، وكذلك إذا نهي عن أمر عرف هذا التفسير أن العبد ينبغي له مراعاة الأوامر والنواهي في نفسه وفي غيره، وأن الله تعالى إذا أمره بأمر وجب عليه أولا أن يعرف حده، وما هو الذي تقدم في مقدمة

الله النار لأهله، فترك المعاصي ينجي من النار، وبقي من سخط الجبار، وأفعل الخير والطاعة توجب رضا الرحمن، ودخول الجنان، وحصول الرحمة 131 يوجب دخولها، من الكفر والمعاصي، على اختلاف درجاتها، فإن المعاصي كلها وخصوصا المعاصي الكبار تجر إلى الكفر، بل هي من خصال الكفر الذي أعد واتقوا النار التي أعدت للكافرين بترك ما

فطاعة الله وطاعة رسوله، من أسباب حصول الرحمة كما قال تعالى: ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الآيات. 132 وأطيعوا الله والرسول بفعل الأوامر امتثالا، واجتناب النواهي لعلكم ترحمون

إلى مغفرته وإدراك جنته التي عرضها السماوات والأرض، فكيف بطولها، التي أعدها الله للمتقين، فهم أهلها وأعمال التقوى هي الموصلة إليها 133 ثم أمرهم تعالى بالمسارعة

في ذلك بذل الندي وكف الأذى، واحتمال الأذى، كما وصف الله به المتقين في هذه الآيات، فمن قام بهذه الأمور، فقد قام بحق الله وحق عبده. 134 لعامتهم وخاصتهم، والسعي في جمع كلمتهم، وإيصال الصداقات والنفقات الواجبة والمستحبة إليهم، على اختلاف أحوالهم وتباين أوصافهم، فيدخل الديني والدنيوي إليهم، ودفع الشر الديني والدنيوي عنهم، فيدخل في ذلك أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليم جاهلهم، ووعظ غافلهم، والنصيحة الخالق. فسرنا النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك وأما الإحسان إلى المخلوق، فهو إيصال النفع وأجل، وهي الإحسان، فقال تعالى: والله يحب المحسنين والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق. والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة الله عنه، ويكون أجره على ربه الكريم، لا على العبد الفقير، كما قال تعالى: فمن عفا وأصلح فأجره على الله ثم ذكر حالة أعم من غيرها، وأحسن وأعلى تحلى بالأخلاق الجميلة، وتخلى عن الأخلاق الرذيلة، وممن تاجر مع الله، وعفا عن عباد الله رحمة بهم، وإحسانا إليهم، وكرهية لحصول الشر عليهم، وليعفو في العفو عن الناس، العفو عن كل من أساء إليك بقول أو فعل، والعفو أبلغ من الكظم، لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماح عن المسيء، وهذا إنما يكون ممن والفعل، هؤلاء لا يعملون بمقتضى الطباع البشرية، بل يكظمون ما في القلوب من الغيظ، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم. والعافين عن الناس يدخل من المعروف شيئا ولو قل. والكاظمين الغيظ أي: إذا حصل لهم من غيرهم أذية توجب غيظهم وهو امتلاء قلوبهم من الحنق، الموجب للانتقام بالقول ثم وصف المتقين وأعمالهم، فقال: الذين ينفقون في السراء والضراء أي: في حال عسرهم ويسرهم، إن أيسروا أكثروا من النفقة، وإن أعسروا لم يحتقروا ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها، فلماذا قال: ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون 135 إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم أي: صدر منهم أعمال سيئة كبيرة، أو ما دون ذلك، بادرُوا إلى التوبة والاستغفار، وذكرُوا ربهم، وما توعدهم به العاصين ثم ذكر اعتذارهم لربهم من جنایاتهم وذنوبهم، فقال: والذين

قال: أعدت للمتقين ثم وصف المتقين بهذه الأعمال المالية والبدنية، فدل على أن هؤلاء المتقين الموصوفين بهذه الصفات هم أولئك المؤمنون. 136 تعالى: سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله فلم يذكر فيها إلا لفظ الإيمان به وبرسوله، وهنا أهل السنة والجماعة، على أن الأعمال تدخل في الإيمان، خلافا للمرجئة، ووجه الدلالة إنما يتم بذكر الآية، التي في سورة الحديد، نظير هذه الآيات، وهي قوله العاملين عملوا لله قليلا فأجروا كثيرا ف عند الصباح يحمد القوم السرى وعند الجزاء يجد العامل أجره كاملا موفرا. وهذه الآيات الكريما من أدلة المثمرة البهية، والأنهار الجارية في تلك المساكن الطيبات، خالدين فيها لا يحولون عنها، ولا يبيعون بها بدلا، ولا يغير ما هم فيه من النعيم، ونعم أجر محذور وجنات تجري من تحتها الأنهار فيها من النعيم المقيم، والبهجة والسرور والبهاء، والخير والسرور، والقصور والمنازل الأنيقة العاليات، والأشجار أولئك الموصوفون بتلك الصفات جزاؤهم مغفرة من ربهم تزيل عنهم كل

## تفسير السعدي

أفليس في هذا أعظم دليل، وأكبر شاهد على صدق ما جاءت به الرسل؟ وحكمة الله التي يمتحن بها عباده، ليلوهم ويتبين صادقهم من كاذبهم 137 المكذبين فإنكم لا تجدونهم إلا معذبين بأنواع العقوبات الدنيوية، قد خوت ديارهم، وتبين لكل أحد خسارهم، وذهب عزهم وملكهم، وزال بذخهم وفخرهم، المؤمنين، وآخر الأمر حصلت الدولة على المكذبين، وخذلهم الله بنصر رسله وأتباعهم. فسيروا في الأرض بأبدانكم وقلوبكم فانظروا كيف كان عاقبة مضى قبلهم أجيال وأمم كثيرة، امتحنوا، وابتلي المؤمنون منهم بقتال الكافرين، فلم يزالوا في مداولة ومجاوله، حتى جعل الله العاقبة للمتقين، والنصر لعباده وهذه الآيات الكريكات، وما بعدها في قصة أحد يعزي تعالى عباده المؤمنين ويسليهم، ويخبرهم أنه

الإشارة في قوله: هذا بيان للناس للقرآن العظيم، والذكر الحكيم، وأنه بيان للناس عموما، وهدي وموعظة للمتقين خصوصا، وكلا المعنيين حق. 138 إلى سبيل الرشاد، وتعظمهم وتزجرهم عن طريق الغي، وأما باقي الناس فهي بيان لهم، تقوم به عليهم الحجة من الله، ليهلك من هلك عن بينة. ويحتمل أن الحق من الباطل، وأهل السعادة من أهل الشقاوة، وهو الإشارة إلى ما أوقع الله بالمكذبين. وهدي وموعظة للمتقين لأنهم هم المتفجعون بالآيات فتهددهم هذا بيان للناس أي: دلالة ظاهرة، تبين للناس

الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين 139 قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر في قلوبكم، عندما أصابكم المصيبة، وابتليتكم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا يقول تعالى مشجعا لعباده المؤمنين، ومقويا لعزائمهم ومنهضاً لهممهم: ولا تهنوا ولا تحزنوا أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا

التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضا المستحقين لها وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وكان من دعائهم أن قالوا: 14 والله بصير بالعباد أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء. فالجنة تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجلية بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قدر وندس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به أخير بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلك المذكور، ألا وهي الجنات العالية ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغتربين بها وتزهد لأهل العقول النيرة بها، وتام ذلك أن الله تعالى قال الله فيها ذلك متاع الحياة الدنيا فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم. وفي هذه الآية لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوا بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحاناً لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يباليون على أي: وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهما عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحة إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلق بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى

مبغضون لله، ولهذا تبطهم عن القتال في سبيله. ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين 140 من المنازل العالية والنعيم المقيم، والله لا يحب الظالمين الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضا بدم المنافقين، وأنهم أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين، أن قيض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس، لينيلهم ما يحبون الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك. ويتخذ منكم شهداء وهذا أيضا من بعض الحكم، لأن الشهادة عند الله من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا. وليعلم الله الذين آمنوا هذا أيضا من الحكم أنه يتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء، ليتبين المؤمن من الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون كما قال تعالى: إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون ومن الحكم في ذلك أن هذه بما حصل لهم من الهزيمة، وبين الحكم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ثم سلاهم

سببا لمحقهم واستنصلهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغيانا إلى طغيانهم، يستحقون به المعالجة بالعقوبة، رحمة بعباده المؤمنين. 141 الله أيضا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق، ومن الحكم أيضا أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون أيضا من الحكم أن الله يحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص وليمحص الله الذين آمنوا وهذا

## تفسير السعدي

توطين النفس لها، وتمرينها عليها ومعرفة ما تنول إليه، تنقلب عند أرباب البصائر منحاً يسرون بها، ولا يبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. 142 وسيلته، والعمل الموصل إليه، فلا يوصل إلى الراحة إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند من دون مشقة واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن الجنة أعلى المطالب، وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت تعالى: أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين هذا استفهام إنكاري، أي: لا تظنوا، ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة ثم قال

على أنه لا يكره تمنى الشهادة، ووجه الدلالة أن الله تعالى أقرهم على أمنيته، ولم ينكر عليهم، وإنما أنكر عليهم عدم العمل بمقتضاها، والله أعلم. 143 الصبر؟ هذه حالة لا تليق ولا تحسن، خصوصاً لمن تمنى ذلك، وحصل له ما تمنى، فإن الواجب عليه بذل الجهد، واستفراغ الوسع في ذلك. وفي هذه الآية دليل يتمنون أن يحضرهم الله مشهداً يبذلون فيه جهدهم، قال الله تعالى لهم: فقد رأيتموه أي: رأيتم ما تمنيتم بأعينكم وأنتم تنظرون فما بالكم وترك صبرهم بأمر كانوا يتمنون ويودون حصوله، فقال: ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه وذلك أن كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم ممن فاته بدر ثم وبخهم تعالى على عدم

أيضاً أعظم دليل على فضيلة الصديق الأكبر أبي بكر، وأصحابه الذين قاتلوا المرتدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم هم سادات الشاكرين. 144 إقامة دين الله، والجهد عنه، بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم. وفي هذه الآية ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم بعبودية الله تعالى في كل حال. وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقد رئيس عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامتلأ أمر ربه، فقال: وسيجزى الله الشاكرين والشكر لا يكون إلا بالقيام إيمان أو جهاد، أو غير ذلك. قال الله تعالى: ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وإنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربه في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم بترك ما جاءكم من قبله الرسل أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربه وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطاً يقول تعالى: وما محمد إلا رسول قد خلت من

وأكبر تفضيلاً وسنجزي الشاكرين ولم يذكر جزاءهم ليدل ذلك على كثرته وعظمته، وليعلم أن الجزاء على قدر الشكر، قلة وكثرة وحسناً. 145 نؤته منها قال الله تعالى: كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض والآخرة أكبر درجات ولا يستقدمون ثم أخبر تعالى أنه يعطي الناس من ثواب الدنيا والآخرة ما تعلق به إراداتهم، فقال: ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة بقاءه، فلو أتى من الأسباب كل سبب، لم يضره ذلك قبل بلوغ أجله، وذلك أن الله قضاه وقدره وكتبه إلى أجل مسمى: إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ثم أخبر تعالى أن النفوس جميعها متعلقة بأجالاتها بإذن الله وقدره وقضائه، فمن حتم عليه بالقدر أن يموت، مات ولو بغير سبب، ومن أراد أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا، أي: ذلوا لعدوهم، بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: والله يحب الصابرين 146 أتباعهم، الذين قد ربّتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك. فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا وأن هذا أمر قد كان متقدماً، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: وكأين من نبي أي: وكم من نبي قاتل معه ربيون كثير أي: جماعات كثيرون من هذا تسلياً للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعالهم،

ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة 147 فسألوا ربهم مغفرتهم. ثم إنهم لم يتكلموا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقات الأعداء الكافرين، وأن ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي عنها من أسباب النصر، ثم ذكر قولهم واستنصارهم لربهم، فقال: وما كان قولهم أي: في تلك المواطن الصعبة إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا

الجزء، فهذا قال: والله يحب المحسنين في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء، كفعل هؤلاء الموصوفين 148 وحسن ثواب الآخرة وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكبات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن فاتاهم الله ثواب الدنيا من النصر والظفر والغنيمة،

الكافرين من المنافقين والمشركين، فإنهم إن أطاعوهم لم يريدوا لهم إلا الشر، وهم قصدتهم ردهم إلى الكفر الذي عاقبته الخيبة والخسران. 149 وهذا نهي من الله للمؤمنين أن يطيعوا

التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضاً المستحقين لها وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه، وكان من دعائهم أن قالوا: 15 والله بصير بالعباد أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء. فالجنة تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجلية بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما واعرض على قلبك المفاضلة بينهما

## تفسير السعدي

المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم والأزواج المطهرة من كل قدر وندس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلك المذكور، ألا وهي الجنات العالية ذات المنازل الأنيفة والغرف العالية، والأشجار تسلية للفقراء الذين لا قدرة لهم على هذه الشهوات التي يقدر عليها الأغنياء، وتحذير للمغتربين بها وتزهيد لأهل العقول النيرة بها، وتمايم ذلك أن الله تعالى قال الله فيها ذلك متاع الحياة الدنيا فجعلوها معبرا إلى الدار الآخرة ومتجرا يرجون بها الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادا إلى ربهم. وفي هذه الآية لهم وطريقا يتزودون منها لآخرتهم ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما والعذاب، والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها وأن الله جعلها ابتلاء وامتحانا لعباده، ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادا لهم إلى دار الشقاء والعناء الواقع إلى قسمين: قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا وغيرها تبع لها، قال تعالى ثم أخبر أنه مولاهم وناصرهم، ففيه إخبار لهم بذلك، وبشارة بأنه سيتولى أمورهم بلطفه، ويعصمهم من أنواع الشرور. 150

ومأواهم النار أي: مستقرهم الذي يأوون إليه وليس لهم عنها خروج، وبنس متوى الظالمين بسبب ظلمهم وعدوانهم صارت النار مثوالمهم. 151 كان المشرك مرعوبا من المؤمنين، لا يعتمد على ركن وثيق، وليس له ملجأ عند كل شدة وضيق، هذا حاله في الدنيا، وأما في الآخرة فأشد وأعظم، ولهذا قال: من دونه من الأنداد والأصنام، التي اتخذوها على حسب أهوائهم وإرادتهم الفاسدة، من غير حجة ولا برهان، وانقطعوا من ولاية الواحد الرحمن، فمن ثم خائبين، وهذا من الثاني. ثم ذكر السبب الموجب لإلقاء الرعب في قلوب الكافرين، فقال: بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي: ذلك بسبب ما اتخذوا ولا شك أن هذا من أعظم النصر، لأنه قد تقدم أن نصر الله لعباده المؤمنين لا يخرج عن أحد أمرين: إما أن يقطع طرفا من الذين كفروا، أو يكتبهم فينقلبوا تشاوروا بينهم، وقالوا: كيف ننصرف، بعد أن قتلنا منهم من قتلنا، وهزمناهم ولما نستأصلهم؟ فهموا بذلك، فألقى الله الرعب في قلوبهم، فانصرفوا خائبين، من الكافرين الرعب، وهو الخوف العظيم الذي يمنعه من كثير من مقاصدهم، وقد فعل تعالى. وذلك أن المشركين بعدما انصرفوا من وقعة أحد وفي ضمن ذلك الحث لهم على اتخاذه وحده وليا وناصرًا من دون كل أحد، فمن ولايته ونصره لهم أنه وعدهم أنه سيلقي في قلوب أعدائهم عليهم خيرا ولا مصيبة، إلا كان خيرا لهم. إن أصابتهم سراء فشكروا جازاهم جزاء الشاكرين، وإن أصابتهم ضراء فصبروا، جازاهم جزاء الصابرين. 152 أي: ذو فضل عظيم عليهم، حيث من عليهم بالإسلام، وهدهم لشرائعه، وعفا عنهم سيئاتهم، وأثابهم على مصيبتاتهم. ومن فضله على المؤمنين أنه لا يقدر لبتبين المؤمن من الكافر، والطائع من العاصي، وليكفر الله عنكم بهذه المصيبة ما صدر منكم، فهذا قال: ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين وثبتوا حيث أمروا. ثم صرفكم عنهم أي: بعدما وجدت هذه الأمور منكم، صرف الله وجوهكم عنهم، فصار الوجه لعدوكم، ابتلاء من الله لكم وامتحانا، ورسوله. منكم من يريد الدنيا وهم الذين أوجب لهم ذلك ما أوجب، ومنكم من يريد الآخرة وهم الذين لزموا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو انخدال أعدائكم؛ لأن الواجب على من أنعم الله عليه بما أحب، أعظم من غيره. فالواجب في هذه الحال خصوصا، وفي غيرها عموما، امتثال أمر الله فيه النبي صلى الله عليه وسلم، ومن قائل: ما مقامنا فيه وقد انهزم العدو، ولم يبق محذور، فعصيت الرسول، وتركتم أمره من بعد ما أراكم الله ما تحبون منكم الفشل وهو الضعف والخور وتنازعتم في الأمر الذي فيه ترك أمر الله بالائتلاف وعدم الاختلاف، فاختلقت، فمن قائل نقيم في مركزنا الذي جعلنا ولقد صدقكم الله وعده بالنصر، فنصركم عليهم، حتى ولوكم أكتافهم، وطفقت فيهم قتلا، حتى صرتم سببا لأنفسكم، وعونا لأعدائكم عليكم، فلما حصل أي:

البلايا والمحن من الأسرار والحكم، وكل هذا صادر عن علمه وكمال خبرته بأعمالكم، وظواهركم وبواطنكم، ولهذا قال: والله خير بما تعملون 153 إذا تحققت أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقتل هانت عليكم تلك المصيبات، واغتبطتم بوجوده المسلي عن كل مصيبة ومحنة، فله ما في ضمن جعل اجتماع هذه الأمور لعباده المؤمنين خيرا لهم، فقال: لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر والظفر، ولا ما أصابكم من الهزيمة والقتل والجراح، النصر وفوات الغنيمة، وغم بانهازكم، وغم أنساكم كل غم، وهو سماعكم أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل. ولكن الله بلطفه وحسن نظره لعباده اللوم، ودعوة الرسول الموجبة لتقديمه على النفس، أعظم لوما بتخلفكم عنها، فأثابكم أي: جازاكم على فعلكم غما بغم أي: غما يتبع غما، غم بفوات ويباشر الهيجاء، بل الرسول يدعوكم في أخراكم أي: مما يلي القوم يقول: إلي عباد الله فلم تلتفتوا إليه، ولا عرجتم عليه، فالفرار نفسه موجب يلوي أحد منكم على أحد، ولا ينظر إليه، بل ليس لكم هم إلا الفرار والنجاء عن القتال. والحال أنه ليس عليكم خطر كبير، إذ لستم آخر الناس مما يلي الأعداء، يذكرهم تعالى حالهم في وقت انهزامهم عن القتال، ويعاتبهم على ذلك، فقال: إذ تصعدون أي: تجدون في الهرب ولا تلوون على أحد أي: لا

والله عليم بذات الصدور أي: بما فيها وما أكتته، فاقتضى علمه وحكمته أن قدر من الأسباب، ما به تظهر مخبات الصدور وسرائر الأمور. 154 في صدوركم أي: يختبر ما فيها من نفاق وإيمان وضعف وإيمان، وليمحص ما في قلوبكم من وساوس الشيطان، وما تأثر عنها من الصفات غير الحميدة. تنفع إذا لم يعارضها القدر والقضاء، فإذا عارضها القدر لم تنفع شيئا، بل لا بد أن يمضي الله ما كتب في اللوح المحفوظ من الموت والحياة، وليبتلي الله ما

## تفسير السعدي

عليهم بقوله: قل لو كنتم في بيوتكم التي هي أبعد شيء عن مظان القتل لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم فالأسباب وإن عظمت إنما ما قتلنا هاهنا وهذا إنكار منهم وتكذيب بقدر الله، وتسفيه منهم لرأي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأي أصحابه، وتزكية منهم لأنفسهم، فرد الله المنافقين في أنفسهم ما لا يبدون لك ثم بين الأمر الذي يخفونه، فقال: يقولون لو كان لنا من الأمر شيء أي: لو كان لنا في هذه الواقعة رأي ومشورة الأمر القدري، والأمر الشرعي، فجميع الأشياء بقضاء الله وقدره، وعاقبة النصر والظفر لأوليائه وأهل طاعته، وإن جرى عليهم ما جرى. يخفون يعني ونبيه، وظنوا أن الله لا يتم أمر رسوله، وأن هذه الهزيمة هي الفيصلة والقاضية على دين الله، قال الله في جوابهم: قل إن الأمر كله لله الأمر يشمل ما أصاب غيرهم، يقولون هل لنا من الأمر من شيء وهذا استفهام إنكاري، أي: ما لنا من الأمر أي: النصر والظهور شيء، فأساءوا الظن بربهم ودينه إخوانهم المسلمين. وأما الطائفة الأخرى الذين قد أهمتهم أنفسهم فليس لهم هم في غيرها، لنفاقهم أو ضعف إيمانهم، فلماذا لم يصيبهم من النعاس عن القلب أمكن أن يأتيه النعاس. وهذه الطائفة التي أنعم الله عليها بالنعاس هم المؤمنون الذين ليس لهم هم إلا إقامة دين الله، ورضا الله ورسوله، ومصلحة طائفة منكم ولا شك أن هذا رحمة بهم، وإحسان وتثبيت لقلوبهم، وزيادة طمأنينة؛ لأن الخائف لا يأتيه النعاس لما في قلبه من الخوف، فإذا زال الخوف لكي تتوطن نفوسكم، وتمرنوا على الصبر على المصيبات، ويخف عليكم تحمل المشقات: ثم أنزل عليكم من بعد الغم الذي أصابكم أمانة نعاسا يغشى ويحتمل أن معنى قوله: لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم يعني: أنه قدر ذلك الغم والمصيبة عليكم،

به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه. ثم إن تاب وأتاب قبل منه، وصيره كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه عيب، فله الحمد على إحسانه. 155 واخذهم لاستأصلهم. إن الله غفور للذنوبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصابب المكفرة، حلیم لا يعاجل من عصاه، بل يستأنى بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان. قال تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذه، وإلا فلو وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم. فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي، لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أحد وما الذي أوجب لهم الفرار،

قال الله ردا عليهم: والله يحيي ويميت أي: هو المنفرد بذلك، فلا يغني حذر عن قدر. والله بما تعملون بصير فيجازيكم بأعمالكم وتكذيبكم. 156 قلوبهم، فتزداد مصيبتهم، وأما المؤمنون بالله فإنهم يعلمون أن ذلك بقدر الله، فيؤمنون ويسلمون، فيهدي الله قلوبهم ويثبتها، ويخفف بذلك عنهم المصيبة. قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ولكن هذا التكذيب لم يفدهم، إلا أن الله يجعل هذا القول، وهذه العقيدة حسرة في أو كانوا غزى أي: غزا، ثم جرى عليهم قتل أو موت، يعارضون القدر ويقولون: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وهذا كذب منهم، فقد قال تعالى: ينهاهم عن مشابھتهم في كل شيء، وفي هذا الأمر الخاص وهو أنهم يقولون لإخوانهم في الدين أو في النسب: إذا ضربوا في الأرض أي: سافروا للتجارة ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يشابهوا الكافرين، الذين لا يؤمنون بربهم، ولا بقضائه وقدره، من المنافقين وغيرهم.

أو قتلوا بأي حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟ 157 مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفز وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم، وأن الخلق أيضا إذا ماتوا ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو

أو قتلوا بأي حالة كانت، فإنما مرجعهم إلى الله، ومآلهم إليه، فيجازي كلا بعمله، فأين الفرار إلا إلى الله، وما للخلق عاصم إلا الاعتصام بحبل الله؟ 158 مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، لأنه سبب مفز وموصل إلى مغفرة الله ورحمته، وذلك خير مما يجمع أهل الدنيا من دنياهم، وأن الخلق أيضا إذا ماتوا ثم أخبر تعالى أن القتل في سبيله أو الموت فيه، ليس فيه نقص ولا محذور، وإنما هو

إلى استشارة فتوكل على الله أي: اعتمد على حول الله وقوته، متبرئا من حولك وقوتك، إن الله يحب المتوكلين عليه، اللاجئين إليه. 159 علما، وأفضلهم رأيا: وشاورهم في الأمر فكيف بغيره؟ ثم قال تعالى: فإذا عزم أي: على أمر من الأمور بعد الاستشارة فيه، إن كان يحتاج لا يكاد يخطئ في فعله، وإن أخطأ أو لم يتم له مطلوب، فليس بملوم، فإذا كان الله يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الناس عقلا، وأغزرهم ومنها: أن في الاستشارة تنور الأفكار، بسبب إعمالها فيما وضعت له، فصار في ذلك زيادة للعقول. ومنها: ما تنتج الاستشارة من الرأي: المصيب، فإن المشاور في طاعته، لعلمهم بسعيه في مصالح العموم، بخلاف من ليس كذلك، فإنهم لا يكادون يحبونه محبة صادقة، ولا يطيعونه وإن أطاعوه فطاعة غير تامة. في حادثة من الحوادث اطمأنت نفوسهم وأحبوه، وعلموا أنه ليس بمستبد عليهم، وإنما ينظر إلى المصلحة الكلية العامة للجميع، فبدلوا جهدهم ومقدورهم بها إلى الله. ومنها: أن فيها تسميحا لخواطرهم، وإزالة لما يصير في القلوب عند الحوادث، فإن من له الأمر على الناس إذا جمع أهل الرأي: والفضل وشاورهم التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره: منها: أن المشاورة من العبادات المتقرب صدر منهم من التقصير في حقه صلى الله عليه وسلم، ويستغفر لهم في التقصير في حق الله، فيجمع بين العفو والإحسان. وشاورهم في الأمر أي: الأمور الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله. ثم أمره الله تعالى بأن يعفو عنهم ما والعقاب الخاص، فهذا الرسول المعصوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره؟ أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الاقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة وترغبهم فيه، مع ما لصاحبه من المدح والثواب الخاص، والأخلاق السيئة من الرئيس في الدين تنفر الناس عن الدين، وتبغضهم إليه، مع ما لصاحبها من الذم

## تفسير السعدي

قاسيه، لانفضوا من حولك لأن هذا ينفرهم ويبغضهم لمن قام به هذا الخلق السيئ. فالأخلاق الحسنة من الرئيس في الدين، تجذب الناس إلى دين الله، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتلأوا أمرك. ولو كنت فظا أي: سيئ الخلق غليظ القلب أي: أي: برحمة الله لك ولأصحابك، من الله عليك أن ألت لهم جانبك،

لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهم شر آثارها وهو عذاب النار، ثم فصل أوصاف التقوى. 16

ربنا إننا آمنة فاغفر

للمقصود، والاعتماد على غيره شرك غير نافع لصاحبه، بل ضار. وفي هذه الآية الأمر بالتوكل على الله وحده، وأنه بحسب إيمان العبد يكون توكله. 160

الله فليتوكل المؤمنون بتقديم المعمول يؤذن بالحصص، أي: على الله توكلوا لا على غيره، لأنه قد علم أنه هو الناصر وحده، فالاعتماد عليه توحيد محصل من بعده فلا بد أن تنخلوا ولو أعانكم جميع الخلق. وفي ضمن ذلك الأمر بالاستئناس بالله والاعتماد عليه، والبراءة من الحول والقوة، ولهذا قال: وعلى الله لا مغالب له، وقد قهر العباد وأخذ بنواصيهم، فلا تتحرك دابة إلا بإذنه، ولا تسكن إلا بإذنه. وإن يخذلكم ويكلكم إلى أنفسكم فمن ذا الذي ينصركم أي: إن يمددكم الله بنصره ومعونته فلا غالب لكم فلو اجتمع عليكم من في أقطارها وما عندهم من العدد والعدد، لأن

أراد أن يذكر توفيقه وجزاءه، وكان الاقتصار على الغال يوهم بالمفهوم أن غيره من أنواع العالمين قد لا يوفون أتى بلفظ عام جامع له ولغيره. 161

لا يزداد في سيئاتهم، ولا يهضمون شيئاً من حسناتهم، وتأمل حسن هذا الاحتراز في هذه الآية الكريمة. لما ذكر عقوبة الغال، وأنه يأتي يوم القيامة بما غله، ولما أو متاعاً، أو غير ذلك، ليعذب به يوم القيامة، ثم توفي كل نفس ما كسبت الغال وغيره، كل يوفى أجره ووزره على مقدار كسبه، وهم لا يظلمون أي: ويستحيل على من اختارهم الله لنبوته. ثم ذكر الوعيد على من غل، فقال: ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة أي: يأت به حامله على ظهره، حيواناً كان فيهم من أعدائهم، لأن معرفته بنبوته، مستلزم لدفع ذلك، ولذلك أتى بصيغة يمتنع معها وجود الفعل منهم، فقال: وما كان لنبي أن يغلل أي: يمتنع ذلك ومعدن حكمته الله أعلم حيث يجعل رسالته. فيمجرد علم العبد بالواحد منهم، يجزم بسلامتهم من كل أمر يقدر فيهم، ولا يحتاج إلى دليل على ما قيل تعالى أنبياءه عن كل ما يدنسهم ويقدر فيهم، وجعلهم أفضل العالمين أخلاقاً، وأطهرهم نفوساً، وأزكاهم وأطيبهم، ونزههم عن كل عيب، وجعلهم محل رسالته، الكريمة وغيرها من النصوص، فأخبر الله تعالى أنه ما ينبغي ولا يليق بنبي أن يغلل، لأن الغلول كما علمت من أعظم الذنوب وأشر العيوب. وقد صان الله الغلول هو: الكتمان من الغنيمة، والخيانة في كل مال يتولاه الإنسان وهو محرم إجماعاً، بل هو من الكبائر، كما تدل عليه هذه الآية

بصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، بل قد علمها، وأثبتها في اللوح المحفوظ، ووكّل ملائكته الأمانة الكرام، أن يكتبوها ويحفظوها، ويضبطونها. 162

فيعطيه الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدرجات إلى أسفل سافلين، كل على حسب عمله، والله تعالى أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم. فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله. أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ولهذا قال هنا: هم درجات عند الله يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، ممن هو مكب على المعاصي، مسخط

بصير بأعمالهم، لا يخفى عليه منها شيء، بل قد علمها، وأثبتها في اللوح المحفوظ، ووكّل ملائكته الأمانة الكرام، أن يكتبوها ويحفظوها، ويضبطونها. 163

فيعطيه الله من فضله وجوده على قدر أعمالهم، والمتبعون لمساخط الله يسعون في النزول في الدرجات إلى أسفل سافلين، كل على حسب عمله، والله تعالى أي: كل هؤلاء متفاوتون في درجاتهم ومنازلهم بحسب تفاوتهم في أعمالهم. فالمتبعون لرضوان الله يسعون في نيل الدرجات العاليات، والمنازل والغرفات، لربه، هذان لا يستويان في حكم الله، وحكمة الله، وفي فطر عباد الله. أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ولهذا قال هنا: هم درجات عند الله يخبر تعالى أنه لا يستوي من كان قصده رضوان ربه، والعمل على ما يرضيه، كمن ليس كذلك، ممن هو مكب على المعاصي، مسخط

لفي ضلال مبين لا يعرفون الطريق الموصول إلى ربهم، ولا ما يزكي النفوس ويطهرها، بل ما زين لهم جهلهم فعلوه، ولو ناقض ذلك عقول العالمين. 164

الأحكام، وما به تدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، وكانوا من العلماء الربانيين، وإن كانوا من قبل بعثة هذا الرسول العلوم وتحفظ، والحكمة هي: السنة، التي هي شقيقة القرآن، أو وضع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة. فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تنفذ فيكون قوله: يتلو عليهم آياته المراد به الآيات الكونية، أو المراد بالكتاب هنا الكتابة، فيكون قد امتن عليهم، بتعليم الكتاب والكتابة، التي بها تدرك الله، يعلمهم ألفاظها ومعانيها. ويزكيهم من الشرك، والمعاصي، والردائل، وسائر مساوئ الأخلاق. و يعلمهم الكتاب إما جنس الكتاب الذي هو القرآن، لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يعرفون نسبته، وحاله، ولسانه، من قومهم وقبيلتهم، ناصحا لهم، مشفقا عليهم، يتلو عليهم آيات التي امتن الله بها على عباده، أكبر النعم، بل أصلها، وهي الامتنان عليهم بهذا الرسول الكريم الذي أنقذهم الله به من الضلالة، وعصمهم به من الهلكة، فقال:

هذه المنة

وسوء الظن بالله، فإنه قادر على نصركم، ولكن له أتم الحكمة في ابتلائكم ومصيبتكم. ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض 165

حين تنازعتم وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون، فعودوا على أنفسكم باللوم، واحذروا من الأسباب المردية. إن الله على كل شيء قدير فإياكم مع أنكم لا تستوون أنتم وهم، فإن قتلكم في الجنة وقتلهم في النار. قلت أنى هذا أي: من أين أصابنا ما أصابنا وهزمنا؟ قل هو من عند أنفسكم

## تفسير السعدي

نحو سبعين، فقال الله: إنكم قد أصبتم من المشركين مثلها يوم بدر فقتلتم سبعين من كبارهم وأسرتهم سبعين، فليهن الأمر ولتخف المصيبة عليكم، هذا تسليية من الله تعالى لعباده المؤمنين، حين أصابهم ما أصابهم يوم أحد وقتل منهم

له ولا بد من وقوعه. والأمر القدري إذا نفذ، لم يبق إلا التسليم له، وأنه قدره لحكم عظيمة وفوائد جسيمة، وأنه ليتبين بذلك المؤمن من المنافق 166 ثم أخبر أن ما أصابهم يوم التقى الجمعان، جمع المسلمين وجمع المشركين في أحد من القتل والهزيمة، أنه بإذنه وقضائه وقدره، لا مرد

المنافقين أمروا أن يقاتلوا للدين، فإن لم يفعلوا فللمدافعة عن العيال والأوطان والله أعلم بما يكتُمون فيبيده لعباده المؤمنين، ويعاقبهم عليه. 167 فإنهم قد علموا وقوع القتال. ويستدل بهذه الآية على قاعدة ارتكاب أخف المفسدتين لدفع أعلاهما، وفعل أدنى المصلحتين، للعجز عن أعلاهما؛ لأن ما ليس في قلوبهم وهذه خاصة المنافقين، يظهرون بكلامهم وفعالهم ما يبيطنون ضده في قلوبهم وسرائرهم. ومنه قولهم: لو نعلم قتالا لاتبعناكم العذر، يروج على المؤمنين، قال تعالى: هم للكفر يومئذ أي: في تلك الحال التي تركوا فيها الخروج مع المؤمنين أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم كيف يتصور أنهم لا يصير بينهم وبين المؤمنين قتال؟ خصوصا وقد خرج المسلمون من المدينة وبرزوا لهم، هذا من المستحيل، ولكن المنافقين ظنوا أن هذا أموالهم، وجمعوا ما يقدرون عليه من الرجال والعدد، وأقبلوا في جيش عظيم قاصدين المؤمنين في بلدهم، متحرقين على قتالهم، فمن كانت هذه حالهم، لاتبعناكم، وهم كذبة في هذا. قد علموا وتيقنوا وعلم كل أحد أن هؤلاء المشركين، قد ملئوا من الحق والغيط على المؤمنين بما أصابوا منهم، وأنهم قد بذلوا ادفعوا عن محارمكم وبلدكم، إن لم يكن لكم نية صالحة، فأبوا ذلك واعتدروا بأن قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم أي: لو نعلم أنكم يصير بينكم وبينهم قتال ليتبين بذلك المؤمن من المنافق، الذين لما أمروا بالقتال، وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أي: ذبا عن دين الله، وحماية له وطلباً لمرضاة الله، أو وأنه

على ذلك ولا تستطيعونه. وفي هذه الآيات دليل على أن العبد قد يكون فيه خصلة كفر وخصلة إيمان، وقد يكون إلى أحدهما أقرب منه إلى الأخرى. 168 والتكذيب بقضاء الله وقدره، قال الله ردا عليهم: قل فادعوا أي: ادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين إنهم لو أطاعوك ما قتلوا، لا تقدرون : الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا أي: جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض

في دار كرامته. ولفظ: عند ربهم يقتضي علو درجتهم، وقربهم من ربهم، يرزقون من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه، إلا من أنعم به عليهم 169 بزهرتها، الذي يحذر من فواته، من جبن عن القتال، وزهد في الشهادة. بل قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون. فهم أحياء عند ربهم أي: في جهاد أعداء الدين، قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله أمواتا أي: لا يخطر ببالك وحسابك أنهم ماتوا وفقدوا، وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا والتمتع وإحسانه، وفي ضمنها تسليية الأحياء عن قتلهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله والتعرض للشهادة، فقال: ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله هذه الآيات الكريمة فيها فضيلة الشهداء وكرامتهم، وما من الله عليهم به من فضله

أنه يجب إثارها والعمل لها، ووصف أهل الجنة وهم المتقون، ثم فصل خصال التقوى، فهذه الخصال يزن العبد نفسه، هل هو من أهل الجنة أم لا؟ 17 بهم. فتضمنت هذه الآيات حالة الناس في الدنيا وأنها متاع ينقضي، ثم وصف الجنة وما فيها من النعيم وفاضل بينهما، وفضل الآخرة على الدنيا تنبيها على مقاما، بل يرون أنفسهم مذنبين مقصرين فيستغفرون ربهم، ويتوقعون أوقات الإجابة وهي السحر، قال الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم جلسوا يستغفرون النفقات على المحاويع من الأقارب وغيرهم والمستغفرين بالأسحار لما بين صفاتهم الحميدة ذكر احتقارهم لأنفسهم وأنهم لا يرون لأنفسهم، حالا ولا على ما يحبه الله من طاعته، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، والصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأحوالهم والمنفقين مما رزقهم الله بأنواع الصابرين أنفسهم

يلحقوا بهم، وأنهم سينالون ما نالوا، ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون أي: يستبشرون بزوال المحذور عنهم وعن إخوانهم المستلزم كمال السرور 170 بما آتاهم من فضله: فتم لهم النعيم والسرور، وجعلوا يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي: يبشر بعضهم بعضا، بوصول إخوانهم الذين لم به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح فرحين بما آتاهم الله من فضله أي: مغتبطين بذلك، قد قرت به عيونهم، وفرحت

وفي هذه الآيات إثبات نعيم البرزخ، وأن الشهداء في أعلى مكان عند ربهم، وفيه تلاقي أرواح أهل الخير، وزيارة بعضهم بعضا، وتبشير بعضهم بعضا. 171 بعضا، بأعظم مهناً به، وهو: نعمة ربهم، وفضله، وإحسانه، وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين بل ينميهم ويشكرهم، ويزيدهم من فضله، ما لا يصل إليه سعيهم. يستبشرون بنعمة من الله وفضل أي: يهنئ بعضهم

يزدهم ذلك إلا إيماننا بالله واتكالا عليه. وقالوا حسبنا الله أي: كافينا كل ما أهمنا ونعم الوكيل المفوض إليه تدبير عبادته، والقائم بمصالحهم. 172 لله ولرسوله، فوصلوا إلى حمراء الأسد وجاءهم من جاءهم وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم وهموا باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم أبا سفیان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا على ما بهم من الجراح استجابة لله ولرسوله، وطاعة لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد إلى المدينة، وسمع أن

يزدهم ذلك إلا إيماننا بالله واتكالا عليه. وقالوا حسبنا الله أي: كافينا كل ما أهمنا ونعم الوكيل المفوض إليه تدبير عبادته، والقائم بمصالحهم. 173



## تفسير السعدي

لله ولرسوله، فوصلوا إلى حمراء الأسد وجاءهم من جاءهم وقال لهم: إن الناس قد جمعوا لكم وهما باستئصالكم، تخويفا لهم وترهيبا، فلم أبا سفيان ومن معه من المشركين قد هموا بالرجوع إلى المدينة، ندب أصحابه إلى الخروج، فخرجوا على ما بهم من الجراح استجابة لله ولرسوله، وطاعة لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد إلى المدينة، وسمع أن

والإتكال على ربهم، ثم إنه قد كتب لهم أجر غزاة تامة، فبسبب إحسانهم بطاعة ربهم، وتقواهم عن معصيته، لهم أجر عظيم، وهذا فضل الله عليهم. 174 تخلف منهم، فألقى الله الرعب في قلوبهم، واستمروا راجعين إلى مكة، ورجع المؤمنون بنعمة من الله وفضل، حيث من عليهم بالتوفيق للخروج بهذه الحالة فانقلبوا أي: رجعوا بنعمة من الله وفضل لم يمسه سوء وجاء الخبر المشركين أن الرسول وأصحابه قد خرجوا إليكم، وندم من

وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله. 175 المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أوليائه الخائفين منه المستجيبين لدعوته. وفي هذه الآية وقال: إنهم جمعوا لكم، داع من دعاة الشيطان، يخوف أوليائه الذين عدم إيمانهم، أو ضعف. فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين أي: فلا تخافوا إنما ذلكم الشيطان يخوف أوليائه أي: إن ترهيب من رهب من المشركين،

الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا الآيات. 176 كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غني عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأتقياء سواهم، وأعد له ممن ارتضاه لنصرته أهل البصائر والعقول، وذوي يضروا الله شيئا بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: ولهم عذاب أليم وكيف يضرون الله شيئا، وهم قد زهدوا أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم. ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة من بذل ما يحب من المال، في شراء ما يحب من السلع لن نصيبا في الآخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أوليائه ومن أراد به خيرا، عدلا منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الآخرة، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه إنهم لن يضروا الله شيئا فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على الخلق، مجتهدا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من كان

الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا الآيات. 177 كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غني عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأتقياء سواهم، وأعد له ممن ارتضاه لنصرته أهل البصائر والعقول، وذوي يضروا الله شيئا بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: ولهم عذاب أليم وكيف يضرون الله شيئا، وهم قد زهدوا أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم. ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة من بذل ما يحب من المال، في شراء ما يحب من السلع لن نصيبا في الآخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أوليائه ومن أراد به خيرا، عدلا منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد، ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الآخرة، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه إنهم لن يضروا الله شيئا فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على الخلق، مجتهدا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، قال الله تعالى: ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من كان

للظالم، حتى يزداد طغيانه، ويترادف كفرانه، حتى إذا أخذه أخذه أعزى مقتدر، فليحذر الظالمون من الإهمال، ولا يظنوا أن يفوتوا الكبير المتعال. 178 كما زعموا، وإنما ذلك لشريده الله بهم، وزيادة عذاب وعقوبة إلى عذابهم، ولهذا قال: إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين فالله تعالى يملي الذين كفروا بربهم وناذبوا دينه، وحاربوا رسوله أن تركنا إياهم في هذه الدنيا، وعدم استئصالنا لهم، وإملاءنا لهم خيرا لأنفسهم، ومحبة منا لهم. كلا، ليس الأمر أي: ولا يظن

للسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه. 179 والامتحان، فأرسل الله رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم. فانقسم الناس بحسب اتباعهم أيضا أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتتهم بما به يتميز الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التميز حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب. ولم يكن في حكمته أي: ما كان في حكمته الله

على هذا الأصل العظيم، وقد أكثر الله منها في كتابه وصرفها ونوعها ليحيى من حي عن بيته، ويهلك من هلك عن بيته فله الحمد والشكر والثناء. 18 إن في ذلك لآية أي: لعلهم يعتبر بها المعتبرون فيعلمون أن توحيده هو الموجب للنجاة، وتركه هو الموجب للهلاك، فهذه من الأدلة الكبار العقلية النقلية الدالة الدينية والدينية، ولهذا إذا ذكر تعالى قصص الرسل مع أمم المطيعين والعاصين، وأخبر عن عقوبات العاصين ونجاة الرسل ومن تبعهم، قال عقب كل قصة:

## تفسير السعدي

والإهانة والعقوبة لأهل الشرك، وما ذاك إلا لأن التوحيد جعله الله موصلا إلى كل خير دافعا لكل شر ديني ودنيوي، وجعل الشرك به والكفر سببا للعقوبات المدبريات الناقصات الصم البكم الذين لا يعقلون، ومن الأدلة العقلية على ذلك ما شاهده العباد بأبصارهم من قديم الزمان وحديثه، من الإكرام لأهل التوحيد، ذلك حق المعرفة عرف أن العبادة لا تليق ولا تحسن إلا بالرب العظيم الذي له الكمال كله، والمجد كله، والحمد كله، والقدرة كلها، والكبرياء كلها، لا بالمخلوقات وما أخبر به عن نفسه العظيمة من الصفات الجليلة والأفعال الجميلة، والقدرة والقهر، وغير ذلك من الصفات التي تعرف بالأدلة السمعية والعقلية، فمن عرف ضرا، ولا تنصر غيرها ولا تنصر نفسها، وسلبها الأسماع والأبصار، وأنها على فرض سماعها لا تغني شيئا، وغير ذلك من الصفات الدالة على نقصها غاية النقص، الله في كتابه من التنبيه على هذا الدليل جدا، ومن الأدلة العقلية أيضا على ذلك: ما أخبر به تعالى عن المعبودات التي عبدت من دونه، بأنها لا تملك نفعا ولا عن غيره جلب نعمة ولا دفع نقمة، تيقن أن عبودية ما سوى الله من أبطل الباطل وأن العبودية لا تنبغي إلا لمن انفرد بجلب المصالح ودفع المضار، فلهذا أكثر النعم الظاهرة والباطنة القليلة والكثيرة كلها من الله، وأنه ما من نقمة ولا شدة ولا كربة إلا وهو الذي ينفرد بدفعها وإن أحدا من الخلق لا يملك لنفسه فضلا الأشياء وأعظمها أكثر الله تعالى من الاستدلال به في كتابه. ومن الأدلة العقلية على أن الله هو الذي يؤله دون غيره انفراده بالنعم ودفع النقم، فإن من عرف أن الاعتراف بربوبية الله، فإن من عرف أنه هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور أنتج له ذلك أنه هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولما كان هذا من أوضح حتى كاد القرآن أن يكون كله أدلة عليه، وأما الأدلة العقلية التي تدرك بمجرد فكر العقل وتصوره للأمور فقد أرشد القرآن إليها ونبه على كثير منها، فمن أعظمها: فكل ما في كتاب الله وسنة رسوله، من الأمر به وتقريره، ومحبة أهله وبغض من لم يقم به وعقوباتهم، وذم الشرك وأهله، فهو من الأدلة النقية على ذلك، أن هذا الأصل الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبودية قد دلت عليه الأدلة العقلية والأدلة البصائر أجلى من الشمس، فأما الأدلة النقية وتدبيره بين عبادته، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهى عنه، وفيما خلقه وقدره، ثم أعاد تقرير توحيده فقال لا إله إلا هو العزيز الحكيم واعلم يتضمن ذلك تزكيته وتعليقهم وأنهم آمناء على ما استرعاهم عليه، ولما قرر توحيده قرر عدله، فقال: قائما بالقسط أي: لم يزل متصفا بالقسط في أفعاله بالأمر المشهود به، فيكونون هم السبب في ذلك، فيكون كل من عمل بذلك نالهم من أجره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ومنها: أن إشهاده تعالى أهل العلم ومنها: أنه جعلهم أولي العلم، فأضافهم إلى العلم، إذ هم القائمون به المتصفون بصفته، ومنها: أنه تعالى جعلهم شهداء وحجة على الناس، وألزم الناس العمل من وجوه كثيرة، منها: أن الله خصهم بالشهادة على أعظم مشهود عليه دون الناس، ومنها: أن الله قرن شهادتهم بشهادته وشهادة ملائكته، وكفى بذلك فضلا، ويقين، بمنزلة المشاهدة للبصر، ففيه دليل على أن من لم يصل في علم التوحيد إلى هذه الحالة فليس من أولي العلم. وفي هذه الآية دليل على شرف العلم المشهود عليه والعمل به، وفي هذا دليل على أن أشرف الأمور علم التوحيد لأن الله شهد به بنفسه وأشهد عليه خواص خلقه، والشهادة لا تكون إلا عن علم وأشرفها وهو التوحيد، فكلهم من أولهم إلى آخرهم قد اتفقوا على ذلك ودعوا إليه وبينوا للناس الطرق الموصلة إليه، فوجب على الخلق التزام هذا الأمر الملائكة بذلك فنستفيدها بإخبار الله لنا بذلك وإخبار رسله، وأما شهادة أهل العلم فلأنهم هم المرجع في جميع الأمور الدينية خصوصا في أعظم الأمور وأجلها ولا يدفع النقم إلا هو، والخلق كلهم عاجزون عن المنافع والمضار لأنفسهم ولغيرهم، ففي هذا برهان قاطع على وجوب التوحيد وبطلان الشرك، وأما شهادة العظيم، ولو لم يكن في ذلك إلا أنه ما قام أحد بتوحيده إلا ونصره على المشرك الجاحد المنكر للتوحيد، وكذلك إنعامه العظيم الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، وأهل العلم، أما شهادته تعالى فيما أقامه من الحجج والبراهين القاطعة على توحيده، وأنه لا إله إلا هو، فنوع الأدلة في الآفاق والأنفس على هذا الأصل هذا تقرير من الله تعالى للتوحيد بأعظم الطرق الموجبة له، وهي شهادته تعالى وشهادة خواص الخلق وهم الملائكة

الخيرات، والعقوبات على الشر لم يتخلف من في قلبه مثقال ذرة من إيمان عن الإنفاق الذي يجزى به الثواب، ولا يرضى بالإمساك الذي به العقاب. 180  
عنك منتقل إلى غيرك. ثم ذكر ثالثا: السبب الجزائي، فقال: والله بما تعملون خبير فإذا كان خبيرا بأعمالكم جميعها ويستلزم ذلك الجزاء الحسن على وزيادة إيمانه، وحفظه من الآفات. ثم ذكر ثانيا: أن هذا الذي بيد العباد كلها ترجع إلى الله، ويرثها تعالى، وهو خير الوارثين، فلا معنى للخل بشيء هو زائل إلى عبيده كما قال تعالى: وأحسن كما أحسن الله إليك فمن تحقق أن ما بيده، فضل من الله، لم يمنح الفضل الذي لا يضره، بل ينفعه في قلبه وماله، من الله ونعمة، ليس ملكا للعبد، بل لولا فضل الله عليه وإحسانه، لم يصل إليه منه شيء، فمنعه لذلك منع لفضل الله وإحسانه؛ ولأن إحسانه موجب للإحسان يرجعون وتأمل كيف ذكر السبب الابتدائي والسبب الغائي، الموجب كل واحد منهما أن لا يخل العبد بما أعطاه الله. أخبر أولا: أن الذي عنده وفي يده فضل وترد جميع الأملاك إلى مالكة، وينقلب العباد من الدنيا ما معهم درهم ولا دينار، ولا غير ذلك من المال. قال تعالى: إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا أن بخلهم نافعهم، ومجد عليهم، فانقلب عليهم الأمر، وصار من أعظم مضارهم، وسبب عقابهم. ولله ميراث السماوات والأرض أي: هو تعالى مالك الملك، يوم القيامة شجاعا أقرع، له زبيبتان، يأخذ بلهزمتيه يقول: أنا مالك، أنا كنزك وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداق ذلك، هذه الآية. فهؤلاء حسبوا سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي: يجعل ما بخلوا به طوقا في أعناقهم، يعذبون به كما ورد في الحديث الصحيح، إن البخيل يمثل له ماله ببذل ما لا يضرهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنوا به على عباد الله، وظنوا أنه خير لهم، بل هو شر لهم، في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وأجلهم أي: ولا يظن الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم مما آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ما هو نظير ذلك، وهو: قتلهم الأنبياء بغير حق. هذا القيد يراد به، أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعتهم، لا جهلا وضلالا، بل تمردا وعنادا. 181  
الله قرضا حسنا قال: على وجه التكبر والتجرهم هذه المقالة قبحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شنائعهم، بل قد سبق لهم من الشنائع منهم فخاص بن عازروا من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وأقرضوا

## تفسير السعدي

من المخازي والقبايح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأن عذابهم ليس ظلما من الله لهم، فإنه ليس بظلام للعبيد فإنه منزّه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأنه يقال لهم بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ذوقوا عذاب الحريق يخبر تعالى، عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم

ما هو نظير ذلك، وهو: قتلهم الأنبياء بغير حق هذا القيد يراد به، أنهم تجرأوا على قتلهم مع علمهم بشناعتهم، لا جهلا وضلالا، بل تمردا وعنادا. 182 الله قرضا حسنا قال: على وجه التكبر والتجرهم هذه المقالة قبّحه الله، فذكرها الله عنهم، وأخبر أنه ليس ببدع من شأنهم، بل قد سبق لهم من الشنائع منهم فنحاص بن عازوراء من رؤساء علماء اليهود في المدينة، وأنه لما سمع قول الله تعالى: من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا وأقرضوا من المخازي والقبايح، التي أوجبت استحقاقهم العذاب، وحرمانهم الثواب. وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في قوم من اليهود، تكلموا بذلك، وذكروا المحرق النافذ من البدن إلى الأفئدة، وأن عذابهم ليس ظلما من الله لهم، فإنه ليس بظلام للعبيد فإنه منزّه عن ذلك، وإنما ذلك بما قدمت أيديهم الشنيعة، وهو: قتلهم الأنبياء الناصحين، وأنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة، وأنه يقال لهم بدل قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء ذوقوا عذاب الحريق يخبر تعالى، عن قول هؤلاء المتمردين، الذين قالوا أقبح المقالة وأشنعها، وأسمجها، فأخبر أنه قد سمع ما قالوه وأنه سيكتبه ويحفظه، مع أفعالهم

تأكله النار فلم تقتلتموهم إن كنتم صادقين أي: في دعواهم الإيمان برسول يأتي بقربان تأكله النار، فقد تبين بهذا كذبهم، وعنادهم وتناقضهم. 183 وباطلا لم يعملوا به، ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لهم: قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات الدالات على صدقهم وبالله الذي قتلتم بأن أناكم بقربان عهده، وقد علم أن كل رسول يرسله الله، يؤيده من الآيات والبراهين، ما على مثله آمن البشر، ولم يقصرها على ما قالوه، ومع هذا فقد قالوا إفكا لم يلتزموه، على الله، وحصر آية الرسل بما قالوه، من هذا الإفك المبين، وأنهم إن لم يؤمنوا برسول لم يأتهم بقربان تأكله النار، فهم في ذلك مطيعون لربهم، ملتزمون تعالى عن حال هؤلاء المفتريين القائلين: إن الله عهد إلينا أي: تقدم إلينا وأوصى، ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار فجمعوا بين الكذب يخبر

العقلية، ومنير أيضا للأخبار الصادقة، فإذا كان هذا عادتهم في عدم الإيمان بالرسول، الذين هذا وصفهم، فلا يحزنك أمرهم، ولا يهمنك شأنهم. 184 أي: الكتب المزبورة المنزلة من السماء، التي لا يمكن أن يأتي بها غير الرسل. والكتاب المنير للأحكام الشرعية، وبيان ما اشتملت عليه من المحاسن رسل الله وليس تكذيبهم لرسول الله، عن قصور ما أتوا به، أو عدم تبين حجة، بل قد جاءوا بالبينات أي: الحجج العقلية، والبراهين النقلية، والزبر ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال: فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك أي: هذه عادة الظالمين، ودأبهم الكفر بالله، وتكذيب يوم القيامة، وأما ما دون ذلك فيكون في البرزخ، بل قد يكون قبل ذلك في الدنيا كقوله تعالى: ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر 185 فيه بعض الجزاء مما عملوه، ويقدم لهم أنموذج مما أسلفوه، يفهم هذا من قوله: وإنما توفون أجوركم يوم القيامة أي: توفية الأعمال التامة، إنما يكون ويدخل الجنة، فإنه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدى، وابتلي بالعذاب السرمدي. وفي هذه الآية إشارة لطيفة إلى نعيم البرزخ وعذابه، وأن العاملين يجزون من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ومفهوم الآية، أن من لم يزحزح عن النار التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر. فمن زحزح أي: أخرج، عن النار وأدخل الجنة فقد فاز أي: حصل له الفوز العظيم فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنقلة عنها إلى دار القرار، هذه الآية الكريمة

يعزم عليها، وينافس فيها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم والهمم العالية كما قال تعالى: وما يلقاها إلا الذين صبروا، وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم 186 الحد الشرعي من الصبر في موضع لا يحل لكم فيه الاحتمال، بل وظيفتكم فيه الانتقام من أعداء الله. فإن ذلك من عزم الأمور أي: من الأمور التي نالكم في أموالكم وأنفسكم، من الابتلاء والامتحان وعلى أذية الظالمين، وتتقوا الله في ذلك الصبر بأن تنووا به وجه الله والتقرب إليه، ولم تتعدوا في صبركم لأنهم قد استعدوا لوقوعه، فيهن عليهم حمله، وتخف عليهم مؤنته، ويلجأون إلى الصبر والتقوى، ولهذا قال: وإن تصبروا وتتقوا أي: إن تصبروا على ما هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ومنها: أنه أخبرهم بذلك لتتوطن نفوسهم على وقوع ذلك، والصبر عليه إذا وقع؛ هذه الأمور، لما يريده بهم من الخير ليعلي درجاتهم، ويكفر من سيئاتهم، ويزداد بذلك إيمانهم، ويتم به إيقانهم، فإنه إذا أخبرهم بذلك ووقع كما أخبر قالوا ورسولكم. وفي إخباره لعباده المؤمنين بذلك، عدة فوائد: منها: أن حكمته تعالى تقتضي ذلك، لتمييز المؤمن الصادق من غيره. ومنها: أنه تعالى يقدر عليهم التي تصيبه في نفسه، أو فيمن يحب. ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم، ومن الذين أشركوا أذى كثيرا من الطعن فيكم، وفي دينكم وكتابكم الله، وفي أنفسهم من التكليف بأعباء التكالييف الثقيلة على كثير من الناس، كالجهاد في سبيل الله، والتعرض فيه للتعب والقتل والأسر والجراح، وكالأمراض يخبر تعالى ويخاطب المؤمنين أنهم سيبتلون في أموالهم من النفقات الواجبة والمستحبة، ومن التعريض لإتلافها في سبيل

أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالي النفيس، إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له. 187 شهواتهم على الحق، فبئس ما يشترتون لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه وهو بيان الحق، الذي فيه السعادة الأبدية، والمصالح الدينية والدنيوية

## تفسير السعدي

وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنا قليلا، وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات، والأموال الحقيمة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين ومن شائبهم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبأوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرؤا على محارم الله، وتهاونا بحقوق الله، بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله، ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفا من إثم الكتمان. وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى به، خصوصا إذا سألوهم، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل. فأما الموفقون، فقاموا وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتهم ذلك، ويبخل عليهم الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد،

إنا كذلك نجزي المحسنين وقد قال عباد الرحمن: واجعلنا للمتقين إماما وهي من نعم الباري على عبده، ومنه التي تحتاج إلى الشكر. 188 وأنه جازى بها خواص خلقه، وسألوها منه، كما قال إبراهيم عليه السلام: واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقال: سلام على نوح في العالمين، واتباع الحق، إذا لم يكن قصده بذلك الرياء والسمعة، أنه غير مذموم، بل هذا من الأمور المطلوبة، التي أخبر الله أنه يجزي بها المحسنين له الأعمال والأقوال، بها، ودعا إليها، وزعم أنه محق وغيره مبطل، كما هو الواقع من أهل البدع. ودلت الآية بمفهومها على أن من أحب أن يحمى ويثنى عليه بما فعله من الخير الكتاب الذين فرحوا بما عندهم من العلم، ولم ينقادوا للرسول، وزعموا أنهم هم المحقون في حالهم ومقالهم، وكذلك كل من ابتدع بدعة قولية أو فعلية، وفرح بمفازة من العذاب أي: بمحل نجوة منه وسلامة، بل قد استحقوه، وسيصيرون إليه، ولهذا قال: ولهم عذاب أليم ويدخل في هذه الآية الكريمة أهل الخير الذي لم يفعلوه، والحق الذي لم يقولوه، فجمعوا بين فعل الشر وقوله، والفرح بذلك ومحبة أن يحموا على فعل الخير الذي ما فعلوه. فلا تحسبهم ثم قال تعالى: لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا أي: من القبائح والباطل القولي والفعلية. ويحبون أن يحموا بما لم يفعلوا أي: المالك للسموات والأرض وما فيهما، من سائر أصناف الخلق، المتصرف فيهم بكمال القدرة، وبديع الصنعة، فلا يمتنع عليه منهم أحد، ولا يعجزه أحد. 189 أي: هو

عليك البلاغ فقد وجب أجرك على ربك، وقامت عليهم الحجة، ولم يبق بعد هذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم، فلماذا قال والله بصير بالعباد 19 بمثل ما أمنتهم به فقد اهتدوا كما اهتديتم وصاروا إخوانكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم وإن تولوا عن الإسلام ورضوا بالأديان التي تخالفه فإنما أن ما سواه من الأديان باطلة، فلماذا قال وقل للذين أوتوا الكتاب من النصارى واليهود والأميين مشركي العرب وغيرهم أسلمتم فإن أسلموا أي: يساويهم أو يقاربهم، فإذا ثبت وتقرر توحيد الله ودينه بأدلته الظاهرة، وقام به أكمل الخلق وأعلمهم، حصل بذلك اليقين وانتفى كل شك وريب وقادح، وعرف محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من بعده أتباعه على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم، فلهم من العلم الصحيح والعقل الرجيح ما ليس لأحد من الخلق ما من اشتبه عليه الأمر، لأنه قد تقدم أن الله استشهد على توحيده بأهل العلم من عباده ليكونوا حجة على غيرهم، وسيد أهل العلم وأفضلهم وأعلمهم هو نبينا وشهدنا وأسلمنا وجوهنا لربنا، وتركنا ما سوى دين الإسلام، وجزمنا بطلانه، ففي هذا تأييس لمن طمع فيكم، وتجديد لدينكم عند ورود الشبهات، وحجة على عليه وسلم عند محاجة النصارى وغيرهم ممن يفضل غير دين الإسلام عليه أن يقول لهم: قد أسلمت وجهي لله ومن اتبعني أي: أنا ومن اتبعني قد أقرنا سريع الحساب فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصا من ترك الحق بعد معرفته، فهذا مستحق للعقوبات الأليم، ثم أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ويتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم، فلماذا قال تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله الكتاب بعد ما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله، بغيا بينهم، وظلما وعدوانا من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم، وإنما اختلف أهل وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو متضمن للإخلاص ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له،

مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. وخص الله بالآيات أولي الأبواب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم. 190 وشمول بره، ووجوب شكره. وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره وبديع الصنع، ولطائف الفعل، يدل على حكمة الله ووضعه الأشياء مواضعها، وسعة علمه. وما فيها من المنافع للخلق، يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وفي الجملة فما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة، يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته. وما فيها من الإحكام والإتقان، ويجذب أفئدة الصادقين، وبنه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية، فأما تفصيل ما اشتملت عليه، فلا يمكن لمخلوق أن يحصره، ويحيط ببعضه، وأبهم قوله: آيات ولم يقل: على المطلب الفلاني إشارة لكثرتها وعمومها، وذلك لأن فيها من الآيات العجيبة ما يبهز الناظرين، ويقنع المتفكرين، إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكير فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها، يخبر تعالى:

ووقوع الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم. 191 لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخصيت أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملائكته، وأوليائه،

## تفسير السعدي

من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن عبثا، فيقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. فقنا عذاب النار بأن تعصمنا الأرض أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم يتفكرون في خلق السماوات ثم وصف أولي الأبواب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذا يشمل

ووقوف الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم. 192 لما قام الخوف بقلوبهم، دعا الله بأهم الأمور عندهم، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتني أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملأته، وأوليائه، من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن عبثا، فيقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. فقنا عذاب النار بأن تعصمنا الأرض أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم يتفكرون في خلق السماوات ثم وصف أولي الأبواب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذا يشمل

ووقوف الفضيحة التي لا نجاة منها، ولا منقذ منها، ولهذا قال: وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذابه، وفيه دلالة على أنهم دخلوها بظلمهم. 193 لما قام الخوف بقلوبهم، دعا الله بأهم الأمور عندهم، ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتني أي: لحصوله على السخط من الله، ومن ملأته، وأوليائه، من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن عبثا، فيقولون: ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه عن كل ما لا يليق بجلالك، بل خلقتها بالحق وللحق، مشتملة على الحق. فقنا عذاب النار بأن تعصمنا الأرض أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكير عبادة من صفات أولياء الله العارفين، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى جنب، وأنهم يتفكرون في خلق السماوات ثم وصف أولي الأبواب بأنهم يذكرون الله في جميع أحوالهم: قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذا يشمل

من النصر، والظهور في الدنيا، ومن الفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، فإنه تعالى لا يخلف الميعاد، فأجاب الله دعاءهم، وقبل تضرعهم، فلماذا 194 والنبات إلى الممات. ولما ذكروا توفيق الله إياهم للإيمان، وتوسلهم به إلى تمام النعمة، سألوهم الثواب على ذلك، وأن ينجز لهم ما وعدهم به على السنة رسله بالإيمان، سيمن عليهم بالأمان التام. وتوفنا مع الأبرار يتضمن هذا الدعاء التوفيق لفعل الخير، وترك الشر، الذي به يكون العبد من الأبرار، والاستمرار عليه، إليه، وفي هذا إخبار منهم بمنة الله عليهم، وتبجح بنعمته، وتوسل إليه بذلك، أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، لأن الحسنات يذهبن السيئات، والذي من عليهم سمعنا مناديا ينادي للإيمان وهو محمد صلى الله عليه وسلم، أي: يدعو الناس إليه، ويرغبهم فيه، في أصوله وفروعه. فأما أي: أجنبناه مبادرة، وسارعنا ربنا إننا

حسن الثواب مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فمن أراد ذلك، فليطلبه من الله بطاعته والتقرب إليه، بما يقدر عليه العبد. 195 الله. لا كفر عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله الذي يعطي عبده الثواب الجزيل على العمل القليل. والله عنده ديارهم وأودوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا فجمعوا بين الإيمان والهجرة، ومفارقة المحبوبات من الأوطان والأموال، طلبا لمرضاة ربهم، وجاهدوا في سبيل ذكر وأنثى، فالجميع سيلقون ثواب أعمالهم كاملا موفرا، بعضكم من بعض أي: كلكم على حد سواء في الثواب والعقاب، فالذين هاجروا وأخرجوا من أي: أجاب الله دعاءهم، دعاء العبادة، ودعاء الطلب، وقال: إني لا أضيع عمل عامل منكم من

عما يحصل للذين كفروا من متاع الدنيا، وتنعمهم فيها، وتقلبهم في البلاد بأنواع التجارات والمكاسب واللذات، وأنواع العز، والغلبة في بعض الأوقات 196 وهذه الآية المقصود منها التسلية

فإن هذا كله متاع قليل ليس له ثبوت ولا بقاء، بل يتمتعون به قليلا، ويعذبون عليه طويلا، هذه أعلى حالة تكون للكافر، وقد رأيت ما تؤول إليه. 197 وما عند الله خير للأبرار وهم الذين برت قلوبهم، فبرت أقوالهم وأفعالهم، فأثابهم البر الرحيم من بره أجرا عظيما، وعطاء جسيما، وفوزا دائما. 198 وشدة، وعناء ومشقة، لكن هذا بالنسبة إلى النعيم المقيم، والعيش السليم، والسرور والحبور، والبهجة نورا يسيرا، ومنحة في صورة محنة، ولهذا قال تعالى: المؤمنون به فمع ما يحصل لهم من عز الدنيا ونعيمها لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فلو قدر أنهم في دار الدنيا، قد حصل لهم كل بؤس وأما المتقون لربهم،

الأجر الجزيل، والثواب الجميل، وأخبرهم بقربه، وأنه سريع الحساب، فلا يستبطؤون ما وعدهم الله، لأن ما هو آت محقق حصوله، فهو قريب. 199 النفس السفلية، وترك الحق الذي هو: أكبر حظ وفوز في الدنيا والآخرة، فأثروا الحق وبينوه، ودعوا إليه، وحذروا عن الباطل، فأثابهم الله على ذلك بأن وعدهم ما أنزل الله ويشترون به ثمنا قليلا، وأما هؤلاء فعرفوا الأمر على الحقيقة، وعلموا أن من أعظم الخسران، الرضا بالدون عن الدين، والوقوف مع بعض حظوظ

## تفسير السعدي

الله من عباده العلماء ومن تمام خشيتهم لله، أنهم لا يشتركون بآيات الله ثمنا قليلا فلا يقدمون الدنيا على الدين كما فعل أهل الانحراف الذين يكتمون خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده. وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: إنما يخشى أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض. ولهذا لما كان إيمانهم عاما حقيقيا صار نافعا، فأحدث لهم أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما

وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد والإمداد، فهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام وللقلوب والأرواح. 2 ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى عن جميع مخلوقاته، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع الصفات التي لا تتم افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود سواه فهو باطل،

عليك البلاغ فقد وجب أجرك على ربك، وقامت عليهم الحجة، ولم يبق بعد هذا إلا مجازاتهم بالعقاب على جرمهم، فهذا قال والله بصير بالعباد 20 بمثل ما أنتمت به فقد اهتموا كما اهتمتكم وصاروا إخوانكم، لهم ما لكم، وعليهم ما عليكم وإن تولوا عن الإسلام ورضوا بالأديان التي تخالفه فإنما أن ما سواه من الأديان باطلة، فهذا قال وقل للذين أوتوا الكتاب من النصارى واليهود والأميين مشركي العرب وغيرهم أسلمتم فإن أسلموا أي: يساويهم أو يقاربهم، فإذا ثبت وتقرر توحيد الله ودينه بأدلته الظاهرة، وقام به أكمل الخلق وأعلمهم، حصل بذلك اليقين وانتفى كل شك وريب وقادح، وعرف محمد صلى الله عليه وسلم، ثم من بعده أنبأه على اختلاف مراتبهم وتفاوت درجاتهم، فلهم من العلم الصحيح والعقل الرجيح ما ليس لأحد من الخلق ما من اشتبه عليه الأمر، لأنه قد تقدم أن الله استشهد على توحيد به أهل العلم من عباده ليكونوا حجة على غيرهم، وسيد أهل العلم وأفضلهم وأعلمهم هو نبينا وشهدنا وأسلمنا وجوهنا لرَبنا، وتركنا ما سوى دين الإسلام، وجزمنا بطلانه، ففي هذا تأسيس لمن طمع فيكم، وتجديد لدينكم عند ورود الشبهات، وحجة على عليه وسلم عند محاجة النصارى وغيرهم ممن يفضل غير دين الإسلام عليه أن يقول لهم: قد أسلمت وجهي لله ومن اتبعني أي: أنا ومن اتبعني قد أقرنا سريع الحساب فيجازي كل عامل بعمله، وخصوصا من ترك الحق بعد معرفته، فهذا مستحق للعقوبة الشديدة والعقاب الأليم، ثم أمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بتركوا الاختلاف، وهذا من كفرهم، فهذا قال تعالى وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله الكتاب بعد ما جاءتهم كتبهم تحثهم على الاجتماع على دين الله، بغيا بينهم، وظلما وعدوانا من أنفسهم، وإلا فقد جاءهم السبب الأكبر الموجب أن يتبعوا الحق له في الحب والخوف والرجاء والإنابة والدعاء ومتابعة رسوله في ذلك، وهذا هو دين الرسل كلهم، وكل من تابعهم فهو على طريقهم، وإنما اختلف أهل وهو الإسلام الذي هو الاستسلام لله بتوحيده وطاعته التي دعت إليها رسله، وحثت عليها كتبه، وهو الذي لا يقبل من أحد دين سواه، وهو متضمن للإخلاص ولما قرر أنه الإله الحق المعبود، بين العبادة والدين الذي يتعين أن يعبد به ويدان له،

الفلاح إلا بالإخلاص بها أو ببعضها. والله الموفق ولا حول ولا قوة إلا به. تم تفسير سورة آل عمران والحمد لله على نعمته، ونسأله تمام النعمة. 200 وينجون من المكروه كذلك. فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدا الذي يخاف من وصول العدو منه، وأن يراقبوا أعداءهم، ويمنعوهم من الوصول إلى مقاصدهم، لعلمهم بفلحون: يفوزون بالمحسوب الديني والديني والأخروي، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك. والمصابرة أي الملازمة والاستمرار على ذلك، على الدوام، ومقاومة الأعداء في جميع الأحوال. والمرابطة: وهي لزوم المحل الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، ثم حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن

بهذه الجنايات المنكرات أشد العقوبات، وهو العذاب المؤلم البالغ في الشدة إلى غاية لا يمكن وصفها، ولا يقدر قدرها المؤلم للأبدان والقلوب والأرواح. 21 يأمرهم الناس بالقسط الذي هو العدل، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي حقيقته إحسان إلى المأمور ونصح له، فقابلوهم شر مقابلة، فاستحقوا الحقوق على العباد بعد حق الله، الذين أوجب الله طاعتهم والإيمان بهم، وتعزيرهم، وتوقيفهم، ونصرهم وهؤلاء قابلوهم بضر ذلك، ويقتلون أيضا الذين جرما وأي: جرم أعظم من الكفر بآيات الله التي تدل دلالة قاطعة على الحق الذي من كفر بها فهو في غاية الكفر والعناد ويقتلون أنبياء الله الذين حقهم أوجب هؤلاء الذين أخبر الله عنهم في هذه الآية، أشد الناس

قد أبسوا من كل خير، وحصل لهم كل شر وضير، وهذه الحالة صفة اليهود ونحوهم، قبحهم الله ما أجرأهم على الله وعلى أنبيائه وعباده الصالحين. 22 وبطلت أعمالهم بما كسبت أيديهم، وما لهم أحد ينصرهم من عذاب الله ولا يدفع عنهم من نقمته مثقال ذرة، بل

دعي إلى كتاب الله أن يسمع ويطيع وينقاد، كما قال تعالى إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا 23 تولوا بأبدانهم، وأعرضوا بقلوبهم، وهذا غاية الذم، وفي ضمنها التحذير لنا أن نفعل كفعالهم، فيصيبنا من الذم والعقاب ما أصابهم، بل الواجب على كل أحد إذا عليهم بكتابه، فكان يجب أن يكونوا أقوم الناس به وأسرعهم انقيادا لأحكامه، فأخبر الله عنهم أنهم إذا دعوا إلى حكم الكتاب تولي فريق منهم وهم يعرضون، يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب الذين أنعم الله

المحارم، لأن أنفسهم منتهم وغرتهم أن مآلهم إلى الجنة، وكذبوا في ذلك، فإن هذا مجرد كذب وافتراء، وإنما مآلهم شر مآل، وعاقبتهم عاقبة وخيمة 24

## تفسير السعدي

الله هو قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون افتروا هذا القول فظنوه حقيقة فعملوا على ذلك ولم ينزجروا عن والسبب الذي غر أهل الكتاب بتجرئهم على معاصي

يوم توفية النفوس ما كسبت ومجازاتها بالعدل لا بالظلم، وقد علم أن ذلك على قدر الأعمال، وقد تقدم من أعمالهم ما يبين أنهم من أشد الناس عذابا. 25 أي: كيف يكون حالهم ووخيم ما يقدمون عليه، حالة لا يمكن وصفها ولا يتصور قبحها لأن ذلك اليوم

من تشاء بطاعتك وتذل من تشاء بمعصيتك إنك على كل شيء قدير لا يمتنع عليك أمر من الأمور بل الأشياء كلها طوع مشيئتك وقدرتك 26 إذا استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيهم الأعداء وجعل بأسهم بينهم، ثم قال تعالى: وتعز ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين فأخبر أن ائتلاف قلوب المؤمنين وثباتهم وعدم تنازعهم سبب للنصر على الأعداء، وأنت بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم الآية وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم الآية فأخبر أن الإيمان والعمل الصالح سبب للاستخلاف المذكور، وقال تعالى: هو الذي أيدك منها اجتماع المسلمين واتفاقهم، وإعدادهم الآلات التي يقدرها عليها والصبر وعدم التنازع، قال الله تعالى: وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات بمشيئة الله لا يوجد سبب مستقل بشيء، بل الأسباب كلها تابعة للقضاء والقدر، ومن الأسباب التي جعلها الله سببا لحصول الملك الإيمان والعمل الصالح، التي ونزعه تبع لمشيئة الله تعالى، ولا ينافي ذلك ما أجرى الله به سنته من الأسباب الكونية والدينية التي هي سبب بقاء الملك وحصوله وسبب زواله، فإنها كلها الملك ممن تشاء وفيه الإشارة إلى أن الله تعالى سينزع الملك من الأكاسرة والقيصرة ومن تبعهم ويؤتيه أمة محمد، وقد فعل ولله الحمد، فحصول الملك لك، والمملكة كلها علويها وسفليها لك والتصريف والتدبير كله لك، ثم فصل بعض التصارييف التي انفرد الباري تعالى بها، فقال: تؤتي الملك من تشاء وتنزع يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اللهم مالك الملك أي: أنت الملك المالك لجميع الممالك، فصفة الملك المطلق

تعالى الأضداد، والصد من ضده بيان أنها مقهورة وترزق من تشاء بغير حساب أي: ترزق من تشاء رزقا واسعا من حيث لا يحتسب ولا يكتسب 27 من الشجر، وكالحب من الزرع، وكالكافر من المؤمن، وهذا أعظم دليل على قدرة الله، وأن جميع الأشياء مسخرة مدبرة لا تملك من التدبير شيئا، فخلقه الحي من الميت كالفرخ من البيضة، وكالشجر من النوى، وكالزرع من بذره، وكالمؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحي كالبيضة من الطائر وكانوى هذا، فينشأ عن ذلك من الفصول والضياء والنور والشمس والظل والسكون والانتشار، ما هو من أكبر الأدلة على قدرة الله وعظمته وحكمته ورحمته وتخرج تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل أي: تدخل هذا على هذا، وهذا على

من المجازاة على الأعمال، ومحل ذلك يوم القيامة، فهو الذي توفي به النفوس بأعمالها فلماذا قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا 28 رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله، وفي ضمن أخبار الله عن علمه وقدرته الإخبار بما هو لازم ذلك علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث الأجر والثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصا، ولما في السماء والأرض عموما، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصى أعمالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل باللسان وإظهار ما به تحصل التقية. ثم قال تعالى: ويحذركم الله نفسه أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك وإلى الله المصير التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصدقتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أوليائه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال تعالى: ومن يتولهم منكم فإنه منهم وفي هذه الآية دليل على على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فمن والى الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء أي: وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين

من المجازاة على الأعمال، ومحل ذلك يوم القيامة، فهو الذي توفي به النفوس بأعمالها فلماذا قال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا 29 رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله، وفي ضمن أخبار الله عن علمه وقدرته الإخبار بما هو لازم ذلك علم الله كل وقت فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلا لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث الأجر والثوبة، ثم أخبر عن سعة علمه لما في النفوس خصوصا، ولما في السماء والأرض عموما، وعن كمال قدرته، ففيه إرشاد إلى تطهير القلوب واستحضار أي: مرجع العباد ليوم التناد، فيحصى أعمالهم ويحاسبهم عليها ويجازيهم، فإياكم أن تفعلوا من الأعمال القباح ما تستحقون به العقوبة، واعملوا ما به يحصل باللسان وإظهار ما به تحصل التقية. ثم قال تعالى: ويحذركم الله نفسه أي: فلا تتعرضوا لسخطه بارتكاب معاصيه فيعاقبكم على ذلك وإلى الله المصير التي هي مصالح لعموم المسلمين. قال الله تعالى: إلا أن تتقوا منهم تقاة أي: تخافوهم على أنفسكم فيحل لكم أن تفعلوا ما تعصمون به دماءكم من التقية

## تفسير السعدي

الابتعاد عن الكفار وعن معاشرتهم وصدقتهم، والميل إليهم والركون إليهم، وأنه لا يجوز أن يولى كافر ولاية من ولايات المسلمين، ولا يستعان به على الأمور أن يطفؤا نور الله ويفتنوا أوليائه خرج من حزب المؤمنين، وصار من حزب الكافرين، قال تعالى: ومن يتولهم منكم فإنه منهم وفي هذه الآية دليل على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، قال تعالى: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض فمن والى الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون فقد انقطع عن الله، وليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد على ذلك فقال: ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء أي: وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين

الشرائع الكبار، وأنها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقدير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته. 3 الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت إثبات حياته الكاملة وقيوميته التامة، المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم، وإثبات وقبيح، وذكر وأنثى لا إله إلا هو العزيز الحكيم تضمنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعيينها، وإبطال إلهية ما سواه، وفي ضمن ذلك رد على النصارى ويقدرها بكل تقدير، فلها قال هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء من كامل الخلق ناقصه، وحسن كلها، جليها وخفيها، ظاهرها وباطنها، ومن جملة ذلك الأجنة في البطون التي لا يدركها بصر المخلوقين، ولا ينالها علمهم، وهو تعالى يدبرها بألطف تدبير، عزيز أي: قوي لا يعجزه شيء ذو انتقام ممن عصاه. إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا فيه تقرير إحاطة علمه بالمعلومات يؤمن به وبآياته، فلها قال إن الذين كفروا بآيات الله أي: بعد ما بينها ووضحها وأزاح العلل لهم عذاب شديد لا يقدر قدره ولا يدرك وصفه والله القاطعات الدالة على جميع المقاصد والمطالب، وكذلك فصل وفسر ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جلية ظاهرة، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة لمن لم والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله وأنزل الفرقان أي: الحجج والبيانات والبراهين أي: على موسى والإنجيل على عيسى. من قبل إنزال القرآن هدى للناس الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة وهي شاهدة له بالصدق، فأهل الكتاب لا يمكنهم التصديق بكتبهم إن لم يؤمنوا به، فإن كفرهم به ينقض إيمانهم بكتبهم، ثم قال تعالى وأنزل التوراة بين يديه من الكتب السابقة، فهو المزكي لها، فما شهد له فهو المقبول، وما رده فهو المردود، وهو المطابق لها في جميع المطالب التي اتفق عليها المرسلون، على الحق في إخباره وأوامره ونواهيها، فما أخبر به صدق، وما حكم به فهو العدل، وأنزله بالحق ليقوم الخلق بعبادة ربهم ويتعلموا كتابه مصدقا لما وللقلوب والأرواح. ومن قيامه تعالى بعبادته ورحمته بهم أن نزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب، الذي هو أجل الكتب وأعظمها المشتمل عن جميع مخلوقاته، وقام بغيره فافتقرت إليه جميع مخلوقاته في الإيجاد والإعداد، وهو الذي قام بتدبير الخلائق وتصريفهم، تدبير للأجسام الصفات التي لا تتم ولا تكمل الحياة إلا بها كالسمع والبصر والقدرة والقوة والعظمة والبقاء والدوام والعز الذي لا يرام القيوم الذي قام بنفسه فاستغنى سواه فهو باطل، والله هو الإله الحق المتصف بصفات الألوهية التي مرجعها إلى الحياة والقيومية، فالحي من له الحياة العظيمة الكاملة المستلزمة لجميع افتتحها تبارك وتعالى بالإخبار بألوهيته، وأنه الإله الذي لا إله إلا هو الذي لا ينبغي التأله والتعبد إلا لوجهه، فكل معبود

وترك الذنوب، فقال ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ففسأله أن يمن علينا بالحذر منه على الدوام، حتى لا نفعل ما يسخطه ويغضبه. 30 تعالى تحذيرنا نفسه رافة بنا ورحمة لئلا يطول علينا الأمد فتفسد قلوبنا، وليجمع لنا بين الترغيب الموجب للرجاء والعمل الصالح، والترهيب الموجب للخوف وجهه لا ينظر إلا الأمر الحاضر، فليس له عقل كامل يلحظ به عواقب الأمور فيقدم على ما ينفعه عاجلا وأجلا، ويحجم عن ما يضره عاجلا وأجلا، ثم أعاد فبنس القرين فوالله لترك كل شهوة ولذة وان عسر تركها على النفس في هذه الدار أيسر من معاناة تلك الشدائد واحتمال تلك الفضائح، ولكن العبد من ظلمه يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا حتى إذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشركين وليتركها وقت الإمكان قبل أن يقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ويوم من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا أي: مسافة بعيدة، لعظم أسفها وشددة حزنها، فليحذر العبد من أعمال سوء التي لا بد أن يحزن عليها أشد الحزن، لكل ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة صغيرها وكبيرها، كما أن سوء اسم جامع لكل ما يسخط الله من الأعمال السيئة صغيرها وكبيرها وما عملت يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا أي: كاملا موفرا لم ينقص مثقال ذرة، كما قال تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والخير: اسم جامع

غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص. 31 لم يتبع الرسول فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسوله، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن فيها مجرد الدعوى، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها، فقال قل إن كنتم تحبون الله أي: ادعيتم هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي وهذه الآية فيها

أشد العقوبة، وكأن في هذه الآية الكريمة بيانا وتفسيرا لاتباع رسوله، وأن ذلك بطاعة الله وطاعة رسوله، هذا هو الاتباع الحقيقي، ثم قال تعالى: 32 مريد كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير فلها قال: فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم



## تفسير السعدي

فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون فإن تولوا أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه، لأن اجتنابه امتثالاً لأمر الله هو من طاعته، وهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما

مريم بنت عمران، أو والد موسى بن عمران عليه السلام، فهذه البيوت التي ذكرها الله هي صفوته من العالمين، وتسلسل الصلاح والتوفيق بذرياتهم. 33 من الكمال ما تفرق في غيره، وفاق صلى الله عليه وسلم الأولين والآخرين، فكان سيد المرسلين المصطفى من ولد إبراهيم. واصطفى الله آل عمران وهو والد لأنهم من ذريته، وقد خصهم بأنواع الفضائل ما كانوا به صفوة على العالمين، ومنهم سيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله تعالى جمع فيه ربه ليلا ونهارا وسرا وجهارا، وجعله الله أسوة يقتدي به من بعده، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، ويدخل في آل إبراهيم جميع الأنبياء الذين بعثوا من بعده جميع الأحيان والأزمان. واصطفى آل إبراهيم وهو إبراهيم خليل الرحمن الذي اختصه الله بخلته، وبذل نفسه للنيران وولده للقربان وماله للضيقات، ودعا إلى الأوقات ما أوجب اصطفاؤه واجتباؤه، وأغرق الله أهل الأرض بدعوته، ونجاه ومن معه في الفلك المشحون، وجعل ذريته هم الباقين، وترك عليه ثناء يذكر في ممن خلقنا تفضيلا واصطفى نوحا فجعله أول رسول إلى أهل الأرض حين عبدت الأوثان، ووقفه من الصبر والاحتمال والشكر والدعوة إلى الله في جميع الفضل ما فاق به سائر المخلوقات، ولهذا فضل بنيه، فقال تعالى: ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير فأخبر أنه اصطفى آدم، أي: اختاره على سائر المخلوقات، فخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأمر الملائكة بالسجود له، وأسكنه جنته، وأعطاه من العلم والحلم يخبر تعالى باختيار من اختاره من أوليائه وأصفياه وأحبابه،

والتنويه بشرفهم، فله ما أعظم جوده وكرمه وأكثر فوائده معاملته، لو لم يكن لهم من الشرف إلا أن أذكاهم مخلدة ومناقبهم مؤبدة لكفى بذلك فضلا 34 وأن لا نزال نزري أنفسنا بتأخرنا عنهم وعدم اتصافنا بأوصافهم ومزاياهم الجميلة، وهذا أيضا من لطفه بهم، وإظهاره الثناء عليهم في الأولين والآخرين، من أحوالهم الموجبة لذلك فضلا منه وكرما، ومن الفائدة والحكمة في قصه علينا أخبار هؤلاء الأصفياء أن نحبههم ونقتدي بهم، ونسأل الله أن يوفقنا لما وفقهم، صراط مستقيم والله سميع عليم يعلم من يستحق الاصطفاء فيصطفيه ومن لا يستحق ذلك فيخله ويرديه، ودل هذا على أن هؤلاء اختارهم لما علم والأخلاق الجميلة، كما قال تعالى لما ذكر جملة من الأنبياء الداخلين في ضمن هذه البيوت الكبار ومن آبائهم وإخوانهم وذرياتهم واجتبيئناهم وهديناهم إلى ذرية بعضها من بعض أي: حصل التناسب والتشابه بينهم في الخلق

وخدمة بيتك فتقبل مني هذا العمل المبارك إنك أنت السميع العليم تسمع دعائي وتعلم نيتي وقصدي، هذا وهي في البطن قبل وضعها 35 فقال: إذ قالت امرأة عمران أي: والددة مريم لما حملت رب إني نذرت لك ما في بطني محررا أي: جعلت ما في بطني خالسا لوجهك، محررا لخدمتك ولما ذكر فضائل هذه البيوت الكريمة ذكر ما جرى لمريم والددة عيسى وكيف لطف الله بها في تربيتها ونشأتها،

وعلى أن للام تسمية الولد إذا لم يكره الأب وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم دعت لها ولذريتها أن يعيدهم الله من الشيطان الرجيم. 36 بل علمه متعلق بها قبل أن تعلم أمها ما هي وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم فيه دلالة على تفضيل الذكر على الأنثى، وعلى التسمية وقت الولادة، أن يكون ذكرا ليكون أقدر على الخدمة وأعظم موقعا، ففي كلامها نوع عذر من ربها، فقال الله: والله أعلم بما وضعت أي: لا يحتاج إلى إعلامها، فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى كأنها تشوفت

نفى ذلك، فلما رأى زكريا عليه السلام ما من الله به على مريم، وما أكرمها به من رزقه الهنيء الذي أتاها بغير سعي منها ولا كسب، طمعت نفسه بالولد 37 الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وفي هذه الآية دليل على إثبات كرامات الأولياء الخارقة للعادة كما قد تواترت الأخبار بذلك، خلافا لمن أنى لك هذا قالت هو من عند الله فضلا وإحسانا إن الله يرزق من يشاء بغير حساب أي: من غير حساب من العبد ولا كسب، قال تعالى: ومن يتق مصلاه فكان كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا أي: من غير كسب ولا تعب، بل رزق ساقه الله إليها، وكرامة أكرمها الله بها، فيقول لها زكريا عليه السلام وكفلها إياه، وهذا من رفقها بها ليربيها على أكمل الأحوال، فنشأت في عبادة ربها وفاقت النساء، وانقطعت لعبادة ربها، ولزمت محرابها أي: أي: جعلها نذيرة مقبولة، وأجارها وذريتها من الشيطان وأنبتها نباتا حسنا أي: نبتت نباتا حسنا في بدنها وخلقها وأخلاقها، لأن الله تعالى قيض لها زكريا فتقبلها ربها بقبول حسن

أي: دعا زكريا عليه السلام ربه أن يرزقه ذرية طيبة، أي: طاهرة الأخلاق، طيبة الآداب، لتكمل النعمة الدينية والدنيوية بهم. فاستجاب له دعاءه. 38 بخدمة ربه وطاعته ونبيا من الصالحين فأى: بشارة أعظم من هذا الولد الذي حصلت البشارة بوجوده، وبكمال صفاته، وبكونه نبيا من الصالحين 39 أي: يحصل له من الصفات الجميلة ما يكون به سيدا يرجع إليه في الأمور وحسورا أي: ممنوعا من إتيان النساء، فليس في قلبه لهن شهوة، اشتغلا هو قائم في محرابه يتعبد لربه ويتضرع نادته الملائكة أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله أي: بعيسى عليه السلام، لأنه كان بكلمة الله وسيدا وبينما

ما بينها ووضحها وأزاح العلل لهم عذاب شديد لا يقدر قدره ولا يدرك وصفه والله عزيز أي: قوي لا يعجزه شيء ذو انتقام ممن عصاه. 4 ما يحتاج إليه الخلق حتى بقيت الأحكام جليلة ظاهرة، فلم يبق لأحد عذر ولا حجة لمن لم يؤمن به وبآياته، فهذا قال إن الذين كفروا بآيات الله أي: بعد

## تفسير السعدي

ومن لم يقبل ذلك بقي على ضلاله وأنزل الفرقان أي: الحجج والبيّنات والبراهين القاطعات الدالة على جميع المقاصد والمطالب، وكذلك فصل وفسر القرآن هدى للناس الظاهر أن هذا راجع لكل ما تقدم، أي: أنزل الله القرآن والتوراة والإنجيل هدى للناس من الضلال، فمن قبل هدى الله فهو المهتدي، من قبل إنزال

فإذا أراد أن يوجههم من غير ما سبب فعل، لأنه لا يستعصي عليه شيء، فقال زكريا عليه السلام استعجالاً لهذا الأمر، وليحصل له كمال الطمأنينة. 40 فكيف وقد اجتمعوا، فأخبره الله تعالى أن هذا خارق للعادة، فقال: كذلك الله يفعل ما يشاء فكما أنه تعالى قدر وجود الأولاد بالأسباب التي منها التناسل، فقال زكريا من شدة فرحه رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وكل واحد من الأمرين مانع من وجود الولد،

الله أن يشكره ويكثر من ذكره بالعشي والإبكار، حتى إذا خرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا أي: أول النهار وآخره. 41 أنه كما يمنع نفوذ الأسباب مع وجودها، فإنه يوجدها بدون أسبابها ليدل ذلك أن الأسباب كلها مندرجة في قضائه وقدره، فامتنع من الكلام ثلاثة أيام، وأمره أي: ينحبس لسانك عن كلامهم من غير آفة ولا سوء، فلا تقدر إلا على الإشارة والرمز، وهذا آية عظيمة أن لا تقدر على الكلام، وفيه مناسبة عجيبة، وهي رب اجعل لي آية أي: علامة على وجود الولد قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا

الله إياها وتطهيرها، كان في هذا من النعمة العظيمة والمنحة الجسيمة ما يوجب لها القيام بشكرها، فهذا قالت لها الملائكة: يا مريم اقنتي لربك 42 إما على عالمي زمانها، أو مطلقاً، وإن شاركتها أفراد من النساء في ذلك كخديجة وعائشة وفاطمة، لم يناف الاضطفاء المذكور، فلما أخبرتها الملائكة باضطفاء واصطفافك على نساء العالمين الاضطفاء الأول يرجع إلى الصفات الحميدة والأفعال السديدة، والاضطفاء الثاني يرجع إلى تفضيلها على سائر نساء العالمين، ينوه تعالى بفضيلة مريم وعلو قدرها، وأن الملائكة خاطبتها بذلك فقالت يا مريم إن الله اصطفاك أي: اختارك وطهرتك من الآفات المنقصة

واسجدي واركعي مع الراكعين خص السجود والركوع لفضلهما ودلالتهما على غاية الخضوع لله، ففعلت مريم، ما أمرت به شكراً لله تعالى وطاعة 43 اقنتي لربك القنوت دوام الطاعة في خضوع وخشوع،

صادق وأنت رسول الله حقاً، فوجب عليهم الانقياد لك وامتنثال أوامرك، كما قال تعالى: وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر الآيات. 44 النهر، فأبهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها، فوقع ذلك لزكريا نبههم وأفضلهم، فلما أخبرتهم يا محمد بهذه الأخبار التي لا علم لك ولا لقومك بها دل على أنك أقلامهم أبهم يكفل مريم لما ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس، فتشاحوا وتخاصموا أيهم يكفل مريم، واقتنعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في التي قبضها الله لها، وكان هذا من الأمور الغيبية التي لا تعلم إلا بالوحي. قال ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم أي: عندهم إذ يلقون ، ولما أخبر الله نبيه بما أخبر به عن مريم، وكيف تنقلت بها الأحوال

من النبيين والمرسلين، ويظهر فضله على أكثر العالمين، فهذا كان من المقربين إلى الله، أقرب الخلق إلى ربهم، بل هو عليه السلام من سادات المقربين. 45 العزم من المرسلين أصحاب الشرائع الكبار والأئباع، ونشر الله له من الذكر ما ملأ ما بين المشرق والمغرب، وفي الآخرة وجيها عند الله يشفع أسوة إخوانه الروح الزكية، فكان روحانيا نشأ من مادة روحانية، فلماذا سمى روح الله وجيها في الدنيا والآخرة أي: له الواجهة العظيمة في الدنيا، جعله الله أحد أولي وعجائب مخلوقاته، فأرسل الله جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ في جيب درعها فولجت فيها تلك النفخة الذكية من ذلك الملك الزكي، فأنشأ الله منها تلك بأعظم بشارة، وهو كلمة الله عبده ورسوله عيسى ابن مريم، سمي كلمة الله لأنه كان بالكلمة من الله، لأن حالته خارجة عن الأسباب، وجعله الله من آياته يخبر تعالى أن الملائكة بشرت مريم عليها السلام

أي: يمن عليه بالصلاح، من من عليهم، ويدخله في جملتهم، وفي هذا عدة بشارات لمريم مع ما تضمن من التنويه بذكر المسيح عليه السلام. 46 آيات الله ينتفع بها المؤمنون، وتكون حجة على المعاندين، أنه رسول رب العالمين، وأنه عبد الله، وليكون نعمة وبراءة لوالدته مما رميت به ومن الصالحين بل المراد يكلم الناس بما فيه صلاحهم وفلاحهم، وهو تكليم المرسلين، ففي هذا إرساله ودعوته الخلق إلى ربهم، وفي تكليمهم في المهد آية عظيمة من ويكلم الناس في المهد وكهلاً وهذا غير التكليم المعتاد،

عاقر، ثم ذكر أغرب من ذلك وأعجب، وهو وجود عيسى عليه السلام من أم بلا أب ليدل عباده أنه الفعال لما يريد وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. 47 والتعجب، ومن حكمة الباري تعالى أن تدرج بأخبار العباد من الغريب إلى ما هو أغرب منه، فذكر وجود يحيى بن زكريا بين أبوين أحدهما كبير والآخر يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون فأخبرها أن هذا أمر خارق للعادة، خلقه من يقول لكل أمر أراد: كن فيكون، فمن تيقن ذلك زال عنه الاستغراب أنى يكون لي ولد ولم يمسنني بشر والولد في العادة لا يكون إلا من مس البشر، وهذا استغراب منها، لا شك في قدرة الله تعالى: قال كذلك الله يخلق ما قالت رب

أسرار الشرع، ووضع الأشياء مواضعها، فيكون ذلك امتناناً على عيسى عليه السلام بتعليمه الكتابة والعلم والحكمة، وهذا هو الكمال للإنسان في نفسه. 48 عباده بتعليمهم بالقلم في أول سورة أنزلها فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم والمراد بالحكمة معرفة فيه تعليم ألفاظه ومعانيه، ويحتمل أن يكون المراد بقوله ويعلمه الكتاب أي: الكتابة، لأن الكتابة من أعظم نعم الله على عباده ولهذا امتن تعالى على فيكون ذكر التوراة والإنجيل تخصيصاً لهما، لشرفهما وفضلهما واحتوائهما على الأحكام والشرائع التي يحكم بها أنبياء بني إسرائيل والتعليم، لذلك يدخل

## تفسير السعدي

ثم أخبر تعالى عن منته العظيمة على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، فقال ويعلمه الكتاب يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب،

بالأمور الغيبية، فكل واحدة من هذه الأمور آية عظيمة بمفردها، فكيف بها إذا اجتمعت وصدق بعضها بعضها؟ فإنها موجبة للإيقان وداعية للإيمان. 49 في ذلك لاية لكم إن كنتم مؤمنين وأي: آية أعظم من جعل الجماد حيوانا، وإبراء ذوي العاهات التي لا قدرة للأطباء في معالجتها، وإحياء الموتى، والإخبار روح تطير بإذن الله وأبرى الأكمه وهو الذي يولد أعمى والأبرص بإذن الله وأحيى الموتى بإذن الله وأنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن ولهذا قال أي قد جئتمكم بآية من ربكم أي أخلق لكم من الطين طيرا، أي: أصوره على شكل الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله أي: طيرا له فأرسله الله إلى هذا الشعب الفاضل الذين هم أفضل العالمين في زمانهم يدعوهم إلى الله، وأقام له من الآيات ما دلهم أنه رسول الله حقا ونبيه صدقا ثم ذكر له كمالاته وفضلا زائدا على ما أعطاه الله من الفضائل، فقال ورسولا إلى بني إسرائيل

لا يدركها بصر المخلوقين، ولا ينالها علمهم، وهو تعالى يديرها بألطف تدبير، ويقدرها بكل تقدير، فهذا قال هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء 5 عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا فيه تقرير إحاطة علمه بالمعلومات كلها، جليها وخفيها، ظاهرها وباطنها، ومن جملة ذلك الأجنة في البطون التي إن الله لا يخفى

اتباعي، وهي ما تقدم من الآيات، والمقصود من ذلك كله قوله فاتقوا الله بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه وأطيعوني فإن طاعة الرسول طاعة لله. 50 الذي حرم عليكم فدل ذلك على أن أكثر أحكام التوراة لم ينسخها الإنجيل بل كان متمما لها ومقورا وجئتكم بآية من ربكم تدل على صدقي ووجوب أن يكون بينهما من الفروق ما يتبين لكل من له عقل، ثم أخبر عيسى عليه السلام أن شريعة الإنجيل شريعة فيها سهولة ويسرة فقال ولأحل لكم بعض الخلق أو ضلالهم وسعادتهم وشقاؤهم، ومعلوم أن الصادق فيها من أكمل الخلق، والكاذب فيها من أخس الخلق وأكذبهم وأظلمهم، فحكمة الله ورحمته بعباده إذ لا يشتبه الصادق بالكاذب في دعوى النبوة أبدا، بخلاف بعض الأمور الجزئية، فإنه قد يشتبه فيها الصادق بالكاذب، وأما النبوة فإنه يترتب عليها هداية لكل أحد كذب صاحبها وتناقضه ومخالفته لأخبار الصادقين وموافقته لأخبار الكاذبين، هذا موجب السنن الماضية والحكمة الإلهية والرحمة الربانية بعباده، يخبر بالصدق، ويأمر بالعدل من غير تخالف ولا تناقض، بخلاف من ادعى دعوى كاذبة، خصوصا أعظم الدعاوى وهي دعوى النبوة، فالكاذب فيها لابد أن يظهر لما بين يدي من التوراة أي: أثبت بجنس ما جاءت به التوراة وما جاء به موسى عليه السلام، وعلامة الصادق أن يكون خبره من جنس خبر الصادقين، ومصداقا

وقوله هذا أي: عبادة الله وتقواه وطاعة رسوله صراط مستقيم موصل إلى الله وإلى جنته، وما عدا ذلك فهي طرق موصلة إلى الجحيم. 51 من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته إلى قوله ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن عبدوا الله ربي وربكم عبد مدبر مخلوق، كما قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى: وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين بالحب والخوف والرجاء والدعاء والاستعانة وجميع أنواع العبادة، وفي هذا رد على النصارى القائلين بأن عيسى إله أو ابن الله، وهذا إقراره عليه السلام بأنه الذي يقر به كل أحد على توحيد الإلهية الذي ينكره المشركون، فكما أن الله هو الذي خلقنا ورزقنا وأنعم علينا نعمًا ظاهرة وباطنة، فليكن هو معبودنا الذي نأله إن الله ربي وربكم فاعبدوه استدلل بتوحيد الربوبية

بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ومكر الله بهم جزاء لهم على مكربهم والله خير الماكرين رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين. 52 من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتل الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فهذا قال تعالى هنا ومكروا أي: الكفار مع الشاهدين أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه أمنت طائفة من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله قال الحواريون وهم الأنصار نحن أنصار الله أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك. وقالوا: آمنا بالله فاكبتنا فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك قال من أنصاري إلى الله

بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ومكر الله بهم جزاء لهم على مكربهم والله خير الماكرين رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين. 53 من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتل الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فهذا قال تعالى هنا ومكروا أي: الكفار مع الشاهدين أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه أمنت طائفة من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله قال الحواريون وهم الأنصار نحن أنصار الله أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك. وقالوا: آمنا بالله فاكبتنا فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك قال من أنصاري إلى الله

بإرادة قتل نبي الله وإطفاء نوره ومكر الله بهم جزاء لهم على مكربهم والله خير الماكرين رد الله كيدهم في نحورهم، فانقلبوا خاسرين. 54 من بني إسرائيل وكفرت طائفة، فاقتتل الطائفتان فأيد الله الذين آمنوا بنصره على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، فهذا قال تعالى هنا ومكروا أي: الكفار مع الشاهدين أي: الشهادة النافعة، وهي الشهادة بتوحيد الله وتصديق رسوله مع القيام بذلك، فلما قاموا مع عيسى بنصر دين الله وإقامة شرعه أمنت طائفة من يعاونني ويقوم معي بنصرة دين الله قال الحواريون وهم الأنصار نحن أنصار الله أي: انتدبوا معه وقاموا بذلك. وقالوا: آمنا بالله فاكبتنا فلما أحس عيسى منهم الكفر أي: رأى منهم عدم الانقياد له، وقالوا هذا سحر مبين، وهموا بقتله وسعوا في ذلك قال من أنصاري إلى الله

## تفسير السعدي

الخلائق كلها فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون كل يدعي أن الحق معه وأنه المصيب وغيره مخطئ، وهذا مجرد دعاوى تحتاج إلى برهان. 55

إدالة الكفار من النصارى وغيرهم على المسلمين، حكمة من الله وعقوبة على تركهم لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ثم إلي مرجعكم أي: مصير صلى الله عليه وسلم فكان المسلمون هم المتبعين لعيسى حقيقة، فأيدهم الله ونصرهم على اليهود والنصارى وسائر الكفار، وإنما يحصل في بعض الأزمان الكافرين، ثم إن النصارى المنتسبين لعيسى عليه السلام لم يزلوا قاهرين لليهود لكون النصارى أقرب إلى اتباع عيسى من اليهود، حتى بعث الله نبينا محمدا به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ثم قال تعالى: وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة وتقدم أن الله أيد المؤمنين منهم على يضع الأشياء مواضعها، وله أعظم حكمة في إلقاء الشبه على بني إسرائيل، فوقعوا في الشبه كما قال تعالى وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم المانع لهم عن قتل عيسى عليه السلام، كما قال تعالى وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جنتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين حكيم والأحاديث النبوية التي تلقاها أهل السنة بالقبول والإيمان والتسليم، وكان الله عزيزا قويا قاهرا، ومن عزته أن كف بني إسرائيل بعد عزمهم الجازم وعدم قال الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وفي هذه الآية دليل على علو الله تعالى واستوائه على عرشه حقيقة، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية كفروا فرفع الله عبده ورسوله عيسى إليه، وألقي شبهه على غيره، فأخذوا من ألقى شبهه عليه فقتلوه وصلبوه، وباءوا بالإثم العظيم بنيتهم أنه رسول الله، إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين

ينصرونهم من عذاب الله، لا من زعموا أنهم شفعاء لهم عند الله، ولا ما اتخذوهم أولياء من دونه، ولا أصدقائهم وأقربائهم، ولا أنفسهم ينصرون. 56

من عذاب الآخرة، وأما عذاب الآخرة فهو الطامة الكبرى والمصيبة العظمى، ألا وهو عذاب النار وغضب الجبار وحرمانهم ثواب الأبرار وما لهم من ناصرين فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة أما عذاب الدنيا، فهو ما أصابهم الله به من القوارع والعقوبات المشاهدة والقتل والذل، وغير ذلك مما هو نموذج ثم أخبر عن حكمه بينهم بالقسط والعدل، فقال فأما الذين كفروا أي: بالله وآياته ورسله

محضرا موفرا، فيعطي منهم كل عامل أجر عمله ويزيدهم من فضله وكرمه والله لا يحب الظالمين بل يبغضهم ويحل عليهم سخطه وعذابه. 57

ذلك على أنه يحصل لهم في الدنيا ثواب لأعمالهم من الإكرام والإعزاز والنصر والحياة الطيبة، وإنما توفية الأجور يوم القيامة، يجدون ما قدموه من الخيرات أمر الله بالإيمان به وعملوا الصالحات القلبية والقولية والبدينية التي جاءت بشرعها المرسلون، وقصدوا بها رضا رب العالمين فيوفيه أجورهم دل وأما الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وغير ذلك مما

الباهرات، فهذا القرآن يقص علينا كل ما ينفعنا من الأخبار والأحكام، فيحصل فيها العلم والعبرة وتنبت الفؤاد ما هو من أعظم رحمة رب العباد 58

هذا الذكر الحكيم، المحكم المتقن، المفصل للأحكام والحلال والحرام وإخبار الأنبياء الأقدمين، وما أجرى الله على أيديهم من الآيات البينات والمعجزات ذلك نلوه عليكم من الآيات والذكر الحكيم وهذا منة عظيمة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وعلى أمته، حيث أنزل عليهم

تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه. 59

على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدر فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وبهذه القاعدة الشرعية على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد عليهم السلام. فلا تكن من الممترين أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء باب أولى وأحرى، فلماذا قال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن لآدم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح إدعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعائها في آدم من أدل، وعلى أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فأدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب فضلا أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقض قولهم عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى

الشرائع الكبار، وأنها رحمة وهداية للناس، وتقسيم الناس إلى مهتد وغيره، وعقوبة من لم يهتد بها، وتقدير سعة علم الباري ونفوذ مشيئته وحكمته. 60

الذين يزعمون إلهية عيسى ابن مريم عليه السلام، وتضمنت إثبات حياته الكاملة وقيوميته التامة، المتضمنتين جميع الصفات المقدسة كما تقدم، وإثبات وقبيح، وذكر وأنتى لا إله إلا هو العزيز الحكيم تضمنت هذه الآيات تقرير إلهية الله وتعينها، وإبطال إلهية ما سواه، وفي ضمن ذلك رد على النصارى هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء من كامل الخلق وناقصه، وحسن

تنحل عن الإنسان إشكالات كثيرة يوردها المتكلمون ويرتبها المنطقيون، إن حلها الإنسان فهو تبرع منه، وإلا فوظيفته أن يبين الحق بأدلته ويدعو إليه. 60

على حلها أم لا، فلا يوجب له عجزه عن حلها القدر فيما علمه، لأن ما خالف الحق فهو باطل، قال تعالى فماذا بعد الحق إلا الضلال وبهذه القاعدة الشرعية على أنه حق وجزم به العبد من مسائل العقائد وغيرها، فإنه يجب أن يجزم بأن كل ما عارضه فهو باطل، وكل شبهة تورد عليه فهي فاسدة، سواء قدر العبد

## تفسير السعدي

عليهم السلام. فلا تكن من الممتريين أي: الشاكين في شيء مما أخبرك به ربك، وفي هذه الآية وما بعدها دليل على قاعدة شريفة وهو أن ما قامت الأدلة المسيح عليه السلام هو الحق الذي في أعلى رتب الصدق، لكونه من ربك الذي من جملة تربيته الخاصة لك ولأمتك أن قص عليكم ما قص من أخبار الأنبياء باب أولى وأحرى، فلماذا قال تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك أي: هذا الذي أخبرناك به من شأن لادم ما زعمه النصارى في المسيح، فالمسيح المخلوق من أم بلا أب من باب أولى وأحرى، فإن صح إدعاء البنوة والإلهية في المسيح، فادعائها في آدم من أدل، وعلى أن أحدا لا يستحق المشاركة لله بوجه من الوجوه أولى، ومع هذا فآدم عليه السلام خلقه الله من تراب لا من أب ولا أم، فإذا كان ذلك لا يوجب فضلا أن يكون حجة، لأن خلقه كذلك من آيات الله الدالة على تفرد الله بالخلق والتدبير وأن جميع الأسباب طوع مشيئته وتبع لإرادته، فهو على نقيض قولهم عليه السلام ما ليس له بحق، بغير برهان ولا شبهة، بل بزعمهم أنه ليس له والد استحق بذلك أن يكون ابن الله أو شريكا لله في الربوبية، وهذا ليس بشبهة يخبر تعالى محتجا على النصارى الزاعمين بعيسى

شيء الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل 61 إلا الله فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة وإن الله له العزيز الذي قهر كل شيء وخضع له كل أشد العقوبة. وأخبر تعالى إن هذا الذي قصه الله على عباده هو القصص الحق وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل وما من إله وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم بطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلماذا قال تعالى فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين فيعاقبهم على ذلك والنساء، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهلهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولا مالا نبه أن ينتقل إلى مهابلته وملاعتته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجدا له فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله لمن جادل ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها جادلك وحاجك في عيسى عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته من بعد ما جاءك من العلم بأنه عبد الله ورسوله وبينت أي: فمن

شيء الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل 62 إلا الله فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة وإن الله له العزيز الذي قهر كل شيء وخضع له كل أشد العقوبة. وأخبر تعالى إن هذا الذي قصه الله على عباده هو القصص الحق وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل وما من إله وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم بطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلماذا قال تعالى فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين فيعاقبهم على ذلك والنساء، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهلهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولا مالا نبه أن ينتقل إلى مهابلته وملاعتته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجدا له فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله لمن جادل ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها جادلك وحاجك في عيسى عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته من بعد ما جاءك من العلم بأنه عبد الله ورسوله وبينت أي: فمن

شيء الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها، وله الحكمة التامة في ابتلاء المؤمنين بالكافرين، يقاتلونهم ويجادلونهم ويجاهدونهم بالقول والفعل 63 إلا الله فهو المألوه المعبود حقا الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا يستحق غيره مثقال ذرة من العبادة وإن الله له العزيز الذي قهر كل شيء وخضع له كل أشد العقوبة. وأخبر تعالى إن هذا الذي قصه الله على عباده هو القصص الحق وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل وما من إله وعوجلوا بالعقوبة، فرضوا بدينهم مع جزمهم بطلانه، وهذا غاية الفساد والعناد، فلماذا قال تعالى فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين فيعاقبهم على ذلك والنساء، فدعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فتولوا وأعرضوا ونكلوا، وعلموا أنهم إن لاعنوه رجعوا إلى أهلهم وأولادهم فلم يجدوا أهلا ولا مالا نبه أن ينتقل إلى مهابلته وملاعتته، فيدعون الله ويبتهلون إليه أن يجعل لعنته وعقوبته على الكاذب من الفريقين، هو وأحب الناس إليه من الأولاد والأبناء ولا يستفيدها هو، لأن الحق قد تبين، فجدا له فيه جدال معاند مشاق لله ورسوله، قصده اتباع هواه، لا اتباع ما أنزل الله، فهذا ليس فيه حيلة، فأمر الله لمن جادل ما عندك من الأدلة الدالة على أنه عبد أنعم الله عليه، دل على عناد من لم يتبعك في هذا العلم اليقيني، فلم يبق في مجادلته فائدة تستفيدها جادلك وحاجك في عيسى عليه السلام وزعم أنه فوق منزلة العبودية، بل رفعه فوق منزلته من بعد ما جاءك من العلم بأنه عبد الله ورسوله وبينت أي: فمن

سجدا الآية وأيضا فإن في ورود الشبهات على العقيدة الإيمانية مما يوجب للمؤمن أن يجدد إيمانه ويعلن بإسلامه، إخبارا بيقينه وشكرا لنعمة ربه. 64 الله بعدم إسلام غيركم لعدم زكائهم ولخبث طويتهن، كما قال تعالى قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان العلم على الحقيقة، كان ذلك زيادة على إقامة الحجة عليهم كما استشهد تعالى بأهل العلم حجة على المعاندين، وأيضا فإنكم إذا أسلمتم أنتم وآمنتم فلا يعبا

## تفسير السعدي

لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وإن تولوا فهم معاندون متبعون أهواءهم فاشهدوهم أنكم مسلمون، ولعل الفائدة في ذلك أنكم إذا قلتم لهم ذلك وأنتم أهل فلا تطيع المخلوقين في معصية الخالق، لأن ذلك جعل للمخلوقين في منزلة الربوبية، فإذا دعي أهل الكتاب أو غيرهم إلى ذلك، فإن أجابوا كانوا مثلكم، ولا نشرك به نبيا ولا ملكا ولا وليا ولا صنما ولا وثنا ولا حيوانا ولا جمادا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله بل تكون الطاعة كلها لله ولرسله، وهذا من العدل في المقال والإنصاف في الجدل، ثم فسرنا بقوله ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا فنفرده الله بالعبادة ونخصه بالحب والخوف والرجاء نجتمع عليها وهي الكلمة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، ولم يخالفها إلا المعاندون والضالون، ليست مختصة بأحدنا دون الآخر، بل مشتركة بيننا وبينكم، أي: قل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أي: هلموا

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 65 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 66 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 67 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

أمر لا يمكن منه ولا يسمح له فيه، وفيها أيضا حث على علم التاريخ، وأنه طريق لرد كثير من الأقوال الباطلة والدعاوى التي تخالف ما علم من التاريخ 68 منهم، ولا ينفعهم مجرد الانتساب الخالي من الصواب. وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأن من تكلم بذلك فهو متكلم في اتبعوه وهم أولى به من غيرهم، والله تعالى وليهم وناصرهم ومؤيدهم، وأما من نبذ ملته وراء ظهره كاليهود والنصارى والمشركين، فليسوا من إبراهيم وليس والنصارى والمشركين، وجعله حنيفا مسلما، وجعل أولى الناس به من آمن به من أمته، وهذا النبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه، فهم الذين وهو قبلهم متقدم عليهم، فهل هذا يعقل؟! فهذا قال أفلا تعقلون أي: فلو عقلتم ما تقولون لم تقولوا ذلك، الوجه الثالث: أن الله تعالى برأ خليله من اليهود أن اليهود ينتسبون إلى أحكام التوراة، والنصارى ينتسبون إلى أحكام الإنجيل، والتوراة والإنجيل ما أنزلا إلا من بعد إبراهيم، فكيف ينسبون إبراهيم إليهم ويجادلوا في أمرهم أجانب عنه وهم جادلوا في أحكام التوراة والإنجيل سواء أخطأوا أم أصابوا فليس معهم المحاجة في شأن إبراهيم، الوجه الثاني: ذلك، رد تعالى محاجتهم ومجادلتهم من ثلاثة أوجه، أحدها: أن جدالهم في إبراهيم جدال في أمر ليس لهم به علم، فلا يمكن لهم ولا يسمح لهم أن يحتجوا

## تفسير السعدي

تفسير الآيات من 65 إلى 68 :- لما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهوديا، والنصارى أنه نصراني، وجادلوا على

وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وما يشعرون بذلك أنهم يسعون في ضرر أنفسهم وأنهم لا يضرؤنكم شيئا. 69 السيى إلا بأهله فلها قال تعالى وما يضلون إلا أنفسهم فسعيهم في إضلال المؤمنين زيادة في ضلال أنفسهم وزيادة عذاب لهم، قال تعالى الذين كفروا على تحصيل مراده، فهذه الطائفة تسعى وتبذل جهدها في رد المؤمنين وإدخال الشبه عليهم بكل طريق يقدرؤن عليه، ولكن من لطف الله أنه لا يحيق المكر أهل الكتاب، وأنهم يودون أن يضلوكم، كما قال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا ومن المعلوم أن من ود شيئا سعى بجهد

يحذر تعالى عباده المؤمنين عن مكر هذه الطائفة الخبيثة من

فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه، وأما من عداهم فهم القشور الذي لا حاصل له ولا نتيجة تحته، لا ينفعهم الزجر والتذكير لخلوهم من العقول النافعة. 7 بمواظ الله ويقلل نصحه وتعليمه إلا أولوا الأبواب أي: أهل العقول الرزينة لب العالم وخلاصة بني آدم يصل التذكير إلى عقولهم، فيتذكرون ما ينفعهم يقينا أنه مردود إلى المحكم، وإن لم يفهموا وجه ذلك. ولما رغب تعالى في التسليم والإيمان بأحكامه وزجر عن اتباع المتشابه قال وما يذكر أي: يتعظ متقف يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يعلمون أيضا، فيؤمنون بها ويردونهم للمحكم ويقولون كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو الراسخون على الله فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه وردة إلى المحكم وإزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو تعالى والراسخون في العلم إلا الله، وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بها ويكلون المعنى إلى الله فيسلمون ويسلمون، وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح، كان الصواب عطف بكيفيتها، فيجب علينا الوقوف على ما حد لنا، فأهل الزيغ يتبعون هذه الأمور المشتبهات تعرضا لما لا يعني، وتكلفا لما لا سبيل لهم إلى علمه، لأنه لا يعلمها سأل عن كيفيتها أن يقال كما قال الإمام مالك، تلك الصفة معلومة، وكيفيتها مجهولة، والإيمان بها واجب، والسؤال عنها بدعة، وقد أخبرنا الله بها ولم يخبرنا فقال السائل: كيف استوى؟ فقال مالك: الاستواء معلوم، وكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فهكذا يقال في سائر الصفات لمن لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرض للوقوف عليها، لأنه تعرض لما لا يمكن معرفته، كما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قوله الرحمن على العرش استوى إلا الله لأن المتشابه الذي استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفيتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه يقفون عندها، وبعضهم يعطف عليها والراسخون في العلم وذلك كله محتمل، فإن التأويل إن أريد به علم حقيقة الشيء وكنهه كان الصواب الوقوف على قصده اتباعه، وقوله وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله للمفسرين في الوقوف على الله من قوله وما يعلم تأويله إلا الله قولان، جمهورهم ابتغاء الفتنة لمن يدعونهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلا للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن عن طريق الهدى والرشاد فيتبعون ما تشابه منه أي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين فأما الذين في قلوبهم زيغ أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضا ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، لكون دلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بيّنة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل هن أم الكتاب أي: أصله الذي يرجع إليه كل متشابه، وهي معظمه وأكثره، و منه آيات أخر متشابهات أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان: لفظا ومعنى، وأما الأحكام والتشابه المذكور في هذه الآية فإن القرآن كما ذكره الله منه آيات محكمات أي: واضحات الدلالة، ليس فيها شبهة ولا إشكال على غاية الإتقان والإحكام والعدل والإحسان ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وكله متشابه في الحسن والبلاغة وتصديق بعضه لبعضه ومطابقته القرآن العظيم كله محكم كما قال تعالى كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير فهو مشتمل

به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق الذي لا تشكون فيه، بل تشهدون به ويسر به بعضكم إلى بعض في بعض الأوقات، فهذا نهيه عن ضلالهم. 70

يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون أي: ما الذي دعاكم إلى الكفر بآيات الله مع علمكم بأن ما أنتم عليه باطل، وأن ما جاءكم

ويرجع الضالون وتقوم الحجة على المعاندين قال تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم 71 للناس الحق ويعلموا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ليهتدي المهتدون إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفة حتى يؤثره، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا الحق، لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهما وكتموا الحق الذي يجب عليهم ثم وبخهم على إضلالهم الخلق، فقال يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان

أرادوه عجا بأنفسهم وظنا أن الناس سيحسنون ظنهم بهم ويتابعونهم على ما يقولونه ويفعلونه، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون. 72

المكر والكيد أول النهار، فإذا كان آخر النهار فاخرجوا منه لعلمهم يرجعون عن دينهم، فيقولون لو كان صحيحا لما خرج منه أهل العلم والكتاب، هذا الذي وإرادة المكر بالمؤمنين، فقال وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره أي: ادخلوا في دينهم على وجه ثم أخبر تعالى عن ما همت به هذه الطائفة الخبيثة،

## تفسير السعدي

- يؤتيه من يشاء ممن أتى بأسبابه والله واسع الفضل كثير الإحسان عليم بمن يصلح للإحسان فيعطيه، ومن لا يستحقه فيحرمه إياه. 73
- يهدون بأمر الله، وهذا من فضل الله عليها وإحسانه العظيم، فلماذا قال تعالى قل إن الفضل بيد الله أي: الله هو الذي يحسن على عباده بأنواع الإحسان وأما هذه الأمة فقد حصل لهم ولله الحمد من هداية الله من العلوم والمعارف مع العمل بذلك ما فاقوا به وبرزوا على كل أحد، فكانوا هم الهداة الذين ما جاءت به رسل الله، ولا موفق إلا من وفقه الله، وأهل الكتاب لم يؤتوا من العلم إلا قليلا، وأما التوفيق فقد انقطع حظهم منه لخبث نياتهم وسوء مقاصدهم، وموجبا للحجة عليهم، فرد الله عليهم بأن الهدى هدى الله فمادة الهدى من الله تعالى لكل من اهتدى، فإن الهدى إما علم الحق، أو إثارة، ولا علم إلا الحجة وتبين لكم الهدى فلم تتبعوه، فالحاصل أنهم جعلوا عدم إخبار المؤمنين بما معهم من العلم قاطعا عنهم العلم، لأن العلم بزعمهم لا يكون إلا عندهم فإنكم إذا أخبرتم غيركم وغير من هو على دينكم حصل لهم من العلم ما حصل لكم فصاروا مثلكم، أو حاجوكم عند ربكم وشهدوا عليكم أنها قامت عليكم و قال بعضهم لبعض لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي: لا تثقوا ولا تطمئنوا ولا تصدقوا إلا من تبع دينكم، واكتموا أمركم،
- نو الفضل العظيم الذي لا يصفه الواصفون ولا يخطر بقلب بشر، بل وصل فضله وإحسانه إلى ما وصل إليه علمه، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما. 74
- يختص برحمته من يشاء أي: برحمته المطلقة التي تكون في الدنيا متصلة بالآخرة وهي نعمة الدين ومتمماته والله
- نفسه، وذلك هو الكذب، فلماذا قال ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وهذا أعظم إثما من القول على الله بلا علم، ثم رد عليهم زعمهم الفاسد. 75
- بين أكل الحرام واعتقاد حله وكان هذا كذبا على الله، لأن العالم الذي يحلل الأشياء المحرمة قد كان عند الناس معلوم أنه يخبر عن حكم الله ليس يخبر عن الفاسد ورأيهم الكاسد قد احتقروهم غاية الاحتقار، ورأوا أنفسهم في غاية العظمة، وهم الأذلاء الأحقر، فلم يجعلوا للأميين حرمة، وأجازوا ذلك، فجمعوا أوجب لهم الخيانة وعدم الوفاء إليكم بأنهم زعموا أنه ليس عليهم في الأميين سبيل أي: ليس عليهم إثم في عدم أداء أموالهم إليهم، لأنهم بزعمهم الكثير يؤده وهو على أداء ما دونه من باب أولى، ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك وهو على عدم أداء ما فوقيه من باب أولى وأحرى، والذي الوفاء والخيانة في الأموال، لما ذكر خيانتهم في الدين ومكرهم وكنتمهم الحق، فأخبر أن منهم الخائن والأميين، وأن منهم من إن تأمنه بقنطار وهو المال يخبر تعالى عن حال أهل الكتاب في
- من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ولهم عذاب أليم أي: موجع للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله العافية. 76
- أي: لا نصيب لهم من الخير ولا يكلمهم الله يوم القيامة غضبا عليهم وسخطا، لتقديهمهم هو أنفسهم على رضا ربهم ولا يزكيهم أي: يطهرهم في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية، فهؤلاء لا خلاق لهم في الآخرة يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون في قوله: إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا وبتقوى الله وعدم التجري على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم، بخلاف الذين فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهد ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأميين قد عرفوا بوفاء اليهود إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع فقال بلى أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم. من أوفى بعهد واتقى والعهد من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ولهم عذاب أليم أي: موجع للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله العافية. 77
- أي: لا نصيب لهم من الخير ولا يكلمهم الله يوم القيامة غضبا عليهم وسخطا، لتقديهمهم هو أنفسهم على رضا ربهم ولا يزكيهم أي: يطهرهم في مقابلة ما تركه من حق الله أو حق عباده، وكذلك من حلف على يمين يقطع بها مال معصوم فهو داخل في هذه الآية، فهؤلاء لا خلاق لهم في الآخرة يقولون ليس علينا في الأميين سبيل، فإنهم داخلون في قوله: إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا ويدخل في ذلك كل من أخذ شيئا من الدنيا وبتقوى الله وعدم التجري على الأموال المحترمة، كانوا هم المحبوبين لله، المتقين الذين أعدت لهم الجنة، وكانوا أفضل خلق الله وأجلهم، بخلاف الذين فمن قال ليس علينا في الأميين سبيل، فلم يوف بعهد ولم يتق الله، فلم يكن ممن يحبه الله، بل ممن يبغضه الله، وإذا كان الأميين قد عرفوا بوفاء اليهود إلى اتقاء المعاصي التي بين العبد وبين ربه، وبينه وبين الخلق، فمن كان كذلك فإنه من المتقين الذين يحبهم الله تعالى، سواء كانوا من الأميين أو غيرهم، يشمل العهد الذي بين العبد وبين ربه، وهو جميع ما أوجبه الله على العبد من حقه، ويشمل العهد الذي بينه وبين العباد، والتقوى تكون في هذا الموضع، ترجع فقال بلى أي: ليس الأمر كما تزعمون أنه ليس عليكم في الأميين حرج، بل عليكم في ذلك أعظم الحرج وأشد الإثم. من أوفى بعهد واتقى والعهد من ذنوبهم، ولا يزيل عيوبهم ولهم عذاب أليم أي: موجع للقلوب والأبدان، وهو عذاب السخط والحجاب، وعذاب جهنم، نسأل الله العافية. 78
- في قولهم: ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون وهذا أعظم جرما ممن يقول على الله بلا علم، هؤلاء تعريضا وإما تصريحاً، فالتعريض في قوله لتحسبوه من الكتاب أي: يلوون أسنتهم ويوهمونكم أنه هو المراد من كتاب الله، وليس هو المراد، والتصريح ومعانيه، وذلك أن المقصود من الكتاب حفظ ألفاظه وعدم تغييرها، وفهم المراد منها وإفهامه، وهؤلاء عكسوا القضية وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما يخبر تعالى أن من أهل الكتاب فريقا يلوون أسنتهم بالكتاب، أي: يميلونه ويحرفونه عن المقصود به، وهذا يشمل اللي والتحريف لألفاظه



## تفسير السعدي

إلخ، بآء السببية، أي: بسبب تعليمكم لغيركم المتضمن لعلمكم ودرسكم لكتاب الله وسنة نبيه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، تكونون ربانيين. 79 كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله بما كنتم تعلمون ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل أكمل الخلق على الإطلاق، فأوامرهم تكون مناسبة لأحوالهم، فلا يأمرهم إلا بمعالي الأمور وهم أعظم الناس نهيا عن الأمور القبيحة، فهذا قال ولكن كونوا كونوا عبادا لي من دون الله فهذا من أمحل المحال صدوره من أحد من الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام، لأن هذا أفصح الأوامر على الإطلاق، والأنبياء أن نعبده مع الله، فقلوه ما كان لبشر أي: يمتنع ويستحيل على بشر من الله عليه بإنزال الكتاب وتعليمه ما لم يكن يعلم وإرساله للخلق أن يقول للناس وهذه الآية نزلت ردا لمن قال من أهل الكتاب للنبي صلى الله عليه وسلم لما أمرهم بالإيمان به ودعاهم إلى طاعته: أتريد يا محمد

أي: عزيمة توفقنا بها للخيرات وتعصمنا بها من المنكرات إنك أنت الوهاب أي: واسع العطايا والهبات، كثير الإحسان الذي عم جودك جميع البريات. 8 أي: لا تملها عن الحق جهلا وعنادا منا، بل اجعلنا مستقيمين هادين مهتدين، فثبتنا على هدايتك وعافنا مما ابتليت به الزانغين وهب لنا من لدنك رحمة ثم أخبر تعالى عن الراسخين في العلم أنهم يدعون ويقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

هذا ما لا يكون ولا يتصور أن يصدر من أحد من الله عليه بالنبوة، فمن قدح في أحد منهم بشيء من ذلك فقد ارتكب إثما عظيما وكفرا وخيما. 80 أربابا وهذا تميم بعد تخصيص، أي: لا يأمركم بعبادة نفسه ولا بعبادة أحد من الخلق من الملائكة والنبیین وغيرهم أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبیین

فاشهدوا على أنفسكم وعلى أممكم بذلك، قال وأنا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك العهد والميثاق المؤكد بالشهادة من الله ومن رسله 81 وجلالة قدره، وأنه أفضل الأنبياء وسيدهم صلى الله عليه وسلم لما قرره تعالى قالوا أقرنا أي: قبلنا ما أمرتنا به على الرأس والعين قال الله لهم: والسلام لو أدركوه لوجب عليهم الإيمان به واتباعه ونصرته، وكان هو إمامهم ومقدمهم ومتبوعهم، فهذه الآية الكريمة من أعظم الدلائل على علو مرتبته وكل ما من عند الله يجب التصديق به والإيمان، فهم كالشيء الواحد، فعلى هذا قد علم أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتمهم، فكل الأنبياء عليهم الصلاة ذلك على أممهم، فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد أوجب الله عليهم أن يؤمن بعضهم ببعض، ويصدق بعضهم بعضا لأن جميع ما عندهم هو من عند الله، أعطاهم من كتاب الله المنزل، والحكمة الفاصلة بين الحق والباطل والهدى والضلال، إنه إن بعث الله رسولا مصدقا لما معهم أن يؤمنوا به ويصدقوه ويأخذوا يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق النبيين وعهدهم المؤكد بسبب ما

كاليهود والنصارى ومن تبعهم، فقد تولوا عن هذا الميثاق الغليظ، واستحقوا الفسق الموجب للخلود في النار إن لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم. 82 فأولئك هم الفاسقون فعلى هذا كل من ادعى أنه من أتباع الأنبياء

مستسلمون لقضائه وقدره لا خروج لهم عنه، ولا امتناع لهم منه، وإليه مرجع الخلق كلها، فيحكم بينهم ويجازيهم بحكمه الدائر بين الفضل والعدل. 83 أي: الخلق كلهم منقادون بتسخيره مستسلمون له طوعا واختيارا، وهم المؤمنون المسلمون المنقادون لعبادة ربهم، وكرها وهم سائر الخلق، حتى الكافرون أيطلب الطالبون ويرغب الراغبون في غير دين الله؟ لا يحسن هذا ولا يليق، لأنه لا أحسن دينا من دين الله وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها أي:

تقدم نظير هذه الآية في سورة البقرة 84

للاستسلام لله، إخلاصا وانقيادا لرسله فما لم يأت به العبد لم يأت بسبب النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، وكل دين سواه فباطل، ثم قال تعالى: 85 أي: من يدين لله بغير دين الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده، فعمله مردود غير مقبول، لأن دين الإسلام هو المتضمن لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية ويصونه من أسباب الغواية. 86 لا يهدي القوم الظالمين هؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا لأهوائهم، هؤلاء لا يوفقون للهداية، من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات البينات والبراهين القاطعات والله هذا من باب الاستبعاد، أي:

أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. 87 أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينعثون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ولا هم ينظرون ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس

أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. 88 أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ولا هم ينظرون ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس

## تفسير السعدي

- أي: يمهلون، لأن زمن الإمهال قد مضى، وقد أعذر الله منهم وعمرهم ما يتذكر فيه من تذكر، فلو كان فيهم خير لوجد، ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. 89
- أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون أي: لا يفتر عنهم العذاب ساعة ولا لحظة، لا بإزالته أو إزالة بعض شدته، ولا هم ينظرون ويصونه من أسباب الغواية. ثم أخبر عن عقوبة هؤلاء المعاندين الظالمين الدنيوية والأخروية، فقال أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، هؤلاء لا يوفقون للهداية، لأن الذي يرجى أن يهتدي هو الذي لم يعرف الحق وهو حريص على التماسه، فهذا بالحري أن ييسر الله له أسباب الهداية البينات والبراهين القاطعات والله لا يهدي القوم الظالمين هؤلاء ظلموا وتركوا الحق بعدما عرفوه، واتبعوا الباطل مع علمهم ببطلانه ظلما وبغيا واتباعا هذا من باب الاستبعاد، أي: من الأمر البعيد أن يهدي الله قوما اختاروا الكفر والضلال بعدما آمنوا وشهدوا أن الرسول حق بما جاءهم به من الآيات واندفاع كل شر، وتوسلوا إليه باسمه الوهاب، السابعة: أنه أخبر عن إيمانهم وإيقانهم بيوم القيامة وخوفهم منه، وهذا هو الموجب للعمل الرادع عن الزلل 9
- الخامسة: اعترافهم بمنة الله عليهم بالهداية وذلك قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا السادسة: أنهم مع هذا سألوهم رحمته المتضمنة حصول كل خير بجميع كتابه ورد لمتشابهه إلى محكمه، بقوله يقولون آمنا به كل من عند ربنا الرابعة: أنهم سألو الله العفو والعافية مما ابتلي به الزائغون المنحرفون، يقتضي أن يكون عالما محققا، وعارفا مدققا، قد علمه الله ظاهر العلم وباطنه، فرسخ قدمه في أسرار الشريعة علما وحالا وعملا، الثالثة: أنه وصفهم بالإيمان أحداها: العلم الذي هو الطريق الموصل إلى الله، المبين لأحكامه وشرائعه، الثانية: الرسوخ في العلم وهذا قدر زائد على مجرد العلم، فإن الراسخ في العلم ليوم لا ريب فيه إنك لا تخلف الميعاد فمجازيهم بأعمالهم حسننها وسيئها، وقد أثنى الله تعالى على الراسخين في العلم بسبع صفات هي عنوان سعادة العبد: ربنا إنك جامع الناس
- سد على نفسه باب التوبة، ولهذا حصر الضلال في هذا الصنف، فقال وأولئك هم الضالون وأي: ضلال أعظم من ضلال من ترك الطريق عن بصيرة، 90
- الكفر العظيم وترك الصراط المستقيم، وقد قامت عليه الحجة ووضح الله له الآيات والبراهين، فهذا هو الذي سعى في قطع أسباب رحمة ربه عنه، وهو الذي قال تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة فلما زغوا أزاغ الله قلوبهم فالسينات ينتج بعضها بعضا، وخصوصا لمن أقدم على كفرا إلى كفره بتماديه في الغي والضلال، واستمراره على ترك الرشd والهدى، أنه لا تقبل توبتهم، أي: لا يوفقون لتوبة تقبل بل يمدهم الله في طغيانهم يعمهون، يخبر تعالى أن من كفر بعد إيمانه، ثم ازداد
- لهم ولا ناصر ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله فأيسوا من كل خير، وجزموا على الخلود الدائم في العقاب والسخط، فعيذا بالله من حالهم. 91
- هلاكهم وشقاؤهم الأبدى، ولم ينفعهم شيء، فلو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهباً ليفتدي به من عذاب الله ما نفعه ذلك، بل لا يزالون في العذاب الأليم، لا شافع وهؤلاء الكفرة إذا استمروا على كفرهم إلى الممات تعين
- غير نافع، احترز تعالى عن هذا الوهم بقوله وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم فلا يضيق عليكم، بل يثيبكم عليه على حسب نياتكم ونفعه. 92
- كان مثابا عليه العبد، سواء كان قليلا أو كثيرا، محبوبا للنفس أم لا، وكان قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون مما يوهبهم أن إنفاق غير هذا المقيد والإنفاق في حال الصحة، ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحوبات يكون بره، وأنه ينقص من بره بحسب ما نقص من ذلك، ولما كان الإنفاق على أي: وجه في مرضاته، دل ذلك على إيمانكم الصادق وبر قلوبكم ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاق نفائس الأموال، والإنفاق في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، لصاحبه إلى الجنة، حتى تنفقوا مما تحبون أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها
- حث من الله لعباده على الإنفاق في طرق الخيرات، فقال لن تنالوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل هذا
- من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وأمر الله رسوله إن أنكروا ذلك أن يأمرهم بإحضار التوراة، فاستمروا بعد هذا على الظلم والعناد 93
- بنوه على ذلك وكان ذلك قبل نزول التوراة، ثم نزل في التوراة أشياء من المحرمات غير ما حرم إسرائيل مما كان حلالا لهم طيبا، كما قال تعالى فبظلم من الله تعالى، بل حرمه على نفسه لما أصابه عرق النسا نذر لئن شفاه الله تعالى ليحرم من أحب الأطعمة عليه، فحرم فيما يذكرون لحوم الإبل وألبانها وتبعه بما في كتابهم التوراة من أن جميع أنواع الأطعمة محللة لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه أي: من غير تحریم جائز، فكفروا بعباسي ومحمد صلى الله عليهما وسلم، لأنهما قد أتيا بما يخالف بعض أحكام التوراة بالتحليل والتحریم فمن تمام الإنصاف في المجادلة إلزامهم وهذا رد على اليهود بزعمهم الباطل أن النسخ غير
- صلى الله عليه وسلم وقيام الآيات البينات المتنوعات على صدقه وصدق من نبأه وأخبره بما أخبره به من الأمور التي لا يعلمها إلا بإخبار ربه له بها 94
- هم الظالمون وأي: ظلم أعظم من ظلم من يدعى إلى تحكيم كتابه فيمتنع من ذلك عنادا وتكبيرا وتجبرا، وهذا من أعظم الأدلة على صحة نبوة نبينا محمد فمن افتري على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك
- على ملة إبراهيم مشركون غير موحدین، ولما أمرهم باتباع ملة إبراهيم في التوحيد وترك الشرك أمرهم باتباعه بتعظيم بيته الحرام بالحج وغيره 95
- باتباع ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام بالتوحيد وترك الشرك الذي هو مدار السعادة، وبتركه حصول الشقاوة، وفي هذا دليل على أن اليهود وغيرهم ممن ليس أدلة يقينية، هذه الشهادة على من أنكرها، ومن هنا تعلم أن أعظم الناس تصديقا لله أعظمهم علما ويقينا بالأدلة التفصيلية السمعية والعقلية، ثم أمرهم

## تفسير السعدي

قل صدق الله أي: فيما أخبر به وحكم، وهذا أمر من الله لرسوله ولمن يتبعه أن يقولوا بألسنتهم: صدق الله، معتقدين بذلك في قلوبهم عن التعبدات المختصة به، وأما هدى العلم فبما يحصل لهم بسببه من العلم بالحق بسبب الآيات البينات التي ذكر الله تعالى في قوله فيه آيات بينات 96 ما رزقهم من بهيمة الأنعام وهدى للعالمين والهدى نوعان: هدى في المعرفة، وهدى في العمل، فالهدى في العمل ظاهر، وهو ما جعل الله فيه من أنواع والنجاة من عقابه، ولهذا قال: مباركا أي: فيه البركة الكثيرة في المنافع الدينية والدنيوية كما قال تعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على أول بيت وضعه الله للناس، يتعبدون فيه لربهم فتغفر أوزارهم، وتقال عثارهم، ويحصل لهم به من الطاعات والقربات ما ينالون به رضى ربهم والفوز بثوابه يخبر تعالى عن شرف هذا البيت الحرام، وأنه

وهذا محب قاده الشوق والهوى بغير زمام قائد وعنان أتك على بعد المزار ولو ونت مطيته جاءت به القدمان انتهى كلامه رحمه الله تعالى. 97 المحب إذا نأى سبيلى هواه بعد طول زمان ولو كان هذا الزعم حقا لكان ذا دواء الهوى في الناس كل زمان بلى إنه يبلى والهوى على حاله لم يبله الملوان لي بالبعد يدان وما كان صدى عنك صد ملالة ولي شاهد من مقلتي ولسان دعوت اصطباري عنك بعدك والبكا فلبى البكا والصبر عنك عصاني وقد زعموا أن فوالله ما ازداد إلا صباة ولا القلب إلا كثرة الخفقان فيا جنة المأوى ويا غاية المنى ويا منيتي من دون كل أمان أبت غلبات الشوق إلا تقربا إليك فما يشفيهم ولا البعاد يسليهم، كما قيل: أطوف به والنفس بعد مشوقة إليه وهل بعد الطواف تداني وألثم منه الركن أطلب برد ما بقلبي من شوق ومن هيمان نفوسهم حباله وشوقا إلى رؤيته، فهذه المثابة للمحبين يثوبون إليه ولا يقضون منه وطرا أبدا، كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له حبا وإليه اشتياقا، فلا الوصال لم يكن له شرف إلا إضافته إياه إلى نفسه بقوله وطهر بيتي لكفى بهذه الإضافة فضلا وشرفا، وهذه الإضافة هي التي أقيمت بقلوب العالمين إليه، وسلبت ذلك بصريح الوجوب المؤكد بتلك التأكيدات، وهذا يدل على الاعتناء منه سبحانه لهذا البيت العظيم، والتنويه بذكره، والتعظيم لشأنه، والرفعة من قدره، ولو الأمن الحاصل لدخله، وفي وصفه بهذه الصفات دون إيجاب قصده ما يبعث النفوس على حجه وإن شطت بالزائرين الديار وتناوت بهم الأقطار، ثم أتبع أنفع للخلانق، الثالث: أنه هدى، ووصفه بالمصدر نفسه مبالغة، حتى كأنه نفس الهدى، الرابع ما تضمن من الآيات البينات التي تزيد على أربعين آية، الخامس: أحدها كونه أسبق بيوت العالم وضع في الأرض، الثاني: أنه مبارك، والبركة كثرة الخير ودوامه، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيرا ولا أدوم ولا هذا الإيجاب بذكر محاسن البيت وعظم شأنه بما تدعوا النفوس إلى قصده وحجه وإن لم يطلب ذلك منها، فقال: إن أول بيت إلخ، فوصفه بخمس صفات: ما في الآية من الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، وكيف تضمن ذلك إيراد الكلام في صورتين وخلتين، اعتناء به وتأكيد لشأنه، ثم تأمل كيف افتتح الناس، ومرة بإسناده إلى خصوص المستطيعين، وهذا من فوائد البذل تقوية المعنى وتأكيد به بتكرار الإسناد ولهذا كان في نية تكرار العامل وإعادته، ثم تأمل الدالة على التأكيد، فهذه عشرة أوجه تقتضي تأكد هذا الفرض العظيم. وتأمل سر البذل في الآية المقتضي لذكر الإسناد مرتين، مرة بإسناده إلى عموم غنيا عن العالمين كلهم فله الغنى الكامل التام من كل وجه بكل اعتبار، فكان أدل لعظم مقتته لتارك حقه الذي أوجبه عليه، ثم أكد هذا المعنى بأداة إن بمقتته له وسخطه عليه وإعراضه بوجهه عنه ما هو أعظم التهديد وأبلغه، ثم أكد ذلك بذكر اسم العالمين عموما، ولم يقل: فإن الله غني عنه، لأنه إذا كان ثم عظم الشأن وأكد الوعيد بإخباره ما يستغنى به عنه، والله تعالى هو الغني الحميد، ولا حاجة به إلى حج أحد، وإنما في ذكر استغنائه عنه هنا من الإعلام تيسرت، من قوت أو مال، فعلق الوجوب بحصول ما يسمى سبيلا، ثم أتبع ذلك بأعظم التهديد بالكفر فقال ومن كفر أي: لعدم التزامه هذا الواجب وتركه ذكر من أوجبه عليهم بصيغة العموم الداخلة عليها حرف على أبدل منه أهل الاستطاعة، ثم نكر السبيل في سياق الشرط إيذانا بأنه يجب الحج على أي: سبيل ربكم عليكم وفي الحج أتى بهذا اللفظ الدال على تأكد الوجوب من عشرة أوجه، أحدها أنه قدم اسمه تعالى وأدخل عليه لام الاستحقاق والاختصاص ثم يذكره بلفظ الأمر والنهي، وهو الأكثر، ولفظ الإيجاب والكتابة والتحريم نحو كتب عليكم الصيام حرمت عليكم الميتة قل تعالوا أتل ما حرم فتأمل، ولا يكاد يخطر بالبال من الآية، وهذا كما تقول: لله عليك الصلاة والزكاة والصيام. ومن فوائد الآية وأسرارها أنه سبحانه إذا ذكر ما يوجبه ويحرمه وهو الوجوب المفهوم من قوله على الناس أي: يجب لله على الناس الحج، فهو حق واجب لله، وأما تعليقه بالسبيل وجعله حالا منها، ففي غاية البعد كلامهم ما هم به أهم وببيانه أعني هذا تقرير السهيلي، وهذا بعيد جدا بل الصواب في متعلق الجار والمجرور وجه آخر أحسن من هذين، ولا يليق بالآية سواه، واقتضى حسن النظم وإعجاز اللفظ تقديم المجرور وإن كان موضعه التأخير، لأنه ضمير يعود على البيت، والبيت هو المقصود به الاعتناء، وهم يقدمون في لما كان عبارة هاهنا عن الموصل إلى البيت من قوت وزاد ونحوهما، كان فيه رائحة الفعل، ولم يقصد به السبيل الذي هو الطريق، فصلح تعلق المجرور به، نكرة قدم عليها، لأنه لو تأخر لكان في موضع النعت لسبيل، والثاني: أن يكون متعلقا بسبيل، فإن قلت: كيف يتعلق به وليس فيه معنى الفعل؟ قيل: السبيل في هذه أيضا مع ما تقدم طول الكلام بالصلة والموصول. وأما المجرور من قوله لله فيحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون في موضع من سبيل، كأنه نعت أن يكون أخص من المبدل منه، فإذا كان أعم وأضفته إلى ضمير أو قيدته بضمير يعود إلى الأول ارتفع العموم وبقي الخصوص، ومما حسن حذف المضاف الإخوة، وكذلك لو قلت: البس الثياب ما حسن وجمل، يريد منها، ولم يذكر الضمير كان أبعد في الجواز، لأن لفظ ما حسن أعم من الثياب. وباب البعض من الكل الأول، ولو كانت الصلة أعم لقبح حذف الضمير العائد، ومثال ذلك إذا قلت: رأيت إخوتك من ذهب إلى السوق منهم، كان قبيحاً، لأن الذهاب إلى السوق أعم من الكلام لا يحسن، وحسنه هاهنا أمور منها: أن من واقعة على لا يعقل، كالاسم المبدل منه فارتبطت به، ومنها: أنها موصولة بما هو أخص من الاسم ثبت أن من بدل بعض من كل وجب أن يكون في الكلام ضمير يعود إلى الناس كأنه قيل: من استطاع منهم، وحذف هذا الضمير في أكثر فيه بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول والظرف حمل على المكتوب المرجوح، وهي قراءة ابن عامر قتل أولادهم شركائهم، فلا يصار إليه. وإذا

## تفسير السعدي

فلو كان من هو الفاعل لأضيف المصدر إليه فكان يقال: ولله على الناس حج من استطاع وحمله على باب يعجبني ضرب زيد عمرا وفيما يفصل هذه النكتة البديعة فتأملها. الوجه الثاني: أن إضافة المصدر إلى الفاعل إذا وجد أولى من إضافته إلى المفعول ولا يعدل عن هذا الأصل إلا بدليل منقول، أن يجاهد منهم المستطيع، كان الوجوب متعلقا بالجميع وعذر العاجز بعجزه، ففي نظم الآية على هذا الوجه دون أن يقال: ولله حج البيت على المستطيعين، أهل هذه الناحية أن يجاهد منهم الطائفة المستطيعون للجهد، فإذا جاهدت تلك الطائفة انقطع تعلق الوجوب في غيرهم، وإذا قلت واجب على الناس كلهم به ولا يطالبه بأدائه، فإذا حج سقط الفرض عن نفسه، وليس حج المستطيعين بمسقط الفرض عن العاجزين، وإذا أردت زيادة إيضاح، فإذا قلت: واجب على وليس الأمر كذلك، بل الحج فرض عين على كل أحد، حج المستطيعون أو قعدوا، ولكن الله سبحانه عذر غير المستطيع بعجزه عن أداء الواجب، فلا يؤاخذ به برئت ذمم غيرهم، لأن المعنى يؤل إلى: ولله على الناس حج البيت مستطيعهم، فإذا أدى المستطيعون الواجب لم يبق واجبا على غير المستطيعين، من استطاع إليه سبيلا، وهذا القول يضعف من وجوه، منها: أن الحج فرض عين، ولو كان معنى الآية ما ذكره لأفهم فرض الكفاية، لأنه إذا حج المستطيعون أوجب الله سبحانه بمثابة ما يوجب غيرهم. وأما قوله: من فهي بدل، وقد استهوى طائفة من الناس القول بأنها فاعل بالمصدر، كأنه قال: أن يحج البيت الثانية: أن الاسم المجرور من حيث كان اسما لله سبحانه، وجب الاهتمام بتقديمه تعظيما لحرمة هذا الواجب الذي أوجبه، وتخويفا من تضييعه، إذ ليس ما الفرض فبدأ بذكره، والثاني: مؤدي الواجب وهو المفترض عليه وهم الناس، والثالث: النسبة، والحق المتعلق به إيجابا وبهم وجوبا وأداء، وهو الحج. والفائدة بخبر فائدتان: إحداهما: أنه اسم للموجب للحج، فكان أحق بالتقديم من ذكر الوجوب، فتضمنت الآية ثلاثة أمور مرتبة بحسب الوقائع: أحدها: الموجب لهذا على الناس أكثر استعمالا في باب الوجوب من أن يقال: حج البيت لله أي: حج واجب لله، فتأمل. وعلى هذا ففي تقديم المجرور الأول وليس الفائدة وموضعها، وتقديمه في هذا الباب في نية التأخير، فكان الأحسن أن يكون لله على الناس. ويرجح الوجه الأول بأن يقال قوله: حج البيت لأنه وجوب، والوجوب يقتضي على ويجوز أن يكون في قوله: ولله لأنه متضمن الوجوب والاستحقاق، ويرجح هذا التقدير أن الخبر محط حج البيت من استطاع إليه سبيلا حج البيت مبتدأ وخبره في أحد المجرورين قبله، والذي يقتضيه المعنى أن يكون في قوله: على الناس يعاقبه عقوبة عاجلة، كما فعل بأصحاب الفيل وغيرهم، وقد رأيت لابن القيم هاهنا كلاما حسنا أحببت إيراده لشدة الحاجة إليه قال فائدة: ولله على الناس إن الواحد منهم مع شدة حميتهم ونعرتهم وعدم احتمالهم للضميم يجد أحدهم قاتل أبيه في الحرم فلا يهيج، ومن جعله حرما أن كل من أراده بسوء فلا بد أن يقام عليه الحد حتى يخرج منه، وأما تأمينها قدرا فلأن الله تعالى بقضائه وقدره وضع في النفوس حتى نفوس المشركين به الكافرين برهم احترامه، حتى حتى إن التحريم في ذلك شمل صيودها وأشجارها ونباتها، وقد استدل بهذه الآية من ذهب من العلماء أن من جنى جناية خارج الحرم ثم لجأ إليه أنه يأمن ولا ومن الآيات البيّنات فيها أن من دخله كان آمنا شرعا وقدرًا، فالشرع قد أمر الله رسوله إبراهيم ثم رسوله محمد باحترامه وتأمين من دخله، وأن لا يهاج، إليها وتحمل كل مشقة لأجلها، وما في ضمنها من الأسرار البديعة والمعاني الرفيعة، وما في أفعالها من الحكم والمصالح التي يعجز الخلق عن إحصاء بعضها، والوقوف بعرفة ومزدلفة، والرمي، وسائر الشعائر، والآية في ذلك ما جعله الله في القلوب من تعظيمها واحترامها وبذل نفائس النفوس والأموال في الوصول إبراهيم أنه مفرد مضاف يراد به مقاماته في مواضع المناسك كلها، فيكون على هذا جميع أجزاء الحج ومفرداته آيات بينات، كالطواف والسعي ومواضعها، إلى أوائل هذه الأمة، وهذا من خوارق العادات، وقيل إن الآية فيه ما أودعه الله في القلوب من تعظيمه وتكريمه وتشريفه واحترامه، ويحتمل أن المراد بمقام في جدار الكعبة، فلما كان عمر رضي الله عنه وضعه في مكانه الموجود فيه الآن، والآية فيه قيل أثر قدمي إبراهيم، قد أثرت في الصخرة وبقي ذلك الأثر فمن الآيات مقام إبراهيم يحتمل أن المراد به المقام المعروف وهو الحجر الذي كان يقوم عليه الخليل لبنان الكعبة لما ارتفع البنيان، وكان ملصقا أنواع من العلوم الإلهية والمطالب العالية، كالأدلة على توحيدته ورحمته وحكمته وعظمته وجلاله وكمال علمه وسعة جوده، وما من به على أوليائه وأتباعه، أي: أدلة واضحات، وبراهين قاطعات على

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 98 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصولات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيّنات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربه كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيمانهم، وأن ذلك وذلك لحسدهم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردهم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن طيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيئ، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدهم وبوبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعوله أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدهم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب

كل خير فقد هدي إلى صراط مستقيم موصل له إلى غاية المرغوب، لأنه جمع بين اتباع الرسول في أقواله وأفعاله وأحواله وبين الاعتصام بالله. 99 يبق في نفوس القائلين مقالا ولم يترك لجائل في طلب الخير مجالا، ثم أخبر أن من اعتصم به فتوكل عليه وامتنع بقوته ورحمته عن كل شر، واستعان به على وأنصحهم وأرأفهم بالمؤمنين، الحريص على هداية الخلق وإرشادهم بكل طريق يقدر عليه، فصلوات الله وسلامه عليه، فلقد نصح وبلغ البلاغ المبين، فلم البيئات التي توجب القطع بموجبها والجزم بمقتضاها وعدم الشك فيما دلت عليه بوجه من الوجوه، خصوصا والمبين لها أفضل الخلق وأعلمهم وأفصحهم من أبعد الأشياء، فقال: وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله أي: الرسول بين أظهركم يتلو عليكم آيات ربكم كل وقت، وهي الآيات من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ثم ذكر تعالى السبب الأعظم والموجب الأكبر لثبات المؤمنين على إيمانهم، وعدم تزلزلهم عن إيمانهم، وأن ذلك وذلك لحسدكم وبغيهم عليكم، وشدة حرصهم على ردكم عن دينكم، كما قال تعالى: ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا عباده المؤمنين منهم لئلا يمكروا بهم من حيث لا يشعرون، فقال: يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين الله بغافل عما تعملون بل محيط بأعمالكم ونياتكم ومكركم السيئ، فمجازيكم عليه أشر الجزاء لما توعدكم ووبخهم عطف برحمته وجوده وإحسانه وحذر فعلوه أعظم الكفر الموجب لأعظم العقوبة الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فلماذا توعدكم هنا بقوله: وما المهمة والعلوم النافعة، فهؤلاء الكفرة جمعوا بين الكفر بها وصد من آمن بالله عنها وتحريفها وتعويجها عما جعلت له، وهم شاهدون بذلك عالمون بأن ما أهل الكتاب من اليهود والنصارى على كفرهم بآيات الله التي أنزلها الله على رسله، التي جعلها رحمة لعباده يهتدون بها إليه، ويستدلون بها على جميع المطالب تفسير الآيات من 98 الى 101 :- يوبخ تعالى

#### سورة 4

تنبيه على مراعاة حق الأزواج والزوجات والقيام به، لكون الزوجات مخلوقات من الأزواج، فيبينهم وبينهن أقرب نسب وأشد اتصال، وأقرب علاقة. 1 الأمور أتم تفصيل، من أول السورة إلى آخرها. فكانها مبنية على هذه الأمور المذكورة، مفصلة لما أجمل منها، موضحة لما أبهم. وفي قوله: وخلق منها زوجها منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذي أمر به. وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الأرحام والأزواج عموما، ثم بعد ذلك فصل هذه وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام والنهي عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصا الأقربين وفي الإخبار بأنه خلقهم من نفس واحدة، وأنه بثهم في أقطار الأرض، مع رجوعهم إلى أصل واحد ليعطف بعضهم على بعض، ويرقق بعضهم على بعض. أي: مطلع على العباد في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع أحوالهم، مراقبا لهم فيها مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه. الأمر الفلاني؛ لعلمه بما قام في قلبه من تعظيم الله الداعي أن لا يرد من سأله بالله، فكما عظمتهم بذلك فلتعظموه بعبادته وتقواه. وكذلك الإخبار بأنه رقيب، الداعي لتقواه تساؤلهم به وتعظيمكم، حتى إنكم إذا أردتم قضاء حاجاتكم ومآربكم، توسلتم بها بالسؤال بالله. فيقول من يريد ذلك لغيره: أسألك بالله أن تفعل العظيمة، التي من جملتها خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليناسبها، فيسكن إليها، وتتم بذلك النعمة، ويحصل به السرور، وكذلك من الموجب والأمر بصلة الأرحام، والحث على ذلك. وبين السبب الداعي الموجب لكل من ذلك، وأن الموجب لتقواه لأنه ربكم الذي خلقكم ورزقكم، ورباكم بنعمه افتتح تعالى هذه السورة بالأمر بتقواه، والحث على عبادته،

أعظم وعيد ورد في الذنوب، يدل على شناعة أكل أموال اليتامى وقبحها، وأنها موجبة لدخول النار، فدل ذلك أنها من أكبر الكبائر. نسأل الله العافية. 10 يأكلون في بطونهم نارا أي: فإن الذي أكلوه نار تتأجج في أجوافهم وهم الذين أدخلوها في بطونهم. وسيصلون سعيرا أي: نارا محرقة متوقدة. وهذا اليتامى ظلما أي: بغير حق. وهذا القيد يخرج به ما تقدم، من جواز الأكل للفقير بالمعروف، ومن جواز خلط طعامهم بطعام اليتامى. فمن أكلها ظلما ف إنما ولما أمرهم بذلك، زجرهم عن أكل أموال اليتامى، وتوعد على ذلك أشد العذاب فقال: إن الذين يأكلون أموال

غاية الأرباح، وسيرون من رحمته وكرمه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فنسأل الله أن لا يحرمنا خيره بشر ما عندنا. 100 والبنين والقوة، وغير ذلك. رحيمًا بالمؤمنين حيث وفقهم للإيمان، وعلمهم من العلم ما يحصل به الإيقان، ويسر لهم أسباب السعادة والفلاح وما به يدركون رحيمًا يغفر للمؤمنين ما اقترفوه من الخطيئات، خصوصا التائبين المنيبين إلى ربهم. رحيمًا بجميع الخلق رحمة أوجدتهم وعافتهم ورزقهم من المال كاملا ولو لم يكملوا العمل، وغفر لهم ما حصل منهم من التقصير في الهجرة وغيرها. ولهذا ختم هذه الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال: وكان الله غفورا أجر المهاجر الذي أدرك مقصوده بضمن الله تعالى، وذلك لأنه نوى وجزم، وحصل منه ابتداء وشروع في العمل، فمن رحمة الله به وبأمثاله أن أعطاهم أجرهم ربه ورضاه، ومحبة لرسوله ونصرا لدين الله، لا لغير ذلك من المقاصد ثم يدركه الموت بقتل أو غيره، فقد وقع أجره على الله أي: فقد حصل له كانوا به أغنى الناس، وهكذا كل من فعل فعلهم، حصل له ما حصل لهم إلى يوم القيامة. ثم قال: ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله أي: قاصدا وحصل لهم من الإيمان التام والجهاد العظيم والنصر لدين الله، ما كانوا به أئمة لمن بعدهم، وكذلك حصل لهم مما يترتب على ذلك من الفتوحات والغنائم، ما وقد وقع كما أخبر الله تعالى. واعتبر ذلك بالصحابه رضي الله عنهم فإنهم لما هاجروا في سبيل الله وتركوا ديارهم وأولادهم وأموالهم لله، كمل بذلك إيمانهم

## تفسير السعدي

إقامة دين الله وجهاد أعداء الله ومراغمتهم، فإن المراغمة اسم جامع لكل ما يحصل به إغاطة لأعداء الله من قول وفعل، وكذلك ما يحصل له سعة في رزقه، المتعدية كالجهد بالقول والفعل، وتوابع ذلك، لعدم تمكنه من ذلك، وهو بصد أن يفتن عن دينه، خصوصا إن كان مستضعفا. فإذا هاجر في سبيل الله تمكن من بعد الرخاء. والأمر ليس كذلك، فإن المؤمن ما دام بين أظهر المشركين فدينه في غاية النقص، لا في العبادات القاصرة عليه كالصلاة ونحوها، ولا في العبادات مشتمل على مصالح الدين، والسعة على مصالح الدنيا. وذلك أن كثيرا من الناس يتوهم أن في الهجرة شتاتاً بعد الألفة، وفقرا بعد الغنى، وذلاً بعد العز، وشدة على الهجرة والترغيب، وبيان ما فيها من المصالح، فوعد الصادق في وعده أن من هاجر في سبيله ابتغاء مرضاته، أنه يجد مراغما في الأرض وسعة، فالمرام هذا في بيان الحث

حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكما في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل. 101 ما ذكرناه. وفي قوله: ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم معه، فأخبر عن مصاحبتهم له. ثم أضاف الفعل بعد إليهم دون الرسول، فدل ذلك على قوله: فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم على ما من به على المؤمنين، وأيدهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلخواها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات. وفي ويحصرهم، ويقعدوا لهم كل مرصد، ويحذروهم في جميع الأحوال، ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم. فله أعظم حمد وثناء إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ومن العذاب المهين ما أمر الله به حظه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين من قتلهم وقتالهم حيثما تقفوه، ويأخذوهم من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم والميل عليهم وعلى أمتعتهم، ولهذا قال تعالى: ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ثم إن الله عذر من له عذر واشتغال عن بعض أحوال الصلاة فإن فيه مصلحة راجحة وهو الجمع بين الصلاة والجهاد، والحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين واتفاقهم وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم، وأمر تعالى بأخذ السلاح والحذر في صلاة الخوف، وهذا وإن كان فيه حركة الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلوا بعدة أئمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين المبجلة في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلولا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها. وتدل في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى. والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يترون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في صلاة الخوف. فإنها صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة كلها جائزة، وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين: الطائفة الأولى منتظرا للطائفة الثانية، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم وهذا أحد الوجوه فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا وهم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو فليصلوا معك ودل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف ما يأتي: فإذا سجدوا أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم وعبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها. وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله. ثم فسر ذلك بقوله: فلتقم طائفة منهم معك أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو كما يدل على ذلك العدد فقط، أو الخوف وحده جاز قصر الصفة. ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة أي: صليت بهم صلاة تقيمها الثاني، وهو أن المراد بالقصر: قصر العدد والصفة فإن القيد على بابه، فإذا وجد السفر والخوف، جاز قصر العدد، وقصر الصفة، وإذا وجد السفر وحده جاز قصر ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة، وهي اجتماع السفر والخوف، ولا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة. وأما على الوجه وسلم وأصحابه عليها، فإن غالب أسفاره أسفار جهاد. وفيه فائدة أخرى وهي بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر، فبين في هذه الآية أنه عليه وسلم: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أو كما قال. فعلى هذا يكون هذا القيد أتى به نظرا لغالب الحال التي كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لنا نقصر الصلاة وقد أمنا؟ أي: والله يقول: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: العدد فقط؟ أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول. وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى سأل عنه الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما، السفر مع الخوف. ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: أن تقصروا قصر من أربع إلى ركعتين. فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الثانية: أن من تفيد التبعية ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية واحدة لأجزأ، فإتيانه بقوله: من الصلاة ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. تقصروا الصلاة فيه فائدتان: إحداها: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته. وقوله: أن تقصروا من الصلاة ولم يقل أن أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه. ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران: أحدهما: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم على القصر في جميع أسفاره. والثاني: أن شعائر الله إلى آخر الآية. وإزالة الوهم في هذا الموضوع ظاهرة، لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزيل هذا عن نفوس

## تفسير السعدي

الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب كما تقدم ذلك في سورة البقرة في قوله: إن الصفا والمروة من بسفره لا يناسب حاله التخفيف. وقوله: فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك، ولا ينافي ذلك كون القصر هو فلم يجوزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي أنه يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، تفسير الآيتين 101 و 102 :- هاتان الآيتان أصل في رخصة القصر، وصلاة الخوف، يقول تعالى: وإذا ضربتم في الأرض أي: في السفر، وظاهر الآية حقيقة في ركعتهم الأولى، وحكما في ركعتهم الأخيرة، فيستلزم ذلك انتظار الإمام إياهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم، وهذا ظاهر للمتأمل. 102 ما ذكرناه. وفي قوله: ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك دليل على أن الطائفة الأولى قد صلوا، وأن جميع صلاة الطائفة الثانية تكون مع الإمام يثبت منتظرا للطائفة الأخرى قبل السلام، لأنه أولا ذكر أن الطائفة تقوم معه، فأخبر عن مصابحتهم له. ثم أضاف الفعل بعد إليهم دون الرسول، فدل ذلك على قوله: فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم يدل على أن هذه الطائفة تكمل جميع صلاتها قبل ذهابهم إلى موضع الحارسين. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم على ما من به على المؤمنين، وأيدهم بمعونته وتعاليمه التي لو سلكوها على وجه الكمال لم تهزم لهم راية، ولم يظهر عليهم عدو في وقت من الأوقات. وفي ويحصرهم، ويقعدوا لهم كل مرصد، ويحذروهم في جميع الأحوال، ولا يغفلوا عنهم، خشية أن ينال الكفار بعض مطلوبهم فيهم. فله أعظم حمد وثناء إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا ومن العذاب المهين ما أمر الله به حزبه المؤمنين وأنصار دينه الموحدين من قتلهم وقتالهم حيثما ثقفوهم، ويأخذوهم من مرض أو مطر أن يضع سلاحه، ولكن مع أخذ الحذر فقال: ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم والميل عليهم وعلى أمتعتهم، ولهذا قال تعالى: ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ثم إن الله عذر من له عذر واشتغال عن بعض أحوال الصلاة فإن فيه مصلحة راجحة وهو الجمع بين الصلاة والجهد، والحذر من الأعداء الحريصين غاية الحرص على الإيقاع بالمسلمين واتفاقهم وعدم تفرق كلمتهم، وليكون ذلك أوقع هيبة في قلوب أعدائهم، وأمر تعالى بأخذ السلاح والحذر في صلاة الخوف، وهذا وإن كان فيه حركة الآية الكريمة على أن الأولى والأفضل أن يصلوا بإمام واحد. ولو تضمن ذلك الإخلال بشيء لا يخل به لو صلوا بعدة أئمة، وذلك لأجل اجتماع كلمة المسلمين المبطل في غيرها، وما ذاك إلا لتأكد وجوب الجماعة، لأنه لا تعارض بين واجب ومستحب، فلو لا وجوب الجماعة لم تترك هذه الأمور اللازمة لأجلها. وتدل في حالة الطمأنينة والأمن من باب أولى وأحرى. والثاني: أن المصلين صلاة الخوف يتركون فيها كثيرا من الشروط واللوازم، ويعفى فيها عن كثير من الأفعال أحدهما: أن الله تعالى أمر بها في هذه الحالة الشديدة، وقت اشتداد الخوف من الأعداء وحذر مهاجمتهم، فإذا أوجبها في هذه الحالة الشديدة فإيجابها في صلاة الخوف. فإنها صحت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة كلها جائزة، وهذه الآية تدل على أن صلاة الجماعة فرض عين من وجهين: الطائفة الأولى منتظرا للطائفة الثانية، فإذا حضروا صلى بهم ما بقي من صلاته ثم جلس ينتظرهم حتى يكملوا صلاتهم، ثم يسلم بهم وهذا أحد الوجوه فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا وهم الطائفة الذين قاموا إزاء العدو فليصلوا معك ودل ذلك على أن الإمام يبقى بعد انصراف ما يأتي: فإذا سجدوا أي: الذين معك أي: أكملوا صلاتهم وعبر عن الصلاة بالسجود ليدل على فضل السجود، وأنه ركن من أركانها، بل هو أعظم أركانها. وتتم ما يجب فيها ويلزم، فعلمهم ما ينبغي لك ولهم فعله. ثم فسر ذلك بقوله: فلتقم طائفة منهم معك أي: وطائفة قائمة بإزاء العدو كما يدل على ذلك العدد فقط، أو الخوف وحده جاز قصر الصفة. ولذلك أتى بصفة صلاة الخوف بعدها بقوله: وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة أي: صليت بهم صلاة تقيمها الثاني، وهو أن المراد بالقصر: قصر العدد والصفة فإن القيد على بابه، فإذا وجد السفر والخوف، جاز قصر العدد، وقصر الصفة، وإذا وجد السفر وحده جاز قصر ما يتصور من المشقة المناسبة للرخصة، وهي اجتماع السفر والخوف، ولا يستلزم ذلك أن لا يقصر مع السفر وحده، الذي هو مظنة المشقة. وأما على الوجه وسلم وأصحابه عليها، فإن غالب أسفاره أسفار جهاد. وفيه فائدة أخرى وهي بيان الحكمة والمصلحة في مشروعية رخصة القصر، فبين في هذه الآية أنه عليه وسلم: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته أو كما قال. فعلى هذا يكون هذا القيد أتى به نظرا لغالب الحال التي كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ما لنا نقصر الصلاة وقد أمانا؟ أي: والله يقول: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو قصر العدد والصفة؟ فالإشكال إنما يكون على الوجه الأول. وقد أشكل هذا على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حتى سأل عنه الذي يدل ظاهره أن القصر لا يجوز إلا بوجود الأمرين كليهما، السفر مع الخوف. ويرجع حاصل اختلافهم إلى أنه هل المراد بقوله: أن تقصروا قصر من أربع إلى ركعتين. فإذا تقرر أن القصر في السفر رخصة، فاعلم أن المفسرين قد اختلفوا في هذا القيد، وهو قوله: إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا الثانية: أن من تفيد التبعض ليعلم بذلك أن القصر لبعض الصلوات المفروضات لا جميعها، فإن الفجر والمغرب لا يقصران وإنما الذي يقصر الصلاة الرباعية واحدة لأجزاء، فإتيانه بقوله: من الصلاة ليدل ذلك على أن القصر محدود مضبوط، مرجوع فيه إلى ما تقرر من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. تقصروا الصلاة فيه فائدتان: إحداها: أنه لو قال أن تقصروا الصلاة لكان القصر غير منضبط بحد من الحدود، فربما ظن أنه لو قصر معظم الصلاة وجعلها ركعة هذا من باب التوسعة والترخيص والرحمة بالعباد، والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته. وقوله: أن تقصروا من الصلاة ولم يقل أن أكثرهم إلا بذكر ما ينافيه. ويدل على أفضلية القصر على الإتمام أمران: أحدهما: ملازمة النبي صلى الله عليه وسلم على القصر في جميع أسفاره. والثاني: أن شعائر الله إلى آخر الآية. وإزالة الوهم في هذا الموضع ظاهرة، لأن الصلاة قد تقرر عند المسلمين وجوبها على هذه الصفة التامة، ولا يزال هذا عن نفوس الأفضل، لأن نفي الحرج إزالة لبعض الوهم الواقع في كثير من النفوس، بل ولا ينافي الوجوب كما تقدم ذلك في سورة البقرة في قوله: إن الصفا والمروة من

## تفسير السعدي

بفسره لا يناسب حاله التخفيف. وقوله: فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أي: لا حرج ولا إثم عليكم في ذلك، ولا ينافي ذلك كون القصر هو فلم يجوزوا الترخص في سفر المعصية، تخصيصاً للآية بالمعنى والمناسبة، فإن الرخصة سهولة من الله لعباده إذا سافروا أن يقصروا ويفطروا، والعاصي أنه يقتضي الترخص في أي سفر كان ولو كان سفر معصية، كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وخالف في ذلك الجمهور، وهم الأئمة الثلاثة وغيرهم، تفسير الآيتين 101 و102: هاتان الآيتان أصل في رخصة القصر، وصلاة الخوف، يقول تعالى: وإذا ضربتم في الأرض أي: في السفر، وظاهر الآية لا يخاطبون بفروع الدين كالصلاة، ولا يؤمرون بها، بل ولا تصح منهم ما داموا على كفرهم، وإن كانوا يعاقبون عليها وعلى سائر الأحكام في الآخرة. 103 أن الصلاة ميزان الإيمان وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاته وتتم وتكمل، ويدل ذلك على أن الكفار وإن كانوا ملتزمين لأحكام المسلمين كأهل الذمة أنهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: صلوا كما رأيتموني أصلي ودل قوله: على المؤمنين على المؤمنين كتاباً موقوتاً أي: مفروضاً في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتاً لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت عند المسلمين صغيرهم من الخوف واطمأنت قلوبكم وأبدانكم فأتوا صلاتكم على الوجه الأكمل ظاهراً وباطناً، بأركانها وشروطها وخشوعها وسائر مكملاتها. إن الصلاة كانت على فائتوتوا واذكروا الله كثيراً لعلمكم تفلحون فأمر بالإكثار منه في هذه الحال إلى غير ذلك من الحكم. وقوله: فإذا اطمأنتتم فأقيموا الصلاة أي: إذا أمنتتم منه من أعظم مقويات القلب. ومنها: أن الذكر لله تعالى مع الصبر والثبات سبب للفلاح والظفر بالأعداء، كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة جبرها بالذكر بعدها. ومنها: أن الخوف يوجب من قلق القلب وخوفه ما هو مظنة لضعفه، وإذا ضعف القلب ضعف البدن عن مقاومة العدو، والذكر لله والإكثار أوجب أن يفرضها الله على عباده كل يوم وليلة. ومن المعلوم أن صلاة الخوف لا تحصل فيها هذه المقاصد الحميدة بسبب اشتغال القلب والبدن والخوف فأمر ذكره والثناء عليه. وأعظم ما يحصل به هذا المقصود الصلاة، التي حقيقتها أنها صلة بين العبد وبين ربه. ومنها: أن فيها من حقائق الإيمان ومعارف الإيقان ما جميع أحوالكم وهيئاتكم، ولكن خصت صلاة الخوف بذلك لفوائده. منها: أن القلب صلاحه وفلاحه وسعادته بالإجابة إلى الله تعالى في المحبة وامتلاء القلب من أي: فإذا فرغتم من صلاتكم، صلاة الخوف وغيرها، فاذكروا الله في

برضوان الله وجنته، فسبحان من فاوت بين العباد وفرق بينهم بعلمه وحكمته، ولهذا قال: وكان الله عليماً حكيماً كامل العلم كامل الحكمة 104 زيادة القوة، وتضاعف النشاط والشجاعة التامة؛ لأن من يقاتل ويصبر على نيل عزه الديني إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز لهم مقاصد عالية وآمال رفيعة من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين، فهذه الأمور توجب للمؤمن المصدق على الدوام، لا من يدال مرة، ويدال عليه أخرى. الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه، بل خواص المؤمنين الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وإياهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك، لأن العادة الجارية لا يضعف إلا من تواتت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء ما يقوي قلوب المؤمنين، فذكر شيتين: الأول: أن ما يصيبكم من الألم والتعب والجراح ونحو ذلك فإنه يصيب أعداءكم، فليس من المروءة الإنسانية والشهامة أي: في جهادهم والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لو هن البدن، وذلك يضعف عن مقاومة الأعداء. بل كونوا أقوياء نشيطين في قتالهم. ثم ذكر أي: لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار،

والنيابة عن المبطل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية. ويدل مفهوم الآية على جواز الدخول في نيابة الخصومة لمن لم يعرف منه ظلم. 105 خصيماً أي: لا تخاصم عن من عرفت خيانتته، من مدع ما ليس له، أو منكر حقاً عليه، سواء علم ذلك أو ظنه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، بين الناس على معرفة الكتاب، ولما أمر الله بالحكم بين الناس المتضمن للعدل والقسط نهائهم عن الجور والظلم الذي هو ضد العدل فقال: ولا تكن للخائنين عليه وسلم فيما يبلغ عن الله من جميع الأحكام وغيرها، وأنه يشترط في الحاكم العلم والعدل لقوله: بما أراك الله ولم يقل: بما رأيته. ورتب أيضاً الحكم بما أراك الله أي: لا بهواك بل بما علمك الله وألهمك، كقوله تعالى: وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وفي هذا دليل على عصمته صلى الله عليه وآله معناه واحد، فيكون الحكم بين الناس هنا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأعراض والأموال وسائر الحقوق وفي العقائد وفي جميع مسائل الأحكام. وقوله: إليهم. فيحتمل أن هذه الآية في الحكم بين الناس في مسائل النزاع والاختلاف، وتلك في تبين جميع الدين وأصوله وفروعه، ويحتمل أن الآيتين كلتيهما صدق، وأوامره ونواهيها عدل وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً وأخبر أنه أنزله ليحكم بين الناس. وفي الآية الأخرى: وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل أنه أنزل على عبده ورسوله الكتاب بالحق، أي: محفوظاً في إنزاله من الشياطين، أن يتطرق إليه منهم باطل، بل نزل بالحق، ومشتتماً أيضاً على الحق، فأخبره يخبر تعالى

إن الله كان غفوراً رحيماً أي: يغفر الذنب العظيم لمن استغفره، وتاب إليه وأناب ويوفقه للعمل الصالح بعد ذلك الموجب لثوابه وزوال عقابه. 106 واستغفر الله مما صدر منك إن صدر.

الشرعية. إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً أي: كثير الخيانة والإثم، وإذا انتفى الحب ثبت ضده وهو البغض، وهذا كالتعليل، للنهي المتقدم. 107 النهي عن المجادلة، عن من أذنب وتوجه عليه عقوبة من حد أو تعزير، فإنه لا يجادل عنه بدفع ما صدر منه من الخيانة، أو بدفع ما ترتب على ذلك من العقوبة ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم الاختيان والخيانة بمعنى الجناية والظلم والإثم، وهذا يشمل

أي: قد أحاط بذلك علماء، ومع هذا لم يعاجلهم بالعقوبة بل استأنى بهم، وعرض عليهم التوبة وحذرهم من الإصرار على ذنبهم الموجب للعقوبة البليغة. 108



## تفسير السعدي

جمعوا بين عدة جنایات، ولم يراقبوا رب الأرض والسموات، المطلع على سرائرهم وضمايرهم، ولهذا توعدهم تعالى بقوله: وكان الله بما يعملون محيطا خصوصا في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول، من تبرئة الجاني، ورمي البريء بالجنابة، والسعي في ذلك للرسول صلى الله عليه وسلم ليفعل ما بيتوه. فقد المباحة والمحرمة على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم. وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وهذا من ضعف الإيمان، ونقصان اليقين، أن تكون مخافة الخلق عندهم أعظم من مخافة الله، فيحرصون بالطرق ثم ذكر عن هؤلاء الخائنين أنهم يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو

الحقيقي. بخلاف الذي يدعي العقل، وليس كذلك، فإنه بجعله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان. 109  
الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها. وهذا من أعظم ما ينفع العبد تدبره، وهو خاصة العقل الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟ وكذلك إذا دعت نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة قال لها: هبك فعلت ما اشتيت فإن لذته تنقضي ويعقبها من فيقول من أمرته نفسه بترك أمر الله ها أنت تركت أمره كسلا وتفريطا فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الآلية إرشاد إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها. الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين فمن يجادل عنهم من يعلم السر وأخفى ومن أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار؟ وفي هذه عنهم وينفعهم؟ ومن يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون؟ يومئذ يوفيهام أم من يكون عليهم وكيفا أي: هبكم جادلتهم عنهم في هذه الحياة الدنيا، ودفع عنهم جدالك بعض ما تحذرون من العار والفضيحة عند الخلق، فماذا يغنيها أنتم هؤلاء جادلتهم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة

بكل شيء علما، وأحكم ما شرعه وقدر ما قدره على أحسن تقدير لا تستطيع العقول أن تقترح مثل أحكامه الصالحة الموافقة لكل زمان ومكان وحال. 11  
أي الأولاد أو الوالدين أنفع لهم، وأقرب لحصول مقاصدهم الدينية والدنيوية. فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما أي: فرضها الله الذي قد أحاط رد تقدير الإرث إلى عقولكم واختياركم لحصل من الضرر ما الله به عليم، لنقص العقول وعدم معرفتها بما هو اللائق الأحسن، في كل زمان ومكان. فلا يدرون تصح من الثلث فأقل للأجنبي الذي هو غير وارث. وأما غير ذلك فلا ينفذ إلا بإجازة الورثة. قال تعالى: أبأؤكم وأبنأؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فلو وقدم الوصية مع أنها مؤخرة عن الدين للاهتمام بشأنها، لكون إخراجها شاقا على الورثة، وإلا فالديون مقدمة عليها، وتكون من رأس المال. وأما الوصية فإنها وتستحق بعد نزع الديون التي على الميت لله أو للآدميين، وبعد الوصايا التي قد أوصى الميت بها بعد موته، فالباقى عن ذلك هو التركة الذي يستحقه الورثة. إلا على الاحتمال الآخر فإن للأُم الثلث والباقي للأب ثم قال تعالى: من بعد وصية يوصي بها أو دين أي: هذه الفروض والأنصبة والموارث إنما ترد لفظ الجمع والمراد به اثنان فأكثر بالإجماع. فعلى هذا لو خلف أما وأبا وإخوة، كان للأُم السدس، والباقي للأب فحجبوها عن الثلث، مع حجب الأب بإيهاهم وقال في الإخوة للأُم: وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث فأطلق بأن المقصود مجرد التعدد، لا الجمع، ويصدق ذلك باثنين. وقد يطلق الجمع ويراد به الاثنان، كما في قوله تعالى عن داود وسليمان وكنا لحكمهم شاهدين يتوفر لهم شيء من المال، وهو معدوم، والله أعلم ولكن بشرط كونهم اثنين فأكثر، ويشكل على ذلك إتيان لفظ الإخوة بلفظ الجمع. وأجيب عن ذلك بدليل عدم تناولها للمحجوب بالنصف، فعلى هذا لا يحجبها عن الثلث من الإخوة إلا الإخوة الوارثون. ويؤيده أن الحكمة في حجبهم لها عن الثلث لأجل أن أشقاء، أو لأب، أو لأم، ذكورا كانوا أو إناثا، وارثين أو محجوبين بالأب أو الجد لكن قد يقال: ليس ظاهر قوله: فإن كان له إخوة شاملا لغير الوارثين في مسألة الزوجة زيادة عنها نصف السدس، وهذا لا نظير له، فإن المعهود مساواتها للأب، أو أخذه ضعف ما تأخذه الأم. فإن كان له إخوة فلأُمه السدس بمنزلة ما يأخذه الغرماء، فيكون من رأس المال، والباقي بين الأبوين. ولأنا لو أعطينا الأم ثلث المال، لزم زيادتها على الأب في مسألة الزوج، أو أخذ الأب فلم تدل الآية على إرث الأم ثلث المال كاملا مع عدم الأولاد حتى يقال: إن هاتين الصورتين قد استثنيتا من هذا. ويوضح ذلك أن الذي يأخذه الزوج أو الزوجة دل على ذلك قوله: وورثه أبواه فلأُمه الثلث أي: ثلث ما ورثه الأبوان. وهو في هاتين الصورتين إما سدس في زوج وأم وأب، وإما ربع في زوجة وأم وأب. أبقت الفروض، لكن لو وجد مع الأبوين أحد الزوجين ويعبر عنهما بالعمريتين فإن الزوج أو الزوجة يأخذ فرضه، ثم تأخذ الأم ثلث الباقي والأب الباقي. وقد الأب والأم إضافة واحدة، ثم قدر نصيب الأم، فدل ذلك على أن الباقي للأب. وعلم من ذلك أن الأب مع عدم الأولاد لا فرض له، بل يرث تعصيا المال كله، أو ما بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر، وهو أولى من الأخ والعمة وغيرهما. فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأُمه الثلث أي: والباقي للأب لأنه أضاف المال إلى الفرض شيء كأبوين وابنتين لم يبق له تعصيب. وإن بقي بعد فرض البنت أو البنات شيء أخذ الأب السدس فرضا، والباقي تعصيا، لأننا ألحقنا الفروض أو متعددا. فأما الأم فلا تزيد على السدس مع أحد من الأولاد. وأما الأب فمع الذكور منهم، لا يستحق أزيد من السدس، فإن كان الولد أنثى أو إناثا ولم يبق بعد ثم ذكر ميراث الأبوين فقال: ولأبويه أي: أبوه وأمه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد أي: ولد صلب أو ولد ابن ذكرا كان أو أنثى، واحدا مما ترك أن الوارثين يرثون كل ما خلف الميت من عقار وأثاث وذهب وفضة وغير ذلك، حتى الدية التي لم تجب إلا بعد موته، وحتى الديون التي في الذمم وقد تم. فلو لم يسقطن لزم من ذلك أن يفرض لهن أزيد من الثلثين، وهو خلاف النص. وكل هذه الأحكام مجمع عليها بين العلماء ولله الحمد. ودل قوله: مع بنات الابن اللاتي أنزل منها. وتدلل الآية أنه متى استغرق البنات أو بنات الابن الثلثين، أنه يسقط من دونهن من بنات الابن لأن الله لم يفرض لهن إلا الثلثين، من الثلثين اللذين فرضهما الله للبنات أو بنات الابن السدس، فيعطى بنت الابن، أو بنات الابن، ولهذا يسمى هذا السدس تكملة الثلثين. ومثل ذلك بنت الابن،

## تفسير السعدي

يزيد زيادتهن على الثنتين بل من الثنتين فصاعدا. ودلت الآية الكريمة أنه إذا وجد بنت صلب واحدة، وبنت ابن أو بنات ابن، فإن لبنت الصلب النصف، ويبقى الثلثين كما في الصحيح. بقي أن يقال: فما الفائدة في قوله: فوق اثنتين ؟. قيل: الفائدة في ذلك والله أعلم أنه ليعلم أن الفرض الذي هو الثلثان لا فإذا كان الأختان الثنتان مع بعدهما يأخذان الثلثين فالابنتان مع قريهما من باب أولى وأحرى. وقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ابنتي سعد من أختها، فأخذها له مع أختها من باب أولى وأحرى. وأيضا فإن قوله تعالى في الأخنتين: فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك نص في الأخنتين الثنتين. فإن الابن له الثلثان، وقد أخبر الله أنه مثل حظ الأنثيين، فدل ذلك على أن للبننتين الثلثين. وأيضا فإن البنت إذا أخذت الثلث مع أخيها وهو أزيد ضررا عليها فمفهوم ذلك أنه إن زادت على الواحدة، انتقل الفرض عن النصف، ولا ثم بعده إلا الثلثان. وأيضا فقوله: للذكر مثل حظ الأنثيين إذا خلف ابنا وبنتا، وهذا إجماع. بقي أن يقال: من أين يستفاد أن للبننتين الثلثين الثلثين بعد الإجماع على ذلك؟ فالجواب أنه يستفاد من قوله: وإن كانت واحدة فلها النصف ذكره بقوله: فإن كن نساء فوق اثنتين أي: بنات صلب أو بنات ابن، ثلاثا فأكثر فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة أي: بنتا أو بنت ابن فلها النصف وليس لأولاد الابن شيء، حيث كان أولاد الصلب ذكورا وإناثا، هذا مع اجتماع الذكور والإناث. وهنا حالتان: انفراد الذكور، وسيأتي حكمها. وانفراد الإناث، وقد حظ الأنثيين، إن لم يكن معهم صاحب فرض، أو ما أبقت الفروض يقتسمونه كذلك، وقد أجمع العلماء على ذلك، وأنه مع وجود أولاد الصلب فال ميراث لهم. الوالدين، حيث أوصى الوالدين مع كمال شفقتهم، عليهم. ثم ذكر كيفية إرثهم فقال: للذكر مثل حظ الأنثيين أي: الأولاد للصلب، والأولاد للابن، للذكر مثل عند والديهم موصى بهم، فإذا أن يقوموا بتلك الوصية، وإما أن يضيعوها فيستحقوا بذلك الوعيد والعقاب. وهذا مما يدل على أن الله تعالى أرحم بعباده من المفاسد، وتأمروهم بطاعة الله وملازمة التقوى على الدوام كما قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة فالأولاد أولادكم أي: أولادكم يا معشر الوالدين عندكم ودائع قد وصاكم الله عليهم، لتقوموا بمصالحهم الدينية والدنيوية، فتعلمونهم وتؤدبونهم وتكفونهم عن المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الجدة السدس، مع إجماع العلماء على ذلك. فقوله تعالى: يوصيكم الله في رجل ذكر مشتملات على جل أحكام الفرائض، بل على جميعها كما سترى ذلك، إلا ميراث الجدات فإنه غير مذكور في ذلك. لكنه قد ثبت في السنن هي آخر السورة هن آيات المواريث المتضمنة لها. فإنها مع حديث عبد الله بن عباس الثابت في صحيح البخاري ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلاولى هذه الآيات والآية التي

في تعليمها ما أمر به ويسعى في العمل بما يجب، فسعيه في غير هذا الطريق ظلم لنفسه وخيانة وعدول بها عن العدل، الذي ضده الجور والظلم. 110 له يتصرف فيها بما يشاء، وإنما هي ملك لله تعالى قد جعلها أمانة عند العبد وأمره أن يقيمها على طريق العدل، بإلزامها للصرط المستقيم علما وعملا، فيسعى في دماهم وأموالهم وأعراضهم. ويفسر ظلم النفس بالظلم والمعاصي التي بين الله وبين عبده، وسمي ظلم النفس ظلما لأن نفس العبد ليست ملكا ظلما بالشرك فما دونه. ولكن عند اقتران أحدهما بالآخر قد يفسر كل واحد منهما بما يناسبه، فيفسر عمل السوء هنا بالظلم الذي يسوء الناس، وهو ظلمهم سائر المعاصي، الصغيرة والكبيرة، وسمي سوءا لكونه يسوء عامله بعقوبته، ولكونه في نفسه سيئا غير حسن. وكذلك ظلم النفس عند الإطلاق يشمل ويوفقه فيما يستقبله من عمره، ولا يجعل ذنبه حائلا عن توفيقه، لأنه قد غفره، وإذا غفره غفر ما يترتب عليه. واعلم أن عمل السوء عند الإطلاق يشمل من لا يخلف الميعاد بالمغفرة والرحمة. فيغفر له ما صدر منه من الذنب، ويزيل عنه ما ترتب عليه من النقص والعيب، ويعيد إليه ما تقدم من الأعمال الصالحة، أي: من تجرأ على المعاصي واقتحم على الإثم ثم استغفر الله استغفاراً تاماً يستلزم الإقرار بالذنب والندم عليه والإقلاع والعزم على أن لا يعود. فهذا قد وعده ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

سيغفر له ويوفقه للتوبة. وإن صدر منه بتجرئه على المحارم استخفافا بنظر ربه، وتهاونا بعقابه، فإن هذا بعيد من المغفرة بعيد من التوفيق للتوبة. 111 لفعله، والعقوبة المترتبة على فعله، ويعلم حالة المذنب، أنه إن صدر منه الذنب بغلبة دواعي نفسه الأمارة بالسوء مع إنابته إلى ربه في كثير من أوقاته، أنه الناشئة عن ذنبه، ولهذا قال: وكان الله عليهما حكيما أي: له العلم الكامل والحكمة التامة. ومن علمه وحكمته أنه يعلم الذنب وما صدر منه، والسبب الداعي الآية الكريمة، لأن من ترك الإنكار الواجب فقد كسب سيئة. وفي هذا بيان عدل الله وحكمته، أنه لا يعاقب أحدا بذنب أحد، ولا يعاقب أحدا أكثر من العقوبة لا تتعداها إلى غيرها، كما قال تعالى: ولا تزر وازرة وزر أخرى لكن إذا ظهرت السيئات فلم تنكر عمت عقوبتها وشمل إثمها، فلا تخرج أيضا عن حكم هذه ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وهذا يشمل كل ما يؤثم من صغير وكبير، فمن كسب سيئة فإن عقوبتها الدنيوية والأخروية على نفسه،

وتقام على من لا يستحقها. ثم ما يترتب على ذلك أيضا من كلام الناس في البريء إلى غير ذلك من المفاسد التي نسأل الله العافية منها ومن كل شر. 112 الخطيئة والإثم، ثم رمي من لم يفعلها بفعلها، ثم الكذب الشنيع بتبرئة نفسه واتهام البريء، ثم ما يترتب على ذلك من العقوبة الدنيوية، تندفع عمن وجبت عليه، بهتاناً وإثماً مبيناً أي: فقد حمل فوق ظهره بهتاناً للبريء وإثماً ظاهراً بينا، وهذا يدل على أن ذلك من كبائر الذنوب وموبقاتها، فإنه قد جمع عدة مفسدات: كسب ومن يكسب خطيئة أي: ذنبا كبيرا أو إثما ما دون ذلك. ثم يرم به أي يتهم بذنبه بريئا من ذلك الذنب، وإن كان مذنباً. فقد احتمل

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من فضله على كل مخلوق وأجناس الفضل الذي قد فضله الله به لا يمكن استقصاؤها ولا يتيسر إحصاؤها 113 على الأولين والآخرين، فكان أعلم الخلق على الإطلاق، وأجمعهم لصفات الكمال، وأكملهم فيها، ولهذا قال: وكان فضل الله عليك عظيما فضله على بقوله: ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ووجدك ضالا فهدى ثم لم يزل يوحى الله إليه ويعلمه ويكمله حتى ارتقى مقاما من العلم يتعذر وصوله منازلها وترتيب كل شيء بحسبه. وعلمك ما لم تكن تعلم وهذا يشمل جميع ما علمه الله تعالى. فإنه صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله قبل النبوة

## تفسير السعدي

والحكمة: إما السنة التي قد قال فيها بعض السلف: إن السنة تنزل عليه كما ينزل القرآن. وإما معرفة أسرار الشريعة الزائدة على معرفة أحكامها، وتنزيل الأشياء عليه بالعلم فقال: وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة أي: أنزل عليك هذا القرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه تبيان كل شيء وعلم الأولين والآخرين. والخسران. وهذه نعمة كبيرة على رسوله صلى الله عليه وسلم تتضمن النعمة بالعمل، وهو التوفيق لفعل ما يجب، والعصمة له عن كل محرم. ثم ذكر نعمته كحالة كل مكر، فقال: وما يضلون إلا أنفسهم لكون ذلك المكر وذلك التحيل لم يحصل لهم فيه مقصودهم، ولم يحصل لهم إلا الخيبة والحرمان والإثم وهو العمل بغير ما يجب. فحفظ الله رسوله عن هذا النوع من الضلال كما حفظه عن الضلال في الأعمال وأخبر أن كيدهم ومكرهم يعود على أنفسهم، الله عليه وسلم من المخاصمة عن الخائنين، فإن المخاصمة عن المبطل من الضلال، فإن الضلال نوعان: ضلال في العلم، وهو الجهل بالحق. وضلال في العمل، السرقة ببيتته وهو البريء. فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله هذه الآيات تذكيرا وتبيينا لتلك الواقعة وتحذيرا للرسول صلى السارق بقومه أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطلبوا منه أن يبرئ صاحبهم على رءوس الناس، وقالوا: إنه لم يسرق وإنما الذي سرق من وجدت أن سبب نزولها: أن أهل بيت سرقوا في المدينة، فلما اطلع على سرقتهم خافوا الفضيحة، وأخذوا سرقتهم فرموها ببيت من هو بريء من ذلك. واستعان بحفظه وعصمته ممن أراد أن يضلّه فقال: ولولا فضل الله عليك ورحمته لهتم طائفة منهم أن يضلوك وذلك أن هذه الآيات الكريكات قد ذكر المفسرون ثم ذكر منته على رسوله

بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا، لأن النية حصلت واقترب بها ما يمكن من العمل. 114 مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما فلماذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء من أجزاء الخير، ليحصل له . فهذه الأشياء حيثما فعلت فهي خير، كما دل على ذلك الاستثناء. ولكن كمال الأجر وتماحه بحسب النية والإخلاص، ولهذا قال: ومن يفعل ذلك ابتغاء والمصلح لا بد أن يصلح الله سعيه وعمله. كما أن الساعي في الإفساد لا يصلح الله عمله ولا يتم له مقصوده كما قال تعالى: إن الله لا يصلح عمل المفسدين التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله الآية. وقال تعالى: والصلح خير والساعي في الإصلاح بين الناس أفضل من القانت بالصلاة والصيام والصدقة، تعالى: واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وقال تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا والتغاضب يوجب من الشر والفرقة ما لا يمكن حصره، فلذلك حث الشارع على الإصلاح بين الناس في الدماء والأموال والأعراض، بل وفي الأديان كما قال عند الاقتربان فيفسر المعروف بفعل المأمور، والمنكر بترك المنهي. أو إصلاح بين الناس والإصلاح لا يكون إلا بين متنازعين متخاصمين، والنزاع والخصام الأمر بالمعروف من غير أن يقرن بالنهي عن المنكر دخل فيه النهي عن المنكر، وذلك لأن ترك المنهيات من المعروف، وأيضا لا يتم فعل الخير إلا بترك الشر. وأما ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة الحديث. أو معروف وهو الإحسان والطاعة وكل ما عرف في الشرع والعقل حسنه، وإذا أطلق كالتسبيح والتحميد ونحوه، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تهليل صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، محضة كالكلال المحرم بجميع أنواعه. ثم استثنى تعالى فقال: إلا من أمر بصدقة من مال أو علم أو أي نفع كان، بل لعله يدخل فيه العبادات القاصرة أي: لا خير في كثير مما يتناجى به الناس ويتخاطبون، وإذا لم يكن فيه خير، فإما لا فائدة فيه كفضول الكلام المباح، وإما شر ومضرة

الله بحسب حالة الذنب صغرا وكبرا، فمنه ما يخلد في النار ويوجب جميع الخذلان. ومنه ما هو دون ذلك، فلعل الآية الثانية كالتفصيل لهذا المطلق. 115 ونصه جهنم أي: نعيذ به فيها عذابا عظيما. وساءت مصيرا أي: مرجعا له ومآلا. وهذا الوعيد المرتب على الشقاق ومخالفة المؤمنين مراتب لا يحصيها إلا لنصرف عنه سوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين أي: بسبب إخلاصه صرفنا عنه سوء، وكذلك كل مخلص، كما يدل عليه عموم التعليل. وقوله: وغلبات الطباع، فإن الله لا يولييه نفسه وشيطانه بل يتداركه بلطفه، ويمن عليه بحفظه ويعصمه من سوء، كما قال تعالى عن يوسف عليه السلام: كذلك ويتبع سبيل المؤمنين، بأن كان قصده وجه الله واتباع رسوله ولزوم جماعة المسلمين، ثم صدر منه من الذنوب أو الهمة بها ما هو من مقتضيات النفوس، تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم وقال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ويدل مفهومها على أن من لم يشاقق الرسول، وما اختاره لنفسه، ونخله فلا نوقه للخير، لكونه رأى الحق وعلمه وتركه، فجزاؤه من الله عدلا أن يبقيه في ضلاله حائرا ويزداد ضلالا إلى ضلاله. كما قال تبين له الهدى بالدلائل القرآنية والبراهين النبوية. ويتبع غير سبيل المؤمنين وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم نوله ما تولى أي: نتركه أي: ومن يخالف الرسول صلى الله عليه وسلم ويعانده فيما جاء به من بعد ما

موافقا للكتاب والسنة فلا يكون مخالفا. فهذه الأدلة ونحوها تفيد القطع أن إجماع هذه الأمة حجة قاطعة، ولهذا بين الله قبح ضلال المشركين بقوله: 116 فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول يفهم منها أن ما لم يتنازعوا فيه بل اتفقوا عليه أنهم غير مأمورين برده إلى الكتاب والسنة، وذلك لا يكون إلا معصومة لكونهم عالمين بما شهدوا به عادلين في شهادتهم، فلو كان الأمر بخلاف ذلك لم يكونوا عادلين في شهادتهم ولا عالمين بها. ومثل ذلك قوله تعالى: الأمة جعلها الله وسطا أي: عدلا خيارا ليكونوا شهداء على الناس أي: في كل شيء، فإذا شهدوا على حكم بأن الله أمر به أو نهى عنه أو أباحه، فإن شهادتهم النهي عن شيء فهو مما نهوا عنه فلا يكون إلا منكرا، ومثل ذلك قوله تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس فأخبر تعالى أن هذه فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه فهو مما أمروا به، فيتعين بنص الآية أن يكون معروفا ولا شيء بعد المعروف غير المنكر، وكذلك إذا اتفقوا على كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ووجه الدلالة منها: أن الله تعالى أخبر أن المؤمنين من هذه الأمة لا يأمرن إلا بالمعروف، أو تحريمه أو كراهته، أو إباحته فهذا سبيلهم، فمن خالفهم في شيء من ذلك بعد انعقاد إجماعهم عليه، فقد اتبع غير سبيلهم. ويدل على ذلك قوله تعالى:

## تفسير السعدي

المؤمنين بالخذلان والنار، و سبيل المؤمنين مفرد مضاف يشمل سائر ما المؤمنون عليه من العقائد والأعمال. فإذا اتفقوا على إيجاب شيء أو استحبابه، عليه وعاقب بعدله وحكمته، وقد استدل بهذه الآية الكريمة على أن إجماع هذه الأمة حجة وأنها معصومة من الخطأ. ووجه ذلك: أن الله توعد من خالف سبيل الكمال وعدم الغنى، والفقر من جميع الوجوه. وأما ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي فهو تحت المشيئة، إن شاء الله غفره برحمته وحكمته، وإن شاء عذب هذا شأنه وعظمته، وصرف شيء منها للمخلوق الذي ليس له من صفات الكمال شيء، ولا له من صفات الغنى شيء بل ليس له إلا العدم. عدم الوجود وعدم ولا يدفع النقم إلا هو، الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، والغنى التام بجميع وجوه الاعتبار. فمن أعظم الظلم وأبعد الضلال عدم إخلاص العبادة لمن تعالى لتضمنه القدح في رب العالمين وفي وحدانيته وتسوية المخلوق الذي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا بمن هو مالك النفع والضر، الذي ما من نعمة إلا منه، أن الشرك لا يغفره الله

منهم المخلصين فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين 117 المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاها، وأثر طاعته على طاعة مولاها. وأقسم في موضع آخر ليغوينهم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك الشر لهم والفساد وأنه قال لربه مقسما: لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أي: مقدرا. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله أبعد الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله. إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله، لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟ ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما والعز والجمال، والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟ هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص وليس لها أسمع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد والجلال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن عابديها بل ولا عن نفسها؛ نفعا ولا ضرا ولا تنصر أنفسها ممن يريد بها بسوء، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدتها لصفات الكمال، أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثا، أي: أوثانا وأصناما مسميات بأسماء الإناث ك العزى و مناة ونحوهما،

منهم المخلصين فهذا الذي ظنه الخبيث وجزم به، أخبر الله تعالى بوقوعه بقوله: ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين 118 المخلصين ليس له عليهم سلطان، وإنما سلطانه على من تولاها، وأثر طاعته على طاعة مولاها. وأقسم في موضع آخر ليغوينهم لأغوينهم أجمعين إلا عبادك الشر لهم والفساد وأنه قال لربه مقسما: لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أي: مقدرا. علم اللعين أنه لا يقدر على إغواء جميع عباد الله، وأن عباد الله أبعد الله من رحمته يسعى في إبعاد العباد عن رحمة الله. إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ولهذا أخبر الله عن سعيه في إغواء العباد، وتزيين عبدوا غير الشيطان الذي هو عدوهم الذي يريد إهلاكهم ويسعى في ذلك بكل ما يقدر عليه، الذي هو في غاية البعد من الله، لعنه الله وأبعده عن رحمته، فكما صاحبه، وبلوغه من الخسة والدناءة أدنى ما يتصوره متصور، أو يصفه واصف؟ ومع ذلك فعبادتهم إنما صورتها فقط لهذه الأوثان الناقصة. وبالحقيقة ما والعز والجمال، والرحمة والبر والإحسان، والانفراد بالخلق والتدبير، والحكمة العظيمة في الأمر والتقدير؟ هل هذا إلا من أقبح القبيح الدال على نقص وليس لها أسمع ولا أبصار ولا أفئدة، فكيف يعبد من هذا وصفه ويترك الإخلاص لمن له الأسماء الحسنى والصفات العليا والحمد والكمال، والمجد والجلال، كما أخبر الله تعالى في غير موضع من كتابه، أنها لا تخلق ولا ترزق ولا تدفع عن عابديها بل ولا عن نفسها؛ نفعا ولا ضرا ولا تنصر أنفسها ممن يريد بها بسوء، ومن المعلوم أن الاسم دال على المسمى. فإذا كانت أسماؤها أسماء مؤنثة ناقصة، دل ذلك على نقص المسميات بتلك الأسماء، وفقدتها لصفات الكمال، أي: ما يدعو هؤلاء المشركون من دون الله إلا إناثا، أي: أوثانا وأصناما مسميات بأسماء الإناث ك العزى و مناة ونحوهما،

وأفلح كل الفلاح، وفاز بسعادة الدارين، وأصبح قرير العين، فلا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، اللهم تولنا فيمن توليت، وعافنا فيمن عافيت. 119 وأعظم ممن خسر دينه وديناه وأوبقته معاصيه وخطاياها؟! فحصل له الشقاء الأبدى، وفاته النعيم السرمدي. كما أن من تولى مولاها وآثر رضاه، ربح كل الربح، فخسروا الدنيا والآخرة، ورجعوا بالخيبة والصفقة الخاسرة، ولهذا قال: ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا وأي خسارة أبين المخلصين لجرى عليهم ما جرى على هؤلاء المفتونين، وهذا الذي جرى عليهم من توليهم عن ربهم وفاطرهم وتوليهم لعدوهم المرید لهم الشر من كل وجه، ما فطر الله عليه العباد من توحيده وحبه ومعرفته. فافتروا الشياطين في هذا الموضع افتراس السبع والذئب للغنم المنفردة. لولا لطف الله وكرمه بعباده وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسوق والعصيان. فإن كل مولود يولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، ونحو ذلك مما يغيرون به ويتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة، فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفلطين على قبول الحق وإيثاره، فجاءتهم الشياطين فاجتالهم عن هذا الخلق الجميل، خلقة الرحمن. وذلك يتضمن التسخط من خلقته والقدح في حكمته، واعتقاد أن ما يصنعون بأيديهم أحسن من خلقة الرحمن، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره، ولأمرتهم فليغيرن خلق الله وهذا يتناول تغيير الخلقة الظاهرة بالوشم، والوشر والنمص والتفليج للحسن، ونحو ذلك مما أغواهم به الشيطان فغيروا وهذا نوع من الإضلال يقتضي تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، ويلتحق بذلك من الاعتقادات الفاسدة والأحكام الجائرة ما هو من أكبر الإضلال. وغركم بالله الغرور وقوله: ولأمرتهم فليبتكن آذان الأنعام أي: بتقطيع آذانها، وذلك كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام فنبه بعض ذلك على جميعه، تعالى عن المنافقين إنهم يقولون يوم القيامة للمؤمنين: ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله

## تفسير السعدي

كذلك زينا لكل أمة عملهم قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الآية. وقال وحسبوا أنها موجبة للجنة، واعتبر ذلك باليهود والنصارى ونحوهم فإنهم كما حكى الله عنهم، وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم هو الغرور بعينه، فلم يقتصر على مجرد إضلالهم حتى زين لهم ما هم فيه من الضلال. وهذا زيادة شر إلى شرهم حيث عملوا أعمال أهل النار الموجبة للعقوبة ولأضلنهم أي: عن الصراط المستقيم ضلالا في العلم، وضلالا في العمل. ولأمنيهم أي: مع الإضلال، لأمنيهم أن ينالوا ما ناله المهتدون. وهذا كذلك، وبقي شيء بعد أخذ البنات فرضهن، فإنه يعطى للأخوات ولا يعدل عنهن إلى عصابة أبعد منهن، كابن الأخ والعمة، ومن هو أبعد منهم. والله أعلم. 12 الأخوات لغير أم مع البنات أو بنات الابن عصابات، يأخذن ما فضل عن فروضهن، فلأنه ليس في القرآن ما يدل على أن الأخوات يسقطن بالبنات. فإذا كان الأمر جهة. فإن كانوا في جهة واحدة فالأقرب منزلة، فإن كانوا في منزلة واحدة فالأقوى، وهو الشقيق، فإن تساوا من كل وجه اشتركوا. والله أعلم. وأما كون أولي العصابة، وبحسب جهاتهم ودرجاتهم. فإن جهات العصابة خمس: البنوة، ثم الأبوة، ثم الأخوة وبنوهم، ثم العمومة وبنوهم، ثم الولاء، فيقدم منهم الأقرب وقال تعالى: ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والأقربون فإذا ألحقنا الفروض بأهلها ولم يبق شيء، لم يستحق العاصب شيئا، وإن بقي شيء أخذه بقية العصابة كالبنوة والأخوة وبنيتهم، والأعمام وبنيتهم إلخ فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولي رجل ذكر مقدر بأعيانهم في كتاب الله. وأن بينهم وبين الميت وسائل، صاروا بسببها من الأقارب. فينزلون منزلة من أدلوا به من تلك الوسائل. والله أعلم. وأما ميراث بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فصرفه لغيرهم ترك لمن هو أولى من غيره، فتعين توريث ذوي الأرحام. وإذا تعين توريثهم، فقد علم أنه ليس لهم نصيب بين كون ماله يكون لبنت المال لمنافع الأجانب، وبين كون ماله يرجع إلى أقاربه المدلين بالورثة المجمع عليهم، ويدل على ذلك قوله تعالى: وأولو الأرحام الكتاب والسنة، والقياس الصحيح، والله أعلم وبهذا يعلم أيضا ميراث ذوي الأرحام فإن الميت إذا لم يخلف صاحب فرض ولا عاصبا، وبقي الأمر دائرا لغيرهما من ذوي الفروض يرد عليهما؛ فكما ينقصان بالعول فإنهما يزدان بالرد لغيرهما، فالعلة على هذا كونه وارثا صاحب فرض، فهذا هو الظاهر من دلالة المقدر هذا عند من لا يورث الزوجين بالرد، وهم جمهور القائلين بالرد، فعلى هذا تكون علة الرد كونه صاحب فرض قريبا، وعلى القول الآخر، أن الزوجين الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فتعين أن يرد على أهل الفروض بقدر فروضهم. ولما كان الزوجان ليسا من القرابة، لم يستحقا زيادة على فرضهم مستحق من عاصب قريب ولا بعيد، فإن رده على أحدهم ترجيح بغير مرجح، وإعطاؤه غيرهم ممن ليس بقريب للميت جنف وميل، ومعارضة لقوله: وأولو أن العول في الفرائض قد بينه الله في كتابه. وبعكس هذه الطريقة بعينها يعلم الرد فإن أهل الفروض إذا لم تستغرق فروضهم التركة وبقي شيء ليس له أننا نعطي كل واحد منهم نصيبه بقدر الإمكان، ونحاصص بينهم كديون الغرماء الزائدة على مال الغريم، ولا طريق موصل إلى ذلك إلا بالعول، فعلم من هذا عن فرضه الذي فرضه الله له، ونكمل للباقيين منهم فروضهم، وهذا ترجيح بغير مرجح، وليس نقصان أحدهم بأولى من الآخر، فتعينة الحال الثانية، وهي: التركة، ففي الحالتين الأوليين كل يأخذ فرضه كاملا. وفي الحالة الأخيرة وهي ما إذا زادت الفروض على التركة فلا يخلو من حالين: إما أن ننقص بعض الورثة يزاحم ولا يستحق شيئا، وإن لم يحجب بعضهم بعضا فلا يخلو، إما أن لا تستغرق الفروض التركة، أو تستغرقها من غير زيادة ولا نقص، أو تزيد الفروض على وذلك أن الله تعالى قد فرض وقدر لأهل الموارث أنصاء، وهم بين حالتين: إما أن يحجب بعضهم بعضا أو لا. فإن حجب بعضهم بعضا، فالمحجوب ساقط لا يحجب جد الميت أخاه؟ فليس مع من يورث الإخوة مع الجد، نص ولا إشارة ولا تنبيه ولا قياس صحيح. وأما مسائل العول فإنه يستفاد حكمها من القرآن، الإخوة لغير أم. وإذا كان ابن الابن بمنزلة ابن الصلب فلم لا يكون الجد بمنزلة الأب؟ وإذا كان جد الأب مع ابن الأخ قد اتفق العلماء على أنه يحجبه. فلم لا حكم الأب عند عدمه في ميراثه مع الأولاد وغيرهم من بني الإخوة والأعمام وبنيتهم، وسائر أحكام الموارث، فينبغي أيضا أن يكون حكمه حكمه في حجب فسمى الله الجد وجد الأب أباً، فدل ذلك على أن الجد بمنزلة الأب، يرث ما يرثه الأب، ويحجب من يحجبه. وإذا كان العلماء قد أجمعوا على أن الجد حكمه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق الآية. وقال يوسف عليه السلام: واتبعن ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب يحجب الإخوة أشقاء أو لأب أو لأم، كما يحجبهم الأب. وبيان ذلك: أن الجد أب في غير موضع من القرآن كقوله تعالى: إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما استطعتم وأما ميراث الجد مع الإخوة الأشقاء أو لأب، وهل يرثون معه أم لا؟ فقد دل كتاب الله على قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأن الجد قال تعالى: اعدلوا هو أقرب للتقوى وليس لنا طريق إلى العدل في مثل هذا أكثر من هذا الطريق المذكور. ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها فاتقوا الله العلم بذلك، لم نعطه أكثر التقديرين، لاحتمال ظلم من معه من الورثة، ولم نعطه الأقل، لاحتمال ظلمنا له. فوجب التوسط بين الأمرين، وسلوك أعدل الطريقين، فإن كان الذكر والأنثى لا يختلف إرثهما كالإخوة للأُم فالأمر فيه واضح، وإن كان يختلف إرثه بتقدير ذكوريته وبتقدير أنوثيته، ولم يبق لنا طريق إلى فالأمر فيه واضح. إن كان ذكرا فله حكم الذكور، ويشمله النص الوارد فيهم. وإن كان أنثى فله حكم الإناث، ويشمله النص الوارد فيهن. وإن كان مشكلا، مثابا ومعاقبا، بقدر ما فيه من موجبات ذلك، فهذا كذلك. وأما الخنثى فلا يخلو إما أن يكون واضحا ذكوريته أو أنوثيته، أو مشكلا. فإن كان واضحا قابلا للتملك، وما فيه من الرق فليس بقابل لذلك، فإذا يكون المبعوض، يرث ويورث، ويحجب بقدر ما فيه من الحرية. وإذا كان العبد يكون محمودا مذموما، فعلم أنه لا ميراث له. وأما من بعضه حر وبعضه رقيق فإنه تتبع بعض أحكامه. فما فيه من الحرية يستحق بها ما رتبته الله في الموارث، لكون ما فيه من الحرية للذكر مثل حظ الأنثيين. ولكم نصف ما ترك أزواجكم فللكل واحد منهما السدس ونحوها لمن يتأتى منه التملك، وأما الرقيق فلا يتأتى منه ذلك، لأنه ليس له مال يورث عنه، بل كل ما معه فهو لسيدته. وأما كونه لا يرث فلا يملك، فإنه لو ملك لكان لسيدته، وهو أجنبي من الميت فيكون مثل قوله تعالى: فلا يقع بينهما التوارث. وأسرار مفردات القرآن ومركباته فوق عقول العالمين انتهى. وأما الرقيق فإنه لا يرث ولا يورث، أما كونه لا يورث فواضح،

## تفسير السعدي

تعالى: ولكم نصف ما ترك أزواجكم إيدانا بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب، المجردة. قال ابن القيم في جلاء الأفهام: وتأمل هذا المعنى في آية المواريث، وتعليقه سبحانه التوارث فيها بلفظ الزوجة دون المرأة، كما في قوله به. فيكون قوله تعالى: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إذا اتفقت أديانهم، وأما مع تباينهم فالأخوة الدينية مقدمة على الأخوة النسبية لقيام المانع. يوضح ذلك أن الله تعالى قد جعل حقوق المسلمين أولى من حقوق الأقارب الكفار الدنيوية، فإذا مات المسلم انتقل ماله إلى من هو أولى وأحق النسب الموجب للإرث، والمانع الذي هو المخالفة في الدين الموجبة للمباينة من كل وجه، فقوي المانع ومنع موجب الإرث الذي هو النسب، فلم يعمل الموجب أن من استعجل شيئاً قبل أوانه عوقب بحرمانه وبهذا ونحوه يعرف أن المخالف لدين الموروث لا إرث له، وذلك أنه قد تعارض الموجب الذي هو اتصال أن القتل أكبر مانع يمنع الميراث، ويقطع الرحم الذي قال الله فيه: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله مع أنه قد استقرت القاعدة الشرعية علم أن القاتل قد سعى لمورثه بأعظم الضرر، فلا ينتهض ما فيه من موجب الإرث أن يقاوم ضرر القتل الذي هو ضد النفع الذي رتب عليه الإرث. فعلم من ذلك الإلهية في توزيع المال على الورثة بحسب قربهم ونفعهم الديني والدنيوي. وقد أشار تعالى إلى هذه الحكمة بقوله: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا وقد وإشارات دقيقة يعسر فهمها على غير المتأمل تدل على جميع المذكورات. فأما القاتل والمخالف في الدين فيعرف أنهم غير وارثين من بيان الحكمة والجدد مع الإخوة لغير أم، والعول، والرد، وذوي الأرحام، وبقية العصبة، والأخوات لغير أم مع البنات أو بنات الابن من القرآن أم لا؟ قيل: نعم، فيه تنبيهات الابن. وإن كان الإخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين. فإن قيل: فهل يستفاد حكم ميراث القاتل، والرقيق، والمخالف في الدين، والمبعض، والخنثى، والباقي من الثلثين للأخت أو الأخوات لأب وهو السدس تكملة الثلثين. وإذا استغرقت الشقيقات الثلثين سقط الأخوات للأب كما تقدم في البنات وبنات الله يفتيكم في الكلالة الآية. فالأخت الواحدة شقيقة أو لأب لها النصف، والثلثان لهما الثلثان، والشقيقة الواحدة مع الأخت للأب أو الأخوات تأخذ النصف، المسألة لا يبقى بعدهم شيء، فيسقط الأشقاء، وهذا هو الصواب في ذلك. وأما ميراث الإخوة والأخوات الأشقاء أو لأب، فمذكور في قوله: يستفتونك قل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر وأهل الفروض هم الذين قدر الله أنصباهم، ففي هذه الأشقاء، لأن الله أضاف الثلث للإخوة من الأم، فلو شاركهم الأشقاء لكان جمعا لما فرق الله حكمه. وأيضا فإن الإخوة للأم أصحاب فروض، والأشقاء عصباء. الإخوة الأشقاء يسقطون في المسألة المسماة بالحمارية. وهى: زوج، وأم، وإخوة لأم، وإخوة أشقاء. للزوج النصف، وللأم السدس، وللأخوة للأم الثلث، ويسقط وإن علوا، يسقطون أولاد الأم، لأن الله لم يورثهم إلا في الكلالة، فلو لم يكن يورث كلاله، لم يرثوا منه شيئاً اتفاقاً. ودل قوله: فهم شركاء في الثلث أن فهم شركاء في الثلث أن ذكرهم وأثأهم سواء، لأن لفظ التشريك يقتضي التسوية. ودل لفظ الكلالة على أن الفروع وإن نزلوا، والأصول الذكور الأخ والأخت السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك أي: من واحد فهم شركاء في الثلث أي: لا يزيدون على الثلث ولو زادوا عن اثنين. ودل قوله: بنت ابن وإن نزلوا. وهذه هي الكلالة كما فسرنا بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد حصل على ذلك الاتفاق ولله الحمد. فلكل واحد منهما أي: من أجمع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأم، فإذا كان يورث كلاله أي: ليس للميت والد ولا ولد أي: لا أب ولا جد ولا ابن ولا بنت ولا أو من غيره، ويخرج عنه ولد البنات إجماعاً. ثم قال تعالى: وإن كان رجل يورث كلاله أو امرأة وله أخ أو أخت أي: من أم، كما هي في بعض القراءات. بعد وصية توصون بها أو دين ويدخل في مسمى الولد المشروط وجوده أو عدمه، ولد الصلب أو ولد الابن الذكر والأنثى، الواحد والمتعدد، الذي من الزوج ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركن إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركن من ولكم أيها الأزواج نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن

وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه، مستقرهم النار. ولا يجدون عنها محيصاً أي: مخلصاً ولا ملجأ بل هم خالدون فيها أبد الآباد. 120 الأمانى الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال: وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم أي: من انقاد للشيطان الشيطان يخوف أوليائه الآية. ويخوفهم عند إثارة مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير، وكذلك يمينهم الوعيد كما قال تعالى: الشيطان يعدكم الفقر فإنه يعدمهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: إنما ذلكم يعدهم ويمنيهم أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، والوعد يشمل حتى

وأعرض عن ربه، وصار من أتباع إبليس وحزبه، مستقرهم النار. ولا يجدون عنها محيصاً أي: مخلصاً ولا ملجأ بل هم خالدون فيها أبد الآباد. 121 الأمانى الباطلة التي هي عند التحقيق كالسراب الذي لا حقيقة له، ولهذا قال: وما يعدمهم الشيطان إلا غرورا أولئك مأواهم جهنم أي: من انقاد للشيطان الشيطان يخوف أوليائه الآية. ويخوفهم عند إثارة مرضاة الله بكل ما يمكن وما لا يمكن مما يدخله في عقولهم حتى يكسلوا عن فعل الخير، وكذلك يمينهم الوعيد كما قال تعالى: الشيطان يعدكم الفقر فإنه يعدمهم إذا أنفقوا في سبيل الله افتقروا، ويخوفهم إذا جاهدوا بالقتل وغيره، كما قال تعالى: إنما ذلكم يعدهم ويمنيهم أي: يعد الشيطان من يسعى في إضلالهم، والوعد يشمل حتى

يدل عليه مطابقة وتضمناً وملزمة كل ذلك مراد من كلامه، وكذلك كلام رسوله صلى الله عليه وسلم لكونه لا يخبر إلا بأمره ولا ينطق إلا عن وجهه. 122 وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قليلاً فصدق الله العظيم الذي بلغ قوله وحديثه في الصدق أعلى ما يكون، ولهذا لما كان كلامه صدقاً وخبره حقاً، كان ما الرب الكريم، وماذا حصل لهم من كل خير وبهجة لا يصفه الواصفون، وتمازج ذلك وكماله الخلود الدائم في تلك المنازل العاليات، ولهذا قال: خالدين فيها أبداً والأسماع بخطابه الذي ينسبهم كل نعيم وسرور، ولولا الثبات من الله لهم لطاروا وماتوا من الفرح والحبور، فله ما أحلى ذلك النعيم وما أعلى ما أنالهم

## تفسير السعدي

والنعم السابغة، وتزاور الإخوان، وتذكرهم ما كان منهم في رياض الجنان، وأعلى من ذلك كله وأجل رضوان الله عليهم وتمتع الأرواح بقربه، والعيون برؤيته، أنواع المأكّل والمشرب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور، والغرف المزخرفة، والأشجار المتدلّية، والفاواكه المستغربة، والأصوات الشجية، ولهذا ذكر الثواب المرتب على ذلك بقوله: سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من ذلك بحسب ما أحل به من الإيمان والعمل، وذلك بحسب ما علم من حكمة الله ورحمته، وكذلك وعده الصادق الذي يعرف من تتبع كتاب الله وسنة رسوله. والذي على اللسان، والذي على بقية الجوارح. كل له من الثواب المرتب على ذلك بحسب حاله ومقامه، وتكميله للإيمان والعمل الصالح. ويفوته ما رتب على الوجه الذي أمروا به علما وتصديقا وإقرارا. وعملوا الصالحات الناشئة عن الإيمان؟ وهذا يشمل سائر الأمور من واجب ومستحب، الذي على القلب، أي: آمنوا بالله وملأنكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره على

أو ناصر أو شافع يدفع عنه ما استحقه، فأخبر تعالى بانتفاء ذلك، فليس له ولي يحصل له المطلوب، ولا نصير يدفع عنه المروء، إلا ربه ومليكه. 123 كما دلت على ذلك النصوص. وقوله: ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا لإزالة بعض ما لعله يتوهم أن من استحق المجازاة على عمله قد يكون له ولي قيضها الله لطفا بعباده، وبين هذين الحالين مراتب كثيرة. وهذا الجزاء على عمل السوء العام مخصوص في غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، الصغار فما يصيبه من الهم والغم والأذى وبعض الآلام في بدنه أو قلبه أو حبيبه أو ماله ونحو ذلك فإنها مكفّرات للذنوب، وهي مما يجزى به على عمله، فإذا مات من دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم. ومن كان عمله صالحا، وهو مستقيم في غالب أحواله، وإنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب لكل جزاء قليل أو كثير، دينوي أو أخروي. والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فمن كان عمله كله سوءا وذلك لا يكون إلا كافرا. أو تكذّبا ولهذا قال تعالى: من يعمل سوءا يجز به وهذا شامل لجميع العاملين، لأن السوء شامل لأي ذنب كان من صفائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضا إلى الإسلام لكامل العدل والإنصاف، فإن مجرد الانتساب إلى أي دين كان، لا يفيد شيئا إن لم يأت الإنسان ببرهان على صحة دعواه، فالأعمال تصدق الدعوى الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانهم وغيرهم ممن ليس ينتسب لكتاب ولا رسول من باب أولى وأحرى. وكذلك أدخل الله في ذلك من ينتسب عورضت بمثلها كانت من جنسها. وهذا عام في كل أمر، فكيف بأمر الإيمان والسعادة الأبدية؟! فإن أمانى أهل الكتاب قد أخبر الله بها أنهم قالوا: لن يدخل أي: ليس الأمر والنجاة والتزكية بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب والأمانى: أحاديث النفس المجردة عن العمل، المقترن بها دعوى مجردة لو

على ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ولا يظلمون نقيرا أي: لا قليلا ولا كثيرا مما عملوه من الخير، بل يجدونه كاملا موفرا، مضاعفا أضعافا كثيرة. 124 كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل أطلق، فإنه مقيد به. فأولئك أي: الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح يدخلون الجنة المشتملة بها العقاب إلا بالإيمان. فالأعمال بدون الإيمان كأغصان شجرة قطع أصلها وكبناء بني على موج الماء، فالإيمان هو الأصل والأساس والقاعدة التي يبنى عليه صغير أو كبير، ذكر أو أنثى. ولهذا قال: من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وهذا شرط لجميع الأعمال، لا تكون صالحة ولا تقبل ولا يترتب عليها الثواب ولا يندفع ومن يعمل من الصالحات دخل في ذلك سائر الأعمال القلبية والبدنية، ودخل أيضا كل عامل من إنس أو جن،

لعموم المؤمنين، وإنما اتخذ الله إبراهيم خليلا لأنه وفي بما أمر به وقام بما ابتلي به، فجعله الله إماما للناس، واتخذة خليلا، ونوه بذكره في العالمين. 125 واتخذ الله إبراهيم خليلا والخلة أعلى أنواع المحبة، وهذه المرتبة حصلت للخليين محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وأما المحبة من الله فهي لخواص خلقه وأتباعهم. واتبع ملة إبراهيم أي: دينه وشرعه حنيفا أي: مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وعن التوجه للخلق إلى الإقبال على الخالق، وتوجه الوجه وسائر الأعضاء لله. وهو مع هذا الإخلاص والاستسلام محسن أي: متبع لشريعة الله التي أرسل بها رسله، وأنزل كتبه، وجعلها طريقا أي: لا أحد أحسن من دين من جمع بين الإخلاص للمعبود، وهو إسلام الوجه لله الدال على استسلام القلب وتوجهه وإنابته وإخلاصه،

ونفذت مشيئته وقدرته بجميع الموجودات، ووسعت رحمته أهل الأرض والسموات، وقهر بعزه وقهره كل مخلوق، ودانت له جميع الأشياء. 126 الجميع ملكه وعبده، فهم المملوكون وهو المالك المتفرد بتدبيرهم، وقد أحاط علمه بجميع المعلومات، وبصره بجميع المبصرات، وسمعه بجميع المسموعات، وهذه الآية الكريمة فيها بيان إحاطة الله تعالى بجميع الأشياء، فأخبر أنه له ما في السموات وما في الأرض أي:

كان الخير متعديا أو لازما فإن الله كان به عليما أي: قد أحاط علمه بعمل العاملين للخير، قلة وكثرة، حسنا وضده، فيجازي كلا بحسب عمله. 127 الحث على القيام بمصالح من لا يقوم بمصلحة نفسه لضعفه وفقد أبيه. ثم حث على الإحسان عموما فقال: وما تفعلوا من خير لليتامى ولغيرهم سواء إلا بالتي هي أحسن، وكذلك لا يحابون فيهم صديقا ولا غيره، في تزوج وغيره، على وجه الهضم لحقوقهم. وهذا من رحمته تعالى بعباده، حيث حث غاية فيكون الأولياء مكلفين بذلك، يلزمونهم بما أوجبه الله. ويشمل القيام عليهم في مصالحهم الدنيوية بتنمية أموالهم وطلب الأحظ لهم فيها، وأن لا يقربوها على أموالهم على وجه الظلم والاستبداد. وأن تقوموا لليتامى بالقسط أي: بالعدل التام، وهذا يشمل القيام عليهم بإلزامهم أمر الله وما أوجبه على عباده، كما ذكرنا تمثيلا. والمستضعفين من ولدان أي: ويفتيكم في المستضعفين من ولدان الصغار، أن تعطوهم حقهم من الميراث وغيره وأن لا تستولوا في مهرها، بل يعطيها دون ما تستحق، فكل هذا ظلم يدخل تحت هذا النص ولهذا قال: وترغبون أن تنكحوهن أي: ترغبون عن نكاحهن أو في نكاحهن من استخراجها من يده إن زوجها، أو يأخذ من مهرها الذي تتزوج به بشرط أو غيره، هذا إذا كان راغبا عنها، أو يرغب فيها وهي ذات جمال ومال ولا يقسط الواقعة في ذلك الوقت، فإن اليتيمة إذا كانت تحت ولاية الرجل بخسها حقها وظلمها، إما بأكل مالها الذي لها أو بعضه، أو منعها من التزوج لينتفع بمالها، خوفا

## تفسير السعدي

يتامى النساء أي: ويفتيكم أيضا بما يتلى عليكم في الكتاب في شأن اليتامى من النساء. اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن. وهذا إخبار عن الحالة الموجودة والكبار، ثم خص بعد التعميم الوصية بالضعاف من اليتامى والولدان اهتماما بهم وزجرا عن التفريط في حقوقهم فقال: وما يتلى عليكم في الكتاب في شؤون النساء، من القيام بحقوقهن وترك ظلمهن عموما وخصوصا. وهذا أمر عام يشمل جميع ما شرع الله أمرا ونهيا في حق النساء الزوجات وغيرهن، الصغار الرسول صلى الله عليه وسلم في حكم النساء المتعلق بهم، فتولى الله هذه الفتوى بنفسه فقال: قل الله يفتيكم فيهن فاعملوا على ما أفتاكم به في جميع الاستفتاء: طلب السائل من المسئول بيان الحكم الشرعي في ذلك المسئول عنه. فأخبر عن المؤمنين أنهم يستفتون

المأمور، وتتقوا بترك المحظور فإن الله كان بما تعملون خبيرا قد أحاط به علما وخبرا، بظاهره وباطنه، فيحفظه لكم، ويجازيكم عليه أتم الجزاء. 128 المخلوقين بجميع طرق الإحسان، من نفع بمال، أو علم، أو جاه، أو غير ذلك. وتتقوا الله بفعل جميع المأمورات، وترك جميع المحظورات. أو تحسنوا بفعل خصمه مثله اشتد الأمر. ثم قال: وإن تحسنوا وتتقوا أي: تحسنوا في عبادة الخالق بأن يعبد العبد ربه كأنه يراه فإن لم يكن يراه فإنه يراه، وتحسنوا إلى المطلوب. بخلاف من لم يجتهد في إزالة الشح من نفسه، فإنه يعسر عليه الصلح والموافقة، لأنه لا يرضيه إلا جميع ماله، ولا يرضى أن يؤدي ما عليه، فإن كان والاقتناع ببعض الحق الذي لك. فمتى وفق الإنسان لهذا الخلق الحسن سهل حينئذ عليه الصلح بينه وبين خصمه ومعامله، وتسهلت الطريق للوصول إلى مجبولة على ذلك طبعاً، أي: فينبغي لكم أن تحرصوا على قلع هذا الخلق الدنيء من نفوسكم، وتستبدلوا به ضده وهو السماحة، وهو بذل الحق الذي عليك؛ المانع بقوله: وأحضرت الأنفس الشح أي: جبلت النفوس على الشح، وهو: عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس المقتضي لذلك ونبه على أنه خير، والخير كل عاقل يطلبه ويرغب فيه، فإن كان مع ذلك قد أمر الله به وحث عليه ازداد المؤمن طلباً له ورغبة فيه. وذكر وإنما يكون جوراً. واعلم أن كل حكم من الأحكام لا يتم ولا يكمل إلا بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه، فمن ذلك هذا الحكم الكبير الذي هو الصلح، فذكر تعالى منها على كل حقه، لما فيها من الإصلاح وبقاء الألفة والاتصاف بصفة السماح. وهو جائز في جميع الأشياء إلا إذا أحل حراماً أو حرم حلالاً، فإنه لا يكون صلحاً الفرقه، ولهذا قال: والصلح خير ويؤخذ من عموم هذا اللفظ والمعنى أن الصلح بين من بينهما حق أو منازعة في جميع الأشياء أنه خير من استقصاء كل أو لضرته. فإذا اتفقا على هذه الحالة فلا جناح ولا بأس عليهما فيها، لا عليها ولا على الزوج، فيجوز حينئذ لزوجها البقاء معها على هذه الحال، وهي خير من على وجه تبقى مع زوجها، إما أن ترضى بأقل من الواجب لها من النفقة أو الكسوة أو المسكن، أو القسم بأن تسقط حقها منه، أو تهب يومها وليلتها لزوجها زوجها أي: ترفعه عنها وعدم رغبته فيها وإعراضه عنها، فالأحسن في هذه الحالة أن يصلحاً بينهما صلحاً بأن تسمح المرأة عن بعض حقوقها اللازمة لزوجها أي: إذا خافت المرأة نشوز

فإن الله كان غفورا رحيمًا يغفر ما صدر منكم من الذنوب والتقصير في الحق الواجب، ويرحمكم كما عطفتم على أزواجكم ورحمتموهن. 129 فيما تنازعوا فيه، وهذا يستلزم الحث على كل طريق يوصل إلى الصلح مطلقاً كما تقدم. وتتقوا الله بفعل المأمور وترك المحظور، والصبر على المقدور. وبين زوجاتكم، بإجبار أنفسكم على فعل ما لا تهواه النفس، احتساباً وقياماً بحق الزوجة، وتصلحوا أيضاً فيما بينكم وبين الناس، وتصلحوا أيضاً بين الناس فإن الزوجة إذا ترك زوجها ما يجب لها، صارت كالمعلقة التي لا زوج لها فتستريح وتستعد للزوج، ولا ذات زوج يقوم بحقوقها. وإن تصلحوا ما بينكم وحقوقهن الواجبة، بل افعلوا ما هو باستطاعتكم من العدل. فالنفقة والكسوة والقسم ونحوها عليكم أن تعدلوا بينهما فيها، بخلاف الحب والوطء ونحو ذلك، غير ممكن، فلذلك عفا الله عما لا يستطيع، ونهى عما هو ممكن بقوله: فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة أي: لا تميلوا ميلاً كثيراً بحيث لا تؤدون بين النساء، وذلك لأن العدل يستلزم وجود المحبة على السواء، والداعي على السواء، والميل في القلب إليهن على السواء، ثم العمل بمقتضى ذلك. وهذا متعذر يخبر تعالى: أن الأزواج لا يستطيعون وليس في قدرتهم العدل التام

والنجاة من النار. وذلك الفوز العظيم الذي حصل به النجاة من سخطه وعذابه، والفوز بثوابه ورضوانه بالنعيم المقيم الذي لا يصفه الواصفون. 13 بالله، ثم المعاصي على اختلاف طبقاتها يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها فمن أدى الأوامر واجتنب النواهي فلا بد له من دخول الجنة ذلك فقال: ومن يطع الله ورسوله بامتثال أمرهما الذي أعظمه طاعتهما في التوحيد، ثم الأوامر على اختلاف درجاتها واجتناب نهيهما الذي أعظمه الشرك مع قوله صلى الله عليه وسلم: لا وصية لوارث ثم ذكر طاعة الله ورسوله ومعصيتهما عموماً ليدخل في العموم لزوم حدوده في الفرائض أو ترك على أن الوصية للوارث منسوخة بتقديره تعالى أنصأه الوارثين. ثم قوله تعالى: تلك حدود الله فالوصية للوارث بزيادة على حقه يدخل في هذا التعدي، أي: تلك التفاصيل التي ذكرها في الموارث حدود الله التي يجب الوقوف معها وعدم مجاوزتها، ولا القصور عنها، وفي ذلك دليل

أي: يعطي بحكمة، ويمنع لحكمة. فإذا اقتضت حكمته منع بعض عبادته من إحسانه، بسبب من العبد لا يستحق معه الإحسان، حرمة عدلاً وحكمة. 130 الله يرزقها زوجها خيراً منه، وكان الله واسعاً أي: كثير الفضل واسع الرحمة، وصلت رحمته وإحسانه إلى حيث وصل إليه علمه، ولكنه مع ذلك حكيماً الشامل. فيغني الزوج بزوجة خير له منها، ويغنيها من فضله وإن انقطع نصيبها من زوجها، فإن رزقها على المتكفل بأرزاق جميع الخلق، القائم بمصالحهم، ولعل لا بأس بالفراق، فقال: وإن يتفرقا أي: بطلاق أو فسخ أو خلع أو غير ذلك يغن الله كلا من الزوجين من سعته أي: من فضله وإحسانه الواسع هذه الحالة الثالثة بين الزوجين، إذا تعذر الاتفاق فإنه

أحسن اقتتران هذين الاسمين الكريمين الغني الحميد !! فإنه غني محمود، فله كمال من غناه، وكمال من حمده، وكمال من اقتتران أحدهما بالآخر. 131



## تفسير السعدي

وثناء وإكرام، وذلك لما اتصف به من صفات الحمد، التي هي صفة الجمال والجلال، ولما أنعم به على خلقه من النعم الجزال، فهو المحمود على كل حال. وما المطالب والأسئلة وأغناهم وأقناهم، ومن عليهم بلطفه وهداهم. وأما الحميد فهو من أسماء الله تعالى الجليلة الدال على أنه هو المستحق لكل حمد ومحبة تدابير ملكه. ومن كمال غناه افتقار العالم العلوي والسفلي في جميع أحوالهم وشئونهم إليه وسؤالهم إياه جميع حوائجهم الدقيقة والجليلة، فقام تعالى بتلك الكمال، بل له كل صفة كمال، ومن تلك الصفة كمالها، ومن تمام غناه أنه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، ولا شريكا في ملكه ولا ظهيرا، ولا معاونا له على شيء من كلام، إنما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون. ومن تمام غناه أنه كامل الأوصاف، إذ لو كان فيه نقص بوجه من الوجوه، لكان فيه نوع افتقار إلى ذلك أهل السماوات وأهل الأرض أولهم وآخرهم، فسأل كل واحد منهم ما بلغت أمانيه ما نقص من ملكه شيئا، ذلك بأنه جواد واجد ماجد، عطاؤه كلام وعذابه وكان الله غنيا حميدا له الجود الكامل والإحسان الشامل الصادر من خزائن رحمته التي لا ينقصها الإنفاق ولا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، لو اجتمع ملكه، وله عبيد خير منكم وأعظم وأكثر، مطيعون له خاضعون لأمره. ولهذا رتب على ذلك قوله: وإن تكفروا فإن لله ما في السماوات وما في الأرض قال: وإن تكفروا بأن تتركوا تقوى الله، وتشركوا بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فإنكم لا تضررون بذلك إلا أنفسكم، ولا تضررون الله شيئا ولا تنقصون السابقة واللاحقة بالتقوى المتضمنة للأمر والنهي، وتشريع الأحكام، والمجازاة لمن قام بهذه الوصية بالثواب، والمعاقبة لمن أهملها وضيعها بأليم العذاب، ولهذا ملكه العظيم الواسع المستلزم تدبيره بجميع أنواع التدبير، وتصرفه بأنواع التصريف قدرا وشرعا، فتصرفه الشرعي أن وصى الأولين والآخرين أهل الكتب يخبر تعالى عن عموم

والقدرة على تنفيذه وتدبيره، وكون ذلك التدبير على وجه الحكمة والمصلحة، فما نقص من ذلك فهو لنقص بالوكيل، والله تعالى منزه عن كل نقص. 132 الأرض، وأنه على كل شيء وكيل، أي: عالم قائم بتدبير الأشياء على وجه الحكمة، فإن ذلك من تمام الوكالة، فإن الوكالة تستلزم العلم بما هو وكيل عليه، والقوة ثم كرر إحاطة ملكه لما في السماوات وما في

منكم، وفي هذا تهديد للناس على إقامتهم على كفرهم وإعراضهم عن ربهم، فإن الله لا يعبأ بهم شيئا إن لم يطيعوه، ولكنه يمهل ويملي ولا يهمل. 133 أي: هو الغني الحميد الذي له القدرة الكاملة والمشينة النافذة فيكم إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين غيركم هم أطوع لله منكم وخير به، والافتقار إليه على الدوام. وله الحكمة تعالى في توفيق من يوفقه، وخذلان من يخذله وفي عطائه ومنعه، ولهذا قال: وكان الله سميعا بصيرا 134 لكل شيء الذي عنده ثواب الدنيا والآخرة، فليطلب منه ويستعان به عليهما، فإنه لا ينال ما عنده إلا بطاعته، ولا تدرك الأمور الدينية والدنيوية إلا بالاستعانة ثواب الدنيا، وليس له إرادة في الآخرة فإنه قد قصر سعيه ونظره، ومع ذلك فلا يحصل له من ثواب الدنيا سوى ما كتب الله له منها، فإنه تعالى هو المالك ثم أخبر أن من كانت همته وإرادته دنية غير متجاوزة

يلوي أو يعرض. ومن باب أولى وأحرى الذي يحكم بالباطل أو يشهد بالزور، لأنه أعظم جرما، لأن الأولين تركا الحق، وهذا ترك الحق وقام بالباطل. 135 الحاكم لحكمه الذي يجب عليه القيام به. فإن الله كان بما تعملون خبيرا أي: محيط بما فعلتم، يعلم أعمالكم خفيها وجليها، وفي هذا تهديد شديد للذي تكميلها، أو تأويل الشاهد على أمر آخر، فإن هذا من اللي لأنه الانحراف عن الحق. أو تعرضوا أي: تتركوا القسط المنوط بكم، كترك الشاهد لشهادته، وترك لي اللسان عن الحق في الشهادات وغيرها، وتحريف النطق عن الصواب المقصود من كل وجه، أو من بعض الوجوه، ويدخل في ذلك تحريف الشهادة وعدم الحق ويتركه لأجل هواه، فمن سلم من هوى نفسه وفق للحق وهدي إلى الصراط المستقيم. ولما بين أن الواجب القيام بالقسط نهى عن ما يضاد ذلك، وهو للحق، فإنكم إن اتبعتموها عدلتم عن الصواب، ولم توفقوا للعدل، فإن الهوى إما أن يعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلا والباطل حقا، وإما أن يعرف العمل به. وأعظم عائق لذلك اتباع الهوى، ولهذا نبه تعالى على إزالة هذا المانع بقوله: فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا أي: فلا تتبعوا شهوات أنفسكم المعارضة من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يهتم له غاية الاهتمام، وأن يجعله نصب عينيه، ومحل إرادته، وأن يزيل عن نفسه كل مانع وعائق يعوقه عن إرادة القسط أو ولا الفقير بزعمكم رحمة له، بل اشهدوا بالحق على من كان. والقيام بالقسط من أعظم الأمور وأدل على دين القائم به، وورعه ومقامه في الإسلام، فيتعين على على الأحياء بل على النفس، ولهذا قال: شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي: فلا تراعوا الغني لغناه، يحكم لأحد القولين أو أحد المتنازعين لانتسابه أو ميله لأحدهما، بل يجعل وجهته العدل بينهما، ومن القسط أداء الشهادة التي عندك على أي وجه كان، حتى النفقات الواجبة، والديون، وتعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به، من الأخلاق والمكافأة وغير ذلك. ومن أعظم أنواع القسط القسط في المقالات والقائلين، فلا الله أن لا يستعان بنعمه على معصيته، بل تصرف في طاعته. والقسط في حقوق الأدميين أن تؤدي جميع الحقوق التي عليك كما تطلب حقوقك. فتؤدي بالقسط شهداء لله والقوام صيغة مبالغة، أي: كونوا في كل أحوالكم قائمين بالقسط الذي هو العدل في حقوق الله وحقوق عباده، فالقسط في حقوق يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين

الموصلة له إلى العذاب الأليم؟ واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات كالكفر بجميعها، لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض 136 ومن يكفر بالله وملأنكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا وأي ضلال أبعد من ترك طريق الهدى المستقيم، وسلك الطريق الذي لا يكون العبد مؤمنا إلا به، إجمالا فيما لم يصل إليه تفصيله وتفصيلا فيما علم من ذلك بالتفصيل، فمن آمن هذا الإيمان المأمور به، فقد اهتدى وأنجح. يأبها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وأمر هنا بالإيمان به وبرسوله، وبالقرآن وبالكتب المتقدمة، فهذا كله من الإيمان الواجب

## تفسير السعدي

الظاهرة والباطنة، كلها من الإيمان كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة، وأجمع عليه سلف الأمة. ثم الاستمرار على ذلك والثبات عليه إلى الممات كما قال تعالى: الأمر بما لم يوجد من المؤمن من علوم الإيمان وأعماله، فإنه كلما وصل إليه نص وفهم معناه واعتقده فإن ذلك من الإيمان المأمور به. وكذلك سائر الأعمال من أمر المؤمنين بالإيمان، فإن ذلك يقتضي أمرهم بما يصح إيمانهم من الإخلاص والصدق، وتجنب المفسدات والتوبة من جميع المنقصات. ويقتضي أيضا مصداقا لما معكم الآية. وإما أن يوجه إلى من دخل في الشيء فهذا يكون أمره ليصح ما وجد منه ويحصل ما لم يوجد، ومنه ما ذكره الله في هذه الآية الشيء ولم يتصف بشيء منه، فهذا يكون أمرا له في الدخول فيه، وذلك كأمر من ليس بمؤمن بالإيمان، كقوله تعالى: يأيتها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا أعلم أن الأمر إما أن يوجه إلى من لم يدخل في

منهم الردة. وإذا كان هذا الحكم في الكفر فغيره من المعاصي التي دونه من باب أولى أن العبد لو تكررت منه ثم عاد إلى التوبة، عاد الله له بالمغفرة. 137 كما لم يؤمنوا به أول مرة ودلت الآية: أنهم إن لم يزدادوا كفرا بل رجعوا إلى الإيمان، وتركوا ما هم عليه من الكفران، فإن الله يغفر لهم، ولو تكررت لكونه أتى بأعظم مانع يمنع من حصولها. فإن كفره يكون عقوبة وطعلا لا يزول كما قال تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ونقلب أفئدتهم وأبصارهم الكفر بعد الإيمان فاهتدى ثم ضل، وأبصر ثم عمي، وآمن ثم كفر واستمر على كفره وازداد منه، فإنه بعيد من التوفيق والهداية لأقوم الطريق، وبعيد من المغفرة أي: من تكرر منه

من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم. 138 ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون. والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيتته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك، فاتخذوا الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأى شيء حملهم على ذلك؟ أبيتغون عندهم العزة؟ وهذا هو الواقع من الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: بشر المنافقين أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأفبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب تفسير اليتين 138 و139: البشارة تستعمل في

من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم. 139 ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون. والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيتته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك، فاتخذوا الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأى شيء حملهم على ذلك؟ أبيتغون عندهم العزة؟ وهذا هو الواقع من الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: بشر المنافقين أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأفبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب تفسير اليتين 138 و139: البشارة تستعمل في

وقد دلت النصوص المتواترة على أن الموحدين الذين معهم طاعة التوحيد، غير مخلدين في النار، فما معهم من التوحيد مانع لهم من الخلود فيها. 14 يدخل فيها الشرك فما دونه، دخل النار وخلد فيها، ومن اجتمع فيه معصية وطاعة، كان فيه من موجب الثواب والعقاب بحسب ما فيه من الطاعة والمعصية. طاعته وطاعة رسوله. ورتب دخول النار على معصيته ومعصية رسوله، فمن أطاعه طاعة تامة دخل الجنة بلا عذاب. ومن عصى الله ورسوله معصية تامة مهين ويدخل في اسم المعصية الكفر فما دونه من المعاصي، فلا يكون فيها شبهة للخارج القائلين بكفر أهل المعاصي فإن الله تعالى رتب دخول الجنة على ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب

مجرد كونهم في الظاهر مع المؤمنين كما قال تعالى: يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم إلى آخر الآيات. 140 عليه الإنكار عليهم مع القدرة، أو القيام مع عدمها. إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا كما اجتمعوا على الكفر والموالاة ولا ينفع الكافرين في الحال المذكورة مثلهم لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن من حضر مجلسا يعصى الله به، فإنه يتعين لعباده ومنتهى هذا النهي عن القعود معهم حتى يخوضوا في حديث غيره أي: غير الكفر بآيات الله والاستهزاء بها. إنكم إذا أي: إن قعدتم معهم إلا على حق، ولا تستلزم إلا صدقا، بل وكذلك يدخل فيه حضور مجالس المعاصي والفسوق التي يستهان فيها بأوامر الله ونواهيه، وتقبح حدوده التي حدها والمنافقين لإبطال آيات الله ونصر كفرهم. وكذلك المبتدعون على اختلاف أنواعهم، فإن احتجاجهم على باطلهم يتضمن الاستهانة بآيات الله لأنها لا تدل وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خلق الله الخلق لأجله، فسد الإيمان الكفر بها، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها، ويدخل في ذلك مجادلة الكفار أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها أي: يستهان بها. وذلك أن الواجب على كل مكلف في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها، أي: وقد بين الله لكم فيما أنزل عليكم حكمه الشرعي عند حضور مجالس الكفر والمعاصي

الكافرة، قد بقوا محترمين لا يتعرضون لأديانهم ولا يكونون مستصغرين عندهم، بل لهم العز التام من الله، فله الحمد أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا. 141

## تفسير السعدي

من خالفهم، ولا يزال الله يحدث من أسباب النصر للمؤمنين، ودفع لتسلط الكافرين، ما هو مشهود بالعيان. حتى إن بعض المسلمين الذين تحكمهم الطوائف ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أي: تسلطا واستيلاء عليهم. بل لا تزال طائفة من المؤمنين على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم ولا ذلك مما هو معروف منهم. فالله يحكم بينكم يوم القيامة فيجازي المؤمنين ظاهرا وباطنا بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات. أي: يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع في تنفيذهم وتزهيدهم في القتال، ومظاهرة الأعداء عليهم، وغير بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر، حكمة من الله. فإذا كان ذلك قالوا ألم نستحوذ عليكم أي: نستولي عليكم ومنعكم من المؤمنين عليهم، وليشركوهم في الغنيمة والفىء ولينتصروا بهم. وإن كان للكافرين نصيب ولم يقل فتح؛ لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، أعدوا لكل حالة جوابا بحسب نفاقهم. فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ليسلموا من القدر والظعن موالاة المنافقين للكافرين ومعاداتهم للمؤمنين فقال: الذين يتربصون بكم أي: ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها، وتنتهون إليها من خير أو شر، قد ثم ذكر تحقيق

لله، فهذا لا يذكرون الله إلا قليلا لامتلاء قلوبهم من الرياء، فإن ذكر الله تعالى وملازمته لا يكون إلا من مؤمن ممتلئ قلبه بمحبة الله وعظمته. 142 الكسل، يراءون الناس أي: هذا الذي انطوت عليه سرائرهم وهذا مصدر أعمالهم، مراءاة الناس، يقصدون رؤية الناس وتعظيمهم واحترامهم ولا يخلصون لها متبرمين من فعلها، والكسل لا يكون إلا من فقد الرغبة من قلوبهم، فلولا أن قلوبهم فارغة من الرغبة إلى الله وإلى ما عنده، عادمة للإيمان، لم يصدر منهم ألم نكن معكم إلى آخر الآيات. و من صفاتهم أنهم إذا قاموا إلى الصلاة إن قاموا التي هي أكبر الطاعات العملية قاموا كسالى متثاقلين للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم وظننا من العقل والمكر، فله ما يصنع الجهل والخذلان بصاحبه ومن خداعه لهم يوم القيامة ما ذكره الله في قوله: يوم يقول المنافقون والمنافقات وأي: خداع أعظم ممن يسعى سعيا يعود عليه بالهوان والذل والحرمان؟ ويدل بمجرد على نقص عقل صاحبه، حيث جمع بين المعصية، ورأها حسنة، من الكفران، ظنوا أنه يروج على الله ولا يعلمه ولا يبديه لعباده، والحال أن الله خادعهم، فمجرد وجود هذه الحال منهم ومشيههم عليها، خداع لأنفسهم. يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، من قبيح الصفات وشنائع السمات، وأن طريقتهم مخادعة الله تعالى، أي: بما أظهره من الإيمان وأبطونه ذكرهم لله تعالى. وأنهم قد هدامهم الله ووفقهم للصراط المستقيم. فليعرض العاقل نفسه على هذين الأمرين وليختار أيهما أولى به، وبالله المستعان. 143 تدل بتبنيها على أن المؤمنين متصفون بضدها، من الصدق ظاهرا وباطنا، والإخلاص، وأنهم لا يجهل ما عندهم، ونشاطهم في صلاتهم وعباداتهم، وكثرة يضل الله فلن تجد له سبيلا أي: لن تجد طريقا لهديته ولا وسيلة لترك غوايته، لأنه انغلق عنه باب الرحمة، وصار بدله كل نقمة. فهذه الأوصاف المذمومة فلا من المؤمنين ظاهرا وباطنا، ولا من الكافرين ظاهرا وباطنا. أعطوا باطنهم للكافرين وظاهرهم للمؤمنين، وهذا أعظم ضلال يقدر. ولهذا قال: ومن مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء أي: مترددين بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين.

الآية دليل على كمال عدل الله، وأن الله لا يعذب أحدا قبل قيام الحجة عليه، وفيه التحذير من المعاصي؛ فإن فاعلها يجعل لله عليه سلطانا مبينا. 144 عليكم سلطانا مبينا أي: حجة واضحة على عقوبتكم، فإنه قد أئذنا وحذرنا منها، وأخبرنا بما فيها من المفساد، فسلوكمها بعد هذا موجب للعقاب. وفي هذه اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، نهى عباده المؤمنين أن يتصفوا بهذه الحالة القبيحة، وأن يشابهوا المنافقين، فإن ذلك موجب لأن تجعلوا لله لما ذكر أن من صفات المنافقين

تحت تلك القضية وغيرها، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم. 145 في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثوابا أو عقابا وكان ذلك مشتركا بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تدرج أجرا عظيما، مع أن السياق فيهم. بل قال: وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما لأن هذه القاعدة الشريفة لم يزل الله يبدي فيها ويعيد، إذا كان السياق لفضلها وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليها، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما. وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون الإخلاص منافيا كل المنافاة للنفاق، فذكرهما الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: وأصلحو لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصا في هذا المقام ويوم القيامة وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتأمل كيف خص لله فقصدوا وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات فأولئك مع المؤمنين أي: في الدنيا، والبرزخ، له الظواهر والبواطن واعتصموا بالله والتجأوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. وأخلصوا دينهم الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا من من الله عليهم بالتوبة من السيئات. وأصلحو من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه أسفل الدرجات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوهم بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في

## تفسير السعدي

تحتة تلك القضية وغيرها، ولئلا يتوهم اختصاص الحكم بالأمر الجزئي، فهذا من أسرار القرآن البديعة، فالتائب من المنافقين مع المؤمنين وله ثوابهم. 146 في بعض الجزئيات، وأراد أن يرتب عليه ثواباً أو عقاباً وكان ذلك مشتركاً بينه وبين الجنس الداخل فيه، رتب الثواب في مقابلة الحكم العام الذي تدرج أجراً عظيماً، مع أن السياق فيه. بل قال: وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً لأن هذه القاعدة الشريفة لم يزل الله يبدي فيها ويعيد، إذا كان السياق لفضلها وتوقف الأعمال الظاهرة والباطنة عليهما، ولشدة الحاجة في هذا المقام إليهما. وتأمل كيف لما ذكر أن هؤلاء مع المؤمنين لم يقل: وسوف يؤتيهم الحرج الذي يمكن من القلوب النفاق، فلا يزيله إلا شدة الاعتصام بالله، ودوام اللجأ والافتقار إليه في دفعه، وكون الإخلاص منافياً كل المنافاة للنفاق، فذكرهما الاعتصام والإخلاص بالذكر، مع دخولهما في قوله: وأصلحوا لأن الاعتصام والإخلاص من جملة الإصلاح، لشدة الحاجة إليهما خصوصاً في هذا المقام ويوم القيامة وسوف يؤت الله المؤمنين أجراً عظيماً لا يعلم كنهه إلا الله، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتأمل كيف خص الله فقصدها وجه الله بأعمالهم الظاهرة والباطنة وسلموا من الرياء والنفاق، فمن اتصف بهذه الصفات فأولئك مع المؤمنين أي: في الدنيا، والبرزخ، له الظواهر والباطن واعتصموا بالله والتجأوا إليه في جلب منافعهم ودفع المضار عنهم. وأخلصوا دينهم الذي هو الإسلام والإيمان والإحسان استحقوا أشد العذاب، وليس لهم منقذ من عذابه ولا ناصر يدفع عنهم بعض عقابه، وهذا عام لكل منافق إلا من من الله عليهم بالتوبة من السيئات. وأصلحوا من كثير من أنواع العداوة للمؤمنين، على وجه لا يشعر به ولا يحس. ورتبوا على ذلك جريان أحكام الإسلام عليهم، واستحقاق ما لا يستحقونه، فبذلك ونحوه أسفل الدرجات من العذاب، وأشر الحالات من العقاب. فهم تحت سائر الكفار لأنهم شاركوه بالكفر بالله ومعاداة رسله، وزادوا عليهم المكر والخديعة والتمكن يخبر تعالى عن مآل المنافقين أنهم في

المطيع لنفسه. والشكر هو خضوع القلب واعترافه بنعمة الله، وثناء اللسان على المشكور، وعمل الجوارح بطاعته وأن لا يستعين بنعمه على معاصيه. 147 التوبة والإنابة والرجوع إليه، فإذا أنبتم إليه، فأني شيء يفعل بعدابكم؟ فإنه لا يتشفى بعدابكم، ولا ينتفع بعقابكم، بل العاصي لا يضر إلا نفسه، كما أن عمل الإحسان. ومن ترك شيئاً لله أعطاه الله خيراً منه. ومع هذا يعلم ظاهرهم وباطنهم، وأعمالهم وما تصدر عنه من إخلاص وصدق، وضد ذلك. وهو يريد منكم فقال: ما يفعل الله بعدابكم إن شكرتم وآمنتم والحال أن الله شاكر عليم. يعطي المتحلمين لأجله الأثقال، الدائبين في الأعمال، جزيل الثواب وواسع ثم أخبر تعالى عن كمال غناه وسعة حلمه ورحمته وإحسانه

فيسمع أقوالكم، فاحذروا أن تتكلموا بما يغضب ربكم فيعاقبكم على ذلك. وفيه أيضاً ترغيب على القول الحسن. عليم بنياتكم ومصدر أقوالكم. 148 فمن عفا وأصلح فأجره على الله وكان الله سميعاً عليمًا ولما كانت الآية قد اشتملت على الكلام السيئ والحسن والمباح، أخبر تعالى أنه سميع ويجهل بالسوء لمن جهر له به، من غير أن يكذب عليه ولا يزيد على مظلمته، ولا يتعدى بشتمه غير ظالمه، ومع ذلك فعفوه وعدم مقابلته أولى، كما قال تعالى: الله. ويدل مفهومها أنه يحب الحسن من القول كالذكر والكلام الطيب اللين. وقوله: إلا من ظلم أي: فإنه يجوز له أن يدعوا على من ظلمه ويتشكى منه، ذلك ويمقتة ويعاقب عليه، ويشمل ذلك جميع الأقوال السيئة التي تسوء وتحزن، كالشتم والقذف والسب ونحو ذلك فإن ذلك كله من المنهي عنه الذي يبغضه يخبر تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول، أي: يبغض

كما في هذه الآية. لما ذكر عمل الخير والعفو عن المسيء رتب على ذلك، بأن أحالنا على معرفة أسمائه وأن ذلك يغنيها عن ذكر ثوابها الخاص. 149 قدرته. وفي هذه الآية إرشاد إلى التفقه في معاني أسماء الله وصفاته، وأن الخلق والأمر صادر عنها، وهي مقتضية له، ولهذا يعلل الأحكام بالأسماء الحسنى، أحسن الله إليه، فلماذا قال: فإن الله كان عفواً قديراً أي: يعفو عن زلات عباده وذنوبهم العظيمة فيسدل عليهم ستره، ثم يعاملهم بعفوه التام الصادر عن أو تعفوا عن سوء أي: عمن ساءكم في أبدانكم وأموالكم وأعراضكم، فتسمحوا عنه، فإن الجزاء من جنس العمل. فمن عفا لله عفا الله عنه، ومن أحسن ثم قال تعالى: إن تبدوا خيراً أو تخفوه وهذا يشمل كل خير قول وفعل، ظاهر وباطن، من واجب ومستحب.

ليست منسوخة، وإنما هي مغياة إلى ذلك الوقت، فكان الأمر في أول الإسلام كذلك حتى جعل الله له سبيلاً، وهو رجم المحسن وجلد غير المحسن. 15 فإن الحبس من جملة العقوبات حتى يتوفاهن الموت أي: هذا منتهى الحبس. أو يجعل الله له سبيلاً أي: طريقاً غير الحبس في البيوت، وهذه الآية فاستشهدوا عليهن أربعة منكم أي: من رجالكم المؤمنين العدول. فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت أي: احبسوهن عن الخروج الموجب للريبة. وأيضاً أي: النساء اللاتي يأتين الفاحشة أي: الزنا، ووصفها بالفاحشة لشناعتها وقبحها.

هم الكافرون حقا ذكر عقاباً شاملاً لهم ولكل كافر فقال: وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي. 150 كفروا به موجود مثلاً أو أعظم منها فيمن آمنوا به. فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى ومجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلاً، ولما ذكر أن هؤلاء الإيمان به أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدرحون بها في النبي الذي أنه به مؤمن، ولهذا قال: أولئك هم الكافرون حقا وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر. ووجه كونهم كافرين حتى بما زعموا رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: من كان عدواً لله والآيات. وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم إن هذا إلا مجرد أمانى. فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله. فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحداً من مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله. وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجي من عذاب الله،

هنا قسمان قد وضحا لكل أحد:

هم الكافرون حقا ذكر عقابا شاملا لهم ولكل كافر فقال: وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا كما تكبروا عن الإيمان بالله، أهانهم بالعذاب الأليم المخزي. 151 كفروا به موجود مثلها أو أعظم منها فيمن آمنوا به. فلم يبق بعد ذلك إلا التشهي والهوى ومجرد الدعوى التي يمكن كل أحد أن يقابلها بمثلها، ولما ذكر أن هؤلاء الإيمان به أن كل دليل دلهم على الإيمان بمن آمنوا به موجود هو أو مثله أو ما فوقه للنبي الذي كفروا به، وكل شبهة يزعمون أنهم يقدرحون بها في النبي الذي أنه به مؤمن، ولهذا قال: أولئك هم الكافرون حقا وذلك لثلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر. ووجه كونهم كافرين حتى بما زعموا رسله فقد عادى الله وعادى جميع رسله، كما قال تعالى: من كان عدوا لله والآيات. وكذلك من كفر برسول فقد كفر بجميع الرسل، بل بالرسول الذي يزعم إن هذا إلا مجرد أمانى. فإن هؤلاء يريدون التفريق بين الله وبين رسله. فإن من تولى الله حقيقة تولى جميع رسله لأن ذلك من تمام توليه، ومن عادى أحدا من مؤمن بالله وبرسله كلهم وكتبه، وكافر بذلك كله. وبقي قسم ثالث: وهو الذي يزعم أنه يؤمن ببعض الرسل دون بعض، وأن هذا سبيل ينجي من عذاب الله، هنا قسمان قد وضحا لكل أحد:

حسن، وخلق جميل، كل على حسب حاله. ولعل هذا هو السر في إضافة الأجور إليهم، وكان الله غفورا رحيما يغفر السيئات ويتقبل الحسنات. 152 بهم كلهم، فهذا هو الإيمان الحقيقي، واليقين المبني على البرهان. أولئك سوف يؤتيهم أجورهم أي: جزاء إيمانهم وما ترتب عليه من عمل صالح، وقول بالله ورسله وهذا يتضمن الإيمان بكل ما أخبر الله به عن نفسه وبكل ما جاء به الرسل من الأخبار والأحكام. ولم يفرقوا بين أحد من رسله، بل آمنوا والذين آمنوا

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 153 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علامات الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم نبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغى. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفعال لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلها يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخير أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 154

## تفسير السعدي

لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقياهمهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفذ، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفعال لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رعوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخير أنه ليس بغير من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 155 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقياهمهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفذ، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفعال لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن

## تفسير السعدي

الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 156 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة، يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علامات الكبار، فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 157 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا

## تفسير السعدي

هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبب فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغير من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما وجعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159 :- هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عده فهو ضلال وباطل. 158  
لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقيامهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضوع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضوع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلكوها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوهم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه



## تفسير السعدي

أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

بكمال عدالة المسيح عليه السلام وصدقه، وأنه لا يشهد إلا بالحق، إلا أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق وما عداه فهو ضلال وباطل. 159 لشرع الله أم لا؟ وحينئذ لا يشهد إلا بطلان كل ما هم عليه، مما هو مخالف لشرعية القرآن ولما دعاهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم، علمنا بذلك، لعلمنا هذه الأمة. يقتل الدجال، ويضع الجزية، ويؤمن به أهل الكتاب مع المؤمنين. ويوم القيامة يكون عيسى عليهم شهيدا، يشهد عليهم بأعمالهم، وهل هي موافقة عليه السلام قبل موت المسيح، وذلك يكون عند اقتراب الساعة وظهور علاماتها الكبار. فإنه تكاثرت الأحاديث الصحيحة في نزوله عليه السلام في آخر وقياهم؟ ويحتمل أن الضمير في قوله: قبل موته راجع إلى عيسى عليه السلام، فيكون المعنى: وما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بالمسيح إيمان اضطرار، فيكون مضمون هذا التهديد لهم والوعيد، وأن لا يستمروا على هذه الحال التي سيندمون عليها قبل مماتهم، فكيف يكون حالهم يوم حشرهم قوله: قبل موته يعود إلى أهل الكتاب، فيكون على هذا كل كتابي يحضره الموت ويعاين الأمر حقيقة، فإنه يؤمن بعيسى عليه السلام ولكنه إيمان لا ينفع، على مواضعها وقد بسطها في غير هذا الموضع في المحل اللائق ببسطها. وقوله: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته يحتمل أن الضمير هنا في ومقررة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. ولما كان المراد من تعدد ما عدد الله من قبائحهم هذه المقابلة لم يبسطها في هذا الموضع، بل أشار إليها، وأحال في نبوة من يدعون إيمانهم به ليكتفى بذلك شرهم وينقمع باطلهم، وكل حجة سلوكها في تقريرهم لنبوة من آمنوا به فإنها ونظيرها وما هو أقوى منها، دالة الخسيس، وأن له مقدمات يجعل هذا معها. وكذلك كل اعتراض يعترضون به على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يقابل بمثله أو ما هو أقوى منه ما جعله شبهة له ولغيره في رد الحق أن يبين من حاله الخبيثة وأفعاله الشنيعة ما هو من أقبح ما صدر منه، ليعلم كل أحد أن هذا الاعتراض من ذلك الوادي أن يسألوا الرسول محمدا أن ينزل عليهم كتابا من السماء، وهذه الطريقة من أحسن الطرق لمحااجة الخصم المبطل، وهو أنه إذا صدر منه من الاعتراض الباطل الحق، ودعوههم إلى ما هم عليه من الضلال والغي. وبأخذهم السحت والربا مع نهي الله لهم عنه والتشديد فيه. فالذين فعلوا هذه الأفاعيل لا يستنكر عليهم وما صلبوه بل شبه لهم غيره، فقتلوا غيره وصلبوه. وادعائهم أن قلوبهم غلف لا تفقه ما تقول لهم ولا تفهمه، وبصدهم الناس عن سبيل الله، فصدوهم عن الميثاق الغليظ عليهم فنبذوه وراء ظهورهم وكفروا بآيات الله وقتلوا رسله بغير حق. ومن قولهم: إنهم قتلوا المسيح عيسى وصلبوه، والحال أنهم ما قتلوه أبواب القرية التي أمروا بدخولها سجدا مستغفرين، فخالفوا القول والفعل. ومن اعتداء من اعتدى منهم في السبت فعاقبهم الله تلك العقوبة الشنيعة. وبأخذ الطور من فوق رؤوسهم وهددوا أنهم إن لم يؤمنوا أسقط عليهم، فقبلوا ذلك على وجه الإغماض والإيمان الشبيه بالإيمان الضروري. ومن امتناعهم من دخول الله عيانا، واتخاذهم العجل إلهًا يعبدونه، من بعد ما رأوا من الآيات بأبصارهم ما لم يره غيرهم. ومن امتناعهم من قبول أحكام كتابهم وهو التوراة، حتى رفع الفاسد أخبر أنه ليس بغريب من أمرهم، بل سبق لهم من المقدمات القبيحة ما هو أعظم مما سلوكه مع الرسول الذي يزعمون أنهم آمنوا به. من سؤالهم له رؤية الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا فلما ذكر اعتراضهم نزل مفرقا فلا تؤمنوا به ولا تصدقوه؟ بل نزل هذا القرآن مفرقا بحسب الأحوال مما يدل على عظمته واعتناء الله بمن أنزل عليه، كما قال تعالى: وقال مجرد إنزال الكتاب جملة أو مفرقا، مجرد دعوى لا دليل عليها ولا مناسبة، بل ولا شبهة، فمن أين يوجد في نبوة أحد من الأنبياء أن الرسول الذي يأتيكم بكتاب ذكر الآيات التي فيها اقتراح المشركين على محمد صلى الله عليه وسلم، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا وكذلك جعلهم الفارق بين الحق والباطل والجهل، فإن الرسول بشر عبد مدبر، ليس في يده من الأمر شيء، بل الأمر كله لله، وهو الذي يرسل وينزل ما يشاء على عباده كما قال تعالى عن الرسول، لما جعلهم هذا السؤال يتوقف عليه تصديقهم أو تكذيبهم. وهو أنهم سألوه أن ينزل عليهم القرآن جملة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل، وهذا غاية الظلم منهم تفسير الآيات 152 حتى 159: هذا السؤال الصادر من أهل الكتاب للرسول محمد صلى الله عليه وسلم على وجه العناد والاقتراح،

يشاهد عيانا، من غير تعريض ولا كناية. ويؤخذ منهما أن الأذية بالقول والفعل والحبس، قد شرعه الله تعزيرا لجنس المعصية الذي يحصل به الزجر. 16 الصحيحة، وتومئ إليه هذه الآية لما قال: فاستشهدوا عليهن أربعة منكم لم يكتف بذلك حتى قال: فإن شهدوا أي: لا بد من شهادة صريحة عن أمر هذه الفاحشة، ستر لعباده، حتى إنه لا يقبل فيها النساء منفردات، ولا مع الرجال، ولا ما دون أربعة. ولا بد من التصريح بالشهادة، كما دلت على ذلك الأحاديث

## تفسير السعدي

ما صدر منهم. ويؤخذ من هاتين الآيتين أن بيعة الزنا، لا بد أن تكون أربعة رجال مؤمنين، ومن باب أولى وأحرى اشتراط عدالتهم؛ لأن الله تعالى شدد في أمر إن الله كان تواباً رحيماً أي: كثير التوبة على المذنبين الخطائين، عظيم الرحمة والإحسان، الذي من إحسانه وفهمه للتوبة وقبلها منهم، وسامحهم عن فإن تابا أي: رجعا عن الذنب الذي فعلاه وندما عليه، وعزما على أن لا يعودوا وأصلحا العمل الدال على صدق التوبة فأعرضوا عنها أي: عن أذاهما فعلى هذا يكون الرجال إذا فعلوا الفاحشة يؤذون، والنساء يحبسن ويؤذين. فالحبس غايته إلى الموت، والأذية نهايتها إلى التوبة والإصلاح، ولهذا قال: وكذلك اللذان يأتياها أي: الفاحشة منكم من الرجال والنساء فأذوهما بالقول والتوبيخ والتعيير والضرب الرادع عن هذه الفاحشة،

الطيبات التي كانوا بصدد حلها، لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم. 160 الله، ومنعهم إياهم من الهدى، وبأخذهم الربا وقد نهوا عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبائعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم فمنعهم من كثير من ثم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيرا من الطيبات التي كانت حلالا عليهم، وهذا تحريم عقوبة بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصددهم الناس عن سبيل الطيبات التي كانوا بصدد حلها، لكونها طيبة، وأما التحريم الذي على هذه الأمة فإنه تحريم تنزيه لهم عن الخبائث التي تضرهم في دينهم ودنياهم. 161 الله، ومنعهم إياهم من الهدى، وبأخذهم الربا وقد نهوا عنه، فمنعوا المحتاجين ممن يبائعونه عن العدل، فعاقبهم الله من جنس فعلهم فمنعهم من كثير من ثم أخبر تعالى أنه حرم على أهل الكتاب كثيرا من الطيبات التي كانت حلالا عليهم، وهذا تحريم عقوبة بسبب ظلمهم واعتدائهم، وصددهم الناس عن سبيل الوعيد ورجوا الوعد. أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما لأنهم جمعوا بين العلم والإيمان والعمل الصالح، والإيمان بالكتب والرسول السابقة واللاحقة. 162 الصالحة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة اللذين هما أفضل الأعمال، وقد اشتملتا على الإخلاص للمعبود والإحسان إلى العبيد. وآمنوا باليوم الآخر فخافوا في العلم أي: الذين ثبت العلم في قلوبهم ورسخ الإيقان في أفئدتهم فأثمر لهم الإيمان التام العام بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وأثمر لهم الأعمال لما ذكر معائب أهل الكتاب، ذكر الممدوحين منهم فقال: لكن الراسخون

ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطراب، فله الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم. 163 وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضا من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر دينهم، ومراضي ربهم ومساخطة وطرق الجنة وطرق النار، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه. الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير فلم يبق للخلق رسوله، ومنهم من لم يقصصه عليه، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية والأخرية، ومنذرين من عصى كلم موسى تكليما، أي: مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: موسى كلمه الرحمن. وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كذلك نجزي المحسنين فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل خصوصا هؤلاء المسمون في المرتبة العليا من الإحسان. ولما ويكون ذلك مصداقا لقوله: سلام على نوح في العالمين سلام على إبراهيم سلام على موسى وهارون سلام على إيل ياسين إنا من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستئناسا بسنتهم ومعرفة بحقوقهم، وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرن بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين. ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا. ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعتبر بإخوانه المرسلين، فدعوتهم دعوتهم؛ الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد. ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد: منها: أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل، بل أرسل تفسير الآيات من 163 حتى 165: يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم

ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطراب، فله الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم. 164 وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضا من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم على الله حجة لإرساله الرسل تترى يبينون لهم أمر دينهم، ومراضي ربهم ومساخطة وطرق الجنة وطرق النار، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه. الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير فلم يبق للخلق رسوله، ومنهم من لم يقصصه عليه، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية والأخرية، ومنذرين من عصى كلم موسى تكليما، أي: مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: موسى كلمه الرحمن. وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كذلك نجزي المحسنين فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل خصوصا هؤلاء المسمون في المرتبة العليا من الإحسان. ولما ويكون ذلك مصداقا لقوله: سلام على نوح في العالمين سلام على إبراهيم سلام على موسى وهارون سلام على إيل ياسين إنا من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستئناسا بسنتهم ومعرفة بحقوقهم،

## تفسير السعدي

وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين. ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا. ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعترف بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد. ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد: منها: أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببعد من الرسل، بل أرسل تفسير الآيات من 163 حتى 165 :- يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم

ضرورة تقدر فأزال هذا الاضطراب، فله الحمد وله الشكر. ونسأله كما ابتدأ علينا نعمته بإرسالهم، أن يتمها بالتوفيق لسلوك طريقهم، إنه جواد كريم. 165 وهذا من كمال عزته تعالى وحكمته أن أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب، وذلك أيضا من فضله وإحسانه، حيث كان الناس مضطرين إلى الأنبياء أعظم على الله حجة لإرساله الرسل تنرى يبينون لهم أمر دينهم، ومراضى ربهم ومساخطة وطرق الجنة وطرق النار، فمن كفر منهم بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه. الله وخالفهم بشقاوة الدارين، لنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير فلم يبق للخلق رسوله، ومنهم من لم يقصصه عليه، وهذا يدل على كثرتهم وأن الله أرسلهم مبشرين لمن أطاع الله واتبعهم، بالسعادة الدنيوية والأخروية، ومنذرين من عصى كلم موسى تكليما، أي: مشافهة منه إليه لا بواسطة حتى اشتهر بهذا عند العالمين فيقال: موسى كليم الرحمن. وذكر أن الرسل منهم من قصه الله على ذكر اشتراكهم بوحيه ذكر تخصيص بعضهم، فذكر أنه أتى داود الزبور، وهو الكتاب المعروف المزبور الذي خص الله به داود عليه السلام لفضله وشرفه، وأنه كذلك نجزي المحسنين فكل محسن له من الثناء الحسن بين الأنام بحسب إحسانه. والرسل خصوصا هؤلاء المسمون في المرتبة العليا من الإحسان. ولما ويكون ذلك مصداقا لقوله: سلام على نوح في العالمين سلام على إبراهيم سلام على موسى وهارون سلام على إيل ياسين إنا

من التنويه بهم، والثناء الصادق عليهم، وشرح أحوالهم مما يزداد به المؤمن إيمانا بهم ومحبة لهم، واقتداء بهديهم، واستئناسا بسنتهم ومعرفة بحقوقهم، وأخلاقهم متفقة؛ ومصدرهم واحد؛ وغايتهم واحدة، فلم يقرنه بالمجهولين؛ ولا بالكذابين ولا بالملوك الظالمين. ومنها: أن في ذكر هؤلاء الرسل وتعدادهم الذي اتفقوا عليه، وأن بعضهم يصدق بعضا ويوافق بعضهم بعضا. ومنها: أنه من جنس هؤلاء الرسل، فليعتبره المعترف بإخوانه المرسلين، فدعوته دعوتهم؛ الله قبله من المرسلين العدد الكثير والجم الغفير فاستغراب رسالته لا وجه له إلا الجهل والعناد. ومنها: أنه أوحى إليه كما أوحى إليهم من الأصول والعدل والأخبار الصادقة ما أوحى إلى هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا عدة فوائد: منها: أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس ببعد من الرسل، بل أرسل تفسير الآيات من 163 حتى 165 :- يخبر تعالى أنه أوحى إلى عبده ورسوله من الشرع العظيم

قال تعالى في الشهادة على التوحيد: شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم وكفى بالله شهيدا. 166 وإخباره تعالى بشهادة الملائكة على ما أنزل على رسوله، لكمال إيمانهم ولجلالة هذا المشهود عليه. فإن الأمور العظيمة لا يستشهد عليها إلا الخواص، كما ويخذل أعداءه وينصر أوليائه، فهل توجد شهادة أعظم من هذه الشهادة وأكبر؟ ولا يمكن القدح في هذه الشهادة إلا بعد القدح بعلم الله وقدرته وحكمته عليه، وأنه دعا الناس إليه، فمن أجابه وصدقته كان وليه، ومن كذبه وعاداه كان عدوه واستباح ماله ودمه، والله تعالى يمكنه ويوالي نصره ويجيب دعواته، في ذلك إشارة وتنبيه على وجه شهادته، وأن المعنى: إذا كان تعالى أنزل هذا القرآن المشتمل على الأوامر والنواهي، وهو يعلم ذلك ويعلم حالة الذي أنزله فيه من العلوم الإلهية والأحكام الشرعية والأخبار الغيبية ما هو من علم الله تعالى الذي علم به عبادته. ويحتمل أن يكون المراد: أنزله صادرا عن علمه، ويكون إلى إخوانه من المرسلين، أخبر هنا بشهادته تعالى على رسالته وصحة ما جاء به، وأنه أنزله بعلمه يحتمل أن يكون المراد أنزله مشتملا على علمه، أي: لما ذكر أن الله أوحى إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى

ودعاة الضلال قد ضلوا ضلالا بعيدا وأي ضلال أعظم من ضلال من ضل بنفسه وأضل غيره، فباء بالإثمين ورجع بالخسارتين وفاتته الهدايتان 167 ثم تواعد من كفر بهم فقال: إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أي: جمعوا بين الكفر بأنفسهم وصددهم الناس عن سبيل الله. وهؤلاء هم أئمة الكفر عليهم وأخبر برسالة خاتمهم محمد، وشهد بها وشهدت ملائكته لزم من ذلك ثبوت الأمر المقرر والمشهود به، فوجب تصديقهم، والإيمان بهم واتباعهم. لما أخبر عن رسالة الرسل صلوات الله وسلامه

بظلام للعبيد وكان ذلك على الله يسيرا أي: لا يبالي الله بهم ولا يعبا، لأنهم لا يصلحون للخير، ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم. 168 وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم، وازدادوا في كفرانهم فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا، وما ربك أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة والهداية للصراط المستقيم. ولهذا قال: لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم إن الذين كفروا وظلموا وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه. والمراد بالظلم هنا

بظلام للعبيد وكان ذلك على الله يسيرا أي: لا يبالي الله بهم ولا يعبا، لأنهم لا يصلحون للخير، ولا يليق بهم إلا الحالة التي اختاروها لأنفسهم. 169 وإنما تعذرت المغفرة لهم والهداية لأنهم استمروا في طغيانهم، وازدادوا في كفرانهم فطبع على قلوبهم وانسدت عليهم طرق الهداية بما كسبوا، وما ربك أعمال الكفر والاستغراق فيه، فهؤلاء بعيدون من المغفرة والهداية للصراط المستقيم. ولهذا قال: لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم إن الذين كفروا وظلموا وهذا الظلم هو زيادة على كفرهم، وإلا فالكفر عند إطلاق الظلم يدخل فيه. والمراد بالظلم هنا

## تفسير السعدي

ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه. والله أعلم. 17

الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: وكان الله عليهما حكيما فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب نفسه باب الرحمة. نعم قد يوفق الله عبده المصير على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جنائياته، ولكن فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على الإقلاع من حين صدور الذنب وأناب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخة تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل أن يكون معنى قوله: من قريب أي: قريب من فعلهم للذنوب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وقال هنا: وليست التوبة للذين يعملون السيئات أي: المعاصي فيما دون الكفر. حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل الآية. وقال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعا. وأما بعد حضور الموت فلا يقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها ثم يتوبون من قريب يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تنول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان فأخبر هنا أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرما منه وجودا، لمن عمل السوء أي: المعاصي بجهالة أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد،

وكان الله عليهما بكل شيء حكيما في خلقه وأمره. فهو العليم بمن يستحق الهداية والغواية، الحكيم في وضع الهداية والغواية موضعهما. 170

إلا نفسه، والله تعالى غني عنه لا تضره معصية العاصين، ولهذا قال: فإن لله ما في السماوات والأرض أي: الجميع خلقه وملكه، وتحت تدبيره وتصريفه الشقاء الدنيوي والأخروي من عدم الإيمان أو نقصه. وأما مضره عدم الإيمان به صلى الله عليه وسلم فيعرف بضد ما يترتب على الإيمان به. وأن العبد لا يضر وأجل فمن ثمرات الإيمان، فالنصر والهدى والعلم والعمل الصالح والسرور والأفراح، والجنة وما اشتملت عليه من النعيم كل ذلك مسبب عن الإيمان. كما أن لكم والخير ضد الشر. فالإيمان خير للمؤمنين في أبدانهم وقلوبهم وأرواحهم وديناهم وأخراهم. وذلك لما يترتب عليه من المصالح والفوائد، فكل ثواب عاجل والعقوق، مما يقطع به أنه من عند الله. وكلما ازداد به العبد بصيرة، ازداد إيمانه ويقينه، فهذا السبب الداعي للإيمان. وأما الفائدة في الإيمان فأخبر أنه خير وما فيه من الأمر بكل خير وصلاح، ورشد وعدل وإحسان، وصدق وبر وصلة وحسن خلق، ومن النهي عن الشر والفساد والبغي والظلم وسوء الخلق، والكذب به من الشرع العظيم والصراط المستقيم. فإن فيه من الأخبار بالغيوب الماضية والمستقبلية، والخبر عن الله وعن اليوم الآخر ما لا يعرف إلا بالوحي والرسالة. نفس إرسال الرسول إليهم، ليعرفهم الهدى من الضلال، والغي من الرشد، فمجرد النظر في رسالته دليل قاطع على صحة نبوته. وكذلك النظر إلى ما جاء العاقل يعرف أن بقاء الخلق في جهلهم يعمهون، وفي كفرهم يترددون، والرسالة قد انقطعت عنهم غير لائق بحكمة الله ورحمته، فمن حكمته ورحمته العظيمة به، والفائدة في الإيمان به، والمضرة من عدم الإيمان به، فالسبب الموجب هو إخباره بأنه جاءهم بالحق. أي: فمجيئه نفسه حق، وما جاء به من الشرع حق، فإن يأمر تعالى جميع الناس أن يؤمنوا بعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وذكر السبب الموجب للإيمان

له شريك منهم أو ولد. ولما أخبر أنه المالك للعالم العلوي والسفلي أخبر أنه قائم بمصالحهم الدنيوية والأخروية وحافظها، ومجازيهم عليها تعالى. 171

إلا له. سبحانه أي: تنزهه وتقديسه أن يكون له ولد لأن له ما في السماوات وما في الأرض فالكل مملوكون له مفتقرون إليه، فمحال أن يكون أنه سبيل النجاة، وما سواه فهو طريق الهلاك، ثم نزه نفسه عن الشريك والولد فقال: إنما الله إله واحد أي: هو المنفرد بالألوهية، الذي لا تنبغي العبادة ونهاهم أن يجعلوا الله ثالث ثلاثة أحدهم عيسى، والثاني مريم، فهذه مقالة النصارى قبهم الله. فأمرهم أن ينتهوا، وأخبر أن ذلك خير لهم، لأنه الذي يتعين عليه السلام فنفع في فرج مريم عليها السلام، فحملت بإذن الله بعيسى عليه السلام. فلما بين حقيقة عيسى عليه السلام، أمر أهل الكتاب بالإيمان به وبرسوله، من باب إضافة التشريف والتكريم. وكذلك قوله: وروح منه أي: من الأرواح التي خلقها وكملها بالصفات الفاضلة والأخلاق الكاملة، أرسل الله روحه جبريل هي أعلى الدرجات وأجل المثوبات. وأنه كلمته التي ألقاها إلى مريم أي: كلمة تكلم الله بها فكان بها عيسى، ولم يكن تلك الكلمة، وإنما كان بها، وهذا عيسى ابن مريم رسول الله أي: غاية المسيح عليه السلام ومنتهى ما يصل إليه من مراتب الكمال أعلى حالة تكون للمخلوقين، وهي درجة الرسالة التي كانت هذه قاعدة عامة كلية، وكان السياق في شأن عيسى عليه السلام نص على قول الحق فيه، المخالف لطريقة اليهودية والنصرانية فقال: إنما المسيح منهي عنهما، وهما قول الكذب على الله، والقول بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه ورسالته، والثالث: مأمور به وهو قول الحق في هذه الأمور. ولما لا يليق بغير الله، فكما أن التقصير والتفريط من المنهيات، فالغلو كذلك، ولهذا قال: ولا تقولوا على الله إلا الحق وهذا الكلام يتضمن ثلاثة أشياء: أمرين الحد والقدر المشروع إلى ما ليس بمشروع. وذلك كقول النصارى في غلوهم بعيسى عليه السلام، ورفعته عن مقام النبوة والرسالة إلى مقام الربوبية الذي ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو في الدين وهو مجاوزة

فسيحشرهم إليه جميعا أي: فسيحشر الخلق كلهم إليه، المستنكفين والمستكبرين وعباده المؤمنين، فيحكم بينهم بحكمه العدل، وجزائه الفصل. 172

الخلق فوق مرتبته التي أنزله الله فيها وترفعه عن العبادة كمالا، بل هو النقص بعينه، وهو محل الذم والعقاب، ولهذا قال: ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر

## تفسير السعدي

العظيم والفوز العظيم، فلم يستنكفوا أن يكونوا عبيداً لربوبيته ولا لإلهيته، بل يرون افتقارهم لذلك فوق كل افتقار. ولا يظن أن رفع عيسى أو غيره من أولى، ونفي الشيء فيه إثبات ضده. أي: فعيسى والملائكة المقربون قد رغبوا في عبادة ربهم، وأحبوها وسعوا فيها بما يليق بأحوالهم، فأوجب لهم ذلك الشرف ذكر هنا أنه لا يستنكف عن عبادة ربه، أي: لا يمتنع عنها رغبة عنها، لا هو ولا الملائكة المقربون فنزههم عن الاستنكاف وتنزيههم عن الاستكبار من باب لما ذكر تعالى غلو النصارى في عيسى عليه السلام، وذكر أنه عبده ورسوله،

ينصرهم فيدفع عنهم المهرج، بل قد تخلى عنهم أرحم الراحمين، وتركهم في عذابهم خالدين، وما حكم به تعالى فلا راد لحكمه ولا مغير لقضائه. 173 والنار الموقدة التي تطلع على الأفئدة. ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً أي: لا يجدون أحداً من الخلق يتولاهم فيحصل لهم المطلوب، ولا من وديوي رتب على الإيمان والعمل الصالح. وأما الذين استنكفوا واستكبروا أي: عن عبادة الله تعالى فيعذبهم عذاباً أليماً وهو سخط الله وغضبه، ودخل في ذلك كل ما في الجنة من المأكّل والمشرب، والمناجى، والمناظر والسرور، ونعيم القلب والروح، ونعيم البدن، بل يدخل في ذلك كل خير ديني التي رتبها على الأعمال، كل بحسب إيمانه وعمله. ويزيدهم من فضله من الثواب الذي لم تنله أعمالهم ولم تصل إليه أفعالهم، ولم يخطر على قلوبهم. الصالحات أي: جمعوا بين الإيمان بالمأمور به، وعمل الصالحات من واجبات ومستحبات، من حقوق الله وحقوق عباده. فيوفيههم أجورهم أي: الأجور ثم فصل حكمه فيهم فقال: فأما الذين آمنوا وعملوا

والأمر بكل عدل وإحسان وخير، والنهي عن كل ظلم وشر، فالناس في ظلمة إن لم يستضيئوا بأنواره، وفي شقاء عظيم إن لم يقتبسوا من خير. 174 والوصول إلى جنات النعيم. وأنزلنا إليكم نورا مبيناً وهو هذا القرآن العظيم، الذي قد اشتمل على علوم الأولين والآخرين والأخبار الصادقة النافعة، حيث كان من ربكم الذي رباكم التربية الدينية والدنيوية، فمن تربيته لكم التي يحمد عليها ويشكر، أن أوصل إليكم البينات، ليهديكم بها إلى الصراط المستقيم، الأفقية والنفسية سريهم آياتنا في الأفق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق وفي قوله: من ربكم ما يدل على شرف هذا البرهان وعظمته، المحجة، فقال: يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم أي: حجج قاطعة على الحق تبينه وتوضحه، وتبين ضده. وهذا يشمل الأدلة العقلية والنقلية، الآيات يمتن تعالى على سائر الناس بما أوصل إليهم من البراهين القاطعة والأنوار الساطعة، ويقيم عليهم الحجة، ويوضح لهم

وبين أنفسهم، فلم يهتدوا، بل ضلوا ضلالاً مبيناً، عقوبة لهم على تركهم الإيمان فحصلت لهم الخيبة والحرمان، نسأله تعالى العفو والعافية والمعافة. 175 أي: يوفقههم للعلم والعمل، معرفة الحق والعمل به. أي: ومن لم يؤمن بالله ويعتصم به ويتمسك بكتابه، منعهم من رحمته، وحرّمهم من فضله، وخلي بينهم منه وفضل أي: فسيتغمدهم بالرحمة الخاصة، فيوفقههم للخيرات ويجزل لهم المثوبات، ويدفع عنهم البليات والمكروهات. ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً كامل، وتنزيهه من كل نقص وعيب. واعتصموا به أي: لجأوا إلى الله واعتمدوا عليه وتبرأوا من حولهم وقوتهم واستعانوا بربهم. فسيدخلهم في رحمة انقسم الناس بحسب الإيمان بالقرآن والانتفاع به قسمين: فأما الذين آمنوا بالله أي: اعترفوا بوجوده واتصافه بكل وصف

حاجتكم إلى بيانه وتعليمه، فيعلمكم من علمه الذي ينفعمكم على الدوام في جميع الأزمنة والأمكنة. آخر تفسير سورة النساء فله الحمد والشكر. 176 ولئلا تضلوا عن الصراط المستقيم بسبب جهلكم وعدم علمكم. والله بكل شيء عليم أي: عالم بالغيب والشهادة والأمر الماضية والمستقبلية، ويعلم إخوتهم. يبين الله لكم أن تضلوا أي: يبين لكم أحكامه التي تحتاجونها، ويوضحها ويشرحها لكم فضلاً منه وإحساناً لكي تهتدوا ببيانه، وتعملوا بأحكامه، الثلاثين مما ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء أي: اجتمع الذكور من الإخوة لغير أم مع الإناث فللذكر مثل حظ الأنثيين فيسقط فرض الإناث ويعصهن لأنه عاصب فيأخذ مالها كله، إن لم يكن صاحب فرض ولا عاصب يشاركه، أو ما أبقت الفروض. فإن كانتا أي: الأختان اثنتين أي: فما فوق فلهما نقود وعقار وأثاث وغير ذلك، وذلك من بعد الدين والوصية كما تقدم. وهو أي: أخوها الشقيق أو الذي للأب يرثها إن لم يكن لها ولد ولم يقدر له إرثا مع الوالد، فإذا هلك وليس له ولد ولا والد وله أخت أي: شقيقة أو لأب، لا أم، فإنه قد تقدم حكمها. فلها نصف ما ترك أي نصف متروكات أخيها، من قال: إن امرؤ هلك ليس له ولد أي: لا ذكر ولا أنثى، لا ولد صلب ولا ولد ابن. وكذلك ليس له والد، بدليل أنه ورث فيه الإخوة، والأخوات بالإجماع لا يرثون صلى الله عليه وسلم أي: في الكلاله بدليل قوله: قل الله يفتيككم في الكلاله وهي الميت يموت وليس له ولد صلب ولا ولد ابن، ولا أب، ولا جد، ولهذا أخبر تعالى أن الناس استفتوا رسوله

ما يستحق بحكمته، ومن حكمته أن يوفق من اقتضت حكمته ورحمته توفيقه للتوبة، ويخذل من اقتضت حكمته وعدله عدم توفيقه. والله أعلم. 18 الرحمة والتوفيق للأول أقرب، ولهذا ختم الآية الأولى بقوله: وكان الله عليماً حكيماً فمن علمه أنه يعلم صادق التوبة وكاذبها فيجازي كلا منهما بحسب نفسه باب الرحمة. نعم قد يوفق الله عبده المصّر على الذنوب عن عمد ويقين لتوبة تامة التي يمحو بها ما سلف من سيئاته وما تقدم من جنائياته، ولكن فإنه يعسر عليه إيجاد التوبة التامة. والغالب أنه لا يوفق للتوبة ولا ييسر لأسبابها، كالذي يعمل السوء على علم تام ويقين وتهاون بنظر الله إليه، فإنه سد على الإقلاع من حين صدور الذنب وأتاب إلى الله وندم عليه فإن الله يتوب عليه، بخلاف من استمر على ذنوبه وأصر على عيوبه، حتى صارت فيه صفات راسخة تنفع صاحبها، إنما تنفع توبة الاختيار. ويحتمل أن يكون معنى قوله: من قريب أي: قريب من فعلهم للذنوب الموجب للتوبة، فيكون المعنى: أن من بادر إلى حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً وذلك أن التوبة في هذه الحال توبة اضطرار لا فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وقال هنا: وليست التوبة للذين يعملون السيئات أي: المعاصي فيما دون الكفر.

## تفسير السعدي

حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل الآية. وقال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يقبل توبة العبد إذا تاب قبل معاينة الموت والعذاب قطعا. وأما بعد حضور الموت فلا يقبل من العاصين توبة ولا من الكفار رجوع، كما قال تعالى عن فرعون: عالما بالتحريم. بل العلم بالتحريم شرط لكونها معصية معاقبا عليها ثم يتوبون من قريب يحتمل أن يكون المعنى: ثم يتوبون قبل معاينة الموت، فإن الله لسخط الله وعقابه، وجهل منه بنظر الله ومراقبته له، وجهل منه بما تنول إليه من نقص الإيمان أو إعدامه، فكل عاص لله، فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان فأخبر هنا أن التوبة المستحقة على الله حق أحقه على نفسه، كرما منه وجودا، لمن عمل السوء أي: المعاصي بجهالة أي: جهالة منه بعاقبتها وإيجابها توبة الله على عباده نوعان: توفيق منه للتوبة، وقبول لها بعد وجودها من العبد،

نفع والديه في الدنيا والآخرة. وهذا كله مع الإمكان في الإمساك وعدم المحذور. فإن كان لا بد من الفراق، وليس للإمساك محل، فليس الإمساك بلازم. 19 عدم محبته لها فيه مجاهدة النفس، والتخلق بالأخلاق الجميلة. وربما أن الكراهة تزول وتخلفها المحبة، كما هو الواقع في ذلك. وربما رزق منها ولدا صالحا تمسكوا زوجاتكم مع الكراهة لهن، فإن في ذلك خيرا كثيرا. من ذلك امتثال أمر الله، وقبول وصيته التي فيها سعادة الدنيا والآخرة. ومنها أن إجباره نفسه مع ذلك الزمان والمكان، وهذا يتفاوت بتفاوت الأحوال. فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا أي: ينبغي لكم أيها الأزواج أن الجميلة، وكف الأذى وبذل الإحسان، وحسن المعاملة، ويدخل في ذلك النفقة والكسوة ونحوهما، فيجب على الزوج لزوجته المعروف من مثله لمثلها في منه إذا كان عضلا بالعدل. ثم قال: وعاشروهن بالمعروف وهذا يشمل المعاشرة القولية والفعلية، فعلى الزوج أن يعاشر زوجته بالمعروف، من الصحة هو مفهوم قوله: كرها وإذا أتيتن بفاحشة مبينة كالزنا والكلام الفاحش وأذيتها لزوجها فإنه في هذه الحال يجوز له أن يعضلها، عقوبة لها على فعلها لتفتدي زوجته التي يكون يكرهها ليذهب ببعض ما آتاها، فهي الله المؤمنين عن جميع هذه الأحوال إلا حالتين: إذا رضيت واختارت نكاح قريب زوجها الأول، كما وإن لم يرضها عضلها فلا يزوجها إلا من يختاره هو، وربما امتنع من تزويجها حتى تبدل له شيئا من ميراث قريبه أو من صداقها، وكان الرجل أيضا يعضل عن زوجته، رأى قريبه كأخيه وابن عمه ونحوهما أنه أحق بزوجه من كل أحد، وحماها عن غيره، أحبت أو كرهت. فإن أحبها تزوجها على صداق يحبه دونها، كانوا في الجاهلية إذا مات أحدهم

ولاية المؤتي على ماله. وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه والقيام به بما يصلحه وينميهِ وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار. 2 استبدال الخبيث بالطيب أن يأخذ الولي من مال اليتيم النفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس. وفيه الولاية على اليتيم، لأن من لازم إيتاء اليتيم ماله، ثبوت الحالة، التي قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له من الرزق في ماله. فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى حوبا كبيرا أي: إثما عظيما، ووزرا جسيما. ومن مال اليتيم بغير حق. بالطيب وهو الحلال الذي ما فيه حرج ولا تبعة. ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم أي: مع أموالكم، ففيه تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقرّبوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وأن يؤتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا، كاملة موفرة، وأن لا تتبدلوا الخبيث الذي هو أكل به من حقوق الخلق في هذه السورة. وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافرين لهم، وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم. فأمر الرؤوف الرحيم عباده وقوله تعالى: وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا هذا أول ما أوصى

تضمن مفسدة دينية وعدم مصلحة تقاوم ثم قال: أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً فإن هذا لا يحل ولو تحيلتم عليه بأنواع الحيل، فإن إثمه واضح. 20 الله عليه وسلم في تخفيف المهر. ووجه الدلالة أن الله أخبر عن أمر يقع منهم، ولم ينكره عليهم، فدل على عدم تحريره لكن قد ينهي عن كثرة الصداق إذا كثيرا. فلا تأخذوا منه شيئا بل وفروه لهن ولا تمطلوا بهن. وفي هذه الآية دلالة على عدم تحرير كثرة المهر، مع أن الأفضل واللائق الاقتداء بالنبي صلى زوج أي: تطليق زوجة وتزوج أخرى. أي: فلا جناح عليكم في ذلك ولا حرج. ولكن إذا آتيتن إحداهن أي: المفارقة أو التي تزوجها قنطارا أي: مالا بل متى أردتم استبدال زوج مكان

يستوفي المعوض ثم بعد ذلك يرجع على العوض؟ هذا من أعظم الظلم والجور، وكذلك أخذ الله على الأزواج ميثاقا غليظا بالعقد، والقيام بحقوقها. 21 بها وأفضى إليها وياشرها المباشرة التي كانت حراما قبل ذلك، والتي لم ترض ببذلها إلا بذلك العوض، فإنه قد استوفى المعوض فثبت عليه العوض. فكيف إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا وبيان ذلك: أن الزوجة قبل عقد النكاح محرمة على الزوج ولم ترض بحلها له إلا بذلك المهر الذي يدفعه لها، فإذا دخل وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم

والأب ابنه، مع الأمر ببره. وساء سبيلا أي: بنس الطريق طريقا لمن سلكه لأن هذا من عوائد الجاهلية، التي جاء الإسلام بالتنزه عنها والبراءة منها. 22 تزوجهن أبائكم أي: الأب وإن علا. إنه كان فاحشة أي: أمرا قبيحا يفحش ويعظم قبحه. ومقتا من الله لكم ومن الخلق بل يمقت بسبب ذلك الابن أباه أي: لا تتزوجوا من النساء ما

امرأتين بينهما رحم محرّم لو قدر إحداهما ذكرا والأخرى أنثى حرمت عليه فإنه يحرم الجمع بينهما، وذلك لما في ذلك من أسباب التقاطع بين الأرحام. 23 والله أعلم. وأما المحرمات بالجمع فقد ذكر الله الجمع بين الأختين وحرمه وحرّم النبي صلى الله عليه وسلم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها، فكل تحرير الربيبة وأنها كانت بمنزلة البنات فمن المستقبح إباحتها. والثانية: فيه دلالة على جواز الخلوة بالربيبة وأنها بمنزلة من هي في حجره من بناته ونحوهن. حجوركم قيد خرج مخرج الغالب لا مفهوم له، فإن الربيبة تحرم ولو لم تكن في حجره ولكن للتقيد بذلك فاندتان: إحداها: فيه التنبيه على الحكمة في

## تفسير السعدي

فهذه لا تحرم حتى يدخل بزوجه كما قال هنا وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الآية. وقد قال الجمهور: إن قوله: اللاتي في وحلائل الأبناء وإن نزلوا، وارثين أو محجوبين. وأمها الزوجة وإن علون، فهؤلاء الثلاث يحرم من مجرد العقد. والرابعة: الربيبة وهي بنت زوجته وإن نزلت، المرتضع إلى ذريته فقط. لكن بشرط أن يكون الرضاع خمس رضعات في الحولين كما بينت السنة. وأما المحرمات بالصهر فهن أربع. حلائل الآباء وإن علوا، النبي صلى الله عليه وسلم: يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب فينتشر التحريم من جهة المرضعة ومن له اللبن كما ينتشر في الأقارب، وفي الطفل إنما هو لصاحب اللبن، دل بتبنييه على أن صاحب اللبن يكون أباً للمرتضع فإذا ثبتت الأبوة والأمومة ثبت ما هو فرع عنهما كإخوتهما وأصولهم وفروعهم وقال وراء ذلك وذلك كبنيت العمه والعمة وبنت الخال والخالة. وأما المحرمات بالرضاع فقد ذكر الله منهن الأم والأخت. وفي ذلك تحريم الأم مع أن اللبن ليس لها، الأخ وبنت الأخت أي: وإن نزلت. فهؤلاء هن المحرمات من النسب بإجماع العلماء كما هو نص الآية الكريمة وما عداهن فيدخل في قوله: وأحل لكم ما لك عليها ولادة، والأخوات الشقيقات، أو لأب أو لأم. والعمة: كل أخت لأبيك أو لجدك وإن علا. والخالة: كل أخت لأمك، أو جدتك وإن علت وارتثت أم لا. وبناات المحلات من النساء. فأما المحرمات في النسب فهن السبع اللاتي ذكرهن الله. الأم يدخل فيها كل من لها عليك ولادة، وإن بعدت، ويدخل في البنت كل من هذه الآيات الكريمات مشتملات على المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمحرمات بالصهر، والمحرمات بالجمع، وعلى

كان عليهما حكيماً أي: كامل العلم واسع، كامل الحكمة: فمن علمه وحكمته شرع لكم هذه الشرائع وحد لكم هذه الحدود الفاصلة بين الحلال والحرام. 24. حرّمها النبي صلى الله عليه وسلم وأنه يؤمر بتوقيتها وأجرها، ثم إذا انقضى الأمد الذي بينهما فتراضيا بعد الفريضة فلا حرج عليهما، والله أعلم. إن الله أو إسقاط من الزوجة عن رضا وطيب نفس هذا قول كثير من المفسرين، وقال كثير منهم: إنها نزلت في متعة النساء التي كانت حلالاً في أول الإسلام ثم معنى قوله فريضة: أي: مقدرة قد قدرتموها فوجبت عليكم، فلا تنقصوا منها شيئاً. ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة أي: بزيادة من الزوج الزوج بزوجه تقرر عليه صداقها فريضة أي: إتيانكم إياهن أجورهن فرض فرضه الله عليكم، ليس بمنزلة التبرع الذي إن شاء أمضاه وإن شاء رده. أو والزانية لا ينعكحها إلا زان أو مشرك. فما استمتعتم به منهن أي: ممن تزوجتموهن فاتوهن أجورهن أي: الأجور في مقابلة الاستمتاع. ولهذا إذا دخل شهوته في الحرام فتضعف داعيته للحلال فلا يبقى محصناً لزوجته. وفيها دلالة على أنه لا يزوج غير العفيف لقوله تعالى: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة أي: مستعفين عن الزنا، ومعفين نساءكم. غير مسافحين والسفح: سفح الماء في الحلال والحرام، فإن الفاعل لذلك لا يحصن زوجته لكونه وضع من الله ورحمة وتيسيراً للعباد. وقوله: أن تبتغوا بأموالكم أي: تطلبوا من وقع عليه نظركم واختياركم من اللاتي أباحهن الله لكم حالة كونكم محصنين من الحرام. ودخل في قوله: وأحل لكم ما وراء ذلكم كل ما لم يذكر في هذه الآية، فإنه حلال طيب. فالحرام محصور والحلال ليس له حد ولا حصر لطفاً الأول ولقصة بريرة حين خيرها النبي صلى الله عليه وسلم. وقوله: كتاب الله عليكم أي: الزموا واهتدوا به فإن فيه الشفاء والنور وفيه تفصيل الحلال بالسبي، فإذا سبيت الكافرة ذات الزوج حلت للمسلمين بعد أن تستبرأ. وأما إذا بيعت الأمة المزوجة أو وهبت فإنه لا يفسخ نكاحها لأن المالك الثاني نزل منزلة في النكاح والمحصنات من النساء أي: ذوات الأزواج. فإنه يحرم نكاحهن ما دمن في ذمة الزوج حتى تطلق وتنقضي عدتها. إلا ما ملكت أيما نكح أي: و من المحرمات

الحد إشارة إلى أن الحدود كفارات، يغفر الله بها ذنوب عباده كما ورد بذلك الحديث. وحكم العبد الذكر في الحد المذكور حكم الأمة لعدم الفارق بينهما. 25. الكريمين الغفور والرحيم لكون هذه الأحكام رحمة بالعباد وكرماً وإحساناً إليهم فلم يضيق عليهم، بل وسع غاية السعة. ولعل في ذكر المغفرة بعد ذكر الحد، إنما عليهن تعزيز يردعهن عن فعل الفاحشة. وعلى القول الثاني: إن الإماء غير المسلمات، إذا فعلن فاحشة أيضاً عزرن. وختم هذه الآية بهذين الاسمين الذي يمكن تنصيفه وهو: الجلد فيكون عليهن خمسون جلدة. وأما الرجم فليس على الإماء رجم لأنه لا يتنصف، فعلى القول الأول إذا لم يتزوجن فليس عليهن خير لكم والله غفور رحيم. وقوله: فإذا أحصن أي: تزوجن أو أسلمن أي: الإماء فعليهن نصف ما على المحصنات أي: الحرائر من العذاب وذلك من تعريض الأولاد للرق، ولما فيه من الدناءة والعيب. وهذا إذا أمكن الصبر، فإن لم يمكن الصبر عن المحرم إلا بنكاحهن وجب ذلك. ولهذا قال: وأن تصبروا بهن والعفة ظاهراً وباطناً، وعدم استطاعة طول الحرة، وخوف العنت، فإذا تمت هذه الشروط جاز له نكاحهن. ومع هذا فالصبر عن نكاحهن أفضل لما فيه مسافحات أي: زانيات علانية. ولا متخذات أخدان أي: أخلاء في السر. فالحاصل أنه لا يجوز للحر المسلم نكاح أمة إلا بأربعة شروط ذكرها الله: الإيمان بالمعروف أي: ولو كن إماء، فإنه كما يجب المهر للحرة فكذلك يجب للأمة. ولكن لا يجوز نكاح الإماء إلا إذا كن محصنات أي: عفيفات عن الزنا غير ظواهر الأمور، وأحكام الآخرة مبنية على ما في البواطن. فانكحوهن أي: المملوكات بإذن أهلن أي: سيدهن واحداً أو متعدداً. وآتوهن أجورهن أي: الزنا والمشقة الكثيرة، فيجوز له نكاح الإماء المملوكات المؤمنات. وهذا بحسب ما يظهر، وإلا فالله أعلم بالمؤمن الصادق من غيره، فأمر الدنيا مبنية على ثم قال تعالى ومن لم يستطع منكم طولا الآية. أي: ومن لم يستطع الطول الذي هو المهر لنكاح المحصنات أي: الحرائر المؤمنات وخاف على نفسه العنت

هذه الأشياء والحدود. ومن حكمته أنه يتوب على من اقتضت حكمته ورحمته التوبة عليه، ويخزل من اقتضت حكمته وعدله من لا يصلح للتوبة. 26. يتوب عليهم بقبول ما وفقهم له. فله الحمد والشكر على ذلك. وقوله: والله عليم حكيم أي: كامل الحكمة، فمن علمه أن علمكم ما لم تكونوا تعلمون، ومنها بسبب ما يسر الله عليكم فهذا من توبته على عباده. ومن توبته عليهم أنهم إذا أذنبوا فتح لهم أبواب الرحمة وأوزع قلوبهم الإنابة إليه، والتذلل بين يديه ثم في العلم والعمل. ويتوب عليكم أي: يلطف لكم في أحوالكم وما شرعه لكم حتى تمكنوا من الوقوف على ما حده الله، والاكتفاء بما أحله فتقل ذنوبكم سيرهم الحميدة، وأفعالهم السديدة، وشمائلهم الكاملة، وتوفيقهم التام. فلذلك نفذ ما أراه، ووضح لكم وبين بيانا كما بين لمن قبلكم، وهداكم هداية عظيمة

## تفسير السعدي

أي: جميع ما تحتاجون إلى بيانه من الحق والباطل، والحلال والحرام، ويهديكم سنن الذين من قبلكم أي: الذين أنعم الله عليهم من النبيين وأتباعهم، في يخبر تعالى بمنته العظيمة ومنحته الجسيمة، وحسن تربيته لعباده المؤمنين وسهولة دينه فقال: يريد الله لبيبي لكم

وسعادتكم، وأن هؤلاء المتبعين لشهواتهم يأمرؤنكم بما فيه غاية الخسار والشقاء، فاختاروا لأنفسكم أولى الداعيين، وتخيروا أحسن الطريقتين. 27 الشيطان، وعن التزام حدود من السعادة كلها في امتثال أوامره، إلى من الشقاوة كلها في اتباعه. فإذا عرفتم أن الله تعالى يأمركم بما فيه صلاحكم وفلاحكم أن تميلوا ميلا عظيما أي: أن تنحرفوا عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم والضالين. يريدون أن يصرفوكم عن طاعة الرحمن إلى طاعة معها حيث مالت ويقدمونها على ما فيه رضا محبوبهم، ويعبدون أهواءهم، من أصناف الكفرة والعاصين، المقدمين لأهوائهم على طاعة ربهم، فهؤلاء يريدون وقوله: والله يريد أن يتوب عليكم أي: توبة تلم شعثكم، وتجمع متفرقكم، وتقرب بعيدكم. ويريد الذين يتبعون الشهوات أي: يميلون

وضعف الإرادة، وضعف العزيمة، وضعف الإيمان، وضعف الصبر، فناسب ذلك أن يخفف الله عنه، ما يضعف عنه وما لا يطيقه إيمانه وصبره وقوته. 28 للمضطر، وكتزوج الأمة للحر بتلك الشروط السابقة. وذلك لرحمته التامة وإحسانه الشامل، وعلمه وحكمته بضعف الإنسان من جميع الوجوه، ضعف البنية، أن يخفف عنكم أي: بسهولة ما أمركم به و ما نهاكم عنه، ثم مع حصول المشقة في بعض الشرائع أباح لكم ما تقتضيه حاجتكم، كالميتة والدم ونحوهما يريد الله

طريق حصل الرضا انعقد به العقد. ثم ختم الآية بقوله: إن الله كان بكم رحيمًا ومن رحمته أن عصم دماءكم وأموالكم وصانها ونهاكم عن انتهاكها. 29 عليه شبيهه ببيع القمار، فبيع الغرر بجميع أنواعه خال من الرضا فلا ينفذ عقده. وفيها أنه تنعقد العقود بما دل عليها من قول أو فعل، لأن الله شرط الرضا فبأي من المتعاقدين ويأتي به اختيارا. ومن تمام الرضا أن يكون المعقود عليه معلوما، لأنه إذا لم يكن كذلك لا يتصور الرضا مقدورا على تسليمه، لأن غير المقدور وشرط التراضي مع كونها تجارة لدلالة أنه يشترط أن يكون العقد غير عقد ربا لأن الربا ليس من التجارة، بل مخالف لمقصودها، وأنه لا بد أن يرضى كل ماله، أباح لهم ما فيه مصلحتهم من أنواع المكاسب والتجارات، وأنواع الحرف والإجازات، فقال: إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم أي: فإنها مباحة لكم. الواحد، حيث كان الإيمان يجمعهم على مصالحهم الدينية والدنيوية. ولما نهى عن أكل الأموال بالباطل التي فيها غاية الضرر عليهم، على الأكل، ومن أخذ الغير ونفس الغير فقط. مع أن إضافة الأموال والأنفس إلى عموم المؤمنين فيه دلالة على أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ومصلحتهم كالجسد ومال نفسك وقتل نفسك وقتل غيرك بعبارة أخصر من قوله: لا يأكل بعضكم مال بعض ولا يقتل بعضكم بعضا مع قصور هذه العبارة على مال وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبته من الحدود. وتأمل هذا الإيجاز والجمع في قوله: لا تأكلوا أموالكم ولا تقتلوا أنفسكم كيف شمل أموال غيرك الإلقاء بالنفس إلى التهلكة، وفعل الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك إن الله كان بكم رحيمًا ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتهما الخالية من الموانع، المشتعلة على الشروط من التراضي وغيره. ولا تقتلوا أنفسكم أي: لا يقتل بعضكم بعضا، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك في ذلك أكل مال نفسك على وجه البطر والإسراف، لأن هذا من الباطل وليس من الحق. ثم إنه لما حرم أكلها بالباطل أباح لهم أكلها بالتجارات والمكاسب ينهى تعالى عباده المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالغصب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة. بل لعله يدخل

منه الجور والظلم، وعدم القيام بالواجب ولو كان مباحا أنه لا ينبغي له أن يتعرض، له بل يلزم السعة والعافية، فإن العافية خير ما أعطي العبد. 3 عليه القسم في ملك اليمين ذلك أي: الاقتصار على واحدة أو ما ملكت اليمين أدنى ألا تعولوا أي: تظلموا. وفي هذا أن تعرض العبد للأمر الذي يخاف هذا فإنما يباح له ذلك إذا أمن على نفسه الجور والظلم، ووثق بالقيام بحقوقهن. فإن خاف شيئا من هذا فليقتصر على واحدة، أو على ملك يمينه. فإنه لا يجب الله تعالى إجماعا. وذلك لأن الرجل قد لا تدفع شهوته بالواحدة، فأبيح له واحدة بعد واحدة، حتى يبلغ أربعة، لأن في الأربع غنية لكل أحد، إلا ما ندر، ومع أي: من أحب أن يأخذ اثنتين فليفعل، أو ثلاثا فليفعل، أو أربعة فليفعل، ولا يزيد عليها، لأن الآية سبقت لبيان الامتنان، فلا يجوز الزيادة على غير ما سمى قبل النكاح، بل وقد أباح له الشارع النظر إلى من يريد تزوجها ليكون على بصيرة من أمره. ثم ذكر العدد الذي أباحه من النساء فقال: مثنى وثلاث ورباع صلى الله عليه وسلم: تنكح المرأة لأربع لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فافظف بذات الدين تربت يمينك وفي هذه الآية أنه ينبغي للإنسان أن يختار والمال، والجمال، والحسب، والنسب، وغير ذلك من الصفات الداعية لنكاحهن، فاختاروا على نظركم، ومن أحسن ما يختار من ذلك صفة الدين كما قال النبي وخفتم أن لا تقوموا بحقهن لعدم محبتكم إياهن، فاعدلوا إلى غيرهن، وانكحوا ما طاب لكم من النساء أي: ما وقع عليهن اختياركم من ذوات الدين، أي: وإن خفتم ألا تعدلوا في يتامى النساء اللاتي تحت حجوركم وولايتهن

بالباطل وقتل النفوس عدوانا وظلما أي: لا جهلا ونسيانا فسوف نصليه نارا أي: عظيمة كما يفيد التنكير وكان ذلك على الله يسيرا 30

ثم قال: ومن يفعل ذلك أي: أكل الأموال

ما اجتنبت الكبائر. وأحسن ما حدث به الكبائر، أن الكبيرة ما فيه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو نفي إيمان، أو ترتيب لعنة، أو غضب عليه. 31 الخمس، والجمعة، وصوم رمضان، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما المشتملة على ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ويدخل في اجتناب الكبائر فعل الفرائض التي يكون تاركها مرتكباً كبيرة، كالصلوات فضل الله وإحسانه على عباده المؤمنين وعدهم أنهم إذا اجتنبوا كبائر المنهيات غفر لهم جميع الذنوب والسيئات وأدخلهم مدخلا كريما كثير الخير وهو الجنة



لربه، أو يجمع بين الأمرين فإن هذا مخذول خاسر. وقوله: إن الله كان بكل شيء عليما فيعطي من يعلمه أهلا لذلك، ويمنع من يعلمه غير مستحق. 32 فيه. واسألوا الله من فضله أي: من جميع مصالحكم في الدين والدنيا. فهذا كمال العبد وعنوان سعادته لا من يترك العمل، أو يتكل على نفسه غير مفتقر ولهذا قال تعالى: للرجال نصيب مما اكتسبوا أي: من أعمالهم المنتجة للمطلوب. وللنساء نصيب مما اكتسبن فكل منهم لا يناله غير ما كسبه وتعب المحمود أمران: أن يسعى العبد على حسب قدرته بما ينفعه من مصالحه الدينية والدنيوية، ويسأل الله تعالى من فضله، فلا يتكل على نفسه ولا على غير ربه. نعمة الله على غيره أن تكون لك ويسلب إياها. ولأنه يقتضي السخط على قدر الله والإخلال إلى الكسل والأمانى الباطلة التي لا يقتدرن بها عمل ولا كسب. وإنما فلا تتمنى النساء خصائص الرجال التي بها فضلهم على النساء، ولا صاحب الفقر والنقص حالة الغنى والكمال تمنيا مجردا لأن هذا هو الحسد بعينه، تمنى ينهى تعالى المؤمنين عن أن يتمنى بعضهم ما فضل الله به غيره من الأمور الممكنة وغير الممكنة.

من الموالي. إن الله كان على كل شيء شهيدا أي: مطلعا على كل شيء بعلمه لجميع الأمور، وبصره لحركات عبادته، وسمعه لجميع أصواتهم. 33 قال تعالى: فاتوهم نصيبهم أي: آتوا الموالي نصيبهم الذي يجب القيام به من النصرة والمعاونة والمساعدة على غير معصية الله. والميراث للأقارب الأدين المحالفة على النصرة والمساعدة والاشتراك بالأموال وغير ذلك. وكل هذا من نعم الله على عبادته، حيث كان الموالي يتعاونون بما لا يقدر عليه بعضهم مفردا. الأصول والفروع والحواشي، هؤلاء الموالي من القرابة. ثم ذكر نوعا آخر من الموالي فقال: والذين عقدت أيمانكم أي: حالفتموهم بما عقدتم معهم من عقد من الناس جعلنا موالي أي: يتولونه ويتولاهم بالتعزز والنصرة والمعاونة على الأمور. مما ترك الوالدان والأقربون وهذا يشمل سائر الأقارب من أي: ولكل

أي: له العلو المطلق بجميع الوجوه والاعتبارات، علو الذات وعلو القدر وعلو القهر الكبير الذي لا أكبر منه ولا أجل ولا أعظم، كبير الذات والصفات. 34 أي: فقد حصل لكم ما تحبون فاتركوا معاتبتها على الأمور الماضية، والتنقيب عن العيوب التي يضر ذكرها ويحدث بسببه الشر. إن الله كان عليا كبيرا يضاجعها، ولا يجامعها بمقدار ما يحصل به المقصود، وإلا ضربها ضربا غير مبرح، فإن حصل المقصود بواحد من هذه الأمور وأطعنكم فلا تبغوا عليها سبيلا ببيان حكم الله في طاعة الزوج ومعصيته والترغيب في الطاعة، والترهيب من معصيته، فإن انتهت فذلك المطلوب، وإلا فيهجرها الزوج في المضجع، بأن لا ودنياء. ثم قال: واللاتي تخافون نشوزهن أي: ارتفاعهن عن طاعة أزواجهن بأن تعصيه بالقول أو الفعل فإنه يؤديها بالأسهل فالأسهل، فعضوهن أي: الغيب تحفظ بعلمها بنفسها وماله، وذلك بحفظ الله لهن وتوفيجه لهن، لا من أنفسهن، فإن النفس أمارة بالسوء، ولكن من توكل على الله كفاه ما أهمه من أمر دينه ووظيفتها: القيام بطاعة ربها وطاعة زوجها فهذا قال: فالصالحات قانتات أي: مطيعات لله تعالى حافظات للغيب أي: مطيعات لأزواجهن حتى في المفعول ليدل على عموم النفقة. فعلم من هذا كله أن الرجل كالوالي والسيد لامرأته، وهي عنده عانية أسيرة خادمة، فوظيفته أن يقوم بما استرعاها الله به. للنساء مثله. وكذلك خصهم بالنفقات على الزوجات بل وكثير من النفقات يختص بها الرجال ويتميزون عن النساء. ولعل هذا سر قوله: وبما أنفقوا وحذف مختصة بالرجال، والنبوة، والرسالة، واختصاصهم بكثير من العبادات كالجهاد والأعياد والجمع. وبما خصهم الله به من العقل والرزانة والصبر والجلد الذي ليس على بعض وبما أنفقوا من أموالهم أي: بسبب فضل الرجال على النساء وإفضالهم عليهن، فتفضيل الرجال على النساء من وجوه متعددة: من كون الولايات أن يلزمهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن، ثم ذكر السبب الموجب لقيام الرجال على النساء فقال: بما فضل الله بعضهم يخبر تعالى أن الرجال قوامون على النساء أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم

خبيرا أي: عالما بجميع الظواهر والبواطن، مطلعا على خفايا الأمور وأسرارها. فمن علمه وخبره أن شرع لكم هذه الأحكام الجليلة والشرائع الجميلة. 35 عليه، ولهذا قال: إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما أي: بسبب الرأي الميمون والكلام الذي يجذب القلوب ويؤلف بين القرينين. إن الله كان عليما ومعصية الله، ورأيا أن التفريق بينهما أصلح، فرقا بينهما. ولا يشترط رضا الزوج، كما يدل عليه أن الله سماهما حكمين، والحكم يحكم ولو لم يرض المحكوم من الرزق والخلق، ومهما أمكنهما الجمع والإصلاح فلا يعدلا عنه. فإن وصلت الحال إلى أنه لا يمكن اجتماعهما وإصلاحهما إلا على وجه المعادة والمقاطعة من اتصف بتلك الصفات. فينظران ما ينقم كل منهما على صاحبه، ثم يلزمان كلا منهما ما يجب، فإن لم يستطع أحدهما ذلك، قنعا الزوج الآخر بالرضا بما تيسر أي: رجلين مكلفين مسلمين عدلين عاقلين يعرفان ما بين الزوجين، ويعرفان الجمع والتفريق. وهذا مستفاد من لفظ الحكم لأنه لا يصلح حكما إلا أي: وإن خفتم الشقاق بين الزوجين والمباعدة والمجانبة حتى يكون كل منهما في شق فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها

الخلق فخورا يثني على نفسه ويمدحها على وجه الفخر والبطر على عباد الله، فهؤلاء ما بهم من الاختيال والفخر يمنعه من القيام بالحقوق. 36 ولا متواضع للخلق، بل هو متكبر على عباد الله معجب بنفسه فخور بقوله، ولهذا قال: إن الله لا يحب من كان مختالا أي: معجبا بنفسه متكبرا على لربه، المتواضع لعباد الله، المنقاد لأمر الله وشرعه، الذي يستحق الثواب الجزيل والثناء الجميل، ومن لم يقم بذلك فإنه عبد معرض عن ربه، غير منقاد لأوامره، والبهايم بالقيام بكفائتهم وعدم تحمिलهم ما يشق عليهم وإعانتهم على ما يتحملون، وتأديبهم لما فيه مصلحتهم. فمن قام بهذه المأمورات فهو الخاضع حق على المسلمين لشدة حاجته وكونه في غير وطنه بتبليغه إلى مقصوده أو بعض مقصوده وإكرامه وتأنيسه وما ملكت أيمانكم أي: من الآدميين له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، وكلما زادت الصحة تأكد الحق وزاد. وابن السبيل وهو: الغريب الذي احتاج في بلد الغربة أو لم يحتج، فله

## تفسير السعدي

الصاحب لصاحبه حق زائد على مجرد إسلامه، من مساعدته على أمور دينه ودنياه، والنصح له؛ والوفاء معه في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، وأن يجب والصاحب بالجنب قيل: الرفيق في السفر، وقيل: الزوجة، وقيل: الصاحب مطلقا، ولعله أولى، فإنه يشمل الصاحب في الحضر والسفر ويشمل الزوجة. فعلى وكلما كان الجار أقرب بابا كان أكد حقا، فينبغي للجار أن يتعاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة واللطافة بالأقوال والأفعال وعدم أذيته بقول أو فعل. أي: الجار القريب الذي له حقان حق الجوار وحق القرابة، فله على جاره حق وإحسان راجع إلى العرف. وكذلك الجار البعيد أي: الذي ليس له قرابة. كفايتهم، ولا كفاية من يمتنون، فأمر الله تعالى بالإحسان إليهم، بسد خلتهم وبدفع فاقبتهم، والحض على ذلك، والقيام بما يمكن منه. والجار ذي القربى وبرهم وجبر خواطرهم وتأديبهم، وتربيتهم أحسن تربية في مصالح دينهم ودنياهم. والمساكين وهم الذين أسكنتهم الحاجة والفقر، فلم يحصلوا على والفعل، وأن لا يقطع برحمه بقوله أو فعله. واليتامى أي: الذين فقدوا آباءهم وهم صغار، فلهم حق على المسلمين، سواء كانوا أقارب أو غيرهم بكفالتهم ضدان، الإساءة وعدم الإحسان. وكلاهما منهي عنه. وبذي القربى أيضا إحسانا، ويشمل ذلك جميع الأقارب، قريبا أو بعدوا، بأن يحسن إليهم بالقول والخطاب اللطيف والفعل الجميل بطاعة أمرهما واجتناب نهيهما والإنفاق عليهما وإكرام من له تعلق بهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا بهما. وللإحسان يعينه عليه أحد. ثم بعد ما أمر بعبادته والقيام بحقه أمر بالقيام بحقوق العباد الأقرب فالأقرب. فقال: وبوالوالدين إحسانا أي: أحسنوا إليهم بالقول الكريم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بل الواجب المتعين إخلاص العبادة لمن له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وله التدبير الكامل الذي لا يشركه ولا جميع العبادات الظاهرة والباطنة. وينهى عن الشرك به شيئا لا شركا أصغر ولا أكبر، لا ملكا ولا نبيا ولا وليا ولا غيرهم من المخلوقين الذين لا يملكون لأنفسهم يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، وهو الدخول تحت رق عبوديته، والانقياد لأوامره ونواهيه، محبة وذلا وإخلاصا له، في

على عباد الله ومنعوا حقوقه وتسببوا في منع غيرهم من البخل وعدم الاهتداء، أهانهم بالعذاب الأليم والخزي الدائم. فعياذا بك اللهم من كل سوء. 37 والبخل بالعلم، وبين السعي في خسارة أنفسهم وخسارة غيرهم، وهذه هي صفات الكافرين، فلماذا قال تعالى: وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا أي: كما تكبروا أي: من العلم الذي يهتدي به الضالون ويستترشد به الجاهلون فيكتمونه عنهم، ويظهرون لهم من الباطل ما يحول بينهم وبين الحق. فجمعوا بين البخل بالمال الذين يبخلون أي: يمنعون ما عليهم من الحقوق الواجبة. ويأمر الناس بالبخل بأقوالهم وأفعالهم ويكتمون ما آتاهم الله من فضله

كما قال تعالى: وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فهذا العمل المقبول الذي يستحق صاحبه المدح والثواب فلماذا حث تعالى عليه 38 عليه عاص آثم مخالف لربه، فكذلك من أنفق وتعب لغير الله فإنه آثم عاص لربه مستوجب للعقوبة، لأن الله إنما أمر بطاعته وامتثال أمره على وجه الإخلاص، له قرينا فساء قرينا أي: بنس المقارن والصاحب الذي يريد إهلاك من قارنه ويسعى فيه أشد السعي. فكما أن من بخل بما آتاه الله، وكنتم ما من به الله خطوات الشيطان وأعماله التي يدعو حزبه إليها ليكونوا من أصحاب السعير. وصدرت منهم بسبب مقارنته لهم وأزهم إليها فلماذا قال: ومن يكن الشيطان الناس أي: ليروهم ويمدحهم ويعظمهم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر أي: ليس إنفاقهم صادرا عن إخلاص وإيمان بالله ورجاء ثوابه. أي: فهذا من ثم أخبر عن النفقة الصادرة عن رياء وسمعة وعدم إيمان به فقال: والذين ينفقون أموالهم رثاء

الإخلاص والإنفاق، ولما كان الإخلاص سرا بين العبد وبين ربه، لا يطلع عليه إلا الله أخبر تعالى بعلمه بجميع الأحوال فقال: وكان الله بهم عليما 39 أي: أي شيء عليهم وأي حرج ومشقة تلحقهم لو حصل منهم الإيمان بالله الذي هو الإخلاص، وأنفقوا من أموالهم التي رزقهم الله وأنعم بها عليهم فجمعوا بين غير مأمور به، بل منهي عنه كالمشركة، وكالفاجرة، كما قال تعالى: ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقال: والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك 4 كذلك فليس لعطيتها حكم، وأنه ليس لوليها من الصداق شيء، غير ما طابت به. وفي قوله: فانكحوا ما طاب لكم من النساء دليل على أن نكاح الخبيثة عنه. فكلوه هنينا مريئا أي: لا حرج عليكم في ذلك ولا تبعة. وفيه دليل على أن للمرأة التصرف في مالها ولو بالتبرع إذا كانت رشيدة، فإن لم تكن تقتضي التملك. فإن طبن لكم عن شيء منه أي: من الصداق نفسا بأن سمحن لكم عن رضا واختيار بإسقاط شيء منه، أو تأخيرها أو المعاوضة طيب نفس، وحال طمأنينة، فلا تمطلوهن أو تبخسوا منه شيئا. وفيه: أن المهر يدفع إلى المرأة إذا كانت مكلفة، وأنها تملكه بالعقد، لأنه أضافه إليها، بالإضافة خصوصا الصداق الذي يكون شيئا كثيرا، ودفعة واحدة، يشق دفعه للزوجة، أمرهم وحثهم على إيتاء النساء صدقاتهن أي: مهورهن نحلة أي: عن ولما كان كثير من الناس يظلمون النساء ويهضمونهن حقوقهن،

إخلاصا ومحبة وكمالا. ويؤت من لدنه أجرا عظيما أي: زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال آخر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير. 40 ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وإن تك حسنة يضاعفها أي: إلى عشرة أمثالها، إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها ونفعها وحال صاحبها، ذلك من الظلم القليل والكثير فقال: إن الله لا يظلم مثقال ذرة أي: ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال تعالى: فمن يعمل مثقال

يخبر تعالى عن كمال عدله وفضله وتنزهه عما يضاد

مقربين له لكمال الفضل والعدل، والحمد والثناء. وهناك يسعد أقوام بالفوز والفلاح والعز والنجاح. ويشقى أقوام بالخزي والفضيحة والعذاب المهين. 41 أزكى الخلق وهم الرسل على أممهم مع إقرار المحكوم عليه؟ فهذا والله الحكم الذي هو أعم الأحكام وأعدلها وأعظمها. وهناك يبقى المحكوم عليهم بك على هؤلاء شهيدا أي: كيف تكون تلك الأحوال، وكيف يكون ذلك الحكم العظيم، الذي جمع أن من حكم به كامل العلم، كامل العدل، كامل الحكمة، بشهادة ثم قال تعالى: فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا

## تفسير السعدي

أن جحودهم ينفعهم من عذاب الله، فإذا عرفوا الحقائق وشهدت عليهم جوارحهم حينئذ ينجلي الأمر، ولا يبقى للكتمان موضع، ولا نفع ولا فائدة. 42  
جزاءهم الحق، ويعلمون أن الله هو الحق المبين. فأما ما ورد من أن الكفار يكتُمون كفرهم وجحودهم، فإن ذلك يكون في بعض مواضع القيامة، حين يظنون  
يا ليتني كنت ترابا. ولا يكتُمون الله حديثا أي: بل يقرّون له بما عملوا، وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. يومئذ يوفيه الله  
الرسول أي: جمعوا بين الكفر بالله وبرسوله، ومعصية الرسول لو تسوى بهم الأرض أي: تبتلعهم ويكونون ترابا وعدما، كما قال تعالى: ويقول الكافر  
يومئذ يود الذين كفروا وعصوا

والإنابة ودعاهم إليه ووعدهم بمغفرة ذنوبهم. ومن عفوه ومغفرته أن المؤمن لو أتاه بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا، لأتاه بقرابها مغفرة. 43  
فيخرج بذلك. ومن عفوه ومغفرته أن رحم هذه الأمة بشرع طهارة التراب بدل الماء، عند تعذر استعماله. ومن عفوه ومغفرته أن فتح للمذنبين باب التوبة  
بقوله: إن الله كان عفوا غفورا أي: كثير العفو والمغفرة لعباده المؤمنين، بتيسير ما أمرهم به، وتسهيله غاية التسهيل، بحيث لا يشق على العبد امتثاله،  
وجوب تعميم مسح الوجه واليدين، وأنه يجوز التيمم ولو لم يضح الوقت، وأنه لا يخاطب بطلب الماء إلا بعد وجود سبب الوجوب والله أعلم. ثم ختم الآية  
المحتقنة فيه، ففيه تنبيه على استفراغ ما هو أولى منها من البول والغائط والقيء والمني والدم، وغير ذلك، نبه على ذلك ابن القيم رحمه الله تعالى. وفي الآية  
باستعمال ما يصلح البدن على وجه العدل، وحماية للمريض عما يضره. وأما استفراغ المؤذي فقد أباح تعالى للمحرم المتأذي برأسه أن يحلقه لإزالة الأبرة  
عليها في كتابه العزيز. أما حفظ الصحة والحماية عن المؤذي، فقد أمر بالأكل والشرب وعدم الإسراف في ذلك، وأباح للمسافر والمريض الفطر حفظا لصحتهما،  
كتيمم غيره، بالوجه واليدين. فائدة أعلم أن قواعد الطب تدور على ثلاث قواعد: حفظ الصحة عن المؤذيات، والاستفراغ منها، والحماية عنها. وقد نبه تعالى  
واليدين إلى الكوعين، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة، ويستحب أن يكون ذلك بضربة واحدة، كما دل على ذلك حديث عمار، وفيه أن تيمم الجنب  
قال: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وما لا غبار له لا يمسح به. وقوله: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم هذا محل المسح في التيمم: الوجه جميعه  
العلماء ولله الحمد، وأن التيمم يكون بالصعيد الطيب، وهو كل ما تصاعد على وجه الأرض سواء كان له غبار أم لا، ويحتمل أن يختص ذلك بذي الغبار لأن الله  
غير مطلق وفي ذلك نظر. وفي هذه الآية الكريمة مشروعية هذا الحكم العظيم الذي امتن به الله على هذه الأمة، وهو مشروعية التيمم، وقد أجمع على ذلك  
بذلك أيضا على أن الماء المتغير بشيء من الطاهرات يجوز بل يتعين التطهر به لدخوله في قوله: فلم تجدوا ماء وهذا ماء. ونوزع في ذلك أنه ماء  
بقوله: فلم تجدوا ماء بوجوب طلب الماء عند دخول الوقت، قالوا: لأنه لا يقال: لم يجد لمن لم يطلب، بل لا يكون ذلك إلا بعد الطلب، واستدل  
بذلك مجرد للمس باليد، ويقيد ذلك بما إذا كان مظنة خروج المذي، وهو المس الذي يكون لشهوة فتكون الآية دالة على نقض الوضوء بذلك؟ واستدل الفقهاء  
في معنى قوله: أو لامستم النساء هل المراد بذلك: الجماع فتكون الآية نصا في جواز التيمم للجنب، كما تكاثرت بذلك الأحاديث الصحيحة؟ أو المراد  
والحاصل: أن الله تعالى أباح التيمم في حالتين: حال عدم الماء، وهذا مطلقا في الحضر والسفر، وحال المشقة باستعماله بمرض ونحوه. واختلف المفسرون  
جاء له التيمم. وكذلك إذا أحدث الإنسان ببول أو غائط أو ملامسة النساء، فإنه يباح له التيمم إذا لم يجد الماء، حضرا وسفرا كما يدل على ذلك عموم الآية.  
الماء وعدمه، والعلة المرض الذي يشق معه استعمال الماء، وكذلك السفر فإنه مظنة فقد الماء، فإذا فقد الماء، حضرا وسفرا كما يدل على ذلك عموم الآية.  
المسجد فقط. وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا فأباح التيمم للمريض مطلقا مع وجود  
عابر السبيل أي: تمرّون في المسجد ولا تمكثون فيه، حتى تغتسلوا أي: فإذا اغتسلتم فهو غاية المنع من قربان الصلاة للجنب، فيحل للجنب المرور في  
لطعام ونحوه كما ورد في ذلك الحديث الصحيح. ثم قال: ولا جنبا إلا عابري سبيل أي: لا تقربوا الصلاة حالة كون أحدكم جنبا، إلا في هذه الحال وهو  
المفرط، الذي لا يشعر صاحبه بما يقول ويفعل، بل لعل فيه إشارة إلى أنه ينبغي لمن أراد الصلاة أن يقطع عنه كل شاغل يشغل فكره، كمدافعة الأخبثين والتوق  
روحها ولها وهو الخشوع وحضور القلب، فإن الخمر يسكر القلب، ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة، ويؤخذ من المعنى منع الدخول في الصلاة في حال النعاس  
من عمل الشيطان فاجتنبوه الآية. ومع هذا فإنه يشتد تحريمه وقت حضور الصلاة لتضمنه هذه المفسدة العظيمة، بعد حصول مقصود الصلاة الذي هو  
الصلاة كما في هذه الآية، ثم إنه تعالى حرمه على الإطلاق في جميع الأوقات في قوله: يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس  
لعباده بتحريمه بقوله: يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ثم إنه تعالى نهاهم عن الخمر عند حضور  
إلى وجود العلم بما يقول السكران. وهذه الآية الكريمة منسوخة بتحريم الخمر مطلقا، فإن الخمر في أول الأمر كان غير محرم، ثم إن الله تعالى عرض  
لا يمكن السكران من دخوله. وشامل لنفس الصلاة، فإنه لا يجوز للسكران صلاة ولا عبادة، لاختلاط عقله وعدم علمه بما يقول، ولهذا حدد تعالى ذلك وغياه  
ينهي تعالى عباده المؤمنين أن يقربوا الصلاة وهم سكارى، حتى يعلموا ما يقولون، وهذا شامل لقربان مواضع الصلاة، كالصلاة، فالمسجد، فإنه

وكفى بالله نصيرا ينصركم على أعدائهم ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر. 44  
عليه من الضلال والإضلال، ولهذا قال: وكفى بالله وليا أي: يتولى أحوال عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم، وييسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم.  
أن تضلوا السبيل. فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك. ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بين لهم ما اشتملوا  
عظيمة ويؤثرونها إيثارا من يبذل المال الكثير في طلب ما يحبه. فيؤثرون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والشقاء على السعادة، ومع هذا يريدون  
أوتوا نصيبا من الكتاب وفي ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم، فأخبر أنهم في أنفسهم يشترون الضلالة أي: يحبونها محبة  
هذا ذم لمن

## تفسير السعدي

وكفى بالله نصيرا ينصرهم على أعدائهم ويبين لهم ما يحذرون منهم ويعينهم عليهم. فولايته تعالى فيها حصول الخير، ونصره فيه زوال الشر. 45  
عليه من الضلال والإضلال، ولهذا قال: وكفى بالله وليا أي: يتولى أحوال عباده ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويسر لهم ما به سعادتهم وفلاحهم.  
أن تضلوا السبيل . فهم حريصون على إضلالكم غاية الحرص، باذلون جهدهم في ذلك. ولكن لما كان الله ولي عباده المؤمنين وناصرهم، بين لهم ما اشتغلوا  
عظيمة ويؤثرونها إثثار من يبذل المال الكثير في طلب ما يحبه. فيؤثرون الضلال على الهدى، والكفر على الإيمان، والشقاء على السعادة، ومع هذا يريدون  
أوتوا نصيبا من الكتاب وفي ضمنه تحذير عباده عن الاغترار بهم، والوقوع في أشراكهم، فأخبر أنهم في أنفسهم يشترون الضلالة أي: يحبونها محبة  
هذا ذم لمن

ولكن لما كانت طبايعهم غير زكية، أعرضوا عن ذلك، وطردوهم الله بكفرهم وعنادهم، ولهذا قال: ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا 46. مخاطبة الرسول، والدخول تحت طاعة الله والانقياد لأمره، وحسن التلطف في طلبهم العلم بسماع سؤالهم، والاعتناء بأمرهم، فهذا هو الذي ينبغي لهم سلوكه. خير لهم من ذلك فقال: ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم وذلك لما تضمنه هذا الكلام من حسن الخطاب والأدب اللائق في الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلها قال: ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ثم أرشدوهم إلى ما هو قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ لما كان احتملا لغير ما أرادوا من الأمور أنه يروج على الله وعلى رسوله، فتوصلوا بذلك اللفظ صلى الله عليه وسلم بأقبح خطاب وأبعده عن الأدب فيقولون: اسمع غير مسمع قصدهم: اسمع منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما تكره، وراعنا في العمل والانقياد فإنهم يقولون سمعنا وعصينا أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول ولا مقصود بها بل أريد بها غيره، وكتماهم ذلك. فهذا حالهم في العلم أشر حال، قلبوا فيه الحقائق، ونزلوا الحق على الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما حالهم المعنى، أو هما جميعا. فمن تحريفهم تنزيل الصفات التي ذكرت في كتبهم التي لا تنطبق ولا تصدق إلا على محمد صلى الله عليه وسلم على أنه غير مراد بها، وعنادهم وإيثارهم الباطل على الحق فقال: من الذين هادوا أي: اليهود وهم علماء الضلال منهم. يحرفون الكلم عن مواضعه إما بتغيير اللفظ أو

ثم بين كيفية ضلالهم

الذين اعتدوا في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وكان أمر الله مفعولا كقوله: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون 47

أدبارها، بأن تجعل في أفقائهم وهذا أشنع ما يكون أو نلنهم كما لعنا أصحاب السبت بأن يطردهم من رحمته، ويعاقبهم بجعلهم قردة، كما فعل بإخوانهم عملوا، كما تركوا الحق، وآثروا الباطل وقلبوا الحقائق، فجعلوا الباطل حقا والحق باطلا، جوزوا من جنس ذلك بطمس وجوههم كما طمسوا الحق، وردها على يوجب أن يكون ما عليهم أعظم من غيرهم، ولهذا توعدهم على عدم الإيمان فقال: من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها وهذا جزاء من جنس ما وفي قوله: آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم حث لهم وأنهم ينبغي أن يكونوا قبل غيرهم مبادرين إليه بسبب ما أنعم الله عليهم به من العلم، والكتاب الذي لم يؤمنوا بما في أيديهم من الكتب، لأن كتب الله يصدق بعضها بعضا، ويوافق بعضها بعضا. فدعوى الإيمان ببعضها دون بعض دعوى باطلة لا يمكن صدقها.

المهمين على غيره من الكتب السابقة التي قد صدقها، فإنها أخبرت به فلما وقع المخبر به كان تصديقا لذلك الخبر. وأيضا فإنهم إن لم يؤمنوا بهذا القرآن فإنهم يأمر تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى أن يؤمنوا بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله عليه من القرآن العظيم،

فما دونه كما قال تعالى: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا أي: لمن تاب إليه وأناب. 48

بالعذاب وحرمان الثواب إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب، وأما التائب، فإنه يغفر له الشرك مخلوقاته، الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع، الذي ما من نعمة بالمخلوقين إلا فمنه تعالى، فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ ولهذا حتم على صاحبه بالخلود وجه، الذي لا يملك لنفسه فضلا عن عبده نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً بالخالق لكل شيء، الكامل من جميع الوجوه، الغني بذاته عن جميع يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً أي: افترى جرماً كبيراً، وأي: ظلم أعظم ممن سوى المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الفقير بذاته من كل أبواب الرحمة، فلا تنفعه الطاعات من دون التوحيد، ولا تفيده المصائب شيئاً، وما لهم يوم القيامة من شافعين ولا صديق حميم ولهذا قال تعالى: ومن الشافعين. ومن فوق ذلك كله رحمته التي أحق بها أهل الإيمان والتوحيد. وهذا بخلاف الشرك فإن المشرك قد سد على نفسه أبواب المغفرة، وأغلق دونه الشرك قد جعل الله لمغفرتها أسباباً كثيرة، كالحسنات الماحية والمصائب المكفرة في الدنيا، والبرزخ ويوم القيامة، وكدعاء المؤمنين بعضهم لبعض، وبشفاعة به أحداً من المخلوقين، ويغفر ما دون الشرك من الذنوب صغائرها وكبائرها، وذلك عند مشيئته مغفرة ذلك، إذا اقتضت حكمته مغفرته. فالذنوب التي دون يخبر تعالى: أنه لا يغفر لمن أشرك

ولهذا قال: ولا يظلمون فتيلًا وهذا لتحقيق العموم أي: لا يظلمون شيئًا ولا مقدار الفتيل الذي في شق النواة أو الذي يقتل من وسخ اليد وغيرها. 49  
بزعهم أنهم على شيء، وأن الثواب لهم وحدهم فإنهم كذبة في ذلك، ليس لهم من خصال الزاكين نصيب، بسبب ظلمهم وكفرهم لا يظلم من الله لهم،  
قال هنا: بل الله يزكي من يشاء أي: بالإيمان والعمل الصالح بالتخلي عن الأخلاق الرذيلة، والتحلي بالصفات الجميلة. وأما هؤلاء فهم وإن زكوا أنفسهم  
ما أخبر به في القرآن في قوله: بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون هؤلاء هم الذين زكاهم الله ولهذا  
والنصارى يقولون: نحن أبناء الله وأحباؤه ويقولون: لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصاري وهذا مجرد دعوى لا برهان عليها، وإنما البرهان  
هذا تعجب من الله لعباده، وتوبيخ للذين يزكون أنفسهم من اليهود والنصارى، ومن هنا نحوهم من كل من زكى نفسه بأمر ليس فيه. وذلك أن اليهود

## تفسير السعدي

فيها واكسوهم وفيه دليل على أن قول الولي مقبول فيما يدعيه من النفقة الممكنة والكسوة؛ لأن الله جعله مؤتمنا على مالهم فلزم قبول قول الأمين. 5  
من الحفظ والتصرف وعدم التعريض للأخطار. وفي الآية دليل على أن نفقة المجنون والصغير والسفيه في مالهم، إذا كان لهم مال، لقوله: وارزقوهم  
لهم في الأقوال جبرا لخواطرتهم. وفي إضافته تعالى الأموال إلى الأولياء، إشارة إلى أنه يجب عليهم أن يعملوا في أموال السفهاء ما يفعلونه في أموالهم،  
يتعلق بضروراتهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية، وأن يقولوا لهم قولا معروفا، بأن يعدوهم إذا طلبوها أنهم سيدفعونها لهم بعد رشدهم، ونحو ذلك، ويلطفوا  
قياما لعباده في مصالح دينهم ودنياهم، وهؤلاء لا يحسنون القيام عليها وحفظها، فأمر الولي أن لا يؤتيهم إياها، بل يرزقهم منها ويكسوهم، ويبذل منها ما  
والمعتوه، ونحوهما، وإما لعدم رشده كالصغير وغير الرشيد. فنهى الله الأولياء أن يؤتوا هؤلاء أموالهم خشية إفسادها وإتلافها، لأن الله جعل الأموال  
الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا السفهاء: جمع سفيه وهو: من لا يحسن التصرف في المال، إما لعدم عقله كالمجنون  
وقوله تعالى: ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل

أعظم الكذب وقلب الحقائق بجعل الحق باطلا، والباطل حقا. ولهذا قال: وكفى به إثما مبينا أي: ظاهرا بينا موجبا للعقوبة البليغة والعذاب الأليم. 50  
أنفسهم، لأن هذا من أعظم الافتراء على الله. لأن مضمون تزكيتهم لأنفسهم الإخبار بأن الله جعل ما هم عليه حقا وما عليه المؤمنون المسلمون باطلا. وهذا  
انظر كيف يفترون على الله الكذب أي: بتزكيتهم

فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلا، وإما من أعظمهم عنادا وتمردا ومراغمة للحق، وهذا هو الواقع 51  
وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال،  
والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين،  
عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالخلق،  
كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم والوادي الذميم؟ هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء، فهل يفضل دين قام على  
للذين كفروا أي: لأجلهم تملقا لهم ومداهنة، وبغضا للإيمان: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أي: طريقا. فما أسمعهم وأشد عنادهم وأقل عقولهم  
كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حملهم الكفر والحسد على أن فضلو طريقة الكافرين بالله عبدة الأصنام على طريق المؤمنين فقال: ويقولون  
عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله. فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان،  
وهذا من قبائح اليهود وحسدكم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض

فهل هذا إلا من الهذيان، وصاحب هذا القول إما من أجهل الناس وأضعفهم عقلا، وإما من أعظمهم عنادا وتمردا ومراغمة للحق، وهذا هو الواقع 52  
وعلى صلة الأرحام والإحسان إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، والصدق في جميع الأقوال والأعمال،  
والكفر بالله ورسله وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله في السر والإعلان، والكفر بما يعبد من دونه من الأوثان والأنداد والكاذبين،  
عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالخلق،  
كيف سلكوا هذا المسلك الوخيم والوادي الذميم؟ هل ظنوا أن هذا يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء، فهل يفضل دين قام على  
للذين كفروا أي: لأجلهم تملقا لهم ومداهنة، وبغضا للإيمان: هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أي: طريقا. فما أسمعهم وأشد عنادهم وأقل عقولهم  
كل هذا من الجبت والطاغوت، وكذلك حملهم الكفر والحسد على أن فضلو طريقة الكافرين بالله عبدة الأصنام على طريق المؤمنين فقال: ويقولون  
عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت، وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله، أو حكم بغير شرع الله. فدخل في ذلك السحر والكهانة، وعبادة غير الله، وطاعة الشيطان،  
وهذا من قبائح اليهود وحسدكم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، أن أخلاقهم الرذيلة وطبعهم الخبيث، حملهم على ترك الإيمان بالله ورسوله، والتعوض

أي: شيئا ولا قليلا. وهذا وصف لهم بشدة البخل على تقدير وجود ملكهم المشارك لملك الله. وأخرج هذا مخرج الاستفهام المتقرر إنكاره عند كل أحد. 53  
شركاء لله في تدبير المملكة، فلو كانوا كذلك لشحوا وبخلوا أشد البخل، ولهذا قال: فإذا أي: لو كان لهم نصيب من الملك لا يؤتون الناس نقيرا  
أم لهم نصيب من الملك أي: فيفضلون من شاءوا على من شاءوا بمجرد أهوائهم، فيكونون

عباده المؤمنين. فكيف ينكرون إنعامه بالنبوة والنصر والملك لمحمد صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وأجلهم وأعظمهم معرفة بالله وأخشاهم له؟ 54  
ما أنعم الله به على إبراهيم وذريته من النبوة والكتاب والملك الذي أعطاه من أنبيائه كداود وسليمان. فإنعامه لم يزل مستمرا على  
وللمؤمنين على ما آتاهم الله من فضله؟ وذلك ليس ببدع ولا غريب على فضل الله. فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما وذلك  
يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أي: هل الحامل لهم على قولهم كونهم شركاء لله فيفضلون من شاءوا؟ أم الحامل لهم على ذلك الحسد للرسول  
أم

ما هو بعض آثار معاصيهم وكفى بجهنم سعيرا تسعر على من كفر بالله، وجحد نبوة أنبيائه من اليهود والنصارى وغيرهم من أصناف الكفرة. 55  
بمحمد صلى الله عليه وسلم فنال بذلك السعادة الدنيوية والفلاح الأخروي. ومنهم من صد عنه عنادا وبغيا وحسدا فحصل لهم من شقاء الدنيا ومصائبها  
فمنهم من آمن به أي:

## تفسير السعدي

لهم وسجية؛ كرر عليهم العذاب جزاء وفاقا، ولهذا قال: إن الله كان عزيزا حكيما أي: له العزة العظيمة والحكمة في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه. 56  
كلما نضجت جلودهم أي: احترقت جلودها غيرها ليزوقوا العذاب أي: ليبلغ العذاب منهم كل مبلغ. وكما تكرر منهم الكفر والعناد وصار وصفا  
إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا أي: عظيمة الوقود شديدة الحرارة

فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة أي: من الأخلاق الرذيلة، والخلق الذميم، ومما يكون من نساء الدنيا من كل دنس وعيب وندخلهم ظلا ظليلا 57  
والذين آمنوا أي: بالله وما أوجب الإيمان به وعملوا الصالحات من الواجبات والمستحبات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين  
ونواهيها، لاشتغالها على مصالح الدارين ودفع مضارهما، لأن شارعها السميع البصير الذي لا تخفى عليه خافية، ويعلم بمصالح العباد ما لا يعلمون. 58  
وهذا يستلزم معرفة العدل ليحكم به. ولما كانت هذه أوامر حسنة عادلة قال: إن الله نعماء يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا وهذا مدح من الله لأوامره  
والكثير، على القريب والبعيد، والبر والفاجر، والولي والعدو. والمراد بالعدل الذي أمر الله بالحكم به هو ما شرعه الله على لسان رسوله من الحدود والأحكام،  
فلو دفعها لغير ربها لم يكن مؤديا لها. وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض، القليل من ذلك  
حفظها في حرز مثلها. قالوا: لأنه لا يمكن أدائها إلا بحفظها؛ فوجب ذلك. وفي قوله: إلى أهلها دلالة على أنها لا تدفع وتؤدي لغير المؤتمن، ووكيله بمنزلته؛  
ممتولا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله. وقد ذكر الفقهاء على أن من أؤتمن أمانة وجب عليه  
الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا

أي: الرد إلى الله ورسوله خير وأحسن تأويلا فإن حكم الله ورسوله أحسن الأحكام وأعدلها وأصلحها للناس في أمر دينهم ودنياهم وعاقبتهم. 59  
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فدل ذلك على أن من لم يرد إليهما مسائل النزاع فليس بمؤمن حقيقة، بل مؤمن بالطاغوت، كما ذكر في الآية بعدها ذلك  
أو عموم معنى يقاس عليه ما أشبهه، لأن كتاب الله وسنة رسوله عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما. فالرد إليهما شرط في الإيمان فلماذا قال: إن  
إلى الله وإلى الرسول أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله؛ فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما أو عمومهما؛ أو إيماء، أو تنبيه، أو مفهوم،  
إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية. ثم أمر برد كل ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه  
فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر  
الأمراء والحكام والمفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمرؤا بمعصية الله،  
ثم أمر بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتنال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من

الله، ولا رحمة ومحبة للمولى عليهم، يرون هذه الحال حال فرصة فيغتنمونها ويتعجلون ما حرم الله عليهم، فنهى الله تعالى عن هذه الحالة بخصوصها. 6  
ولا منعكم من أكلها، تبادرون بذلك أن يكبروا، فيأخذوها منكم ويمنعوكم منها. وهذا من الأمور الواقعة من كثير من الأولياء، الذين ليس عندهم خوف من  
الله لكم من أموالكم، إلى الحرام الذي حرمه الله عليكم من أموالهم. وبداروا أن يكبروا أي: ولا تأكلوها في حال صغرهم التي لا يمكنهم فيها أخذها منكم،  
كثيرا. فإن تبين رشد صلاحه في ماله وبلغ النكاح فادفعوا إليهم أموالهم كاملة موفرة. ولا تأكلوها إسرافا أي: مجاوزة للحد الحلال الذي أباحه  
ويتصرف فيه التصرف اللائق بحاله، فيتبين بذلك رشد من سفهه، فإن استمر غير محسن للتصرف لم يدفع إليه ماله، بل هو باق على سفهه، ولو بلغ عمرا  
الابتلاء: هو الاختبار والامتحان، وذلك بأن يدفع لليتيم المقارب للرشد، الممكن رشد، شيئا من ماله،

حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق. 60  
قد أمروا أن يكفروا به فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار  
أنهم مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت. والحال أنهم  
يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. الذين يزعمون

حكم الطاغوت على حكم الله، فهو كاذب في ذلك. وهذا من إضلال الشيطان إياهم، ولهذا قال: ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا عن الحق. 61  
قد أمروا أن يكفروا به فكيف يجتمع هذا والإيمان؟ فإن الإيمان يقتضي الانقياد لشرع الله وتحكيمه في كل أمر من الأمور، فمن زعم أنه مؤمن واختار  
أنهم مؤمنون بما جاء به الرسول وبما قبله، ومع هذا يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وهو كل من حكم بغير شرع الله فهو طاغوت. والحال أنهم  
يعجب تعالى عباده من حالة المنافقين. الذين يزعمون

إلى المتخاصمين والتوفيق بينهم، وهم كذبة في ذلك. فإن الإحسان كل الإحسان تحكيم الله ورسوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون 62  
من المعاصي ومنها تحكيم الطاغوت؟! ثم جاءوك معتذرين لما صدر منهم، ويقولون: إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا أي: ما قصدنا في ذلك إلا الإحسان  
ككيف يكون حال هؤلاء الضالين إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم

وقمعهم عما كانوا عليه، وفي هذا دليل على أن مقتترف المعاصي وإن أعرض عنه فإنه ينصح سرا، ويبلغ في وعظه بما يظن حصول المقصود به. 63  
في الانقياد لله، والترهيب من تركه. وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا أي: انصحهم سرا بينك وبينهم، فإنه أنجح لحصول المقصود، وبالغ في زجرهم  
أي: من النفاق والقصد السيئ. فأعرض عنهم أي: لا تبال بهم ولا تقابلهم على ما فعلوه واقترفوه. وعظهم أي: بين لهم حكم الله تعالى مع الترغيب

أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم

مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل ذلك شرك. 64  
لوجود الله توبا رحيمًا أي: لتاب عليهم بمغفرته ظلمهم، ورحمهم بقبول التوبة والتوفيق لها والثواب عليها، وهذا المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم  
أن يعترفوا ويتوبوا ويستغفروا الله فقال: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك أي: معترفين بذنوبهم باخعين بها. فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول  
والحث على الاستعانة بالله، وبيان أنه لا يمكن الإنسان إن لم يعنه الله أن يطيع الرسول. ثم أخبر عن كرمه العظيم وجوده، ودعوته لمن اقترفوا السيئات  
أنهم معصومون لا يشعرون ما هو خطأ، لما أمر بذلك مطلقًا. وقوله: بإذن الله أي: الطاعة من المطيع صادرة بقضاء الله وقدره. ففيه إثبات القضاء والقدر،  
يكونوا معظمين تعظيم المطيع للمطاع. وفي هذا إثبات عصمة الرسل فيما يبلغونه عن الله، وفيما يأمرهم به وينهون عنه؛ لأن الله أمر بطاعتهم مطلقًا، فلولا  
الأمر والحث على طاعة الرسول والانقياد له. وأن الغاية من إرسال الرسل أن يكونوا مطاعين ينقاد لهم المرسل إليهم في جميع ما أمروا به ونهوا عنه، وأن  
يخبر تعالى خبرا في ضمنه

وكملها، فقد استكمل مراتب الدين كلها. فمن ترك هذا التحكيم المذكور غير ملتزم له فهو كافر، ومن تركه، مع التزامه فله حكم أمثاله من العصيين. 65  
وطمأنينة نفس، وانقياد بالظاهر والباطن. فالتحكيم في مقام الإسلام، وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان. فمن استكمل هذه المراتب  
يكفي هذا التحكيم حتى ينتفي الحرج من قلوبهم والضيق، وكونهم يحكمونه على وجه الإغماض، ثم لا يكفي ذلك حتى يسلموا لحكمه تسليمًا بانشرح صدر،  
لا يؤمنون حتى يحكموا رسوله فيما شجر بينهم، أي: في كل شيء يحصل فيه اختلاف، بخلاف مسائل الإجماع، فإنها لا تكون إلا مستندة للكتاب والسنة، ثم لا  
ثم أقسم تعالى بنفسه الكريمة أنهم

بالحق، ومحبه وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير. 66  
سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الرابع الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم  
الثالث قوله: وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن  
وأياها فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.  
يكرها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.  
عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي  
الثاني حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا  
لهم أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.  
بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: أحدها الخيرية في قوله: لكان خيرا  
يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك  
تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى  
ويزداد حمدا وشكرا لربه. ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم  
به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات،  
على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم  
يخبر تعالى أنه لو كتب

بالحق، ومحبه وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير. 67  
سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الرابع الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم  
الثالث قوله: وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن  
وأياها فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات.  
يكرها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر.  
عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوفقون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي  
الثاني حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا  
لهم أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده.  
بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: أحدها الخيرية في قوله: لكان خيرا  
يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك  
تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى  
ويزداد حمدا وشكرا لربه. ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم

## تفسير السعدي

به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم يخبر تعالى أنه لو كتب

بالحق، ومحفته وإيثاره والعمل به، وتوقف السعادة والفلاح على ذلك، فمن هدي إلى صراط مستقيم، فقد وفق لكل خير واندفع عنه كل شر وضير. 68 سمعت، ولا خطر على قلب بشر. الرابع الهداية إلى صراط مستقيم. وهذا عموم بعد خصوص، لشرف الهداية إلى الصراط المستقيم، من كونها متضمنة للعلم الثالث قوله: وإذا لاتيناهم من لدنا أجرا عظيما أي: في العاجل والآجل الذي يكون للروح والقلب والبدن، ومن النعيم المقيم مما لا عين رأت، ولا أذن وأيضاً فإن العبد القائم بما أمر به، لا يزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها ويشتاق إليها وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات. يكرهها العبد. فيوفق للتثبيت بالتوفيق للصبر أو للرضا أو للشكر. فينزل عليه معونة من الله للقيام بذلك، ويحصل له الثبات على الدين، عند الموت وفي القبر. عند ورود الفتن في الأوامر والنواهي والمصائب، فيحصل لهم ثبات يوقفون لفعل الأوامر وترك الزواجر التي تقتضي النفس فعلها، وعند حلول المصائب التي الثاني حصول التثبيت والثبات وزيادته، فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان، الذي هو القيام بما وعظوا به، فيثبتهم في الحياة الدنيا لهم أي: لكانوا من الأخيار المتصفين بأوصافهم من أفعال الخير التي أمروا بها، أي: وانتفى عنهم بذلك صفة الأشرار، لأن ثبوت الشيء يستلزم نفي ضده. بسبب تفريق الهمة، وحصول الكسل وعدم النشاط. ثم رتب ما يحصل لهم على فعل ما يوعظون به، وهو أربعة أمور: أحدها الخيرية في قوله: لكان خيرا يصل إلى ما قدر له من العلم والعمل في أمر الدين والدنيا، وهذا بخلاف من طمحت نفسه إلى أمر لم يصل إليه ولم يؤمر به بعد، فإنه لا يكاد يصل إلى ذلك تطمح نفوسهم لما لم يصلوا إليه، ولم يكونوا بصدده، وهذا هو الذي ينبغي للعبد، أن ينظر إلى الحالة التي يلزمه القيام بها فيكملها، ثم يتدرج شيئا فشيئا حتى ويزداد حمدا وشكرا لربه. ثم أخبر أنهم لو فعلوا ما يوعظون به أي: ما وظف عليهم في كل وقت بحسبه، فبدلوا همهم، ووفروا نفوسهم للقيام به وتكميله، ولم به من الأوامر التي تسهل على كل أحد، ولا يشق فعلها، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي أن يلحظ العبد ضد ما هو فيه من المكروهات، لتخف عليه العبادات، على عباده الأوامر الشاقة على النفوس من قتل النفوس والخروج من الديار لم يفعله إلا القليل منهم والنادر، فليحمدوا ربهم وليشكروه على تيسير ما أمرهم يخبر تعالى أنه لو كتب

فكل من أطاع الله تعالى كان مع هؤلاء في صحبتهم وحسن أولئك رفيقا بالاجتماع بهم في جنات النعيم والأنس بقرينهم في جوار رب العالمين. 69 وحالا ودعوة إلى الله، والشهداء الذين قاتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فقتلوا، والصالحين الذين صلح ظاهراً وباطناً فصلحت أعمالهم، إلى الخلق، ودعوتهم إلى الله تعالى والصدقين وهم: الذين كمل تصديقهم بما جاءت به الرسل، فعملوا الحق وصدقوه بيقينهم، وبالقيام به قولاً وعملاً مع الذين أنعم الله عليهم أي: النعمة العظيمة التي تقتضي الكمال والفلاح والسعادة من النبيين الذين فضلهم الله بوحيه، واختصهم بتفضيلهم بإرسالهم أي: كل من أطاع الله ورسوله على حسب حاله وقدر الواجب عليه من ذكر وأثنى وصغير وكبير، فأولئك آخر، لعل أحدا يتوهم أن النساء والولدان ليس لهم نصيب إلا من المال الكثير، فأزال ذلك بقوله: مما قل منه أو كثر فتبارك الله أحسن الحاكمين. 7 لهم ما يشاءون؟ أو شئنا مقدراً؟ فقال تعالى: نصيباً مفروضاً: أي: قد قدره العليم الحكيم. وسيأتي إن شاء الله تقدير ذلك. وأيضاً فهنا توهم والألم والأقربون عموم بعد خصوص وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون فكأنه قيل: هل ذلك النصيب راجع إلى العرف والعادة، وأن يرضخوا تشوفت له النفوس، وزالت الوحشة التي منشؤها العادات القبيحة، فقال: للرجال نصيب: أي: قسط وحصّة مما ترك أي: خلف الوالدان أي: الأب شرعاً، يستوي فيه رجالهم ونسأؤهم، وأقوياءهم وضعفاؤهم. وقدم بين يدي ذلك أمراً مجعلاً لتتوطن على ذلك النفوس. فيأتي التفصيل بعد الإجمال، قد كالنساء والصبيان، ويجعلون الميراث للرجال الأقوياء لأنهم بزعمهم أهل الحرب والقتال والنهب والسلب، فأراد الرب الرحيم الحكيم أن يشرع لعباده كان العرب في الجاهلية من جبروتهم وقسوتهم لا يورثون الضعفاء

أعمالهم. وكفى بالله علماً يعلم أحوال عباده ومن يستحق منهم الثواب الجزيل، بما قام به من الأعمال الصالحة التي تواطأ عليها القلب والجوارح. 70 ذلك الفضل الذي نالوه من الله فهو الذي وفقهم لذلك، وأعانهم عليه، وأعطاهم من الثواب ما لا تبلغه

أو انفروا جميعاً وكل هذا تبع للمصلحة والنكاية، والراحة للمسلمين في دينهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة 71 ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله. ولهذا قال: فانفروا ثبات أي: متفرقين بأن تنفر سرية أو جيش، ويقيم غيرهم الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع

له فيها عظيم الثواب ورضا الكريم الوهاب. وأما القعود فإنه وإن استراح قليلاً، فإنه يعقبه تعب طويل وآلام عظيمة، ويفوته ما يحصل للمجاهدين. 72 فيه تلك المصيبة نعمة. ولم يدر أن النعمة الحقيقية هي التوفيق لهذه الطاعة الكبيرة، التي بها يقوى الإيمان، ويسلم بها العبد من العقوبة والخسران، ويحصل لما لله في ذلك من الحكم. قال ذلك المتخلف قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً رأى من ضعف عقله وإيمانه أن التقاعد عن الجهاد الذي المتتافلين ونهاية مقاصدهم، وأن معظم قصدهم الدنيا وحطامها فقال: فإن أصابتكم مصيبة أي: هزيمة وقتل، وظفر الأعداء عليكم في بعض الأحوال



## تفسير السعدي

فصار معهم إيمان ضعيف لا يقوى على الجهاد. كما قال تعالى: قالت الأعراب أمانا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا إلى آخر الآيات. ثم ذكر غايات هؤلاء المودة. وأيضا فإن هذا هو الواقع. فإن المؤمنين على قسمين: صادقون في إيمانهم أوجب لهم ذلك كمال التصديق والجهاد. وضعفاء دخلوا في الإسلام والخطاب للمؤمنين. والثاني: قوله في آخر الآية: كأن لم تكن بينكم وبينه مودة فإن الكفار من المشركين والمنافقين قد قطع الله بينهم وبين المؤمنين الله ضعفا وخورا وجبنا، هذا الصحيح. وقيل معناه: ليبطن غيره أي: يزهده عن القتال، وهؤلاء هم المنافقون، ولكن الأول أولى لوجهين: أحدهما: قوله منكم ثم أخبر عن ضعفاء الإيمان المتكاسلين عن الجهاد فقال: وإن منكم أي: أيها المؤمنون لمن ليبطن أي: يتثاقل عن الجهاد في سبيل المؤمنين ويألمون بفقدائها، ويسعون جميعا في كل أمر يصلحون به دينهم ودنياهم، فهذا الذي يتمنى الدنيا فقط، ليست معه الروح الإيمانية المذكورة. 73 بينكم وبينه المودة الإيمانية التي من مقتضاها أن المؤمنين مشتركون في جميع مصالحهم ودفع مضارهم، يفرحون بحصولها ولو على يد غيرهم من إخوانهم يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما أي: يتمنى أنه حاضر لينال من المغانم، ليس له رغبة ولا قصد في غير ذلك، كأنه ليس منكم يا معشر المؤمنين ولا ولن أصابكم فضل من الله أي: نصر وغنيمة ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة

ودينه، وغنيمة، وثناء حسنا، وثواب المجاهدين في سبيل الله الذين أعد الله لهم في الجنة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. 74 الله بأن يكون جهادا قد أمر الله به ورسوله، ويكون العبد مخلصا لله فيه قاصدا وجه الله. فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما زيادة في إيمانه المقاتل والمجاهد للكفار الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة، فيكون على هذا الوجه الذين في محل نصب على المفعولية. ومن يقاتل في سبيل إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا إلى آخر الآيات. وقوله: فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين. وقيل: إن معنى الآية: فليقاتل المقتضي لذلك. وأما أولئك المتثاقلون، فلا يعبأ بهم خرجوا أو قعدوا، فيكون هذا نظير قوله تعالى: قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله الدنيا رغبة عنها بالآخرة رغبة فيها. فإن هؤلاء الذين يوجه إليهم الخطاب لأنهم الذين قد أعدوا أنفسهم ووطنوها على جهاد الأعداء، لما معهم من الإيمان التام الآية وهو أصحابها. وقيل: إن معناه: فليقاتل في سبيل الله المؤمنون الكاملو الإيمان، الصادقون في إيمانهم الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة أي: يبيعون وتكميل نفسه، فلماذا أمر هؤلاء بالإخلاص والخروج في سبيله فقال: فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة هذا أحد الأقوال في هذه ومن لطف الله بعباده أن لا يقطع عنهم رحمته، ولا يغلق عنهم أبوابها. بل من حصل منه غير ما يليق أمره ودعاه إلى جبر نقصه

فضل عظيم ويلازم المتخلف عنه أعظم اللوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرا وأكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء. 75 أهلها، فصار جهادكم على هذا الوجه من باب القتال والذب عن عيالاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه والشرك، وللمؤمنين بالأذى والصد عن سبيل الله، ومنعهم من الدعوة لدينهم والهجرة. ويدعون الله أن يجعل لهم وليا ونصيرا يستنقذهم من هذه القرية الظالم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، ومع هذا فقد نالهم أعظم الظلم من أعدائهم، فهم يدعون الله أن يخرجهم من هذه القرية الظالم أهلها لأنفسهم بالكفر قد تعين عليهم، وتوجه اللوم العظيم عليهم بتركه، فقال: وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والحال أن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين هذا حث من الله لعباده المؤمنين وتهيبج لهم على القتال في سبيله، وأن ذلك

الطرق الخفية في ضرر العدو، فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف، الذي لا يقوم لأدنى شيء من الحق ولا لكيد الله لعباده المؤمنين. 76 ما لا يطلب ممن يقاتل عن الباطل، الذي لا حقيقة له ولا عاقبة حميدة. فلماذا قال تعالى: فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا والكيد: سلوك ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله معتمد على ركن وثيق، وهو الحق، والتوكل على الله. فصاحب القوة والركن الوثيق يطلب منه من الصبر والثبات والنشاط وهم على باطل، فأهل الحق أولى بذلك، كما قال تعالى في هذا المعنى: إن تكونوا تآلمون فإنهم يألمون كما تآلمون وترجون من الله ما لا يرجون الآية.

الكفر ومقتضياته. ومنها: أن الذي يقاتل في سبيل الله ينبغي له ويحسن منه من الصبر والجلد ما لا يقوم به غيره، فإذا كان أولياء الشيطان يصبرون ويقاتلون العبد يكون جهاده في سبيل الله، وإخلاصه ومتابعته. فالجهاد في سبيل الله من آثار الإيمان ومقتضياته ولوازمه، كما أن القتال في سبيل الطاغوت من شعب من الله بأن المؤمنين يقاتلون في سبيله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت الذي هو الشيطان. في ضمن ذلك عدة فوائد: منها: أنه بحسب إيمان هذا إخبار

خير لمن اتقى أي: اتقى الشرك، وسائر المحرمات. ولا تظلمون فتبلا أي: فسعيكم للدار الآخرة ستجدونه كاملا موفرا غير منقوص منه شيئا. 77 خالدون فيها، فإذا فكر العاقل في هاتين الدارين وتصور حقيقتهما حق التصور، عرف ما هو أحق بالإيثار، والسعي له والاجتهاد لطلبه، ولهذا قال: والآخرة لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه، وأما زمانها، فإن الدنيا منقضية، وعمر الإنسان بالنسبة إلى الدنيا شيء يسير، وأما الآخرة فإنها دائمة النعيم وأهلها سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وأما لذات الدنيا فإنها مشوبة بأنواع التنغيص الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقتدرن بها من أنواع الآلام والهموم والغموم، الجنة فوق ذلك كما قال تعالى: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقال الله على لسان نبيه: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وأما لذات الدنيا وما فيها. ولذاتها صافية عن المكدرات، بل كل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة، فلذة ذلك، فكيف إذا وزنت بين الدنيا والآخرة، وأن الآخرة خير منها، في ذاتها، ولذاتها وزمانها، فذاتها كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت قليل، فتحمل الأثقال في طاعة الله في المدة القصيرة مما يسهل على النفوس ويخف عليها؛ لأنها إذا علمت أن المشقة التي تنالها لا يطول لبثها هان عليها

## تفسير السعدي

الصبر. ثم إن الله وعظهم عن هذه الحال التي فيها التخلف عن القتال فقال: قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى أي: التمتع بلذات الدنيا وراحتها وهذه الحال كثيرا ما تعرض لمن هو غير رزين واستعجل في الأمور قبل وقتها، فالغالب عليه أنه لا يصبر عليها وقت حلولها ولا ينوء بحملها، بل يكون قليل لأمر الله والصبر على أوامره، فعكسوا الأمر المطلوب منهم فقالوا: لولا أخرتنا إلى أجل قريب أي: هلا أخرت فرض القتال مدة متأخرة عن الوقت الحاضر، ذلك خوفا من الناس وضعفا وخورا: ربنا لم كتب علينا القتال ؟ وفي هذا تضجرهم واعتراضهم على الله، وكان الذي ينبغي لهم ضد هذه الحال، التسليم لكان خيرا لهم وأشد تنبيها فلما هاجروا إلى المدينة وقوي الإسلام، كتب عليهم القتال في وقته المناسب لذلك، فقال فريق من الذين يستعجلون القتال قبل اللائق فيها ذلك، وإنما اللائق فيها القيام بما أمروا به في ذلك الوقت من التوحيد والصلاة والزكاة ونحو ذلك كما قال تعالى: ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به بالإسلام، فروعى جانب المصلحة العظمى على ما دونها ولغير ذلك من الحكم. وكان بعض المؤمنين يودون أن لو فرض عليهم القتال في تلك الحال، غير لا يشق عليهم؛ ويبدأ بالأهم فالأهم، والأسهل فالأسهل. ومنها: أنه لو فرض عليهم القتال مع قلة عددهم وعددهم وكثرة أعدائهم لأدى ذلك إلى اضمحلال ذات النصب والشروط، فإنها لم تفرض إلا بالمدينة، ولم يؤمروا بجهد الأعداء لعدة فوائد: منها: أن من حكمة الباري تعالى أن يشرع لعباده الشرائع على وجه كان المسلمون إذ كانوا بمكة مأمورين بالصلاة والزكاة أي: مواسة الفقراء، لا الزكاة المعروفة

يخرج منها شيء عن ذلك. وأن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يكونون سببا لشر يحدث، هم ولا ما جاءوا به لأنهم بعثوا بصلاح الدنيا والآخرة والدين. 78 ذلك، من الإقبال على كلامهما وتدبره، وسلوك الطرق الموصلة إليه. فلو فقهوا عن الله لعلوا أن الخير والشر والحسنات والسيئات كلها بقضاء الله وقدره، لا وفقهم عن الله وعن رسوله، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم. وفي ضمن ذلك مدح من يفهم عن الله وعن رسوله، والحث على ذلك، وعلى الأسباب المعينة على لا يكادون يفقهون حديثا أي: لا يفهمون حديثا بالكلية ولا يقربون من فهمه، أو لا يفهمون منه إلا فهما ضعيفا، وعلى كل فهو ذم لهم وتوبيخ على عدم فهمهم قل كل أي: من الحسنة والسيئة والخير والشر. من عند الله أي: بقضائه وقدره وخلقه. فما لهؤلاء القوم أي: الصادر منهم تلك المقالة الباطلة. تشابهت أقوالهم وأعمالهم. وهكذا كل من نسب حصول الشر أو زوال الخير لما جاءت به الرسل أو لبعضه فهو داخل في هذا الذم الوخيم. قال الله في جوابهم: وقال قوم صالح: قالوا اطيروا بك وبمن معك وقال قوم ياسين لرسولهم: إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم الآية. فلما تشابهت قلوبهم بالكفر كما تطير أمثالهم برسول الله، كما أخبر الله عن قوم فرعون أنهم قالوا لموسى فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه سيئة أي: جذب وفقر، ومرض وموت أولاد وأحباب قالوا: هذه من عندك أي: بسبب ما جئتنا به يا محمد، تطيروا برسول الله صلى الله عليه وسلم عما جاءت به الرسل، المعارضين لهم أنهم إذا جاءتهم حسنة أي: خصب وكثرة أموال، وتوفر أولاد وصحة، قالوا: هذه من عند الله وأنهم إن أصابتهم بالترهيب من عقوبة تركه، وتارة بالإخبار أنه لا ينفع القاعدين قعودهم، وتارة بتسهيل الطريق في ذلك وقصرها. يخبر تعالى عن الذين لا يعلمون المعارضين وأي مكان. ولو كنتم في بروج مشيدة أي: قصور منيعة ومنازل رفيعة، وكل هذا حث على الجهاد في سبيل الله تارة بالترغيب في فضله وثوابه، وتارة ثم أخبر أنه لا يغني حذر عن قدر، وأن القاعد لا يدفع عنه قعوده شيئا، فقال: أينما تكونوا يدرككم الموت أي: في أي زمان

وقد أيد الله رسوله بما أيده، ونصره نصرا عظيما، يتقن بذلك أنه رسول الله، وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل لأخذ منه باليمين، ثم لقطع منه الوتين. 79 أكبر شهادة على الإطلاق، كما قال تعالى: قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم فإذا علم أن الله تعالى كامل العلم، تام القدرة عظيم الحكمة، الله عليه وسلم فقال: وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا على أنك رسول الله حقا بما أيدك بنصره والمعجزات الباهرة والبراهين الساطعة، فهي أن المعاصي مانعة من فضله، فإذا فعلها العبد فلا يلومن إلا نفسه فإنه المانع لنفسه عن وصول فضل الله وبره. ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله محمد صلى الدين والدنيا فمن نفسك أي: بذنوبك وكسبك، وما يعفو الله عنه أكثر. فالله تعالى قد فتح لعباده أبواب إحسانه وأمرهم بالدخول لبره وفضله، وأخبرهم ما أصابك من حسنة أي: في الدين والدنيا فمن الله هو الذي من بها ويسرها بتيسير أسبابها. وما أصابك من سيئة في

الإعطاء، فإن لم يمكن ذلك لكونه حق سفهاء، أو ثم أهم من ذلك فليقولوا لهم قولنا معروفا يردوهم ردا جميلا، بقول حسن غير فاحش ولا قبيح. 8 أشجارهم أتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرك عليها، ونظر إلى أصغر وليد عنده فأعطاه ذلك، علما منه بشدة تشوفه لذلك، وهذا كله مع إمكان إذا جاء أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه معه، فإن لم يجلسه معه، فليناول له لمة أو لقمتين أو كما قال. وكان الصحابة رضي الله عنهم إذا بدأت باكورة ويؤخذ من المعنى أن كل من له تطلع وتشوف إلى ما حضر بين يدي الإنسان، ينبغي له أن يعطيه منه ما تيسر، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب، ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوفة إليه، وقلوبهم متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضرهم وهو نافعهم. بقرينة قوله: القسمة لأن الوارثين من المقتسم عليهم. واليتامى والمساكين أي: المستحقون من الفقراء. فارزقوهم منه أي: أعطوهم ما تيسر وهذا من أحكام الله الحسنة الجليلة الجارية للقلوب فقال: وإذا حضر القسمة أي: قسمة الموارث أو لو القربى أي: الأقارب غير الوارثين

وناصحا، وقد أدبت وظيفتك، ووجب أجرك على الله، سواء اهدتوا أم لم يهدتوا. كما قال تعالى: فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر الآية. 80 تولى عن طاعة الله ورسوله فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئا فما أرسلناك عليهم حفيظا أي: تحفظ أعمالهم وأحوالهم، بل أرسلناك مبلغا ومبيننا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، وله من الثواب والخير ما رتب على طاعة الله ومن مختص بالرسول، وهو التعزيز والتوقير والنصرة. وقسم مشترك، وهو الإيمان بالله ورسوله ومحبتهم وطاعتهم، كما جمع الله بين هذه الحقوق في قوله: مطلقا، ويمدح على ذلك. وهذا من الحقوق المشتركة فإن الحقوق ثلاثة: حق لله تعالى لا يكون لأحد من الخلق، وهو عبادة الله والرغبة إليه، وتوابع ذلك. وقسم

## تفسير السعدي

الله وشرعه ووحيه وتنزيله، وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله أمر بطاعته مطلقا، فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله لم يأمر بطاعته أي: كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه فقد أطاع الله تعالى لكونه لا يأمر ولا ينهى إلا بأمر

فإنهم لا يضرونه شيئا إذا توكل على الله واستعان به في نصر دينه، وإقامة شرعه. ولهذا قال: فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا 81 ما فعلوا فقال: والله يكتب ما يبيتون أي: يحفظه عليهم وسيجازيهم عليه أتم الجزاء، ففيه وعيد لهم. ثم أمر رسوله بمقابلتهم بالإعراض وعدم التعنيف، طائفة منهم غير الذي تقول دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه غير الطاعة؛ لأن التبييت تدبير الأمر ليلا على وجه يستقر عليه الرأي، ثم توعدهم على أي: خرجوا وخلوا في حالة لا يطلع فيها عليهم. بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي: بيتوا ودبروا غير طاعتك ولا ثم إلا المعصية. وفي قوله: بيت فإن الطاعة التي أظهرها غير نافعة ولا مفيدة، وقد أشبه من قال الله فيهم: ويقولون طاعة أي: يظهرن الطاعة إذا كانوا عندك. فإذا برزوا من عندك الله ورسوله ظاهرا وباطنا في الحضرة والمغيب. فأما من يظهر في الحضرة والطاعة والالتزام فإذا خلا بنفسه أو أبناء جنسه ترك الطاعة وأقبل على ضدها، ولا بد أن تكون طاعة

علمه بجميع الأمور، فلذلك قال تعالى: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا. 82 الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضا، فبذلك يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط أقالها ومن فوائد التدبر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضا، ويوافق بعضه بعضا. فترى المقصود بإنزال القرآن، كما قال تعالى: كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب وقال تعالى: أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب. وكلما ازداد العبد تأملا فيه ازداد علما وعملا وبصيرة، لذلك أمر الله بذلك وحث عليه وأخبر أنه هو عنه من سمات النقص، ويعرف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته. فإنه يعرف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال وما ينزه يأمر تعالى بتدبر كتابه، وهو التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم، ذلك فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف،

بطبعه ظالم جاهل، فلا تأمره نفسه إلا بالشر. فإذا لجأ إلى ربه واعتصم به واجتهد في ذلك، لطف به ربه ووفقه لكل خير، وعصمه من الشيطان الرجيم. 83 عنه؟ ثم قال تعالى: ولولا فضل الله عليكم ورحمته أي: في توفيقكم وتأديبكم، وتعليمكم ما لم تكونوا تعلمون، لاتبعتم الشيطان إلا قليلا لأن الإنسان وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ. لم يذيعوه، ولهذا قال: لعلمه الذين يستنبطونه منهم أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة. وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذاعته مصلحة ونشاط للمؤمنين وسرورا لهم وتحرضا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي: والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق. وأنه ينبغي لهم

باقية. ولكن من حكمته يبلو بعض عباده ببعض ليقوم سوق الجهاد، ويحصل الإيمان النافع، إيمان الاختيار، لا إيمان الاضطرار والقهر الذي لا يفيد شيئا. 84 بعضكم بعضا. والله أشد بأسا أي: قوة وعزة وأشد تنكيلا بالمذنب في نفسه، وتنكيلا لغيره، فلو شاء تعالى لانتصر من الكفار بقوته ولم يجعل لهم على المتخلفين من العقاب، فهذا وأمثاله كله يدخل في التحريض على القتال. عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا أي: بقتالكم في سبيل الله، وتحريض على القتال، وهذا يشمل كل أمر يحصل به نشاط المؤمنين وقوة قلوبهم، من تقويتهم والإخبار بضعف الأعداء وفشلهم، وبما أعد للمقاتلين من الثواب، وما أو أحدهما فلماذا قال لرسوله: فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك أي: ليس لك قدرة على غير نفسك، فلن تكلف بفعل غيرك. وحرص المؤمنين هذه الحالة أفضل أحوال العبد، أن يجتهد في نفسه على امتثال أمر الله من الجهاد وغيره، ويحرص غيره عليه، وقد يعدم في العبد الأمان

التعاون على الإثم والعدوان، وقرر ذلك بقوله: وكان الله على كل شيء مقبلا أي: شاهدا حفيظا حسيبا على هذه الأعمال، فيجازي كلا ما يستحقه. 85عاون غيره على أمر من الشر كان عليه كفل من الإثم بحسب ما قام به وعاون عليه. ففي هذا الحث العظيم على التعاون على البر والتقوى، والزجر العظيم عن من أمور الخير ومنه الشفاعة للمظلومين لمن ظلمهم كان له نصيب من شفاعته بحسب سعيه وعمله ونفعه، ولا ينقص من أجر الأصيل والمباشر شيء، ومن المراد بالشفاعة هنا: المعاونة على أمر من الأمور، فمن شفع غيره وقام معه على أمر

الله كان على كل شيء حسيبا فيحفظ على العباد أعمالهم، حسننها وسيئها، صغيرها وكبيرها، ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود. 86رد التحية كل تحية اعتادها الناس وهي غير محظورة شرعا، فإنه مأمور بردها وبأحسن منها، ثم أوعد تعالى وتوعد على فعل الحسنات والسيئات بقوله: إن أمر الشارع بهجره وعدم تحيته، وهو العاصي غير التائب الذي يرتدع بالهجر، فإنه يهجر ولا يحيا، ولا ترد تحيته، وذلك لمعارضة المصلحة الكبرى. ويدخل في من حيا بحال غير مأمور بها، كعلى مشغول بقراءة، أو استماع خطبة، أو وصل ونحو ذلك فإنه لا يطلب إجابة تحيته، وكذلك يستثنى من ذلك من

## تفسير السعدي

الثاني: ما يستفاد من أفعال التفضيل وهو أحسن الدال على مشاركة التحية وردّها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك. ويستثنى من عموم الآية الكريمة ويؤخذ من الآية الكريمة الحث على ابتداء السلام والتحية من وجهين أحدهما: أن الله أمر بردها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أن التحية مطلوبة شرعا. تعالى المؤمنين أنهم إذا حيوا بأي تحية كانت، أن يردوها بأحسن منها لفظا وبشاشة، أو مثلها في ذلك. ومفهوم ذلك النهي عن عدم الرد بالكلية أو ردها بدونها. من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقتضيه بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحية ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء وردا. فأمر التحية هي: اللفظ الصادر

بل أعلاها. فكل ما قيل في العقائد والعلوم والأعمال مما يناقض ما أخبر الله به، فهو باطل لمناقضته للخبر الصادق اليقين، فلا يمكن أن يكون حقا. 87 ذلك على الله يسير وفي قوله: ومن أصدق من الله حديثا ومن أصدق من الله قتيلا إخبار بأن حديثه وأخباره وأقواله في أعلى مراتب الصدق، رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم عليه في غير موضع من القرآن، كقوله تعالى: زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قلا بلى وربّي لتبعثن ثم لتنبؤن بما علمتم خلقه عبثا، يحيون ثم يموتون. وأما الدليل السمعي فهو إخبار أصدق الصادقين بذلك، بل إقسامه عليه ولهذا قال: ومن أصدق من الله حديثا كذلك أمر العقلي ما نشاهده من إحياء الأرض بعد موتها، ومن وجود النشأة الأولى التي وقوع الثانية أولى منها بالإمكان، ومن الحكمة التي تجزم بأن الله لم يخلق أي: أولكم وآخركم في مقام واحد. في يوم القيامة لا ريب فيه أي: لا شك ولا شبهة بوجه من الوجوه، بالدليل العقلي والدليل السمعي، فالدليل المستحق لذلك وحده والمجازي للعباد بما قاموا به من عبوديته أو تركوه منها، ولذلك أقسم على وقوع محل الجزاء وهو يوم القيامة، فقال: ليجمعنكم هو، لكماله في ذاته وأوصافه ولكونه المنفرد بالخلق والتدبير، والنعم الظاهرة والباطنة. وذلك يستلزم الأمر بعبادته والتقرب إليه بجميع أنواع العبودية. لكونه يخبر تعالى عن انفراده بالوحدانية وأنه لا معبود ولا ما لوه إلا

الله عليهم فيه، اشتباه، فبعضهم تخرج عن قتالهم، وقطع موالاتهم بسبب ما أظهره من الإيمان، وبعضهم علم أحوالهم بقرائن أفعالهم فحكم بكفرهم. 88 المراد بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المظهرون إسلامهم، ولم يهاجروا مع كفرهم، وكان قد وقع بين الصحابة رضوان حيث ثقفتهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسألة، فلا يلوموا إلا أنفسهم. 89 المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم أي: المسالمة والمودعة ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم الفرقة فتركوه خوفا لا احتراما، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتضاحا عظيما اعتزال ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها. فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احتراما لهم لا خوفا على أنفسهم، وأما هذه إلى الفتنة أركسوا فيها أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عارض من عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رءوسهم، وازداد كفرهم عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ستجدون آخرين أي: من هؤلاء المنافقين. يريدون أن يأمنوكم أي: خوفا منكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا من ذلك. فهؤلاء إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن شاء الله لسلطهم عليكم فقاتلوكم فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام: إما أن يكونوا معكم ويقاتلوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضا أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: ولو وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال. والفرقة الثانية قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا التحريم في الأشهر الحرم. ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق: فرقتين أمر بتركهم وحتم على ذلك، إحداها من يصل إلى قوم بينهم كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد وهاجر إليه، وسواء كان مؤمنا حقيقة أو ظاهر الإيمان. وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي وقت وأي محل بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه تحققتم ذلك منهم فلا تتخذوا منهم أولياء وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضا بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشبهوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرروا كفرهم، وودوا مع ذلك كفرهم وأن تكونوا مثلهم. فإذا فأخبرهم الله

بعدهم من ذريتهم الضعاف فليتقوا الله في ولايتهم لغيرهم، أي: يعاملونهم بما فيه تقوى الله، من عدم إهانتهم والقيام عليهم، وإلزامهم لتقوى الله. 9 أولادهم بعدهم. وقيل: إن المراد بذلك أولياء السفهاء من المجانين والصغار والضعاف أن يعاملوهم في مصالحهم الدينية والدنيوية بما يحبون أن يعامل به من المساواة فيها، بدليل قوله: وليقولوا قولا سديدا أي: سدادا، موافقا للقسط والمعروف. وأنهم يأمرهم من يريد الوصية على أولاده بما يحبون معاملة قيل: إن هذا خطاب لمن يحضر من حضره الموت وأجف في وصيته، أن يأمره بالعدل في وصيته

حيث ثقفتهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسألة، فلا يلوموا إلا أنفسهم. 90 المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم أي: المسالمة والمودعة ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم

## تفسير السعدي

الفرقة فتركوه خوفا لا احتراماً، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتساحا عظيما اعتزال ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها. فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احتراماً لهم لا خوفاً على أنفسهم، وأما هذه إلى الفتنة أركسوا فيها أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رءوسهم، وازداد كفرهم عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ستجدون آخرين أي: من هؤلاء المنافقين. يريدون أن يأمنوكم أي: خوفاً منكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا من ذلك. فهؤلاء إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن شاء الله لسلطهم عليكم فلقاؤكم فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام: إما أن يكونوا معكم ويقاوتوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضاً أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: ولو وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال. والفرقة الثانية قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا التحريم في الأشهر الحرم. ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق: فرقتين أمر بتركهم وحتم على ذلك، إحداها من يصل إلى قوم بينهم كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد وهاجر إليه، وسواء كان مؤمناً حقيقة أو ظاهر الإيمان. وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي وقت وأي محل بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه تحققتم ذلك منهم فلا تتخذوا منهم أولياء وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتهبوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم وأن تكونوا مثلهم. فإذا فأخبرهم الله

حيث ثقتموهم وأولئك جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً أي: حجة بينة واضحة، لكونهم معتدين ظالمين لكم تاركين للمسالمة، فلا يلوموا إلا أنفسهم. 91 المؤمنين وترك قتالهم، فإنهم يقاتلون، ولهذا قال: فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم أي: المسالمة والمودعة ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم الفرقة فتركوه خوفاً لا احتراماً، بل لو وجدوا فرصة في قتال المؤمنين، فإنهم مستعدون لانتهازها، فهؤلاء إن لم يتبين منهم ويتضح اتساحا عظيماً اعتزال ونفاقهم، وهؤلاء في الصورة كالفرقة الثانية، وفي الحقيقة مخالفة لها. فإن الفرقة الثانية تركوا قتال المؤمنين احتراماً لهم لا خوفاً على أنفسهم، وأما هذه إلى الفتنة أركسوا فيها أي: لا يزالون مقيمين على كفرهم ونفاقهم، وكلما عرض لهم عوارض الفتن أعماهم ونكسهم على رءوسهم، وازداد كفرهم عن احترامكم، وهم الذين قال الله فيهم: ستجدون آخرين أي: من هؤلاء المنافقين. يريدون أن يأمنوكم أي: خوفاً منكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا من ذلك. فهؤلاء إن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً الفرقة الثالثة: قوم يريدون مصلحة أنفسهم بقطع النظر قومهم وبين ترك قتال الفريقين، وهو أهون الأمرين عليكم، والله قادر على تسليطهم عليكم، فاقبلوا العافية، واحمدوا ربكم الذي كف أيديهم عنكم مع التمكن شاء الله لسلطهم عليكم فلقاؤكم فإن الأمور الممكنة ثلاثة أقسام: إما أن يكونوا معكم ويقاوتوا أعداءكم، وهذا متعذر من هؤلاء، فدار الأمر بين قتالكم مع قومهم أي: بقوا، لا تسمح أنفسهم بقتالكم، ولا بقتال قومهم، وأحبوا ترك قتال الفريقين، فهؤلاء أيضاً أمر بتركهم، وذكر الحكمة في ذلك في قوله: ولو وبين المسلمين عهد وميثاق بترك القتال فينضم إليهم، فيكون له حكمهم في حقن الدم والمال. والفرقة الثانية قوم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا التحريم في الأشهر الحرم. ثم إن الله استثنى من قتال هؤلاء المنافقين ثلاث فرق: فرقتين أمر بتركهم وحتم على ذلك، إحداها من يصل إلى قوم بينهم كان، وهذا من جملة الأدلة الدالة على نسخ القتال في الأشهر الحرم، كما هو قول جمهور العلماء، والمنازعون يقولون: هذه نصوص مطلقة، محمولة على تقييد وهاجر إليه، وسواء كان مؤمناً حقيقة أو ظاهر الإيمان. وأنهم إن لم يهاجروا وتولوا عنها فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم أي: في أي وقت وأي محل بضده، وهذا الأمر موقت بهجرتهم فإذا هاجروا جرى عليهم ما جرى على المسلمين، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجري أحكام الإسلام لكل من كان معه تحققتم ذلك منهم فلا تتخذوا منهم أولياء وهذا يستلزم عدم محبتهم لأن الولاية فرع المحبة. ويستلزم أيضاً بغضهم وعداوتهم لأن النهي عن الشيء أمر تعالى أنه لا ينبغي لكم أن تشتهبوا فيهم ولا تشكوا، بل أمرهم واضح غير مشكل، إنهم منافقون قد تكرر كفرهم، وودوا مع ذلك كفركم وأن تكونوا مثلهم. فإذا فأخبرهم الله

وطاقتهم، وخففت أيضاً بتأجيلها عليهم ثلاث سنين. ومن حكمته وعلمه أن جبر أهل القتل عن مصيبتهم، بالدية التي أوجبها على أولياء القاتل. 92 تحصيل المصالح وكف المفساد ولعل ذلك من أسباب منعهم لمن يعقلون عنه من القتل حذراً من تحميلهم ويخف عنهم بسبب توزيعه عليهم بقدر أحوالهم بإجماع العلماء، لكون القاتل لم يذنب فيشق عليه أن يحمل هذه الدية الباهظة، فناسب أن يقوم بذلك من بينه وبينهم المعاونة والمناصرة والمساعدة على في القتل الدية ولو كان خطأ، لتكون رادعة وكافة عن كثير من القتل باستعمال الأسباب العاصمة عن ذلك. ومن حكمته أن وجبت على العاقلة في قتل الخطأ، الشاقة في عددها ووجوب التتابع فيها، ولم يشرع الإطعام في هذا الموضع لعدم المناسبة. بخلاف الظاهر، كما سيأتي إن شاء الله تعالى. ومن حكمته أن أوجب فأخرج نفسه من رق الشهوات واللذات الحسية القاطعة للعبد عن سعادته الأبدية إلى التعبد لله تعالى بتركها تقرباً إلى الله. ومدها تعالى بهذه المدة الكثيرة وأخرجها من الوجود إلى العدم، فناسب أن يعتق رقبة ويخرجها من رق العبودية للخلق إلى الحرية التامة، فإن لم يجد هذه الرقبة صام شهرين متتابعين،

## تفسير السعدي

بل كل ما خلقه وشرعه فهو متضمن لغاية الحكمة، ومن علمه وحكمته أن أوجب على القاتل كفارة مناسبة لما صدر منه، فإنه تسبب لإعدام نفس محترمة، عليه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، في أي وقت كان وأي محل كان. ولا يخرج عن حكمته من المخلوقات والشرائع شيء، وتكفير لما عساه أن يحصل منهم من تقصير وعدم احتراز، كما هو واقع كثيرا للقاتل خطأ. وكان الله عليهما حكيما أي: كامل العلم كامل الحكمة، لا يخفى كان لغير عذر انقطع التتابع ووجب عليه استئناف الصوم. توبة من الله أي: هذه الكفارات التي أوجبها الله على القاتل توبة من الله على عباده ورحمة بهم، شيء يفي بالرقبة، فصيام شهرين متتابعين أي: لا يفطر بينهما من غير عذر، فإن أفطر لعذر فإن العذر لا يقطع التتابع، كالمرض والحيض ونحوهما. وإن ذلك لاحترام أهله بما لهم من العهد والميثاق. فمن لم يجد الرقبة ولا ثمنها، بأن كان معسرا بذلك، ليس عنده ما يفضل عن مؤنته وحوائجه الأصلية وليس عليكم لأهله دية، لعدم احترامهم في دمائهم وأموالهم. وإن كان المقتول من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة الله سماها صدقة، والصدقة مطلوبة في كل وقت. فإن كان المقتول من قوم عدو لكم أي: من كفار حربيين وهو مؤمن ففتح تحرير رقبة مؤمنة أي: تفاصيل كثيرة مذكورة في كتب الفقه. وقوله: إلا أن يصدقوا أي: يتصدق ورثة القاتل بالعفو عن الدية، فإنها تسقط، وفي ذلك حث لهم على العفو لأن القاتل في الخطأ وشبه العمد. مسلمة إلى أهله جبرا لقلوبهم، والمراد بأهله هنا هم ورثته، فإن الورثة يرثون ما ترك، الميت، فالدية داخله فيما ترك وللدية تخليص من استحققت منافعه لغيره أن تكون له، فإذا لم يكن فيه منافع لم يتصور وجود التحرير. فتأمل ذلك فإنه واضح. وأما الدية فإنها تجب على عاقلة العتيق، وملكه منافع نفسه، فإذا كان يضيع بعثقه، وبقاؤه في الرق أنفع له فإنه لا يجزئ عثقه، مع أن في قوله: تحرير رقبة ما يدل على ذلك؛ فإن التحرير: والكبير، والذكر والأنثى، والصحيح والمعيب، في قول بعض العلماء. ولكن الحكمة تقتضي أن لا يجزئ عثق المعيب في الكفارة؛ لأن المقصود بالعثق نفع ذكرا أو أنثى، صغيرا أو كبيرا، كما يفيد التنكير في سياق الشرط، فإن على القاتل تحرير رقبة مؤمنة كفارة لذلك، تكون في ماله، ويشمل ذلك الصغير من أسرار الإتيان بـ من في هذا الموضع، فإن سياق الكلام يقتضي أن يقول: فإن قتله، ولكن هذا لفظ لا يشمل ما تشمله من وسوء كان المقتول مؤمنا خطأ سواء كان القاتل ذكرا أو أنثى حرا أو عبدا، صغيرا أو كبيرا، عاقلا أو مجنونا، مسلما أو كافرا، كما يفيد لفظ من الدالة على العموم وهذا غير آثم، ولا مجترئ على محارم الله، ولكنه لما كان قد فعل فعلا شنيعا وصورته كافية في قبحه وإن لم يقصده أمر تعالى بالكفارة والدية فقال: ومن قتل لفظا عاما لجميع الأحوال، وأنه لا يصدر منه قتل أخيه بوجه من الوجوه، استثنى تعالى قتل الخطأ فقال: إلا خطأ فإن المخطئ الذي لا يقصد القتل بعدي كافرا يضرب بعضكم رقاب بعض فعلم أن القتل من الكفر العملي وأكبر الكبائر بعد الشرك بالله. ولما كان قوله: وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إيمانية التي من مقتضاها محبته وموالاته، وإزالة ما يعرض لأخيه من الأذى، وأي أذى أشد من القتل؟ وهذا يصدق قوله صلى الله عليه وسلم: لا ترجعوا من فاسق قد نقص إيمانه نقضا عظيما، ويخشى عليه ما هو أكبر من ذلك، فإن الإيمان الصحيح يمنع المؤمن من قتل أخيه الذي قد عقد الله بينه وبينه الأخوة يتمتع ويستحيل أن يصدر من مؤمن قتل مؤمن، أي: متعمدا، وفي هذا الإخبار بشدة تحريمه وأنه مناف للإيمان أشد منافاة، وإنما يصدر ذلك إما من كافر، أو هذه الصيغة من صيغ الامتناع، أي:

التوبة كل وقت بالرجوع إلى الله في عدد أنفاسه، وهذا من أحب الخلق إلى الله. انتهى كلامه قدس الله روحه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرا. 93  
كما تحرق النار الحطب، وصاحب هذا المقام من الإيمان يستحيل إصراره على السيئات، وإن وقعت منه وكثرت، فإن ما معه من نور الإيمان يأمره بتجديد ذلك، ونسبة ذلك إليه نسبة ما لا يليق به إليه، فيكون نسبة ذلك إلى بصيرته كنسبة الشمس والنجوم إلى بصره. وهذا يقين الإيمان، وهو الذي يحرق السيئات، في كتابه من أمر المعاد وتفاصيله، حتى كأنه يشاهده رأي عين. ويعلم أن هذا هو مقتضى إلهيته سبحانه، وربوبيته وعزته وحكمته وأنه يستحيل عليه خلاف ومن يدخل النار ثم يخرج منها ويكون مكته فيها بحسب ما فيه من مقتضى المكث في سرعة الخروج وبطئه. ومن له بصيرة منورة يرى بها كل ما أخبر الله به وأحدهما يمنع كمال تأثير الآخر ويقاومه، فإذا ترجح عليه وقهره كان التأثير له. ومن هنا يعلم انقسام الخلق إلى من يدخل الجنة ولا يدخل النار، وعكسه، الأخلط وبغيها مانع من عمل الطبيعة، وفعل القوة والحكم للغالب منهما، وكذلك قوى الأدوية والأمراض. والعبد يكون فيه مقتضى للصحة ومقتضى للعطب، الأسباب ومسبباتها خلقا وأمرا، وقد جعل الله سبحانه لكل ضد يدافعه ويقاومه، ويكون الحكم للأغلب منهما. فالقوة مقتضية للصحة والعافية، وفساد قالوا: وعلى هذا بناء مصالح الدارين ومفاسدهما. وعلى هذا بناء الأحكام الشرعية والأحكام القدريّة، وهو مقتضى الحكمة السارية في الوجود، وبه ارتباط هذه النصوص فلا بد من إعمال النصوص من الجانبين. ومن هنا قامت الموازنة بين الحسنات والسيئات، اعتبارا بمقتضى العقاب وموانعه، وإعمالا لأرجحها. المتواترة التي لا مدفع لها، والحسنات العظيمة الماحية مانعة، والمصائب الكبار المكفرة مانعة، وإقامة الحدود في الدنيا مانع بالنص، ولا سبيل إلى تعطيل الإعلام بأن كذا سبب للعقوبة ومقتضى لها، وقد قام الدليل على ذكر الموانع فبعضها بالإجماع، وبعضها بالنص. فالتوبة مانع بالإجماع، والتوحيد مانع بالنصوص وأمثالها مما ذكر فيه مقتضى للعقوبة، ولا يلزم من وجود مقتضى الحكم وجوده، فإن الحكم إنما يتم بوجود مقتضيه وانتفاء موانعه. وغاية هذه النصوص الإمام المحقق: شمس الدين بن القيم رحمه الله في المدارج فإنه قال بعدما ذكر تأويلات الأئمة في ذلك وانتقدها فقال: وقالت فرقة: هذه النصوص اختلف الأئمة رحمهم الله في تأويلها مع اتفاقهم على بطلان قول الخوارج والمعتزلة الذين يخلدونهم في النار ولو كانوا موحدين. والصواب في تأويلها ما قاله فعباذا بالله من كل سبب يبعد عن رحمته. وهذا الوعيد له حكم أمثاله من نصوص الوعيد، على بعض الكبائر والمعاصي بالخلود في النار، أو حرمان الجنة. وقد قد انتهض وحده أن يجازى صاحبه بجهنم، بما فيها من العذاب العظيم، والخزي المهين، وسخط الجبار، وفوات الفوز والفلاح، وحصول الخيبة والخسار. له الأفئدة، وتنزعج منه أولو العقول. فلم يرد في أنواع الكبائر أعظم من هذا الوعيد، بل ولا مثله، ألا وهو الإخبار بأن جزاء جهنم، أي: فهذا الذنب العظيم

## تفسير السعدي

تقدم أن الله أخبر أنه لا يصدر قتل المؤمن من المؤمن، وأن القتل من الكفر العملي، وذكر هنا وعيد القاتل عمدا، وعيدا ترجف له القلوب وتنصدع حتى يتضح له الأمر ويتبين الرشد والصواب. إن الله كان بما تعملون خبيرا فيجازي كلا ما عمله ونواه، بحسب ما علمه من أحوال عباده ونياتهم. 94 في أنه إنما سلم تعوذا من القتل وخوفا على نفسه فإن ذلك يدل على الأمر بالتبين والتثبت في كل الأحوال التي يقع فيها نوع اشتباه، فيثبت فيها العبد، كان من خرج للجهاد في سبيل الله، ومجاهدة أعداء الله، وقد استعد بأنواع الاستعداد للإيقاع بهم، مأمورا بالتبين لمن ألقى إليه السلام، وكانت القرينة قوية بمقتضى ما يعرف من حاله الأولى، ودعاؤه له بالحكمة والموعظة الحسنة من أكبر الأسباب لنفعه وانتفاعه، ولهذا أعاد الأمر بالتبين فقال: فتبينوا فإذا بعد ضلالكم فكذلك يهدي غيركم، وكما أن الهداية حصلت لكم شيئا فشيئا، فكذلك غيركم. فنظر الكامل لحاله الأولى الناقصة، ومعاملته لمن كان على مثلها امتثال أمر الله، وإن شق ذلك عليها. ثم قال تعالى مذكرا لهم بحالهم الأولى، قبل هدايتهم إلى الإسلام: كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم أي: فكما هداكم مائلة إلى حالة له فيها هوى وهي مضرة له، أن يذكرها ما أعد الله لمن نهى نفسه عن هواها، وقدم مرضاة الله على رضا نفسه، فإن في ذلك ترغيبا للنفس في على ارتكاب ما لا ينبغي فيفوتكم ما عند الله من الثواب الجزيل الباقي، فما عند الله خير وأبقى. وفي هذا إشارة إلى أن العبد ينبغي له إذا رأى دواعي نفسه فلماذا عاتبهم بقوله: ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة أي: فلا يحملنكم العرض الفاني القليل الذين عاتبهم الله في الآية لما لم يتثبتوا وقتلوا من سلم عليهم، وكان معه غنيمة له أو مال غيره، ظنا أنه يستكفي بذلك قتلهم، وكان هذا خطأ في نفس الأمر، عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ووزانته، بخلاف المستعجل للأمر في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي، كما جرى لهؤلاء الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟ فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشورور أمورهم المشتبهة. فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين، لأن ذلك تحصيل حاصل. وأما الأمور المشككة غير يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع

عنها. ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين الغفور الرحيم ختم هذا الآية بهما فقال: وكان الله غفورا رحيمًا 95 له الكمال. كما إذا قيل: النصارى خير من المجوس فليقل مع ذلك: وكل منهما كافر. والقتل أشنع من الزنا، وكل منهما معصية كبيرة، حرما الله ورسوله وزجر والأعمال أن يتفطن لهذه النكتة. وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض، لئلا يتوهم أن المفضل قد حصل ثم قال: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى: ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف في الآيات المذكورة في الصف في قوله: وبشر المؤمنين وكما في قوله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أي: ممن لم يكن كذلك. شيء، وكل منهما له فضل، احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح، أو النزول من حالة إلى ما دونها، عند القدر والذم أحسن لفظا وأوقع في النفس. وكذلك إذا فضل تعالى شيئا على فإنه نفى التسوية أولا بين المجاهد وغيره، ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات. وهذا الانتقال من ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم إلى آخر السورة. وتأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها، أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله. وهذا الثواب الذي رتبته الله على الجهاد، نظير الذي في سورة الصف في قوله: يا أيها الذين آمنوا هل كل شر. والدرجات التي فصلها النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث الثابت عنه في الصحيحين أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل. ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر. ومن كان عازما على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويحدث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد، به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمن كان من أولي الضرر راضيا بقعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، ولا يحدث نفسه على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر. وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث

عنها. ولما وعد المجاهدين بالمغفرة والرحمة الصادرين عن اسميه الكريمين الغفور الرحيم ختم هذا الآية بهما فقال: وكان الله غفورا رحيمًا 96 له الكمال. كما إذا قيل: النصارى خير من المجوس فليقل مع ذلك: وكل منهما كافر. والقتل أشنع من الزنا، وكل منهما معصية كبيرة، حرما الله ورسوله وزجر والأعمال أن يتفطن لهذه النكتة. وكذلك لو تكلم في ذم الأشخاص والمقالات ذكر ما تجتمع فيه عند تفضيل بعضها على بعض، لئلا يتوهم أن المفضل قد حصل ثم قال: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى: ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فينبغي لمن بحث في التفضيل بين الأشخاص والطوائف في الآيات المذكورة في الصف في قوله: وبشر المؤمنين وكما في قوله تعالى: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أي: ممن لم يكن كذلك. شيء، وكل منهما له فضل، احترز بذكر الفضل الجامع للأمرين لئلا يتوهم أحد ذم المفضل عليه كما قال هنا: وكلا وعد الله الحسنى وكما قال تعالى حالة إلى أعلى منها عند التفضيل والمدح، أو النزول من حالة إلى ما دونها، عند القدر والذم أحسن لفظا وأوقع في النفس. وكذلك إذا فضل تعالى شيئا على فإنه نفى التسوية أولا بين المجاهد وغيره، ثم صرح بتفضيل المجاهد على القاعد بدرجة، ثم انتقل إلى تفضيله بالمغفرة والرحمة والدرجات. وهذا الانتقال من

## تفسير السعدي

ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم إلى آخر السورة. وتأمل حسن هذا الانتقال من حالة إلى أعلى منها، أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم بين السماء والأرض، أعدها الله للمجاهدين في سبيله. وهذا الثواب الذي رتبته الله على الجهاد، نظير الذي في سورة الصف في قوله: يا أيها الذين آمنوا هل كل شر. والدرجات التي فصلها النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث الثابت عنه في الصحيحين أن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما وهذا تفضيل على وجه الإجمال، ثم صرح بذلك على وجه التفصيل، ووعدهم بالمغفرة الصادرة من ربهم، والرحمة التي تشتمل على حصول كل خير، واندفاع لأن النية الجازمة إذا اقترن بها مقدورها من القول أو الفعل ينزل صاحبها منزلة الفاعل. ثم صرح تعالى بتفضيل المجاهدين على القاعدين بالدرجة، أي: الرفعة، بذلك، فإنه بمنزلة القاعد لغير عذر. ومن كان عازما على الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع يتمنى ذلك ويحدث به نفسه، فإنه بمنزلة من خرج للجهاد، به، فإنهم ليسوا بمنزلة القاعدين من غير عذر، فمن كان من أولي الضرر راضيا بعوده لا ينوي الخروج في سبيل الله لولا وجود المانع، ولا يحدث نفسه على الخروج للجهاد، والترغيب في ذلك، والترهيب من التكاسل والقعود عنه من غير عذر. وأما أهل الضرر كالمريض والأعمى والأعرج والذي لا يجد ما يتجهز أي: لا يستوي من جاهد من المؤمنين بنفسه وماله ومن لم يخرج للجهاد ولم يقاتل أعداء الله، ففيه الحث

شيء من ذلك لم يكن متوفيا. وفيه الإيمان بالملائكة ومدحهم، لأن الله ساق ذلك الخطاب لهم على وجه التقرير والاستحسان منهم، وموافقته لمحل. 97 على أن كل من توفي فقد استكمل واستوفى ما قدر له من الرزق والأجل والعمل، وذلك مأخوذ من لفظ التوفي فإنه يدل على ذلك، لأنه لو بقي عليه شروطه وانتفاء موانعه، وقد يمنع من ذلك مانع. وفي الآية دليل على أن الهجرة من أكبر الواجبات، وتركها من المحرمات، بل من الكبائر، وفي الآية دليل الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا وهذا كما تقدم، فيه ذكر بيان السبب الموجب، فقد يترتب عليه مقتضاه، مع اجتماع من إظهار دينه، فإن له متسعا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، كما قال تعالى: يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون قال ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وهذا استفهام تقرير، أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه قدرة على الهجرة. وهم غير صادقين في ذلك لأن الله وبخهم وتوعدهم، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، واستثنى المستضعفين حقيقة. ولهذا قالت لهم الملائكة: الخير الكثير، والجهاد مع رسوله، والكون مع المسلمين، ومعاونتهم على أعدائهم. قالوا كنا مستضعفين في الأرض أي: ضعفاء مقهورين مظلومين، ليس لنا العظيم، ويقولون لهم: فيم كنتم أي: على أي حال كنتم؟ وبأي شيء تميزتم عن المشركين؟ بل كنتم سوادهم، وربما ظاهرتموهم على المؤمنين، وفاتكم هذا الوعيد الشديد لمن ترك الهجرة مع قدرته عليها حتى مات، فإن الملائكة الذين يقبضون روحه يوبخونه بهذا التوبيخ

ثم استثنى المستضعفين على الحقيقة، الذين لا قدرة لهم على الهجرة بوجه من الوجوه ولا يهتدون سبيلا 98

أبواب الحيل لقوله: لا يستطيعون حيلة وفي الآية تنبيه على أن الدليل في الحج والعمرة ونحوهما مما يحتاج إلى سفر من شروط الاستطاعة. 99 الله ما استطعتم وقال النبي صلى الله عليه وسلم: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ولكن لا يعذر الإنسان إلا إذا بذل جهده وانسدت عليه معذوره، كما قال تعالى في العاجزين عن الجهاد: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج وقال في عموم الأوامر: فاتقوا الوجه اللائق الذي ينبغي، بل يكون مقصرا فلا يستحق ذلك الثواب. والله أعلم. وفي الآية الكريمة دليل على أن من عجز عن الأمور من واجب وغيره فإنه واجب وقوعها من الله تعالى بمقتضى كرمه وإحسانه، وفي الترجية بالثواب لمن عمل بعض الأعمال فائدة، وهو أنه قد لا يوفيه حق توفيته، ولا يعمل على فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا و عسى ونحوها

## سورة 5

رحمة بكم، وحرم عليكم ما استثنى منها من ذوات العوارض، من الميتة ونحوها، صونا لكم واحتراما، ومن صيد الإحرام احتراماً للإحرام وإعظاما. 1 يحكم ما يريد أي: فمهما أرادته تعالى حكم به حكما موافقا لحكمته، كما أمركم بالوفاء بالعقود لحصول مصالحكم ودفع المضار عنكم. وأحل لكم بهيمة الأنعام أي: متجربون على قتله في حال الإحرام، وفي الحرم، فإن ذلك لا يحل لكم إذا كان صيدا، كالظباء ونحوه. والصيد هو الحيوان المأكول المتوحش. إن الله في حال الإحرام فقال: غير محلي الصيد وأنتم حرم أي: أحلت لكم بهيمة الأنعام في كل حال، إلا حيث كنتم متصفين بأنكم غير محلي الصيد وأنتم حرم، آخر الآية. فإن هذه المذكورات وإن كانت من بهيمة الأنعام فإنها محرمة. ولما كانت إباحة بهيمة الأنعام عامة في جميع الأحوال والأوقات، استثنى منها الصيد الآية على إباحة الجنين الذي يموت في بطن أمه بعدما تذبج. إلا ما يتلى عليكم تحريمه منها في قوله: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير إلى بكم بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والغنم، بل ربما دخل في ذلك الوحشي منها، والظباء وحمر الوحش، ونحوها من الصيود. واستدل بعض الصحابة بهذه التقاطع. فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها ثم قال ممتنا على عباده: أحلت لكم أي: لأجلكم، رحمة بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: إنما المؤمنون إخوة بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم بحقوق الصلبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، شيئا، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب، ببرهم وصلاتهم، وعدم قطيعتهم. والتي بينه وبين أصحابه من القيام



## تفسير السعدي

أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود،

كفروا وكذبوا بآياتنا الدالة على الحق المبين، فكذبوا بها بعد ما أبانت الحقائق. أولئك أصحاب الجحيم الملازمون لها ملازمة صاحب لصاحبه. 10 والذين

أخبر أن الفلاح متوقف على التقوى التي هي موافقة الله في أمره ونهيه، فمن اتقاه أفلح كل الفلاح، ومن ترك تقواه حصل له الخسران وفاتته الأرباح. 100 تفلحون فأمر أولي الأبواب، أي: أهل العقول الوافية، والآراء الكاملة، فإن الله تعالى يوجه إليهم الخطاب. وهم الذين يؤبه لهم، ويرجى أن يكون فيهم خير. ثم الطيبة، ولا المال الحرام بالمال الحلال. ولو أعجبت كثرة الخبيث فإنه لا ينفع صاحبه شيئا، بل يضره في دينه ودنياه. فاتقوا الله يا أولي الأبواب لعلكم الخير: لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، فلا يستوي الإيمان والكفر، ولا الطاعة والمعصية، ولا أهل الجنة وأهل النار، ولا الأعمال الخبيثة والأعمال أي: قل للناس محذرا عن الشر ومرغبا في

وعفا عنه. والله غفور حلیم أي: لم يزل بالمغفرة موصوفا، وبالحلم والإحسان معروفا، فتعرضوا لمغفرته وإحسانه، واطلبوه من رحمته ورضوانه. 101 السماء، تبد لكم، أي: تبين لكم وتظهر، وإلا فاستكتوا عما سكت الله عنه. عفا الله عنها أي: سكت معافيا لعباده منها، فكل ما سكت الله عنه فهو مما أباحه أي: وإذا وافق سؤالكم محله فسألتم عنها حين ينزل عليكم القرآن، فتسألون عن آية أشكلت، أو حكم خفي وجهه عليكم، في وقت يمكن فيه نزول الوحي من الذي لا يترتب عليه شيء من ذلك فهذا مأمور به، كما قال تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الواقعة. وكالسؤال الذي يترتب عليه تشديدات في الشرع ربما أخرجت الأمة، وكالسؤال عما لا يعني، فهذه الأسئلة، وما أشبهها هي المنهي عنها، وأما السؤال المسلمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن آباءهم، وعن حالهم في الجنة أو النار، فهذا ربما أنه لو بين للسائل لم يكن له فيه خير، وكسؤالهم للأمور غير ينهي عباده المؤمنين عن سؤال الأشياء التي إذا بينت لهم ساءت لهم وأحزنتهم، وذلك كسؤال بعض

الصحيح: ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم، واختلافهم على أنبيائهم. 102 من قبلكم أي: جنسها وشبهها، سؤال تعنت لا استرشاد. فلما بينت لهم وجاءتهم أصبحوا بها كافرين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث وهذه المسائل التي نهيتكم عنها قد سألها قوم

ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون فلا نقل فيها ولا عقل، ومع هذا فقد أعجبوا بآرائهم التي بنيت على الجهالة والظلم. 103 إلى حالة معروفة بينهم. فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان. وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم، ولهذا قال: عليه، سببها فلا تركب ولا يحمل عليها ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئا من ماله يجعله سائبة. ولا حام أي: جمل يحمى ظهره عن الركوب والحمل، إذا وصل ما جعل الله من بحيرة وهي: ناقة يشقون أذنائها، ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة. ولا سائبة وهي: ناقة، أو بقرة، أو شاة، إذا بلغت شيئا اصطلحوا في الدين ما لم يأذن به الله، وحرموها ما أحله الله، فجعلا بآرائهم الفاسدة شيئا من مواشيهم محرما، على حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما أنزل الله فقال: هذا ذم للمشركين الذين شرعوا

شيء. فتبا لمن قلد من لا علم عنده صحيح، ولا عقل رجيح، وترك اتباع ما أنزل الله، واتباع رسله الذي يملأ القلوب علما وإيمانا، وهدي، وإيقانا. 104 من عذاب الله. ولو كان في آباءهم كفاية ومعرفة ودراية لهان الأمر. ولكن آباءهم لا يعقلون شيئا، أي: ليس عندهم من المعقول شيء، ولا من العلم والهدى فإذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول أعرضوا فلم يقبلوا، وقالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا من الدين، ولو كان غير سديد، ولا دينا ينجي ضلال غيره. وقوله: إلى الله مرجعكم جميعا أي: مآلكم يوم القيامة، واجتماعكم بين يدي الله تعالى. فينبئكم بما كنتم تعملون من خير وشر. 105 فإنه لا يتم هداة، إلا بالإتيان بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. نعم، إذا كان عاجزا عن إنكار المنكر بيده ولسانه وأنكره بقلبه، فإنه لا يضره ضل عن الصراط المستقيم، ولم يهتد إلى الدين القويم، وإنما يضر نفسه. ولا يدل هذا على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يضر العبد تركهما وإيهامهما، يقول تعالى: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم أي: اجتهدوا في إصلاحها وكمالها وإلزامها سلوك الصراط المستقيم، فإنكم إذا صلتكم لا يضركم من ولو كان ذا قربى فلا نراعيه لأجل قربه منا ولا نكنتم شهادة الله بل نؤديها على ما سمعناها إنا إذا أي: إن كنتمناها لمن الآثمين 106

إن ارتبتم في شهادتهما، فإن صدقتموهما، فلا حاجة إلى القسم بذلك. ويقولان: لا نشترى به أي: بأيماننا ثمنا بأن نكذب فيها، لأجل عرض من الدنيا. إلا لأن قولهما في تلك الحال مقبول، ويؤكد عليهما، بأن يحبسنا من بعد الصلاة التي يعظمونها. فيقسمان بالله أنهما صدقا، وما غيرا ولا بدلا، هذا والضرورة وعدم غيرهما من المسلمين. إن أنتم ضربتم في الأرض أي: سافرتم فيها فأصابتمكم مصيبة الموت أي: فأشهدوهما، ولم يأمر بشهادتهما ويشهد عليهما اثنين ذوي عدل ممن تعتبر شهادتهما. أو آخران من غيركم أي: من غير أهل دينكم، من اليهود أو النصارى أو غيرهم، وذلك عند الحاجة يخبر تعالى خبرا متضمنا للأمر بإشهاد اثنين على الوصية، إذا حضر الإنسان مقدمات الموت وعلائمه. فينبغي له أن يكتب وصيته،

بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما أي: أنهما كذبا، وغيرا وخانا. وما اعتدنا إنا إذا لمن الظالمين أي: إن ظلمنا واعتدنا، وشهدنا بغير الحق. 107 وأنهما خانا فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان أي: فليقم رجلان من أولياء الميت، وليكونا من أقرب الأولياء إليه. فيقسمان

## تفسير السعدي

فإن عثر على أنهما أي: الشاهدين استحقا إثما بأن وجد من القرائن ما يدل على كذبهما

أولياء الميت فأقسما بالله: أن أيماننا أصدق من أيمانهما، ولقد خانا وكذبا. ثم يدفع إليهما ما ادعياه، فتكون القرينة مع أيمانهما قائمة مقام البينة. 108 امتحان الشاهدين عند الريبة منهما، وتفريقهما لينظر عن شهادتهما. ومنها: أنه إذا وجدت القرائن الدالة على كذب الوصيين في هذه المسألة قام اثنان من حاجة إلى حبسهما، وتأكيد اليمين عليهما. ومنها: تعظيم أمر الشهادة حيث أضافها تعالى إلى نفسه، وأنه يجب الاعتناء بها والقيام بها بالقسط. ومنها: أنه يجوز وأراد الأولياء أن يؤكدوا عليهم اليمين، ويحبسوهما من بعد الصلاة، فيقسمان بصفة ما ذكر الله تعالى. ومنها: أنه إذا لم تحصل تهمة ولا ريب لم يكن ومنها: جواز سفر المسلم مع الكافر إذا لم يكن محذور. ومنها: جواز السفر للتجارة. ومنها: أن الشاهدين إذا ارتبب منهما، ولم تبد قرينة تدل على خيانتها، أنه ربما استفيد من تلميح الحكم ومعناه، أن شهادة الكفار عند عدم غيرهم، حتى في غير هذه المسألة مقبولة، كما ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية. في هذه الوصية ونحوها مقبولة لوجود الضرورة، وهذا مذهب الإمام أحمد. وزعم كثير من أهل العلم: أن هذا الحكم منسوخ، وهذه دعوى لا دليل عليها. ومنها: معتبرة، ولو كان الإنسان وصل إلى مقدمات الموت وعلاماته، ما دام عقله ثابتا. ومنها: أن شهادة الوصية لابد فيها من اثنين عدلين. ومنها: أن شهادة الكافرين أوصى لهما العدوي، والله أعلم. ويستدل بالآيات الكريمة على عدة أحكام: منها: أن الوصية مشروعة، وأنه ينبغي لمن حضره الموت أن يوصي. ومنها: أنها الأولين، وأنهما خانا وكذبا، فيستحقون منهما ما يدعون. وهذه الآيات الكريمة نزلت في قصة تميم الداري وعدي بن بدء المشهورة حين فإن لم يصدقوهما ووجدوا قرينة تدل على كذب الشاهدين، فإن شاء أولياء الميت، فليقم منهم اثنان، فيقسمان بالله: لشهادتهما أحق من شهادة الشاهدين إليهما، ولكن لأجل كفرهما فإن الأولياء إذا ارتابوا بهما فإنهم يحلفونهما بعد الصلاة، أنهما ما خانا، ولا كذبا، ولا غيرا، ولا بدلا، فيبرآن بذلك من حق يتوجه إليهما. الموت في سفر ونحوه، مما هو مظنة قلة الشهود المعتبرين أنه ينبغي أن يوصي شاهدين مسلمين عدلين. فإن لم يجد إلا شاهدين كافرين، جاز أن يوصي الميت. والله لا يهدي القوم الفاسقين أي: الذين وصفهم الفسق، فلا يريدون الهدى والقصد إلى الصراط المستقيم. وحاصل هذا، أن الميت إذا حضره أقرب أن يأتوا بالشهادة على وجهها حين تؤكد عليهما تلك التأكيدات. أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم أي: أن لا تقبل أيمانهم، ثم ترد على أولياء قال الله تعالى في بيان حكمة تلك الشهادة وتأكيدها، وردها على أولياء الميت حين تظهر من الشاهدين الخيانة: ذلك أدنى أي:

أي: ماذا أجابتكم به أممكم. ف قالوا لا علم لنا وإنما العلم لك يا ربنا، فأنت أعلم منا. إنك أنت علام الغيوب أي: تعلم الأمور الغائبة والحاضرة. 109 يخبر تعالى عن يوم القيامة وما فيه من الأهوال العظام، وأن الله يجمع به جميع الرسل فيسألهم: ماذا أجبتكم

وتبرؤوا من حولهم وقوتهم، ويثقوا بالله تعالى في حصول ما يحبون. وعلى حسب إيمان العبد يكون توكله، وهو من واجبات القلب المتفق عليها. 11 به على الانتصار على عدوهم، وعلى جميع أمورهم، فقال: وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم الدينية والدنيوية، ويذكروه، وهذا يشمل كل من هم بالمؤمنين بشر، من كافر ومنافق وباغ، كف الله شره عن المسلمين، فإنه داخل في هذه الآية. ثم أمرهم بما يستعينون قد هموا بأمر، وظنوا أنهم قادرون عليه. فإذا لم يدركوا بالمؤمنين مقصودهم، فهو نصر من الله لعباده المؤمنين ينبغي لهم أن يشكروا الله على ذلك، ويعبدوه يعدون قتلهم لأعدائهم، وأخذ أموالهم وبلادهم وسبيهم نعمة فليعدوا أيضا إنعامه عليهم بكف أيديهم عنهم، ورد كيدهم في نحورهم نعمة. فإنهم الأعداء، يذكر تعالى عباده المؤمنين بنعمه العظيمة، ويحثهم على تذكرها بالقلب واللسان، وأنهم كما أنهم

الله بها على عبده ورسوله عيسى ابن مريم، ودعاه إلى شكرها والقيام بها، فقام بها عليه السلام أتم القيام، وصبر كما صبر إخوانه من أولي العزم. 110 بالبينات الموجبة للإيمان به. إن هذا إلا سحر مبين وهموا بعيسى أن يقتلوه، وسعوا في ذلك، فكف الله أيديهم عنه، وحفظه منهم وعصمه. فهذه من امتن عنها الأطباء وغيرهم، أيد الله بها عيسى وقوى بها دعوته. وإذا كفت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم لما جاءهم الحق مؤيدا فيه فيكون طيرا بإذن الله، وتبرئ الأكمة الذي لا بصر له ولا عين. والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني فهذه آيات بينات، ومعجزات باهرات، يعجز وحكمه، وحسن الدعوة والتعليم، ومراعاة ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي. وإذا تخلق من الطين كهيئة الطير أي: طيرا مصورا لا روح فيه، فتنفخ وخصوصا التوراة، فإنه من أعلم أنبياء بني إسرائيل بعد موسى بها. ويشمل الإنجيل الذي أنزله الله عليه. والحكمة هي: معرفة أسرار الشرع وفوائده وجعلني نبيا وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا الآية. وإذا علمت الكتاب والحكمة فالكتاب يشمل الكتب السابقة، المرسلين، من التكليم في حال الكهولة، بالرسالة والدعوة إلى الخير، والنهي عن الشر، وامتاز عنهم بأنه كلم الناس في المهد، فقال: إني عبد الله أتاني الكتاب هو مجرد الكلام، وإنما المراد بذلك التكليم الذي ينتفع به المتكلم والمخاطب، وهو الدعوة إلى الله. ولعيسى عليه السلام من ذلك، ما لإخوانه من أولي العزم من عليه السلام، وأن الله أعانه به وبملازمته له، وتثبيتته في المواطن المشقة. تكلم الناس في المهد وكهلا المراد بالتكليم المعهود الذي أي: إذ قويتك بالروح والوحي، الذي طهرك وزكاك، وصار لك قوة على القيام بأمر الله والدعوة إلى سبيله. وقيل: إن المراد بروح القدس جبريل أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك أي: أذكرها بقلبك ولسانك، وقم بواجبها شكرا لربك، حيث أنعم عليك نعمًا ما أنعم بها على غيرك. إذ أيدتك بروح القدس إذ قال الله يا عيسى ابن مريم

بالله، واشهد بأننا مسلمون، فجمعوا بين الإسلام الظاهر، والانقياد بالأعمال الصالحة، والإيمان الباطن المخرج لصاحبه من النفاق ومن ضعف الإيمان. 111 ألهمتهم، وأوزعت قلوبهم الإيمان بي وبرسولي، أو أوحيت إليهم على لسانك، أي: أمرتهم بالوحي الذي جاءك من عند الله، فأجابوا لذلك وانقادوا، وقالوا: آمنا

## تفسير السعدي

واذكر نعمتي عليك إذ يسرت لك أتباعا وأعوانا. فأوحيت إلى الحواريين أي:

فإن المؤمن يحمله ما معه من الإيمان على ملازمة التقوى، وأن ينقاد لأمر الله، ولا يطلب من آيات الاقتراح التي لا يدري ما يكون بعدها شيئا. 112  
آيات الاقتراح منافيا للانقياد للحق، وكان هذا الكلام الصادر من الحواريين ربما أوهم ذلك، وعظهم عيسى عليه السلام فقال: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين من السماء أي: مائدة فيها طعام، وهذا ليس منهم عن شك في قدرة الله، واستطاعته على ذلك. وإنما ذلك من باب العرض والأدب منهم. ولما كان سؤال ابن مريم للحواريين: من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة والحواريون هم: الأنصار، كما قال تعالى كما قال عيسى

ما جئت به، أنه حق وصدق، ونكون عليها من الشاهدين فتكون مصلحة لمن بعدنا، نشهدا لك، فتقوم الحجة، ويحصل زيادة البرهان بذلك. 113  
قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالعبد محتاج إلى زيادة العلم واليقين والإيمان كل وقت، ولهذا قال: ونعلم أن قد صدقتنا أي: نعلم صدق حين نرى الآيات العيانة، فيكون الإيمان عين اليقين، كما كان قبل ذلك علم اليقين. كما سأل الخليل عليه الصلاة والسلام ربه أن يريه كيف يحيي الموتى هذا المعنى، وإنما لهم مقاصد صالحة، ولأجل الحاجة إلى ذلك ف قالوا نريد أن نأكل منها وهذا دليل على أنهم محتاجون لها، وتطمئن قلوبنا بالإيمان فأخبر الحواريون أنهم ليس مقصودهم

لنا رزقا، فسأل عيسى عليه السلام نزولها وأن تكون لهاتين المصلحتين، مصلحة الدين بأن تكون آية باقية، ومصلحة الدنيا، وهي أن تكون رزقا. 114  
أعياد المسلمين ومناسكهم مذكرا لآياته، ومنبها على سنن المرسلين وطرقهم القويمية، وفضله وإحسانه عليهم. وارزقنا وأنت خير الرازقين أي: اجعلها وآخرنا وآية منك أي: يكون وقت نزولها عيدا وموسما، يتذكر به هذه الآية العظيمة، فتحفظ ولا تنسى على مرور الأوقات وتكرر السنين. كما جعل الله تعالى فلما سمع عيسى عليه الصلاة والسلام ذلك، وعلم مقصودهم، أجابهم إلى طلبهم في ذلك، فقال: اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا الخلف عن السلف، فاكتفى الله بذلك عن ذكره في الإنجيل، ويدل على هذا المعنى قوله: ونكون عليها من الشاهدين والله أعلم بحقيقة الحال. 115  
الميعاد، ويكون عدم ذكرها في الأنجيل التي بأيديهم من الحظ الذي ذكروا به فنسوه. أو أنه لم يذكر في الإنجيل أصلا، وإنما ذلك كان متوارثا بينهم، ينقله ينزلها بسبب أنهم لم يختاروا ذلك، ويدل على ذلك، أنه لم يذكر في الإنجيل الذي بأيدي النصارى، ولا له وجود. ويحتمل أنها نزلت كما وعد الله، والله لا يخلف وظلما، فاستحق العذاب الأليم والعقاب الشديد. وإعلم أن الله تعالى وعد أنه سينزلها، وتوعدهم إن كفروا بهذا الوعيد، ولم يذكر أنه أنزلها، فيحتمل أنه لم قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين لأنه شاهد الآية الباهرة وكفر عنادا

ينفي عن نفسه أن يقول كل مقالة تنافي منصبه الشريف، وأن هذا من الأمور المحالة، ونزه ربه عن ذلك أتم تنزيهه، ورد العلم إلى عالم الغيب والشهادة. 116  
إنك أنت علام الغيوب وهذا من كمال أدب المسيح عليه الصلاة والسلام في خطابه لربه، فلم يقل عليه السلام: لم أقل شيئا من ذلك وإنما أخبر بكلام الجميع عباد، مدبرون، وخلق مسخرون، وفقراء عاجزون إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فأنتم أعلم بما صدر مني و ليس من أوصافي ولا من حقوقي، فإنه ليس أحد من المخلوقين، لا الملائكة المقربون ولا الأنبياء المرسلون ولا غيرهم له حق ولا استحقاق لمقام الإلهية وإنما عيسى ويقول: سبحانك عن هذا الكلام القبيح، وعما لا يليق بك. ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق أي: ما ينبغي لي، ولا يليق أن أقول شيئا ابن مريم أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وهذا توبيخ للنصارى الذين قالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فيقول الله هذا الكلام لعيسى. فيتبرأ وإذ قال الله يا عيسى

علما وسمعا وبصرا، فعلمك قد أحاط بالمعلومات، وسمعتك بالمسموعات، وبصرك بالمبصرات، فأنت الذي تجازي عبادك بما تعلمه فيهم من خير وشر. 117  
أشهد على من قام بهذا الأمر، ممن لم يقيم به. فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم أي: المطلع على سرائرهم وضمايرهم. وأنت على كل شيء شهيد وإخلاص الدين له، المتضمن للنهي عن اتخاذي وأمي إلهين من دون الله، وبيان أنني عبد مريب، فكما أنه ريبك فهو ربي. وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فقال: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به فأنا عبد متبع لأمرك، لا متجري على عظمتك، أن اعبدوا الله ربي وربكم أي: ما أمرتهم إلا بعبادة الله وحده ثم صرح بذكر ما أمر به بني إسرائيل،

صادرة عن تمام عزة وقدرة، لا كمن يغفر ويعفو عن عجز وعدم قدرة. الحكيم حيث كان من مقتضى حكمتك أن تغفر لمن أتى بأسباب المغفرة. 118  
فإنهم عبادك وأنت أرحم بهم من أنفسهم وأعلم بأحوالهم، فلو أنهم عباد متمردون لم تعذبهم. وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم أي: فمغفرتك إن تعذبهم

خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم والكاذبون بضدهم، سيجدون ضرر كذبهم وافترائهم، وثمرة أعمالهم الفاسدة. 119  
والهدي القويم، فيوم القيامة يجدون ثمرة ذلك الصدق، إذا أحلهم الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ولهذا قال: لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ومن الهالك، ومن الشقي ومن السعيد، هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم والصادقون هم الذين استقامت أعمالهم وأقوالهم ونياتهم على الصراط المستقيم قال الله مبينا لحال عباده يوم القيامة، ومن الفائز منهم

وعلم، فيستحق ما يستحقه الضالون من حرمان الثواب، وحصول العقاب. فكأنه قيل: ليت شعري ماذا فعلوا؟ وهل وفوا بما عاهدوا الله عليه أم نكثوا؟ 12

## تفسير السعدي

عليها من العقوبات. فمن كفر بعد ذلك العهد والميثاق المؤكد بالإيمان والالتزامات، المقرون بالترغيب بذكر ثوابه. فقد ضل سواء السبيل أي: عن عمد ولأدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار فجمع لهم بين حصول المحبوب بالجنة وما فيها من النعيم، واندفاع المكروه بتكفير السيئات، ودفع ما يترتب والطاعة وأقرضتم الله قرضا حسنا وهو الصدقة والإحسان، الصادر عن الصدق والإخلاص وطيب المكسب، فإذا قمتم بذلك لا كفرن عنكم سيئاتكم وأمنتكم برسلي جميعهم، الذين أفضلهم وأكملهم محمد صلى الله عليه وسلم، وعزرتموهم أي: عظمتموهم، وأديتم ما يجب لهم من الاحترام المؤنة. ثم ذكر ما واثقهم عليه فقال: لنن أقمتم الصلاة ظاهرا وباطنا، بالإتيان بما يلزم وينبغي فيها، والمداومة على ذلك وآتيتم الزكاة لمستحقيها لهم على القيام بما أمروا به، مطالبا يدعوه. وقال الله للنقباء الذين تحملوا من الأعباء ما تحملوا: إني معكم أي: بالعون والتصر، فإن المعونة بقدر ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل أي: عهدهم المؤكد الغليظ، وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا أي: رئيسا وعريفا على من تحته، ليكون ناظرا عليهم، حاثا على بني إسرائيل الميثاق الثقيل المؤكد، وذكر صفة الميثاق وأجرهم إن قاموا به، وإثمهم إن لم يقوموا به، ثم ذكر أنهم ما قاموا به، وذكر ما عاقبهم به، فقال: يخبر تعالى أنه أخذ

قدير فلا يعجزه شيء، بل جميع الأشياء منقادة لمشيئته، ومسخرة بأمره. ثم تفسير سورة المائدة بفضل من الله وإحسان، والحمد لله رب العالمين 120 لله ملك السماوات والأرض لأنه الخالق لهما والمدير لذلك بحكمه القدري، وحكمه الشرعي، وحكمه الجزائي، ولهذا قال: وهو على كل شيء إن الله يحب المحسنين والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك. وفي حق المخلوقين: بذل النفع الديني والدنيوي لهم. 13 وهدهم للصرات المستقيم. فاعف عنهم واصفح أي: لا تؤاخذهم بما يصدر منهم من الأذى، الذي يقتضي أن يعفى عنهم، واصفح، فإن ذلك من الإحسان وقال في الحظ النافع: وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم وقوله: إلا قليلا منهم أي: فإنهم وفوا بما عاهدوا الله عليه فوفقهم عداه فإنما هي حظوظ دنيوية، كما قال تعالى: فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وأنه لا يوفق للصواب، ونسيان حظ مما ذكر به، وأنه لا بد أن يبتلى بالخيانة، نسأل الله العافية. وسمى الله تعالى ما ذكروا به حظا، لأنه هو أعظم الحظوظ، وما حاصلة لكل من اتصف بصفاتهم. فكل من لم يقم بما أمر الله به، وأخذ به عليه الالتزام، كان له نصيب من اللعنة وقسوة القلب، والابتلاء بتحريف الكلم، المؤمنين. ومن أعظم الخيانة منهم، كتمهم عن من يعظهم ويحسن فيهم الظن الحق، وإبقاؤهم على كفرهم، فهذه خيانة عظيمة. وهذه الخصال الذميمة، بعض الذي قد ذكر في كتابهم، أو وقع في زمانهم، أنه مما نسوه. الخامسة: الخيانة المستمرة التي لا تزال تطلع على خائنة منهم أي: خيانة لله ولعباده يوجد كثير مما أنساهم الله إياه عقوبة منه لهم. وشامل لنسيان العمل الذي هو الترك، فلم يوفقوا للقيام بما أمروا به، ويستدل بهذا على أهل الكتاب بإنكارهم أنهم نسوا حظا مما ذكروا به فإنهم ذكروا بالتوراة، وبما أنزل الله على موسى، فنسوا حظا منه، وهذا شامل لنسيان علمه، وأنهم نسوه وضاع عنهم، ولم إلا شرا. الثالثة: أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه أي: ابتلوا بالتغيير والتبديل، فيجعلون للكلم الذي أراد الله معنى غير ما أراد الله ولا رسوله. الرابعة: ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيد الهدى، والخير أنفسهم أبواب الرحمة، ولم يقوموا بالعهد الذي أخذ عليهم، الذي هو سببها الأعظم. الثانية: قوله: وجعلنا قلوبهم قاسية أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، فيما نقضهم ميثاقهم أي: بسببه عاقبناهم بعدة عقوبات: الأولى: أنا لعناهم أي: طردناهم وأبعدناهم من رحمتنا، حيث أغلقوا على

يوم القيامة، وهذا أمر مشاهد، فإن النصارى لم يزالوا ولا يزالون في بغض وعداوة وشقاق. وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون فيعاقبهم عليه. 14 العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة أي: سلطنا بعضهم على بعض، وصار بينهم من الشرور والإحن ما يقتضي بغض بعضهم بعضا ومعاداة بعضهم بعضا إلى لعيسى ابن مريم، وزكوا أنفسهم بالإيمان بالله ورسله وما جاءوا به، فنقضوا العهد، فنسوا حظا مما ذكروا به نسيانا علميا، ونسيانا عمليا. فأغرينا بينهم أي: وكما أخذنا على اليهود العهد والميثاق، فكذلك أخذنا على الذين قالوا إنا نصارى

مبين لكل ما يحتاج الخلق إليه من أمور دينهم ودنياهم. من العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، ومن العلم بأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية. 15 ويعفو عن كثير أي: يترك بيان ما لا تقتضيه الحكمة. قد جاءكم من الله نور وهو القرآن، يستضاء به في ظلمات الجهالة وعماية الضلالة. وكتاب وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب من أدل الدلائل على القطع برسالاته، وذلك مثل صفة محمد في كتبهم، ووجود البشائر به في كتبهم، وبيان آية الرجم ونحو ذلك. ما عندهم، فالحريص على العلم لا سبيل له إلى إدراكه إلا منهم، فإتيان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن العظيم الذي بين به ما كانوا يتكاثمونه بينهم، نبوته، وهي: أنه بين لهم كثيرا مما يخفون عن الناس، حتى عن العوام من أهل ملتهم، فإذا كانوا هم المشار إليهم في العلم ولا علم عند أحد في ذلك الوقت إلا الكتاب من اليهود والنصارى، وأنهم نقضوا ذلك إلا قليلا منهم، أمرهم جميعا أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، واحتج عليهم بآية قاطعة دالة على صحة لما ذكر تعالى ما أخذه الله على أهل

إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم، والذكر. وكل هذه الهداية بإذن الله، الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. ويهديهم إلى صراط مستقيم 16 من العذاب، وتوصله إلى دار السلام، وهو العلم بالحق والعمل به، إجمالا وتفصيلا. ويخرجهم من ظلمات الكفر والبعدة والمعصية، والجهل والغفلة، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام أي: يهدي به من اجتهد وحرص على بلوغ مرضاة الله، وصار قصده حسنا سبل السلام التي تسلم صاحبها وإن شاء من غير أب ولا أم كآدم فنوع خليقته تعالى بمشيئته النافذة، التي لا يستعصي عليها شيء، ولهذا قال: والله على كل شيء قدير 17

## تفسير السعدي

عيسى ابن مريم من غير أب، فإن الله يخلق ما يشاء إن شاء من أب وأم، كسائر بني آدم، وإن شاء من أب بلا أم، كحواء. وإن شاء من أم بلا أب، كعيسى. وهم مملوكون مدبرون، فهل يليق أن يكون المملوك العبد الفقير، إلها معبودا غنيا من كل وجه؟ هذا من أعظم المحال. ولا وجه لاستغرابهم لخلق المسيح يمتنع من الإهلاك، ولا في قوته شيء من الفكاك. ومن الأدلة أن لله وحده ملك السماوات والأرض يتصرف فيهم بحكمه الكوني والشرعي والجزائي، مريم وأمّه ومن في الأرض جميعا فإذا كان المذكورون لا امتناع عندهم يمنعه لو أراد الله أن يهلكهم، ولا قدرة لهم على ذلك. دل على بطلان إلهية من لا فدل على أن قولهم اتباع هوى من غير برهان ولا شبهة. فرد الله عليهم بأدلة عقلية واضحة فقال: قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن أب، فاعتقدوا فيه هذا الاعتقاد الباطل مع أن حواء نظيره، خلقت بلا أم، وآدم أولى منه، خلق بلا أب ولا أم، فهلا ادعوا فيهما الإلهية كما ادعوا في المسيح؟ يقوموا به بل نقضوه، ذكر أقوالهم الشنيعة. فذكر قول النصارى، القول الذي ما قاله أحد غيرهم، بأن الله هو المسيح ابن مريم، ووجه شبهتهم أنه ولد من غير لما ذكر تعالى أخذ الميثاق على أهل الكتابين، وأنهم لم

بينهما وإليه المصير أي: بأي شيء خصكم بهذه الفضيلة، وأنتم من جملة المماليك ومن جملة من يرجع إلى الله في الدار الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم. 18 خلق تجري عليكم أحكام العدل والفضل يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء إذا أتوا بأسباب المغفرة أو أسباب العذاب، ولله ملك السماوات والأرض وما الله ردا عليهم حيث ادعوا بلا برهان: قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟ فلو كنتم أحبّاء ما عذبكم لكون الله لا يحب إلا من قام بمراضيه بل أنتم بشر ممن منهما: نحن أبناء الله وأحباؤه والابن في لغتهم هو الحبيب، ولم يريدوا البتة الحقيقية، فإن هذا ليس من مذهبهم إلا مذهب النصارى في المسيح. قال ومن مقالات اليهود والنصارى أن كلا منهما ادعى دعوى باطلة، يزكون بها أنفسهم، بأن قال كل

الأشياء طوعا وإذعانا لقدرته، فلا يستعصي عليه شيء منها، ومن قدرته أن أرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأنه يثيب من أطاعهم ويعاقب من عصاهم. 19 الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. وينذر بالعقاب العاجل والآجل، وبالأعمال الموجبة لذلك، وصفة العاملين بها. والله على كل شيء قدير انقادت والأحكام الشرعية. وقد قطع الله بذلك حجّتهم، لئلا يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير يبشر بالثواب العاجل والآجل، وبالأعمال ويشكروا الله تعالى الذي أرسله إليهم على حين فترة من الرسل وشدة حاجة إليه. وهذا مما يدعو إلى الإيمان به، وأنه يبين لهم جميع المطالب الإلهية يدعو تبارك وتعالى أهل الكتاب بسبب ما من عليهم من كتابه أن يؤمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم،

ثم إعانة غيره على تركه. واتقوا الله إن الله شديد العقاب على من عصاه وتجراً على محارمه، فاحذروا المحارم لئلا يحل بكم عقابه العاجل والآجل. 2 التي يأتيها صاحبها، ويخرج. والعنوان وهو التعدي على الخلق في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فكل معصية وظلم يجب على العبد كف نفسه عنه، بنفسه، وبمعاونة غيره من إخوانه المؤمنين عليها، بكل قول يبعث عليها وينشط لها، وبكل فعل كذلك. ولا تعاونوا على الإثم وهو التجرؤ على المعاصي الله ورسوله، من الأعمال الظاهرة والباطنة. وكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، أو خصلة من خصال الشر المأمور بتركها، فإن العبد مأمور بفعلها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة، من حقوق الله وحقوق الآدميين. والتقوى في هذا الموضع: اسم جامع لترك كل ما يكرهه عليه أو ظلم واعتدي عليه، فلا يحل له أن يكذب على من كذب عليه، أو يخون من خانه. وتعاونوا على البر والتقوى أي: ليعن بعضكم بعضا على البر. وهو: واعتداؤهم عليكم، حيث صدوكم عن المسجد، على الاعتداء عليهم، طلبا للاشتفاء منهم، فإن العبد عليه أن يلتزم أمر الله، ويسلك طريق العدل، ولو جني التحريم يرد الأشياء إلى ما كانت عليه من قبل. ولا يجزئكم شأن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أي: لا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم حال الإحرام قال: وإذا حللتهم فاصطادوا أي: إذا حللتهم من الإحرام بالحج والعمرة، وخرجتم من الحرم حل لكم الاصطياد، وزال ذلك التحريم. والأمر بعد من تمام احترام الحرم صد من هذه حاله عن الإفساد ببيت الله، كما قال تعالى: ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ولما نهاهم عن الصيد في إلى الحرم. والتخصيص في هذه الآية بالنهي عن التعرض لمن قصد البيت ابتغاء فضل الله أو رضوانه يدل على أن من قصده ليلحد فيه بالمعاصي، فإن الآية الكريمة مخصوصة بقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فالمشرك لا يمكن من الدخول إلى بيت الله وجعل القاصدين له مطمئنين مستريحين، غير خائفين على أنفسهم من القتل فما دونه، ولا على أموالهم من المكس والنهب ونحو ذلك. وهذه من أنواع العبادات، فلا تتعرضوا له بسوء، ولا تهينوه، بل أكرموا، وعظموا الوافدين الزائرين لبيت ربكم. ودخل في هذا الأمر الأمر بتأمين الطرق الموصلة ورضوانا أي: من قصد هذا البيت الحرام، وقصده فضل الله بالتجارة والمكاسب المباحة، أو قصده رضوان الله بحجه وعمرته والطواف به، والصلاة، وغيرها للسنة، وليعرف أنه هدي فيحترم، ولهذا كان تقليد الهدي من السنن والشعائر المسنونة. ولا أمين البيت الحرام أي: قاصدين له يبتغون فضلا من ربهم هذا نوع خاص من أنواع الهدي، وهو الهدي الذي يقتل له قلائد أو عرى، فيجعل في أعناقهم إظهارا لشعائر الله، وحمل للناس على الاقتداء، وتعلما لهم محله، ولا تأخذه بسرقة أو غيرها، ولا تقصروا به، أو تحملوه ما لا يطيق، خوفا من تلفه قبل وصوله إلى محله، بل عظموه وعظموا من جاء به. ولا القلائد وقوله: ولا الهدي ولا القلائد أي: ولا تحلوا الهدي الذي يهدي إلى بيت الله في حج أو عمرة، أو غيرها، من نعم وغيرها، فلا تصدوه عن الوصول إلى المقصود منه الدفع. فأما قتال الدفع إذا ابتدأ الكفار المسلمين بالقتال، فإنه يجوز للمسلمين القتال، دفعا عن أنفسهم في الشهر الحرام وغيره بإجماع العلماء. فإنه يجوز. وحملوا قتال النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف على ذلك، لأن أول قتالهم في حنين في شوال. وكل هذا في القتال الذي ليس على ذلك، وقالوا: المطلق يحمل على المقيد. وفصل بعضهم فقال: لا يجوز ابتداء القتال في الأشهر الحرم، وأما استدامته وتكميله إذا كان أوله في غيرها، الحرم. وقال آخرون: إن النهي عن القتال في الأشهر الحرم غير منسوخ لهذه الآية وغيرها، مما فيه النهي عن ذلك بخصوصه، وحملوا النصوص المطلقة الواردة

## تفسير السعدي

التي فيها الأمر بقتال الكفار مطلقا، والوعيد في التخلف عن قتالهم مطلقا. وبأن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل أهل الطائف في ذي القعدة، وهو من الأشهر من العلماء على أن القتال في الأشهر الحرم منسوخ بقوله تعالى: فإذا انسلك الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وغير ذلك من العمومات إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم والجمهور الإحرام، ومحرمات الحرم. ويدخل في ذلك ما نص عليه بقوله: ولا الشهر الحرام أي: لا تنتهكوه بالقتال فيه وغيره من أنواع الظلم كما قال تعالى: وعدم فعلها، والنهي يشمل النهي عن فعلها، والنهي عن اعتقاد حلها؛ فهو يشمل النهي، عن فعل القبيح، وعن اعتقاده. ويدخل في ذلك النهي عن محرمات يقول تعالى يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله أي: محرماته التي أمركم بتعظيمها،

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 20 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعبداء، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعبداء لعدوها، ولم تكن لها همم ترققها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلنا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتسب عليهم. لتبنيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبينهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزئوا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهنضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا تردوا أي: ترجعوا على أديباركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعبداء عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعوكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتك جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم. وقومه وأسرهم واستبعادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 إلى 26: لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 21 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعبداء، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعبداء لعدوها، ولم تكن لها همم ترققها

## تفسير السعدي

منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتتم عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرته نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجح فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا تردوا أي: ترجعوا على أدياركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتكم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألستكم. وقومه وأسره واستبعادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26: لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 22 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها هم ترقيقها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتتم عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرته نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم

## تفسير السعدي

الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أدياركم فتتقلبوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتك جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدّموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم. وقومه وأسره واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26 :- لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 23 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترققها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا ييقنون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلنا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكم مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغمام ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتسب عليهم: لنبيه في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرته نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أدياركم فتتقلبوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم



## تفسير السعدي

وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادكم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وقومه وأسره واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26 :- لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 24 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقبها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نقمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخصناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتم عليهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجالان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها فإنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا تردوا أي: ترجعوا على أديباركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادكم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وقومه وأسره واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26 :- لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 25 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تترى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن

## تفسير السعدي

في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقئها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتتم عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم، الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أدباركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعوكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردي، ويحثونكم على سعادتك جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم. وقومه وأسرهم واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26: لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

الله قد حتمها، قال: فلا تأس على القوم الفاسقين أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا. 26 عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصا قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها، مع أن إلى ما فيه ارتقاؤها وعلوها، ولتظهر ناشئة جديدة تنربى عقولهم على طلب قهر الأعداء، وعدم الاستعباد، والذل المانع من السعادة. ولما علم الله تعالى أن في هذه المدة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة، الصادرة عن قلوب لا صبر فيها ولا ثبات، بل قد ألفت الاستعباد لعدوها، ولم تكن لها همم ترقئها منها، وفي هذا دليل على أن العقوبة على الذنب قد تكون بزوال نعمة موجودة، أو دفع نعمة قد انعقد سبب وجودها أو تأخرها إلى وقت آخر. ولعل الحكمة وتلك المدة أيضا يتيهون في الأرض، لا يهتدون إلى طريق ولا يبقون مطمئنين، وهذه عقوبة دنيوية، لعل الله تعالى كفر بها عنهم، ودفع عنهم عقوبة أعظم موسى: فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض أي: إن من عقوبتهم أن نحرم عليهم دخول هذه القرية التي كتبها الله لهم، مدة أربعين سنة، بيننا وبينهم، بأن تنزل فيهم من العقوبة ما اقتضته حكمتك، ودل ذلك على أن قولهم وفعلهم من الكبائر العظيمة الموجبة للفسق. قال الله مجيبا لدعوة عتوهم عليه قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي أي: فلا يدان لنا بقتالهم، ولست بجبار على هؤلاء. فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي: احكم فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، من بين يديك ومن خلفك، وعن يمينك وعن يسارك. فلما رأى موسى عليه السلام يا رسول الله، لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ولو بلغت بنا برك الغماد ما تخلف عنك أحد. ولا نقول كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شاورهم في القتال يوم بدر مع أنه لم يحتتم عليهم: لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم. وبهذا وأمثاله يظهر التفاوت بين سائر الأمم،

## تفسير السعدي

الملام، فقالوا قول الأذلين: يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقَاتِلَا إنا هاهنا قاعدون فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم الموطن تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينجع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم عليهم فإنهم سينهزمون، ثم أمراهم بعدة هي أقوى العدد، فقالا: وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين فإن في التوكل على الله وخصوصا في هذا واليقين. ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزئوا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه منهضين لهم على قتال عدوهم واحتلال بلادهم. أنعم الله عليهما بالتوفيق، وكلمة الحق في هذا الموطن المحتاج إلى مثل كلامهم، وأنعم عليهم بالصبر لا حول ولا قوة إلا بالله، ولعلموا أنهم سينصرون عليهم، إذ وعدهم الله بذلك، وعدا خاصا. قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى، مشجعين لقومهم، منها إنا داخلون وهذا من الجبن وقلة اليقين، وإلا فلو كان معهم رشدهم، لعلموا أنهم كلهم من بني آدم، وأن القوي من أعانه الله بقوة من عنده، فإنه ورسوله. يا موسى إن فيها قوما جبارين شديدي القوة والشجاعة، أي: فهذا من الموانع لنا من دخولها. وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا بلادكم. وأخرتكم بما فاتكم من الثواب، وما استحققتكم بمعصيتكم من العقاب، فقالوا قولا يدل على ضعف قلوبهم، وخور نفوسهم، وعدم اهتمامهم بأمر الله دخولها، وانتصارهم على عدوهم. ولا ترتدوا أي: ترجعوا على أديباركم فتقبلوا خاسرين قد خسرتكم دنياكم بما فاتكم من النصر على الأعداء وفتح ادخلوا الأرض المقدسة أي: المطهرة التي كتب الله لكم فأخبرهم خبرا تطمئن به أنفسهم، إن كانوا مؤمنين مصدقين بخبر الله، وأنه قد كتب الله لهم وقد أنعم عليهم بنعم ما كانت لغيرهم. فذكرهم بالنعم الدينية والدنيوية، الداعي ذلك لإيمانهم وثباته، وثباتهم على الجهاد، وإقدامهم عليه، ولهذا قال: يا قوم من إقامة دينكم. وآتاكم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت أحدا من العالمين فإنهم في ذلك الزمان خيرة الخلق، وأكرمهم على الله تعالى. الأبدية، ويعلمونكم ما لم تكونوا تعلمون وجعلكم ملوكا تملكون أمركم، بحيث إنه زال عنكم استعباد عدوكم لكم، فكنتم تملكون أمركم، وتتمكنون فإن ذكرها داع إلى محبته تعالى ومنشط على العبادة، إذ جعل فيكم أنبياء يدعونكم إلى الهدى، ويحذرونكم من الردى، ويحثونكم على سعادتهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم. فوعظهم موسى عليه السلام؛ وذكرهم ليقدموا على الجهاد فقال لهم: اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وقومه وأسهرهم واستعبادهم، ذهبوا قاصدين لأوطانهم ومساكنهم، وهي بيت المقدس وما حواليه، وقاربوا وصول بيت المقدس، وكان الله قد فرض عليهم تفسير الآيات من 20 حتى 26 :- لما امتن الله على موسى وقومه بنجاتهم من فرعون

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 27 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزير فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أنني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقربان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نبأهما في حال تقريبهما للقربان، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابنه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 :- إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 28 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزير فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف

## تفسير السعدي

العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرآن، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نبأهما في حال تقريبيهما للقرآن، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قريبا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابنه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 29 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم. وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمك وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإني أوتر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جينا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرآن، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نبأهما في حال تقريبيهما للقرآن، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قريبا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابنه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ولا يزيد في الأكل على كفايته فإن الله غفور رحيم حيث أباح له الأكل في هذه الحال، ورحمه بما يقيم به بنيته من غير نقص يلحقه في دينه. 3 شيء من المحرمات السابقة، في قوله: حرمت عليكم الميتة في مخمصة أي: مجاعة غير متجانف أي: مائل لإثم بأن لا يأكل حتى يضطر، لكم ديننا، كما ارتضيتكم له، فقوموا به شكرا لربكم، واحمدوا الذي من عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها. فمن اضطر أي: ألجأته الضرورة إلى أكل ودعا إليه، وهذا من أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله. وأتممت عليكم نعمتي الظاهرة والباطنة ورضيت لكم الإسلام ديننا أي: اخترته واصطفيته في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره، فهو جاهل، مبطل في دعواه، قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله الشرائع الظاهرة والباطنة، الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية، في أحكام الدين أصوله وفروعه. فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس واخشون أي: فلا تخشوا المشركين، واخشوا الله الذي نصركم عليهم وخذلهم، ورد كيدهم في نحورهم. اليوم أكملت لكم دينكم بتمام النصر، وتكميل في هذه السنة التي حج فيها النبي صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع لم يحج فيها مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ولهذا قال: فلا تخشوهم دينهم، طامعين في ذلك. فلما رأوا عز الإسلام وانتصاره وظهوره، ينسوا كل اليأس من المؤمنين، أن يرجعوا إلى دينهم، وصاروا يخافون منهم ويخشون، ولهذا رحيم واليوم المشار إليه يوم عرفة، إذ أتم الله دينه، ونصر عبده ورسوله، وانخذل أهل الشرك انخذالا بليغا، بعد ما كانوا حريصين على رد المؤمنين عن فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديننا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور التي حرّمها الله صيانة لعباده، وأنها فسق، أي: خروج عن طاعته إلى طاعة الشيطان. ثم امتن على عباده بقوله: اليوم ينس الذين كفروا من دينكم فحرمه الله عليهم، الذي في هذه الصورة وما يشبهه، وعوضهم عنه بالاستخارة لربهم في جميع أمورهم. ذلكم فسق الإشارة لكل ما تقدم من المحرمات، في أمره، وإن ظهر المكتوب عليه لا تفعل لم يفعل ولم يمتض في شأنه، وإن ظهر الآخر الذي لا شيء عليه، أعادها حتى يخرج أحد القدحين فيعمل به. كتابة فيه. فإذا هم أحدهم بسفر أو عرس أو نحوهما، أجال تلك القдах المتساوية في الجرم، ثم أخرج واحدا منها، فإن خرج المكتوب عليه افعل مضى طلب ما يقسم لكم ويقدر بها، وهي قдах ثلاثة كانت تستعمل في الجاهلية، مكتوب على أحدها افعل وعلى الثاني لا تفعل والثالث غفل لا وفيها حياة حلت ولو كانت مبانة الحشوة وهو ظاهر الآية الكريمة وأن تستقسموا بالأزلام أي: وحرّم عليكم الاستقسام بالأزلام. ومعنى الاستقسام: لو أبان السبع أو غيره حشوتها، أو قطع حلقومها، كان وجود حياتها كعدمه، لعدم فائدة الذكاة فيها وبعضهم لم يعتبر فيها إلا وجود الحياة فإذا ذكاهما ما ذكيتم راجع لهذه المسائل، من منخقة، وموقودة، ومتردية، ونطيحة، وأكيلة سبع، إذا ذكيت وفيها حياة مستقرة لتتحقق الذكاة فيها، ولهذا قال الفقهاء:

## تفسير السعدي

غيرها فتموت. وما أكل السبع من ذئب أو أسد أو نمر، أو من الطيور التي تفترس الصيد، فإنها إذا ماتت بسبب أكل السبع، فإنها لا تحل. وقوله: إلا أو هدم شيء عليها، بقصد أو بغير قصد. والمتردية أي: الساقطة من علو، كجبل أو جدار أو سطح ونحوه، فتموت بذلك. والنطيحة وهي التي تنطحها الميتة بخنق، بيد أو حبل، أو إدخالها رأسها بشيء ضيق، فتعجز عن إخراجها حتى تموت. والموقوذة أي: الميتة بسبب الضرب بعصا أو حصى أو خشبة، وغير ذلك من المخلوقين. فكما أن ذكر الله تعالى يطيب الذبيحة، فذكر اسم غيره عليها، يفيدها خبثا معنويا، لأنه شرك بالله تعالى. والمنخقة أي: الله أحله لهم. أي: فلا تغفروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث. وما أهل لغير الله به أي: ذكر عليه اسم غير الله تعالى، من الأصنام والأولياء والكواكب ولحم الخنزير وذلك شامل لجميع أجزائه، وإنما نص الله عليه من بين سائر الخبائث من السباع، لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن وكثيرا ما تموت بعلة تكون سببا لهلاكها، فتضر بالاكل. ويستثنى من ذلك ميتة الجراد والسمل، فإنه حلال. والدم أي: المسفوح، كما قيد في الآية الأخرى. لا يبين. فأخبر أنه حرم الميتة والمراد بالميتة: ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها المضرب بأكملها. إلا ما يتلى عليكم واعلم أن الله تبارك وتعالى لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك وقد هذا الذي حولنا الله عليه في قوله:

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 30 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإنني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إنني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لمن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أنني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرابان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نأهما في حال تقريبهما للقرابان، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

ليريه بذلك كيف يوارى سواة أخيه أي: بدنه، لأن بدن الميت يكون عورة فأصبح من النادمين وهكذا عاقبة المعاصي الندامة والخسارة. 31 سن القتل. فلما قتل أخاه لم يدر كيف يصنع به؛ لأنه أول ميت مات من بني آدم فبعث الله غرابا يبحث في الأرض أي: يثيرها ليدفن غرابا آخر ميتا. وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة. ولهذا ورد في الحديث الصحيح أنه ما من نفس تقتل إلا كان على ابن آدم الأول شطر من دمها، لأنه أول من الذي يقتضي الشرع والطبع احترامه. فقتله فأصبح من الخاسرين دنياهم وآخرتهم، وأصبح قد سن هذه السنة لكل قاتل. ومن سن سنة سيئة، فعليه دل هذا على أن القتل من كبائر الذنوب، وأنه موجب لدخول النار. فلم يرتدع ذلك الجاني ولم ينزجر، ولم يزل يعزم نفسه ويجزمها، حتى طوعت له قتل أخيه بإثمى وإثمك أي: إنه إذا دار الأمر بين أن أكون قاتلا أو تقتلني فإنني أؤثر أن تقتلني، فتبوء بالوزرين فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين لله لا يقدم على الذنوب، خصوصا الذنوب الكبار. وفي هذا تخويف لمن يريد القتل، وأنه ينبغي لك أن تتقي الله وتخافه. إنني أريد أن تبوء أي: ترجع فقال: لمن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك وليس ذلك جبا مني ولا عجزا. وإنما ذلك لأنني أخاف الله رب العالمين والخائف العمل، بأن يكون عملهم خالصا لوجه الله، متبعين فيه لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال له مخبرا أنه لا يريد أن يتعرض لقتله، لا ابتداء ولا مدافعة توجب لك أن تقتلني؟ إلا أنني اتقيت الله تعالى، الذي تقواه واجبة علي وعليك، وعلى كل أحد، وأصح الأقوال في تفسير المتقين هنا، أي: المتقين لله في ذلك قال الابن، الذي لم يتقبل منه للآخر حسدا وبغيا لأقتلك فقال له الآخر مترفقا له في ذلك إنما يتقبل الله من المتقين فأني ذنب لي وجناية من أحدهما ولم يتقبل من الآخر بأن علم ذلك بخبر من السماء، أو بالعادة السابقة في الأمم، أن علامة تقبل الله للقرابان، أن تنزل نار من السماء فتحرقه. عليهم نأهما في حال تقريبهما للقرابان، الذي أداهما إلى الحال المذكورة. إذ قربا قربانا أي: أخرج كل منهما شيئا من ماله لقصد التقرب إلى الله، فتقبل يعتبر بها المعتبرون، صدقا لا كذبا، وجدا لا لعبا، والظاهر أن ابني آدم هما ابناه لصلبه، كما يدل عليه ظاهر الآية والسياق، وهو قول جمهور المفسرين. أي: اتل تفسير الآيات من 27 حتى 31 -: إلى آخر القصة أي: قص على الناس وأخبرهم بالقضية التي جرت على ابني آدم بالحق، تلاوة

بعد ذلك البيان القاطع للحجة، الموجب للاستقامة في الأرض لمسرفون في العمل بالمعاصي، ومخالفة الرسل الذين جاءوا بالبينات والحجج. 32

## تفسير السعدي

ونحوهم، ممن يصول على الناس لقتلهم، أو أخذ أموالهم. ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات التي لا يبقى معها حجة لأحد. ثم إن كثيرا منهم أي: من الناس في الأرض، بإفساده لأديان الناس أو أبدانهم أو أموالهم، كالكفار المرتدين والمحاربين، والدعاة إلى البدع الذين لا ينكف شرهم إلا بالقتل. وكذلك قطاع الطريق على أن القتل يجوز بأحد أمرين: إما أن يقتل نفسا بغير حق متعمدا في ذلك، فإنه يحل قتله، إن كان مكلفا مكافئا، ليس بوالد للمقتول. وإما أن يكون مفسدا دعاء نفسه له إلى قتله، فمنعه خوف الله تعالى من قتله، فهذا كأنه أحيا الناس جميعا، لأن ما معه من الخوف يمنعه من قتل من لا يستحق القتل. ودلت الآية غيره، وإنما ذلك بحسب ما تدعوه إليه نفسه الأمارة بالسوء. فتجروء على قتله، كأنه قتل الناس جميعا. وكذلك من أحيا نفسا أي: استبقى أحدا، فلم يقتله مع معه داع يدعوه إلى التبيين، وأنه لا يقدم على القتل إلا بحق، فلما تجرأ على قتل النفس التي لم تستحق القتل علم أنه لا فرق عنده بين هذا المقتول وبين كتبنا على بني إسرائيل أهل الكتب السماوية أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض أي: بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا؛ لأنه ليس يقول تعالى من أجل ذلك الذي ذكرناه في قصة ابني آدم، وقتل أحدهما أخاه، وسنه القتل لمن بعده، وأن القتل عاقبته وخسارة في الدنيا والآخرة. السبل والطرق، عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض. 33 موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وأن فاعله محارب لله ولرسوله. وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علم أن تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين في بعض التفاصيل. ذلك النكال لهم خزي في الدنيا أي: فضيحة وعار ولهم في الآخرة عذاب عظيم فدل هذا أن قطع الطريق من أعظم الذنوب، ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالا، نفوا من الأرض، فلا يتركون يأوون في بلد حتى تظهر توبتهم. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وكثير من الأئمة، على اختلاف قتلوا ولم يأخذوا مالا تحتهم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالا ولم يقتلوا تحتهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى. وإن أخافوا الناس كما تدل عليه الآية بحكمته وموافقتها لحكمة الله تعالى. وأنهم إن قتلوا وأخذوا مالا تحتهم قتلهم وصلبهم، حتى يشتهروا ويختزوا ويرتدع غيرهم. وإن طريق يفعل به الإمام أو نائبه ما رآه المصلحة من هذه الأمور المذكورة؟ وهذا ظاهر اللفظ، أو أن عقوبتهم تكون بحسب جرائمهم، فكل جريمة لها قسط يقابلها، بذلك. فأخبر الله أن جزاءهم ونكالهم عند إقامة الحد عليهم أن يفعل بهم واحد من هذه الأمور. واختلف المفسرون: هل ذلك على التخيير، وأن كل قاطع قطاع الطريق، الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتقطع المحاربون لله ولرسوله، هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بالكفر والقتل، وأخذ الأموال، وإخافة السبل. والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام ظاهرة. وإذا كانت التوبة قبل القدرة عليه، تمنع من إقامة الحد في الحراة، فغيرها من الحدود إذا تاب من فعلها، قبل القدرة عليه من باب أولى. 34 فإن حق الآدمي، لا يسقط عنه من القتل وأخذ المال. ودل مفهوم الآية على أن توبة المحارب بعد القدرة عليه أنها لا تسقط عنه شيئا، والحكمة في ذلك رحيم أي: فيسقط عنه ما كان له، من تحتهم القتل والصلب والقطع والنفي، ومن حق الآدمي أيضا، إن كان المحارب كافرا ثم أسلم، فإن كان المحارب مسلما إلا الذين تابوا من قبل أن تقدر عليهم أي: من هؤلاء المحاربين، فاعلموا أن الله غفور

وجاهدتم في سبيله ابتغاء مرضاته. والفلاح هو الفوز والظفر بكل مطلوب مرغوب، والنجاة من كل مرهوب، فحقيقته السعادة الأبدية والنعيم المقيم. 35 القربات. ولأن من قام به، فهو على القيام بغيره أخرى وأولى لعلكم تفلحون إذا اتقيتم الله بترك المعاصي، وابتغيتم الوسيلة إلى الله، بفعل الطاعات، بذل الجهد في قتال الكافرين بالمال، والنفس، والرأي، واللسان، والسعي في نصر دين الله بكل ما يقدر عليه العبد، لأن هذا النوع من أجل الطاعات وأفضل يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها ويستجيب الله له الدعاء. ثم خص تبارك وتعالى من العبادات المقربة إليه، الجهاد في سبيله، وهو: والبدن، والنصح لعباد الله، فكل هذه الأعمال تقرب إلى الله. ولا يزال العبد يتقرب بها إلى الله حتى يحبه الله، فإذا أحبه كان سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي والإنابة والتوكل. والبدنية: كالزكاة والحج. والمركبة من ذلك كالصلاة ونحوها، من أنواع القراءة والذكر، ومن أنواع الإحسان إلى الخلق بالمال والعلم والجاه، من سخط الله وعذابه. وابتغوا إليه الوسيلة أي: القرب منه، والحظوة لديه، والحب له، وذلك بأداء فرائضه القلبية، كالحب له وفيه، والخوف والرجاء، ويبذل غاية ما يمكنه من المقدور في اجتناب ما يسخطه الله، من معاصي القلب واللسان والجوارح، الظاهرة والباطنة. ويستعين بالله على تركها، لينجو بذلك هذا أمر من الله لعباده المؤمنين، بما يقتضيه الإيمان من تقوى الله والحرز من سخطه وغضبه، وذلك بأن يجتهد العبد،

معه ما تقبل منهم، ولا أفاد، لأن محل الافتداء قد فات، ولم يبق إلا العذاب الأليم، الموجع الدائم الذي لا يخرجون منه أبدا، بل هم ماكثون فيه سرمدا. 36 تفسير الآيتين 36 و 37: يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله معه ما تقبل منهم، ولا أفاد، لأن محل الافتداء قد فات، ولم يبق إلا العذاب الأليم، الموجع الدائم الذي لا يخرجون منه أبدا، بل هم ماكثون فيه سرمدا. 37 تفسير الآيتين 36 و 37: يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبا ومثله

الله أي: تنكيلا وترهيبا للسارق ولغيره، ليرتدع السارق إذا علموا أنهم سيقطعون إذا سرقوا. والله عزيز حكيم أي: عز وحكم فقطع السارق. 38 تقطع يده اليسرى، ثم رجله اليمنى، وقيل: يحبس حتى يموت. وقوله: جزاء بما كسب أي: ذلك القطع جزاء للسارق بما سرقه من أموال الناس. نكالا من في قطع اليد في السرقة، أن ذلك حفظ للأموال، واحتياط لها، وليقطع العضو الذي صدرت منه الجناية، فإن عاد السارق قطعت رجله اليسرى، فإن عاد، فقيل: لم يكن ذلك سرقة شرعية. ومن الحكمة أيضا أن لا تقطع اليد في الشيء النزر التافه، فلما كان لابد من التقدير، كان التقدير الشرعي مخصصا للكتاب. والحكمة ولعل هذا يؤخذ من لفظ السرقة ومعناها، فإن لفظ السرقة أخذ الشيء على وجه لا يمكن الاحتراز منه، وذلك أن يكون المال محرزا، فلو كان غير محرز

## تفسير السعدي

من غير حرز فلا قطع عليه. ومنها: أنه لا بد أن يكون المسروق نصاباً، وهو ربع دينار، أو ثلاثة دراهم، أو ما يساوي أحدهما، فلو سرق دون ذلك فلا قطع عليه. فيقف الدم، ولكن السنة قيدت عموم هذه الآية من عدة أوجه: منها: الحرز، فإنه لا بد أن تكون السرقة من حرز، وحرز كل مال: ما يحفظ به عادة. فلو سرق وهو قطع اليد اليمنى، كما هو في قراءة بعض الصحابة. وحد اليد عند الإطلاق من الكوع، فإذا سرق قطعت يده من الكوع، وحسنت في زيت لتتسد العروق السارق: هو من أخذ مال غيره المحترم خفية، بغير رضاه. وهو من كبائر الذنوب الموجبة لترتب العقوبة الشنيعة،

فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم فيغفر لمن تاب فترك الذنوب، وأصلح الأعمال والعيوب. 39

إلا بها. ثم حث تعالى على تقواه، وحذر من إتيان الحساب في يوم القيامة، وأن ذلك أمر قد دنا واقترب، فقال: واتقوا الله إن الله سريع الحساب 4  
الله متعمداً، لم يبيح ما قتل الجارح. العاشر: أنه يجوز أكل ما صاده الجارح، سواء قتله الجارح أم لا. وأنه إن أدركه صاحبه، وفيه حياة مستقرة فإنه لا يباح والانتفاع به. الثامن: فيه حجة لمن أباح بيع كلب الصيد، قال: لأنه قد لا يحصل له إلا بذلك. التاسع: فيه اشتراط التسمية عند إرسال الجارح، وأنه إن لم يسم لا يباح صيده. السابع: أن الاشتغال بتعليم الكلب أو الطير أو نحوهما، ليس مذموماً، وليس من العبث والباطل. بل هو أمر مقصود، لأنه وسيلة لحل صيده من الصيد، لأن الله أباحه ولم يذكر له غسلاً، فدل على طهارته. السادس: فيه فضيلة العلم، وأن الجارح المعلم بسبب العلم يباح صيده، والجاهل بالتعليم كلب الصيد، كما ورد في الحديث الصحيح، مع أن اقتناء الكلب محرم، لأن من لازم إبادة صيده وتعليمه جواز اقتنائه. الخامس: طهارة ما أصابه فم الكلب أو مخالبتها، والمشهور أن الجوارح بمعنى الكواشب أي: المحصلات للصيد والمدركات لها فلا يكون فيها على هذا دلالة والله أعلم الرابع: جواز اقتناء من الجوارح مع ما تقدم من تحريم المنخقة. فلو خنقه الكلب أو غيره، أو قتله بثقله لم يباح هذا بناء على أن الجوارح اللاتي يجرحن الصيد بأنبياهن لأجلكم. وما أكل منه الجارح فإنه لا يعلم أنه أمسكه على صاحبه، ولعله أن يكون أمسكه على نفسه. الثالث: اشتراط أن يجرحه الكلب أو الطير ونحوهما، لقوله: تعليمها، بأن يسترسل إذا أرسل، وينزجر إذا زجر، وإذا أمسك لم يأكل، ولهذا قال: تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم أي: أمسكن من الصيد مما صادته الجوارح، والمراد بالجوارح: الكلاب، والفهود، والصقور، ونحو ذلك، مما يصيد بنابه أو بمخلبه. الثاني: أنه يشترط أن تكون معلمة، بما يعد في العرف لكم ما علمتم من الجوارح إلى آخر الآية. دلت هذه الآية على أمور: أحدها: لطف الله بعباده ورحمته لهم، حيث وسع عليهم طرق الحلال، وأباح لهم ما لم يذكره دلت الآية بمفهومها على تحريم الخبائث، كما صرح به في قوله تعالى: ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من الجوارح أي: أحل الحبوب والثمار التي في القرى والبراري، ودخل في ذلك جميع حيوانات البحر وجميع حيوانات البر، إلا ما استثناه الشارع، كالسباع والخبائث منها. ولهذا وسلم: يسألونك ماذا أحل لهم من الأطعمة؟ قل أحل لكم الطيبات وهي كل ما فيه نفع أو لذة، من غير ضرر بالبدن ولا بالعقل، فدخل في ذلك جميع يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه

السماوات والأرض، يتصرف فيهما بما شاء من التصاريح القدريّة والشرعية، والمغفرة والعقوبة، بحسب ما اقتضته حكمته ورحمته الواسعة ومغفرته. 40  
وذلك أن لله ملك

وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد. لهم في الدنيا خزي أي: فضيحة وعار ولهم في الآخرة عذاب عظيم هو: النار وسخط الجبار. 41  
من عدم طهارة قلبه، كما أن من حاكم وتحاكم إلى الشرع ورضي به، وافق هواه أو خالفه، فإنه من طهارة القلب، ودل على أن طهارة القلب، سبب لكل خير، صدر منهم ما صدر. فدل ذلك على أن من كان مقصوده بالتحاكم إلى الحكم الشرعي اتباع هواه، وأنه إن حكم له رضي، وإن لم يحكم له سخط، فإن ذلك فتنته فلن تملك له من الله شيئاً كقوله تعالى: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أي: فلذلك محمد بهذا الحكم الذي يوافق أهواءكم، فاقبلوا حكمه، وإن لم يحكم لكم به، فاحذروا أن تتابعوه على ذلك، وهذا فتنة واتباع ما تهوى الأنفس. ومن يرد الله به. يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا أي: هذا قولهم عند محاكمتهم إليك، لا قصد لهم إلا اتباع الهوى. يقول بعضهم لبعض: إن حكم لكم إلى الضلال، المتبعين للمحال، الذين يأتون بكل كذب، لا عقول لهم ولا همم. فلا تبال أيضاً إذا لم يتبعوك، لأنهم في غاية النقص، والناقص لا يؤبه له ولا يبال بما عندهم من الباطل وهو تحريف الكلم عن مواضعه، أي: جلب معان للألفاظ ما أرادها الله ولا قصدها، لإضلال الخلق ولدفع الحق، فهؤلاء المنقادون للدعاة لم يأتوك أي: مستجيبون ومقلدون لرؤسائهم، المبني أمرهم على الكذب والضلال والغي. وهؤلاء الرؤساء المتبعون لم يأتوك بل أعرضوا عنك، وفرحوا بالإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب لم يعدل به صاحبه غيره، ولم يبيغ به بدلاً. ومن الذين هادوا أي: اليهود سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين قلوبهم فإن الذين يؤسى ويحزن عليهم، من كان معدوداً من المؤمنين، وهم المؤمنون ظاهراً وباطناً، وحاشا لله أن يرجع هؤلاء عن دينهم ويرتدوا، فإن في النفي. إن حضروا لم ينفعوا، وإن غابوا لم يفتقدوا، ولهذا قال مبینا للسبب الموجب لعدم الحزن عليهم فقال: من الذين قالوا آمناً بأفواههم ولم تؤمن حرصه على الخلق يشد حزنه لمن يظهر الإيمان، ثم يرجع إلى الكفر، فأرشد الله تعالى، إلى أنه لا بأس ولا يحزن على أمثال هؤلاء. فإن هؤلاء لا في العبر ولا كان الرسول صلى الله عليه وسلم من شدة

ولو كانوا ظلمة وأعداء، فلا يمنعك ذلك من العدل في الحكم بينهم. وفي هذا بيان فضيلة العدل والقسط في الحكم بين الناس، وأن الله تعالى يحبه. 42  
فإن حكم بينهم وجب أن يحكم بالقسط، ولهذا قال: وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين حتى الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وعلى هذا فكل مستفت ومتحاكم إلى عالم، يعلم من حاله أنه إن حكم عليه لم يرض، لم يجب الحكم ولا الإفتاء لهم،

## تفسير السعدي

في ذلك. وليست هذه منسوخة، فإنه عند تحاكم هذا الصنف إليه يخير بين أن يحكم بينهم، أو يعرض عن الحكم بينهم، بسبب أنه لا قصد لهم في الحكم سفلتهم وعوامهم من المعلومات والرواتب، التي يغير الحق، فجمعوا بين اتباع الكذب وأكل الحرام. فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم فأنت مخير والسمع هاهنا سمع استجابة، أي: من قلة دينهم وعقلهم، أن استجابوا لمن دعاهم إلى القول الكذب. أكالون للسحت أي: المال الحرام، بما يأخذونه على سماعون للكذب

هذا صنيعهم بالمؤمنين أي: ليس هذا دأب المؤمنين، وليسوا حريين بالإيمان. لأنهم جعلوا آلهتهم أهواءهم، وجعلوا أحكام الإيمان تابعة لأهوائهم. 43 يوافق أهواءهم. وحين حكمت بينهم بحكم الله الموافق لما عندهم أيضا، لم يرضوا بذلك بل أعرضوا عنه، فلم يرتضوه أيضا. قال تعالى: وما أولئك الذين فإنهم لو كانوا مؤمنين عاملين بما يقتضيه الإيمان ويوجبه لم يصدفوا عن حكم الله الذي في التوراة التي بين أيديهم، لعلهم أن يجدوا عندك ما ثم قال متعجبا لهم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين

وقد يكون كفرا ينقل عن الملة، وذلك إذا اعتقد حله وجوازه. وقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومن أعمال الكفر قد استحق من فعله العذاب الشديد. 44 أنزل الله من الحق المبين، وحكم بالباطل الذي يعلمه، لغرض من أغراضه الفاسدة فأولئك هم الكافرون فالحكم بغير ما أنزل الله من أعمال أهل الكفر، كفرها ودفع حظا جسيما، محروما منه غيره، فنسألك اللهم علما نافعا، وعملا متقبلا، وأن ترزقنا العفو والعافية من كل بلاء يا كريم. ومن لم يحكم بما أهمله وأضاعه، قد باع الدين بالدين، قد ارتشى في أحكامه، وأخذ المال على فتاويه، ولم يعلم عباد الله إلا بأجرة وجعالة. فهذا قد من الله عليه بمنة عظيمة، من القيام بما هو لازم له، وأن لا يؤثر الدنيا على الدين. كما أن علامة شقاوة العالم أن يكون مخلدا للبطالة، غير قائم بما أمر به، ولا مبال بما استحفظ عليه، قد همه الاجتهاد في العلم والتعليم، ويعلم أن الله قد استحفظه ما أودعه من العلم واستشهد عليه، وأن يكون خائفا من ربه، ولا يمنعه خوف الناس وخشيتهم ولا تشتتوا بآياتي ثمنا قليلا فتكتمون الحق، وتظهرون الباطل، لأجل متاع الدنيا القليل، وهذه الآفات إذا سلم منها العالم فهو من توفيقه وسعاده، بأن يكون يحتاجون إليه من أمور دينهم، خصوصا الأمور الأصولية والتي يكثر وقوعها وأن لا يخشوا الناس بل يخشون ربهم، ولهذا قال: فلا تخشوا الناس واخشون التي إذا قام بها غير أهل العلم سلموا ونجوا. وأما أهل العلم فكما أنهم مطالبون بالقيام بما عليهم أنفسهم، فإنهم مطالبون أن يعلموا الناس وينبئهم على ما بالجهال، بالإخلاد إلى البطالة والكسل، وأن لا يقتصروا على مجرد العبادات القاصرة، من أنواع الذكر، والصلاة، والزكاة، والحج، والصوم، ونحو ذلك من الأمور، أنهم المرجوع إليهم فيه، وفيما اشتبه على الناس منه، فالله تعالى قد حمل أهل العلم، ما لم يحمله الجهال، فيجب عليهم القيام بأعباء ما حملوا. وأن لا يقتدوا على كتابه، وجعلهم أمناء عليه، وهو أمانة عندهم، أوجب عليهم حفظه من الزيادة والنقصان والكتمان، وتعليمه لمن لا يعلمه. وهم شهداء عليه، بحيث ولهم لسان الصدق بين أممهم. وذلك الحكم الصادر منهم الموافق للحق بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء أي: بسبب أن الله استحفظهم العاملين المعلمين الذين يربون الناس بأحسن تربية، ويسلكون معهم مسلك الأنبياء المشفقين. والأخبار أي: العلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، الباطل، أولئك أئمة الضلال الذين يدعون إلى النار. وقوله: والربانيون والأخبار أي: وكذلك يحكم بالتوراة للذين هادوا أئمة الدين من الربانيين، أي: العلماء عمل ظاهر وباطن، إلا بتلك العقيدة؟ هل لهم إمام في ذلك؟ نعم لهم أئمة دأبهم التحريف، وإقامة رياستهم ومناصبهم بين الناس، والتأكل بكتمان الحق، وإظهار فما الذي منع هؤلاء الأراذل من اليهود من الاقتداء بها؟ وما الذي أوجب لهم أن يبنذوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي لا يقبل لأوامره، الذين إسلامهم أعظم من إسلام غيرهم، وهم صفوة الله من العباد. فإذا كان هؤلاء النبيون الكرام والسادة للأنام قد اقتدوا بها واثموا ومشوا خلفها، موسى وهارون والفرقان وضياء وذكرنا للمتقين يحكم بها بين الذين هادوا، أي: اليهود في القضايا والفتاوى النبيون الذين أسلموا لله وانقادوا يهدي إلى الإيمان والحق، ويعصم من الضلالة ونور يستضاء به في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، كما قال تعالى: ولقد آتينا إنا أنزلنا التوراة على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام. فيها هدى

الظالمون قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم أكبر، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له. 45 حقه، وكفارة أيضا عن العافي، فإنه كما عفا عن جنى عليه، أو على من يتعلق به، فإن الله يعفو عن زلاته وجنایاته. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم من الأطراف والجروح، بأن عفا عن جنى، وثبت له الحق قبله. فهو كفارة له أي: كفارة للجاني، لأن الآدمي عفا عن حقه. والله تعالى أحق وأولى بالعفو عن حدا، وموضعا، وطولا، وعرضا وعمقا، وليعلم أن شرع من قبلنا شرع لنا، ما لم يرد شرعنا بخلافه. فمن تصدق به أي: بالقصاص في النفس، وما دونها الاقتصاص منها بدون حيف. والجروح قصاص والاقتصاص: أن يفعل به كما فعل. فمن جرح غيره عمدا اقتص من الجارح جرحا مثل جرحه للمجروح، إذا قتلت تقتل بالنفس بشرط العمد والمكافأة، والعين تغل بالعين، والأذن تؤخذ بالأذن، والسن ينزع بالسن. ومثل هذه ما أشبهها من الأطراف التي يمكن هذه الأحكام من جملة الأحكام التي في التوراة، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأخبار. إن الله أوجب عليهم فيها أن النفس

من التوراة بتثبيتها والشهادة لها والموافقة. وهدي وموعظة للمتقين فإنهم الذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عما لا يليق. 46 وآتيناه الإنجيل الكتاب العظيم المتمم للتوراة. فيه هدى ونور يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل. ومصداقا لما بين يديه أكثر الأمور الشرعية. وقد يكون عيسى عليه السلام أخف في بعض الأحكام، كما قال تعالى عنه أنه قال لبني إسرائيل: ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم إلى مريم. بعثه الله مصداقا لما بين يديه من التوراة، فهو شاهد لموسى ولما جاء به من التوراة بالحق والصدق، ومؤيد لدعوته، وحاكم بشريعته، وموافق له في أي: وأتبعنا هؤلاء الأنبياء والمرسلين، الذين يحكمون بالتوراة، بعبدنا ورسولنا عيسى ابن مريم، روح الله وكلمته التي ألقاها



وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه أي: يلزمهم التقيد بكتابهم، ولا يجوز لهم العدول عنه. ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون 47

الله ليوم لا ريب فيه. فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من الشرائع والأعمال، فيثيب أهل الحق والعمل الصالح، ويعاقب أهل الباطل والعمل السيئ. 48  
بل ينبغي أن يأتي بالمستحبات، التي يقدر عليها لتتم وتكمل، ويحصل بها سبق. إلى الله مرجعكم جميعا الأمم السابقة واللاحقة، كلهم سيجمعهم على المبادرة لأداء الصلاة وغيرها في أول وقتها، وعلى أنه ينبغي أن لا يقتصر العبد على مجرد ما يجزئ في الصلاة وغيرها من العبادات من الأمور الواجبة، على الأمر، إلا بأمرين: المبادرة إليها، وانتهاز الفرصة حين يجيء وقتها ويعرض عارضها، والاجتهاد في أدائها كاملة على الوجه المأمور به. ويستدل بهذه الآية، فاستبقوا الخيرات أي: بادروا إليها وأكملوها، فإن الخيرات الشاملة لكل فرض ومستحب، من حقوق الله وحقوق عباده، لا يصير فاعلها سابقا لغيره مستوليا تعملون، ويبتلي كل أمة بحسب ما تقتضيه حكمته، ويؤتي كل أحد ما يليق به، وليحصل التنافس بين الأمم فكل أمة تحرص على سبق غيرها، ولهذا قال: الشرائع. ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة تبعا لشريعة واحدة، لا يختلف متأخرها ولا متقدمها. ولكن ليلوكم في ما آتاكم فيختبركم وينظر كيف تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبار التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع بالذي هو خير. لكل جعلنا منكم أيها الأمم جعلنا شرعة ومنهاجا أي: سبيلا وسنة، وهذه الشرائع التي تختلف باختلاف الأمم، هي التي تتغير بحسب أنزله الله عليك. ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق أي: لا تجعل اتباع أهوائهم الفاسدة المعارضة للحق بدلا عما جاءك من الحق فتستبدل الذي هو أدنى وما شهد له بالرد فهو مردود، قد دخله التحريف والتبديل، وإلا فلو كان من عند الله، لم يخالفه. فاحكم بينهم بما أنزل الله من الحكم الشرعي الذي الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحكم والحكمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو المقبول، السابقة، وزيادة في المطالب الإلهية والأخلاق النفسية. فهو الكتاب الذي تتبع كل حق جاء به الكتب فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه. وهو وطابت أخباره أخبارها، وشرائعه الكبار شرائعها، وأخبرت به، فصار وجوده مصداقا لخبرها. ومهيمننا عليه أي: مشتملا على ما اشتملت عليه الكتب أفضل الكتب وأجلها. بالحق أي: إنزالا بالحق، ومشتملا على الحق في أخباره وأوامره ونواهيه. مصداقا لما بين يديه من الكتاب لأنه شهد لها ووافقها، يقول تعالى: وأنزلنا إليك الكتاب الذي هو القرآن العظيم،

يبتلى العبد ويزين له ترك اتباع الرسول، وذلك لفسقه. وإن كثيرا من الناس لفاسقون أي: طبيعتهم الفسق والخروج عن طاعة الله واتباع رسوله. 49  
اتباعك واتباع الحق فاعلم أن ذلك عقوبة عليهم وأن الله يريد أن يصيبهم ببعض ذنوبهم فإن للذنوب عقوبات عاجلة وأجلة، ومن أعظم العقوبات أن بهم، وأن يفتنوك فيصدوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فصار اتباع أهوائهم سببا موصلا إلى ترك الحق الواجب، والفرض اتباعه. فإن تولوا عن مقام الحكم وحده، وكلاهما يلزم فيه أن لا يتبع أهواءهم المخالفة للحق، ولهذا قال: واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك أي: إياك والاعتذار خالف ذلك فهو جور وظلم. ولا تتبع أهواءهم كرر النهي عن اتباع أهوائهم لشدة التحذير منها. ولأن ذلك في مقام الحكم والفتوى، وهو أوسع، وهذا في قال: وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط ودل هذا على بيان القسط، وأن مادته هو ما شرعه الله من الأحكام، فإنها المشتملة على غاية العدل والقسط، وما عدمه، وذلك لعدم قصدهم بالتحاكم للحق. وهذه الآية تدل على أنه إذا حكم، فإنه يحكم بينهم بما أنزل الله من الكتاب والسنة، وهو القسط الذي تقدم أن الله ناسخة لقوله: فاحكم بينهم أو أعرض عنهم والصحيح: أنها ليست بناسخة، وأن تلك الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم مخير بين الحكم بينهم وبين وأن احكم بينهم بما أنزل الله هذه الآية هي التي قيل: إنها

أعمالهم في الدنيا والآخرة وهو في الآخرة من الخاسرين أي: الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهلهم يوم القيامة، وحصلوا على الشقاوة الأبدية. 5  
من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله، بشرط أن يموت على كفره، كما قال تعالى: ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت العفة، وأن شرط الزوج أن يكون الرجل عفيفا عن الزنا. وقوله تعالى: ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله أي: ومن كفر بالله تعالى، وما يجب الإيمان به الزنا مع العشيقات، لأن الزنا في الجاهلية، منهم من يزني مع من كان، فهذا المسافح. ومنهم من يزني مع خدنه ومحبه. فأخبر الله تعالى أن ذلك كله ينافي حالة كونكم أيها الأزواج محصنين لنسائكم، بسبب حفظكم لفروجكم عن غيرهن. غير مسافحين أي: زانين مع كل أحد ولا متخذي أخدان وهو: الأجور إيهن دليل على أن المرأة تملك جميع مهرها، وليس لأحد منه شيء، إلا ما سمحت به لزوجها أو وليها أو غيرها. محصنين غير مسافحين أي: إذا أعطيتموهن مهورهن، فمن عزم على أن لا يؤتيها مهرها فإنها لا تحل له. وأمر بإيتائها إذا كانت رشيدة تصلح للإيتاء، وإلا أعطاه الزوج لوليها. وإضافة سواء كن مسلمات أو كتابيات، حتى يتبين لقوله تعالى: الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة الآية. وقوله: إذا آتيتموهن أجورهن أي: أبحنا لكم نكاحهن، وأما المسلمات إذا كن رقيقات فإنه لا يجوز للأحرار نكاحهن إلا بشرطين، عدم الطول وخوف العنت. وأما الفاجرات غير العفيفات عن الزنا فلا يباح نكاحهن، المؤمنات لا يباح نكاحهن للأحرار، وهو كذلك. وأما الكتابيات فعلى كل حال لا يباحن، ولا يجوز نكاحهن للأحرار مطلقا، لقوله تعالى: من فتياكم المؤمنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم أي: من اليهود والنصارى. وهذا مخصص لقوله تعالى ولا تتكحوا المشركات حتى يؤمن ومفهوم الآية، أن الأرقاء من أيها المسلمون حل لهم أي: يحل لكم أن تطعموهم إياه و أحل لكم المحصنات أي: الحرائر العفيفات من المؤمنات والحرائر العفيفات أنه كان طعاما، بسبب ذبحهم. ولا يقال: إن ذلك للتمليك، وأن المراد: الطعام الذي يملكون. لأن هذا، لا يباح على وجه الغصب، ولا من المسلمين. وطعامكم ليس من الذبائح كالحبوب والثمار ليس لأهل الكتاب فيه خصوصية، بل يباح ذلك ولو كان من طعام غيرهم. وأيضا فإنه أضاف الطعام إليهم. فدل ذلك، على

## تفسير السعدي

لأنه شرك، فاليهود والنصارى يتدينون بتحريم الذبح لغير الله، فلذلك أبيحت ذبائحهم دون غيرهم. والدليل على أن المراد بطعامهم ذبائحهم، أن الطعام الذي دون باقي الكفار، فإن ذبائحهم لا تحل للمسلمين، وذلك لأن أهل الكتاب ينتسبون إلى الأنبياء والكتب. وقد اتفق الرسل كلهم على تحريم الذبح لغير الله، الحاجة إليه، ويحصل لهم الانتفاع به من الطيبات. وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم أي: ذبائح اليهود والنصارى حلال لكم يا معشر المسلمين كرر تعالى إحلل الطيبات لبيان الامتنان، ودعوة للعباد إلى شكره والإكثار من ذكره، حيث أباح لهم ما تدعوهم

الفرق بين الحكمين ويميز بإيقانه ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين عقلا وشرعا اتباعه. واليقين، هو العلم التام الموجب للعمل. 50 الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى. ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فالموقن هو الذي يعرف ما أنزل الله على رسوله. فلا ثم إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية. فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه أفحكم الجاهلية يغفون أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف

العبد منهم. إن الله لا يهدي القوم الظالمين أي: الذين وصفهم الظلم، وإليه يرجعون، وعليه يعولون. فلو جئتهم بكل آية ما تبعوك، ولا انقادوا لك. 51 ولهذا قال: ومن يتولهم منكم فإنه منهم لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم. والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئا فشيئا، حتى يكون فأنتم لا تتخذوهم أولياء، فإنهم الأعداء على الحقيقة ولا يبالون بضرهم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئا على إضلالكم، فلا يتولاهم إلا من هو مثلهم، بين لهم أحوال اليهود والنصارى وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء. فإن بعضهم أولياء بعض يتناصرون فيما بينهم ويكونون يدا على من سواهم، يرشد تعالى عباده المؤمنين حين

وضرهم بلا نفع حصل لهم، فحصل الفتح الذي نصر الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به الكفر والكافرين، فندموا وحصل لهم من الغم ما الله به عليم. 52 أمر من عنده ييأس به المنافقون من ظفر الكافرين من اليهود وغيرهم فيصبحوا على ما أسروا أي: أضمروا في أنفسهم نادمين على ما كان منهم ظن منهم بالإسلام، قال تعالى رادا لظنهم السيئ: فعسى الله أن يأتي بالفتح الذي يعز الله به الإسلام على اليهود والنصارى، ويظهرهم المسلمون أو إن تولينا إياهم للحاجة، فإننا نخشى أن تصيبنا دائرة أي: تكون الدائرة لليهود والنصارى، فإذا كانت الدائرة لهم، فإذا لنا معهم يد يكافؤنا عنها، وهذا سوء ولما نهى الله المؤمنين عن توليهم، أخبر أن ممن يدعي الإيمان طائفة تواليهم، فقال: فترى الذين في قلوبهم مرض أي: شك ونفاق، وضعف إيمان، يقولون: ظنوه بالإسلام وأهله باطلا، فبطل كيدهم وبطلت أعمالهم في الدنيا فأصبحوا خاسرين حيث فاتهم مقصودهم، وضرهم الشقاء والعذاب. 53 بأنواع التأكيدات: إنهم لمعكم في الإيمان، وما يلزمه من النصرة والمحبة والموالة، ظهر ما أضمره، وتبين ما أسروه، وصار كيدهم الذي كادوه، وظنهم الذي الذين آمنوا متعجبين من حال هؤلاء الذين في قلوبهم مرض: هؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم أي: حلفوا وأكدوا حلفهم، وغلظوه ويقول

كل شيء، ويوسع على أوليائه من فضله، ما لا يكون لغيرهم، ولكنه عليم بمن يستحق الفضل فيعطيه، فإله أعلم حيث يجعل رسالته أصلا وفرعا. 54 أن فضل الله تعالى ليس عليه حجاب، فقال: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم أي: واسع الفضل والإحسان، جزيل المنن، قد عمت رحمته لما لم يذكر من أفعال الخير أخبر أن هذا من فضله عليهم وإحسانه لئلا يعجبوا بأنفسهم، وليشكروا الذي من عليهم بذلك ليزيدهم من فضله، وليعلم غيرهم الله، فلا يسلم القلب من التعبد لغير الله، حتى لا يخاف في الله لومة لائم. ولما مدحهم تعالى بما من به عليهم من الصفات الجليلة والمناقب العالية، المستلزمة تنتقض عزمته عند لوم اللائمين، وتفترق قوته عند عدل العاذلين. وفي قلوبهم تعبد لغير الله، بحسب ما فيها من مراعاة الخلق وتقديم رضاهم ولومهم على أمر ولا يخافون لومة لائم بل يقدمون رضا ربهم والخوف من لومه على لوم المخلوقين، وهذا يدل على قوة همهم وعزائمهم، فإن ضعيف القلب ضعيف الهمة، الغلظة عليهم، واللين في دعوتهم، وكلا الأمرين من مصلحتهم ونفعه عائد إليهم. يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، بأقوالهم وأفعالهم. أعداء الله مما يقرب العبد إلى الله، ويوافق العبد ربه في سخطه عليهم، ولا تمنع الغلظة عليهم والشدّة دعوتهم إلى الدين الإسلامي بالتالي هي أحسن. فتجتمع وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وقال تعالى: أشدّاء على الكفار رحماء بينهم فالغلظة والشدّة على بالله، المعاندين لآياته، المكذّبين لرسوله أعزّة، قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معاداتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به الانتصار عليهم، قال تعالى: فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم ورفقهم ورأفتهم، ورحمتهم بهم وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم وعلى الكافرين أحب الله أكثر من ذكره، وإذا أحب الله عبدا قبل منه اليسير من العمل، وغفر له الكثير من الزلل. ومن صفاتهم أنهم أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين لأعينته. ومن لوازم محبة الله معرفته تعالى، والإكثار من ذكره، فإن المحبة بدون معرفة بالله ناقصة جدا، بل غير موجودة وإن وجدت دعواها، ومن حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن الله: وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل قال تعالى: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله كما أن من لازم محبة الله للعبد، أن يكثر العبد من التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل، كما قال إليه بالمحبة والوداد. ومن لوازم محبة العبد لربه، أنه لابد أن يتصف بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله، كما وأفضل فضيلة، تفضل الله بها عليه، وإذا أحب الله عبدا يسر له الأسباب، وهون عليه كل عسير، ووفقه لفعل الخيرات وترك المنكرات، وأقبل بقلوب عباده

## تفسير السعدي

بهم، وأنهم أكمل الخلق أوصافاً، وأقواهم نفوساً، وأحسنهم أخلاقاً، أجل صفاتهم أن الله يحبهم ويحبونه فإن محبة الله للعبد هي أجل نعمة أنعم بها عليه، وأنه من يرتد عن دينه فلن يضر الله شيئاً، وإنما يضر نفسه. وأن لله عباداً مخلصين، ورجالاً صادقين، قد تكفل الرحمن الرحيم بهديتهم، ووعد بالإتيان يخبر تعالى أنه الغني عن العالمين،

لله دليلون. فإداة الحصر في قوله إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم. 55 للمعبود، بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقها منهم. وقوله: وهم راكعون أي: خاضعون لله ولها، ومن كان ولياً لله فهو ولي لرسوله، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً، وأخلصوا تعالى من يجب ويتعين توليه، وذكر فائدة ذلك ومصلحته فقال: إنما وليكم الله ورسوله فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى. فكل من كان مؤمناً تقياً كان لما نهى عن ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم، وذكر مآل توليهم أنه الخسران المبين، أخبر

وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريد بها الله تعالى، فأخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلاً. 56 عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: وإن جندنا لهم الغالبون وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة

بموالاتهم من اتخذوه هزوا ولعباً، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهيج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم. 57 بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء. فكيف تدعي لنفسك ديناً قيماً، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بها النفوس. فإذا علمتم أيها المؤمنون حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعباً، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تنصف من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوا ولعباً، واحتقاره واستصغاره، خصوصاً الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم، وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، تفسير الآيتين 57 و58: ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون

بموالاتهم من اتخذوه هزوا ولعباً، وسخر به وبأهله، من أهل الجهل والحمق؟! وهذا فيه من التهيج على عداوتهم ما هو معلوم لكل من له أدنى مفهوم. 58 بمن قدح فيه أو قدح بالكفر والضلال، وأنه ليس عنده من المروءة والإنسانية شيء. فكيف تدعي لنفسك ديناً قيماً، وأنه الدين الحق وما سواه باطل، وترضى بها النفوس. فإذا علمتم أيها المؤمنون حال الكفار وشدة معاداتهم لكم ولدينكم، فمن لم يعادهم بعد هذا دل على أن الإسلام عنده رخيص، وأنه لا يبالي إذا نادوا إليها اتخذوها هزوا ولعباً، وذلك لعدم عقلهم ولجهلهم العظيم، وإلا فلو كان لهم عقول لخضعوا لها، ولعلموا أنها أكبر من جميع الفضائل التي تنصف من قدحهم في دين المسلمين، واتخاذهم إياه هزوا ولعباً، واحتقاره واستصغاره، خصوصاً الصلاة التي هي أظهر شعائر المسلمين، وأجل عباداتهم، إنهم وكذلك التزامهم لتقوى الله التي هي امتثال أوامره واجتناب زواجره مما تدعوهم إلى معاداتهم، وكذلك ما كان عليه المشركون والكفار المخالفون للمسلمين، لهم أسرار المؤمنين، ويعاونونهم على بعض أمورهم التي تضر الإسلام والمسلمين، وأن ما معهم من الإيمان يوجب عليهم ترك موالاتهم، ويحثهم على معاداتهم، تفسير الآيتين 57 و58: ينهى عباده المؤمنين عن اتخاذ أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن سائر الكفار أولياء يحبونهم ويتولونهم، ويبدون

معاصيه، فأولى لكم أيها الفاسقون السكوت، فلو كان عيبكم وأنتم سالمون من الفسق، وهيهات ذلك لكان الشر أخف من قدحكم فينا مع فسقكم. 59 كافر فاسق؟ فهل تنقمون منا بهذا الذي هو أوجب الواجبات على جميع المكلفين؟ ومع هذا فأكثرتم فاسقون، أي: خارجون عن طاعة الله، متجرئون على أي: هل لنا عنكم من العيب إلا إيماننا بالله، وبكتبه السابقة واللاحقة، وبأنبيائه المتقدمين والمتأخرين، وبأننا نجزم أن من لم يؤمن بهذا الإيمان فإنه الإسلام هو الدين الحق، وإن قدحهم فيه قدح بأمر ينبغي المدح عليه: هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثرتم فاسقون قل يا أيها الرسول يا أهل الكتاب ملزماً لهم، إن دين

شرائع الله، في الطهارة وغيرها ليزداد معرفة وعلماً، ويزداد شكراً لله ومحبة له، على ما شرع من الأحكام التي توصل العبد إلى المنازل العالية الرفيعة. 6 وطهارة تدرك بالحس والمشاهدة، فإن فيها طهارة معنوية ناشئة عن امتثال أمر الله تعالى. الحادي والخمسون: أنه ينبغي للعبد أن يتدبر الحكم والأسرار في هو التاسع والأربعون: أن طهارة الظاهر بالماء والتراب، تكميل لطهارة الباطن بالتوحيد، والتوبة النصوح. الخمسون: أن طهارة التيمم، وإن لم يكن فيها نظافة أن الله تعالى فيما شرعه لنا من الأحكام لم يجعل علينا في ذلك من حرج ولا مشقة ولا عسر، وإنما هو رحمة منه بعباده ليظهرهم، وليتم نعمته عليهم. وهذا بكل شيء. السابع والأربعون: اشتراط الترتيب في طهارة التيمم، كما يشترط ذلك في الوضوء، ولأن الله بدأ بمسح الوجه قبل مسح اليدين. الثامن والأربعون: عموم الآية وإطلاقها. السادس والأربعون: أنه يكفي المسح بأي شيء كان، بيده أو غيرها، لأن الله قال فامسحوا ولم يذكر الممسوح به، فدل على جوازه أن محل التيمم في الحدث الأصغر والأكبر واحد، وهو الوجه واليدان. الخامس والأربعون: أنه لو نوى من عليه حدثان التيمم عنهما، فإنه يجزئ أحداً من الماء، وأطلق في الآية فلم يقيد وقد يقال أن نجاسة البدن لا تدخل في حكم التيمم لأن السياق في الأحداث وهو قول جمهور العلماء الرابع والأربعون:

## تفسير السعدي

في الوضوء. الثالث والأربعون: أن الآية عامة في جواز التيمم، لجميع الأحداث كلها، الحدث الأكبر والأصغر، بل ولنجاسة البدن، لأن الله جعلها بدلا عن طهارة الثاني والأربعون: أن اليدين تمسحان إلى الكوعين فقط، لأن اليدين عند الإطلاق كذلك. فلو كان يشترط إيصال المسح إلى الذراعين لقيده الله بذلك، كما قيده الأربعون: أن قوله: بوجوهكم شامل لجميع الوجه وأنه يعمم بالمسح، إلا أنه معفو عن إدخال التراب في الفم والأنف، وفيما تحت الشعور، ولو خفيفة. والثلاثون: أنه لا يصح التيمم بالتراب النجس، لأنه لا يكون طيبا بل خبيثا. الأربعون: أنه يمسح في التيمم الوجه واليدين فقط، دون بقية الأعضاء. الحادي والتغليب، وأن الغالب أن يكون له غبار يمسح منه ويعلق بالوجه واليدين، وإما أن يكون إرشادا للأفضل، وأنه إذا أمكن التراب الذي فيه غبار فهو أولى. التاسع والثلاثون: أنه يكفي التيمم بكل ما تصاعد على وجه الأرض من تراب وغيره. فيكون على هذا، قوله: فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه إما من باب أي: يكون ظهورا، لأن الماء المتغير ماء، فيدخل في قوله: فلم تجدوا ماء السابع والثلاثون: أنه لا بد من نية التيمم لقوله: فتيمموا أي: اقصدوا. والثلاثون: أن من وجد ماء لا يكفي بعض طهارته، فإنه يلزمه استعماله، ثم يتيمم بعد ذلك. السادس والثلاثون: أن الماء المتغير بالطهارات، مقدم على التيمم، عدم الماء. الرابع والثلاثون: أنه إذا دخل الوقت وليس معه ماء، فإنه يلزمه طلبه في رحله وفيما قرب منه، لأنه لا يقال لم يجد لمن لم يطلب. الخامس ناقض للوضوء. الثاني والثلاثون: اشتراط عدم الماء لصحة التيمم. الثالث والثلاثون: أن مع وجود الماء ولو في الصلاة، يبطل التيمم لأن الله إنما أباحه مع ولا غيره. الثلاثون: استحباب التكنية عما يستقذر التلفظ به لقوله تعالى: أو جاء أحد منكم من الغائط الحادي والثلاثون: أن لمس المرأة بلذة وشهوة أن الخارج من السبيلين من بول وغائط، ينقض الوضوء. التاسع والعشرون: استدلال بها من قال: لا ينقض الوضوء إلا هذان الأمران، فلا ينتقض بلمس الفرج من البول والغائط إذا عدم الماء، فالمرض يجوز التيمم مع وجود الماء لحصول الضرر به، وباقيها يجوز العدم للماء ولو كان في الحضر. الثامن والعشرون: والعشرون: أن من أسباب جواز التيمم وجود المرض الذي يضره غسله بالماء، فيجوز له التيمم. السابع والعشرون: أن من جملة أسباب جوازه، السفر والإتيان من ذكر أنه احتلم ولم يجد بللا، فإنه لا غسل عليه، لأنه لم يتحقق منه الجنابة. الخامس والعشرون: ذكر منة الله تعالى على العباد، بمشروعية التيمم. السادس يذكر إلا التطهر، ولم يذكر أنه يعيد الوضوء. الثالث والعشرون: أن الجنب يصدق على من أنزل المني يقظة أو مناما، أو جامع ولو لم ينزل. الرابع والعشرون: أن بغسل ظاهر الشعر وباطنه في الجنابة. الثاني والعشرون: أنه يندرج الحدث الأصغر في الحدث الأكبر، ويكفي من هما عليه أن ينوي، ثم يعمم بدنه، لأن الله لم عشر: الأمر بالغسل من الجنابة. العشرون: أنه يجب تعميم الغسل للبدن، لأن الله أضاف التطهر للبدن، ولم يخصه بشيء دون شيء. الحادي والعشرون: الأمر على اليسرى من اليدين والرجلين، وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين. الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به. التاسع والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة والاستنشاق على غسل الوجه، وتقديم اليمنى ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب. السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية. وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق إذا كانتا مستورتين بالخف. السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء، لأن الله تعالى ذكرها مرتبة. ولأنه أدخل ممسوحا وهو الرأس بين مغسولين، الجر في وأرجلكم وتكون كل من القراءتين، محمولة على معنى، فعلى قراءة النصب فيها، غسلهما إن كانتا مكشوفتين، وعلى قراءة الجر فيها، مسحهما فيها الرد على الرافضة، على قراءة الجمهور بالنصب، وأنه لا يجوز مسحهما ما دامتا مكشوفتين. الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة غسل رأسه ولم يمر يده عليه لم يكف، لأنه لم يأت بما أمر الله به. الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين. الرابع عشر: كيفما كان، بيديه أو إحدهما، أو خرقة أو خشبة أو نحوهما، لأن الله أطلق المسح ولم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه. الثاني عشر: أن الواجب المسح. فلو الأمر بمسح الرأس. العاشر: أنه يجب مسح جميعه، لأن الباء ليست للتبعيض، وإنما هي للملاصقة، وأنه يعم المسح بجميع الرأس. الحادي عشر: أنه يكفي المسح و إلى كما قال جمهور المفسرين بمعنى مع كقوله تعالى: ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق. التاسع: التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة، وإن كانت كثيفة اكتفي بظاهاها. الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حدهما إلى المرفقين منابث شعر الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن طولا. ومن الأذن إلى الأذن عرضا. ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة، ويدخل فيه الشعور الجنابة، تشتترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة والشكر. السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو: ما تحصل به المواجهة من أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما تجب عند إرادة الصلاة. السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، من الفرض والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة إذا قمتم إلى الصلاة أي: بقصدتها ونيتها. الرابع: اشتراط الطهارة لصحة الصلاة، لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب. الخامس: أي: يا أيها الذين آمنوا، اعملوا بمقتضى إيمانكم بما شرعناه لكم. الثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: إذا قمتم إلى الصلاة الثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ما يسره الله وسهله. أحدها: أن هذه المذكورات فيها امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان الذي لا يتم إلا به، لأنه صدرها بقوله يا أيها الذين آمنوا إلى آخرها. هذه آية عظيمة قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها

أخلصوا له الدين. وهذا النوع من باب استعمال أفعل التفضيل في غير بابه وكذلك قوله: وأضل عن سواء السبيل أي: وأبعد عن قصد السبيل. 60 أولئك المذكورون بهذه الخصال القبيحة شر مكانا من المؤمنين الذين رحمة الله قريب منهم، ورضي الله عنهم وأثابهم في الدنيا والآخرة، لأنهم رحمته وغضب عليه وعاقبه في الدنيا والآخرة وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت وهو الشيطان، وكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت. قال تعالى: قل لهم مخربا عن شناعة ما كانوا عليه: هل أنبئكم بشر من ذلك الذي نقمتم فيه علينا، مع التنزل معكم. من لعنه الله أي: أبعد عن ولما كان قدحهم في المؤمنين يقتضي أنهم يعتقدون أنهم على شر،

## تفسير السعدي

- بالكفر وهم يزعمون أنهم مؤمنون، فهل أشر من هؤلاء وأقبح حالا منهم؟ والله أعلم بما كانوا يكتمون فيجازيهم بأعمالهم خيرا وشرها. 61  
وإذا جاءوكم قالوا آمنا نفاقا ومكرا و هم قد دخلوا مشتملين على الكفر وهم قد خرجوا به فمدخلهم ومخرجهم
- مجبولة على حب المعاصي والظلم. هذا وهم يدعون لأنفسهم المقامات العالية. لبئس ما كانوا يعملون وهذا في غاية الذم لهم والقبح فيهم. 62  
وأكلهم السحت الذي هو الحرام. فلم يكتف بمجرد الإخبار أنهم يفعلون ذلك، حتى أخبر أنهم يسارعون فيه، وهذا يدل على خبثهم وشرهم، وأن أنفسهم وترى كثيرا منهم أي: من اليهود يسارعون في الإثم والعدوان أي: يحرصون، ويبادرون المعاصي المتعلقة في حق الخالق والعدوان على المخلوقين. ثم استمر تعالى يعدد معائبهم، انتصارا لقدحهم في عبادته المؤمنين، فقال:
- عليهم، فإن العلماء عليهم أمر الناس ونهيهم، وأن يبينوا لهم الطريق الشرعي، ويرغبونهم في الخير ويرهبونهم من الشر لبئس ما كانوا يصنعون 63  
هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس، الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة عن المعاصي التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل، وتقوم حجة الله لولا ينهاهم الربانيون والأخبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت أي:
- المعاصي، والدعوة إلى دينهم الباطل، والتعويق عن الدخول في الإسلام. والله لا يحب المفسدين بل يبغضهم أشد البغض، وسيجازيهم على ذلك. 64  
أطفأها الله بخذلانهم وتفرق جنودهم، وانتصار المسلمين عليهم. ويسعون في الأرض فسادا أي: يجتهدون ويجدون، ولكن بالفساد في الأرض، بعمل متباغضين في قلوبهم، متعادين بأفعالهم، إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب ليكيدوا بها الإسلام وأهله، وأبدوا وأعادوا، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم لها بالشبه الباطلة. وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة فلا يتآلفون، ولا يتناصرون، ولا يتفقون على حالة فيها مصلحتهم، بل لم يزالوا وشكرا لله عليها، أن تكون لمثل هذا زيادة غي إلى غيه، وطفغان إلى طغيانه، وكفر إلى كفره، وذلك بسبب إعراضه عنها، ورده لها، ومعاندته إياها، ومعارضته حياة القلب والروح، وسعادة الدنيا والآخرة، وفلاح الدارين، الذي هو أكبر منة امتن الله بها على عباده، توجب عليهم المبادرة إلى قبولها، والاستسلام لله بها، وقوله وليزيدين كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وهذا أعظم العقوبات على العبد، أن يكون الذكر الذي أنزله الله على رسوله، الذي فيه المقالة، ونحوهم ممن حاله كحالهم ببعض قولهم، لهلكوا، وشقوا في دنياهم، ولكنهم يقولون تلك الأقوال، وهو تعالى، يحلم عنهم، ويصفح، ويمهلهم ولا يهملهم. كرمه طرفة عين، بل لا وجود لهم ولا بقاء إلا بجلده. وقبح الله من استغنى بجهله عن ربه، ونسبه إلى ما لا يليق بجلاله، بل لو عامل الله اليهود القائلين تلك من كل النعم التي بالعباد فمنه، وإليه يجأرون في دفع المكارة، وتبارك من لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أتى على نفسه، وتعالى من لا يخلو العباد من يدركه الوصف، ولا يخطر على بال العبد، ويلطف بهم في جميع أمورهم، ويوصل إليهم من الإحسان، ويدفع عنهم من النقم ما لا يشعرون بكثير منه، فسبحان فيه البر والفاجر، ويوجد على أوليائه بالتوفيق لصالح الأعمال ثم يحمدهم عليها، ويضيفها إليهم، وهي من جوده ويثيبهم عليها من الثواب العاجل والآجل ما لا يعطي فقيرا عائلا، ويجيب المضطرين، ويستجيب للسائلين. وينعم على من لم يسأله، ويعافي من طلب العافية، ولا يحرم من خيره عاصيا، بل خيره يرتع بمعاصيهم. فيداه سحاء الليل والنهار، وخيره في جميع الأوقات مدرارا، يفرج كربا، ويزيل غما، ويغني فقيرا، ويفك أسيرا ويجبر كسيرا، ويجيب سائلا، ولا مانع يمنعه مما أراد، فإنه تعالى قد بسط فضله وإحسانه الديني والدنيوي، وأمر العباد أن يتعرضوا لنفحات جوده، وأن لا يسدوا على أنفسهم أبواب إحسانه بالله، وأبعدهم الله عن رحمته التي وسعت كل شيء، وملأت أقطار العالم العلوي والسفلي. ولهذا قال: بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء لا حجر عليه، فإن كلامهم متضمن لوصف الله الكريم، بالبخل وعدم الإحسان. فجازاهم بأن كان هذا الوصف منطبقا عليهم. فكانوا أبخل الناس وأقلهم إحسانا، وأسوأهم ظنا وعقيدتهم الفظيعة، فقال: وقالت اليهود يد الله مغلولة أي: عن الخير والإحسان والبر. غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا وهذا دعاء عليهم بجنس مقاتلتهم. يخبر تعالى عن مقالة اليهود الشنيعة،
- وجميع كتبه، وجميع رسله، واتقوا المعاصي، لكفر عنهم سيئاتهم ولو كانت ما كانت، ولأدخلهم جنات النعيم التي فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. 65  
ولأدخلناهم جنات النعيم وهذا من كرمه وجوده، حيث ذكر قبائح أهل الكتاب ومعائبهم وأقوالهم الباطلة، دعاهم إلى التوبة، وأنهم لو آمنوا بالله وملائكته، ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم
- أي: عاملة بالتوراة والإنجيل، عملا غير قوي ولا نشيط، وكثير منهم ساء ما يعملون أي: والمسيء منهم الكثير. وأما السابقون منهم فقليل ما هم. 66  
وأنت لهم الأرض كما قال تعالى: ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض منهم أي: من أهل الكتاب أمة مقتصدة بهذه النعمة العظيمة التي أنزلها ربهم إليهم، أي: لأجلهم وللاعتناء بهم لأكلا من فوقهم ومن تحت أرجلهم أي: لأمر الله عليهم الرزق، ولأمطر عليهم السماء، ربهم أي: قاموا بأوامرهما ونواهيهما، كما نديهم الله وحثهم. ومن إقامتهما الإيمان بما دعيا إليه، من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، فلو قاموا ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من
- إنما عليك البلاغ المبين، فمن اهتدى فلنفسه، وأما الكافرون الذين لا قصد لهم إلا اتباع أهوائهم فإن الله لا يهديهم ولا يوفقهم للخير، بسبب كفرهم. 67  
لرسوله من الناس، وأنه ينبغي أن يكون حرصك على التعليم والتبليغ، ولا يثنيك عنه خوف من المخلوقين فإن نواصيهم بيد الله وقد تكفل بعصمتك، فأنت وإن لم تفعل أي: لم تبلغ ما أنزل إليك من ربك فما بلغت رسالته أي: فما امتثلت أمره. والله يعصمك من الناس هذه حماية وعصمة من الله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرنا عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين.

## تفسير السعدي

والمطالب الإلهية. فبلغ صلى الله عليه وسلم أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشر ويسر، وعلم الجهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله الأوامر وأجلها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه صلى الله عليه وسلم من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية هذا أمر من الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بأعظم

أحكام الله، وتقوموا بما حملتم من أمانة الله وعهده. وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليكم من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين 68 و تقيموا ما أنزل إليكم من ربكم الذي رباكم، وأنعم عليكم، وجعل أجل إنعامه إنزال الكتب إليكم. فالواجب عليكم، أن تقوموا بشكر الله، وتلتزموا ولا بحق تمسكتكم، ولا على أصل اعتمدتم حتى تقيموا التوراة والإنجيل أي: تجعلوهما قائمين بالإيمان بهما واتباعهما، والتمسك بكل ما يدعوان إليه. أي: قل لأهل الكتاب، مناديا على ضلالهم، ومعلنا بباطلهم: لستم على شيء من الأمور الدينية، فإنكم لا بالقرآن ومحمد آمنتم، ولا بنبيكم وكتابتكم صدقتكم، الآخر، فله النجاة، ولا خوف عليهم فيما يستقبلونه من الأمور المخوفة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا منها. وهذا الحكم المذكور يشمل سائر الأزمنة. 69 القرآن والتوراة والإنجيل، أن سعادتهم ونجاتهم في طريق واحد، وأصل واحد، وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح فمن آمن منهم بالله واليوم يخبر تعالى عن أهل الكتب من أهل

ما يكرهه، واعمروا قلوبكم بمعرفته ومحبته والنصح لعباده. فإنكم إن كنتم كذلك غفر لكم السيئات، وضاعف لكم الحسنات، لعلمه بصلاح قلوبكم. 7 أحوالكم إن الله عليم بذات الصدور أي: بما تنطوي عليه من الأفكار والأسرار والخواطر. فاحذروا أن يطلع من قلوبكم على أمر لا يرضاه، أو يصدر منكم وأن المؤمنين يذكرون في ذلك عهد الله وميثاقه عليهم، وتكون منهم على بال، ويحرصون على أداء ما أمروا به كاملا غير ناقص. واتقوا الله في جميع آياتك القرآنية والكونية، سمع فهم وإذعان وانقياد. وأطعنا ما أمرتنا به بالامتثال، وما نهيتنا عنه بالاجتناب. وهذا شامل لجميع شرائع الدين الظاهرة والباطنة. ونطقوا بالعهد والميثاق، وإنما المراد بذلك أنهم بإيمانهم بالله ورسوله قد التزموا طاعتهم، ولهذا قال: إذ قلتم سمعنا وأطعنا أي: سمعنا ما دعوتنا به من بالنعم الدينية، وزيادة لفضل الله وإحسانه. و ميثاقه أي: واذكروا ميثاقه الذي واثقكم به أي: عهده الذي أخذه عليكم. وليس المراد بذلك أنهم لفظوا نعمه الدينية والدينية، بقلوبهم وألسنتهم. فإن في استدامة ذكرها داعيا لشكر الله تعالى ومحبته، وامتلاء القلب من إحسانه. وفيه زوال للعجب من النفس يأمر تعالى عباده بذكر

لم ينجح فيهم، ولم يفد كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم من الحق كذبوه وعاندوه، وعاملوه أقبح المعاملة فريقا كذبوا وفريقا يقتلون 70 أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا إلى آخر الآيات. وأرسلنا إليهم رسلا يتوالون عليهم بالدعوة، ويتعاهدونهم بالإرشاد، ولكن ذلك يقول تعالى: لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل أي: عهدهم الثقيل بالإيمان بالله، والقيام بواجباته التي تقدم الكلام عليها في قوله: ولقد

كثير منهم بهذا الوصف، والقليل استمروا على توبتهم وإيمانهم. والله بصير بما يعملون فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر. 71 عن الحق ثم نعشهم و تاب الله عليهم حين تابوا إليه وأتابوا ثم لم يستمروا على ذلك حتى انقلب أكثرهم إلى الحال القبيحة. فعموا وصموا وحسبوا ألا تكون فتنة أي: ظنوا أن معصيتهم وتكذيبهم لا يجز عليهم عذابا ولا عقوبة، فاستمروا على باطلهم. فعموا وصموا

الخالصة لغير من هي له، فاستحق أن يخلد في النار. وما للظالمين من أنصار ينقذونهم من عذاب الله، أو يدفعون عنهم بعض ما نزل بهم. 72 أحدا من المخلوقين، لا عيسى ولا غيره. فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وذلك لأنه سوى الخلق بالخالق، وصرف ما خلقه الله له وهو العبادة في هذه الدعوى، وقال لهم: يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فأتبث لنفسه العبودية التامة، ولربه الربوبية الشاملة لكل مخلوق. إنه من يشرك بالله النصارى بقولهم: إن الله هو المسيح ابن مريم بشبهة أنه خرج من أم بلا أب، وخالف المعهود من الخلقة الإلهية، والحال أنه عليه الصلاة والسلام قد كذبهم يخبر تعالى عن كفر

معه إله غيره؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ثم توعدهم بقوله: وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم 73 وعلى أشباههم: وما من إله إلا إله واحد متصف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص، منفرد بالخلق والتدبير، ما بالخلق من نعمة إلا منه. فكيف يجعل النصارى، كيف قبلوا هذه المقالة الشنعاء، والعقيدة القبيحة؟! كيف اشتبه عليهم الخالق بالمخلوقين؟! كيف خفي عليهم رب العالمين؟! قال تعالى رادا عليهم وهذا من أقوال النصارى المنصورة عندهم، زعموا أن الله ثالث ثلاثة: الله، وعيسى، ومريم، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وهذا أكبر دليل على قلة عقول لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة

ويرحمهم بقبول توبتهم، وتبديل سيئاتهم حسنات. وصدر دعوتهم إلى التوبة بالعرض الذي هو غاية اللطف واللين في قوله: أفلا يتوبون إلى الله 74 وبأن عيسى عبد الله ورسوله، عما كانوا يقولونه ويستغفرونه عن ما صدر منهم والله غفور رحيم أي: يغفر ذنوب التائبين، ولو بلغت عنان السماء، دعاهم إلى التوبة عما صدر منهم، وبين أنه يقبل التوبة عن عباده فقال: أفلا يتوبون إلى الله أي: يرجعون إلى ما يحبه ويرضاه من الإقرار لله بالتوحيد،

ثم

نبين لهم الآيات الموضحة للحق، الكاشفة لليقين، ومع هذا لا تفيد فيهم شيئا، بل لا يزالون على إفكهم وكذبهم وافترائهم، وذلك ظلم وعناد منهم. 75 إلى الطعام والشراب، فلو كانا إلهين لاستغنيا عن الطعام والشراب، ولم يحتاجا إلى شيء، فإن الإله هو الغني الحميد. ولما بين تعالى البرهان قال: انظر كيف

## تفسير السعدي

وأمة صديقة، فلائي شيء اتخذهما النصارى إلهين مع الله؟ وقوله: كانا يأكلان الطعام دليل ظاهر على أنهما عبدان فقيران، محتاجان كما يحتاج بنو آدم في أكمل الصنفين، في الرجال كما قال تعالى: وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فإذا كان عيسى عليه السلام من جنس الأنبياء والرسل من قبله، وهذا دليل على أن مريم لم تكن نبية، بل أعلى أحوالها الصديقية، وكفى بذلك فضلا وشرفا. وكذلك سائر النساء لم يكن منهن نبية، لأن الله تعالى جعل النبوة صديقة أي: هذا أيضا غايتها، أن كانت من الصديقين الذين هم أعلى الخلق رتبة بعد الأنبياء. والصديقية، هي العلم النافع المثمر لليقين، والعمل الصالح. ليس لهم من الأمر ولا من التشريع، إلا ما أرسلهم به الله، وهو من جنس الرسل قبله، لا مزية له عليهم تخرجه عن البشرية إلى مرتبة الربوبية. وأمه مريم المسيح وأمه، الذي هو الحق، فقال: ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أي: هذا غايته ومنتهى أمره، أنه من عباد الله المرسلين، الذين ثم ذكر حقيقة

والغيب والشهادة، والأمر الماضي والمستقبل، فالكامل تعالى الذي هذه أوصافه هو الذي يستحق أن يفرد بجميع أنواع العبادة، ويخلص له الدين. 76 وتدعون من انفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع، والله هو السميع لجميع الأصوات باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات. العليم بالظواهر والبواطن، أي: قل لهم أيها الرسول: أتعبدون من دون الله من المخلوقين الفقراء المحتاجين، ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا السبيل أي: قصد الطريق، فجمعوا بين الضلال والإضلال، وهؤلاء هم أئمة الضلال الذين حذر الله عنهم وعن اتباع أهوائهم المردية، وآرائهم المضلة. 77 اتباعا ل أهواء قوم قد ضلوا من قبل أي: تقدم ضلالهم. وأضلوا كثيرا من الناس بدعوتهم إياهم إلى الدين، الذي هم عليه. وضلوا عن سواء لا تغلوا في دينكم غير الحق أي: لا تتجاوزوا وتتعدوا الحق إلى الباطل، وذلك كقولهم في المسيح، ما تقدم حكايته عنهم. وكفلوهم في بعض المشايخ، يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل يا أهل الكتاب الكفر واللعن بما عصوا وكانوا يعتدون أي: بعصيانهم لله، وظلمهم لعباد الله، صار سببا لكفرهم وبعدهم عن رحمة الله، فإن للذنوب والظلم عقوبات. 78 أي: طردوا وأبعدوا عن رحمة الله على لسان داود وعيسى ابن مريم أي: بشهادتهما وإقرارهما، بأن الحجة قد قامت عليهم، وعاندوها. ذلك لعن الذين كفروا من بني إسرائيل

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم. 79 أن السكوت على معصية العاصين، ربما تزينت المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان موع بالاعتداء بأضرابه وبني جنسه، ومنها ومنها. وربما ظن الجاهل أنها عبادة مستحسنة، وأي مفسدة أعظم من اعتقاد ما حرم الله حلالا؟ وانقلاب الحقائق على النفوس ورؤية الباطل حقا؟ ومنها: للمنكر يندرس العلم، ويكثر الجهل، فإن المعصية مع تكررها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها يظن أنها ليست بمعصية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، حتى لا يقدر على ما كانوا يقدر على أولها. ومنها: أن في ترك الإنكار وقلة الاكتراث بها. ومنها: أن ذلك يجري العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يردعوا عنها، فيزداد الشر، وتغظم المعصية الدينية والدنيوية، معصية، وإن لم يباشرها الساكت. فإنه كما يجب اجتناب المعصية فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية. ومنها: ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، لربهم لغاروا لمحارمه، ولغضبوا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر مع القدرة موجبا للعقوبة، لما فيه من المفاصد العظيمة: منها: أن مجرد السكوت، فعل بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك. وذلك يدل على تهاونهم بأمر الله، وأن معصيته خفيفة عليهم، فلو كان لديهم تعظيم معاصيهم التي أحلت بهم المثالات، وأوقعت بهم العقوبات أنهم: كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهي بعضهم بعضا، فيشترك ومن

لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى. إن الله خبير بما تعملون فمجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها، صغيرها وكبيرها، جزاء عاجلا، وآجلا. 80 حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق. اعدلوا هو أقرب للتقوى أي: كلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه وقوموا بذلك على القريب والبعيد، والصديق والعدو. ولا يجرمنكم أي: لا يحملنكم بغض قوم على ألا تعدلوا كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل وأن يكون ذلك القيام لله وحده، لا لغرض من الأغراض الدنيوية، وأن تكونوا قاصدين للقسط، الذي هو العدل، لا الإفراط ولا التفريط، في أقوالكم ولا أفعالكم، يأبى الذين آمنوا بما أمروا بالإيمان به، قوموا بلازم إيمانكم، بأن تكونوا قوامين لله شهداء بالقسط بأن تنشط للقيام بالقسط حركاتكم الظاهرة والباطنة. أي

كل شيء، والخلود الدائم في العذاب العظيم، فقد ظلمتهم أنفسهم حيث قدمت لهم هذا النزل غير الكريم، وقد ظلموا أنفسهم إذ فوتوها النعيم المقيم. 80 الذين كفروا بالمحبة والموالة والنصرة. لبئس ما قدمت لهم أنفسهم هذه البضاعة الكاسدة، والصفقة الخاسرة، وهي سخط الله الذي يسخط لسخطه ترى كثيرا منهم يتولون

منهم الشرط، فدل على انتفاء المشروط. ولكن كثيرا منهم فاسقون أي: خارجون عن طاعة الله والإيمان به وبالنبي. ومن فسقهم موالة أعداء الله. 81 العبد موالة ربه، وموالة أوليائه، ومعاداة من كفر به وعاداه، وأوضع في معاصيه، فشرط ولاية الله والإيمان به، أن لا يتخذ أعداء الله أولياء، وهؤلاء لم يوجد

## تفسير السعدي

ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء فإن الإيمان بالله وبالنبي وما أنزل إليه، يوجب على

أي: ليس فيهم تكبر ولا عتو عن الانقياد للحق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر. 82  
العبادة مما يلفظ القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيه من الجفاء والغلظة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهود، وشدة المشركين. ومنها: أنهم لا يستكبرون  
إننا نصارى وذكر تعالى لذلك عدة أسباب: منها: أن منهم قسيسين ورهبانا أي: علماء متزهدين، وعبادا في الصوامع متعبدين. والعلم مع الزهد وكذلك  
للإسلام والمسلمين، وأكثرهم سعيا في إيصال الضرر إليهم، وذلك لشدة بغضهم لهم، بغيا وحسدا وعلادا وكفرا. ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا  
وإلى ولايتهم ومحبتهم، وأبعدهم من ذلك: لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا فهؤلاء الطائفتان على الإطلاق أعظم الناس معادة  
يقول تعالى في بيان أقرب الطائفتين إلى المسلمين،

والتكذيب. وهم عدول، شهادتهم مقبولة، كما قال تعالى: وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا 83  
مع الشاهدين وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق  
صلى الله عليه وسلم، أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا: ربنا آمنا فاكتبنا  
إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول محمد

إذا آمنا واتبعنا الحق طمعا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأى مانع يمنعنا؟ أليس ذلك موجبا للمسارعة والانقياد للإيمان وعدم التخلف عنه. 84  
الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين أي: وما الذي يمنعنا من الإيمان بالله، والحال أنه قد جاءنا الحق من ربنا، الذي لا يقبل الشك والريب، ونحن  
فكأنهم ليموا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من

ممن آمن منهم. وكذلك لا يزال يوجد فيهم من يختار دين الإسلام، ويتبين له بطلان ما كانوا عليه، وهم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام. 85  
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين وهذه الآيات نزلت في النصارى الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، كالنجاشي وغيره  
قال الله تعالى: فأنا بهم الله بما قالوا أي: بما تفوهوا به من الإيمان ونطقوا به من التصديق بالحق جنات

ذكر ثواب المحسنين، ذكر عقاب المسيئين قال: والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم لأنهم كفروا بالله، وكذبوا بآياته المبينة للحق. 86

ولما

حراما خبيثا، فإن هذا من الاعتداء. والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك. 87  
أحلها لكم، واشكروها ولا تردوا نعمته بكفرها أو عدم قبولها، أو اعتقاد تحريمها، فتجمعون بذلك بين القول على الله الكذب، وكفر النعمة، واعتقاد الحلال الطيب  
يقول تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم من المطاعم والمشارب، فإنها نعم أنعم الله بها عليكم، فاحمدوه إذ

الزوجة فيه كفارة ظهار، ويدخل في هذه الآية أنه لا ينبغي للإنسان أن يتجنب الطيبات ويحرمها على نفسه، بل يتناولها مستعينا بها على طاعة ربه. 88  
وأمة، ونحو ذلك، فإنه لا يكون حراما بتحريمه، لكن لو فعله فعليه كفارة يمين، كما قال تعالى: يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك الآية. إلا أن تحريم  
مؤمنون فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراعاة حقه، فإنه لا يتم إلا بذلك. ودلت الآية الكريمة على أنه إذا حرم حلالا عليه من طعام وشراب، وسرية  
حق، وكان أيضا طيبا، وهو الذي لا خبث فيه، فخرج بذلك الخبيث من السباع والخبائث. واتقوا الله في امتثال أوامره، واجتناب نواهيه. الذي أنتم به  
الله حلالا طيبا أي: كلوا من رزقه الذي ساقه إليكم، بما يسره من الأسباب، إذا كان حلالا لا سرقة ولا غصبا ولا غير ذلك من أنواع الأموال التي تؤخذ بغير  
ثم أمر بضد ما عليه المشركون، الذين يحرمون ما أحل الله فقال: وكلوا مما رزقكم

لعلكم تشكرون الله حيث علمكم ما لم تكونوا تعلمون. فعلى العباد شكر الله تعالى على ما من به عليهم، من معرفة الأحكام الشرعية وتبيينها. 89  
الحنث خيرا، فتمام الحفظ: أن يفعل الخير، ولا يكون يمينه عرضة لذلك الخير. كذلك يبين الله لكم آياته المبينة للحلال من الحرام، الموضحة للأحكام.  
حلقتكم تكفرها وتمحوها وتمنع من الإثم. واحفظوا أيمانكم عن الحلف بالله كاذبا، وعن كثرة الأيمان، واحفظوها إذا حلقتكم عن الحنث فيها، إلا إذا كان  
الموضع، فمتى فعل واحدا من هذه الثلاثة فقد انحلت يمينه. فمن لم يجد واحدا من هذه الثلاثة فصيام ثلاثة أيام ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا  
تطعمون أهليكم أو كسوتهم أي: كسوة عشرة مساكين، والكسوة هي التي تجزئ في الصلاة. أو تحرير رقبة أي: عتق رقبة مؤمنة كما قيدت في غير هذا  
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم فكفارته أي: كفارة اليمين الذي عقدتموها بقصدكم إطعام عشرة مساكين وذلك الإطعام من أوسط ما  
أو عقدها يظن صدق نفسه، فبان بخلاف ذلك. ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان أي: بما عزمتم عليه، وعقدت عليه قلوبكم. كما قال في الآية الأخرى:  
لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم أي: في أيمانكم التي صدرت على وجه اللغو، وهي الأيمان التي حلف بها المقسم من غير نية ولا قصد،

بالغو عنها وعن عواقبها، وبالأجر العظيم الذي لا يعلم عظمه إلا الله تعالى. فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون 9  
الذي لا يخلف الميعاد وهو أصدق القائلين المؤمنين به وبكتبه ورسله واليوم الآخر، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات بالمغفرة لذنوبهم،  
أي وعد الله

عرضا بقوله: فهل أنتم منتهون لأن العاقل إذا نظر إلى بعض تلك المفاصد انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ. 90



## تفسير السعدي

والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فهل فوق هذه المفاصد شيء أكبر منها؟ ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيتها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة ذلك أعظم صد، ويشغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو. فأى معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس للعداوة والبغضاء. ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب العداوة والبغضاء. فإن في الخمر من انقلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب مانعة من الفلاح ومعوقة له. ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين منها، والخوف من الوقوع فيها. ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور يحذر منه، وتحذر مصايد وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر نجسة حسا. والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضاعها. ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومن المعلوم أن العدو التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاصد الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما ينصب ويعبد من دون الله، والأزلام لعلمكم تفعلون فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصا هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، تفسير الآيتين 90 و 91: يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. فاجتنبوه أي: اتركوه

عرضا بقوله: فهل أنتم منتهون لأن العاقل إذا نظر إلى بعض تلك المفاصد انزجر عنها وكفت نفسه، ولم يحتج إلى وعظ كثير ولا زجر بليغ. 91 والبغضاء بين المؤمنين، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة؟ فهل فوق هذه المفاصد شيء أكبر منها؟ ولهذا عرض تعالى على العقول السليمة النهي عنها، صاحبها، وتجعله من أهل الخبث، وتوقعه في أعمال الشيطان وشباكه، فينقاد له كما تنقاد البهيمة الذليلة لراعيتها، وتحول بين العبد وبين فلاحه، وتوقع العداوة ذلك أعظم صد، ويشغل قلبه، ويذهل لبه في الاشتغال بهما، حتى يمضي عليه مدة طويلة وهو لا يدري أين هو. فأى معصية أعظم وأقبح من معصية تدنس للعداوة والبغضاء. ومنها: أن هذه الأشياء تصد القلب، ويتبعه البدن عن ذكر الله وعن الصلاة، اللذين خلق لهما العبد، وبهما سعادته، فالخمر والميسر، يصدانه عن ما هو من لوازم شارب الخمر، فإنه ربما أوصل إلى القتل. وما في الميسر من غلبة أحدهما للآخر، وأخذ ماله الكثير في غير مقابلة، ما هو من أكبر الأسباب العداوة والبغضاء. فإن في الخمر من انقلاب العقل وذهاب حجاه، ما يدعو إلى البغضاء بينه وبين إخوانه المؤمنين، خصوصا إذا اقترن بذلك من السباب مانعة من الفلاح ومعوقة له. ومنها: أن هذه موجبة للعداوة والبغضاء بين الناس، والشيطان حريص على بثها، خصوصا الخمر والميسر، ليوقع بين المؤمنين منها، والخوف من الوقوع فيها. ومنها: أنه لا يمكن الفلاح للعبد إلا باجتنابها، فإن الفلاح هو: الفوز بالمطلوب المحبوب، والنجاة من المرهوب، وهذه الأمور يحذر منه، وتحذر مصايد وأعماله، خصوصا الأعمال التي يعملها ليوقع فيها عدوه، فإنها فيها هلاكه، فالحزم كل الحزم البعد عن عمل العدو المبين، والحذر نجسة حسا. والأمور الخبيثة مما ينبغي اجتنابها وعدم التدنس بأوضاعها. ومنها: أنها من عمل الشيطان، الذي هو أعدى الأعداء للإنسان. ومن المعلوم أن العدو التي يستقسمون بها، فهذه الأربعة نهى الله عنها وزجر، وأخبر عن مفاصد الداعية إلى تركها واجتنابها. فمنها: أنها رجس، أي: خبث، نجس معنى، وإن لم تكن وهو: جميع المغالبات التي فيها عوض من الجانبين، كالمراهنة ونحوها، والأنصاب التي هي: الأصنام والأنداد ونحوها، مما ينصب ويعبد من دون الله، والأزلام لعلمكم تفعلون فإن الفلاح لا يتم إلا بترك ما حرم الله، خصوصا هذه الفواحش المذكورة، وهي الخمر وهي: كل ما خامر العقل أي: غطاه بسكره، والميسر، تفسير الآيتين 90 و 91: يذم تعالى هذه الأشياء القبيحة، ويخبر أنها من عمل الشيطان، وأنها رجس. فاجتنبوه أي: اتركوه

على رسولنا البلاغ المبين وقد أدى ذلك. فإن اهتديتم فلأنفسكم، وإن أسأتم فعليها، والله هو الذي يحاسبكم، والرسول قد أدى ما عليه وما حمل به. 92 وقوله: واحذروا أي: من معصية الله ومعصية رسوله، فإن في ذلك الشر والخسران المبين. فإن توليتم عما أمرتم به ونهيتم عنه. فاعلموا أنما المتعلقة بحقوق الله وحقوق خلقه والانتهاه عما نهى الله ورسوله عنه كذلك. وهذا الأمر أعم الأوامر، فإنه كما ترى يدخل فيه كل أمر ونهي، ظاهر وباطن، فقد أطاع الرسول، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله. وذلك شامل للقيام بما أمر الله به ورسوله من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، الواجبة والمستحبة، طاعة الله وطاعة رسوله واحدة، فمن أطاع الله،

من طعم المحرم، أو فعل غيره بعد التحريم، ثم اعترف بذنبه وتاب إلى الله، واتقى وآمن وعمل صالحا، فإن الله يغفر له، ويرتفع عنه الإثم في ذلك. 93 حتى يكون كذلك حتى يأتيه أجله، ويدوم على إحسانه، فإن الله يحب المحسنين في عبادة الخالق، المحسنين في نفع العبيد، ويدخل في هذه الآية الكريمة، أنهم تاركون للمعاصي، مؤمنون بالله إيمانا صحيحا، موجبا لهم عمل الصالحات، ثم استمروا على ذلك. وإلا فقد يتصف العبد بذلك في وقت دون آخر. فلا يكفي من الخمر والميسر قبل تحريمهما. ولما كان نفي الجناح يشمل المذكورات وغيرها، قيد ذلك بقوله: إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات أي: بشرط قبل تحريم الخمر وهم يشربونها. فأُنزل الله هذه الآية. وأخبر تعالى أنه ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح أي: حرج وإثم فيما طعموا لما نزل تحريم الخمر والنهي الأكيد والتشديد فيه، تمنى أناس من المؤمنين أن يعلموا حال إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام والاعتبار بمن يخافه بالغيب، وعدم حضور الناس عنده. وأما إظهار مخافة الله عند الناس، فقد يكون ذلك لأجل مخافة الناس، فلا يثاب على ذلك. 94

## تفسير السعدي

منكم بعد ذلك البيان، الذي قطع الحجج، وأوضح السبيل. فله عذاب أليم أي: مؤلم موجه، لا يقدر على وصفه إلا الله، لأنه لا عذر لذلك المعتدي، عما نهى الله عنه مع قدرته عليه وتمكنه، فيثيبه الثواب الجزيل، ممن لا يخافه بالغيب، فلا يرتدع عن معصية تعرض له فيصطاد ما تمكن منه فمن اعتدى فلا يبقى للابتلاء فائدة. ثم ذكر الحكمة في ذلك الابتلاء، فقال: ليعلم الله علما ظاهرا للخلق يترتب عليه الثواب والعقاب من يخافه بالغيب فيكف منه تعالى ولطفا، وذلك الصيد الذي يبتليكم الله به تناله أيديكم ورماحكم أي: تتمكنون من صيده، ليتم بذلك الابتلاء، لا غير مقدور عليه بيد ولا رمح، عن بيته، فقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا بد أن يختبر الله إيمانكم. ليبولنكم الله بشيء من الصيد أي: بشيء غير كثير، فتكون محنة يسيرة، تخفيفا هذا من منن الله على عباده، أن أخبرهم بما سيفعل قضاء وقدرًا، ليطيعوه ويقدموا على بصيرة، ويهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي

والفرق بين هذا وبين التضمنين في الخطأ في النفوس والأموال في هذا الموضع الحق فيه لله، فكما لا إثم لا جزاء لإتلافه نفوس الأدميين وأموالهم 95 عليه عقوبة، إنما عليه الجزاء، هذا جواب الجمهور من هذا القيد الذي ذكره الله. وطائفة من أهل العلم يرون تخصيص الجزاء بالمتعمد وهو ظاهر الآية. والأموال المحترمة، فإنه يضمنها على أي حال كان، إذا كان إتلافه بغير حق، لأن الله رتب عليه الجزاء والعقوبة والانتقام، وهذا للمتعمد. وأما المخطئ فليس الله منه والله عزيز ذو انتقام وإنما نص الله على المتعمد لقتل الصيد، مع أن الجزاء يلزم المتعمد والمخطئ، كما هو القاعدة الشرعية أن المتلف للنفوس ذلك الطعام صيما أي: يصوم عن إطعام كل مسكين يوما. ليدوق بإيجاب الجزاء المذكور عليه وبال أمره ومن عاد بعد ذلك فينتقم المثل من النعم، طعام يطعم المساكين. قال كثير من العلماء: يقوم الجزاء، فيشتري بقيمته طعام، فيطعم كل مسكين مد بر أو نصف صاع من غيره. أو عدل وذلك الهدي لا بد أن يكون هديا بالغ الكعبة أي: يذبح في الحرم. أو كفارة طعام مساكين أي: كفارة ذلك الجزاء طعام مساكين، أي: يجعل مقابلة وفي بقر الوحش على اختلاف أنواعه بقرة، وهكذا كل ما يشبه شيئا من النعم، ففيه مثله، فإن لم يشبه شيئا ففيه قيمته، كما هو القاعدة في المتلفات، أن يحكم به ذوا عدل منكم أي: عدلان يعرفان الحكم، ووجه الشبه، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، حيث قضوا بالحمامة شاة، وفي النعامة بدنة، ف عليه جزاء مثل ما قتل من النعم أي: الإبل، أو البقر، أو الغنم، فينظر ما يشبه شيئا من ذلك، فيجب عليه مثله، يذبحه ويتصدق به. والاعتبار بالمائلة وهذا كله تعظيم لهذا النسك العظيم، أنه يحرم على المحرم قتل وصيد ما كان حلالا له قبل الإحرام. وقوله: ومن قتله منكم متعمدا أي: قتل صيدا عمدا النهي عن مقدمات القتل، وعن المشاركة في القتل، والدلالة عليه، والإعانة على قتله، حتى إن من تمام ذلك أنه ينهي المحرم عن أكل ما قتل أو صيد لأجله، صرح بالنهي عن قتل الصيد في حال الإحرام، فقال: يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم أي: محرمون في الحج والعمرة، والنهي عن قتله يشمل

ثم

وترك ما نهى عنه، واستعينوا على تقواه بعلمكم أنكم إليه تحشرون. فيجازيكم، هل قمتم بتقواه فيثيبكم الثواب الجزيل، أم لم تقوموا بها فيعاقبكم؟ 96 وحشيا، لأن الإنسي ليس بصيد. ومأكولا، فإن غير المأكول لا يصاد ولا يطلق عليه اسم الصيد. واثقوا الله الذي إليه تحشرون أي: اتقوه بفعل ما أمر به، لكم أنه لأجل انتفاعكم وانتفاع رفقكم الذين يسيرون معكم. وحرم عليكم صيد البر ما دتم حراما ويؤخذ من لفظ الصيد أنه لا بد أن يكون حال إحرامكم صيد البحر، وهو الحي من حيواناته، وطعامه، وهو الميت منها، فدل ذلك على حل ميتة البحر. متاعا لكم وللسيارة أي: الفائدة في إباحته ولما كان الصيد يشمل الصيد البري والبحري، استثنى تعالى الصيد البحري فقال: أحل لكم صيد البحر وطعامه أي: أحل لكم في

يعلم ما في السماوات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم فمن علمه أن جعل لكم هذا البيت الحرام، لما يعلمه من مصالحكم الدينية والدنيوية. 97 وقوله: والهدي والقلائد أي: وكذلك جعل الهدى والقلائد التي هي أشرف أنواع الهدى قياما للناس، ينتفعون بهما ويثابون عليها. ذلك لتعلموا أن الله من قال من العلماء: إن حج بيت الله فرض كفاية في كل سنة. فلو ترك الناس حجه لأثم كل قادر، بل لو ترك الناس حجه لزال ما به قوامهم، وقامت القيامة. والدنيوية. قال تعالى: ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ومن أجل كون البيت قياما للناس قال من كل فج عميق جميع أجناس المسلمين، فيتعارفون ويستعين بعضهم ببعض، ويتشاورون على المصالح العامة، وتتعدد بينهم الروابط في مصالحهم الدينية وإسلامهم، وبه تحط أوزارهم، وتحصل لهم بقصده العطايا الجزيلة، والإحسان الكثير، وبسببه تنفق الأموال، وتتقحم من أجله الأهوال. ويجتمع فيه يخبر تعالى أنه جعل الكعبة البيت الحرام قياما للناس يقوم بالقيام بتعظيمه دينهم ودنياهم، فبذلك يتم

وأنه غفور رحيم لمن تاب إليه وأطاعه. فيثمر لكم هذا العلم الخوف من عقابه، والرجاء لمغفرته وثوابه، وتعملون على ما يقتضيه الخوف والرجاء. 98 العقاب وأن الله غفور رحيم أي: ليكن هذان العلمان موجودين في قلوبكم على وجه الجزم واليقين، تعلمون أنه شديد العقاب العاجل والآجل على من عصاه، اعلموا أن الله شديد

وقد بلغ كما أمر، وقام بوظيفته، وما سوى ذلك فليس له من الأمر شيء. والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيجازيكم بما يعلمه تعالى منكم. 99 ما على الرسول إلا البلاغ

## سورة 6

أي يعدلون به سواه، يسوونهم به في العبادة والتعظيم، مع أنهم لم يساووا الله في شيء من الكمال، وهم فقراء عاجزون ناقصون من كل وجه. 1

## تفسير السعدي

والطاعة، وهذا كله، يدل دلالة قاطعة أنه تعالى، هو المستحق للعبادة، وإخلاص الدين له، ومع هذا الدليل ووضوح البرهان ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وذلك شامل للحسي من ذلك، كالليل والنهار، والشمس والقمر. والمعنوي، كظلمات الجهل، والشك، والشرك، والمعصية، والغفلة، ونور العلم والإيمان، واليقين، فحمد نفسه على خلقه السماوات والأرض، الدالة على كمال قدرته، وسعة علمه ورحمته، وعموم حكمته، وانفراده بالخلق والتدبير، وعلى جعله الظلمات والنور، هذا إخبار عن حمده والثناء عليه بصفات الكمال، ونعوت العظمة والجلال عموماً، وعلى هذه المذكورات خصوصاً.

العذاب أكمل نصيب. فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون فاحذروا أيها المكذبون أن تستمروا على تكذيبكم، فيصيبكم ما أصابهم. 10 ولقد استهزئ برسلكم من قبل. لما جاءوا أمهم بالبينات، كذبوهم واستهزأوا بهم وبما جاءوا به. فأهلكهم الله بذلك الكفر والتكذيب، ووفى لهم من يقول تعالى مسلياً لرسوله ومصبراً، ومتهدداً أعداءه ومتوعداً.

ولهذا نزه نفسه عما افتراه عليه المشركون فقال: سبحانه وتعالى عما يصفون فإنه تعالى، الموصوف بكل كمال، المنزه عن كل نقص، وآفة وعيب. 100 وافتروا من تلقاء أنفسهم لله، بنين وبنات بغير علم منهم، ومن أظلم ممن قال على الله بلا علم، وافتري عليه أشنع النقص، الذي يجب تنزيه الله عنه؟! والألوهية شيء، فجعلوها شركاء لمن له الخلق والأمر، وهو المنعم بسائر أصناف النعم، الدافع لجميع النقم، وكذلك خرق المشركون أي: انتفكوا، المشركين به، من قریش وغيرهم، جعلوا له شركاء، يدعونهم، ويعبدونهم، من الجن والملائكة، الذين هم خلق من خلق الله، ليس فيهم من خصائص الربوبية يخبر تعالى: أنه مع إحسانه لعباده وتعريفه إليهم، بآياته البينات، وحججه الواضحات أن

ذلك دلالة على سعة علم الخالق، وكمال حكمته، كما قال تعالى: ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وكما قال تعالى: وهو الخلاق العليم 101 عليم وفي ذكر العلم بعد الخلق، إشارة إلى الدليل العقلي إلى ثبوت علمه، وهو هذه المخلوقات، وما اشتملت عليه من النظام التام، والخلق الباهر، فإن في والله خالق كل شيء وليس شيء من المخلوقات مشابهاً لله بوجه من الوجوه. ولما ذكر عموم خلقه للأشياء، ذكر إحاطة علمه بها فقال: وهو بكل شيء الصمد، الذي لا صاحبة له أي: لا زوجة له، وهو الغني عن مخلوقاته، وكلها فقيرة إليه، مضطرة في جميع أحوالها إليه، والولد لا بد أن يكون من جنس والده؛ وبها، لا تقتصر عقول أولي الأبواب مثله، وليس له في خلقهما مشارك. أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة أي: كيف يكون لله الولد، وهو الإله السيد بديع السماوات والأرض أي: خالقهما، ومتقن صنعتهما، على غير مثال سبق، بأحسن خلق، ونظام

وعيباً. ومن وكالته: أنه تعالى، توكل ببيان دينه، وحفظه عن المزيلات والمغيرات، وأنه تولى حفظ المؤمنين وعصمتهم عما يزيل إيمانهم ودينهم. 102 متضمنة لكمال العلم، وحسن التدبير والإحسان فيه، والعدل، فلا يمكن لأحد أن يستدرك على الله، ولا يرى في خلقه خلا ولا فطوراً، ولا في تدبيره نقصاً تعالى على الأشياء، ليست من جنس وكالة الخلق، فإن وكالته، وكالة نيابة، والوكيل فيها تابع لموكله. وأما الباري، تبارك وتعالى، فوكالته من نفسه لنفسه، وكالة الله وتدبيره، خلقاً، وتديراً، وتصريفاً. ومن المعلوم، أن الأمر المتصرف فيه يكون استقامته وتمامه، وكمال انتظامه، بحسب حال الوكيل عليه. ووكالته بها وجهه. فإن هذا هو المقصود من الخلق، الذي خلقوا لأجله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون وهو على كل شيء وكيل أي: جميع الأشياء، تحت النقم. لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه أي: إذا استقر وثبت، أنه الله الذي لا إله إلا هو، فاصرفوا له جميع أنواع العبادة، وأخلصوها لله، واقتصدوا خلق ما خلق، وقدر ما قدر. الله ربكم أي: المألوه المعبود، الذي يستحق نهاية الذل، ونهاية الحب، الرب، الذي ربي جميع الخلق بالنعم، وصرف عنهم صنوف ذلكم الذي

التي يكرهها العبد، ويتألم منها، ويدعو الله أن يزيلها، لعلمه أن دينه أصلح، وأن كماله متوقف عليها، فسبحان اللطيف لما يشاء، الرحيم بالمؤمنين. 103 ويوصلها إليه بالطرق التي لا يشعر بها العبد، ولا يسعى فيها، ويوصله إلى السعادة الأبدية، والفلاح السرمدي، من حيث لا يحتسب، حتى أنه يقدر عليه الأمور، قال: وهو اللطيف الخبير الذي لطف علمه وخبرته، ودق حتى أدرك السرائر والخفايا، والخبايا والبواطن. ومن لطفه، أنه يسوق عبده إلى مصالح دينه، يدرك الأبصار أي: هو الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، وسمعه بجميع الأصوات الظاهرة، والخفية، وبصره بجميع المبصرات، صغارها، وكبارها، ولهذا لا تراه الأبصار ونحو ذلك، فعلم أنه ليس في الآية حجة لمذهب المعطلة، الذين ينفون رؤية ربهم في الآخرة، بل فيها ما يدل على نقيض قولهم. وهو فنفي الإدراك لا ينفي الرؤية، بل يثبتها بالمفهوم. فإنه إذا نفى الإدراك، الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة. فإنه لو أراد نفي الرؤية، لقال لا تدركه الأبصار لعظمته، وجلاله وكماله، أي: لا تحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنظر إلى وجهه الكريم،

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفاً فيه 104 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماء مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، ومواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبيين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

## تفسير السعدي

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفا فيه 105 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعلها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفا فيه 106 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعلها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

أحفظ أعمالكم وأرقبها على الدوام إنما علي البلاغ المبين وقد أدبته، وبلغت ما أنزل الله إلي، فهذه وظيفتي، وما عدا ذلك فلست موظفا فيه 107 ومن عمي بأن بصر فلم يتبصر، وزجر فلم ينزجر، وبين له الحق، فما انقاد له ولا تواضع، فإنما عماه مضرته عليه. وما أنا أي الرسول عليكم بحفيظ التي من أفضلها وأجلها، تبيين الآيات، وتوضيح المشكلات. فمن أبصر بتلك الآيات، مواقع العبرة، وعمل بمقتضاها فلنفسه فإن الله هو الغني الحميد. من فصاحة اللفظ، وبيانه، ووضوحه، ومطابقته للمعاني الجليلة، والحقائق الجميلة، لأنها صادرة من الرب، الذي ربي خلقه، بصنوف نعمه الظاهرة والباطنة، عليها، وأخبر أن هدايتهم وضدها لأنفسهم، فقال: قد جاءكم بصائر من ربكم أي: آيات تبين الحق، وتجعله للقلب بمنزلة الشمس للأبصار، لما اشتملت عليه فلنفسه ومن عمي فعلها وما أنا عليكم بحفيظ لما بين تعالى من الآيات البينات، والأدلة الواضحات، الدالة على الحق في جميع المطالب والمقاصد، نبه العباد قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر

دليل للقاعدة الشرعية وهو أن الوسائل تعتبر بالأمر التي توصل إليها، وأن وسائل المحرم، ولو كانت جائزة تكون محرمة، إذا كانت تفضي إلى الشر. 108 ولكن الخلق كلهم، مرجعهم ومآلهم، إلى الله يوم القيامة، يعرضون عليه، وتعرض أعمالهم، فينبئهم بما كانوا يعملون، من خير وشر. وفي هذه الآية الكريمة، فرأوه حسنا، وذبوا عنه، ودافعوا بكل طريق، حتى إنهم، ليسبون الله رب العالمين، الذي رسخت عظمته في قلوب الأبرار والفجار، إذا سب المسلمون آلهتهم. تنزيه جنابه العظيم عن كل عيب، وآفة، وسب، وقدح نهى الله عن سب آلهة المشركين، لأنهم يحمون لدينهم، ويتعصبون له. لأن كل أمة، زين الله لهم عملهم، المشركين، التي اتخذت أوثانا وآلهة مع الله، التي يتقرب إلى الله بإهانتها وسبها. ولكن لما كان هذا السب طريقا إلى سب المشركين لرب العالمين، الذي يجب ينهى الله المؤمنين عن أمر كان جائزا، بل مشروعا في الأصل، وهو سب آلهة

معلوما، أنهم إذا جاءتهم الآيات يؤمنون ويصدقون، بل الغالب ممن هذه حاله، أنه لا يؤمن، ولهذا قال: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون 109 إذا شاء، ليس لي من الأمر شيء، فطلبكم مني الآيات ظلم، وطلب لما لا أملك، وإنما توجهون إلي توضيح ما جئتمكم به، وتصديقه، وقد حصل، ومع ذلك، فليس المقترحين للآيات على رسلهم، إذا جاءتهم، فلم يؤمنوا بها أنه يعاجلهم بالعقوبة، ولهذا قال: قل إنما الآيات عند الله أي: هو الذي يرسلها إذا شاء، ويمنعها صحة ما جاء به، فطلبهم بعد ذلك للآيات من باب التعنت، الذي لا يلزم إجابته، بل قد يكون المنع من إجابتهم أصلح لهم، فإن الله جرت سنته في عباد، أن جاء به الرسول قطعاً، فإن الله أيد رسوله صلى الله عليه وسلم، بالآيات البينات، والأدلة الواضحات، التي عند الالتفات لها لا تبقى أدنى شبهة ولا إشكال في على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ليؤمنن بها وهذا الكلام الذي صدر منهم، لم يكن قصدهم فيه الرشاد، وإنما قصدهم دفع الاعتراض عليهم، ورد ما أي: وأقسم المشركون المكذوبون للرسول محمد صلى الله عليه وسلم. بالله جهد أيمانهم أي: قسما اجتهدوا فيه وأكوه. لن جاءتهم آية تدل

عبرة لأولي الأبصار. وهذا السير المأمور به، سير القلوب والأبدان، الذي يتولد منه الاعتبار. وأما مجرد النظر من غير اعتبار، فإن ذلك لا يفيد شيئا. 11 تجدوا إلا قوما مهلكين، وأما في المثلاث تالفين، قد أوحشت منهم المنازل، وعدم من تلك الربوع كل متمتع بالسرور نازل، أبادهم الملك الجبار، وكان بناؤهم فإن شككتهم في ذلك، أو ارتبتم، فسيروا في الأرض، ثم انظروا، كيف كان عاقبة المكذبين، فلن

بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه. 110 إذا لم يشأ الله إيمانهم، ولكن أكثرهم يجهلون. فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم، أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه وتكليم الموتى وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء إليهم حتى يكلمهم قولا ومشاهدة، ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان،

## تفسير السعدي

بإرادتهم، ومشيتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم، يشهدون للرسول بالرسالة، جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسباً لأحوالهم. وكذلك تعليقهم الإيمان وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم. وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين 110 و 111: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتهم فيها الداعي، تفسير الآيتين

بالطرق التي بينها الله، ويعمل بذلك، ويستعين ربه في اتباعه، ولا يتكل على نفسه وحوله وقوته، ولا يطلب من الآيات الاقتراحية ما لا فائدة فيه. 111 إذا لم يشأ الله إيمانهم، ولكن أكثرهم يجهلون. فلذلك رتبوا إيمانهم، على مجرد إتيان الآيات، وإنما العقل والعلم، أن يكون العبد مقصوده اتباع الحق، ويطلبه وتكليم الموتى وبعثهم بعد موتهم، وحشر كل شيء إليهم حتى يكلمهم قبالاً ومشاهدة، ومباشرة، بصدق ما جاء به الرسول ما حصل منهم الإيمان، بإرادتهم، ومشيتهم وحدهم، وعدم الاعتماد على الله من أكبر الغلط، فإنهم لو جاءتهم الآيات العظيمة، من تنزيل الملائكة إليهم، يشهدون للرسول بالرسالة، جنوا على أنفسهم، وفتح لهم الباب فلم يدخلوا، وبين لهم الطريق فلم يسلكوا، فبعد ذلك إذا حرموا التوفيق، كان مناسباً لأحوالهم. وكذلك تعليقهم الإيمان وتقوم عليهم الحجة، بتقليب القلوب، والحيلولة بينهم وبين الإيمان، وعدم التوفيق لسلوك الصراط المستقيم. وهذا من عدل الله، وحكمته بعباده، فإنهم الذين 110 و 111: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون أي: ونعاقبهم، إذا لم يؤمنوا أول مرة يأتهم فيها الداعي، تفسير الآيتين

له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات الموهمة، فيعتقدون الحق باطلاً والباطل حقاً 112 القول غروراً أي: يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليفتر به السفهاء، وينقاد هذه سنتنا، أن نجعل لكل نبي نرسله إلى الخلق أعداء، من شياطين الإنس والجن، يقومون بضد ما جاءت به الرسل. يوحى بعضهم إلى بعض زخرف يقول تعالى مسلياً لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وكما جعلنا لك أعداء يردون دعوتك، ويحاربونك، ويحسدونك،

يتبين من أدلة الحق، وشواهد الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب، التي يتنافس فيها المتنافسون. 113 من الجاهل، والبصير من الأعمى. ومن حكمته أن في ذلك بياناً للحق، وتوضيحاً له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه. فإنه حينئذ ومن حكمة الله تعالى، في جعله للأنبياء أعداء، وللباطل أنصاراً قائمين بالدعوة إليه، أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليطهرهم من الكاذب، والعاقل ولو كسيت عبارات ردية، وألفاظاً غير وافية، وإن كانت باطلاً ردها على من قالها، كائناً من كان، ولو ألبست من العبارات المستحسنة، ما هو أرق من التحرير. العبارات، ولا تخلبهم تلك التمييزات، بل همته مصروفة إلى معرفة الحقائق، فينظرون إلى المعاني التي يدعو إليها الدعاة، فإن كانت حقاً قبلوها، وأنقادوا لها، فهذه حال المغترين بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم، وأما أهل الإيمان بالآخرة، وأولو العقول الوافية والألباب الرزينة، فإنهم لا يغترون بتلك وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك، أن يقتربوا من الأعمال والأقوال ما هم مقتربون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل، ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، على ذلك، وليرضوه بعد أن يصغوا إليه، فيصغون إليه أولاً، فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة، رضوه، وزين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، ولتصغى إليه أي: ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم

والنصارى، يعترفون بذلك ويعلمون أنه منزل من ربك بالحق ولهذا، تواطأت الإخبارات فلا تشك في ذلك ولا تكون من الممترين 114 لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكماً ولا أقوم قبلاً، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة. وأهل الكتب السابقة، من اليهود لا شريك له، الذي له الخلق والأمر. الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً أي: موضحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي فإن غير الله محكوم عليه لا حاكم. وكل تدبير وحكم للمخلوق فإنه مشتمل على النقص، والعيب، والجور، وإنما الذي يجب أن يتخذ حاكماً، فهو الله وحده أي: قل يا أيها الرسول أغير الله أبتغي حكماً أحاكم إليه، وأتقيد بأوامره ونواهيه.

منها وهو السميع لسائر الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات. العليم الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن، والماضي والمستقبل. 115 العزيز، ولا أعدل من أوامره ونواهيه لا مبدل لكلماته حيث حفظها وأحكمها بأعلى أنواع الصدق، وبغاية الحق، فلا يمكن تغييرها، ولا اقتراح أحسن وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أي: صدقا في الأخبار، وعدلا في الأمر والنهي. فلا أصدق من أخبار الله التي أودعها هذا الكتاب عباده، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا وإن كان خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم فإن أمته أسوة له في سائر الأحكام، التي ليست من خصائصه. 116 بل غايتهم أنهم يتبعون الظن، الذي لا يغني عن الحق شيئاً، ويتخرصون في القول على الله ما لا يعلمون، ومن كان بهذه المثابة، فحري أن يحذر الله منه الله فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم، وعلومهم، فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق. يقول تعالى، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، محذراً عن طاعة أكثر الناس: وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل

بخلاف ذلك، فإن أهل الحق هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً وأجراً، بل الواجب أن يستدل على الحق والباطل، بالطرق الموصلة إليه. 117 وأرحم بكم من أنفسكم. ودلت هذه الآية، على أنه لا يستدل على الحق، بكثرة أهله، ولا يدل قلة السالكين لأمر من الأمور أن يكون غير حق، بل الواقع

## تفسير السعدي

و هو أعلم من يضل عن سبيله وأعلم بمن يهتدي. ويهدي. فيجب عليكم أيها المؤمنون أن تتبعوا نصائحه وأوامره ونواهيه لأنه أعلم بمصالحكم، والله تعالى أصدق قيلا، وأصدق حديثا،

الهادين المهتدين، فإنهم يدعون إلى الحق والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه. 118 حجة شرعية، وإنما يوجد لهم شبه بحسب أهوائهم الفاسدة، وآرائهم القاصرة، فهؤلاء معتدون على شرع الله وعلى عباد الله، والله لا يحب المعتدين، بخلاف بمجرد ما تهوى أنفسهم بغير علم ولا حجة. فليحذر العبد من أمثال هؤلاء، وعلامتهم كما وصفهم الله لعباده أن دعوتهم غير مبنية على برهان، ولا لهم إلى أن قال: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ثم حذر عن كثير من الناس، فقال: وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم أي: فليس بحرام. ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة، توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفا من الوقوع في الحرام، ودلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء الجاهلية، في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله، وأنه، أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرم عليهم، وبينه، حلها، ولا يفعلوا كما يفعل أهل الجاهلية من تحريم كثير من الحلال، ابتداعا من عند أنفسهم، وإضلالا من شياطينهم، فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل تعالى عباده المؤمنين، بمقتضى الإيمان، وأنهم إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا تفسير الآيتين 118 و 119: يأمر

الهادين المهتدين، فإنهم يدعون إلى الحق والهدى، ويؤيدون دعوتهم بالحجج العقلية والنقلية، ولا يتبعون في دعوتهم إلا رضا ربهم والقرب منه. 119 حجة شرعية، وإنما يوجد لهم شبه بحسب أهوائهم الفاسدة، وآرائهم القاصرة، فهؤلاء معتدون على شرع الله وعلى عباد الله، والله لا يحب المعتدين، بخلاف بمجرد ما تهوى أنفسهم بغير علم ولا حجة. فليحذر العبد من أمثال هؤلاء، وعلامتهم كما وصفهم الله لعباده أن دعوتهم غير مبنية على برهان، ولا لهم إلى أن قال: فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ثم حذر عن كثير من الناس، فقال: وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم أي: فليس بحرام. ومع ذلك، فالحرام الذي قد فصله الله وأوضحه، قد أباحه عند الضرورة والمخمصة، كما قال تعالى: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير والأطعمة الإباحة، وأنه إذا لم يرد الشرع بتحريم شيء منها، فإنه باق على الإباحة، فما سكت الله عنه فهو حلال، لأن الحرام قد فصله الله، فما لم يفصله الله ووضحه؟ فلم يبق فيه إشكال ولا شبهة، توجب أن يمتنع من أكل بعض الحلال، خوفا من الوقوع في الحرام، ودلت الآية الكريمة، على أن الأصل في الأشياء الجاهلية، في هذه العادة الذميمة، المتضمنة لتغيير شرع الله، وأنه، أي شيء يمنعهم من أكل ما ذكر اسم الله عليه، وقد فصل الله لعباده ما حرم عليهم، وبينه، حلها، ولا يفعلوا كما يفعل أهل الجاهلية من تحريم كثير من الحلال، ابتداعا من عند أنفسهم، وإضلالا من شياطينهم، فذكر الله أن علامة المؤمن مخالفة أهل تعالى عباده المؤمنين، بمقتضى الإيمان، وأنهم إن كانوا مؤمنين، فليأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من بهيمة الأنعام، وغيرها من الحيوانات المحللة، ويعتقدوا تفسير الآيتين 118 و 119: يأمر

الله على بعث الخلائق، فأوضعوا في معاصيه، وتجروا على الكفر به، ففسدوا دنياهم وأخراهم، ولهذا قال: الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون 12 فيه وهذا قسم منه، وهو أصدق المخبرين، وقد أقام على ذلك من الحجج والبراهين، ما يجعله حق اليقين، ولكن أبى الظالمون إلا جحودا، وأنكروا قدرة العباد أبواب الرحمة، إن لم يغلقوا عليهم أبوابها بذنوبهم، ودعاهم إليها، إن لم تمنعهم من طلبها معاصيهم وعيوبهم، وقوله ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب عليهم رحمته وإحسانه، وتغمدهم برحمته وامتنانه، وكتب على نفسه كتابا أن رحمته تغلب غضبه، وأن العطاء أحب إليه من المنع، وأن الله قد فتح لجميع والتدبير، أن يعترفوا له بالإخلاص والتوحيد؟ وقوله كتب على نفسه الرحمة أي: العالم العلوي والسفلي تحت ملكه وتدبيره، وهو تعالى قد بسط السماوات والأرض أي: من الخالق لذلك، المالك له، المتصرف فيه؟ قل لهم: لله وهم مقرون بذلك لا ينكرونه، أفلا حين اعترفوا بانفراد الله بالملك يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين بالله، مقررا لهم وملزما بالتوحيد: لمن ما في

حسب كسبهم، وعلى قدر ذنوبهم، قلت أو كثرت، وهذا الجزاء يكون في الآخرة، وقد يكون في الدنيا، يعاقب العبد، فيخفف عنه بذلك من سيئاته. 120 به كثير منها، وهو لا يحس به ولا يشعر، وهذا من الإعراض عن العلم، وعدم البصيرة. ثم أخبر تعالى، أن الذين يكسبون الإثم الظاهر والباطن، سيجزون على بذلك واجبا متعيينا على المكلف. وكثير من الناس، تخفى عليه كثير من المعاصي، خصوصا معاصي القلب، كالكبر والعجب والرياء، ونحو ذلك، حتى إنه يكون والمتعلقة بالقلب، ولا يتم للعبد، ترك المعاصي الظاهرة والباطنة، إلا بعد معرفتها، والبحث عنها، فيكون البحث عنها ومعرفته معاصي القلب والبدن، والعلم والخرج، من الأشياء المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده. فهي الله عباده، عن اقتراح الإثم الظاهر والباطن، أي: السر والعلانية، المتعلقة بالبدن والجوارح، المراد بالإثم: جميع المعاصي، التي تؤثم العبد، أي: توقعه في الإثم،

يكون الرحمن ويكون من الشيطان، فلا بد من التمييز بينهما والفرقان، وبعد التفريق بين الأمرين، حصل من الغلط والضلال، ما لا يحصيها إلا الله. 121 كتاب الله وسنة رسوله. فإن شهدا لها بالقبول قبلت، وإن ناقضتهما ردت، وإن لم يعلم شيء من ذلك، توقف فيها ولم تصدق ولم تكذب، لأن الوحي والإلهام، على أن ما يقع في القلوب من الإلهامات والكشوف، التي يكثر وقوعها عند الصوفية ونحوهم، لا تدل بمجرد ما على أنها حق، ولا تصدق حتى تعرض على

## تفسير السعدي

إنكم لمشركون لأنكم اتخذتموهم أولياء من دون الله، ووافقتموهم على ما به فارقوا المسلمين، فلذلك كان طريقكم، طريقهم. ودلت هذه الآية الكريمة الذين يريدون أن يضلوا الخلق عن دينهم، ويدعوهم ليكونوا من أصحاب السعير. وإن أطمعتموهم في شركهم وتحليلهم الحرام، وتحريمهم الحلال على شرع الله وأحكامه، الموافقة للمصالح العامة والمنافع الخاصة. ولا يستغرب هذا منهم، فإن هذه الآراء وأشباهاها، صادرة عن وحي أوليائهم من الشياطين، فاسد، لا يستند على حجة ولا دليل بل يستند إلى آرائهم الفاسدة التي لو كان الحق تبعاً لها لفسدت السماوات والأرض، ومن فيهن. فتباً لمن قدم هذه العقول يستحلون أكل الميتة قالوا معاندة لله ورسوله، ومجادلة بغير حجة ولا برهان أتأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتل الله؟ يعنون بذلك: الميتة. وهذا رأي الآية، لقوله وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم بغير علم. فإن المشركين حين سمعوا تحريم الله ورسوله الميتة، وتحليله للمذكاة، وكانوا هذه الآية، ما مات بغير ذكاة من الميتات، فإنها مما لم يذكر اسم الله عليه. ونص الله عليها بخصوصها، في قوله: حرمت عليكم الميتة ولعلها سبب نزول والأكل، إذا كان الذابح متعمداً ترك التسمية، عند كثير من العلماء. ويخرج من هذا العموم، الناسي بالنصوص الأخر، الدالة على رفع الحرج عنه، ويدخل في يذبح للأصنام، وألتهتهم، فإن هذا مما أهل لغير الله به، المحرم بالنص عليه خصوصاً. ويدخل في ذلك، متروك التسمية، مما ذبح لله، كالضحايا، والهدايا، أو للحم ويدخل تحت هذا المنهي عنه، ما ذكر عليه اسم غير الله كالذي

وفي باطلهم يترددون، غير متساوين. فمنهم: القادة، والرؤساء، والمتبوعون، ومنهم: التابعون المرءوسون، والأولون، منهم الذين فازوا بأشقى الأحوال 122 ورأوها حقاً. وصار ذلك عقيدة في قلوبهم، وصفة راسخة ملازمة لهم، فلذلك رضوا بما هم عليه من الشر والقبائح. وهؤلاء الذين في الظلمات يعمهون، وأن يبقى في الظلمات متحيراً: فأجاب بأنه زين للكافرين ما كانوا يعملون فلم يزل الشيطان يحسن لهم أعمالهم، وبزينها في قلوبهم، حتى استحسوها يستوي هذا ولا هذا كما لا يستوي الليل والنهار، والضياء والظلمة، والأحياء والأموات. فكأنه قيل: فكيف يؤثر من له أدنى مسكة من عقل، أن يكون بهذه الحالة، ليس بخارج منها قد التبست عليه الطرق، وأظلمت عليه المسالك، فحضره الهم والغم والحزن والشقاء. فبته تعالى العقول بما تدركه وتعرفه، أنه لا نفسه وغيره، عارفاً بالشر مبغضاً له، مجتهداً في تركه وإزالته عن نفسه وعن غيره. أفيستوي هذا بمن هو في الظلمات، ظلمات الجهل والغي، والكفر والمعاصي. فأحييناه بنور العلم والإيمان والطاعة، فصار يمشي بين الناس في النور، متبصراً في أموره، مهتدياً لسبيله، عارفاً للخير مؤثراً له، مجتهداً في تنفيذه في يقول تعالى: أومن كان من قبل هداية الله له ميتاً في ظلمات الكفر، والجهل، والمعاصي،

إلى سبيل الشيطان، ومحاربة الرسل وأتباعهم، بالقول والفعل، وإنما مكرهم وكيدهم يعود على أنفسهم، لأنهم يمكرون، ويمكر الله والله خير الماكرين. 123 وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها أي: الرؤساء الذين قد كبر جرمهم، واشتد طغيانهم ليمكروا فيها بالخديعة والدعوة

أجرموا صغار عند الله أي: إهانة وذل، كما تكبروا على الحق، أذلهم الله. وعذاب شديد بما كانوا يمكرون أي: بسبب مكرهم، لا ظلماً منه تعالى. 124 حكمة الله تعالى، لأنه، وإن كان تعالى رحيماً واسع الجود، كثير الإحسان، فإنه حكيم لا يضع جوده إلا عند أهله، ثم توعد المجرمين فقال: سيصيب الذين دنيء، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلاً وتبعاً، ومن لم يكن كذلك، لم يضع أفضل مواهبه، عند من لا يستأهله، ولا يزكو عنده. وفي هذه الآية، دليل على كمال من النبيين والمرسلين، فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته فيمن علمه يصلح لها، ويقوم بأعبائها، وهو متصف بكل خلق جميل، ومتبرئ من كل خلق فضل الله وإحسانه. فرد الله عليهم اعتراضهم الفاسد، وأخبر أنهم لا يصلحون للخير، ولا فيهم ما يوجب أن يكونوا من عباد الله الصالحين، فضلاً أن يكونوا مثل ما أوتي رسل الله من النبوة والرسالة. وفي هذا اعتراض منهم على الله، وعجب بأنفسهم، وتكبر على الحق الذي أنزله على أيدي رسله، وتحجر على وظهورهم، والعاقبة للمتقين. وإنما ثبت أكابر المجرمين على باطلهم، وقاموا برد الحق الذي جاءت به الرسل، حسداً منهم وبغياً، فقالوا: لن نؤمن حتى نؤتى ويسلكون بذلك السبل الموصلة إلى ذلك، ويعينهم الله ويسدد رأيهم، ويثبت أقدامهم، ويداول الأيام بينهم وبين أعدائهم، حتى يدول الأمر في عاقبته بنصرهم وكذلك يجعل الله كبار أئمة الهدى وأفاضلهم، يناضلون هؤلاء المجرمين، ويردون عليهم أقوالهم ويجاهدونهم في سبيل الله،

ميزان لا يعول، وطريق لا يتغير، فإن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، يسه الله ليسرى، ومن بخل واستغنى وكذب بالحسنى، فسييسره للعسرى. 125 إلى السماء، الذي لا حيلة له فيه. وهذا سببه، عدم إيمانهم، هو الذي أوجب أن يجعل الله الرجز عليهم، لأنهم سدوا على أنفسهم باب الرحمة والإحسان، وهذا قد انغمس قلبه في الشبهات والشهوات، فلا يصل إليه خير، لا ينشرح قلبه لفعل الخير كأنه من ضيقه وشدته يكاد يصعد في السماء، أي: كأنه يكلف الصعود هداً، ومن عليه بالتوفيق، وسلوك أقوم الطريق. وأن علامة من يرد الله أن يضلّه، أن يجعل صدره ضيقاً حرجاً. أي: في غاية الضيق عن الإيمان والعلم واليقين، فاستنار بنور الإيمان، وحيي بضوء اليقين، فاطمأنت بذلك نفسه، وأحب الخير، وطوعت له نفسه فعله، متلذذاً به غير مستثقل، فإن هذا علامة على أن الله قد يقول تعالى مبيناً لعباده علامة سعادة العبد وهدايته، وعلامة شقاوته وضلاله: إن من انشرح صدره للإسلام، أي: اتسع وانفسح،

هذا التفصيل والبيان، ليس لكل أحد، إنما هو لقوم يذكرون فإنهم الذين علموا، فانتفعوا بعلمهم، وأعد الله لهم الجزاء الجزيل، والأجر الجميل 126 أي: معتدلاً، موصلاً إلى الله، وإلى دار كرامته، قد بينت أحكامه، وفصلت شرائعه، وميز الخير من الشر. ولكن

ومقدماتهم التي قصدوا بها رضا مولاها، بخلاف من أعرض عن مولاها، واتبع هواها، فإنه سلط عليه الشيطان فتولاه، فأفسد عليه دينه ودنياه. 127 يتولى تدبيرهم وتربيتهم، ولطف بهم في جميع أمورهم، وأعانهم على طاعته، ويسر لهم كل سبب موصل إلى محبته، وإنما تولاهم، بسبب أعمالهم الصالحة، الواصفون، ولا يتمنى فوقه المتمنون، من نعيم الروح والقلب والبدن، ولهم فيها، ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون. وهو وليهم الذي

## تفسير السعدي

من كل عيب وآفة وكدر، وهم وغم، وغير ذلك من المنغصات، ويلزم من ذلك، أن يكون نعيمها في غاية الكمال، ونهاية التمام، بحيث لا يقدر على وصفه لهم دار السلام عند ربهم، وسميت الجنة دار السلام، لسلامتها

حكيمته وعلمه، ختم الآية بقوله: إن ربك حكيم عليم فكما أن علمه وسع الأشياء كلها وعمها، فحكيمته الغائية شملت الأشياء وعمتها ووسعتها. 128  
نوع تضرع وترقق، ولكن في غير أوانه. ولهذا حكم فيهم بحكمه العادل، الذي لا جور فيه، فقال: النار مثواكم خالدين فيها ولما كان هذا الحكم من مقتضى نجازي فيه بالأعمال، فافعل بنا الآن ما تشاء، واحكم فينا بما تريد، فقد انقطعت حجتنا ولم يبق لنا عذر، والأمر أمرك، والحكم حكمك. وكأن في هذا الكلام منهم ويحصل له منه بعض الحوائج الدنيوية، أي: حصل منا من الذنوب ما حصل، ولا يمكن رد ذلك، وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا أي: وقد وصلنا المحل الذي له وعبادته، وتعظيمه، واستعاذته به. والإنسي يستمتع بنيل أغراضه، وبلوغه بسبب خدمة الجني له بعض شهواته، فإن الإنسي يعبد الجني، فيخدمه الجني، من الإنس، فأبدوا عذرا غير مقبول فقالوا: ربنا استمتع بعضنا ببعض أي: تمتع كل من الجني والإنسي بصاحبه، وانتفع به. فالجني يستمتع بطاعة الإنسي ولا ملجأ إليه تلجأون، ولا شافع يشفع ولا دعاء يسمع، فلا تسأل حينئذ عما يحل بهم من النكال، والخزي والوبال، ولهذا لم يذكر الله لهم اعتذارا، وأما أولياؤهم إلى سبيل الجحيم؟ فالיום حقت عليكم لعنتي، ووجبت لكم نقمتي وسنزيدكم من العذاب بحسب كفركم، وإضلالكم لغيركم. وليس لكم عذر به تعتذرون، أي: من إضلالهم، وصدهم عن سبيل الله، فكيف أقدمتم على محارمي، وتجراتم على معاندة رجلي؟ وقمتم محاربين لله، ساعين في صد عباد الله عن سبيله من ضل منهم، ومن أضل غيره، فيقول موبخا للجن الذين أضلوا الإنس، وزينوا لهم الشر، وأزوههم إلى المعاصي: يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يقول تعالى ويوم يحشرهم جميعا أي: جميع الثقلين، من الإنس والجن،

وجه غير مأجورين فيه ولا محتسبين. كما أن العباد إذا صلحوا واستقاموا، أصلح الله رعاتهم، وجعلهم أئمة عدل وإنصاف، لا ولاة ظلم واعتساف. 129  
ومنعهم الحقوق الواجبة، ولى عليهم ظلمة، يسومونهم سوء العذاب، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله، وحقوق عباده، على خطرها. والذنب ذنب الظالم، فهو الذي أدخل الضرر على نفسه، وعلى نفسه جنى وما ربك بظلام للعبيد ومن ذلك، أن العباد إذا كثر ظلمهم وفسادهم، كذلك من سنتنا أن نولي كل ظالم ظلما مثله، يؤزه إلى الشر ويحثه عليه، ويزهده في الخير وينفره عنه، وذلك من عقوبات الله العظيمة الشنيعة أثرها، البليغ بما كانوا يكسبون أي: وكما ولينا الجن المردة وسلطانهم على إضلال أوليائهم من الإنس وعقدنا بينهم عقد الموالاة والموافقة، بسبب كسبهم وسعيهم بذلك. وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا

الأصوات، على اختلاف اللغات، بتفنن الحاجات. العليم بما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، المطلع على الظواهر والبواطن؟! 13  
المدير المالك، الضار النافع؟! أم العقول السليمة، والفطر المستقيمة، تدعو إلى إخلاص العبادة، والحب، والخوف، والرجاء لله رب العالمين؟! السميع لجميع وعبيد مسخرون لربهم العظيم، القاهر المالك، فهل يصح في عقل ونقل، أن يعبد من هؤلاء المماليك، الذي لا نفع عنده ولا ضرر؟ ويترك الإخلاص للخالق، فذكر أن له تعالى ما سكن في الليل والنهار وذلك هو المخلوقات كلها، من آدميها، وجننها، وملائكتها، وحيواناتها وجماداتها، فالكل خلق مدبرون، ونقل، بل كادت أن تكون كلها في شأن التوحيد ومجادلة المشركين بالله المكذبين لرسوله. فهذه الآيات، ذكر الله فيها ما يتبين به الهدى، وينقمع به الشرك. اعلم أن هذه السورة الكريمة، قد اشتملت على تقرير التوحيد، بكل دليل عقلي

خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟! ولكنهم وإن اشتروا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره تفاوتاً عظيماً. 130  
الجن والإنس صنعوا كصنيعكم، واستمتعوا بخلاقهم كما استمتعتم، وخاضوا بالباطل كما خضتم، إنهم كانوا خاسرين، أي: الأولون من هؤلاء والآخرين، وأي حجة الله، وعلم حينئذ كل أحد، حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم، فقال لهم: حاكما عليهم بالعذاب الأليم: ادخلوا في جملة أمم قد خلت من قبلكم من أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها، ونعيمها فاطمأنوا بها ورضوا، وألتهتهم عن الآخرة، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فقامت عليهم النجاة فيه، والفوز إنما هو بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن الشقاء والخسران في تضييع ذلك، فأقروا بذلك واعترفوا، ف قالوا بلى شهدنا على يقصون عليكم آياتي الواضحات البينات، التي فيها تفاصيل الأمر والنهي، والخير والشر، والوعد والوعيد. وينذرونكم لقاء يومكم هذا ويعلمونكم أن ثم وبخ الله جميع من أعرض عن الحق ورده، من الجن والإنس، وبين خطأهم، فاعترفوا بذلك، فقال: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم

خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟! ولكنهم وإن اشتروا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره تفاوتاً عظيماً. 131  
الجن والإنس صنعوا كصنيعكم، واستمتعوا بخلاقهم كما استمتعتم، وخاضوا بالباطل كما خضتم، إنهم كانوا خاسرين، أي: الأولون من هؤلاء والآخرين، وأي حجة الله، وعلم حينئذ كل أحد، حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم، فقال لهم: حاكما عليهم بالعذاب الأليم: ادخلوا في جملة أمم قد خلت من قبلكم من أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها، ونعيمها فاطمأنوا بها ورضوا، وألتهتهم عن الآخرة، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فقامت عليهم النجاة فيه، والفوز إنما هو بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وأن الشقاء والخسران في تضييع ذلك، فأقروا بذلك واعترفوا، ف قالوا بلى شهدنا على يقصون عليكم آياتي الواضحات البينات، التي فيها تفاصيل الأمر والنهي، والخير والشر، والوعد والوعيد. وينذرونكم لقاء يومكم هذا ويعلمونكم أن ثم وبخ الله جميع من أعرض عن الحق ورده، من الجن والإنس، وبين خطأهم، فاعترفوا بذلك، فقال: يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم

عن الأعمال السيئة، رحمة بهم، وقصدا لمصالحهم. وإلا فهو الغني بذاته، عن جميع مخلوقاته، فلا تنفعه طاعة الطائعين، كما لا تضره معصية العاصين. 132



## تفسير السعدي

وأهل الصفوة من أهل وداده. وما ريك بغافل عما يعملون فيجازي كلا بحسب علمه، وبما يعلمه من مقصده، وإنما أمر الله العباد بالأعمال الصالحة، ونهاهم قد رضوا بما آتاهم مولاهم، وقنعوا بما حباهم. فنسأله تعالى أن يجعلنا من أهل الفردوس الأعلى، التي أعدها الله للمقربين من عباده، والمصطفين من خلقه، ولا المرءوس كالرئيس، كما أن أهل الثواب والجنة وإن اشتركوا في الربح والفلاح ودخول الجنة، فإن بينهم من الفرق ما لا يعلمه إلا الله، مع أنهم كلهم، ولكل منهم درجات مما عملوا بحسب أعمالهم، لا يجعل قليل الشر منهم كثيره، ولا التابع كالمتبوع،

الدرجات وما أبخس حظ من رضي بالدون، وأدنى همة من اختار صفقة المغبون ولا يستبعد المعرض الغافل، سرعة الوصول إلى هذه الدار 133 فيه المتنافسون، من لذة الأرواح، وكثرة الأفراح، ونعيم الأبدان والقلوب، والقرب من علام الغيوب، فله همة تعلقت بتلك الكرامات، وإرادة سمت إلى أعلى التي لا غاية وراءها، والمطلوب الذي ينتهي إليه كل مطلوب، والمرغوب الذي يضمحل دونه كل مرغوب، هنالك والله، ما تشتهيبه الأنفس، وتلذ الأعين، ويتنافسون ونقص؟ وهي الدار التي يسعى إليها الأولون والآخرون، ويرتلحل نحوها السابقون واللاحقون، التي إذا وصلوها، فتم الخلود الدائم، والإقامة اللازمة، والغاية قبلكم وخلوها لكم، فلم اتخذتموها قراراً؟ وتوطنتم بها ونسيتم، أنها دار ممر لا دار مقر. وأن أمامكم داراً، هي الدار التي جمعت كل نعيم وسلمت من كل آفة كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين فإذا عرفتم بأنكم لا بد أن تنتقلوا من هذه الدار، كما انتقل غيركم، وترحلون منها وتخلونها لمن بعدكم، كما رحل عنها من إن يشأ يذهبكم بالإهلاك ويستخلف من بعدكم ما يشاء

إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين لله، فارين من عقابه، فإن نواصيكم تحت قبضته، وأنتم تحت تدبيره وتصرفه. 134

يفلح الظالمون فكل ظالم، وإن تمتع في الدنيا بما تمتع به، فنهايته فيه الاضمحلال والتلف إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته 135 علم أن العاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة للمتقين، وأن المؤمنين لهم عقبى الدار، وأن كل معرض عما جاءت به الرسل، عاقبته سوء وشر، ولهذا قال: إنه لا وهذا من الإنصاف بموضع عظيم، حيث بين الأعمال وعامليها، وجعل الجزاء مقروناً بنظر البصير، ضارباً فيه صفحا عن التصريح الذي يغني عنه التلويح. وقد على حالتكم التي أنتم عليها، ورضيتموها لأنفسكم. إني عامل على أمر الله، ومتبع لمراضي الله. فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أنا أو أنتم، إلى الله، وبينت لهم ما لهم وما عليهم من حقوقه، فامتنعوا من الانقياد لأمره، واتبعوا أهواءهم، واستمروا على شركهم: يا قوم اعملوا على مكانتكم أي: قل يا أيها الرسول لقومك إذا دعوتهم

لله على زعمهم فإنه لا يصل إليه لكونه شركاً، بل يكون حظ الشركاء والأنداد، لأن الله غني عنه، لا يقبل العمل الذي أشرك به معه أحد من الخلق. 136 عن الشرك، من أشرك معي شيئاً تركته وشركه. وأن معنى الآية أن ما جعلوه وتقربوا به لأوثانهم، فهو تقرب خالص لغير الله، ليس لله منه شيء، وما جعلوه مما يفعل بحق الله. ويحتمل أن تأويل الآية الكريمة، ما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عن الله تعالى أنه قال: أنا أغنى الشركاء لله، ردوه إلى محله، وقالوا: إنها فقيرة، لا بد من رد نصيبها. فهل أسوأ من هذا الحكم. وأظلم؟ حيث جعلوا ما للمخلوق، يجتهد فيه وينصح ويحفظ، أكثر فإن وصل شيء مما جعلوه لله، واختلط بما جعلوه لغيره، لم يبالوا بذلك، وقالوا: الله غني عنه، فلا يردونه، وإن وصل شيء مما جعلوه لأهتهم إلى ما جعلوه قسماً قالوا: هذا لله بقولهم وزعمهم، وإلا فالله لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه، ولا يقبل عمل من أشرك به. وقسماً جعلوه حصّة شركائهم من الأوثان والأنداد. اعتنوا به واحتفظوا به ولم يصل إلى الله منه شيء، وذلك أنهم إذا حصل لهم من زروعهم وثمارهم وأنعامهم، التي أوجدها الله لهم شيء، جعلوه قسمين: الذين لم يرزقوهم، ولم يوجدوا لهم شيئاً في ذلك، وحكمهم الجائر في أن ما كان لله لم يبالوا به، ولم يهتموا، ولو كان واصلاً إلى الشركاء، وما كان لشركائهم وأوجده رزقاً، فجمعوا بين محذورين محظورين، بل ثلاثة محاذير، منتهم على الله، في جعلهم له نصيباً، مع اعتقادهم أن ذلك منهم تبرع، وإشراك الشركاء لهم في مقابلة الحق، فذكر من ذلك أنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ولشركائهم من ذلك نصيباً، والحال أن الله تعالى هو الذي ذرأ للعباد، شيئاً من خرافاتهم، لينبه بذلك على ضلالهم والحذر منهم، وأن معارضة أمثال هؤلاء السفهاء للحق الذي جاء به الرسول، لا تقدر فيه أصلاً، فإنهم لا أهلية يخبر تعالى، عما عليه المشركون المكذوبون للنبي صلى الله عليه وسلم، من سفاهة العقل، وخفة الأحلام، والجهل البليغ، وعدد تبارك وتعالى

وإمهالاً لهم، وعدم مبالاة بما هم عليه، ولهذا قال: فذرهم وما يفترون أي: دعهم مع كذبهم وافترائهم، ولا تحزن عليهم، فإنهم لن يضروا الله شيئاً. 137 يمنهم ويحول بينهم وبين هذه الأفعال، ويمنع أولادهم عن قتل الأبوين لهم، ما فعلوه، ولكن اقتضت حكمته التخلية بينهم وبين أفعالهم، استدراجاً منه لهم، دينهم، فيفعلون الأفعال التي في غاية القبح، ولا يزال شركاؤهم يزينونها لهم، حتى تكون عندهم من الأمور الحسنة والخصال المستحسنة، ولو شاء الله أن وهو: الوأد، الذين يدفنون أولادهم الذكور خشية الافتقار، والإناث خشية العار. وكل هذا من خدع الشياطين، الذين يريدون أن يردوهم بالهلاك، ويلبسوا عليهم ومن سفه المشركين وضلالهم، أنه زين لكثير من المشركين شركاؤهم أي: رؤساؤهم وشياطينهم قتل أولادهم،

تلك الأفعال إلى الله، وهم كذبة فجار في ذلك. سيجزيهم بما كانوا يفترون على الله، من إحلال الشرك، وتحريم الحلال من الأكل، والمنافع. 138 والحمل عليها، ويحمونها ظهراً، ويسمونها الحام، وأنعام لا يذكر اسم الله عليها، بل يذكرون اسم أصنامهم وما كانوا يعبدون من دون الله عليها، وينسبون من عندهم. وكل هذا بزعمهم لا مستند لهم ولا حجة إلا أهويتهم، وآراؤهم الفاسدة. وأنعام ليست محرمة من كل وجه، بل يحرمون ظهورها، أي: بالركوب أنهم يقولون فيها: هذه أنعام وحرث حجر أي: محرر لا يطعمها إلا من نشأ أي: لا يجوز أن يطعمه أحد، إلا من أردنا أن يطعمه، أو وصفناه بوصف الله لهم عموماً، وجعلها رزقاً ورحمة، يتمتعون بها ويتمتعون بها، قد اخترعوا فيها بدعاً وأقوالاً من تلقاء أنفسهم، فعندهم اصطلاح في بعض الأنعام والحرث

ومن أنواع سفاهتهم أن الأنعام التي أحلها

مما هم فيه من الضلال. عليم بهم، لا تخفى عليه خافية، وهو تعالى يعلم بهم وبما قالوه عليه وافتروه، وهو يعافهم ويرزقهم جل جلاله. 139 حين وصفوا ما أحله الله بأنه حرام، ووصفوا الحرام بالحلال، فنقضوا شرع الله وخالفوه، ونسبوا ذلك إلى الله. إنه حكيم حيث أمهل لهم، ومكنهم على أزواجنا أي: نساءنا، هذا إذا ولد حيا، وإن يكن ما في بطنها يولد ميتا، فهم فيه شركاء، أي: فهو حلال للذكور والإناث. سيجزيهم الله وصفهم محرما ما في بطنها على الإناث دون الذكور، فيقولون: ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا أي: حلال لهم، لا يشاركون فيها النساء، ومحرم ومن آرائهم السخيفة أنهم يجعلون بعض الأنعام، ويعينونها

أي: ونهيت أيضا، عن أن أكون من المشركين، لا في اعتقادهم، ولا في مجالستهم، ولا في الاجتماع بهم، فهذا أفرض الفروض علي، وأوجب الواجبات. 14 الحميد؟ قل إنني أمرت أن أكون أول من أسلم لله بالتوحيد، وانقاد له بالطاعة، لأنني أولى من غيري بامتثال أوامر ربي. ولا تكونن من المشركين خالقهما ومدبرهما. وهو يطعم ولا يطعم أي: وهو الرزاق لجميع الخلق، من غير حاجة منه تعالى إليهم، فكيف يليق أن أتخذ وليا غير الخالق الرزاق، الغني المشركين بالله: أغير الله أتخذ وليا من هؤلاء المخلوقات العاجزة يتولاني، وينصرني؟! فلا أتخذ من دونه تعالى وليا، لأنه فاطر السماوات والأرض، أي: قل لهؤلاء

على الله أي: كذبا يكذب به كل معاند كفار. قد ضلوا وما كانوا مهتدين أي: قد ضلوا ضلالا بعيدا، ولم يكونوا مهتدين في شيء من أمورهم. 140 ما رزقهم الله أي: ما جعله رحمة لهم، وساقه رزقا لهم. فردوا كرامة ربهم، ولم يكتفوا بذلك، بل وصفوها بأنها حرام، وهي من أحل الحلال. وكل هذا افتراء قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم أي: خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصفهم بعد العقول الرزينة السفه المردى، والضلال. وحرّموا ثم بين خسارتهم وسفاهة عقولهم فقال:

الله عليه وسلم، يبعث خارصا، يخرص للناس ثمارهم، ويأمره أن يدع لأهلها الثلث، أو الربع، بحسب ما يعتريها من الأكل وغيره، من أهلها، وغيرهم. 141 أنه لا يضمها، وأنه يجوز الأكل من النخل والزرع قبل إخراج الزكاة منه، وأنه لا يحسب ذلك من الزكاة، بل يزكي المال الذي يبقى بعده. وقد كان النبي صلى العبد أحوالا كثيرة، إذا كانت لغير التجارة، لأن الله لم يأمر بالإخراج منه إلا وقت حصاده. وأنه لو أصابها آفة قبل ذلك بغير تفريط من صاحب الزرع والثمر، عليه. وفي هذه الآية دليل على وجوب الزكاة في الثمار، وأنه لا حول لها، بل حولها حصاها في الزرع، وجذاذ النخيل، وأنه لا تتكرر فيها الزكاة، لو مكثت عند حق الزرع بحيث يخرج فوق الواجب عليه، ويضر نفسه أو عائلته أو غرماءه، فكل هذا من الإسراف الذي نهى الله عنه، الذي لا يحبه الله بل يبغضه ويمقت لا يخرج. وقوله: ولا تسرفوا يعم النهي عن الإسراف في الأكل، وهو مجاوزة الحد والعادة، وأن يأكل صاحب الزرع أكلا يضر بالزكاة، والإسراف في إخراج الحول، لأنه الوقت الذي تتشوف إليه نفوس الفقراء، ويسهل حينئذ إخراجها على أهل الزرع، ويكون الأمر فيها ظاهرا لمن أخرجها، حتى يتميز المخرج ممن حقه يوم حصاده أي: أعطوا حق الزرع، وهو الزكاة ذات الأنصاء المقدرة في الشرع، أمرهم أن يعطوها يوم حصاها، وذلك لأن حصاد الزرع بمنزلة حولان وطعمه. كأنه قيل: لأي شيء أنشأ الله هذه الجنات، وما عطف عليها؟ فأخبر أنه أنشأها لمنافع العباد فقال: كلوا من ثمره أي: النخل والزرع إذا أثمر وآتوا على اختلاف أنواعه لكثرة منافعها، ولكونها هي القوت لأكثر الخلق. و أنشأ تعالى الزيتون والرمان متشابهة في شجره وغير متشابهة في ثمره أنشأ تعالى النخل والزرع مختلفا أكله أي: كله في محل واحد، ويشرب من ماء واحد، ويفضل الله بعضه على بعض في الأكل. وخص تعالى النخل والزرع خال من العروش، تثبت على ساق، أو تنفرش في الأرض، وفي هذا تنبيه على كثرة منافعها، وخيراتها، وأنه تعالى، علم العباد كيف يعرضونها، وينمونها. و والنباتات المختلفة. معروشات وغير معروشات أي: بعض تلك الجنات، مجعول لها عرش، تنتشر عليه الأشجار، ويعاونها في النهوض عن الأرض. وبعضها ذكر تبارك وتعالى نعمته عليهم بذلك، ووظيفتهم اللازمة عليهم في الحروث والأنعام فقال: وهو الذي أنشأ جنات أي: بساتين، فيها أنواع الأشجار المتنوعة، لما ذكر تعالى تصرف المشركين في كثير مما أحله الله لهم من الحروث والأنعام،

أي: طريقه وأعماله التي من جملتها أن تحرموا بعض ما رزقكم الله. إنه لكم عدو مبين فلا يأمركم إلا بما فيه مصلحتكم وشقاؤكم الأبدي. 142 تنقسم إلى هذين القسمين. وأما من جهة الأكل وأنواع الانتفاع، فإنها كلها تؤكل وينتفع بها. ولهذا قال: كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان وفرشا أي: بعضها تحملون عليه وتركبونه، وبعضها لا تصلح للحمل والركوب عليها لصغرها كالفصان ونحوها، وهي الفرش، فهي من جهة الحمل والركوب، أي: و خلق وأنشأ من الأنعام حمولة

أن مصدرها من الجهل المركب، والعقول المختلة المنحرفة، والآراء الفاسدة، وأن الله، ما أنزل بما قالوه من سلطان، ولا لهم عليه حجة ولا برهان. 143 عليها اصطلاحات من عند أنفسهم، حرام على الإناث دون الذكور، أو محرمة في وقت من الأوقات، أو نحو ذلك من الأقوال، التي يعلم علما لا شك فيه أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولاً سائغا في العقل، إلا واحدا من هذه الأمور الثلاثة. وهم لا يقولون بشيء منها. إنما يقولون: إن بعض الأنعام التي يصطلحون هذه الأقوال الثلاثة، التي حصرت الأقسام الممكنة في ذلك، فالى أي شيء تذهبون؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين في قولكم ودعواكم، ومن المعلوم ما اشتهلت عليه أرحام الأنثيين أي: أنثى الضأن وأنثى المعز، من غير فرق بين ذكر وأنثى، فلستم تقولون أيضا بهذا القول. فإذا كنتم لا تقولون بأحد فليس هذا قولكم، لا تحريم الذكور الخالص، ولا الإناث الخالص من الصنفين. بقي إذا كان الرحم مشتملا على ذكر وأنثى، أو على مجهول فقال: أم تحرمون

## تفسير السعدي

الفرق بين ما أباحوا منها وحرّموا: المذكورين من الضأن والمعز حرم الله، فلستم تقولون بذلك وتطردونه، أم الأنثيين حرم الله من الضأن والمعز، أحل الله، لا فرق بين شيء منها، فقل لهؤلاء المتكلفين، الذين يحرمون منها شيئاً دون شيء، أو يحرمون بعضها على الإناث دون الذكور، ملزماً لهم بعدم وجود الله بها على عبادته، وجعلها كلها حلالاً طيباً، فصلها بأنها: ثمانية أزواج من الضأن اثنين ذكر وأنثى ومن المعز اثنين كذلك، فهذه أربعة، كلها داخلة فيما وهذه الأنعام التي امتن

الله، بغير بينة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل. إن الله لا يهدي القوم الظالمين الذين لا إرادة لهم في غير الظلم والجور، والافتراء على الله. 144 يجله أحد، ولهذا قال: فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم أي: مع كذبه وافتراءه على الله، قصده بذلك إضلال عباد الله عن سبيل وهي أن تقولوا: إن الله وصانا بذلك، وأوحى إلينا كما أوحى إلى رسله، بل أوحى إلينا وحياً مخالفاً لما دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، وهذا افتراء لا حيلة لهم في الخروج من تبعته، إلا في اتباع شرع الله. أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله أي: لم يبق عليكم إلا دعوى، لا سبيل لكم إلى صدقها وصحتها. ثم ذكر في الإبل والبقر مثل ذلك. فلما بين بطلان قولهم وفساده، قال لهم قولوا

وأشباههم، فيمنونها كما ينمون المواشي، ويستحلونها، ولا يفرقون بينها وبين الأنعام، فهذا المحرم على هذه الأمة كله من باب التنزيه لهم والسياسة. 145 فحلال. ولعل مناسبة ذكر الخنزير هنا على هذا الاحتمال، أن بعض الجهال قد يدخله في بهيمة الأنعام، وأنه نوع من أنواع الغنم، كما قد يتوهمه جهلة النصارى بذلك، بحسب ما سولت لهم أنفسهم، وذلك في بهيمة الأنعام خاصة، وليس منها محرم إلا ما ذكر في الآية: الميتة منها، وما أهل لغير الله به، وما سوى ذلك ما لم يقل. وفي الآية احتمال قوي، لولا أن الله ذكر فيها الخنزير، وهو: أن السياق في نقض أقوال المشركين المتقدمة، في تحريمهم لما أحله الله وخوضهم من المطاعم إلا ما ذكر، والتحريم لا يكون مصدره، إلا شرع الله دل ذلك على أن المشركين، الذين حرّموا ما رزقهم الله مفترّون على الله، متقولون عليه لهم، وتكرمة عن مباشرة الخبيث الرجس. ويؤخذ تفاصيل الرجس المحرم من السنة، فإنها تفسر القرآن، وتبين المقصود منه، فإذا كان الله تعالى لم يحرم الأخير منها فقط: فإنه رجس وصف شامل لكل محرم، فإن المحرمات كلها رجس وخبث، وهي من الخبائث المستقذرة التي حرّمها الله على عبادته، صيانة إن هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات، بعضها صريحاً، وبعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلة. فإن قوله تعالى في تعليل الميتة والدم ولحم الخنزير، أو قبل تحريم ما زاد على ما ذكر فيها، فلا ينافي هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك؛ لأنه لم يجده فيما أوحى إليه في ذلك الوقت، وقال بعضهم: الله في هذا الحصر المذكور في هذه الآية، مع أن ثم محرمات لم تذكر فيها، كالسباع وكل ذي مخلب من الطير ونحو ذلك، فقال بعضهم: إن هذه الآية نازلة للحد، بأن يأكل زيادة عن حاجته. فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم أي: فالله قد سامح من كان بهذه الحال. واختلف العلماء رحمهم الله أكل شيء منها، بأن لم يكن عنده شيء وخاف على نفسه التلف. غير باغ ولا عاد أي: غير باغ أي: مريد لأكلها من غير اضطرار ولا متعدي، أي: متجاوز فإن هذا من الفسق الذي هو الخروج عن طاعة الله إلى معصيته، أي: ومع هذا، فهذه الأشياء المحرمات، من اضطر إليها، أي: حملته الحاجة والضرورة إلى لكم عن مقارنة الخبائث. أو إلا أن يكون فسقاً أهل لغير الله به أي: إلا أن تكون الذبيحة مذبوحة لغير الله، من الأوثان والآلهة التي يعبدونها المشركون، والعروق بعد الذبح، أنه حلال طاهر. أو لحم خنزير فإنه رجس أي: فإن هذه الأشياء الثلاثة، رجس، أي: خبث نجس مضر، حرّمه الله لطفاً بكم، ونزاهة من الذبيحة عند ذكاتها، فإنه الدم الذي يضر احتباسه في البدن، فإذا خرج من البدن زال الضرر بأكل اللحم، ومفهوم هذا اللفظ، أن الدم الذي يبقى في اللحم والميتة: ما مات بغير ذكاة شرعية، فإن ذلك لا يحل. كما قال تعالى: حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير أو دماً مسفوفاً وهو الدم الذي يخرج وقد قال لرسوله: قل لا أجد فيما أوحى إلي محرماً على طاعم أي: محرماً أكله، بقطع النظر عن تحريم الانتفاع بغير الأكل وعدمه. إلا أن يكون ميتة للناس ما حرّمه الله عليهم، ليعلموا أن ما عدا ذلك حلال، من نسب تحريمه إلى الله فهو كاذب مبطل، لأن التحريم لا يكون إلا من عند الله على لسان رسوله، لما ذكر تعالى ذم المشركين على ما حرّموا من الحلال ونسبوه إلى الله، وأبطل قولهم. أمر تعالى رسوله أن يبين

الأشياء عقوبة لهم ونكالا. وإنا لصادقون في كل ما نقول ونفعل ونحكم به، ومن أصدق من الله حديثاً، ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون. 146 للأمعاء أو ما اختلط بعضهم ذلك التحريم على اليهود جزيناهم ببغيهم أي: ظلّمهم وتعديهم في حقوق الله وحقوق عبادته، فحرم الله عليهم هذه المحرم جميع الشحوم منها، بل شحم الألية والترب، ولهذا استثنى الشحم الحلال من ذلك فقال: إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أي: الشحم المخالط قال: وعلى الذين هادوا حرّمنا كل ذي ظفر وذلك كالإبل، وما أشبهها وحرّمنا عليهم. ومن البقر والغنم بعض أجزائها، وهو: شحومها وليس وأما ما حرم على أهل الكتاب، فبعضه طيب ولكنه حرم عليهم عقوبة لهم، ولهذا

القوم المجرمين أي: الذين كثر إجرامهم وذنوبهم، فاحذروا الجرائم الموصلة لبأس الله، التي أعظمها ورأسها تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم. 147 لجميع للمخلوقات كلها، فسارعوا إلى رحمته بأسبابها، التي رأسها ومادتها، تصديق محمد صلى الله عليه وسلم فيما جاء به. ولا يرد بأسه عن أي: فإن كذبك هؤلاء المشركون، فاستمر على دعوتهم، بالترغيب والترهيب، وأخبرهم بأن الله ذو رحمة واسعة أي: عامة شاملة أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ 148 به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟ ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصوداً، ويعلمون أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فإعجاباً كيف يحتجون

## تفسير السعدي

داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته. ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف. ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا تعالى أعطى كل مخلوق، قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا. ومنها: أن الله والعناد والشر والفساد؟ ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول علم أنه لا علم عندهم. إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ومن بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا فلو كان لهم علم وهم خصوم ألداء لأخرجوه، فلما لم يخرجوه كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة. ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه: منها: ما ذكر الله من أنها لو بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهكلهم الله، وأذاقهم بأسه. فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت كما قال في الآية الأخرى: وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الآية. فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم. وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، تفسير الآيتين 148 و 149: هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم

أنه ليس بحجة، وإنما المقصود منه دفع الحق، ويرون أن الحق بمنزلة الصائل، فهم يدفعونه بكل ما يخطر ببالهم من الكلام وإن كانوا يعتقدونه خطأ 149 به على معاصي الله ومساخطه. ولا يرضون من أحد أن يحتج به في مقابلة مساخطهم؟ ومنها: أن احتجاجهم بالقضاء والقدر ليس مقصودا، ويعلمون أساء إليهم مسيء بضرب أو أخذ مال أو نحو ذلك، واحتج بالقضاء والقدر لما قبلوا منه هذا الاحتجاج، ولغضبوا من ذلك أشد الغضب. فإعجابا كيف يحتجون داخلا في مشيئة الله، ومندرجا تحت إرادته. ومنها: أن المحتجين على المعاصي بالقضاء والقدر يتناقضون في ذلك. فإنهم لا يمكنهم أن يطردوا ذلك، بل لو فعلوا، وإن شاءوا كفوا. وهذا أمر مشاهد لا ينكره إلا من كابر، وأنكر المحسوسات، فإن كل أحد يفرق بين الحركة الاختيارية والحركة القسرية، وإن كان الجميع فالاحتجاج بعد هذا بالقضاء والقدر، ظلم محض وعناد صرف. ومنها: أن الله تعالى لم يجبر العباد على أفعالهم، بل جعل أفعالهم تبعا لاختيارهم، فإن شاءوا تعالى أعطى كل مخلوق، قدرة، وإرادة، يتمكن بها من فعل ما كلف به، فلا أوجب الله على أحد ما لا يقدر على فعله، ولا حرم على أحد ما لا يتمكن من تركه، الصحيحة، والفطر المستقيمة، والأخلاق القويمة، فعلم بذلك أن كل ما خالف هذه الأدلة القاطعة باطل، لأن نقيض الحق، لا يكون إلا باطلا. ومنها: أن الله والعناد والشر والفساد؟ ومنها: أن الحجة لله البالغة، التي لم تبق لأحد عذرا، التي اتفقت عليها الأنبياء والمرسلون، والكتب الإلهية، والآثار النبوية، والعقول علم أنه لا علم عندهم. إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون ومن بنى حججه على الخرص والظن، فهو مبطل خاسر، فكيف إذا بناها على البغي لا يغني من الحق شيئا، فإنها باطلة، ولهذا قال: قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا فلو كان لهم علم وهم خصوم ألداء لأخرجوه، فلما لم يخرجوه كانت صحيحة، لم تحل بهم العقوبة. ومنها: أن الحجة، لا بد أن تكون حجة مستندة إلى العلم والبرهان، فأما إذا كانت مستندة إلى مجرد الظن والخرص، الذي عنهم العقاب، ولما أحل الله بهم العذاب، لأنه لا يحل بأسه إلا بمن استحقه، فعلم أنها حجة فاسدة، وشبهة كاسدة، من عدة أوجه: منها: ما ذكر الله من أنها لو بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهكلهم الله، وأذاقهم بأسه. فلو كانت حجة صحيحة، لدفعت كما قال في الآية الأخرى: وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء الآية. فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم. وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، تفسير الآيتين 148 و 149: هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم

يخاف عذابه، ويحذر عقابه؛ لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ فهو المرحوم، ومن نجا فيه فهو الفائز حقا، كما أن من لم ينج منه فهو الهالك الشقي. 15 قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار، وسخط الجبار. وذلك اليوم هو اليوم الذي بهوى هذا شأنه، أن ينهى الله خيار خلقه عن اتباعه، وعن الشهادة مع أربابه، وعلم حينئذ أن تحريمهم لما أحل الله صادر عن تلك الأهواء المضلة. 150 غيره من الأنداد والأوثان. فإذا كانوا كافرين باليوم الآخر غير موحدين لله، كانت أهويتهم مناسبة لعقيدتهم، وكانت دائرة بين الشرك والتكذيب بالحق، فحري وأتباعه عن هذه الشهادة. فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي: يسوون به لهم بذلك، ولا يمكن أن يشهد بهذا إلا كل أفاك أثيم غير مقبول الشهادة، وليس هذا من الأمور التي يصح أن يشهد بها العدول؛ ولهذا قال تعالى ناهيا نبيه، قيل لهم هذا الكلام، فهم بين أمرين: إما أن لا يحضروا أحدا يشهد بهذا، فتكون دعواهم إذا باطلة، خلية من الشهود والبرهان. وإما: أن يحضروا أحدا يشهد أي: قل لمن حرم ما أحل الله، ونسب ذلك إلى الله: أحضروا شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا، فإذا

به لعلمكم تعقلون عن الله وصيته، ثم تحفظونها، ثم تراعونها وتقومون بها. ودلت الآية على أنه بحسب عقل العبد يكون قيامه بما أمر الله به. 151 والكافرة التي قد عصمت بالعهد والميثاق. إلا بالحق كالزاني المحصن، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة. ذلكم المذكور وصاكم

## تفسير السعدي

فإنه يتناول النهي عن مقدماتها ووسائلها الموصلة إليها. ولا تقتلوا النفس التي حرم الله. وهي: النفس المسلمة، من ذكر وأنثى، صغير وكبير، بر وفاجر، وما بطن أي: لا تقربوا الظاهر منها والخفي، أو المتعلق منها بالظاهر، والمتعلق بالقلب والباطن. والنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرد فعلها، الجميع، فليست الذين ترزقون أولادكم، بل ولا أنفسكم، فليس عليكم منهم ضيق. ولا تقربوا الفواحش وهي: الذنوب العظام المستفحشة، ما ظهر منها قتلهم في هذه الحال، وهم أولادهم، فنهيههم عن قتلهم لغير موجب، أو قتل أولاد غيرهم، من باب أولى وأحرى. نحن نرزقكم وإياهم أي: قد تكفلنا برزق أولادكم من ذكور وإناث من إملاق أي: بسبب الفقر وضيقكم من رزقهم، كما كان ذلك موجودا في الجاهلية القاسية الظالمة، وإذا كانوا منهيين عن الأفعال الجميلة المستحسنة، فكل قول وفعل يحصل به منفعة للوالدين أو سرور لهما، فإن ذلك من الإحسان، وإذا وجد الإحسان انتفى العقوق. ولا تقتلوا جميع أحواله، فهذا حق الله على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. ثم بدأ بأكّد الحقوق بعد حقه فقال: وبالوالدين إحسانا من الأقوال الكريمة الحسنة، أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحدا، مخلصا لله في عاما شاملا لكل أحد، محتويا على سائر المحرمات، من المأكّل والمشارب والأقوال والأفعال. ألا تشركوا به شيئا أي: لا قليلا ولا كثيرا. وحقيقة الشرك بالله: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء الذين حرموا ما أحل الله. تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم تحريما

الأحكام المذكورة وصاكم به لعلكم تذكرون ما بينه لكم من الأحكام، وتقومون بوصية الله لكم حق القيام، وتعرفون ما فيها، من الحكم والأحكام. 152 عاهده عليه العباد من القيام بحقوقه والوفاء بها، ومن العهد الذي يقع التعاقد به بين الخلق. فالجميع يجب الوفاء به، ويحرم نقضه والإخلال به. ذلكم ويعتبر قربها من الحق وبعدها منه. وذكر الفقهاء أن القاضي يجب عليه العدل بين الخصمين، في لحظه ولفظه. وبعهد الله أوفوا وهذا يشمل العهد الذي فيه أو في مقالاته من الظلم المحرم. بل إذا تكلم العالم على مقالات أهل البدع، فالواجب عليه أن يعطي كل ذي حق حقه، وأن يبين ما فيها من الحق والباطل، المقالات والأحوال فاعدلوا في قولكم، بمرعاة الصدق فيمن تحبون ومن تكرهون، والإنصاف، وعدم كتمان ما يلزم بيانه، فإن الميل على من تكره بالكلام الله فيما أمر، وفعل ما يمكنه من ذلك، فلا حرج عليه فيما سوى ذلك. وإذا قلتم قولا تحكمون به بين الناس، وتفصلون بينهم الخطاب، وتكلمون به على حصل منه تقصير لم يفرط فيه، ولم يعلمه، فإن الله عفو غفور. وبهذه الآية ونحوها استدل الأصوليون، بأن الله لا يكلف أحدا ما لا يطيق، وعلى أن من اتقى أي: بالعدل والوفاء التام، فإذا اجتهدتم في ذلك، ف لا تكلف نفسا إلا وسعها أي: بقدر ما تسعه، ولا تضيق عنه. فمن حرص على الإيفاء في الكيل والوزن، ثم على أن اليتيم قبل بلوغ الأشد محجور عليه، وأن وليه يتصرف في ماله بالأحظ، وأن هذا الحجر ينتهي ببلوغ الأشد. وأوفوا الكيل والميزان بالقسط مصلحة، حتى يبلغ اليتيم أشده أي: حتى يبلغ ويرشد، ويعرف التصرف، فإذا بلغ أشده، أعطي حينئذ ماله، وتصرف فيه على نظره. وفي هذا دلالة أي: إلا بالحال التي تصلح بها أموالهم، وينتفعون بها. فدل هذا على أنه لا يجوز قربانها، والتصرف بها على وجه يضر اليتامى، أو على وجه لا مضرة فيه ولا ولا تقربوا مال اليتيم بأكل، أو معاوضة على وجه المحاباة لأنفسكم، أو أخذ من غير سبب. إلا بالتي هي أحسن

علما وعملا صرتم من المتقين، وعباد الله المفلحين، ووجد الصراط وأضافه إليه لأنه سبيل واحد موصل إليه، والله هو المعين للسالكين على سلوكه. 153 يمينا وشمالا، فإذا ضللتهم عن الصراط المستقيم، فليس ثم إلا طرق توصل إلى الجحيم. ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون فإنكم إذا قمتم بما بينه الله لكم لتناولوا الفوز والفلاح، وتدرکوا الآمال والأفراح. ولا تتبعوا السبل أي: الطرق المخالفة لهذا الطريق فتفرق بكم عن سبيله أي: تضلکم عنه وتفرقكم أي: هذه الأحكام وما أشبهها، مما بينه الله في كتابه، ووضحه لعباده، صراط الله الموصل إليه، وإلى دار كرامته، المعتدل السهل المختصر. فاتبعوه ولما بين كثيرا من الأوامر الكبار، والشرائع المهمة، أشار إليها وإلى ما هو أعم منها فقال: وأن هذا صراطي مستقيما

والبينات عليهم بقاء ربهم يؤمنون فإنه اشتمل من الأدلة القاطعة على البعث والجزاء بالأعمال، ما يوجب لهم الإيمان بقاء ربهم والاستعداد له. 154 أي: يهديهم إلى الخير، ويعرفهم بالشر، في الأصول والفروع. ورحمة يحصل به لهم السعادة والرحمة والخير الكثير. لعلهم بسبب إنزالنا الكتاب نعمة الله، ووجب عليهم القيام بشكرها. وتفصيلا لكل شيء يحتاجون إلى تفصيله، من الحلال والحرام، والأمر والنهي، والعقائد ونحوها. وهدي ورحمة وكما لا لإحسانه. على الذي أحسن من أمة موسى، فإن الله أنعم على المحسنين منهم بنعم لا تحصى. من جملتها وتامها إنزال التوراة عليهم. فتمت عليهم على تلاوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب، وإنما المراد الترتيب الإخباري. فأخبر أنه أتى موسى الكتاب وهو التوراة تماما لنعمته، ثم في هذا الموضع، ليس المراد منها الترتيب الزمني، فإن زمن موسى عليه السلام، متقدم

عليه واتفقوا الله تعالى أن تخالفوا له أمرا لعلكم إن اتبعتموه ترحموا فأكبر سبب لنيل رحمة الله اتباع هذا الكتاب، علما وعملا. 155 عليه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر الأسباب المنفرة عن فعله وعواقبها الوخيمة فاتبعوه فيما يأمر به وينهى، وابتوا أصول دينكم وفروعه الكثير والعلم الغزير، وهو الذي تستمد منه سائر العلوم، وتستخرج منه البركات، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وذكر الحكم والمصالح التي تحث وهذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم. كتاب أنزلناه مبارك أي: فيه الخير

علينا كتابا، والكتب التي أنزلتها على الطائفتين ليس لنا بها علم ولا معرفة، فأنزلنا إليكم كتابا، لم ينزل من السماء كتاب أجمع ولا أوضح ولا أبين منه. 156 المبارك قطعاً لحجتكم، وخشية أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، أي: اليهود والنصارى. وإن كنا عن دراستهم لغافلين أي: تقولون لم تنزل أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أي: أنزلنا إليكم هذا الكتاب

وفيه: ما كان عليه الجاهلية قبل نزول القرآن، من الجهل العظيم وعدم العلم بما عند أهل الكتاب، الذين عندهم مادة العلم، وغفلتهم عن دراسة كتبهم. 157 أنه لم ينزل جنس الكتاب إلا على الطائفتين، من اليهود والنصارى، فهم أهل الكتاب عند الإطلاق، لا يدخل فيهم سائر الطوائف، لا المجوس ولا غيرهم. إلى الصراط المستقيم، هداية تامة لا يحتاج معها إلى تخصص المتكلمين، ولا إلى أفكار المتفلسفين، ولا لغير ذلك من علوم الأولين والآخرين. وأن المعروف جزاء لهم على عملهم السيئ وما ربك بظلام للعبيد وفي هذه الآيات دليل على أن علم القرآن أجل العلوم وأبركها وأوسعها، وأنه به تحصل الهداية أعرض ونأى بجانبه. سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب أي: العذاب الذي يسوء صاحبه ويشق عليه. بما كانوا يصدفون لأنفسهم ولغيرهم، لكم الانقياد لأحكامه والإيمان بأخباره، وأن من لم يرفع به رأسا وكذب به، فإنه أظلم الظالمين، ولهذا قال: فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أي: جاءكم بيعة من ربكم وهذا اسم جنس، يدخل فيه كل ما يبين الحق وهدى من الضلالة ورحمة أي: سعادة لكم في دينكم ودنياكم، فهذا يوجب أي: إما أن تعتذروا بعدم وصول أصل الهداية إليكم، وإما أن تعتذروا، بعدم كمالها وتامها، فحصل لكم بكتابتكم أصل الهداية وكمالها، ولهذا قال: فقد أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكان أهدى منهم

الإنسان يكتسب الخير بإيمانه. فالطاعة والبر والتقوى إنما تنفع وتنمو إذا كان مع العبد الإيمان. فإذا خلا القلب من الإيمان لم ينفعه شيء من ذلك. 158 جملة أشرار الساعة طلوع الشمس من مغربها. وأن الله تعالى حكيم قد جرت عادته وسنته، أن الإيمان إنما ينفع إذا كان اختياريا لا اضطراريا، كما تقدم. وأن الاختيارية لله تعالى، كالاستواء والنزول، والإتيان لله تبارك وتعالى، من غير تشبيه له بصفات المخلوقين. وفي الكتاب والسنة من هذا شيء كثير، وفيه أن من الدهر ومصائب الأمور، قال: قل انتظروا إنا منتظرون فستعلمون أينا أحق بالأمن. وفي هذه الآية دليل لمذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الأفعال ويغلق حينئذ باب التوبة. ولما كان هذا وعيدا للمكذبين بالرسول صلى الله عليه وسلم، منتظرا، وهم ينتظرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه قوارع الأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المراد ببعض آيات الله، طلوع الشمس من مغربها، وأن الناس إذا رأوها، آمنوا، فلم ينفعهم إيمانهم، تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وقد تكاثرت الآيات صار الأمر شهادة، ولم يبق للإيمان فائدة، لأنه يشبه الإيمان الضروري، كإيمان الغريق والحريق ونحوهما، ممن إذا رأى الموت، أقبل عما هو فيه كما قال من الخير المرجو قبل أن يأتي بعض الآيات. والحكمة في هذا ظاهرة، فإنه إنما كان الإيمان ينفع إذا كان إيمانا بالغيب، وكان اختياريا من العبد، فأما إذا وجدت أي: إذا وجد بعض آيات الله لم ينفع الكافر إيمانه أن آمن، ولا المؤمن المقصر أن يزداد خيره بعد ذلك، بل ينفعه ما كان معه من الإيمان قبل ذلك، وما كان له آيات ربك الخارقة للعادة، التي يعلم بها أن الساعة قد دنت، وأن القيامة قد اقتربت. لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا الأعمال. أو يأتي ربك لفصل القضاء بين العباد، ومجازاة المحسنين والمسيئين. أو يأتي بعض آيات ربك الدالة على قرب الساعة. يوم يأتي بعض إلا أن يأتيهم مقدمات العذاب، ومقدمات الآخرة بأن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، فإنهم إذا وصلوا إلى تلك الحال، لم ينفعهم الإيمان ولا صالح يقول تعالى: هل ينظر هؤلاء الذين استمر ظلمهم وعنادهم،

شيء أي لست منهم وليسوا منك، لأنهم خالفوك وعاندوك. إنما أمرهم إلى الله يردون إليه فيجازيهم بأعمالهم ثم ينبتهم بما كانوا يفعلون 159 والائتلاف، وينهى عن التفرق والاختلاف في أهل الدين، وفي سائر مسائله الأصولية والفروعية. وأمره أن يتبرأ ممن فرقوا دينهم فقال: لست منهم في ويجعله دينه، ويدع مثله، أو ما هو أولى منه، كما هو حال أهل الفرقة من أهل البدع والضلال والمفرقين للأمة. ودلت الآية الكريمة أن الدين يأمر بالاجتماع وكل أخذ لنفسه نصيبا من الأسماء التي لا تفيد الإنسان في دينه شيئا، كاليهودية والنصرانية والمجوسية. أو لا يكمل بها إيمانه، بأن يأخذ من الشريعة شيئا يتوعد تعالى الذين فرقوا دينهم، أي: شتتوه وتفرقوا فيه،

يخاف عذابه، ويحذر عقابه؛ لأنه من صرف عنه العذاب يومئذ فهو المرحوم، ومن نجا فيه فهو الفائز حقا، كما أن من لم ينج منه فهو الهالك الشقي. 16 قل إنني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم فإن المعصية في الشرك توجب الخلود في النار، وسخط الجبار. وذلك اليوم هو اليوم الذي من التضعيف. ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهذا من تمام عدله تعالى وإحسانه، وأنه لا يظلم مثقال ذرة، ولهذا قال: وهم لا يظلمون 160 ثم ذكر صفة الجزاء فقال: من جاء بالحسنة القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله أو حق خلقه فله عشر أمثاله هذا أقل ما يكون الرحمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو الدين الحنيف المائل عن كل دين غير مستقيم، من أديان أهل الانحراف، كاليهود والنصارى والمشركين. 161 الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، الذي عليه الأنبياء والمرسلون، خصوصا إمام الحنفاء، ووالد من بعث من بعد موته من الأنبياء، خليل يأمر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يقول ويعلم بما هو عليه من الهداية إلى الصراط المستقيم: الدين المعتدل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال لله في سائر أعماله. وقوله: ومحياي ومماتي أي: ما أتبه في حياتي، وما يجريه الله علي، وما يقدر علي في مماتي، الجميع لله رب العالمين 162 واللسان، والجوارح وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى. ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه قل إن صلاتي ونسكي أي: ذبحي، وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب لله ابتداء مني، وبدعا أتبهته من تلقاء نفسي، بل بذلك أمرت أمرا حتما، لا أخرج من التبعة إلا بامتناله وأنا أول المسلمين من هذه الأمة. 163 لا شريك له في العبادة، كما أنه ليس له شريك في الملك والتدبير، وليس هذا الإخلاص

## تفسير السعدي

- من وزر المباشر شيء. ثم إلى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون من خير وشر، ويجازيكم على ذلك، أوفى الجزاء. 164
- أساء فعليها ولا تزر وازرة وزر أخرى بل كل عليه وزر نفسه، وإن كان أحد قد تسبب في ضلال غيره ووزره، فإن عليه وزر التسبب من غير أن ينقص الفقراء العاجزين. ثم رغب ورهب بذكر الجزاء فقال: ولا تكسب كل نفس من خير وشر إلا عليها كما قال تعالى: من عمل صالحا فلنفسه ومن رب كل شيء، فالخلق كلهم داخلون تحت ربوبيته، منقادون لأمره؟ فتعين علي وعلى غيري، أن يتخذ الله ربا، ويرضى به، وألا يتعلق بأحد من المربوبين قل أغير الله من المخلوقين أبغي ربا أي: يحسن ذلك ويليق بي، أن أتخذ غيره، مربيا ومدبرا والله
- الموبقات. آخر تفسير سورة الأنعام، فله الحمد والثناء وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. 165
- ليبلوكم فيما آتاكم فتفاوتت أعمالكم. إن ربك سريع العقاب لمن عصاه وكذب بآياته وإنه لغفور رحيم لمن آمن به وعمل صالحا، وتاب من الله في الأرض، وسخر لكم جميع ما فيها، وابتلاك، لينظر كيف تعملون. ورفع بعضكم فوق بعض درجات في القوة والعافية، والرزق والخلق والخلق. وهو الذي جعلكم خلانف الأرض أي: يخلف بعضكم بعضا، واستخلفكم
- نحوه. فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير فإذا كان وحده النافع الضار، فهو الذي يستحق أن يفرد بالعبودية والإلهية. 17
- ومن أدلة توحيده، أنه تعالى المنفرد بكشف الضراء، وجلب الخير والسراء. ولهذا قال: وإن يمسسك الله بضر من فقر، أو مرض، أو عسر، أو غم، أو هم أو الحكيم فيما أمر به ونهى، وأتاب، وعاقب، وفيما خلق وقدر. الخبر المطلع على السرائر والضمائر وخفايا الأمور، وهذا كله من أدلة التوحيد. 18
- إلا بمشيئته، وليس للملوك وغيرهم الخروج عن ملكه وسلطانه، بل هم مدبرون مقهورون، فإذا كان هو القاهر وغيره مقهورا، كان هو المستحق للعبادة. وهو وهو القاهر فوق عباده فلا يتصرف منهم متصرف، ولا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن،
- والتدبير. وإنني بريء مما تشركون به، من الأوثان، والأنداد، وكل ما أشرك به مع الله. فهذا حقيقة التوحيد، إثبات الإلهية لله ونفيها عما عداه. 19
- لأنفسنا ما اختاره الله لنبيه، الذي أمرنا الله بالافتداء به، فقال: قل إنما هو إله واحد أي: منفرد، لا يستحق العبودية والإلهية سواه، كما أنه المنفرد بالخلق أقوالهم على إثبات أن مع الله آلهة أخرى، مع أنه لا يقوم على ما قالوه أدنى شبهة، فضلا عن الحجج، واختار لنفسك أي: الشهادتين، إن كنت تعقل، ونحن نختار شريك له، وشهادة أهل الشرك، الذين مرجت عقولهم وأديانهم، وفسدت آراؤهم وأخلاقهم، وأضحكوا على أنفسهم العقلاء. بل خالفوا بشهادة فطرتهم، وتناقضت فلا تشهد معهم. فوازن بين شهادة أصدق القائلين، ورب العالمين، وشهادة أزكى الخلق المؤيدة بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة، على توحيد الله وحده لا هي أكبر الشهادات على توحيده، قال: قل لهؤلاء المعارضين لخبر الله، والمكذبين لرسله أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد أي: إن شهدوا، القرآن، فيه النذارة لكم أيها المخاطبون، وكل من بلغه القرآن إلى يوم القيامة، فإن فيه بيان كل ما يحتاج إليه من المطالب الإلهية. لما بين تعالى شهادته التي الأليم. والنذارة إنما تكون بذكر ما ينذرهم به، من الترغيب، والترهيب، وبيان الأعمال، والأقوال، الظاهرة والباطنة، التي من قام بها، فقد قبل النذارة، فهذا هذه الشهادة؟ وقوله: وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أي وأوحى الله إلي هذا القرآن الكريم لمنفعتكم ومصلحتكم، لأنذركم به من العقاب وهو مع ذلك يصدق بإقراره وبفعله، فيؤيده على ما قال بالمعجزات الباهرة، والآيات الظاهرة، وينصره، ويخذل من خالفه وعاداه، فأني: شهادة أكبر من بحكمته وقدرته أن يقر كاذبا عليه، زاعما أن الله أرسله ولم يرسله، وأن الله أمره بدعوة الخلق ولم يأمره، وأن الله أباح له دماء من خالفه، وأموالهم ونساءهم، بإقراره وفعله، فيقرني على ما قلت لكم، كما قال تعالى ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فإنه حكيم قدير، فلا يليق أي شيء أكبر شهادة على هذا الأصل العظيم. قل الله أكبر شهادة، فهو شهيد بيني وبينكم فلا أعظم منه شهادة، ولا أكبر، وهو يشهد لي قل لهم لما بينا لهم الهدى، وأوضحنا لهم المسالك:
- فيها، وهي: الصراط المتضمنة للعلم بالحق والعمل به، كما قال تعالى: وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله 2
- الله ووعيده، ووقوع الجزاء يوم القيامة. وذكر الله الظلمات بالجمع، لكثرة موادها وتنوع طرقها. ووحد النور لكون الصراط الموصلة إلى الله واحدة لا تعدد التي ينتقل العباد إليها من هذه الدار، فيجازيهم بأعمالهم من خير وشر. ثم مع هذا البيان التام وقطع الحجة أنتم تفترون أي: تشكون في وعد به وتمتحنون، وتبتلون بما يرسل إليكم به رسله. ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويعمركم ما يتذكر فيه من تذكر. وأجل مسمى عنده وهي: الدار الآخرة، هو الذي خلقكم من طين وذلك بخلق مادتهم وأبيكم آدم عليه السلام. ثم قضى أجلا أي: ضرب لمدة إقامتكم في هذه الدار أجلا، تتمتعون
- الإيمان والتوحيد، وحرموها الفضل من الملك المجيد فهم لا يؤمنون فإذا لم يوجد الإيمان منهم، فلا تسأل عن الخسار والشر، الذي يحصل لهم. 20
- بها، لما عندهم من البشارات به، ونعوته التي تنطبق عليه ولا تصلح لغيره، والمعنيان متلازمان. قوله الذين خسروا أنفسهم أي: فوتوها ما خلقت له، من البنين الملازمين في الغالب لأبائهم. ويحتمل أن الضمير عائد إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وأن أهل الكتاب لا يشتبهون بصحة رسالته ولا يمترون من اليهود والنصارى. يعرفونه أي: يعرفون صحة التوحيد كما يعرفون أبناءهم أي: لا شك عندهم فيه بوجه، كما أنهم لا يشتبهون بأولادهم، خصوصا لما بين شهادته وشهادة رسوله على التوحيد، وشهادة المشركين الذين لا علم لديهم على ضده، ذكر أن أهل الكتاب
- بإدعاء الشريك له والعوين، أو زعم أنه ينبغي أن يعبد غيره أو اتخذ له صاحبة أو ولدا، وكل من رد الحق الذي جاء به الرسل أو من قام مقامهم. 21
- افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته، التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبدا. ويدخل في هذا، كل من كذب على الله،

## تفسير السعدي

أي: لا أعظم ظلما وعنادا، ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتماعا،

وأنتهم يسألون ويوبخون فيقال لهم أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أي إن الله ليس له شريك، وإنما ذلك على وجه الزعم منهم والافتراء. 22  
يخبر تعالى عن مآل أهل الشرك يوم القيامة،

ثم لم تكن فتنتهم أي: لم يكن جوابهم حين يفتنون ويختبرون بذلك السؤال، إلا إنكارهم لشركهم وحلفهم أنهم ما كانوا مشركين. 23

بالخسار على أنفسهم وضرهم والله غاية الضرر وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء الذين زعموهم مع الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. 24  
انظر متعجبا منهم ومن أحوالهم كيف كذبوا على أنفسهم أي: كذبوا كذبا عاد

الكتاب الحاوي لأنباء السابقين واللاحقين، والحقائق التي جاءت بها الأنبياء والمرسلون، والحق، والقسط، والعدل التام من كل وجه، أساطير الأولين؟. 25  
الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين أي: مأخوذ من صحف الأولين المسطورة، التي ليست عن الله، ولا عن رسله. وهذا من كفرهم، وإلا فكيف يكون هذا  
أن الآيات البينات الدالة على الحق، لا ينقادون لها، ولا يصدقون بها، بل يجادلون بالباطل الحق ليدحضوه. ولهذا قال: حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول  
كلامه عن أمثال هؤلاء. وفي آذانهم جعلنا وقرا أي: صمما، فلا يستمعون ما ينفعهم. وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وهذا غاية الظلم والعناد،  
من قصد الحق واتباعه، ولهذا لا ينتفعون بذلك الاستماع، لعدم إرادتهم للخير وجعلنا على قلوبهم أكنة أي: أغشية وأغشية، لنلا يفقهوا كلام الله، فسان  
أي: ومن هؤلاء المشركين، قوم يحملهم بعض الأوقات، بعض الدواعي إلى الاستماع لما تقول، ولكنه استماع خال

الحق، ويحذرونهم منه، ويبعدون بأنفسهم عنه، ولن يضرؤا الله ولا عباده المؤمنين، بفعلهم هذا، شيئا. وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون بذلك. 26  
وهم: أي المشركون بالله، المكذبون لرسوله، يجمعون بين الضلال والإضلال، يهتدون الناس عن اتباع

قلوبهم عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم، أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب. ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 27  
من قبل فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم، أنهم كانوا كاذبين، ويبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة، صدتهم عن ذلك، وصرفت  
أقروا على أنفسهم بالكفر والفسوق، وتمنوا أن لو يردون إلى الدنيا. فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون  
مخبرا عن حال المشركين يوم القيامة، وإحضارهم النار. ولو ترى إذ وقفوا على النار ليوبخوا ويقرعوا، لرأيت أمرا هائلا، وحالا مفضعة. ولرأيتهم كيف  
تفسير الآيتين 27 و 28: يقول تعالى

قلوبهم عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم، أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب. ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون 28  
من قبل فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم، أنهم كانوا كاذبين، ويبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة، صدتهم عن ذلك، وصرفت  
أقروا على أنفسهم بالكفر والفسوق، وتمنوا أن لو يردون إلى الدنيا. فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون  
مخبرا عن حال المشركين يوم القيامة، وإحضارهم النار. ولو ترى إذ وقفوا على النار ليوبخوا ويقرعوا، لرأيت أمرا هائلا، وحالا مفضعة. ولرأيتهم كيف  
تفسير الآيتين 27 و 28: يقول تعالى

منكرين للبعث إن هي إلا حياتنا الدنيا أي: ما حقيقة الحال والأمر وما المقصود من إيجادنا، إلا الحياة الدنيا وحدها. وما نحن بمبعوثين 29  
وقالوا

وجهركم ويعلم ما تكسبون، فاحذروا معاصيه وارغبوا في الأعمال التي تقرّبكم منه، وتدينكم من رحمته، واحذروا من كل عمل يبعدكم منه ومن رحمته. 3  
متعبدون لربهم، خاضعون لعظمته، مستكينون لعزه وجلاله، الملائكة المقربون، والأنبياء والمرسلون، والصديقون، والشهداء والصالحون. وهو تعالى يعلم سرهم  
أي: وهو المألوه المعبود في السماوات وفي الأرض، فأهل السماء والأرض،

أليس هذا الذي ترون من العذاب بالحق قالوا بلى وربنا فأقروا، واعترفوا حيث لا ينفعهم ذلك، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون 30  
أي: ولو ترى الكافرين إذ وقفوا على ربهم لرأيت أمرا عظيما، وهولا جسيما، قال لهم موبخا ومقرعا:

على ظهورهم ألا ساء ما يزرون فإن وزرهم وزر يثقلهم، ولا يقدرّون على التخلص منه، ولهذا خلدوا في النار، واستحقوا التأبيد في غضب الجبار. 31  
الساعة وهم على أقبح حال وأسوئه، فأظهروا غاية الندم. و قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ولكن هذا تحسر ذهب وقته، وهم يحملون أوزارهم  
أي: قد خاب وخسر، وحرّم الخير كله، من كذب بقاء الله، فأوجب له هذا التكذيب، الاجترار على المحرمات، واقتراف الموبقات حتى إذا جاءتهم  
وإنما هي للمتقين الذين يفعلون أوامر الله، ويتركون نواهيه وزواجره أفلا تعقلون أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تدركون، أي الدارين أحق بالإيثار. 32  
يتقون في ذاتها وصفاتها، وبقائها ودوامها، وفيها ما تشتهيها الأنفس، وتلذ الأعين، من نعيم القلوب والأرواح، وكثرة السرور والأفراح، ولكنها ليست لكل أحد،  
لعب في الأبدان ولهو في القلوب، فالقلوب لها والهة، والنفوس لها عاشقة، والهوموم فيها متعلقة، والاشتغال بها كلعب الصبيان. وأما الآخرة، فإنها خير للذين  
هذه حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة، أما حقيقة الدنيا فإنها لعب ولهو،

حتى إنهم كانوا يسمونه قبل البعثة الأمين. ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون أي: فإن تكذيبهم لآيات الله التي جعلها الله على يدك. 33



## تفسير السعدي

- والأحوال الغالية. فلا تظن أن قولهم صادر عن اشتباه في أمرك، وشك فيك. فإنهم لا يكذبونك لأنهم يعرفون صدقك، ومدخلك ومخرجك، وجميع أحوالك، أي: قد نعلم أن الذي يقول المكذبون فيك يحزنك ويسوءك، ولم نأمرك بما أمراك به من الصبر إلا لتحصل لك المنازل العالية على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا فاصبر كما صبروا، تظفر كما ظفروا. ولقد جاءك من نبي المرسلين ما به يثبت فؤادك، ويطمئن به قلبك. 34
- ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا
- الهدى ولكن حكمته تعالى، اقتضت أنهم يبقون على الضلال. فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعرفون حقائق الأمور، ولا ينزلونها على منازلها. 35
- أو سلما في السماء فتأتيهم بآية أي: فافعل ذلك، فإنه لا يفيدهم شيئا، وهذا قطع لطمعه في هدايته أشباه هؤلاء المعاندين. ولو شاء الله لجمعهم على من حرصك عليهم، ومحبتك لإيمانهم، فابذل وسعك في ذلك، فليس في مقدورك، أن تهدي من لم يرد الله هدايته. فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض وإن كان كبر عليك إعراضهم أي: شق عليك،
- المعاد، وأنه سيبعث الأموات يوم القيامة ثم يبينهم بما كانوا يعملون. ويكون هذا، متضمنا للترغيب في الاستجابة لله ورسوله، والترهيب من عدم ذلك. 36
- بما ينجيهم، فإنهم لا يستجيبيون لك، ولا ينادون، وموعدهم القيامة، يبعثهم الله ثم إليه يرجعون، ويحتمل أن المراد بالآية، على ظاهرها، وأن الله تعالى يقرر ثم إليه يرجعون يحتمل أن المعنى، مقابل للمعنى المذكور. أي: إنما يستجيب لك أحياء القلوب، وأما أموات القلوب، الذين لا يشعرون بسعادتهم، ولا يحسون سماع الأذن، يشترك فيه البر والفاجر. فكل المكلفين قد قامت عليهم حجة الله تعالى، باستماع آياته، فلم يبق لهم عذر، في عدم القبول. والموتى يبعثهم الله رسالتك، وينقاد لأمرك ونهيك الذين يسمعون بقلوبهم ما ينفعهم، وهم أولو الأبواب والأسماع. والمراد بالسماع هنا: سماع القلب والاستجابة، وإلا فمجرد يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: إنما يستجيب لدعوتك، ويلبي
- وارتياب، فتبارك الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأيده بالآيات البينات ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، وإن الله لسميع عليم. 37
- على ما جاء به من الحق، بحيث يتمكن العبد في كل مسألة من مسائل الدين، أن يجد فيما جاء به عدة أدلة عقلية ونقلية، بحيث لا تبقي في القلوب أدنى شك لا تبديل لها، ومع هذا، فإن كان قصدهم الآيات التي تبين لهم الحق، وتوضح السبيل، فقد أتى محمد صلى الله عليه وسلم، بكل آية قاطعة، وحجة ساطعة، دالة ولكن أكثر الناس لا يعلمون فهم لجهلهم وعدم علمهم يطلبون ما هو شر لهم من الآيات، التي لو جاءتهم، فلم يؤمنوا بها لعوجلوا بالعقاب، كما هي سنة الله، التي الآيات. قل مجيبا لقولهم: إن الله قادر على أن ينزل آية فليس في قدرته قصور عن ذلك، كيف، وجميع الأشياء منقادة لعزته، مذنة لسلطانه؟! لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي باله والملائكة قبلا وعنادا: لولا نزل عليه آية من ربه يعنون بذلك آيات الاقتراح، التي يقترحونها بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة. كقولهم: وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر وقالوا أي: المكذبون بالرسول، تعنتا
- في ذلك الموقف العظيم الهائل، فيجازيهم بعدله وإحسانه، ويمضي عليهم حكمه الذي يحمده عليه الأولون والآخرون، أهل السماء وأهل الأرض. 38
- كالمعنى في قوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وقوله ثم إلى ربهم يحشرون أي: جميع الأمم تحشر وتجمع إلى الله في موقف القيامة، بجميع الموجودات، ومشينته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد. ويحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن، وأن المعنى الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط شيئا من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم. وفي هذه ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا، كما كانت نافذة فيكم. ما فرطنا في الكتاب من شيء أي: ما أهملنا ولا أغفلنا، في اللوح المحفوظ أي: جميع الحيوانات، الأرضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها. كما خلقناكم،
- إضلال الله إياهم، ف من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لأنه المنفرد بالهداية والإضلال، بحسب ما اقتضاه فضله وحكمته. 39
- سماع الحق وبكم عن النطق به، فلا ينطقون إلا بباطل. في الظلمات أي: منغمسون في ظلمات الجهل، والكفر، والظلم، والعناد، والمعاصي. وهذا من هذا بيان لحال المكذبين بآيات الله، المكذبين لرسله، أنهم قد سدوا على أنفسهم باب الهدى، وفتحوا باب الردى، وأنهم صم عن قاطعة، الداعية لهم إلى اتباعه وقبوله إلا كانوا عنها معرضين لا يلقون لها بالا، ولا يصغون لها سمعا، قد انصرف قلوبهم إلى غيرها، وولوها أدبارهم. 4
- المشركين، وشدة تكذيبهم وعداوتهم، وأنهم لا تنفع فيهم الآيات حتى تحل بهم المثالث، فقال: وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الدالة على الحق دالة هذا إخبار منه تعالى عن إعراض
- كنتم صادقين أي: إذا حصلت هذه المشقات، وهذه الكروب، التي يضطر إلى دفعها، هل تدعون آلهاكم وأصنامكم، أم تدعون ربكم الملك الحق المبين. 40
- يقول تعالى لرسوله: قل للمشركين بالله، العادلين به غيره: رأيتمكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن
- فما بالك في الرخاء تشركون به، وتجعلون له شركاء؟ هل دلكم على ذلك، عقل أو نقل، أم عندكم من سلطان بهذا؟ بل تفترون على الله الكذب؟ 41
- تسنونهم، لعلمكم أنهم لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا. وتخلصون لله الدعاء، لعلمكم أنه هو النافع الضار، المجيب لدعوة المضطر، بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتسبون ما تشركون فإذا كانت هذه حالكم مع أندادكم عند الشدائد،

## تفسير السعدي

- بآياتنا. فأخذناهم بالبأساء والضراء أي: بالفقر والمرض والآفات، والمصائب، رحمة منا بهم. لعلهم يتضرعون إلينا، ويلجأون عند الشدة إلينا. 42
- يقول تعالى: ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك من الأمم السالفين، والقرون المتقدمين، فكذبوا رسلنا، وجحدوا فلا تلين للحق. وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فظنوا أن ما هم عليه دين الحق، فتمتعوا في باطلهم برهة من الزمان، ولعب بعقولهم الشيطان. 43
- فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم أي: استحجرت
- هم مبلسون أي: آيسون من كل خير، وهذا أشد ما يكون من العذاب، أن يؤخذوا على غرة، وغفلة وطمأنينة، ليكون أشد لعقوبتهم، وأعظم لمصيبتهم. 44
- فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الدنيا ولذاتها وغفلاتها. حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا
- لله رب العالمين على ما قضاه وقدره، من هلاك المكذبين. فإن بذلك، تتبين آياته، وإكرامه لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وصدق ما جاءت به المرسلون. 45
- فقطع دابر القوم الذين ظلموا أي اصطلموا بالعذاب، وتقطعت بهم الأسباب. والحمد
- أي: نوعها، ونأتي بها في كل فن، ولتنير الحق، وتبين سبيل المجرمين. ثم هم مع هذا البيان التام يصدفون عن آيات الله، ويعرضون عنها. 46
- غير الله يأتي بذلك، فلم عبدتم معه من لا قدرة له على شيء إلا إذا شاء الله. وهذا من أدلة التوحيد وبطلان الشرك، ولهذا قال: انظر كيف نصرف الآيات والإلهية فقال: قل رأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم فبقيتم بلا سمع ولا بصر ولا عقل من إله غير الله يأتيكم به فإذا لم يكن يخبر تعالى، أنه كما أنه هو المتفرد بخلق الأشياء وتديرها، فإنه المتفرد بالوحدانية
- إلا القوم الظالمون الذين صاروا سببا لوقوع العذاب بهم، بظلمهم وعنادهم. فاحذروا أن تقيموا على الظلم، فإنه الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي. 47
- قل رأيتمكم أي: أخبروني إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة أي: مفاجأة أو قد تقدم أمامه مقدمات، تعلمون بها وقوعه. هل يهلك
- آمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر، وأصلح إيمانه وأعماله ونيته فلا خوف عليهم فيما يستقبل ولا هم يحزنون على ما مضى. 48
- والمنذر به، والأعمال التي من عملها، حقت عليه النذارة. ولكن الناس انقسموا بحسب إجاباتهم لدعوتهم وعدمها إلى قسمين: فمن آمن وأصلح أي: يذكر تعالى، زبدة ما أرسل به المرسلين؛ أنه البشارة والنذارة، وذلك مستلزم لبيان المبشر والمبشر به، والأعمال التي إذا عملها العبد، حصلت له البشارة. والمنذر
- والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب أي: ينالهم، ويذوقونه بما كانوا يفسقون 49
- جهد إيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين 5
- وافترأهم، وكانوا يستهزئون بالبعث والجنة والنار، فإذا كان يوم القيامة قيل للمكذبين: هذه النار التي كنتم بها تكذبون وقال تعالى: وأقسموا بالله به فاستحقوا العقاب الشديد. فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون أي: فسوف يرون ما استهزأوا به، أنه الحق والصدق، ويبين الله للمكذبين كذبهم فقد كذبوا بالحق لما جاءهم والحق حقه أن يتبع، ويشكر الله على تيسيره لهم، وإتيانهم به، فقابلوه بضد ما يجب مقابلته
- إلي، وبين من لم يكن كذلك قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون فتنزّلون الأشياء منازلها، وتختارون ما هو أولى بالاختيار والإيثارة؟ 50
- بما أوحى إلي أن تلزموني أي ادعي لنفسك غير مرتبتي. وهل هذا إلا ظلم منكم، وعناد، وتمرد؟ قل لهم في بيان الفرق، بين من قبل دعوتي، وانقاد لما أوحى إلى ذلك. فإذا عرفت منزلتي، فلا شيء يبيح الباحث معي، أو يطلب مني أمرا لست أدعيه، وهل يلزم الإنسان، بغير ما هو بصدد؟. ولأي شيء إذا دعوتكم، التي أنزلني الله بها. إن أتبع إلا ما يوحى إلي أي: هذا غاييتي ومنتهى أمري وأعلاه، إن أتبع إلا ما يوحى إلي، فأعمل به في نفسي، وأدعو الخلق كلهم عالم الغيب والشهادة. فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول. ولا أقول لكم إنني ملك فأكون نافذ التصرف قويا، فلست أدعي فوق منزلتي، رزقه ورحمته. ولا أعلم الغيب وإنما ذلك كله عند الله فهو الذي ما يفتح للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده، وهو وحده يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم؛ المقترحين عليه الآيات، أو القائلين له: إنما تدعوننا لننتخذك إلها مع الله. ولا أقول لكم عندي خزائن الله أي: مفاتيح لهم، لأن الخلق كلهم، ليس لهم من الأمر شيء. لعلهم يتقون الله، بامتنال أوامره، واجتناب نواهيه، فإن الإنذار موجب لذلك، وسبب من أسبابه. 51
- ما يضرهم. ليس لهم من دونه أي: لا من دون الله ولي ولا شفيع أي: من يتولى أمرهم فيحصل لهم المطلوب، ويدفع عنهم المحذور، ولا من يشفع
- كلهم، ولكن إنما ينتفع به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم فهم متيقنون للانتقال، من هذه الدار، إلى دار القرار، فلذلك يستصحبون ما ينفعهم ويدعون هذا القرآن نذارة للخلق
- فإننا نستحيي أن ترائنا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء، فحملة حبه لإسلامهم، واتباعهم له، فحدثته نفسه بذلك. فعاتبه الله بهذه الآية ونحوها. 52
- أن أناسا من قريش، أو من أجلاف العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلانا وفلانا، أناسا من فقراء الصحابة، صبر نفسه معهم، وأحسن معاملتهم، ولأن لهم جانبه، وحسن خلقه، وقربهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه رضي الله عنهم. وكان سبب نزول هذه الآيات، عمله الحسن، وعمله القبيح. فتطردهم فتكون من الظالمين وقد امتثل صلى الله عليه وسلم هذا الأمر، أشد امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين وإن كانوا فقراء، والأعزاء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أدلاء. ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء أي: كل له حسابه، وله سوى ذلك الغرض الجليل، فهؤلاء ليسوا مستحقين للطرد والإعراض عنهم، بل مستحقون لمواالاتهم ومحبتهم، وإدنائهم، وتقريبهم، لأنهم الصفوة من الخلق

## تفسير السعدي

- من الملازمين لدعاء ربهم، دعاء العبادة بالذكر والصلاة ونحوها، ودعاء المسألة، في أول النهار وآخره، وهم قاصدون بذلك وجه الله، ليس لهم من الأغراض ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أي: لا تطرد عنك، وعن مجالستك، أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم، لا يضع فضله عند من ليس له بأهل، وهؤلاء المعترضون بهذا الوصف، بخلاف من من الله عليهم بالإيمان، من الفقراء وغيرهم فإنهم هم الشاكرون. 53
- بالشاكرين الذين يعرفون النعمة، ويقرون بها، ويقومون بما تقتضيه من العمل الصالح، فيضع فضله ومنته عليهم، دون من ليس بشاكر، فإن الله تعالى حكيم، بينا فمنعهم هذا من اتباع الحق، لعدم زكائهم، قال الله مجيباً لكلامهم المتضمن الاعتراض على الله في هداية هؤلاء، وعدم هدايتهم هم. أليس الله بأعلم بالغنى أو الشرف، وإن لم يكن صادقا في طلب الحق، كانت هذه عقبة ترد عن اتباع الحق. وقالوا محتقرين لمن يرونهم دونهم: هؤلاء من الله عليهم من الله بالإيمان على الفقير أو الوضيع. كان ذلك محل محنة للغني والشریف فإن كان قصده الحق واتباعه، آمن وأسلم، ولم يمنعه من ذلك مشاركته الذي يراه دونه ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أي: هذا من ابتلاء الله لعباده، حيث جعل بعضهم غنياً؛ وبعضهم فقيراً، وبعضهم شريفاً، وبعضهم وضيعاً، فإذا من وكذلك فتننا بعضهم ببعض
- ما فسد من الأعمال الظاهرة والباطنة. فإذا وجد ذلك كله فإنه غفور رحيم أي: صب عليهم من مغفرته ورحمته، بحسب ما قاموا به، مما أمرهم به. 54
- أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح أي: فلا بد مع ترك الذنوب والإقلاع، والندم عليها، من إصلاح العمل، وأداء ما أوجب الله، وإصلاح وطريق، يوصل لذلك. ورهبهم من الإقامة على الذنوب، وأمرهم بالتوبة من المعاصي، لينالوا مغفرة ربهم وجوده، ولهذا قال: كتب ربكم على نفسه الرحمة المؤمنون، فحيهم ورحب بهم ولقهم منك تحية وسلاماً، وبشرهم بما ينشط عزائمهم وهمهم، من رحمة الله، وسعة جوده وإحسانه، وحثهم على كل سبب عن طرد المؤمنين القانتين، أمره بمقابلتهم بالإكرام والإعظام، والتبجيل والاحترام، فقال: وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم أي: وإذا جاءك ولما نهى الله رسوله،
- فإن سبيل المجرمين إذا استبان وتوضحت، أمكن اجتنابها، والبعد منها، بخلاف ما لو كانت مشتبهة ملتبسة، فإنه لا يحصل هذا المقصود الجليل. 55
- الهدى من الضلال، والغى والرشد، ليهتدي بذلك المهتدون، ويتبين الحق الذي ينبغي سلوكه. ولتستبين سبيل المجرمين الموصلة إلى سخط الله وعذابه، وكذلك تفصل الآيات أي: نوضحها ونبينها، ونميز بين طريق
- وما أنا من المهتدين بوجه من الوجوه. وأما ما أنا عليه، من توحيد الله وإخلاص العمل له، فإنه هو الحق الذي تقوم عليه البراهين والأدلة القاطعة. 56
- هذا باطل، وليس لكم فيه حجة بل ولا شبهة، ولا اتباع الهوى الذي اتبعه أعظم الضلال، ولهذا قال قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا أي: إن اتبعت أهواءكم يدعون مع الله آلهة أخرى: إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الأنداد والأوثان، التي لا تملك نفعا ولا ضرا، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، فإن يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المشركين الذين
- من حي عن بينة وهو خير الفاصلين بين عباده، في الدنيا والآخرة، فيفصل بينهم فصلاً، يحمد عليه، حتى من قضى عليه، ووجه الحق نحوه. 57
- على حكمه مطلقاً مدفوع، وقد أوضح السبيل، وقص على عباده الحق قصاً، قطع به معاذيرهم، وانقطعت له حجتهم، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى إن الحكم إلا لله فكما أنه هو الذي حكم بالحكم الشرعي، فأمر ونهى، فإنه سيحكم بالحكم الجزائي، فيثيب ويعاقب، بحسب ما تقتضيه حكمته. فالاعتراض على تكذيبكم، فاعلموا أن العذاب واقع بكم لا محالة، وهو عند الله، هو الذي ينزله عليكم، إذا شاء، وكيف شاء، وإن استعجلتم به، فليس بيدي من الأمر شيء صحتها وصدقها، بحسب ما من الله به عليهم. و لكنكم أيها المشركون كذبتم به وهو لا يستحق هذا منكم، ولا يليق به إلا التصديق، وإذا استمررتم يقين مبين، بصحته، وبطلان ما عداه، وهذه شهادة من الرسول جازمة، لا تقبل التردد، وهو أعدل الشهود على الإطلاق. فصدق بها المؤمنون، وتبين لهم من وأنا على بينة من ربي أي: على
- وهو يعافهم، ويرزقهم، ويسدي عليهم نعمه، الظاهرة والباطنة. والله أعلم بالظالمين لا يخفى عليه من أحوالهم شيء، فيمهلهم ولا يهملهم. 58
- تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم فأوقعته بكم ولا خير لكم في ذلك، ولكن الأمر، عند الحليم الصبور، الذي يعصيه العاصون، ويتجرأ عليه المتجرئون، قل للمستعجلين بالعذاب، جهلاً وعناداً وظلماً، لو أن عندي ما
- أحد ثناء عليه، بل كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث. 59
- أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط. وجل من إله، لا يحصي بيه عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها. وأن الخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على أصناف النباتات. ولا رطب ولا يابس هذا عموم بعد خصوص إلا في كتاب مبين وهو اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها. ولا حبة في ظلمات الأرض من حبوب التمار والزروع، وحبوب البذور التي يبذر الخلق؛ وبذور النواصب البرية التي ينشئ منها من حيواناتها، ومعادنها، وصيدها، وغير ذلك مما تحويه أرجاؤها، ويشتمل عليه ماؤها. وما تسقط من ورقة من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفار، والأنبياء المرسلين، فضلاً عن غيرهم من العالمين، وأنه يعلم ما في البراري والقفار، من الحيوانات، والأشجار، والرمال والحصى، والتراب، وما في البحار الآتية العظيمة، من أعظم الآيات تفصيلاً لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها، التي يطلع منها ما شاء من خلقه. وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين،

فأهلكهم الله بذنوبهم وأنشأ من بعدهم قرناً آخرين فهذه سنة الله ودأبه، في الأمم السابقين واللاحقين، فاعتبروا بمن قص الله عليكم نبأهم. 6 منها ما يشتهون، فلم يشكروا الله على نعمه، بل أقبلوا على الشهوات، وألهتهم أنواع اللذات، فجاءتهم رسلهم بالبينات، فلم يصدقوها، بل ردوها وكذبوها والبنين والرفاهية. وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فينبت لهم بذلك ما شاء الله، من زروع وثمار، يتمتعون بها، ويتناولون كم أهلكنا من قبلهم من قرن أي: كم تتابع إهلاكنا للأمم المكذبين، وأمهلتناهم قبل ذلك الإهلاك، بأن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لهؤلاء من الأموال أمرهم أن يعتبروا بالأمم السالفة فقال: ألم يروا

الحياة، وأجل آخر فيما بعد ذلك، وهو البعث بعد الموت، ولهذا قال: ثم إليه مرجعكم لا إلى غيره ثم ينبئكم بما كنتم تعملون من خير وشر. 60 يعلم ما جرحوا وما كسبوا من تلك الأعمال. ثم لا يزال تعالى هكذا، يتصرف فيهم، حتى يستوفوا آجالهم. فيقضى بهذا التدبير، أجل مسمى، وهو: أجل وأنه يتوفاهم بالليل، وفاة النوم، فتهدأ حركاتهم، وتستريح أبدانهم، ويبعثهم في اليقظة من نومهم، ليتصرفوا في مصالحهم الدينية والدنيوية وهو تعالى واحتجاج على المشركين به، وبيان أنه تعالى المستحق للحب والتعظيم، والإجلال والإكرام، فأخبر أنه وحده، المتفرد بتدبير عبادته، في يقظتهم ومنامهم، هذا كله، تقرير لألوهيته،

وهم لا يفرطون في ذلك، فلا يزيدون ساعة مما قدره الله وقضاه ولا ينقصون، ولا ينفذون من ذلك، إلا بحسب المراسيم الإلهية والتقادير الربانية. 61 ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فهذا حفظه لهم في حال الحياة. حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا أي الملائكة الموكلون بقبض الأرواح. يحفظون العبد ويحفظون عليه ما عمل، كما قال تعالى: وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون عن اليمين وعن الشمال قعيد ينفذ فيهم إرادته الشاملة، ومشينته العامة، فليسوا يملكون من الأمر شيئاً، ولا يتحركون ولا يسكنون إلا بإذنه، ومع ذلك، فقد وكل بالعباد حفظة من الملائكة، وهو تعالى القاهر فوق عبادته

إلى معرفته، وذهل عقولهم في حبه. ولما مقتوا أنفسهم أشد المقت، حيث انقادوا لداعي الشيطان، الموجب للخزي والخسران، ولكنهم قوم لا يعقلون. 62 حلم الله عليهم، وعفوه ورحمته بهم، وهم يبارزونهم بالشرك والكفران، ويتجرءون على عظمته بالإفك والبهتان، وهو يعافهم ويرزقهم لانجذبت، دواعيهم فأين للمشركين العدول عن من هذا وصفه ونعته، إلى عبادة من ليس له من الأمر شيء، ولا عنده مثقال ذرة من النفع، ولا له قدرة وإرادة؟! أما والله لو علموا بالخلق والتدبير، وهو القاهر فوق عبادته، وقد اعتنى بهم كل الاعتناء، في جميع أحوالهم، وهو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، وهو أسرع الحاسبين لكمال علمه وحفظه لأعمالهم، بما أثبتته في اللوح المحفوظ، ثم أثبتته ملائكته في الكتاب، الذي بأيديهم، فإذا كان تعالى هو المنفرد ثم ردوا إليه ليتولى الحكم فيهم بالجزاء، ويثيبهم على ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم على الشرور والسيئات، ولهذا قال: ألا له الحكم وحده لا شريك له إلى الله مولاهم الحق أي: الذي تولاهم بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير، ثم تولاهم بأمره ونهيته، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، ثم بعد الموت والحياة البرزخية، وما فيها من الخير والشر ردوا

الشدة التي وقعنا فيها لنكونن من الشاكرين لله، أي المعترفين بنعمته، الواضعين لها في طاعة ربهم، الذين حفظوها عن أن يبذلوها في معصيته. 63 يتعسر عليكم وجه الحيلة، فتدعون ربكم تضرباً بقلب خاضع، ولسان لا يزال يلهج بحاجته في الدعاء، وتقولون وأنتم في تلك الحال: لئن أنجانا من هذه ملزما لهم بما أثبتوه من توحيد الربوبية، على ما أنكروا من توحيد الإلهية من ينجيكم من ظلمات البر والبحر أي: شداًئهما ومشقاتهما، وحين يتعذر أو أي قل للمشركين بالله، الداعين معه آلهة أخرى،

الكروب العامة. ثم أنتم تشركون لا تفنون لله بما قلتم، وتنسون نعمه عليكم، فأبي برهان أوضح من هذا على بطلان الشرك، وصحة التوحيد؟ 64 قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب أي: من هذه الشدة الخاصة، ومن جميع

ونأتي بها على أوجه كثيرة وكلها دالة على الحق. لعلمهم يفقهون أي: يفهمون ما خلقوا من أجله، ويفقهون الحقائق الشرعية، والمطالب الإلهية. 65 منهم، بأن أذاق بعضهم بأس بعض، وسلط بعضهم على بعض، عقوبة عاجلة يراها المعتبرون، ويشعر بها العالمون انظر كيف نصرف الآيات أي: ننوعها، أنه قادر على ذلك. ولكن من رحمته، أن رفع عن هذه الأمة العذاب من فوقهم بالرجم والحصب، ونحوه، ومن تحت أرجلهم بالخسف. ولكن عاقب من عاقب أي: في الفتنة، وقتل بعضهم بعضاً. فهو قادر على ذلك كله، فاحذروا من الإقامة على معاصيه، فيصيبكم من العذاب ما يتلفكم ويمحقكم، ومع هذا فقد أخبر أي: هو تعالى قادر على إرسال العذاب إليكم من كل جهة. من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم أي: يخلطكم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض أي: بالقرآن قومك وهو الحق الذي لا مربة فيه، ولا شك يعتريه. قل لست عليكم بوكيل أحفظ أعمالكم، وأجازيكم عليها، وإنما أنا منذر ومبلغ. 66 وكذب به

لكل نبيا مستقر أي: وقت يستقر فيه، وزمان لا يتقدم عنه ولا يتأخر. وسوف تعلمون ما توعدون به من العذاب. 67

الظالمين يشمل الخائضين بالباطل، وكل متكلم بمحرم، أو فاعل لمحرم، فإنه يحرم الجلوس والحضور عند حضور المنكر، الذي لا يقدر على إزالته. 68 على البحث، والنظر، والمناظرة بالحق. ثم قال: وإما ينسينك الشيطان أي: بأن جلست معهم، على وجه النسيان والغفلة. فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم

## تفسير السعدي

فإذا كان في كلام غيره، زال النهي المذكور. فإن كان مصلحة كان مأمورا به، وإن كان غير ذلك، كان غير مفيد ولا مأمور به، وفي ذم الخوض بالباطل، حث بآيات الله بشيء مما ذكر، بالإعراض عنهم، وعدم حضور مجالس الخائضين بالباطل، والاستمرار على ذلك، حتى يكون البحث والخوض في كلام غيره، من تحسين المقالات الباطلة، والدعوة إليها، ومدح أهلها، والإعراض عن الحق، والقدح فيه وفي أهله، فأمر الله رسوله أصلا، وأمره تبعاً، إذا رأوا من يخوض المراد بالخوض في آيات الله: التكلم بما يخالف الحق،

وفيه دليل على أنه إذا كان التذكير والوعظ، مما يزيد الموعوظ شراً إلى شره، إلى أن تركه هو الواجب لأنه إذا ناقض المقصود، كان تركه مقصوداً. 69 أي: ولكن ليذكرهم، ويعظهم، لعلهم يتقون الله تعالى. وفي هذا دليل على أنه ينبغي أن يستعمل المذكر من الكلام، ما يكون أقرب إلى حصول مقصود التقوى. فيترتب على ذلك زوال الشر أو تخفيفه، فهذا ليس عليه حرج ولا إثم، ولهذا قال: وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون في القول والعمل المحرم، أو يسكت عنهم، وعن الإنكار، فإن استعمل تقوى الله تعالى، بأن كان يأمرهم بالخير، وينهاهم عن الشر والكلام الذي يصدر منهم، هذا النهي والتحريم، لمن جلس معهم، ولم يستعمل تقوى الله، بأن كان يشاركهم

إلا سحر مبين فأى بيعة أعظم من هذه البيعة، وهذا قولهم الشنيع فيها، حيث كابروا المحسوس الذي لا يمكن من له أدنى مسكة من عقل دفعه؟ 7 وإنما ذلك ظلم وبغي، لا حيلة لكم فيه، فقال: ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم وتيقنوه لقال الذين كفروا ظلماً وعدواناً إن هذا هذا إخبار من الله لرسوله عن شدة عناد الكافرين، وأنه ليس تكذيبهم لقصور فيما جنتهم به، ولا لجهل منهم بذلك،

من الخير، وذلك بما كسبوا لهم شراب من حميم أي: ماء حار قد انتهى حره، يشوي وجوههم، ويقطع أمعاءهم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون 70 أي: تفتدي بكل فداء، ولو بملء الأرض ذهباً لا يؤخذ منها أي: لا يقبل ولا يفيد. أولئك الموصوفون بما ذكر الذين أفسدوا أي: أهلكوا وأيسوا أي: قبل أن تحيط بها ذنوبها، ثم لا ينفعها أحد من الخلق، لا قريب ولا صديق، ولا يتولاها من دون الله أحد، ولا يشفع لها شافع وإن تعدل كل عدل وتجترئه على علام الغيوب، واستمرارها على ذلك المرهوب، فذكرها، وعظها، لترتدع وتنزجر، وتكف عن فعلها. وقوله ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع نهياً عنه، وتفصيلاً لأنواعه، وبيان ما فيه، من الأوصاف القبيحة الشنيعة، الداعية لتركه، وكل هذا لئلا تبسل نفس بما كسبت، أي: قبل اقتحام العبد للذنوب ولا يغتر بتعويقه عما يقرب إلى الله. وذكر به أي: ذكر بالقرآن، ما ينفع العباد، أمراً، وتفصيلاً، وتحسيناً له، بذكر ما فيه من أوصاف الحسن، وما يضر العباد ولها في باطله، ولعب فيه ببدنه، لأن العمل والسعي إذا كان لغير الله، فهو لعب، فهذا أمر الله تعالى أن يترك ويحذر، ولا يغتر به، وتتنظر حاله، ويحذر من أفعاله، يقال له دين، فأما من زعم أنه على الحق، وأنه صاحب دين وتقوى، وقد اتخذ دينه لعباً ولهواً. بأن لها قلبه عن محبة الله ومعرفته، وأقبل على كل ما يضره، وذلك متضمن لإقبال القلب على الله وتوجهه إليه، وكون سعي العبد نافعاً، وجداً، لا هزلاً، وإخلاصاً لوجه الله، لا رياء وسمعة، هذا هو الدين الحقيقي، الذي المقصود من العباد، أن يخلصوا لله الدين، بأن يعبدوه وحده لا شريك له، ويبدلوا مقدورهم في مرضاته ومحابه.

بأن نقاد لتوحيده، ونستسلم لأوامره ونواهيه، ندخل تحت عبوديته، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأكمل تربية أوصالها إليهم. 71 قل إن هدى الله هو الهدى أي: ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله، وما عداه، فهو ضلال وردى وهلاك. وأمرنا لنسلم لرب العالمين أغلبها، ومنهم من بالعكس من ذلك. ومنهم من يتساوى لديه الداعيان، ويتعارض عنده الجاذبان، وفي هذا الموضع، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة. وقوله: الشيطان، ومن سلك مسلكه، والنفس الأمارة بالسوء، يدعونه إلى الضلال، والنزول إلى أسفل سافلين، فمن الناس من يكون مع داعي الهدى، في أموره كلها أو يجدون فيهم جوازب ودواعي متعارضة، دواعي الرسالة والعقل الصحيح، والفتنة المستقيمة يدعونه إلى الهدى والصعود إلى أعلى عليين. ودواعي حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى والشياطين يدعونه إلى الردى، فبقي بين الداعيين حائراً وهذه حال الناس كلهم، إلا من عصمه الله تعالى، فإنهم الأليم. فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد، وصاحبها كالذي استهوته الشياطين في الأرض أي: أضلته وتيهته عن طريقه ومنهجه له الموصل إلى مقصده. فبقي الله أي: ونقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال، ومن الرشد إلى الغي، ومن الصراط الموصل إلى جنات النعيم، إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب ولا يضرنا وهذا وصف، يدخل فيه كل من عبد من دون الله، فإنه لا ينفع ولا يضر، وليس له من الأمر شيء، إن الأمر إلا لله. ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا بذكر وصفها، عن النهي عنها، فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين جزم ببطلانه، قبل أن تقام البراهين على ذلك، فقال: أندعو من دون الله ما لا ينفعنا قل يا أيها الرسول للمشركين بالله، الداعين معه غيره، الذين يدعونكم إلى دينهم، مبيناً وشارحاً لوصف آلهتهم، التي يكتفي العاقل

واتقوه بفعل ما أمر به، واجتناب ما عنه نهى. وهو الذي إليه تحشرون أي: تجمعون ليوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، خيرها وشرها. 72 وأن أقيموا الصلاة أي: وأمرنا أن نقيم الصلاة بأركانها وشروطها وسننها ومكملاتها.

الحكيم الخبير الذي له الحكمة التامة، والنعمة السابعة، والإحسان العظيم، والعلم المحيط بالسرائر والبواطن والخفايا، لا إله إلا هو، ولا رب سواه. 73 في الصور أي: يوم القيامة، خصه بالذكر مع أنه مالك كل شيء لأنه تنقطع فيه الأملاك، فلا يبقى ملك إلا الله الواحد القهار. عالم الغيب والشهادة وهو ليأمر العباد وينهاهم، ويثيبهم ويعاقبهم، ويوم يقول كن فيكون قوله الحق الذي لا مرية فيه ولا مثنوية، ولا يقول شيئاً عبثاً وله الملك يوم ينفخ وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق

لها من الأمر شيء، إني أراك وقومك في ضلال مبين حيث عبدتم من لا يستحق من العبادة شيئاً، وتركتم عبادة خالقكم، ورازقكم، ومدبركم. 74

## تفسير السعدي

عليه الصلاة والسلام، مثنيا عليه ومعظما في حال دعوته إلى التوحيد، ونهيه عن الشرك، وإذ قال لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة أي: لا تنفع ولا تضر وليس يقول تعالى: واذكر قصة إبراهيم،

اشتملت عليه من الأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة وليكون من الموقنين فإنه بحسب قيام الأدلة، يحصل له الإيقان والعلم التام بجميع المطالب. 75 وكذلك حين وفقناه للتوحيد والدعوة إليه نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض أي: ليرى ببصيرته، ما ومدبرا له في جميع شئونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟! وهل اتخذه إلها إلا من أسفه السفه، وأبطل الباطل؟! 76 ولا برهان. فلما أفل أي: غاب ذلك الكوكب قال لا أحب الآفلين أي: الذي يغيب ويختفي عن عبده، فإن المعبود لا بد أن يكون قائما بمصالح من عبده، على وجه التنزل مع الخصم أي: هذا ربي، فهل ننظر، هل يستحق الربوبية؟ وهل يقوم لنا دليل على ذلك؟ فإنه لا ينبغي لعاقل أن يتخذ إلهه هواه، بغير حجة رأى كوكبا لعله من الكواكب المضئية، لأن تخصيصه بالذكر، يدل على زيادته عن غيره، ولهذا والله أعلم قال من قال: إنه الزهرة. قال هذا ربي أي: فلما جن عليه الليل أي: أظلم

ربي لاكونن من القوم الضالين فافتقر غاية الافتقار إلى هداية ربه، وعلم أنه إن لم يهده الله فلا هادي له، وإن لم يعنه على طاعته، فلا معين له. 77 فلما رأى القمر بازغا أي: طالعا، رأى زيادته على نور الكواكب ومخالفته لها قال هذا ربي تنزلا. فلما أفل قال لنن لم يهديني القمر. فلما أفلت تقرر حينئذ الهدى، واضمحل الردى ف قال يا قوم إني بريء مما تشركون حيث قام البرهان الصادق الواضح، على بطلانه. 78 فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر من الكوكب ومن

مقام مناظرة، من إبراهيم لقومه، وبيان بطلان إلهية هذه الأجرام العلوية وغيرها. وأما من قال: إنه مقام نظر في حال طفوليته، فليس عليه دليل 79 وما أنا من المشركين فتبرأ من الشرك، وأذعن بالتوحيد، وأقام على ذلك البرهان وهذا الذي ذكرنا في تفسير هذه الآيات، هو الصواب، وهو أن المقام إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا أي: لله وحده، مقبلا عليه، معرضا عن من سواه. فطلبهم لإنزال الملك شر لهم لو كانوا يعلمون، ومع ذلك، فالملك لو أنزل عليهم، وأرسل، لم يطيقوا التلقي عنه، ولا احتملوا ذلك، ولا أطاقتهم قواهم الفانية. 8 فلم يؤمن بها، فأرسل الرسول البشري إليهم بالآيات البينات، التي يعلم الله أنها أصلح للعباد، وأرفق بهم، مع إهمال الله للكافرين والمكذبين خير لهم وأنفع، إن آمنوا، والغالب أنهم لا يؤمنون بهذه الحالة، فإذا لم يؤمنوا قضي الأمر بتعجيل الهلاك عليهم وعدم إنظارهم، لأن هذه سنة الله، فيمن طلب الآيات المقترحة بما جاء به، عن علم وبصيرة، وغيب. ولو أنزلنا ملكا برسالتنا، لكان الإيمان لا يصدر عن معرفة بالحق، ولكان إيمانا بالشهادة، الذي لا ينفع شيئا وحده، هذا ما هو عليه بزعمهم أنه بشر، وأن رسالة الله، لا تكون إلا على أيدي الملائكة. قال الله في بيان رحمته ولطفه بعباده، حيث أرسل إليهم بشرا منهم يكون الإيمان وقالوا أيضا تعنتنا مبنيا على الجهل، وعدم العلم بالمعقول. لولا أنزل عليه ملك أي: هلا أنزل مع محمد ملك، يعاونه ويساعده على تضرني، ولن تمنع عني من النفع شيئا. إلا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون فتعلمون أنه وحده المعبود المستحق للعبودية. 80 لم يتبين له الهدى؟ فأما من هداه الله، ووصل إلى أعلى درجات اليقين، فإنه هو بنفسه يدعو الناس إلى ما هو عليه. ولا أخاف ما تشركون به فإنها لن وحاجه قومه قال أتحتاجوني في الله وقد هدان أي فائدة لمحاجة من وعدم النفع، ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا أي: إلا بمجرد اتباع الهوى. فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون 81 وكيف أخاف ما أشركتم وحالها حال العجز،

الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها. ومفهوم الآية الكريمة، أن الذين لم يحصل لهم الأمان، لم يحصل لهم هداية، ولا أمن، بل حظهم الضلال والشقاء. 82 بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون الأمن من المخاوف والعذاب والشقاء، والهداية إلى الصراط المستقيم، فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقا، لا قال الله تعالى فاصلا بين الفريقين الذين آمنوا ولم يلبسوا أي: يخلطوا إيمانهم

منكم والذين أوتوا العلم درجات إن ربك حكيم عليم فلا يضع العلم والحكمة، إلا في المحل اللائق بها، وهو أعلم بذلك المحل، وبما ينبغي له. 83 فإنه يجعله الله إماما للناس، بحسب حاله ترمق أفعاله، وتقتفى آثاره، ويستضاء بنوره، ويمشى بعلمه في ظلمة ديجوره. قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا درجات من نشاء كما رفعنا درجات إبراهيم عليه السلام في الدنيا والآخرة، فإن العلم يرفع الله به صاحبه فوق العباد درجات. خصوصا العالم العامل المعلم، ولما حكم لإبراهيم عليه السلام، بما بين به من البراهين القاطعة قال: وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه أي: علا بها عليهم، وفلجهم بها. نرفع لأنه أحسن في عبادة ربه، وأحسن في نفع الخلق كذلك نجزي المحسنين بأن نجعل لهم من الثناء الصدق، والذرية الصالحة، بحسب إحسانهم. 84 مجرد ابن له. داود وسليمان بن داود وأيوب ويوسف بن يعقوب. وموسى وهارون ابني عمران، وكذلك كما أصلحنا ذرية إبراهيم الخليل، إلى إبراهيم لأن السياق في مدحه والثناء عليه، ولوط وإن لم يكن من ذريته فإنه ممن آمن على يده، فكان منقبة الخليل وفضيلته بذلك، أبلغ من كونه أن الضمير عائد إلى نوح، لأنه أقرب مذكور، ولأن الله ذكر مع من ذكر لوطا، وهو من ذرية نوح، لا من ذرية إبراهيم لأنه ابن أخيه. ويحتمل أن الضمير يعود

## تفسير السعدي

هدينا من قبل وهدايته من أنواع الهدايا الخاصة التي لم تحصل إلا لأفراد من العالم؛ وهم أولو العزم من الرسل، الذي هو أحدهم. ومن ذريته يحتمل له إسحاق ويعقوب ابنه، الذي هو إسرائيل، أبو الشعب الذي فضله الله على العالمين. كلا منهما هدينا الصراط المستقيم، في علمه وعمله. ونوحا الله به من الذرية الصالحة، والنسل الطيب. وأن الله جعل صفوة الخلق من نسله، وأعظم بهذه المنقبة والكرامة الجسيمة، التي لا يدرك لها نظير فقال: ووهبنا لما ذكر الله تعالى عبده وخليله، إبراهيم عليه السلام، وذكر ما من الله عليه به، من العلم والدعوة، والصبر، ذكر ما أكرمه

ابنه وعيسى ابن مريم. وإلياس كل هؤلاء من الصالحين في أخلاقهم وأعمالهم وعلومهم، بل هم سادة الصالحين وقادتهم وأئمتهم. 85

وزكريا ويحيى

فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك. 86 درجات الفضائل أربع وهي التي ذكرها الله بقوله: ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين محمد صلى الله عليه وسلم. ويونس بن متى ولوطا بن هاران، أخي إبراهيم. وكلا من هؤلاء الأنبياء والمرسلين فضلنا على العالمين لأن وإسماعيل بن إبراهيم أبو الشعب الذي هو أفضل الشعوب، وهو الشعب العربي، ووالد سيد ولد آدم،

المذكورين وذرياتهم وإخوانهم أي: وهدينا من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم. واجتبيناهم أي: اخترناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم 87

ومن آباؤهم أي: آباء هؤلاء

يعملون فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى. 88 فاطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره، وممن شاء هدايته هؤلاء المذكورون. ولو أشركوا على الفرض والتقدير لحبط عنهم ما كانوا ذلك الهدى المذكور هدى الله الذي لا هدى إلا هداه. يهدي به من يشاء من عباده

يعملون فإن الشرك محبط للعمل، موجب للخلود في النار. فإذا كان هؤلاء الصفوة الأخيار، لو أشركوا وحاشاهم لحبطت أعمالهم فغيرهم أولى. 89 فاطلبوا منه الهدى فإنه إن لم يهدكم فلا هادي لكم غيره، وممن شاء هدايته هؤلاء المذكورون. ولو أشركوا على الفرض والتقدير لحبط عنهم ما كانوا ذلك الهدى المذكور هدى الله الذي لا هدى إلا هداه. يهدي به من يشاء من عباده

وقواعده التي هي قواعده، لم يكن ذلك هداية لهم، إذا اهتدى بذلك غيرهم، والذنب ذنبهم، حيث أغلقوا على أنفسهم باب الهدى، وفتحوا أبواب الضلال. 90 وملبوسا وذلك بسبب ما لبسوه على أنفسهم، فإنهم بنوا أمرهم على هذه القاعدة التي فيها اللبس، وبها عدم بيان الحق. فلما جاءهم الحق، بطرقه الصحيحة، ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا لأن الحكمة لا تقتضي سوى ذلك. وللبسنا عليهم ما يلبسون أي: وكان الأمر، مختلطا عليهم،

الموصلة إليها، والأخلاق الرذيلة، والطرق المفضية إليها، فإذا كان ذكرى للعالمين، كان أعظم نعمة أنعم الله بها عليهم، فعليهم قبولها والشكر عليها. 90 للعالمين يتذكرون به ما ينفعهم، فيفعلونه، وما يضرهم، فيذرونه، ويتذكرون به معرفة ربهم بأسمائه وأوصافه. ويتذكرون به الأخلاق الحميدة، والطرق أسألهم عليه أجرا أي: لا أطلب منكم مغرما ومالا، جزاء عن إبلاغي إياكم، ودعوتي لكم فيكون من أسباب امتناعكم، إن أجري إلا على الله. إن هو إلا ذكرى أجمعين، وبهذا الملحظ، استدل بهذه من استدل من الصحابة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أفضل الرسل كلهم. قل للذين أعرضوا عن دعوتك: لا قبله، وجمع كل كمال فيهم. فاجتمعت لديه فضائل وخصائص، فاق بها جميع العالمين، وكان سيد المرسلين، وإمام المتقين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم هدى الله فيهداهم اقتده أي: امش أيها الرسول الكريم خلف هؤلاء الأنبياء الأخيار، واتبع ملتهم وقد امتثل صلى الله عليه وسلم، فاهتدى بهدي الرسل أولئك المذكورون الذين

ثم إذا ألزمتهم بهذا الإلزام ذرهم في خوضهم يلعبون أي: اتركهم يخوضوا في الباطل، ويلعبوا بما لا فائدة فيه، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون. 91 أنزل هذا الكتاب الموصوف بتلك الصفات، فأجب عن هذا السؤال. و قل الله الذي أنزله، فحينئذ يتضح الحق وينجلي مثل الشمس، وتقوم عليهم الحجة، وما خالف ذلك، أخفوه وكتموه، وذلك كثير. وعلمتم من العلوم التي بسبب ذلك الكتاب الجليل ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم فإذا سألتهم عن الذي شاع وذاع، ومأ ذكره القلوب والأسماع. حتى أنهم جعلوا يتناسخونه في القراطيس، ويتصرفون فيه بما شاءوا، فما وافق أهواءهم منه، أبدوه وأظهروه، الكتاب الذي جاء به موسى وهو التوراة العظيمة نورا في ظلمات الجهل وهدى من الضلالة، وهدايا إلى الصراط المستقيم علما وعملا، وهو الكتاب للعباد إلى نيل السعادة، والكرامة، والفلاح، إلا بها، فأيقن قدح في الله أعظم من هذا؟ قل لهم ملزما بفساد قولهم، وقرره، بما به يقرون: من أنزل حق عظمت، إذ هذا قدح في حكمته، وزعم أنه يترك عباده هملا، لا يأمرهم ولا ينهاهم، ونفي لأعظم منة، امتن الله بها على عباده، وهي الرسالة، التي لا طريق هذا تشيع على من نفى الرسالة، من اليهود والمشركين وزعم أن الله ما أنزل على بشر من شيء، فمن قال هذا، فما قدر الله حق قدره، ولا عظمه

وانقاد لمراضي الله. وهم على صلاتهم يحافظون أي: يدومون عليها، ويحفظون أركانها وحدودها وشروطها وآدابها، ومكملاتها. جعلنا الله منهم. 92 فتحذر الناس عقوبة الله، وأخذهم الأمم، وتحذرهم مما يوجب ذلك. والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به لأن الخوف إذا كان في القلب عمريت أركانه، وشاهد لها بالصدق. ولتنذر أم القرى ومن حولها أي: وأنزلناه أيضا لتنذر أم القرى، وهي: مكة المكرمة، ومن حولها، من ديار العرب، بل، ومن سائر البلدان. وهذا القرآن الذي أنزلناه إليك مبارك أي: وصفه البركة، وذلك لكثرة خيراته، وسعة مبراته. مصدق الذي بين يديه أي: موافق للكتب السابقة،

بحسب الأعمال. فهي التي تنفع أو تضر، وتسوء أو تسر، وما سواها من الأهل والولد، والمال والأنصار، فعواري خارجية، وأوصاف زائلة، وأحوال حائلة 93 مع العبد في الدنيا، سوى العمل الصالح والعمل السيء، الذي هو مادة الدار الآخرة، الذي تنشأ عنه، ويكون حسنها وقبحها، وسرورها وغمومها، وعذابها ونعيمها، خلقهم الله أول مرة، عارين من كل شيء. فإن الأشياء، إنما تتمول وتحصل بعد ذلك، بأسبابها، التي هي أسبابها، وفي ذلك اليوم تنقطع جميع الأمور، التي كانت الجسد، ويفارقه، فهذه حالهم في البرزخ. وأما يوم القيامة، فإنهم إذا وردوها، وردوها مفلسين فرادى بلا أهل ولا مال، ولا أولاد ولا جنود، ولا أنصار، كما فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده. وفيه دليل، على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويخاطب، ويساكن للحق، الذي جاءت به الرسل. وكنتم عن آياته تستكبرون أي: ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها. وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، الهون أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلكم والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب بما كنتم تقولون على الله غير الحق من كذبكم عليه، وردكم أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها، وتعصيتها للخروج من الأبدان: أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب في غمرات الموت أي: شدائده وأهواله الفظيعة، وكرهه الشنيعة لرأيت أمرا هائلا، وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها. والملائكة باسطو أيديهم إلى من جميع الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته؟ ولما ذم الظالمين، ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار، ويوم القيامة فقال: ولو ترى إذ الظالمون القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله. وأي: ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، ممن زعم. أنه يقدر على ما يقدر الله عليه ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع، كما شرعه الله. ويدخل في هذا، كل من يزعم أنه يقدر على معارضة الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب والأسود العنسي والمختار، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف. ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله أي: ومن أظلم مع كذبه على الله، وجراته على عظمته وسلطانه يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدوهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم. ويدخل في هذه وتغيير الأديان أصولها، وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله ما هو من أكبر المفاسد. ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة، وأن الله يوحى إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه لا أحد أعظم ظلما، ولا أكبر جرما، ممن كذب على الله. بأن نسب إلى الله قولا أو حكما وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق، لأن فيه من الكذب، يقول تعالى:

بها أسنتكم. واغتررتكم بهذا الزعم الباطل، الذي لا حقيقة له، حين تبين لكم نقيض ما كنتم تزعمون، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهلكم وأموالكم. 94 وغيرها فلم تنفع ولم تجد شيئا. وضل عنكم ما كنتم تزعمون من الربح، والأمن والسعادة، والنجاة، التي زينها لكم الشيطان، وحسنها في قلوبكم، فنطقت لهم هذه المقالة. وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم أي: تقطعت الوصل والأسباب بينكم وبين شركائكم، من الشفاعة الجميع عبيد لله، والله مالكمهم، والمستحق لعبادتهم. فشركهم في العبادة، وصرفها لبعض العبيد، تنزيل لهم منزلة الخالق المالك، فيؤبخون يوم القيامة ويقال للملائكة، والأنبياء، والصالحين، وغيرهم، وهم كلهم لله، ولكنهم يجعلون لهذه المخلوقات نصيبا من أنفسهم، وشركة في عبادتهم، وهذا زعم منهم وظلم، فإن به عليكم وراء ظهوركم لا يغنون عنكم شيئا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء فإن المشركين يشركون بالله، ويعبدون معه ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم أي: أعطيناكم، وأنعمنا

فأنى تؤفكون أي: فأنى تصرفون، وتصدون عن عبادة من هذا شأنه، إلى عبادة من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا؟ 95 فعل، وانفرد بخلق هذه الأشياء وتديرها الله ربكم أي: الذي له الألوهية والعبادة على خلقه أجمعين، وهو الذي ربي جميع العالمين بنعمه، وغذاهم بكرمه. وهو الذي لا نمو فيه، أو لا روح من الحي كما يخرج من الأشجار والزرع والنوى والحب، ويخرج من الطائر بيضا ونحو ذلك. ذلكم الذي فعل ما وأن عبادة ما سواه باطلة. يخرج الحي من الميت كما يخرج من المنى حيوانا، ومن البيضة فرخا، ومن الحب والنوى زرا وشجرا. ومخرج الميت ذلك. ويريه الله من بره وإحسانه ما يبهر العقول، ويذهل الفحول، ويريه من بدائع صنعته، وكمال حكمته، ما به يعرفونه ويوحدهونه، ويعلمون أنه هو الحق، ذلك. فينتفع الخلق، من الآدميين والأنعام، والدواب. ويرتعون فيما فلق الله من الحب والنوى، ويقتاتون، وينتفعون بجميع أنواع المنافع التي جعلها الله في الله في البراري والقفار، فيفلق الحبوب عن الزروع والنوابت، على اختلاف أنواعها، وأشكالها، ومنافعها، ويفلق النوى عن الأشجار، من النخيل والفواكه، وغير وعموم كرمه، وشدة عنايته بخلقه، فقال: إن الله فالق الحب شامل لسائر الحبوب، التي يباشر الناس زرعها، والتي لا يباشرونها، كالحبوب التي يبثها يخبر تعالى عن كماله، وعظمة سلطانه، وقوة اقتداره، وسعة رحمته،

الأدلة العقلية على إحاطة علمه، تسخير هذه المخلوقات العظيمة، على تقدير، ونظام بديع، تحير العقول في حسنه وكماله، وموافقته للمصالح والحكم. 96 فجرت مذلة مسخرة بأمره، بحيث لا تتعدى ما حده الله لها، ولا تتقدم عنه ولا تتأخر العليم الذي أحاط علمه، بالظواهر والبواطن، والأوائل والأواخر. ومن الاجتهاد، وبذلك يفوت من المصالح الضرورية ما يفوت. ذلك التقدير المذكور تقدير العزيز العليم الذي من عزته انقادت له هذه المخلوقات العظيمة، من الأوقات التي لولا وجود الشمس والقمر، وتناوبهما واختلافهما لما عرف ذلك عامة الناس، واشتركوا في علمه، بل كان لا يعرفه إلا أفراد من الناس، بعد و جعل تعالى الشمس والقمر حسبانا بهما تعرف الأزمنة والأوقات، فتتضبط بذلك أوقات العبادات، وآجال المعاملات، ويعرف بها مدة ما مضى فيه الآدميون إلى دورهم ومنامهم، والأنعام إلى مأواها، والطيور إلى أوكارها، فتأخذ نصيبها من الراحة، ثم يزيل الله ذلك بالضيء، وهكذا أبدا إلى يوم القيامة ومنافع دينهم ودنياهم. ولما كان الخلق محتاجين إلى السكون والاستقرار والراحة، التي لا تتم بوجود النهار والنور جعل الله الليل سكنا يسكن



## تفسير السعدي

الأرض، بضياء الصباح الذي يفلقه شينا فشيئا، حتى تذهب ظلمة الليل كلها، ويخلفها الضياء والنور العام، الذي يتصرف به الخلق في مصالحهم، ومعاشهم، يترتب على ذلك من أنواع المنافع والمصالح فقال: فالق الإصباح أي: كما أنه فالق الحب والنوى، كذلك هو فالق ظلمة الليل الداجي، الشامل لما على وجه ولما ذكر تعالى مادة خلق الأقوات، ذكر منته بتهيئة المساكن، وخلق كل ما يحتاج إليه العباد، من الضياء والظلمة، وما

المعرضين عن آيات الله، وعن العلم الذي جاءت به الرسل، فإن البيان لا يفيدهم شيئا، والتفصيل لا يزيل عنهم ملتبسا، والإيضاح لا يكشف لهم مشكلا. 97 صارت آيات الله بادية ظاهرة لقوم يعلمون أي: لأهل العلم والمعرفة، فإنهم الذين يوجه إليهم الخطاب، ويطلب منهم الجواب، بخلاف أهل الجهل والجفاء، الذي يسمى علم التسيير، فإنه لا تتم الهداية ولا تمكن إلا بذلك. قد فصلنا الآيات أي بيناها، ووضحناها، وميزنا كل جنس ونوع منها عن الآخر، بحيث ما هو مستمر السير، يعرف سيره أهل المعرفة بذلك، ويعرفون به الجهات والأوقات. ودلت هذه الآية ونحوها، على مشروعية تعلم سير الكواكب ومحالها فجعل الله النجوم هداية للخلق إلى السبل، التي يحتاجون إلى سلوكها لمصالحهم، وتجاراتهم، وأسفارهم. منها: نجوم لا تزال ترى، ولا تسيير عن محلها، ومنها: وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر حين تشتبه عليكم المسالك، ويتحير في سيره السالك،

إلى الدار التي هي المستقر، وأما هذه الدار، فإنها مستودع وممر قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون عن الله آياته، ويفهمون عنه حججه، وبيناته. 98 الله في أصلا بآبائهم وأرحام أمهاتهم، ثم في دار الدنيا، ثم في البرزخ، كل ذلك، على وجه الوديعة، التي لا تستقر ولا تثبت، بل ينتقل منها حتى يوصل التي لا مستقر وراءها، ولا نهاية فوقها، فهذه الدار، هي التي خلق الخلق لسكنائها، وأوجدوا في الدنيا ليسعوا في أسبابها، التي تنشأ عليها وتعمر بها، وأودعهم في أخلاقه وخلقهم، وأوصافه تفاوت لا يمكن ضبطه، ولا يدرك وصفه، وجعل الله لهم مستقرا، أي منتهى ينتهون إليه، وغاية يساقون إليها، وهي دار القرار، وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة وهو آدم عليه السلام. أنشأ الله منه هذا العنصر الآدمي؛ الذي قد ملأ الأرض ولم يزل في زيادة ونمو، الذي قد تفاوت ما معهم من الإيمان، على العمل بمقتضياته ولوازمه، التي منها التفكير في آيات الله، والاستنتاج منها ما يراد منها، وما تدل عليه، عقلا، وفطرة، وشرعا. 99 وليس كل من تفكر، أدرك المعنى المقصود، ولهذا قيد تعالى الانتفاع بالآيات بالمؤمنين فقال: إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون فإن المؤمنين يحملهم نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبرا وآيات، يستدل بها على رحمة الله، وسعة إحسانه وجوده، وكمال اقتداره وعنايته بعباده. ولكن ليس كل أحد يعتبر ويتفكر به، فقال: انظروا نظر فكر واعتبار إلى ثمره أي: الأشجار كلها، خصوصا: النخل إذا أثمر وينعه أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، ووقت بعضه بعضا، ويتقارب في بعض أوصافه، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكهون، ويقتاتون، ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار يرجع إلى الرمان والزيتون، أي: مشتبهها في شجره وورقه، غير متشابه في ثمره. ويحتمل أن يرجع ذلك، إلى سائر الأشجار والفواكه، وأن بعضها مشتبه، يشبه فهذه من الأشجار الكثيرة النفع، العظيمة الوقع، فلذلك خصصها الله بالذكر بعد أن عم جميع الأشجار والنوابت. وقوله مشتبهها وغير متشابهه يحتمل أن بحيث لا يعسر التناول من النخل وإن طالت، فإنه يوجد فيها كرب ومرقي، يسهل صعودها. و أخرج تعالى بالماء جنات من أعناب والزيتون والرمان أخرج الله من طلعها وهو الكفري، والوعاء قبل ظهور القنوه منه، فيخرج من ذلك الوعاء قنوان دانية أي: قريبة سهلة التناول، متدلية على من أرادها، بل هي متفرقة الحبوب، مجتمعة الأصول، وإشارة أيضا إلى كثرتها، وشمول ريعها وغلثها، ليبقى أصل البذر، ويبقى بقية كثيرة للأكل والادخار. ومن النخل بر، وشعير، وذرة، وأرز، وغير ذلك، من أصناف الزروع، وفي وصفه بأنه متراكب، إشارة إلى أن حبوبه متعددة، وجميعها تستمد من مادة واحدة، وهي لا تختلط، والنخل، لكثرة نفعهما وكونهما قوتا لأكثر الناس فقال: فأخرجنا منه خضرا نخرج منه أي: من ذلك النبات الخضر، حبا متراكبا بعضه فوق بعض، من يوجب لهم، أن يبذلوا جهدهم في شكر من أسدى النعم، وعبادته والإنابة إليه، والمحبة له. ولما ذكر عموم ما ينبت بالماء، من أنواع الأشجار والنبات، ذكر الزرع بإحسانه، وزال عنهم الجذب واليأس والقحط، وفرحت القلوب، وأسفرت الوجوه، وحصل للعباد من رحمة الرحمن الرحيم، ما به يتمتعون وبه يرتعون، مما وهو أنه أنزل من السماء ماء متتابعا وقت حاجة الناس إليه، فأنبث الله به كل شيء، مما يأكل الناس والأنعام، فرتع الخلق بفضل الله، وانبسطوا برزقه، وفرحوا وهذا من أعظم منته العظيمة، التي يضطر إليها الخلق، من الآدميين وغيرهم،

## سورة 7

في أوائل السور، فالأسلم فيها، السكوت عن التعرض لمعناها من غير مستند شرعي، مع الجزم بأن الله تعالى لم ينزلها عبثا بل لحكمة لا نعلمها. 1 الحروف المقطعة

وأنواع الصنائع والتجارات، فإنه هو الذي هيأها، وسخر أسبابها. قليلا ما تشكرون الله، الذي أنعم عليكم بأصناف النعم، وصرف عنكم النقم. 10 أي: هيأناها لكم، بحيث تتمكنون من البناء عليها وحرثها، ووجوه الانتفاع بها وجعلنا لكم فيها معايش مما يخرج من الأشجار والنبات، ومعادن الأرض، يقول تعالى ممثنا على عبادته بذكر المسكن والمعيشة: ولقد مكناكم في الأرض

فيعلوها الران والدنس، حتى يختم عليها، فلا يدخلها حق، ولا يصل إليها خير، ولا يسمعون ما ينفعهم، وإنما يسمعون ما به تقوم الحجة عليهم. 100 قلوبهم فهم لا يسمعون أي: إذا نبههم الله فلم ينتبهوا، وذكرهم فلم يتذكروا، وهادهم بالآيات والعبر فلم يهتدوا، فإن الله تعالى يعاقبهم ويطبّع على قلوبهم، قبلهم بذنوبهم، ثم عملوا كأعمال أولئك المهلكين؟ أو لم يهتدوا أن الله، لو شاء لأصابهم بذنوبهم، فإن هذه سنته في الأولين والآخرين. وقوله: ونطبع على

## تفسير السعدي

الأمم الغابرين أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أي: أو لم يتبين ويتضح للأمم الذين ورثوا الأرض، بعد إهلاك من يقول تعالى منها للأمم الغابرين بعد هلاك

لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين عقوبة منه. وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم. 101 كذبوا من قبل أي: بسبب تكذيبهم وردهم الحق أول مرة، ما كان ليهديهم للإيمان، جزاء لهم على ردهم الحق، كما قال تعالى: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما إلى ما فيه سعادتهم، وأيدهم الله بالمعجزات الظاهرة، والبيّنات المبيّنات للحق بيانا كاملا، ولكنهم لم يفدهم هذا، ولا أغنى عنهم شيئا، فما كانوا ليؤمنوا بما أنبأها ما يحصل به عبرة للمعتبرين، وازدجار للظالمين، وموعظة للمتقين. ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات أي: ولقد جاءت هؤلاء المكذبين رسلهم تدعوهم تلك القرى الذين تقدم ذكرهم نقص عليك من

لهم من الله، سابقة السعادة. وأما أكثر الخلق فأعرضوا عن الهدى، واستكبروا عما جاءت به الرسل، فأحل الله بهم من عقوباته المتنوعة ما أحل. 102 بغير هدى من الله، فالله تعالى امتحن العباد بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وأمرهم باتباع عهده وهداه، فلم يمثل لأمره إلا القليل من الناس، الذين سبقت أوصى بها جميع العالمين، ولا انقادوا لأوامره التي ساقها إليهم على أسنة رسله. وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي: خارجين عن طاعة الله، متبعين لأهوائهم وما وجدنا لأكثرهم من عهد أي: وما وجدنا لأكثر الأمم الذين أرسل الله إليهم الرسل من عهد، أي: من ثبات والتزام لوصية الله التي له فهو ظالم، بل استكبروا عنها. فانظر كيف كان عاقبة المفسدين كيف أهلكهم الله، وأتبعهم الذم واللعنة في الدنيا ويوم القيامة، بس الرصد المرفود، 103 عتاة جبارة، وهم فرعون وملؤه، من أشرفهم وكبرائهم، فأراهم من آيات الله العظيمة ما لم يشاهد له نظير فظلموا بها بأن لم ينقادوا لحقها الذي من لم ينقد أي: ثم بعثنا من بعد أولئك الرسل موسى الكليم، الإمام العظيم، والرسول الكريم، إلى قوم

وإرسال بني إسرائيل الشعب الذي فضله الله على العالمين، أولاد الأنبياء، وسلسلة يعقوب عليه السلام، الذي موسى عليه الصلاة والسلام واحد منهم. 104 وقد جاءهم بيينة من الله واضحة على صحة ما جاء به من الحق، فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود رسالته، ولها مقصودان عظيمان. إيمانهم به، واتباعهم له، أن لا أكذب عليه، ولا أقول عليه إلا الحق. فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر. فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه، خصوصا مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، ويدعي أنه أرسله ولم يرسله. فإذا كان هذا شأنه، وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته، فحقيق علي عظيم، وهو رب العالمين، الشامل للعالم العلوي والسفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل تفسير الآيتين 104 و 105 :- وقال موسى حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان. يا فرعون إني رسول من رب العالمين أي: إني رسول من مرسل

وإرسال بني إسرائيل الشعب الذي فضله الله على العالمين، أولاد الأنبياء، وسلسلة يعقوب عليه السلام، الذي موسى عليه الصلاة والسلام واحد منهم. 105 وقد جاءهم بيينة من الله واضحة على صحة ما جاء به من الحق، فوجب عليهم أن يعملوا بمقصود رسالته، ولها مقصودان عظيمان. إيمانهم به، واتباعهم له، أن لا أكذب عليه، ولا أقول عليه إلا الحق. فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر. فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه، خصوصا مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، ويدعي أنه أرسله ولم يرسله. فإذا كان هذا شأنه، وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته، فحقيق علي عظيم، وهو رب العالمين، الشامل للعالم العلوي والسفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل تفسير الآيتين 104 و 105 :- وقال موسى حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان. يا فرعون إني رسول من رب العالمين أي: إني رسول من مرسل

فقال له فرعون: إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين . 106

فألقي موسى عصاه في الأرض فإذا هي ثعبان مبين أي: حية ظاهرة تسعى، وهم يشاهدونها. 107

دالتان على صحة ما جاء به موسى وصدقه، وأنه رسول رب العالمين، ولكن الذين لا يؤمنون لو جاءتهم كل آية لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم. 108 ونزع يده من جيبه فإذا هي بيضاء للناظرين من غير سوء، فهاتان آيتان كبيرتان

فلهذا قال المأ من قوم فرعون حين بهرهم ما رأوا من الآيات، ولم يؤمنوا، وطلبوا لها التأويلات الفاسدة: إن هذا لساحر عليم أي: ماهر في سحره. 109

لآدم، إكراما واحتراما، وإظهارا لفضله، فامتلأوا أمر ربهم، فسجدوا كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يسجد له، تكبرا عليه وإعجابا بنفسه. 11 ثم صورناكم في أحسن صورة، وأحسن تقويم، وعلمه الله تعالى ما به تكمل صورته الباطنة، أسماء كل شيء. ثم أمر الملائكة الكرام أن يسجدوا يقول تعالى مخاطبا لبني آدم: ولقد خلقناكم بخلق أصلكم ومادتك التي منها خرجتم: أطيعوا آدم عليه

فيما بينهم ما يفعلون بموسى، وما يندفع به ضرره بزعمهم عنهم، فإن ما جاء به إن لم يقابل بما يبطله ويدحضه، وإلا دخل في عقول أكثر الناس. 110 ثم خوفوا ضعفاء الأحلام وسفهاء العقول، بأنه يريد موسى بفعله هذا أن يخرجكم من أرضكم أي: يريد أن يجليكم عن أوطانكم فمادام تأمرون أي: إنهم تشاوروا

اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى. قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . 111 وأمهلهما، وابتعث في المدان أناسا يحشرون أهل المملكة ويأتون بكل سحر عليم، أي: يجيئون بالسحرة المهرة، ليقابلوها ما جاء به موسى، فقالوا: يا موسى تفسير الآيتين 111 و 112 :- فحينئذ انعقد رأيهم إلى أن قالوا لفرعون: أرجه وأخاه أي: احبسهما

## تفسير السعدي

اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى. قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى . 112 وأمهلهما، وابتعث في المدائن أناسا يحشرون أهل المملكة ويأتون بكل سحر عليم، أي: يجيئون بالسحرة المهرة، ليقابلوا ما جاء به موسى، فقالوا: يا موسى تفسير الآيتين 111 و 112 :- فحينئذ انعقد رأيهم إلى أن قالوا لفرعون: أرجه وأخاه أي: احبسهما

وقال هنا: وجاء السحرة فرعون طالبين منه الجزاء إن غلبوا فقالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ؟ 113

ف قال فرعون: نعم لكم أجر وإنكم لمن المقربين فوعدهم الأجر والتقريب، وعلو المنزلة عنده، ليجتهدوا ويبدلوا وسعهم وطاقتهم في مغالبة موسى. 114 مع موسى بحضرة الخلق العظيم قالوا على وجه التآلي وعدم المبالاة بما جاء به موسى: يا موسى إما أن تلقي ما معك وإما أن نكون نحن الملقين . 115 فلما حضروا

ألقوا حبالهم وعصيهم، إذا هي من سحرهم كأنها حيات تسعى، ف سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم لم يوجد له نظير من السحر. 116 ف قال موسى: ألقوا لأجل أن يرى الناس ما معهم وما مع موسى. فلما

وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فألقاها فإذا هي حية تسعى، ف تلقف جميع ما يأفكون أي: يكذبون به ويموهون. 117

فوقع الحق أي: تبين وظهر، واستعلن في ذلك المجمع، وبطل ما كانوا يعملون . 118

العظيم أهل الصنف والسحر، الذين يعرفون من أنواع السحر وجزئياته، ما لا يعرفه غيرهم، فعرفوا أن هذه آية عظيمة من آيات الله لا يدان لأحد بها. 119 أي: في ذلك المقام وانقلبوا صاغرين أي: حقيرين قد اضمحل باطلهم، وتلاشى سحرهم، ولم يحصل لهم المقصود الذي ظنوا حصوله. وأعظم من تبين له الحق فغلبوا هنالك

اختلاف أجناسه وأنواعه، وأما النار ففيها الخفة والطيش والإحراق. ولهذا لما جرى من إبليس ما جرى، انحط من مرتبته العالية إلى أسفل السافلين. 12 في تفضيل مادة النار على مادة الطين والتراب، فإن مادة الطين فيها الخشوع والسكون والرزانة، ومنها تظهر بركات الأرض من الأشجار وأنواع النبات، على بمجردا كافية لنقص إبليس الخبيث. فإنه برهن على نقصه بإعجابه بنفسه وتكبره، والقول على الله بلا علم. وأي نقص أعظم من هذا؟ ومنها: أنه كذب الأمور المنصوص عليها، ويكون تابعا لها. فأما قياس يعارضها، ويلزم من اعتباره إلغاء النصوص، فهذا القياس من أشنع الأقيسة. ومنها: أن قوله: أنا خير منه منها: أنه في مقابلة أمر الله له بالسجود، والقياس إذا عارض النص، فإنه قياس باطل، لأن المقصود بالقياس، أن يكون الحكم الذي لم يأت فيه نص، يقارب وموجب هذا أن المخلوق من نار أفضل من المخلوق من طين لعلو النار على الطين وصعودها، وهذا القياس من أفسد الأقيسة، فإنه باطل من عدة أوجه: فعصيت أمري وتهاورت بي؟ قال إبليس معارضا لربه: أنا خير منه ثم برهن على هذه الدعوى الباطلة بقوله: خلقتني من نار وخلقته من طين فوبخه الله على ذلك وقال: ما منعك ألا تسجد لما خلقت بيدي، أي: شرفته وفضلته بهذه الفضيلة، التي لم تكن لغيره،

من 120 الى 122 :- وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات. 120 تفسير الآيات

من 120 الى 122 :- وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات. 121 تفسير الآيات

من 120 الى 122 :- وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون أي: وصدقنا بما بعث به موسى من الآيات البينات. 122 تفسير الآيات

قد بذلوا مجهودهم في مغالبة موسى، حتى عجزوا، وتبين لهم الحق، فاتبعوه. ثم توعدهم فرعون بقوله: فسوف تعلمون ما أحل بكم من العقوبة. 123 ومن سبر الأحوال، أن موسى عليه الصلاة والسلام لم يجتمع بأحد منهم، وأنهم جمعوا على نظر فرعون ورسله، وأن ما جاء به موسى آية إلهية، وأن السحرة كبيركم الذي علمكم السحر، فتواطأتم أنتم وهو على أن تنقلبوا له، فيظهر فتتبعوه، ثم يتبعكم الناس أو جمهورهم فتخرجوا منها أهلها. وهذا كذب يعلم هو آمنتم به قبل أن أذن لكم أي: فهذا سوء أدب منكم وتجروء علي. ثم موه على قومه وقال: إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها أي: إن موسى قوله وحكمه، وبهذه الحالة تنحط الأمم وتضعف عقولها ونفوذها، وتعجز عن المدافعة عن حقوقها، ولهذا قال الله عنه: فاستخف قومه فأطاعوه وقال هنا: آمنتم به قبل أن أذن لكم كان الخبيث حاكما مستبدا على الأبدان والأقوال، قد تقرر عنده وعندهم أن قوله هو المطاع، وأمره نافذ فيهم، ولا خروج لأحد عن فقال لهم فرعون متهددا على الإيمان:

اليمنى والرجل اليسرى. ثم لأصلبكم في جذوع النخل، لتختزوا بزعمه أجمعين أي: لا أفعل هذا الفعل بأحد دون أحد، بل كلكم سيذوق هذا العذاب. 124 لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف زعم الخبيث أنهم مفسدون في الأرض، وسيصنع بهم ما يصنع بالمفسدين، من تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف، أي: اليد فقال السحرة، الذين آمنوا لفرعون حين تهددهم: إنا إلى ربنا منقلبون أي: فلا نبالي بعقوبتك، فالله خير وأبقى، فاقض ما أنت قاض. 125

ما توعدهم عليه، وأن الله تعالى ثبتهم على الإيمان. هذا وفرعون وملؤه وعامتهم المتبعون للملأ قد استكبروا عن آيات الله، وجحدوا بها ظلما وعلوا، 126

## تفسير السعدي

شيء كثير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه، ويزول عنه الانزعاج الكثير. وتوفنا مسلمين أي: منقادين لأمر، متبعين لرسولك، والظاهر أنه أوقع بهم ويصبرهم فقالوا: ربنا أفرغ أي: أفض علينا صبرا أي: عظيما، كما يدل عليه التنكير، لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى وتوعدك لنا؟ فليس لنا ذنب إلا أن أمانا بآيات ربنا لما جاءتنا فإن كان هذا ذنبا يعاب عليه، ويستحق صاحبه العقوبة، فهو ذنبا. ثم دعوا الله أن يشبثهم وما تنقم منا أي: وما تعيب منا على إنكارك علينا

ومسخرين لهم على ما نشاء من الأعمال وإنا فوقهم قاهرون لا خروج لهم عن حكمنا، ولا قدرة، وهذا نهاية الجبروت من فرعون والعتو والقسوة. 127 فرعون وقومه بزعمه من ضررهم: سقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم أي: نستبقيهن فلا نقتلهن، فإذا فعلنا ذلك أمانا من كثرتهم، وكنا مستخدمين لباقيهم، وآلهتك أي: يدعك أنت وآلهتك، وينهى عنك، ويصد الناس عن اتباعك. فقال فرعون مجيبا لهم، بأنه سيدع بني إسرائيل مع موسى بحالة لا يمتنع فيها، ويأمن بالدعوة إلى الله، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، التي هي الصلاح في الأرض، وما هم عليه هو الفساد، ولكن الظالمين لا يبالون بما يقولون. ويذكر وقالوا لفرعون مهيجين له على الإيقاع بموسى، وزاعمين أن ما جاء باطل وفساد: أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض

وهذه وظيفة العبد، أنه عند القدرة، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير، ما يقدر عليه، وعند العجز، أن يصبر ويستعين بالله، وينتظر الفرج. 128 الناس على حسب مشيئته وحكمته، ولكن العاقبة للمتقين، فإنهم وإن امتحنوا مدة ابتلاء من الله وحكمة، فإن النصر لهم، والعاقبة الحميدة لهم على قومهم أي: الزموا الصبر على ما يحل بكم، منتظرين للفرج. إن الأرض لله ليست لفرعون ولا لقومه حتى يتحكموا فيها يورثها من يشاء من عباده أي: يداولها بين مقاومة بالمقاومة الإلهية، والاستعانة الربانية: استعينوا بالله أي: اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم، ودفع ما يضركم، وثقوا بالله، أنه سيتم أمركم واصبروا فقال موسى لقومه موصيا لهم في هذه الحالة، التي لا يقدرون معها على شيء، ولا

الأرض أي: يمكنكم فيها، ويجعل لكم التدبير فيها فينظر كيف تعملون هل تشكرون أم تكفرون؟. وهذا وعد أنجزه الله لما جاء الوقت الذي أراده الله. 129 أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا كذلك فقال لهم موسى مرجيا لهم الفرج والخلاص من شرهم: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في قالوا لموسى متضجرين من طول ما مكتوا في عذاب فرعون، وأذيته: أؤذينا من قبل أن تأتينا فإنهم يسوموننا سوء العذاب، يذبحون

دار الطيبين الطاهرين، فلا تليق بأخيت خلق الله وأشرهم. فأخرج إنك من الصاغرين أي: المهانين الأذلين، جزاء على كبره وعجبه بالإهانة والذل 13 فقال الله له: فاهبط منها أي: من الجنة فما يكون لك أن تتكبر فيها لأنها

يذكرون أي: يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلمهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد. 130 عادته وسنته في الأمم، أن يأخذهم بالبأساء والضراء، لعلمهم يضرعون. الآيات: ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي: بالدهور والجذب، ونقص من الثمرات لعلمهم قال الله تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة، أنها على

ألا إنما طائرهم عند الله أي: بقضائه وقدرته، ليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم هو السبب في ذلك، بل أكثرهم لا يعلمون أي: فلذلك قالوا ما قالوا. 131 الله عليها وإن تصيبهم سبئة أي: قحط وجذب يطيروا بموسى ومن معه أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، واتباع بني إسرائيل له. قال الله تعالى: فإذا جاءتهم الحسنة أي: الخصب وإدراج الرزق قالوا لنا هذه أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا

سحر، فلا نؤمن لك ولا نصدق، وهذا غاية ما يكون من العناد، أن يبلغ بالكافرين إلى أن تستوي عندهم الحالات، سواء نزلت عليهم الآيات أم لم تنزل. 132 لموسى أنهم لا يزالون، ولا يزولون عن باطلهم: مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين أي: قد تقرر عندنا أنك ساحر، فمهما جئت بآية، جزمنا أنها وقالوا مبينين

جاء به موسى، حق وصدق فاستكبروا لما رأوا الآيات وكانوا في سابق أمرهم قوما مجرمين فلذلك عاقبهم الله تعالى، بأن أبقاهم على الغي والضلال. 133 أن ماءهم الذي يشربون انقلب دما، فكانوا لا يشربون إلا دما، ولا يطبخون إلا بدم. آيات مفصلات أي: أدلة وبيانات على أنهم كانوا كاذبين ظالمين، وعلى أن ما صغار الجراد، والظاهر أنه القمل المعروف والضفادع فملأت أوعيتهم، وأقلقتهم، وأذت أذية شديدة والدم إما أن يكون الرعاف، أو كما قال كثير من المفسرين، عليهم الطوفان أي: الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم وزروعهم، وأضر بهم ضررا كثيرا والجراد فأكل ثمارهم وزروعهم، ونباتهم والقمل قيل: إنه الدباء، أي: فأرسلنا

عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل وهم في ذلك كذبة، لا قصد لهم إلا زوال ما حل بهم من العذاب، وظنوا إذا رفع لا يصيبهم غيره. 134 رجز وعذاب، وأنهم كلما أصابهم واحد منها قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك أي: تشفعوا بموسى بما عهد الله عنده من الوحي والشرع، لئن كشفت العذاب، يحتمل أن المراد به: الطاعون، كما قاله كثير من المفسرين، ويحتمل أن يراد به ما تقدم من الآيات: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، فإنها ولما وقع عليهم الرجز أي:

بالإيمان به، وإرسال بني إسرائيل، فلا آمنوا به ولا أرسلوا معه بني إسرائيل، بل استمروا على كفرهم يعمهون، وعلى تعذيب بني إسرائيل دائبين. 135 عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه أي: إلى مدة قدر الله بقاءهم إليها، وليس كشفا مؤبدا، وإنما هو مؤقت، إذا هم ينجون العهد الذي عاهدوا عليه موسى، ووعده فلما كشفنا

## تفسير السعدي

الآخرين . وقال هنا: فأغرقتناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين أي: بسبب تكذيبهم بآيات الله وإعراضهم عما دلت عليه من الحق. 136  
فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين  
الناس ليتبعوا بني إسرائيل، وقالوا لهم: إن هؤلاء لشردمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجمع حاذرون فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز  
جاء الوقت المؤقت لهلاكهم، أمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا وأخبره أن فرعون سيتبعهم هو وجنوده فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يجمعون  
فانتقمنا منهم أي: حين

ما كان يصنع فرعون وقومه من الأبنية الهائلة، والمساكن المزخرفة وما كانوا يعرشون فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون . 137  
ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا حين قال لهم موسى: استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ودمرنا  
مشارك الأرض ومغاربها والمراد بالأرض هاهنا، أرض مصر، التي كانوا فيها مستضعفين، أذلين، أي: ملكهم الله جميعا، ومكنهم فيها التي باركنا فيها وتمت كلمة  
وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في الأرض، أي: بني إسرائيل الذين كانوا خدمة لآل فرعون، يسومونهم سوء العذاب أورثهم الله  
إنكم قوم تجهلون وأي جهل أعظم من جهل من جهل ربه وخالقه وأراد أن يسوي به غيره، ممن لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا؟ 138  
لنبههم موسى بعدما أراهم الله من الآيات ما أراهم يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة أي: اشرع لنا أن نتخذ أصناما آلهة كما اتخذها هؤلاء. ف قال لهم موسى:  
وأهلكهم الله، وبنو إسرائيل ينظرون. فأتوا أي: مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم أي: يقيمون عندها ويتبركون بها، ويعبدونها. ف قالوا من جهلهم وسفههم  
جاوزنا ببني إسرائيل البحر بعد ما أنجاهم الله من عدوهم فرعون وقومه،

ولهذا قال لهم موسى إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون لأن دعاءهم إياها باطل، وهي باطلة بنفسها، فالعمل باطل وغايته باطلة. 139  
فلما أعلن عدو الله بعداوة الله، وعداوة آدم وذريته، سأل الله النظرة والإمهال إلى يوم البعث، ليتمكن من إغواء ما يقدر عليه من بني آدم. 14  
ذاته، وصفاته وأفعاله. وهو فضلكم على العالمين فيقتضي أن تقابلوا فضله، وتفضيله بالشكر، وذلك بإفراجه وحده بالعبادة، والكفر بما يدعي من دونه. 140  
قال أغير الله أبغىكم إلها أي: أطلب لكم إلها غير الله المألوه، الكامل في

عظيم أي: نعمة جليلة، ومنحة جزيلة، أو: وفي ذلك العذاب الصادر منهم لكم بلاء من ربكم عليكم عظيم، فلما ذكرهم موسى ووعظهم انتهوا عن ذلك. 141  
يسومونكم سوء العذاب أي: يوجهون إليكم من العذاب أسوأه، وهو أنهم كانوا يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم النجاة من عذابهم بلاء من ربكم  
ثم ذكرهم بما امتن الله به عليهم فقال: وإذ أنجيناكم من آل فرعون أي: من فرعون وآله

في قومي أي: كن خليفتي فيهم، واعمل فيهم بما كنت أعمل، وأصلح أي: اتبع طريق الصلاح ولا تتبع سبيل المفسدين وهم الذين يعملون بالمعاصي. 142  
لنزولها موقع كبير لديهم، وتشوق إلى إنزالها. ولما ذهب موسى إلى ميقات ربه قال لهارون موصيا له على بني إسرائيل من حرصه عليهم وشفقته: اخلفني  
الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية، والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة، وأتمها بعشر، فصارت أربعين ليلة، ليستعد موسى، ويتهيأ لوعده الله، ويكون  
ولما أتم الله نعمته عليهم بالنجاة من عدوهم، وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال

عليه الصلاة والسلام إيمانه، بما كمل الله له مما كان يحمله قبل ذلك، فلما منعه الله من رؤيته بعدما ما كان متشوقا إليها أعطاه خيرا كثيرا فقال: 143  
يوافق موضعا و لذلك قال سبحانه أي: تنزيها لك، وتعظيما عما لا يليق بجلالك ثبت إليك من جميع الذنوب، وسوء الأدب معك وأنا أول المؤمنين أي: جدد  
موسى حين رأى ما رأى صعقا فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله، فموسى أولى أن لا يثبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم  
فإن استقر مكانه إذا تجلى الله له فسوف تراني. فلما تجلى ربه للجبل الأصم الغليظ جعله دكا أي: انهال مثل الرمل، انزعاجا من رؤية الله وعدم ثبوته لها وخر  
يقدرعون معها على رؤية الله تعالى، ولهذا رتب الله الرؤية في هذه الآية على ثبوت الجبل، فقال مقنعا لموسى في عدم إجابته للرؤية ولكن انظر إلى الجبل  
فإنه قد دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى ويتمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم، وأنه ينشئهم نشأة كاملة،  
على رؤيتي، فإن الله تبارك وتعالى أنشأ الخلق في هذه الدار على نشأة لا يقدرعون بها، ولا يثبتون لرؤية الله، وليس في هذا دليل على أنهم لا يرونه في الجنة،  
بما كلمه من وحيه وأمره ونهيه، تشوق إلى رؤية الله، ونزعت نفسه لذلك، حبا لربه ومودة لرؤيته. ف قال رب أرني أنظر إليك قال الله لن تراني أي: لن تقدر الآن  
ولما جاء موسى لميقاتنا الذي وقتناه له لإنزال الكتاب وكلمه ربه

فخذ ما آتيتك من النعم، وخذ ما آتيتك من الأمر والنهي بانشرح صدر، وتلقه بالقبول والانقياد، وكن من الشاكرين لله على ما خصك وفضلك. 144  
التي لا أجعلها، ولا أخص بها إلا أفضل الخلق. وبكلامي إياك من غير واسطة، وهذه فضيلة اختص بها موسى الكريم، وعرف بها من بين إخوانه من المرسلين،  
يا موسى إني اصطفتك على الناس أي: اخترتك واجتبيتك وفضلتك وخصصتك بفضائل عظيمة، ومناقب جليلة، برسالاتي

كل شريعة كاملة عادلة حسنة. سأريكم دار الفاسقين بعد ما أهلكهم الله، وأبقى ديارهم عبرة بعدهم، يعتبر بها المؤمنون الموفقون المتواضعون. 145  
بقوة أي: بجد واجتهاد على إقامتها، وأمر قومك يأخذوا بأحسنها وهي الأوامر الواجبة والمستحبة، فإنها أحسنها، وفي هذا دليل على أن أوامر الله في  
إليه العباد موعظة ترغب النفوس في أفعال الخير، وترهبهم من أفعال الشر، وتفصيلا لكل شيء من الأحكام الشرعية، والعقائد والأخلاق والآداب فخذها

وكتبنا له في الألواح من كل شيء يحتاج

وكانوا عنها غافلين فردهم لآيات الله، وغفلتهم عما يراد بها واحتقارهم لها هو الذي أوجب لهم من سلوك طريق الغي، وترك طريق الرشداً ما أوجب. 146 ولا يرغبوا فيه وإن يروا سبيل الغي أي: الغواية الموصلة لصاحبه إلى دار الشقاء يتخذوه سبيلاً والسبب في انحرافهم هذا الانحراف ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا واعتراضهم، ومحادتهم لله ورسوله، وإن يروا سبيل الرشداً أي: الهدى والاستقامة، وهو الصراط الموصول إلى الله، وإلى دار كرامته لا يتخذوه أي: لا يسلكوه حرمة الله خيراً كثيراً وخذله، ولم يفقه من آيات الله ما ينتفع به، بل ربما انقلبت عليه الحقائق، واستحسن القبيح. وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها لإعراضهم الأفقية والنفسية، والفهم لآيات الكتاب الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق أي: يتكبرون على عباد الله وعلى الحق، وعلى من جاء به، فمن كان بهذه الصفة، سأصرف عن آياتي أي: عن الاعتبار في الآيات

ضد مقصودهم إلا ما كانوا يعملون فإن أعمال من لا يؤمن باليوم الآخر، لا يرجو فيها ثواباً، وليس لها غاية تنتهي إليه، فلذلك اضمحلت وبطلت. 147 رسلنا. ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم لأنها على غير أساس، وقد فقد شرطها وهو الإيمان بآيات الله، والتصديق بجزائه هل يجزون في بطلان أعمالهم وحصول والذين كذبوا بآياتنا العظيمة الدالة على صحة ما أرسلنا به

وفيهما دليل على أن من أنكر كلام الله، فقد أنكر خصائص إلهية الله تعالى، لأن الله ذكر أن عدم الكلام دليل على عدم صلاحية الذي لا يتكلم للإلهية. 148 ينفع ولا يضر من أبطل الباطل، وأسمج السفه، ولهذا قال: اتخذوه وكانوا ظالمين حيث وضعوا العبادة في غير موضعها، وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، الجماد، الذي لا يتكلم ولا يهديهم سبيلاً أي: لا يهديهم طريقاً دينياً، ولا يحصل لهم مصلحة دنيوية، لأن من المتقرر في العقول والفطر، أن اتخاذ إله لا يتكلم ولا أنه ليس فيه من الصفات الذاتية ولا الفعلية، ما يوجب أن يكون إلهاً ألم يروا أنه لا يكلمهم أي: وعدم الكلام نقص عظيم، فهم أكمل حالة من هذا الحيوان أو فئسي موسى، وذهب يطلبه، وهذا من سفههم، وقلة بصيرتهم، كيف اشتبه عليهم رب الأرض والسموات، بعجل من أنقص المخلوقات؟ ولهذا قال مبيناً من بعده من حليهم عجلاً جسداً صاغه السامري وألقى عليه قبضة من أثر الرسول فصار له خوار وصوت، فعبده واتخذوه إلهاً. وقال هذا إلهكم وإله موسى واتخذ قوم موسى

ربنا فيدلنا عليه، ويرزقنا عبادته، ويوفقنا لصالح الأعمال، ويغفر لنا ما صدر منا من عبادة العجل لتكون من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والآخرة. 149 هذه الحال، وأخبرهم بضلالهم ندموا و سقط في أيديهم أي: من الهم والندم على فعلهم، ورأوا أنهم قد ضلوا فتنصلوا، إلى الله وتضرعوا وقالوا لئن لم يرحمنا ولما رجع موسى إلى قومه، فوجدهم على

حكمة الله مقتضية لابتلاء العباد واختبارهم، ليتبين الصادق من الكاذب، ومن يطيعه ومن يطيع عدوه، أجابه لما سأله، فقال: إنك من المنظرين 15 ولما كانت

لي، ومسك إياي بسوء، فإن الأعداء حريصون على أن يجدوا علي عثرة، أو يطلعوا لي على زلة ولا تجعلني مع القوم الظالمين فتعاملني معاملة لهم. 150 احقروني حين قلت لهم: يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري وكادوا يقتلونني أي: فلا تظن بي تقصيراً فلا تشمت بي الأعداء بنهرك أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي و قال هنا ابن أم هذا تريق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإلا فهو شقيقه لأمه وأبيه: إن القوم استضعفوني أي: ضلوا أن لا تتبعن أفعضيت أمري لك بقولي: اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فقال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت برأيكم الفاسد إلى هذه الخصلة القبيحة وألقى الألواح أي: رماها من الغضب وأخذ برأس أخيه هارون ولحيته يجره إليه وقال له: ما منعك إذ رأيتهم الحالة التي خلفتموني بها من بعد ذهابي عنكم، فإنها حالة تفضي إلى الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدى. أعجلتم أمر ربكم حيث وعدكم بإنزال الكتاب. فبادرتم موسى إلى قومه غضبان أسفاً أي: ممتلئاً غضباً وغيظاً عليهم، لتماز غيرته عليه الصلاة والسلام، وكمال نصحه وشفقته، قال بنسما خلفتموني من بعدي أي: بنس ولما رجع

حصن حصين، من جميع الشرور، وثم كل الخير وسرور. وأنت أرحم الراحمين أي: أرحم بنا من كل راحم، أرحم بنا من آبائنا، وأمهاتنا وأولادنا وأنفسنا. 151 أن يعلم براءته، مما ظنه فيه من التقصير. و قال رب اغفر لي ولأخي هارون وأدخلنا في رحمتك أي: في وسطها، واجعل رحمتك تحيط بنا من كل جانب، فإنها فندم موسى عليه السلام على ما استعجل من صنعه بأخيه قبل

أمرهم أن يقتلوا أنفسهم، وأنه لا يرضى الله عنهم إلا بذلك، فقتل بعضهم بعضاً، وانجلت المعركة عن كثير من القتلى ثم تاب الله عليهم بعد ذلك. 152 المقتربين فكل مفتر على الله، كاذب على شرعه، متقول عليه ما لم يقل، فإن له نصيباً من الغضب من الله، والذل في الحياة الدنيا، وقد نالهم غضب الله، حيث حال أهل العجل الذين عبدوه: إن الذين اتخذوا العجل أي: إلهاً سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا كما أغضبوا ربهم واستهانوا بأمره. وكذلك نجزي قال الله تعالى مبيناً

من السيئات والرجوع إلى الطاعات، لغفور يغفر السيئات ويمحوها، ولو كانت قراب الأرض رحيم بقبول التوبة، والتوفيق لأفعال الخير وقبولها. 153 بالله وبما أوجب الله من الإيمان به، ولا يتم الإيمان إلا بأعمال القلوب، وأعمال الجوارح المترتبة على الإيمان إن ربك من بعدها أي: بعد هذه الحالة، حالة التوبة والذين عملوا السيئات من شرك وكبائر، وصغائر ثم تابوا من بعدها بأن ندموا على ما مضى، وأقلعوا عنها، وعزموا على أن لا يعودوا وآمنوا

## تفسير السعدي

لربهم يرهبون أي: يخافون منه ويخشونه، وأما من لم يخف الله ولا المقام بين يديه، فإنه لا يزداد بها إلا عتوا ونفورا وتقوم عليه حجة الله فيها. 154  
ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم أحكامها ومعانيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته، وإنما يقبل ذلك وينقاد له، ويتلقاه بالقبول الذين هم  
مشتمة ومتضمنة هدى ورحمة أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر، والهدى لأحسن الأعمال، والأخلاق، والآداب،  
أي: سكن غضبه، وتراجعت نفسه، وعرف ما هو فيه، اشتغل بأهم الأشياء عنده، ف أخذ الألواح التي ألقاها، وهي ألواح عظيمة المقدار، جليلة وفي نسختها أي:  
ولما سكت عن موسى الغضب

لذینك السببین، ومع هذا فأنت أرحم الراحمین، وخیر الغافرین، فاغفر لنا وارحمنا. فأجاب الله سؤاله، وأحياهم من بعد موتهم، وغفر لهم ذنوبهم. 155  
وأن من حضره عقله ورشده، وتم على ما وهبته من التوفيق، فإنه لم يزل مستقيما، وأما من ضعف عقله، وسفه رأيه، وصرفته الفتنة، فهو الذي فعل ما فعل،  
غفر، وأولى من رحم، وأكرم من أعطى وتفضل، فكان موسى عليه الصلاة والسلام، قال: المقصود يا رب بالقصد الأول لنا كلنا، هو التزام طاعتك والإيمان بك،  
بها الإنسان، ويخاف من ذهاب دينه فقال: إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرین أي: أنت خير من  
ضعفاء العقول، سفهاء الأحلام، فتضرع إلى الله واعتذر بأن المتجرئين على الله ليس لهم عقول كاملة، تردعهم عما قالوا وفعلوا، وبأنهم حصل لهم فتنة يخطر  
الله ويتبتل ويقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل أن يحضروا ويكونون في حالة يعتذرون فيها لقومهم، فصاروا هم الظالمين أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أي:  
أرنا الله جهرة فتجروا على الله جراءة كبيرة، وأساءوا الأدب معه، ف أخذتهم الرجفة فصعقوا وهلكوا. فلم يزل موسى عليه الصلاة والسلام، يتضرع إلى  
إلى رشدهم اختار موسى منهم سبعين رجلا من خيارهم، ليعتذروا لقومهم عند ربهم، ووعدهم الله ميقاتا يحضرون فيه، فلما حضروه، قالوا: يا موسى،  
ولما تاب بنو إسرائيل وتراجعوا

ومن تمام الإيمان بآيات الله معرفة معناها، والعمل بمقتضاها، ومن ذلك اتباع النبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا، في أصول الدين وفروعه. 156  
الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها: فسأكتبها للذين يتقون المعاصي، صغارها وكبارها. ويؤتون الزكاة الواجبة مستحقيها والذين هم بآياتنا يؤمنون  
العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة  
أي: رجعنا مقربين بتقصيرنا، منيبين في جميع أمورنا. قال الله تعالى عذابي أصيب به من أشاء ممن كان شقيا، متعرضا لأسبابه، ورحمتي وسعت كل شيء من  
دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة من علم نافع، ورزق واسع، وعمل صالح. وفي الآخرة حسنة: وهي ما أعد الله لأوليائه الصالحين من الثواب. إنا هدنا إليك  
وقال موسى في تمام

من شرهما، لأنهم أتوا بأكبر أسباب الفلاح. وأما من لم يؤمن بهذا النبي الأمي، ويعززه، وينصره، ولم يتبع النور الذي أنزل معه، فأولئك هم الخاسرون. 157  
معه وهو القرآن، الذي يستضاء به في ظلمات الشك والجهالات، ويقتدى به إذا تعارضت المقالات، أولئك هم المفلحون الظافرون بخير الدنيا والآخرة، والناجون  
أن دينه سهل سمح ميسر، لا إصر فيه، ولا أغلال، ولا مشقات ولا تكاليف ثقال. فالذين آمنوا به وعزروه أي: عظموه وبجلوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل  
والمناج. ويحرم عليهم الخبائث من المطاعم والمشارب والمناج، والأقوال والأفعال. ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم أي: ومن وصفه  
والفجور، ونحو ذلك. فأعظم دليل يدل على أنه رسول الله، ما دعا إليه وأمر به، ونهى عنه، وأحله وحرمه، فإنه يحل لهم الطيبات من المطاعم والمشارب،  
والعفاف، والبر، والنصيحة، وما أشبه ذلك، وينهى عن الشرك بالله، وقتل النفوس بغير حق، والزنا، وشرب ما يسكر العقل، والظلم لسائر الخلق، والكذب،  
في العقول والفطر. فيأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والإحسان إلى الجار والمملوك، وبذل النفع لسائر الخلق، والصدق،  
التي من أعظمها وأجلها، ما يدعو إليه، وينهى عنه. وأنه يأمرهم بالمعروف وهو كل ما عرف حسنه وصلاحه ونفعه. وينهاهم عن المنكر وهو: كل ما عرف قبحه  
بالأمي لأنه من العرب الأمة الأمية، التي لا تقرأ ولا تكتب، وليس عندها قبل القرآن كتاب. الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل باسمه وصفته،  
وأن الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم شرط في دخولهم في الإيمان، وأن المؤمنين به المتبعين، هم أهل الرحمة المطلقة، التي كتبها الله لهم، ووصفه  
الرسول النبي الأمي احتراز عن سائر الأنبياء، فإن المقصود بهذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم. والسياق في أحوال بني إسرائيل  
الذين يتبعون

أي: آمنوا بهذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله، واتبعوه لعلكم تهتدون في مصالحكم الدينية والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتكم ضلالا بعيدا. 158  
صدق الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم قطعا. فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي إيمانا في القلب، متضمنا لأعمال القلوب والجوارح. الذي يؤمن بالله وكلماته  
رسله، يحيي ويميت أي: من جملة تدابير: الإحياء والإماتة، التي لا يشاركه فيها أحد، الذي جعل الموت جسرا ومعبرا يعبر منه إلى دار البقاء، التي من آمن بها  
وإلى دار كرامته، ويحذركم من كل ما يباعدكم منه، ومن دار كرامته. لا إله إلا هو أي: لا معبود بحق، إلا الله وحده لا شريك له، ولا تعرف عبادته إلا من طريق  
والأرض يتصرف فيهما بأحكامه الكونية والتدابير السلطانية، وبأحكامه الشرعية الدينية التي من جملتها: أن أرسل إليكم رسولا عظيما يدعوكم إلى الله  
عليهم، أتى بما يدل على العموم فقال: قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا أي: عربيكم، وعجميكم، أهل الكتاب منكم، وغيرهم. الذي له ملك السماوات  
ولما دعا أهل التوراة من بني إسرائيل، إلى اتباعه، وكان ربما توههم متوهم، أن الحكم مقصور

معاييب بني إسرائيل، المنافاة للكمال المناقضة للهداية، فربما توههم متوهم أن هذا يعم جميعهم، فذكر تعالى أن منهم طائفة مستقيمة هادية مهتدية. 159

## تفسير السعدي

الصلاة والسلام، وأن الله تعالى جعل منهم هداة يهدون بأمره. وكان الإتيان بهذه الآية الكريمة فيه نوع احتراز مما تقدم، فإنه تعالى ذكر فيما تقدم جملة من به بينهم في الحكم بينهم، بقضايهم، كما قال تعالى: وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وفي هذا فضيلة لأمة موسى عليه ومن قوم موسى أمة أي: جماعة يهدون بالحق وبه يعدلون أي: يهدون به الناس في تعليمهم إياهم وفتواهم لهم، ويعدلون

فبما أغويتني لأقعدن لهم أي: للخلق صراطك المستقيم أي: لألزم الصراط ولأسعى غاية جهدي على صد الناس عنه وعدم سلوكهم إياه. 16  
أي: قال إبليس لما أبلس وأبس من رحمة الله

الله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم. ولكن كانوا أنفسهم يظلمون حيث فوتوها كل خير، وعرضوها للشر والنقمة، وهذا كان مدة لبثهم في التيه. 160  
بين الظلال، والشراب، والطعام الطيب، من الحلوى واللحوم، على وجه الراحة والطمأنينة. وقيل لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا حين لم يشكروا الله عليهم. وظللنا عليهم الغمام فكان يستريحون من حر الشمس وأنزلنا عليهم المن وهو الحلوى، والسلوى وهو لحم طير من أنواع الطيور وألذها، فجمع الله لهم قسم على كل قبيلة من تلك القبائل الاثنتي عشرة، وجعل لكل منهم عينا، فعلموها، واطمأنوا، واستراحوا من التعب والمزاحمة، والمخاصمة، وهذا من تمام نعمة ويحتمل أنه اسم جنس، يشمل أي حجر كان، فضربه فانجست أي: انفجرت من ذلك الحجر اثنتا عشرة عينا جارية سارحة. قد علم كل أناس مشربهم أي: قد وتشرب منه مواشيهم، وذلك لأنهم والله أعلم في محل قليل الماء. فأوحى الله لموسى إجابة لطلبهم أن اضرب بعصاك الحجر يحتمل أنه حجر معين، متعارفة متوالفة، كل بني رجل من أولاد يعقوب قبيلة. وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أي: طلبوا منه أن يدعو الله تعالى، أن يسقيهم ماء يشربون منه وقطعناهم أي: قسمناهم اثنتي عشرة أسباط أمما أي: اثنتي عشرة قبيلة

وسؤال المغفرة، ووعدهم على ذلك مغفرة ذنوبهم والثواب العاجل والآجل فقال: نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين من خير الدنيا والآخرة 161  
حين تدخلون الباب: حطة أي: احطط عنا خطايانا، واعف عنا. وادخلوا الباب سجدا أي: خاضعين لربكم مستكينين لعزته، شاكرين لنعمته، فأمرهم بالخضوع، وهي إيلاء وكلوا منها حيث شئتم أي: قرية كانت كثيرة الأشجار، غزيرة الثمار، رغيدة العيش، فلذلك أمرهم الله أن يأكلوا منها حيث شاءوا. وقولوا  
وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية أي: ادخلوها لتكون وطننا لكم ومسكننا،

بما كانوا يظلمون أي: يخرجون من طاعة الله إلى معصيته، من غير ضرورة ألجأتهم ولا داع دعاهم سوى الخبث والشر الذي كان كامنا في نفوسهم. 162  
عليهم حين خالفوا أمر الله وعصوه رجزا من السماء أي: عذابا شديدا، إما الطاعون وإما غيره من العقوبات السماوية. وما ظلمهم الله بعقابه وإنما كان ذلك وقولهم: حطة حبة في شعيرة، وإذا بدلوا القول مع يسره وسهولته فتبديلهم للفعل من باب أولى، ولهذا دخلوا وهم يزحفون على أستاههم. فأرسلنا فبدل الذين ظلموا منهم أي: عصوا الله واستهانوا بأمره قولا غير الذي قيل لهم فقالوا بدل طلب المغفرة،

فإذا جاء يوم السبت ووقعت في تلك الحفر والشباك، لم يأخذوها في ذلك اليوم، فإذا جاء يوم الأحد أخذوها، وكثر فيهم ذلك، وانقسموا ثلاث فرق 163  
وأن تكون لهم هذه المحنة، وإلا فلو لم يفسقوا، لعافاهم الله، ولما عرضهم للبلاء والشر، فتحيلوا على الصيد، فكانوا يحفرون لها حفرا، وينصبون لها الشباك، لا يسبتون أي: إذا ذهب يوم السبت لا تأتيهم أي: تذهب في البحر فلا يرون منها شيئا كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ففسقهم هو الذي أوجب أن يبتليهم الله، أمرهم أن يعظموه ويحترموا ولا يصيدوا فيه صيدا، فابتلاهم الله وامتنحهم، فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا أي: كثيرة طافية على وجه البحر. ويوم أي: أسأل بني إسرائيل عن القرية التي كانت حاضرة البحر أي: على ساحله في حال تعذيبهم وعقاب الله إياهم. إذ يعدون في السبت وكان الله تعالى قد وأسألهم

اللوم. وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر، والنهي. 164  
نعظهم ونهأهم معذرة إلى ربكم أي: لنعذر فيهم. ولعلمهم يتقون أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نياس من هدايتهم، فربما نجح فيهم الوعظ، وأثر فيهم في وعظ من اقتحم محارم الله، ولم يصغ للنصيح، بل استمر على اعتدائه وطغيانه، فإنه لا بد أن يعاقبهم الله، إما بهلاك أو عذاب شديد. فقال الواعظون: بنهيمهم والإنكار عليهم. وفرقة اكتفت بإنكار أولئك عليهم، ونهيمهم لهم، وقالوا لهم: لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا كأنهم يقولون: لا فائدة معظمهم اعتدوا وتجروا، وأعلنوا بذلك. وفرقة أعلنت

قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة. 165  
السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: لم تعظون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين، لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون. فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في وهم الذين اعتدوا في السبت بعذاب بنيس أي: شديد بما كانوا يفسقون وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهيين: لم تعظون قوما الله مهلكهم فاختلف المفسرون أنجينا من العذاب الذين ينهون عن سوء وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر. وأخذنا الذين ظلموا فلما نسوا ما ذكروا به أي: تركوا ما ذكروا به، واستمروا على غيهم واعتدائهم.

ولا تعظوا، قلنا لهم قولا قديرا: كونوا قردة خاسئين فانقلبوا بإذن الله قردة، وأبعدهم الله من رحمته، ثم ذكر ضرب الذلة والصغار على من بقي منهم 166  
فلما عتوا عما نهوا عنه أي: قسوا فلم يلينوا،



## تفسير السعدي

- ويثيبه عليها بأنواع الثوبات، وقد فعل الله بهم ما أوعدهم به، فلا يزالون في ذل وإهانة، تحت حكم غيرهم، لا تقوم لهم راية، ولا ينصر لهم علم. 167
- لمن عصاه، حتى إنه يعجل له العقوبة في الدنيا. وإنه لغفور رحيم لمن تاب إليه وأناب، يغفر له الذنوب، ويستتر عليه العيوب، ويرحمه بأن يتقبل منه الطاعات، وإذ تأذن ربك أي: أعلم إعلاما صريحا: ليمعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أي: يهينهم، ويذلهم. إن ربك لسريع العقاب
- وبلونا هم على عادتنا وسنتنا، بالحسنات والسيئات أي: بالعسر واليسر. لعلهم يرجعون عما هم عليه مقيمون من الردى، يراجعون ما خلقوا له من الهدى 168
- الأرض بعد ما كانوا مجتمعين، منهم الصالحون القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، ومنهم دون ذلك أي: دون الصلاح، إما مقتصدون، وإما ظالمون لأنفسهم، وقطعناهم في الأرض أمما أي: فرقناهم ومزقناهم في
- يكون لكم عقول توازن بين ما ينبغي إثباره، وما ينبغي الإيثار عليه، وما هو أولى بالسعي إليه، والتقديم له على غيره. فخاصية العقل النظر للعواقب. 169
- خير للذين يتقون ما حرم الله عليهم، من المأكَل التي تصاب، وتؤكل رشوة على الحكم بغير ما أنزل الله، وغير ذلك من أنواع المحرمات. أفلا تعقلون أي: أفلا مستبصرين، وهذا أعظم للذنوب، وأشد للوم، وأشنع للعقوبة، وهذا من نقص عقولهم، وسفاهة رأيهم، بإيثار الحياة الدنيا على الآخرة، ولهذا قال: والدار الآخرة عليه غير الحق اتباعا لأهوائهم، وميلا مع مطامعهم. و الحال أنهم قد درسوا ما فيه فليس عليهم فيه إشكال، بل قد أتوا أمرهم متعمدين، وكانوا في أمرهم هو أدنى بالذي هو خير، قال الله تعالى في الإنكار عليهم، وبيان جرائتهم: ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق فما بالهم يقولون ذلك لندموا على ما فعلوا، وعزموا على أن لا يعودوا، ولكنهم إذا أتاهم عرض آخر، ورشوة أخرى يأخذوه. فاشتروا بآيات الله ثمنا قليلا واستبدلوا الذي عرض هذا الأدنى ويقولون مقربين بأنه ذنب وأنهم ظلمة: سيغفر لنا وهذا قول خال من الحقيقة، فإنه ليس استغفارنا وطلبنا للمغفرة على الحقيقة. فلو كان ورثوا بعدهم الكتاب وصار المرجع فيه إليهم، وصاروا يتصرفون فيه بأهوائهم، وتبذل لهم الأموال، ليفتوا ويحكموا، بغير الحق، وفشت فيهم الرشوة. يأخذون فلم يزالوا بين صالح وطالح ومقتصد، حتى خلف من بعدهم خلف. زاد شرهم
- على فعله، لتأخذ منه حذرنا ونستعد لعدونا، ونحترز منه بعلمنا، بالطريق التي يأتي منها، ومداخله التي ينفذ منها، فله تعالى علينا بذلك، أكمل نعمة. 17
- الصراط المستقيم، وهو يريد صدهم عنه، وعدم قيامهم به، قال تعالى: إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وإنما نبهنا الله على ما قال وعزم قد تغلب الغفلة على كثير منهم، وكان جازما ببذل مجهوده على إغوائهم، ظن وصدق ظنه فقال: ولا تجد أكثرهم شاكرين فإن القيام بالشكر من سلوك خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائهم أي: من جميع الجهات والجوانب، ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك بعض مقصوده فيهم. ولما علم الخبيث أنهم ضعفاء ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن
- بعث رسله عليهم الصلاة والسلام بالصلاح لا بالفساد، وبالمنافع لا بالمضار، وأنهم بعثوا بصلاح الدارين، فكل من كان أصلح، كان أقرب إلى اتباعهم. 170
- علمهم كله إصلاحا، قال تعالى: إنا لا نضيع أجر المصلحين في أقوالهم وأعمالهم ونياتهم، مصلحين لأنفسهم ولغيرهم. وهذه الآية وما أشبهها دلت على أن الله من المأمورات، إقامة الصلاة، ظاهرا وباطنا، ولهذا خصها الله بالذكر لفضلها، وشرفها، وكونها ميزان الإيمان، وإقامتها داعية لإقامة غيرها من العبادات. ولما كان علمها أشرف العلوم. ويعلمون بما فيها من الأوامر التي هي قرة العيون وسرور القلوب، وأفراح الأرواح، وصلاح الدنيا والآخرة. ومن أعظم ما يجب التمسك به له العقل والرأي؟ وإنما العقلاء حقيقة من وصفهم الله بقوله والذين يمسكون بالكتاب أي: يتمسكون به علما وعملا فيعلمون ما فيه من الأحكام والأخبار، التي وأما من نظر إلى عاجل طفيف منقطع، يفوت نعيما عظيما باقيا فأنى
- أنه واقع بهم وقيل لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة أي: بجد واجتهاد. واذكروا ما فيه دراسة ومباحثة، واتصافا بالعمل به لعلكم تتقون إذا فعلتم ذلك. 171
- ثم قال تعالى: وإذ نتقنا الجبل فوقهم حين امتنعوا من قبول ما في التوراة. فألزمهم الله العمل ونتق فوق رؤوسهم الجبل، فصار فوقهم كأنه ظلة وظنوا وتزعمون أن حجة الله ما قامت عليكم، ولا عندكم بها علم، بل أنتم غافلون عنها لاهون. فاليوم قد انقطعت حجتكم، وثبتت الحجة البالغة لله عليكم. 172
- القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أي: إنما امتحناكم حتى أقررتم بما تقرر عندكم، من أن الله تعالى ربكم، خشية أن تنكروا يوم القيامة، فلا تتقروا بشيء من ذلك، على الدين الحنيف القيم. فكل أحد فهو مفلطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تغير وتبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة، ولهذا قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم ألسنت بربكم أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرتهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم. قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده ذريتهم أي: أخرج من أصلاهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن. و حين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم أشهدهم على أنفسهم يقول تعالى: وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
- من ظهره، حين كانوا في عالم الكلد، لا يذكره أحد، ولا يخطر ببال آدمي، فكيف يحتج الله عليهم بأمر ليس عندهم به خبر، ولا له عين ولا أثر؟ 173
- في الآية ما يدل على هذا، ولا له مناسبة، ولا تقتضيه حكمة الله تعالى، والواقع شاهد بذلك. فإن هذا العهد والميثاق، الذي ذكروا، أنه حين أخرج الله ذرية آدم من ظهره وأشهدهم على أنفسهم، فشهدوا بذلك، فاحتج عليهم بما أقروا به في ذلك الوقت على ظلمهم في كفرهم، وعنادهم في الدنيا والآخرة، ولكن ليس ربما صيره بحالة يفضل بها الباطل على الحق، هذا هو الصواب في تفسير هذه الآيات. وقد قيل: إن هذا يوم أخذ الله الميثاق على ذرية آدم، حين استخرجهم ومذاهبهم الفاسدة ما يظنه هو الحق، وما ذاك إلا لإعراضه، عن حجج الله وبياناته، وآياته الأخفية والنفسية، فإعراضه عن ذلك، وإقباله على ما قاله المبطلون، يدلكم على أن ما مع آبائكم باطل، وأن الحق ما جاءت به الرسل، وهذا يقاوم ما وجدتم عليه آباءكم، ويعلو عليه. نعم قد يعرض للعبد من أقوال آبائه الضالين،

## تفسير السعدي

أخرى، فتقولون: إنما أشرك آبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فحدونا حدوهم، وتبعناهم في باطلهم. أفتهلكنا بما فعل المبطلون فقد أودع الله في فطركم، ما أو تحتجون أيضا بحجة

وكذلك نفضل الآيات أي: نبينها ونوضحها، ولعلمهم يرجعون إلى ما أودع الله في فطرتهم، وإلى ما عاهدوا الله عليه، فيرتدعون عن القبائح. 174  
تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين، وصار إلى أسفل سافلين، فأزه إلى المعاصي أزا. فكان من الغاوين بعد أن كان من الراشدين المرشدين. 175  
الدرجات وأرفع المقامات، فترك هذا كتاب الله وراء ظهره، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب، وخلعها كما يخلع اللباس. فلما انسلخ منها أتبعه الشيطان، أي: فأتبعه الشيطان أي: انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله، فإن العلم بذلك، يصير صاحبه متصفا بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، ويرقى إلى أعلى يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا أي: علمناه كتاب الله، فصار العالم الكبير والحبر النحرير. فانسلخ منها واتباعهم لأهوائهم، بغير هدى من الله. فاقصص القصص لعلهم يتفكرون في ضرب الأمثال، وفي العبر والآيات، فإذا تفكروا علموا، وإذا علموا عملوا. 176  
قاطعا قلبه، لا يسد فاقته شيء من الدنيا. ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا بعد أن ساقها الله إليهم، فلم ينقادوا لها، بل كذبوا بها وردوها، لهوانهم على الله، في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها، كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أي: لا يزال لاهثا في كل حال، وهذا لا يزال حريصا، حرصا فيتحصن من أعدائه. ولكنه فعل ما يقتضي الخذلان، فأخلد إلى الأرض، أي: إلى الشهوات السفلية، والمقاصد الدنيوية. واتبع هواه وترك طاعة مولاه، فمثله ولو شئنا لرفعناه بها بأن يوفقه للعمل بها، فيرتفع في الدنيا والآخرة،

من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى، وإخلاق العبد إلى الشهوات، يكون سببا للخذلان. 177  
وأنه شامل لكل من آتاه الله آياته فانسلخ منها. وفي هذه الآيات الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب وهذا الذي آتاه الله آياته، يحتمل أن المراد به شخص معين، قد كان منه ما ذكره الله، فقض الله قصته تنبيها للعباد. ويحتمل أن المراد بذلك أنه اسم جنس، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون أي: ساء وقبح، مثل من كذب بآيات الله، وظلم نفسه بأنواع المعاصي، فإن مثلهم مثل السوء، حقا لأنه آثر هدايته تعالى، ومن يضل فيخذله ولا يوفقه للخير فأولئك هم الخاسرون لأنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين. 178  
قال تعالى مبينا أنه المنفرد بالهداية والإضلال: من يهد الله بأن يوفقه للخيرات، ويعصمه من المكروهات، ويعلمه ما لم يكن يعلم فهو المهتدي وأما من استعمل هذه الجوارح في عبادة الله، وانصغ قلبه بالإيمان بالله ومحبه، ولم يغفل عن الله، فهؤلاء، أهل الجنة، وبأعمال أهل الجنة يعملون. 179  
بأوامر الله وحقوقه، فاستعانوا بها على ضد هذا المقصود. فهؤلاء حقيقون بأن يكونوا ممن ذرأ الله لجهنم وخلقهم لها، فخلقهم للنار، وبأعمال أهلها يعملون. أولئك هم الغافلون الذين غفلوا عن أنفع الأشياء، غفلوا عن الإيمان بالله وطاعته وذكره. خلقت لهم الأفئدة والأسماع والأبصار، لتكون عوناً لهم على القيام فسلبوا خاصية العقل. بل هم أضل من البهائم، فإن الأنعام مستعملة فيما خلقت له، ولها أذهان، تدرك بها، مضرتها من منفعتها، فلذلك كانت أحسن حالا منهم. لا يسمعون بها سماعا يصل معناه إلى قلوبهم. أولئك الذين بهذه الأوصاف القبيحة كالأنعام أي: البهائم، التي فقدت العقول، وهؤلاء أثروا ما يفنى على ما يبقى، منهم. لهم قلوب لا يفقهون بها أي: لا يصل إليها فقه ولا علم، إلا مجرد قيام الحجة. ولهم أعين لا يبصرون بها ما ينفعهم، بل فقدوا منفعتها وفائدتها. ولهم أذان يقول تعالى مبينا كثرة الغاوين الضالين، المتبعين إبليس اللعين: ولقد ذرأنا أي: أنشأنا وبثنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس صارت البهائم أحسن حالة لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وهذا قسم منه تعالى، أن النار دار العصاة، لا بد أن يملأها من إبليس وأتباعه من الجن والإنس. 18  
لما قال ما قال: اخرج منها خروج صغار واحتقار، لا خروج إكرام بل مذءوما أي: مذموما مدحورا مبعدا عن الله وعن رحمته وعن كل خير. أي: قال الله لإبليس

ويحذر الملحدون فيها، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لله تسعة وتسعين اسما، من أحصاها دخل الجنة 180  
المشركين بها لآلهتهم، وإما بنفي معانيها وتحريفها، وأن يجعل لها معنى ما أراد الله ولا رسوله، وإما أن يشبه بها غيرها، فالواجب أن يحذر الإلحاد فيها، سيجزون ما كانوا يعملون أي: عقوبة وعذابا على إلحادهم في أسمائهم، وحقيقة الإلحاد الميل بها عما جعلت له، إما بأن يسمى بها من لا يستحقها، كتسمية اللهم اغفر لي وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم، وتب علي يا تواب، وارزقني يا رزاق، والطف بي يا لطيف ونحو ذلك. وقوله: وذروا الذين يلحدون في أسمائهم أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: فادعوه بها وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلا و كالرحيم الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء. و كالقدير الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك. ومن تمام كونها حسنى منها، مستغرق لجميع معناها. وذلك نحو العليم الدال على أن له علما محيطا عاما لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء. دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو هذا بيان لعظيم جلاله وسعة أوصافه، بأن له الأسماء الحسنى، أي: له كل

تلي مرتبة الرسالة، وهم في أنفسهم مراتب متفاوتة كل بحسب حاله وعلو منزلته، فسبحان من يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم. 181  
هم أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وهم الذين أنعم الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهم الصديقون الذين مرتبتهم

## تفسير السعدي

ويعملون به، ويعلمونه، ويدعون إليه وإلى العمل به. وبه يعدلون بين الناس في أحكامهم إذا حكموا في الأموال والدماء والحقوق والمقاتلات، وغير ذلك، وهؤلاء أي: ومن جملة من خلقنا أمة فاضلة كاملة في نفسها، مكمله لغيرها، يهدون أنفسهم وغيرهم بالحق، فيعلمون الحق

الله الدالة على صحة ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من الهدى فردوها ولم يقبلوها. سنستدرجهم من حيث لا يعلمون بأن يدر لهم الأرزاق. 182 أي: والذين كذبوا بآيات

وطغياننا، وشرنا إلى شرهم، وبذلك تزيد عقوبتهم، ويتضاعف عذابهم، فيضرون أنفسهم من حيث لا يشعرون، ولهذا قال: إن كيدي متين أي: قوي بليغ. 183 وأملئ لهم أي: أمهلهم حتى يظنوا أنهم لا يؤخذون ولا يعاقبون، فيزدادون كفرا

والناصح المبين، والماجد الكريم، والرءوف الرحيم؟ ولهذا قال: إن هو إلا نذير مبين أي: يدعو الخلق إلى ما ينجيهم من العذاب، ويحصل لهم الثواب. 184 إلا أتمها، ولا من العقل والرأي إلا ما فاق به العالمين، ولا يدعو إلا لكل خير، ولا ينهى إلا عن كل شر. أفبهذا يا أولي الألباب من جنة؟ أم هو الإمام العظيم من حاله شيء، هل هو مجنون؟ فليظنوا في أخلاقه وهديه، ودله وصفاته، وينظروا في ما دعا إليه، فلا يجدون فيه من الصفات إلا أكملها، ولا من الأخلاق أولم يتفكروا ما بصاحبهم محمد صلى الله عليه وسلم من جنة أي: أو لم يعملوا أفكارهم، وينظروا: هل في صاحبهم الذي يعرفونه ولا يخفى عليهم

الكتاب الجليل، فبأي حديث يؤمنون به؟ أبكتب الكذب والضلال؟ أم بحديث كل مقتر دجال؟ ولكن الضال لا حيلة فيه، ولا سبيل إلى هدايته. 185 قبل أن يقترب أجلهم، ويفجأهم الموت وهم في غفلة معرضون، فلا يتمكنون حينئذ، من استدراك الفارط. فبأي حديث بعده يؤمنون أي: إذا لم يؤمنوا بهذا لأن يكون هو المعبود المحمود، المسبح الموحد المحبوب. وقوله: وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم أي: لينظروا في خصوص حالهم، وينظروا لأنفسهم يدل أعظم دلالة على الله وقدرته وحكمته وسعة رحمته، وإحسانه، ونفوذ مشيئته، وغير ذلك من صفاته العظيمة، الدالة على تفرد بالخلق والتدبير، الموجبة إذا نظروا إليها، وجدوها أدلة دالة على توحيد ربها، وعلى ما له من صفات الكمال. و كذلك لينظروا إلى جميع ما خلق الله من شيء فإن جميع أجزاء العالم، أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض فإنهم

من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون أي: متحيرين يترددون، لا يخرجون منه ولا يهتدون إلى حق. 186

حال هؤلاء الذين يتركون السؤال عن الأهم، ويدعون ما يجب عليهم من العلم، ثم يذهبون إلى ما لا سبيل لأحد أن يدركه، ولا هم مطالبون بعلمه. 187 الله عن الخلق، لكمال حكمته وسعة علمه. قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلذلك حرصوا على ما لا ينبغي الحرص عليه، وخصوصا مثل يقتدون بك، ويكفون عن الاستحفاء عن هذا السؤال الخالي من المصلحة المتعذر علمه، فإنه لا يعلمها نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وهي من الأمور التي أخفاها عن الساعة، كأنك مستحف عن السؤال عنها، ولم يعلموا أنك لكمال علمك بربك، وما ينفع السؤال عنه غير مبال بالسؤال عنها، ولا حريص على ذلك، فلم لا الساعة مشفقون. لا تأتيكم إلا بغتة أي: فجأة من حيث لا تشعرون، لم يستعدوا لها، ولم يتهيأوا لقيامها. يسألونك كأنك حفي عنها أي: هم حريصون على سؤالك أي: لا يظهرها لوقتها الذي قدر أن تقوم فيه إلا هو. ثقلت في السماوات والأرض أي: خفي علمها على أهل السماوات والأرض، واشتد أمرها أيضا عليهم، فهم من عن الساعة أيان مرساها أي: متى وقتها الذي تجيء به، ومتى تحل بالخلق؟ قل إنما علمها عند ربي أي: إنه تعالى مختص بعلمها، لا يجليها لوقتها إلا هو يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: يسألونك أي: المكذبون لك، المتعنتون

الله عليه وسلم، الذي فاق نفع الآباء والأمهات، والأخلاء والإخوان بما حث العباد على كل خير، وحذرهم عن كل شر، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح. 188 ولا يدفع الضر عن من لم يدفعه الله عنه، ولا له من العلم إلا ما علمه الله تعالى، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة، وعمل بذلك، فهذا نفعه صلى الآيات الكريمات، مبينة جهل من يقصد النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوه لحصول نفع أو دفع ضر. فإنه ليس بيده شيء من الأمر، ولا ينفع من لم ينفعه الله، بالثواب العاجل والأجل، ببيان الأعمال الموصلة إليه والترغيب فيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هذه البشارة والنذارة، وإنما ينتفع بذلك ويقبله المؤمنون، وهذه فهذا أدل دليل على أني لا علم لي بالغييب. إن أنا إلا نذير أنذر العقوبات الدينية والدنيوية والأخروية، وأبين الأعمال المفضية إلى ذلك، وأحذر منها. وبشير لعلمي بالأشياء قبل كونها، وعلمي بما تفضي إليه. ولكني لعدم علمي قد ينالني ما ينالني من سوء، وقد يفوتني ما يفوتني من مصالح الدنيا ومنافعها، أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء أي: لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تنتج لي المصالح والمنافع، ولحذرت من كل ما يفضي إلى سوء ومكروه، قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا فإني فقير مدبر، لا يأتيني خير إلا من الله، ولا يدفع عني الشر إلا هو، وليس لي من العلم إلا ما علمني الله تعالى. ولو كنت

خروجه حيا، صحيحا، سالما لا آفة فيه كذلك فدعوا الله ربهما لنن آتيتنا ولدا صالحا أي: صالح الخلقة تامها، لا نقص فيه لنكونن من الشاكرين. 189 خفيفا، وذلك في ابتداء الحمل، لا تحس به الأنثى، ولا يثقها. فلما استمرت به وأثقلت به حين كبر في بطنها، فحينئذ صار في قلوبهما الشفقة على الولد، وعلى فانقاد كل منهما إلى صاحبه بزماء الشهوة. فلما تغشاها أي: تجللها مجامعا لها قدر الباري أن يوجد من تلك الشهوة وذلك الجماع النسل، وحينئذ حملت حملا منها زوجها أي: خلق من آدم زوجته حواء لأجل أن يسكن إليها لأنها إذا كانت منه حصل بينهما من المناسبة والموافقة ما يقتضي سكونا أحدهما إلى الآخر، هو الذي خلقكم أيها الرجال والنساء، المنتشرون في الأرض على كثرتكم وتفرقتكم. من نفس واحدة وهو آدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم. وجعل

أرادا، إلا أنه عين لهما شجرة، ونهاهما عن أكلها، والله أعلم ما هي، وليس في تعيينها فائدة لنا. وحرم عليهما أكلها، بدليل قوله: فتكونا من الظالمين 19 أي: أمر الله تعالى آدم وزوجته حواء، التي أنعم الله بها عليه ليسكن إليها، أن يأكلا من الجنة حيث شاءا ويتمتعاً فيها بما

## تفسير السعدي

يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا به في عبادته أحدا، ويخلصوا له الدين. ولكن الأمر جاء على العكس، فأشركوا بالله من لا يخلق شيئا وهم يخلقون . 190 ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتا موقوتا، تتشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجهم سويا صحيحا، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. أفلا من أنفسهم أزواجا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل. الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا، فلذلك قرره الله على بطلان العزيز و عبد الكعبة ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما من الله عليهما بما من من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد. وهذا انتقال شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعباده لغير الله. إما أن يسمياه بعبد غير الله ك عبد الحارث و عبد تفسير الآيتين 190 و191: فلما آتاها صالحا على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه جعلاه شركاء فيما آتاها أي: جعلاه لله

يستحق أن يعبدوه، ولا يشركوا به في عبادته أحدا، ويخلصوا له الدين. ولكن الأمر جاء على العكس، فأشركوا بالله من لا يخلق شيئا وهم يخلقون . 191 ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات، وقتا موقوتا، تتشوف إليه نفوسهم، ويدعون الله أن يخرجهم سويا صحيحا، فأتم الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم. أفلا من أنفسهم أزواجا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه ويلتذ به، ثم هداهم إلى ما به تحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل. الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون أشد الظلم، سواء كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال، فإن الخالق لهم من نفس واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا، فلذلك قرره الله على بطلان العزيز و عبد الكعبة ونحو ذلك، أو يشركا بالله في العبادة، بعدما من الله عليهما بما من من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد. وهذا انتقال شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعباده لغير الله. إما أن يسمياه بعبد غير الله ك عبد الحارث و عبد تفسير الآيتين 190 و191: فلما آتاها صالحا على وفق ما طلبا، وتمت عليهما النعمة فيه جعلاه شركاء فيما آتاها أي: جعلاه لله

ذرة، بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عن من يعبدها، بل ولا عن أنفسها، فكيف تتخذ مع الله آلهة؟ إن هذا إلا أظلم الظلم، وأسفه السفه. 192 ولا يستطيعون لهم أي: لعابديها نصرا ولا أنفسهم ينصرون . فإذا كانت لا تخلق شيئا، ولا مثقال

حالة منها، لأنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تهدي ولا تهدى، وكل هذا إذا تصوره اللبيب العاقل تصورا مجردا، جزم ببطلان إلهيتها، وسفاهة من عبدها. 193 وإن تدعوا، أيها المشركون هذه الأصنام، التي عبدتم من دون الله إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم أنتم صامتون . فصار الإنسان أحسن ثم كيدون فلا تنظرون أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بي، من غير إمهال ولا إنظار فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي. 194 في الإنسان. فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، وهي عباد أمثالكم، بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء، فلا شيء عبدتموها. قل ادعوا شركاءكم أنه ليس لديها من النفع شيء، فليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا أذان تسمع بها، فهي عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى، مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى التبيين فيه، فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على فكلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئا فادعوهم فليستجيبوا لكم فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، الآيتين 194 و195 :- وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم أي: لا فرق بينكم وبينهم، تفسير

ثم كيدون فلا تنظرون أي: اجتمعوا أنتم وشركاؤكم على إيقاع السوء والمكروه بي، من غير إمهال ولا إنظار فإنكم غير بالغين لشيء من المكروه بي. 195 في الإنسان. فإذا كانت لا تجيبكم إذا دعوتموها، وهي عباد أمثالكم، بل أنتم أكمل منها وأقوى على كثير من الأشياء، فلا شيء عبدتموها. قل ادعوا شركاءكم أنه ليس لديها من النفع شيء، فليس لها أرجل تمشي بها، ولا أيد تبطش بها، ولا أعين تبصر بها، ولا أذان تسمع بها، فهي عادمة لجميع الآلات والقوى الموجودة وإلا تبين أنكم كاذبون في هذه الدعوى، مفترون على الله أعظم الفرية، وهذا لا يحتاج إلى التبيين فيه، فإنكم إذا نظرتم إليها وجدتم صورتها دالة على فكلكم عبيد لله مملوكون، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئا فادعوهم فليستجيبوا لكم فإن استجابوا لكم وحصلوا مطلوبكم، الآيتين 194 و195 :- وهذا من نوع التحدي للمشركين العابدين للأوثان، يقول تعالى: إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم أي: لا فرق بينكم وبينهم، تفسير

بهم وأعانهم على ما فيه الخير والمصلحة لهم، في دينهم ودنياهم، ودفع عنهم بإيمانهم كل مكروه، كما قال تعالى: إن الله يدافع عن الذين آمنوا . 196 آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور فالمؤمنون الصالحون لما تولوا ربهم بالإيمان والتقوى، ولم يتولوا غيره ممن لا ينفع ولا يضر تولاهم الله ولطف والشفاء والنور، وهو من توليته وتربيته لعباده الخاصة الدينية. وهو يتولى الصالحين الذين صلحت نياتهم وأعمالهم وأقوالهم، كما قال تعالى: الله ولي الذين إن وليي الله الذي يتولاني فيجلب لي المنافع ويدفع عني المضار. الذي نزل الكتاب الذي فيه الهدى

يعبدونها من دون الله لشيء من العبادة، لأنها ليس لها استطاعة ولا اقتدار في نصر أنفسهم، ولا في نصر عابديها، وليس لها قوة العقل والاستجابة. 197 وهذا أيضا في بيان عدم استحقاق هذه الأصنام التي

## تفسير السعدي

إليك يا رسول الله نظر اعتبار يتبين به الصادق من الكاذب، ولكنهم لا يبصرون حقيقتك وما يتوسمه المتوسمون فيك من الجمال والكمال والصدق. 198  
وقيل: إن معنى قوله وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون أن الضمير يعود إلى المشركين المكذبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتحسبهم ينظرون  
أحوال عباده الصالحين، لم يقدرُوا على كيدِهِ بمِثقال ذرة من الشر، لكمال عجزهم وعجزها، وكمال قوة الله واقتداره، وقوة من احتمى بجلاله وتوكل عليه.  
وتقربوا لها بأنواع العبادات؟ فإذا عرف هذا، عرف أن المشركين وآلهتهم التي عبدوها، لو اجتمعوا، وأرادوا أن يكيدوا من تولاه فاطر الأرض والسماوات، متولي  
فإذا رأيتها قلت: هذه حية، فإذا تأملتُها عرفت أنها جمادات لا حراك بها، ولا حياة، فبأي رأي اتخذها المشركون آلهة مع الله؟ ولأي مصلحة أو نفع عكفوا عندها  
صور لا حياة فيها، فتراهم ينظرون إليك، وهم لا يبصرون حقيقة، لأنهم صوروها على صور الحيوانات من الأدميين أو غيرهم، وجعلوا لها أبصاراً وأعضاء،  
فلو دعوتها إلى الهدى لم تهتد، وهي

يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن آذاك بقوله أو فعله لا تؤذ، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فصله، ومن ظلمك فاعدل فيه. 199  
أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن  
كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة،  
العقل لنقصه، ولا الفقير لفقره، بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتشرح له صدورهم. وأمر بالعرف أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق  
من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، ولا يتكبر على الصغير لصغره، ولا ناقص  
فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر  
هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم،

كما قال تعالى: وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين يتذكرون به الصراط المستقيم، وأعماله الظاهرة والباطنة، وما يحول بين العبد، وبين سلوكه. 2  
ولتصدع بأوامره ونواهيه، ولا تخش لأنما ومعارضاً. لتتذكر به الخلق، فتعظمهم وتذكرهم، فتقوم الحجة على المعاندين. و ليكون ذكرى للمؤمنين  
أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وأنه أصدق الكلام فليشرح له صدرك، ولتطمئن به نفسك،  
حوى كل ما يحتاج إليه العباد، وجميع المطالب الإلهية، والمقاصد الشرعية، محكما مفصلا فلا يكن في صدرك حرج منه أي: ضيق وشك واشتباه، بل لتعلم  
يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مبينا له عظمة القرآن: كتاب أنزل إليك أي: كتاب جليل

إلا أن تكونا ملكين أي: من جنس الملائكة أو تكونا من الخالدين كما قال في الآية الأخرى: هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى 20  
فلم يزالا ممتثلين لأمر الله، حتى تغلغل إليهما عدوهما إبليس بمكره، فوسوس لهما وسوسة خدعهما بها، وموه عليهما وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة  
لما تقول. عليم بنيتك وضعفك، وقوة التجاؤك له، فسيحملك من فتنته، وبقيك من وسوسته، كما قال تعالى: قل أعوذ برب الناس إلى آخر السورة. 200  
من الشيطان نزغ أي: تحس منه بوسوسة، وتبسط عن الخير، أو حث على الشر، وإيعاز إليه. فاستعذ بالله أي: التجأ واعتصم بالله، واحتم بحماه فإنه سميع  
أي: أي وقت، وفي أي حال ينزغك

فأبصر واستغفر الله تعالى، واستدرك ما فرط منه بالتوبة النصوح والحسنات الكثيرة، فرد شيطانه خاسئا حسيرا، قد أفسد عليه كل ما أدركه منه. 201  
الشيطان، فأذنب بفعل محرم أو ترك واجب تذكر من أي باب أتى، ومن أي مدخل دخل الشيطان عليه، وتذكر ما أوجب الله عليه، وما عليه من لوازم الإيمان،  
لا بد أن يغفل وينال منه الشيطان، الذي لا يزال مرابطا ينتظر غرته وغفلته، ذكر تعالى علامة المتقين من الغاوين، وأن المتقي إذا أحس بذنب، ومسّه طائف من  
ولما كان العبد

بعد ذنب، ولا يقصرون عن ذلك، فالشياطين لا تقصر عنهم بالإغواء، لأنها طمعت فيهم، حين رأتهم سلسي القياد لها، وهم لا يقصرون عن فعل الشر. 202  
وأما إخوان الشياطين وأولياؤهم، فإنهم إذا وقعوا في الذنوب، لا يزالون يمدونهم في الغي ذنبا

له من الضلال ورحمة له من الشقاء، فالمؤمن مهتد بالقرآن، متبع له، سعيد في دنياه وأخراه. وأما من لم يؤمن به، فإنه ضال شقي، في الدنيا والآخرة. 203  
أنه تنزيل من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبه قامت الحجة على كل من بلغه، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون، وإلا فمن آمن، فهو هدى  
هذا القرآن العظيم، والذكر الحكيم بصائر من ربكم يستبصر به في جميع المطالب الإلهية والمقاصد الإنسانية، وهو الدليل والمدلول فمن تفكر فيه وتدبره، علم  
ينزل الآيات ويرسلها على حسب ما اقتضاه حمده، وطلبته حكمته البالغة، فإن أردتم آية لا تضمحل على تعاقب الأوقات، وحجة لا تبطل في جميع الآتات، ف  
ولم يعلموا أنه ليس لك من الأمر شيء، أو أن المعنى: لولا اخترعتها من نفسك. قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي فأنا عبد متبع مدبر، والله تعالى هو الذي  
الاقتراح التي يعينونها قالوا لولا اجتبيتها أي: هلا اخترت الآية، فصارت الآية الفلانية، أو المعجزة الفلانية كأنك أنت المنزل للآيات، المدبر لجميع المخلوقات،  
لك في تعنت وعناد، ولو جاءتهم الآيات الدالة على الهدى والرشاد، فإذا جنتهم بشيء من الآيات الدالة على صدقك لم ينقادوا. وإذا لم تأتهم بآية من آيات  
أي لا يزال هؤلاء المكذبون

في الصلاة الجهرية إذا قرأ إمامه، فإنه مأمور بالإنصات، حتى إن أكثر العلماء يقولون: إن اشتغاله بالإنصات، أولى من قراءته الفاتحة، وغيرها. 204  
أن من تلي عليه الكتاب، فلم يستمع له وينصت، أنه محروم الحظ من الرحمة، قد فاتته خير كثير. ومن أوكد ما يؤمر به مستمع القرآن، أن يستمع له وينصت

## تفسير السعدي

كتاب الله، فإنه ينال خيرا كثيرا وعلمًا غزيرًا، وإيمانًا مستمرًا متجددًا، وهديًا متزايدًا، وبصيرة في دينه، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما، فدل ذلك على التحدث أو الاشتغال بما يشغل عن استماعه. وأما الاستماع له، فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى هذا الأمر عام في كل من سمع كتاب الله يتلى، فإنه مأمور بالاستماع له والإنصات، والفرق بين الاستماع والإنصات، أن الإنصات في الظاهر يترك

ساكنًا، وتواطئ عليه قلبه ولسانه، بأدب ووقار، وإقبال على الدعاء والذكر، وإحضار له بقلبه وعدم غفلة، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه. 205 وهذه من الآداب التي ينبغي للعبد أن يراعيها حق رعايتها، وهي الإكثار من ذكر الله أثناء الليل والنهار، خصوصًا طرفي النهار، مخلصًا خاشعًا متضرعًا، متذللاً أنفسهم، فإنهم حرموا خير الدنيا والآخرة، وأعرضوا عن كل السعادة والفوز في ذكره وعبوديته، وأقبلوا على من كل الشقاوة والخيبة في الاشتغال به، بين ذلك سبيلًا. بالغدو أول النهار والأصل آخره، وهذان الوقتان لذكر الله فيهما مزية وفضيلة على غيرهما. ولا تكن من الغافلين الذين نسوا الله فأنساهم علامة الخوف أن يسعى ويجتهد في تكميل العمل وإصلاحه، والنصح به. ودون الجهر من القول أي: كن متوسطًا، لا تجهر بصلاتك، ولا تخافت بها، وابتغ أي: مخلصًا خاليًا. تضرعًا أي: متضرعًا بلسانك، مكررا لأنواع الذكر، وخيفة في قلبك بأن تكون خائفًا من الله، وجل القلب منه، خوفًا أن يكون عملك غير مقبول، الذكر لله تعالى يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بهما، وهو أكمل أنواع الذكر وأحواله، فأمر الله عبده ورسوله محمدًا أصلًا وغيره تبعًا، بذكر ربه في نفسه، الكرام، وليداوموا على عبادة الملك العلام. تم تفسير سورة الأعراف ولله الحمد والشكر والثناء. صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. 206

لا يستكبرون عن عبادته بل يدعنون لها وينقادون لأوامر ربهم ويسبحونه الليل والنهار لا يفتررون. وله وحده لا شريك له يسجدون فليقتد العباد بهؤلاء الملائكة ما عملتم، فقال: إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون إن الذين عند ربك من الملائكة المقربين، وحمة العرش والكروبيين. لخدمته وهم الملائكة، فلتعلموا أن الله لا يريد أن يتكثر بعبادتك من قلة، ولا ليتعزز بها من ذلة، وإنما يريد نفع أنفسكم، وأن تربحوا عليه أضعاف أضعاف ثم ذكر تعالى أن له عبادًا مستديمين لعبادته، ملازمين

أقسم لهما بالله إني لكما لمن الناصحين أي: من جملة الناصحين حيث قلت لكما ما قلت، فاعترا بذلك، وغلبت الشهوة في تلك الحال على العقل. 21 ومع قوله هذا

وهما بتلك الحال موبخا ومعاتبًا: ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين فلم اقترفتما المنهي، وأطعتما عدوكما؟ 22 اللباس الظاهر، حتى انخلع فظهرت عوراتهما، ولما ظهرت عوراتهما خجلا وجعلا يخصفان على عوراتهما من أوراق شجر الجنة، ليستترا بذلك. وناداهما ربهما على أكلها. فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سواتهما أي: ظهرت عورة كل منهما بعد ما كانت مستورة، فصار للعرى الباطن من التقوى في هذه الحال أثر في فدلها أي: نزلها عن رتبتهما العالية، التي هي البعد عن الذنوب والمعاصي إلى التلوث بأوضاعها، فأقدا

إذا صدرت منه الذنوب اجتباها ربه وهده. ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي فإنه لا يزداد من الله إلا بعدا. 23 ربه فغوى ثم اجتباها ربه فتأب عليه وهدي هذا وإبليس مستمر على طغيانه، غير مقلع عن عصيانه، فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافة من أمثال هذه الخطايا. فغفر الله لهما ذلك وعصى آدم من الله مغفرته فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وضربنا بأنفسنا باقتراف الذنب، فحينئذ، من الله عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا

إذا صدرت منه الذنوب اجتباها ربه وهده. ومن أشبه إبليس إذا صدر منه الذنب، لا يزال يزداد من المعاصي فإنه لا يزداد من الله إلا بعدا. 24 ربه فغوى ثم اجتباها ربه فتأب عليه وهدي هذا وإبليس مستمر على طغيانه، غير مقلع عن عصيانه، فمن أشبه آدم بالاعتراف وسؤال المغفرة والندم والإقلاع وقد فعلنا سبب الخسار إن لم تغفر لنا، بمحو أثر الذنب وعقوبته، وترحمنا بقبول التوبة والمعافة من أمثال هذه الخطايا. فغفر الله لهما ذلك وعصى آدم من الله مغفرته فقالا: ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين أي: قد فعلنا الذنب، الذي نهيتنا عنه، وضربنا بأنفسنا باقتراف الذنب، فحينئذ، من الله عليهما بالتوبة وقبولها، فاعترفا بالذنب، وسألا

وينزل عليهم كتبه، حتى يأتيهم الموت، فيدفنون فيها، ثم إذا استكملوا بعثهم الله وأخرجهم منها إلى الدار التي هي الدار حقيقة، التي هي دار المقامة. 25 إلى الأرض، أخبرهما بحال إقامتهم فيها، وأنه جعل لهم فيها حياة يتلوها الموت، مشحونة بالامتحان والابتلاء، وأنهم لا يزالون فيها، يرسل إليهم رسله، أي: لما أهبط الله آدم وزوجته وذريتهما

ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون أي: ذلك المذكور لكم من اللباس، مما تذكرون به ما ينفعكم ويضركم وتشبهون باللباس الظاهر على الباطن. 26 تنكشف عورته الظاهرة، التي لا يضره كشفها، مع الضرورة، وأما بتقدير عدم لباس التقوى، فإنها تنكشف عورته الباطنة، وينال الخزي والفضيحة. وقوله: اللباس الظاهري، فغايتة أن يستر العورة الظاهرة، في وقت من الأوقات، أو يكون جمالا للإنسان، وليس وراء ذلك منه نفع. وأيضا، فبتقدير عدم هذا اللباس، وطاعته، ولهذا قال: ولباس التقوى ذلك خير من اللباس الحسي، فإن لباس التقوى يستمر مع العبد، ولا يبلى ولا يبيد، وهو جمال القلب والروح. وأما والمراكب، والمناكب ونحوها، قد يسر الله للعباد ضروريها، ومكمل ذلك، وبين لهم أن هذا ليس مقصودا بالذات، وإنما أنزله الله ليكون معونة لهم على عبادته ثم امتن عليهم بما يسر لهم من اللباس الضروري، واللباس الذي المقصود منه الجمال، وهكذا سائر الأشياء، كالطعام والشراب

## تفسير السعدي

الولاية بين الإنسان والشیطان. إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون 27 على الدوام، و يراكم هو وقبيله من شياطين الجن من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون فعدم الإيمان هو الموجب لعقد إن استطاع، فعليكم أن تجعلوا الحذر منه في بالك، وأن تلبسوا لأمة الحرب بينكم وبينه، وأن لا تغفلوا عن المواضع التي يدخل منها إليكم. ف إنه يراقبكم فيه، فتتقادون له كما أخرج أبويكم من الجنة وأنزلهما من المحل العالي إلى أنزل منه، فأنتم يريد أن يفعل بكم كذلك، ولا يألو جهده عنكم، حتى يفتنكم، يقول تعالى، محذرا لبني آدم أن يفعل بهم الشيطان كما فعل بأبيهم: يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان بأن يزين لكم العصيان، ويدعوكم إليه، ويرغبكم وحكمته أن يأمر عباده بتعاطي الفواحش لا هذا الذي يفعله المشركون ولا غيره أتقولون على الله ما لا تعلمون وأي: افتراء أعظم من هذا 28 عليها آباءنا وصدقوا في هذا. والله أمرنا بها وكذبوا في هذا، ولهذا رد الله عليهم هذه النسبة فقال: قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أي: لا يليق بكما له الذين يفعلون الذنوب، وينسبون أن الله أمرهم بها. وإذا فعلوا فاحشة وهي: كل ما يستفحش ويستقبح، ومن ذلك طوافهم بالبيت عراة قالوا وجدنا يقول تعالى مبينا لقبح حال المشركين

دعائكم سوى عبودية الله ورضاه. كما بدأكم أول مرة تعودون للبعث، فالقادر على بدء خلقكم، قادر على إعادته، بل الإعادة، أهون من البداية. 29 مخلصين له الدين أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له. والدعاء يشمل دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراءوا ولا تقصدوا من الأغراض في عند كل مسجد أي: توجهوا لله، واجتهدوا في تكميل العبادات، خصوصا الصلاة أقيموها، ظاهرا وباطنا، ونقوها من كل نقص ومفسد. وادعوه ثم ذكر ما يأمر به، فقال: قل أمر ربي بالقسط أي: بالعدل في العبادات والمعاملات، لا بالظلم والجور. وأقيموا وجوهكم تتولونهم، وتتبعون أهواءهم، وتتركون لأجلها الحق. قليلا ما تذكرون فلو تذكروا وعرفتم المصلحة، لما آتروا الضار على النافع، والعدو على الولي. 30 فأنزل عليكم هذا الكتاب الذي، إن اتبعتموه، كملت تربيتكم، وتمت عليكم النعمة، وهديتم لأحسن الأعمال والأخلاق ومعاليها ولا تتبعوا من دونه أولياء أي: الله العباد، وألفتهم إلى الكتاب فقال: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم أي: الكتاب الذي أريد إنزاله لأجلكم، وهو: من ربكم الذي يريد أن يتم تربيته لكم، ثم خاطب

لنفسه بالضلال، وأن من حسب أنه مهتد وهو ضال، أنه لا عذر له، لأنه متمكن من الهدى، وإنما أتاه حسبانته من ظلمه بترك الطريق الموصل إلى الهدى. 30 وأنه لا يأمر إلا بالعدل والإخلاص، وفيه دليل على أن الهداية بفضل الله ومنه، وأن الضلالة بخذلانه للعبد، إذا تولى بجهله وظلمه الشيطان، وتسبب والحق باطلا، وفي هذه الآيات دليل على أن الأوامر والنواهي تابعة للحكمة والمصلحة، حيث ذكر تعالى أنه لا يتصور أن يأمر بما تستفحشه وتكره العقول، لهم النصيب الوافر من الخذلان، ووكلا إلى أنفسهم فخسروا أشد الخسران. وهم يحسبون أنهم مهتدون لأنهم انقلب عليهم الحقائق، فظنوا الباطل حقا أولياء من دون الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا فحين انسلخوا من ولاية الرحمن، واستحبوا ولاية الشيطان، حصل وصرف عنهم موانعها. وفريقا حق عليهم الضلالة أي: وجبت عليهم الضلالة بما تسببوا لأنفسهم وعملوا بأسباب الغواية. ف إنهم اتخذوا الشياطين فريقا منكم هدى الله، أي: وفقهم للهداية، ويسر لهم أسبابها،

أدت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما. 31 في المآكل والمشرب واللباس، وإما بتجاوز الحلال إلى الحرام. إنه لا يحب المرففين فإن السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتى إنه ربما ولا تسرفوا في ذلك، والإسراف إما أن يكون بالزيادة على القدر الكافي والشره في المأكولات الذي يضر بالجسم، وإما أن يكون بزيادة الترفه والتنوق الأمر بستر العورة في الصلاة، وباستعمال التجميل فيها ونظافة السترة من الأنداس والأنجاس. ثم قال: وكلوا واشربوا أي: مما رزقكم الله من الطيبات فرضها ونفلها، فإن سترها زينة للبدن، كما أن كشفها يدع البدن قبيحا مشوها. ويحتمل أن المراد بالزينة هنا ما فوق ذلك من اللباس النظيف الحسن، ففي هذا يقول تعالى بعد ما أنزل على بني آدم لباسا يوارى سوءاتهم وريشاً: يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد أي: استروا عوراتكم عند الصلاة كلها، فصل الآيات أي: نوضحها ونبينها لقوم يعلمون لأنهم الذين ينتفعون بما فصله الله من الآيات، ويعلمون أنها من عند الله، فيعقلونها ويفهمونها. 32 أن من لم يؤمن بالله، بل استعان بها على معاصيه، فإنها غير خالصة له ولا مباحة، بل يعاقب عليها وعلى التمتع بها، ويسأل عن النعيم يوم القيامة. كذلك به على عبادته، فلم يبيحه إلا لعباده المؤمنين، ولهذا قال: قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة أي: لا تبعة عليهم فيها. ومفهوم الآية الذي يقدم على تحريم ما أنعم الله بها على العباد، ومن ذا الذي يضيع عليهم ما وسعه الله؟ وهذا التوسيع من الله لعباده بالطيبات، جعله لهم ليستعينوا قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده من أنواع اللباس على اختلاف أصنافه، والطيبات من الرزق، من مأكلا ومشرب بجميع أنواعه، أي: من هذا يقول تعالى منكرا على من تعنت، وحرم ما أحل الله من الطيبات

العباد عن تعاطيها، لما فيها من المفسد الخاصة والعامة، ولما فيها من الظلم والتجري على الله، والاستطالة على عباد الله، وتغيير دين الله وشرعه. 33 الشرك الأصغر كالرياء والحلف بغير الله، ونحو ذلك. وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون في أسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه، فكل هذه قد حرمها الله، ونهى بالله ما لم ينزل به سلطانا أي: حجة، بل أنزل الحجة والبرهان على التوحيد. والشرك هو أن يشرك مع الله في عبادته أحد من الخلق، وربما دخل في هذا العقوبة في حقوق الله، والبغى على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم، فدخل في هذا الذنوب المتعلقة بحق الله، والمتعلقة بحق العباد. وأن تشركوا

## تفسير السعدي

- تتعلق بحركات البدن، والتي تتعلق بحركات القلوب، كالكبر والعجب والرياء والنفاق، ونحو ذلك، والإثم والبغي بغير الحق أي: الذنوب التي تؤثم وتوجب الفواحش أي: الذنوب الكبار التي تستفحش وتستقبح لشناعتها وقبحها، وذلك كالزنا واللواط ونحوهما. وقوله: ما ظهر منها وما بطن أي: الفواحش التي ثم ذكر المحرمات التي حرمها الله في كل شريعة من الشرائع فقال: قل إنما حرم ربي
- الله بني آدم إلى الأرض، وأسكنهم فيها، وجعل لهم أجلا مسمى لا تتقدم أمة من الأمم على وقتها المسمى، ولا تتأخر، لا الأمم المجتمعة ولا أفرادها. 34 أي: وقد أخرج
- عليهم من الشر الذي قد يخافه غيرهم ولا هم يحزنون على ما مضى، وإذا انتفى الخوف والحزن حصل الأمن التام، والسعادة، والفلاح الأبدي. 35 استجاب لهم، وخسار من لم يستجب لهم فقال: فمن اتقى ما حرم الله، من الشرك والكبائر والصغائر، وأصلح أعماله الظاهرة والباطنة فلا خوف لما أخرج الله بني آدم من الجنة، ابتلاهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب عليهم يقصون عليهم آيات الله ويبينون لهم أحكامه، ثم ذكر فضل من بها قلوبهم، ولا انقادت لها جوارحهم، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون كما استهانوا بآياته، ولأزموا التكذيب بها، أهينوا بالعذاب الدائم الملازم. 36 والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أي: لا أمنت
- عنا أي: اضمحلوا وبطلوا، وليسوا مغنين عنا من عذاب الله من شيء. وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين مستحقين للعذاب المهيمن الدائم. 37 الحالة توبيخا وعتابا أين ما كنتم تدعون من دون الله من الأصنام والأوثان، فقد جاء وقت الحاجة إن كان فيها منفعة لكم أو دفع مضر. قالوا ضلوا شيئا، يتمتعون قليلا، ثم يعذبون طويلا، حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم أي: الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واستيفاء آجالهم. قالوا لهم في تلك المبينة للحق المبين، الهادية إلى الصراط المستقيم، هؤلاء وإن تمتعوا بالدنيا، ونالهم نصيبهم مما كان مكتوبا لهم في اللوح المحفوظ، فليس ذلك بمغن عنهم أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك له، أو النقص له، أو الثقل عليه ما لم يقل، أو كذب بآياته الواضحة
- عذابا ضعفا من النار أي: عذبهم عذابا مضاعفا لأنهم أضلوا، وزينوا لنا الأعمال الخبيثة. قال الله لكل منكم ضعف ونصيب من العذاب. 38 والمقلدين الاتباع. قالت أخرهم أي: متأخروهم، المتبعون للرؤساء لأولاهم أي: لرؤسائهم، شاكين إلى الله إضلالهم إياهم: ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا حتى إذا ادركوا فيها جميعا أي: اجتمع في النار جميع أهلها، من الأولين والآخرين، والقادة والرؤساء على ما مضيت عليهم من الكفر والاستكبار، فاستحق الجميع الخزي والبوار، كلما دخلت أمة من الأمم العاتية النار لعنت أختها كما قال تعالى: ويوم فقالت لهم الملائكة ادخلوا في أمم أي: في جملة أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس أي: مضوا
- كانوا متفاوتين في مقداره، بحسب أعمالهم وعنادهم وظلمهم وافترائهم، وأن مودتهم التي كانت بينهم في الدنيا تنقلب يوم القيامة عداوة وملاعة. 39 فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذه الآيات ونحوها، دلت على أن سائر أنواع المكذبين بآيات الله، مخلدون في العذاب، مشتركون فيه وفي أصله، وإن الضلال أبلغ وأشنع من عذاب الاتباع، كما أن نعيم أئمة الهدى ورؤسائه أعظم من ثواب الاتباع، قال تعالى: الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا جميعا في الغي والضلال، وفي فعل أسباب العذاب، فأبي: فضل لكم علينا؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ولكنه من المعلوم أن عذاب الرؤساء وأئمة أي: الرؤساء، قالوا لأتباعهم: فما كان لكم علينا من فضل أي: قد اشتركنا
- على قلوبهم. فحين جاءهم العذاب لم يدفعوه عن أنفسهم، ولا أغنت عنهم آلهتهم التي كانوا يرجونهم، ولا أنكروا ما كانوا يفعلونه من الظلم والمعاصي. 40 فقال: وكمن من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا أي: عذابنا الشديد بياتا أو هم قائلون أي: في حين غفلتهم، وعلى غرتهم غافلون، لم يخطر الهلاك ثم حذرهم عقوباته للأمم الذين كذبوا ما جاءتهم به رسلهم، لئلا يشابهوهم
- تعالى: إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وقال هنا وكذلك نجزي المجرمين أي: الذين كثر إجرامهم واشتد طغيانهم. 40 أضييق الأشياء، وهذا من باب تعليق الشيء بالمحال، أي: فكما أنه محال دخول الجمل في سم الخياط، فكذلك المكذبون بآيات الله محال دخولهم الجنة، قال الجنة حتى يلج الجمل وهو البعير المعروف في سم الخياط أي: حتى يدخل البعير الذي هو من أكبر الحيوانات جسما، في خرق الإبرة، الذي هو من لها أبواب السماء حتى تعرج إلى الله، وتصل إلى حيث أراد الله من العالم العلوي، وتبتهج بالقرب من ربها والحظوة برضوانه. وقوله عن أهل النار ولا يدخلون بالله ومعرفته ومحبته كذلك لا تصعد بعد الموت، فإن الجزء من جنس العمل. ومفهوم الآية أن أرواح المؤمنين المنقادين لأمر الله المصدقين بآياته، تفتح أنهم آيسون من كل خير، فلا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا وصعدت تريد العروج إلى الله، فتستأذن فلا يؤذن لها، كما لم تصعد في الدنيا إلى الإيمان يخبر تعالى عن عقاب من كذب بآياته فلم يؤمن بها، مع أنها آيات بينات، واستكبر عنها فلم ينقد لأحكامها، بل كذب وتولى،
- أي: فراش من تحتهم ومن فوقهم غواش أي: ظلل من العذاب، تغشاهم. وكذلك نجزي الظالمين لأنفسهم، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد. 41 لهم من جهنم مهاد
- خالدون أي: لا يحولون عنها ولا يبيغون بها بدلا، لأنهم يرون فيها من أنواع اللذات وأصناف المشتبهات ما تقف عنده الغايات، ولا يطلب أعلى منه. 42 حرج فاتقوا الله ما استطعتم فلا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة. أولئك أي: المتصفون بالإيمان والعمل الصالح أصحاب الجنة هم فيها التي يقدر عليها غيرها سقطت عنها كما قال تعالى: لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ما جعل عليكم في الدين من



## تفسير السعدي

- نفسا إلا وسعها أي: بمقدار ما تسعه طاقتها، ولا يعسر على قدرتها، فعليها في هذه الحال أن تتقي الله بحسب استطاعتها، وإذا عجزت عن بعض الواجبات ولما كان قوله: وعملوا الصالحات لفظا عاما يشمل جميع الصالحات الواجبة والمستحبة، وقد يكون بعضها غير مقدور للعبد، قال تعالى: لا تكلف أمنا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم، فجمعوا بين الإيمان والعمل، بين الأعمال الظاهرة والأعمال الباطنة، بين فعل الواجبات وترك المحرمات، لما ذكر الله تعالى عقاب العاصين الظالمين، ذكر ثواب المطيعين فقال: والذين
- أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل من أعلى أنواع رحمته. 43 أن تكلم الجنة أورتتموها أي: كنتم الوارثين لها، وصارت إقطاعا لكم، إذ كان إقطاع الكفار النار، أورتتموها بما كنتم تعملون قال بعض السلف: قالوا لقد تحققنا، ورأينا ما وعدتنا به الرسل، وأن جميع ما جاءوا به حق اليقين، لا مرية فيه ولا إشكال، ونودوا تهنئة لهم، وإكراما، وتحية واحتراما، واتباع رسله. لقد جاءت رسل ربنا بالحق أي: حين كانوا يتمتعون بالنعيم الذي أخبرت به الرسل، وصار حق يقين لهم بعد أن كان علم يقين لهم، الظاهرة والباطنة ما لا يحصيه المحصون، ولا يعده العادون، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله أي: ليس في نفوسنا قابلية للهدى، لولا أنه تعالى من بهدايته للأعمال الموصلة إلى هذه الدار، وحفظ الله علينا إيماننا وأعمالنا، حتى أوصلنا بها إلى هذه الدار، فنعم الرب الكريم، الذي ابتدأنا بالنعيم، وأسدى من النعم لها حد محدود و لهذا لما رأوا ما أنعم الله عليهم وأكرمهم به وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا بأن من علينا وأوحى إلى قلوبنا، فأمنت به، وانقادت إن شاءوا في خلال القصور، أو في تلك الغرف العاليات، أو في رياض الجنات، من تحت تلك الحدائق الزاهرات. أنهار تجري في غير أخدود، وخيرات ليس النعيم نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فقدت أسبابه. وقوله: تجري من تحتهم الأنهار أي: يفجرونها تفجيرا، حيث شاءوا، وأين أرادوا، ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من الجنة، أن الغل الذي كان موجودا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم، أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانا متحابين، وأخلاء متصافين. قال تعالى: ونزعنا ونزعنا ما في صدورهم من غل وهذا من كرمه وإحسانه على أهل
- كل خير على الظالمين إذ فتح الله لهم أبواب رحمته، فصدفوا أنفسهم عنها ظلما، وصدوا عن سبيل الله بأنفسهم، وصدوا غيرهم، فضلوا وأضلوا. 44 من الخير، وأقروا على أنفسهم بأنهم مستحقون للعذاب. فأذن مؤذن بينهم أي: بين أهل النار وأهل الجنة، بأن قال: أن لعنة الله أي: بعده وإقصاؤه عن لا شك فيه، صدق وعد الله، ومن أصدق من الله قيلا، وذهبت عنهم الشكوك والشبه، وصار الأمر حق اليقين، وفرح المؤمنون بوعد الله واغتبطوا، وأيس الكفار الصالح الجنة فأدخلناها وأرأنا ما وصفه لنا فهل وجدتم ما وعد ربكم على الكفر والمعاصي حقا قالوا نعم قد وجدناه حقا، فبين للخلق كلهم، بيان الرسل ونطقت به الكتب من الثواب والعقاب: أن أهل الجنة نادوا أصحاب النار بأن قالوا: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حين وعدنا على الإيمان والعمل يقول تعالى لما ذكر استقرار كل من الفريقين في الدارين، ووجدوا ما أخبرت به
- إيمانهم بالبعث، وعدم خوفهم من العقاب ورجائهم للثواب، ومفهوم هذا النداء أن رحمة الله على المؤمنين، وبره شامل لهم، وإحسانه متواتر عليهم. 45 عوجا منحرفة صادة عن سواء السبيل، وهم بالآخرة كافرون وهذا الذي أوجب لهم الانحراف عن الصراط، والإقبال على شهوات النفوس المحرمة، عدم وصدوا عن سبيل الله بأنفسهم، وصدوا غيرهم، فضلوا وأضلوا. والله تعالى يريد أن تكون مستقيمة، ويعتدل سير السالكين إليه، و هؤلاء يريدونها أن لعنة الله أي: بعده وإقصاؤه عن كل خير على الظالمين إذ فتح الله لهم أبواب رحمته، فصدفوا أنفسهم عنها ظلما،
- ويسلمون عليهم، وهم إلى الآن لم يدخلوا الجنة، ولكنهم يطمعون في دخولها، ولم يجعل الله الطمع في قلوبهم إلا لما يريد بهم من كرامته. 46 يعرفون كلا من أهل الجنة والنار بسيماهم، أي: علاماتهم، التي بها يعرفون ويميزون، فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم أن سلام عليكم أي: يحيونهم الجنة وأصحاب النار حجاب يقال له: الأعراف لا من الجنة ولا من النار، يشرف على الدارين، وينظر من عليه حال الفريقين، وعلى هذا الحجاب رجال أي: وبين أصحاب
- معهم في الجنة، ويحيونهم ويسلمون عليهم، وعند انصراف أبصارهم بغير اختيارهم لأهل النار، يستجرون بالله من حالهم هذا على وجه العموم. 47 تلقاء أصحاب النار ورأوا منظرا شنيعا، وهولا فظيلا قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فأهل الجنة إذا رأهم أهل الأعراف يطمعون أن يكونوا وإذا صرفت أبصارهم
- به إلى مطالبكم في الدنيا، فاليوم اضمحل، ولا أغني عنكم شيئا، وكذلك، أي شيء نفعمكم استكباركم على الحق وعلى من جاء به وعلى من اتبعه. 48 فقال لهم أصحاب الأعراف، حين رأوهم منفردين في العذاب، بلا ناصر ولا مغيث: ما أغنى عنكم جمعكم في الدنيا، الذي تستدفعون به المكارة، وتتسلون الخصوص بعد العموم فقال: نادى أصحاب الأعراف رجلا يعرفونهم بسيماهم وهم من أهل النار، وقد كانوا في الدنيا لهم أبهة وشرف، وأموال وأولاد، ثم ذكر
- فدخلوا الجنة، فصاروا في الأعراف ما شاء الله، ثم إن الله تعالى يدخلهم برحمته الجنة، فإن رحمته تسبق وتغلب غضبه، ورحمته وسعت كل شيء. 49 من هم أصحاب الأعراف، وما أعمالهم؟ والصحيح من ذلك، أنهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فلا رجحت سيئاتهم فدخلوا النار، ولا رجحت حسناتهم الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون إلى أن قال فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون واختلف أهل العلم والمفسرون،

## تفسير السعدي

عليكم فيما يستقبل من المكارة ولا أنتم تحزنون على ما مضى، بل آمنون مطمئنون فرحون بكل خير. وهذا كقوله تعالى: إن الذين أجرموا كانوا من لكم من الله ما لم يكن لكم في حساب، ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون، أي: قيل لهؤلاء الضعفاء إكراما واحتراما: ادخلوا الجنة بأعمالكم الصالحة لا خوف لأهل النار: أهؤلاء الذين أدخلهم الله الجنة الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة احتقاراً لهم وازدراء وإعجاباً بأنفسكم، قد حنثتم في أيما نكم، وبدا ثم أشاروا لهم إلى أناس من أهل الجنة كانوا في الدنيا فقراء ضعفاء يستهزئ بهم أهل النار، فقالوا

لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين 5  
بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين كما قال تعالى: وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوماً آخرين فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون فما كان دعواهم إذ جاءهم

وطعامها على الكافرين وذلك جزاء لهم على كفرهم بآيات الله، واتخاذهم دينهم الذي أمروا أن يستقيموا عليه، ووعدوا بالجزاء الجزيل عليه. 50  
الموجع، يستغيثون بهم، فيقولون: أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله من الطعام، فأجابهم أهل الجنة بقولهم: إن الله حرهما أي: ماء الجنة أي: ينادي أصحاب النار أصحاب الجنة، حين يبلغ منهم العذاب كل مبلغ، وحين يمسه الجوع المفرط والظماً

فكانهم لم يخلقوا إلا للدنيا، وليس أمامهم عرض ولا جزاء. وما كانوا بآياتنا يجحدون والحال أن جحودهم هذا، لا عن قصور في آيات الله وبيناته. 51  
وكثرة دعائها، فاطمأنوا إليها ورضوا بها وفرحوا، وأعرضوا عن الآخرة ونسوها. فاليوم ننساهم أي: نتركهم في العذاب كما نسوا لقاء يومهم هذا وأعرضت عنه، ولعبوا واتخذوه سخرياً، أو أنهم جعلوا بدل دينهم اللهو واللعب، واستعاضوا بذلك عن الدين القيم. وغرته الحياة الدنيا بزينتها وزخرفها لهوا ولعباً أي: لهت قلوبهم

الذين حق عليهم العذاب، لم يؤمنوا بهذا الكتاب العظيم، ولا انقادوا لأوامره ونواهيه، فلم يبق فيهم حيلة إلا استحقاقهم أن يحل بهم ما أخبر به القرآن. 52  
وبيان الحق والباطل، والغي والرشد، ويحصل أيضاً لهم به الرحمة، وهي: الخير والسعادة في الدنيا والآخرة، فينتفى عنهم بذلك الضلال والشقاء. وهؤلاء مناسب، بل تفصيل من أحاط علمه بكل شيء، ووسعت رحمته كل شيء. هدى ورحمة لقوم يؤمنون أي: تحصل للمؤمنين بهذا الكتاب الهداية من الضلال، من الله بأحوال العباد في كل زمان ومكان، وما يصلح لهم وما لا يصلح، ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالأمر، فتجمله بعض الأحوال، فيحكم حكماً غير بل قد جئناهم بكتاب فصلناه أي: بينا فيه جميع المطالب التي يحتاج إليها الخلق على علم

في الدنيا مما تمنيهم أنفسهم به، ويعددهم به الشيطان، قدموا على ما لم يكن لهم في حساب، وتبين لهم باطلهم وضلالهم، وصدق ما جاءتهم به الرسل 53  
فوتوها الأرباح، وسلخوا بها سبيل الهلاك، وليس ذلك كخسران الأموال والأثاث أو الأولاد، إنما هذا خسران لا جبران لمصابه، وضل عنهم ما كانوا يفترون الدنيا، ليعملوا غير عملهم كذب منهم، مقصودهم به، دفع ما حل بهم، قال تعالى: ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون قد خسروا أنفسهم حين فيشفعوا لنا أو نرد إلى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل وقد فات الوقت عن الرجوع إلى الدنيا. فما تنفعهم شفاعة الشافعين وسؤالهم الرجوع إلى من قبل متندمين متأسفين على ما مضى منهم، متشفعين في مغفرة ذنوبهم. مقرين بما أخبرت به الرسل: قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفاعات ينظرون إلا تأويله أي: وقوع ما أخبر به كما قال يوسف عليه السلام حين وقعت رؤياه: هذا تأويل رؤياي من قبل يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه ولهذا قال: هل

ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين 54  
تبارك الله رب العالمين ولما ذكر من عظمتهم وجلاله ما يدل ذوي الأبواب على أنه وحده، المعبود المقصود في الحوائج كلها أمر بما يترتب على ذلك، فقال: وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمته وأوصافه وكماله، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: ف أحكامه الكونية القدريّة، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، تبارك الله أي: عظم وتعالى وكثر خيره الخلق والأمر أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن حكمته، وما فيها من المنافع والمصالح الضرورية وما دونها دال على سعة رحمته وذلك دال على سعة علمه، وأنه الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له. ألا له أي: بتسخيره وتدبيره، الدال على ما له من أوصاف الكمال، فخلقها وعظمها دال على كمال قدرته، وما فيها من الإحكام والانتظام والإتقان دال على كمال جاء النهار ذهب الليل، وهكذا أبداً على الدوام، حتى يطوي الله هذا العالم، وينتقل العباد إلى دار غير هذه الدار. والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره وتأوى المخلوقات إلى مساكنها، ويستريحون من التعب، والذهاب والإياب الذي حصل لهم في النهار. يطلبه حثيثاً كلما جاء الليل ذهب النهار، وكلما وأجرى عليهم أحكامه الكونية، وأحكامه الدينية، ولهذا قال: يغشي الليل المظلم النهار المضى، فيظلم ما على وجه الأرض، ويسكن الآدميون، الذي يسع السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما، استوى استواء يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، فاستوى على العرش، واحتوى على الملك، ودبر الممالك، في ستة أيام أولها يوم الأحد، وآخرها يوم الجمعة، فلما قضاها وأودع فيهما من أمره ما أودع استوى تبارك وتعالى على العرش العظيم أنه الرب المعبود وحده لا شريك له: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض وما فيهما على عظمتهما وسعتهما، وإحكامهما، وإتقانهما، وبديع خلقهما. يقول تعالى مبيناً

## تفسير السعدي

ومن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطع في السؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدعاء، فكل هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه. 55  
في العبادة، وخفية أي: لا جهرا وعلانية، يخاف منه الرباء، بل خفية وإخلاصا لله تعالى. إنه لا يحب المعتدين أي: المتجاوزين للحد في كل الأمور،  
الدعاء يدخل فيه دعاء المسألة، ودعاء العبادة، فأمر بدعائه تضرعا أي: إلحاحا في المسألة، ودعوا

إلى عباد الله، فكلما كان العبد أكثر إحسانا، كان أقرب إلى رحمة ربه، وكان ربه قريبا منه برحمته، وفي هذا من الحث على الإحسان ما لا يخفى. 56  
في كل عبادة بذل الجهد فيها، وأداؤها كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ولهذا قال: إن رحمة الله قريب من المحسنين في عبادة الله، المحسنين  
وحده، لأن ذلك يتضمنه الخفية، وإخفاؤه وإسراره، وأن يكون القلب خائفا طامعا لا غافلا، ولا آمنا ولا غير مبال بالإجابة، وهذا من إحسان الدعاء، فإن الإحسان  
من ردها، لا دعاء عبد مدل على ربه قد أعجبه نفسه، ونزل نفسه فوق منزلته، أو دعاء من هو غافل لاه. وحاصل ما ذكر الله من آداب الدعاء: الإخلاص فيه لله  
تصلح بها الأخلاق، والأعمال، والأرزاق، وأحوال الدنيا والآخرة. وادعوه خوفا وطمعا أي: خوفا من عقابه، وطمعا في ثوابه، طمعا في قبولها، وخوفا  
إصلاحها بالطاعات، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق، كما قال تعالى: ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس كما أن الطاعات  
ولا تفسدوا في الأرض بعمل المعاصي بعد

من باب العناد، وإنكار المحسوسات. وفي هذا الحث على التذكر والتفكير في آلاء الله والنظر إليها بعين الاعتبار والاستدلال، لا بعين الغفلة والإهمال. 57  
نخرج الموتى من قبورهم، بعد ما كانوا رفاتا متمزقين، وهذا استدلال واضح، فإنه لا فرق بين الأميين، فمنكر البعث استبعادا له مع أنه يرى ما هو نظيره  
الثمرات فأصبحوا مستبشرين برحمة الله، راتعين بخير الله، وقوله: كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون أي: كما أحيينا الأرض بعد موتها بالنبات، كذلك  
يبأسوا من رحمة الله، فأزلنا به أي: بذلك البلد الميت الماء الغزير من ذلك السحاب وسخر الله له ريحا تدره وتفرقه بإذن الله. فأخرجنا به من كل  
حتى إذا أقلت الرياح سحابا ثقالا قد أثاره بعضها، وألفه ريح أخرى، وألحقه ريح أخرى سقناه لبلد ميت قد كادت تهلك حيواناته، وكاد أهله أن  
يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته أي: الرياح المبشرات بالغيث، التي تثيره بإذن الله من الأرض، فيستبشر الخلق برحمة الله، وترتاح لها قلوبهم قبل نزوله.  
يبين تعالى أثرا من آثار قدرته، ونفحة من نفحات رحمته فقال: وهو الذي

على السباخ والرمال والصخور، فلا يؤثر فيها شيئا، وهذا كقوله تعالى: أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الآيات. 58  
وحسن عنصرها. وأما القلوب الخبيثة التي لا خير فيها، فإذا جاءها الوحي لم يجد محلا قابلا، بل يجدها غافلة معرضة، أو معارضة، فيكون كالمطر الذي يمر  
حين ينزل عليها الوحي الذي هو مادة الحياة، كما أن الغيث مادة الحيا، فإن القلوب الطيبة حين يجيئها الوحي، تقبله وتعلمه وتنتب بحسب طيب أصلها،  
من أكبر النعم الواصلة إليهم من ربهم، فيتلقونها مفتقرين إليها فرحين بها، فيتدبرونها ويتأملونها، فيبين لهم من معانيها بحسب استعدادهم، وهذا مثال للقلوب  
يشكرون الله بالاعتراف بنعمه، والإقرار بها، وصرفها في مرضاة الله، فهم الذين ينتفعون بما فصل الله في كتابه من الأحكام والمطالب الإلهية، لأنهم يرونها  
لا يخرج إلا نكدا أي: إلا نباتا خاسا لا نفع فيه ولا بركة. كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون أي: ننوعها ونبينها ونضرب فيها الأمثال ونسوقها لقوم  
الذي هو مستعد له بإذن ربه أي: بإرادة الله ومشيئته، فليست الأسباب مستقلة بوجود الأشياء، حتى يأذن الله بذلك. والذي خبت من الأراضي  
ثم ذكر تفاوت الأراضي، التي ينزل عليها المطر، فقال: والبلد الطيب أي: طيب التربة والمادة، إذا نزل عليه مطر يخرج نباته

والشقاء السرمدى، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم، فلما قال لهم هذه المقالة، ردوا عليه أقبح رد. 59  
لم يطيعوه عذاب الله، فقال: إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وهذا من نصحه عليه الصلاة والسلام وشفقته عليهم، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي،  
يا قوم اعبدوا الله أي: وحده ما لكم من إله غيره لأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مدبر، ليس له من الأمر شيء، ثم خوفهم إن  
ومعتقد واحد، فقال عن نوح أول المرسلين: لقد أرسلنا نوحا إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده، حين كانوا يعبدون الأوثان فقال لهم:  
الداعين إلى توحيدهم مع أممهم المنكرين لذلك، وكيف أيد الله أهل التوحيد، وأهلك من عانداهم ولم ينقد لهم، وكيف اتفقت دعوة المرسلين على دين واحد  
لما ذكر تعالى من أدلة توحيده جملة صالحة، أيد ذلك بذكر ما جرى للأنبياء

عما أجابوا به رسلهم، ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتكم المرسلين الآيات. ولنسأل المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعما أجابتهم به أممهم. 60  
وقوله: فلنسألن الذين أرسل إليهم أي: لنسألن الأمم الذين أرسل الله إليهم المرسلين،

له، بل استكبروا عن الانقياد له، وقدحوا فيه أعظم قدح، ونسبوه إلى الضلال، ولم يكتفوا بمجرد الضلال حتى جعلوه ضلالا مبينا واضحا لكل أحد. 60  
المتبوعون الذين قد جرت العادة باستكبارهم على الحق، وعدم انقيادهم للرسول، إنا لنراك في ضلال مبين فلم يكفهم قبحهم الله أنهم لم ينقادوا  
قال الملأ من قومه أي: الرؤساء الأغنياء

التربية، الذي من أعظم تربيته أن أرسل إلى عباده رسلا تأمرهم بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والعقائد الحسنة وتنهاهم عن أضرارها، ولهذا قال: 61  
وأتمها، وهي هداية الرسالة التامة الكاملة، ولهذا قال: ولكني رسول من رب العالمين أي: ربي وربكم ورب جميع الخلق، الذي ربي جميع الخلق بأنواع  
المسائل بوجه من الوجوه، وإنما أنا هاد مهتد، بل هدايته عليه الصلاة والسلام من جنس هداية إخوانه، أولي العزم من المرسلين، أعلى أنواع الهدايات وأكملها  
وأعقل، فرد نوح عليهم ردا لطيفا، وترقق لهم لعلهم ينقادون له فقال: يا قوم ليس بي ضلالة يا قوم ليس بي ضلالة أي: لست ضالا في مسألة من

## تفسير السعدي

السموات، وصرفوا لها ما أمكنهم من أنواع القربات، فلولا أن لهم أذهانا تقوم بها حجة الله عليهم لحكم عليهم بأن المجانين أهدى منهم، بل هم أهدى منهم منطبق على قوم نوح، الذين جاءوا إلى أصنام قد صوروها ونحتوها بأيديهم، من الجمادات التي لا تسمع ولا تبصر، ولا تغني عنهم شيئا، فنزلوها منزلة فاطر وهذا من أعظم أنواع المكابرة، التي لا تروج على أضعف الناس عقلا، وإنما هذا الوصف

وأوامره ونواهيته، على وجه النصيحة لكم والشفقة عليكم، وأعلم من الله ما لا تعلمون فالذي يتعين أن تطيعوني وتنقادوا لأمري إن كنتم تعلمون. 62 أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده

ترحمون أي: لينذركم العذاب الأليم، وتفعلوا الأسباب المنجية من استعمال تقوى الله ظاهرا وباطنا، وبذلك تحصل عليهم وتنزل رحمة الله الواسعة. 63 رجل منكم، تعرفون حقيقته وصدقه وحاله؟ فهذه الحال من عناية الله بكم وبره وإحسانه الذي يتلقى بالقبول والشكر، وقوله: لينذركم ولتتقوا ولعلكم أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم أي: كيف تعجبون من حالة لا ينبغي العجب منها، وهو أن جاءكم التذكير والموعظة والنصيحة، على يد

عمين عن الهدى، أبصروا الحق، وأراهم الله على يد نوح من الآيات البينات، ما بهم يؤمن أولوا الأبواب، فسخرها منه، واستهزؤا به وكفروا. 64 إليه أن يحمل من كل صنف من الحيوانات، زوجين اثنين وأهله ومن آمن معه، فحملهم فيها ونجاهم الله بها. وأغرقتنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما فلم يفد فيهم، ولا نجح فكذبوه فأنجيناهم والذين معه في الفلك أي: السفينة التي أمر الله نوحا عليه الصلاة والسلام بصنعها، وأوحى

الأرض. ف قال لهم: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون سخطه وعذابه، إن أقمتهم على ما أنتم عليه، فلم يستجيبوا ولا انقادوا. 65 أرسلنا إلى عاد الأولى، الذين كانوا في أرض اليمن أخاهم في النسب هودا عليه السلام، يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك والطغيان في

أي: و

العبادة في غير موضعها، فعبد من لا يغني عنه شيئا من الأشجار والأحجار؟ وأي: كذب أبلغ من كذب من نسب هذه الأمور إلى الله تعالى؟ 66 السفهاء حقا الكاذبون. وأي سفه أعظم ممن قابل أحق الحق بالرد والإنكار، وتكبر عن الانقياد للمرشدين والنصحاء، وانقاد قلبه وقالبه لكل شيطان مريد، ووضع على ظننا أنك من جملة الكاذبين، وقد انقلبت عليهم الحقيقة، واستحكم عماهم حيث رموا نبيهم عليه السلام بما هم متصفون به، وهو أبعد الناس عنه، فإنهم قال الملاء الذين كفروا من قومه رادين لدعوته، قادحين في رأيه: إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين أي: ما نراك إلا سفيها غير رشيد، ويغلب

ف

الرشيد، ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد. 67 قال يا قوم ليس بي سفاهة بوجه من الوجوه، بل هو الرسول المرشد

الرشيد، ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين فالواجب عليكم أن تتلقوا ذلك بالقبول والانقياد وطاعة رب العباد. 68 قال يا قوم ليس بي سفاهة بوجه من الوجوه، بل هو الرسول المرشد

لهم وصف نفسه، وأنه ناصح أمين، وحذرهم أن يأخذهم الله كما أخذ من قبلهم، وذكرهم نعم الله عليهم وإدراج الأرزاق إليهم، فلم ينقادوا ولا استجابوا. 69 المتكررة لعلكم إذا ذكرتموها بشكرها وأداء حقها تفلحون أي: تفوزون بالمطلوب، وتنجون من المرهوب، فوعظهم وذكرهم، وأمرهم بالتوحيد، وذكر نعم الله عليكم التي خصكم بها، وهي أن زادكم في الخلق بسطة في القوة وكبر الأجسام، وشدة البطش، فاذكروا آلاء الله أي: نعمه الواسعة، وأيايها الأمم الهالكة الذين كذبوا الرسل، فأهلكهم الله وأبقاكم، لينظر كيف تعملون، واحذروا أن تقيموا على التكذيب كما أقاموا، فيصيبكم ما أصابهم، و اذكروا لكم، فتعجبتم من ذلك تعجب المنكرين. واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي: واحمدوا ربكم واشكروه، إذ مكن لكم في الأرض، وجعلكم تخلفون لينذركم أي: كيف تعجبون من أمر لا يتعجب منه، وهو أن الله أرسل إليكم رجلا منكم تعرفون أمره، يذكركم بما فيه مصالحكم، ويحثكم على ما فيه النفع أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

كنا غائبين في وقت من الأوقات، كما قال تعالى: أحصاه الله ونسوه وقال تعالى: ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين 7

فلنقص عليهم أي: على الخلق كلهم ما عملوا بعلم منه تعالى لأعمالهم وما

ما دعت إليه الرسل من توحيد الله وحده لا شريك له، وكذبوا نبيهم، وقالوا: فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين وهذا استفتاح منهم على أنفسهم 70 الذي هو أوجب الواجبات وأكمل الأمور، من الأمور التي لا يعارضون بها ما وجدوا عليه آباءهم، فقدموا ما عليه الآباء الضالون من الشرك وعبادة الأصنام، على ف قالوا متعجبين من دعوته، ومخبرين له أنهم من المحال أن يطيعوه: أجننتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا قبحهم الله، جعلوا الأمر

من العقاب، الذي وعدتكم به إني معكم من المنتظرين وفرق بين الانتظرين، انتظار من يخشى وقوع العقاب، ومن يرجو من الله النصر والثواب 71

ما من مطلوب ومقصود وخصوصا الأمور الكبار إلا وقد بين الله فيها من الحجج، ما يدل عليها، ومن السلطان، ما لا تخفى معه. فانتظروا ما يقع بكم لا شيء من الآلهة فيها، ولا مثقال ذرة و ما أنزل الله بها من سلطان فإنها لو كانت صحيحة لأنزل الله بها سلطانا، فعدم إنزاله له دليل على بطلانها، فإنه أسبابه، وحان وقت الهلاك. أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي: كيف تجادلون على أمور، لا حقائق لها، وعلى أصنام سميتوها آلهة، وهي

## تفسير السعدي

فقال لهم هود عليه السلام: قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي: لا بد من وقوعه، فإنه قد انعقدت

لعاد قوم هود وقال هنا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين بوجه من الوجوه، بل وصفهم التكذيب والعناد، ونعتهم الكبر والفساد. 72 فلم ينقادوا لها، وأمروا بالإيمان فلم يؤمنوا فكان عاقبتهم الهلاك، والخزي والفضيحة. وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا الريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم، فأهلكوا فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الذين أقيمت عليهم الحجج، سببا ينالون به رحمته فأنجاهم برحمته، وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا أي: استأصلناهم بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحدا، وسلط الله عليهم فأنجيناه أي: هودا والذين آمنوا معه برحمة منا فإنه الذي هداهم للإيمان، وجعل إيمانهم

صالح عليه السلام فذروها تأكل في أرض الله فلا عليكم من مؤنتها شيء، ولا تمسوها بسوء أي: بعقر أو غيره، فإخذكم عذاب أليم 73 كبيرة، وهي المعروفة بئر الناقة، يتناولونها هم والناقة، للناقة يوم تشربها ويشربون اللبن من ضرعها، ولهم يوم يردونها، وتصدر الناقة عنهم. وقال لهم نبهم شريفة فاضلة لإضافتها إلى الله تعالى إضافة تشريف، لكم فيها آية عظيمة. وقد ذكر وجه الآية في قوله: لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وكان عندهم بئر بينة من ربكم أي: خارق من خوارق العادات، التي لا تكون إلا آية سماوية لا يقدر الناس عليها، ثم فسرها بقوله: هذه ناقة الله لكم آية أي: هذه ناقة الله ما لكم من إله غيره دعوته عليه الصلاة والسلام من جنس دعوة إخوانه من المرسلين، الأمر بعبادة الله، وبيان أنه ليس للعباد إله غير الله، قد جاءكم من أرض الحجاز وجزيرة العرب، أرسل الله إليهم أخاهم صالحا نبيا يدعوهم إلى الإيمان والتوحيد، وينهاهم عن الشرك والتبديد، ف قال يا قوم اعبدوا أي و أرسلنا إلى ثمود القبيلة المعروفة الذين كانوا يسكنون الحجر وما حوله،

مفسدين أي: لا تخربوا الأرض بالفساد والمعاصي، فإن المعاصي تدع الديار العامرة بلاقع، وقد أخلت ديارهم منهم، وأبقت مساكنهم موحشة بعدهم. 74 من المساكن والحجر ونحوها، وهي باقية ما بقيت الجبال، فاذكروا آلاء الله أي: نعمه، وما خولكم من الفضل والرزق والقوة، ولا تعثوا في الأرض السهلة التي ليست بجبال، تتخذون فيها القصور العالية والأنبية الحصينة، وتحتون الجبال بيوتا كما هو مشاهد إلى الآن من أعمالهم التي في الجبال، من بعدهم، وبوأكم في الأرض أي: مكن لكم فيها، وسهل لكم الأسباب الموصلة إلى ما تريدون وتبتغون تتخذون من سهولها قصورا أي: من الأراضي واذكروا إذ جعلكم خلفاء في الأرض تتمتعون بها وتدركون مطالبكم من بعد عاد الذين أهلكهم الله، وجعلكم خلفاء

أن صالحا مرسل من ربه أي: أهو صادق أم كاذب؟ فقال المستضعفون: إنا بما أرسل به مؤمنون من توحيد الله والخبر عنه وأمره ونهيه. 75 من قومه أي: الرؤساء والأشراف الذين تكبروا عن الحق، للذين استضعفوا ولما كان المستضعفون ليسوا كلهم مؤمنين، قالوا لمن آمن منهم أتعلمون قال الملاء الذين استكبروا

قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء. 76

بما فعلوا، بل مفتخرين بها: يا صالح اثنتا بما تعدنا إن كنت من الصادقين من العذاب فقال: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب 77 من عتا عنه أذاقه العذاب الشديد. لا جرم أحل الله بهم من النكال ما لم يحل بغيرهم وقالوا مع هذه الأفعال متجربئين على الله، معجزين له، غير مباينين فعفروا الناقة التي توعدهم إن مسوها بسوء أن يصيبهم عذاب أليم، وعتوا عن أمر ربهم أي: قسوا عنه، واستكبروا عن أمره الذي فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين على ركبهم، قد أبادهم الله، وقطع دابرهم. 78

الإسرائيلية، ولو على تجويز الرواية عنهم بالأمور التي لا يجزم بكذبها، فإن معاني كتاب الله يقينية، وتلك أمور لا تصدق ولا تكذب، فلا يمكن اتفاقهما. 79 الله، فعلى الرأس والعين، وهو مما أمر القرآن باتباعه وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقد تقدم أنه لا يجوز تفسير كتاب الله بالأخبار هذا إلا مناقض للقرآن، ومضاد له؟ فالقرآن فيه الكفاية والهداية عن ما سواه. نعم لو صح شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا يناقض كتاب نبهم وقوع العذاب، وذكر لهم وقوع مقدماته، فوقع يوم ما فيوما، على وجه يعمهم ويشملهم احمرار وجوههم، واصفرارها واسودادها من العذاب هل قال لهم: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام أي: تنعموا وتلذذوا بهذا الوقت القصير جدا، فإنه ليس لكم من المتاع واللذة سوى هذا، وأي لذة وتمتع لمن وعدهم لأن فيها من العجائب والعبر والآيات ما لا يهمله تعالى ويدع ذكره، حتى يأتي من طريق من لا يوثق بنقله، بل القرآن يكذب بعض هذه المذكرات، فإن صالحا من الإسرائيليات التي لا ينبغي نقلها في تفسير كتاب الله، وليس في القرآن ما يدل على شيء منها بوجه من الوجوه، بل لو كانت صحيحة لذكرها الله تعالى، لهم: آية نزول العذاب بكم، أن تصبحوا في اليوم الأول من الأيام الثلاثة ووجوهكم مصفرة، واليوم الثاني: محمرة، والثالث: مسودة، فكان كما قال. وكل هذا تمخضت تمخض الحامل فخرجت الناقة وهم ينظرون وأن لها فصيلا حين عقروها رعى ثلاث رغيات وانفلق له الجبل ودخل فيه وأن صالحا عليه السلام قال وأطعتم كل شيطان رجيم. واعلم أن كثيرا من المفسرين يذكرون في هذه القصة أن الناقة قد خرجت من صخرة صماء ملساء اقترحوها على صالح وأنها إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم. ولكن لا تحبون الناصحين بل رددتم قول النصحاء، أحل الله بهم العذاب، وقال مخاطبا لهم توبيخا وعتابا بعدما أهلكهم الله: يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم أي: جميع ما أرسلني الله به فتولى عنهم صالح عليه السلام حين

كفة حسناته على سيئاته فأولئك هم المفلحون أي: الناجون من المكروه، المدركون للمحبوب، الذين حصل لهم الربح العظيم، والسعادة الدائمة. 8

## تفسير السعدي

خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون أي: والوزن يوم القيامة يكون بالعدل والقسط، الذي لا جور فيه ولا ظلم بوجه. فمن ثقلت موازينه بأن رجحت ثم ذكر الجزاء على الأعمال، فقال: والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين

ما سبقكم بها من أحد من العالمين فكونها فاحشة من أشنع الأشياء، وكونهم ابتدعوها وابتكروها، وسنوها لمن بعدهم، من أشنع ما يكون أيضا. 80  
عن الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، فقال: أتأتون الفاحشة أي: الخصلة التي بلغت في العظم والشناعة إلى أن استغرقت أنواع الفحش، أي: و اذكر عبدنا لوطا عليه الصلاة والسلام، إذ أرسلناه إلى قومه يأمرهم بعبادة الله وحده، وبنهاهم

الأثتان والأخبار، التي يستحيي من ذكرها فضلا عن ملامستها وقربها، بل أنتم قوم مسرفون أي: متجاوزون لما حده الله متجرئون على محارمه. 81  
اللاتي خلقهن الله لكم، وفيهن المستمتع الموافق للشهوة والفطرة، وتقبلون على أدمار الرجال، التي هي غاية ما يكون في الشناعة والخبث، ومحل تخرج منه ثم بينها بقوله: إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء أي: كيف تذرون النساء

قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون أي: يتنزهون عن فعل الفاحشة. وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد . 82  
وما كان جواب

إلا امرأته كانت من الغابرين أي: الباقيين المعذبين، أمره الله أن يسري بأهله ليلا، فإن العذاب مصبح قومه فسرى بهم، إلا امرأته أصابها ما أصابهم. 83  
فأنجيناه وأهله

وأمطرنا عليهم مطرا أي: حجارة حارة شديدة، من سجل، وجعل الله عاليها سافلها، فانظر كيف كان عاقبة المجرمين الهلاك والخزي الدائم. 84  
لكم خير لكم إن كنتم مؤمنين فإن ترك المعاصي امتثالا لأمر الله وتقربا إليه خير، وأنفع للعبد من ارتكابها الموجب لسخط الجبار، وعذاب النار. 85  
والميزان، وأن لا يبخسوا الناس أشياءهم، وأن لا يعثوا في الأرض مفسدين، بالإكثار من عمل المعاصي، ولهذا قال: ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها  
أي: و أرسلنا إلى القبيلة المعروفة بمدين أخاهم في النسب شعيبا يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ويأمرهم بإيفاء المكيال

في جموعهم إلا الشتات، ولا في ربوعهم إلا الوحشة والانبثات ولم يورثوا ذكرا حسنا، بل أتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة أشد خزيا وفضيحة. 86  
عليكم عدوا يجتاحكم ولا فرقكم في الأرض، بل أنعم عليكم باجتماعكم، وإدراج الأرزاق وكثرة النسل. وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين فإنكم لا تجدون عليكم إذ كنتم قليلا فكثركم أي: نماكم بما أنعم عليكم من الزوجات والنسل، والصحة، وأنه ما ابتلاكم بوباء أو أمراض من الأمراض المقللة لكم، ولا سلب قطاع طريقها، الصادين الناس عنها، فإن هذا كفر لنعمة الله ومحادة لله، وجعل أقوم الطرق وأعدلها مائلة، وتشنعون على من سلكها. واذكروا نعمة الله للسبيل التي نصبها الله لعباده ليسلكوها إلى مرضاته ودار كرامته، ورحمهم بها أعظم رحمة، وتصدون لنصرتها والدعوة إليها والذب عنها، لا أن تكونوا أنتم أراد الاهتداء به وتبغونها عوجا أي: تبغون سبيل الله تكون معوجة، وتميلونها اتباعا لأهوائكم، وقد كان الواجب عليكم وعلى غيركم الاحترام والتعظيم تقعدوا للناس بكل صراط أي: طريق من الطرق التي يكثر سلوكها، تحذرون الناس منها و توعدون من سلكها وتصدون عن سبيل الله من

ولا

أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا وهم الجمهور منهم. فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فينصر المحق، ويوقع العقوبة على المبطل. 87  
وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي

ولو كنا كارهين لها لعلمنا ببطولنا، فإنما يدعى إليها من له نوع رغبة فيها، أما من يعلن بالنهي عنها، والتشجيع على من اتبعها فكيف يدعى إليها؟ 88  
هو ومن معه أحق به منهم. ف قال لهم شعيب عليه الصلاة والسلام متعجبا من قولهم: أو لو كنا كارهين أي: أتابعكم على دينكم وملتكم الباطلة، قريتنا. ف شعيب عليه الصلاة والسلام كان يدعوهم طامعا في إيمانهم، والآن لم يسلم من شرهم، حتى توعده إن لم يتابعهم بالجلاء عن وطنه، الذي ذمة ولا حقا، وإنما راعوا واتبعوا أهواءهم وعقولهم السفهية التي دلتهم على هذا القول الفاسد، فقالوا: إما أن ترجع أنت ومن معك إلى ديننا أو لنخرجنكم من المستضعفين: لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا استعملوا قوتهم السبعية، في مقابلة الحق، ولم يراعوا ديننا ولا الذين اتبعوا أهواءهم ولها بلذاتهم، فلما أتاهم الحق ورأوه غير موافق لأهوائهم الرديئة، ردوه واستكبروا عنه، فقالوا لنبيهم شعيب ومن معه من المؤمنين قال الملأ الذين استكبروا من قومه وهم الأشراف والكبراء منهم

وفتحه تعالى لعباده نوعان: فتح العلم، بتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال، ومن هو من المستقيمين على الصراط، ممن هو منحرف عنه. 89  
الله، كفاه، ويسر له أمر دينه ودينه. ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي: انصر المظلوم، وصاحب الحق، على الظالم المعاند للحق وأنت خير الفاتحين ما يصلح للعباد وما يدبرهم عليه. على الله توكلنا أي: اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط المستقيم، وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم، فإن من توكل على وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا أي: فلا يمكننا ولا غيرنا، الخروج عن مشيئته التابعة لعلمه وحكمته، وقد وسع ربنا كل شيء علما فيعلم في خلقه، التي لا خروج لأحد عنها، ولو تواترت الأسباب وتوافقت القوى، فإنهم لا يحكمون على أنفسهم أنهم سيفعلون شيئا أو يتركونه، ولهذا استثنى أبطل الباطل، وأمحل المحال. وحيث إن الله من عليهم بعقول يعرفون بها الحق والباطل، والهدى والضلال. وأما من حيث النظر إلى مشيئة الله وإرادته النافذة حالتهم الراهنة، وما في قلوبهم من تعظيم الله تعالى والاعتراف له بالعبودية، وأنه الإله وحده الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له، وأن آلهة المشركين

## تفسير السعدي

- إن اتبعهم ومن معه فإنهم كاذبون. ومنها: اعترفهم بمنة الله عليهم إذ أنقذهم الله منها. ومنها: أن عودهم فيها بعد ما هداهم الله من المحلات، بالنظر إلى والسلام من كونه يوافقهم من وجوه متعددة، من جهة أنهم كارهون لها مبغضون لما هم عليه من الشرك. ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبا، وأشهدهم أنه لم يتخذ ولدا ولا صاحبة، ولا شريكا في الملك. وما يكون لنا أن نعود فيها أي: يمتنع على مثلنا أن نعود فيها، فإن هذا من المحال، فأيسهم عليه الصلاة نجانا الله منها وأنقذنا من شرها، أننا كاذبون مفترون على الله الكذب، فإننا نعلم أنه لا أعظم افتراء ممن جعل لله شريكا، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها أي: اشهدوا علينا أننا إن عدنا إليها بعد ما فأولئك الذين خسروا أنفسهم إذ فاتهم النعيم المقيم، وحصل لهم العذاب الأليم بما كانوا بأيأتنا يظلمون فلم ينقادوا لها كما يجب عليهم ذلك. 9
- ومن خفت موازينه بأن رجحت سيئاته، وصار الحكم لها، والشقاء في اتباع الرشد والهدى، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة في لزوم ما هم عليه من الضلال والإضلال، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال. 90
- وقال الملأ الذين كفروا من قومه محذرين عن اتباع شعيب، لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة فأخذتهم الرجفة أي: الزلزلة الشديدة فأصبحوا في دارهم جاثمين أي: صرعى ميتين هامدين. 91
- فيهم، لأنهم خسروا دينهم وأنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين، لا من قالوا لهم: لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون 92
- من مورد اللهو واللعب واللذات، إلى مستقر الحزن والشقاء والعقاب والدركات ولهذا قال: الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أي: الخسار محصور أقاموا في ديارهم، وكأنهم ما تمتعوا في عرصاتهما، ولا تفيئوا في ظلالها، ولا غنوا في مسارح أنهارها، ولا أكلوا من ثمار أشجارها، حين فاجأهم العذاب، فنقلهم قال تعالى ناعيا حالهم الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها أي: كأنهم ما
- بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم. فعياذا بك اللهم من الخزي والفضيحة، وأي: شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم؟ 93
- آسى على قوم كافرين أي: فكيف أحزن على قوم لا خير فيهم، أتاهم الخير فردوه ولم يقبلوه ولا يلبق بهم إلا الشر، فهؤلاء غير حقيقيين أن يحزن عليهم، حتى بلغت منكم أقصى ما يمكن أن تصل إليه، وخالطت أفئدتكم ونصحت لكم فلم تقبلوا نصحي، ولا انقذتم لإرشادي، بل فسقتم وطغيتم. فكيف تولى عنهم نبينهم شعيب عليه الصلاة والسلام وقال معاتبا وموبخا ومخاطبا بعد موتهم: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي أي: أوصلتها إليكم، وبينتها فحين هلكوا
- إلا ابتلاهم الله بالبأساء والضراء أي: بالفقر والمرض وأنواع البلايا لعلمهم إذا أصابتهم، أخضعت نفوسهم فتضرعوا إلى الله واستكانوا للحق. 94
- يقول تعالى: وما أرسلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عن ما هم فيه من الشر، فلم ينقادوا له: أخذناهم بالعذاب بغتة وهم لا يشعرون أي: لا يخطر لهم الهلاك على بال، وظنوا أنهم قادرون على ما آتاهم الله، وأنهم غير زائلين ولا منتقلين عنه. 95
- الزمان وتداول الأيام، وحسبوا أنها ليست للموعظة والتذكير، ولا للاستدراج والنكير حتى إذا اغتبطوا، وفرحوا بما أوتوا، وكانت الدنيا، أسر ما كانت إليهم، أي: هذه عادة جارية لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين، تارة يكونون في سراء وتارة في ضراء، وتارة في فرح، ومرة في ترح، على حسب تقلبات عنهم البلاء حتى عفوا أي: كثروا، وكثرت أرزاقهم وانبطوا في نعمة الله وفضله، ونسوا ما مر عليهم من البلاء. وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء ثم إذا لم يفد فيهم، واستمر استكبارهم، وازداد طغيانهم. بدلنا مكان السيئة الحسنة فأدر عليهم الأرزاق، وعافى أبدانهم، ورفع
- فلو أخذهم بجميع ما كسبوا، ما ترك عليها من دابة. ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلمهم يرجعون 96
- ولا كد ولا نصب، ولكنهم لم يؤمنوا ويتقوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون بالعقوبات والبلايا ونزع البركات، وكثرة الآفات، وهي بعض جزاء أعمالهم، وإلا السماء والأرض، فأرسل السماء عليهم مدرارا، وأنبت لهم من الأرض ما به يعيشون وتعيش بهائمهم، في أخصب عيش وأغزر رزق، من غير عناء ولا تعب، ومكرا، ذكر أن أهل القرى، لو آمنوا بقلوبهم إيمانا صادقا صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهرا وباطنا بترك جميع ما حرم الله، لفتح عليهم بركات لما ذكر تعالى أن المكذبين للرسول يبتلون بالضراء موعظة وإنذارا، وبالسراء استدراجا
- أفأمن أهل القرى أي: المكذبة، بقرينة السياق أن يأتيهم بأسنا أي: عذابنا الشديد بيئات وهم نائمون أي: في غفلتهم، وغرتهم وراحتهم. 97
- أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أي: أي شيء يؤمنهم من ذلك، وهم قد فعلوا أسبابه، وارتكبوا من الجرائم العظيمة، ما يوجب بعضه الهلاك؟! 98
- أو أمن أهل القرى
- دينك وأن يعمل ويسعى، في كل سبب يخلصه من الشر، عند وقوع الفتن، فإن العبد ولو بلغت به الحال ما بلغت فليس على يقين من السلامة. 99
- يكون أمنا على ما معه من الإيمان. بل لا يزال خائفا وجلأ أن يبتلى ببليّة تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيا بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على من عذاب الله، فهو لم يصدق بالجزاء على الأعمال، ولا آمن بالرسول حقيقة الإيمان. وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ، على أن العبد لا ينبغي له أن أفأمنوا مكر الله حيث يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم، إن كبهده متين، فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون فإن من آمن

## سورة 8

الجامع لذلك كله قوله: وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله، كما أن من لم يطع الله ورسوله فليس بمؤمن. 1 والتنازع. ويدخل في إصلاح ذات البين تحسين الخلق لهم، والعفو عن المسيئين منهم فإنه بذلك يزول كثير مما يكون في القلوب من البغضاء والتدابير، والأمر ما بينكم من التشاحن والتقاطع والتدابير، بالتواضع والتحاب والتواصل.. فبذلك تجتمع كلمتكم، ويزول ما يحصل بسبب التقاطع من التخاصم، والتشاجر حكم الله ورسوله أن ترضوا بحكمهما، وتسلموا الأمر لهما، وذلك داخل في قوله فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.. وأصلحوا ذات بينكم أي: أصلحوا الله يسألونك عن الأنفال كيف تقسم وعلى من تقسم؟ قل لهم: الأنفال لله ورسوله يضعانها حيث شاء، فلا اعتراض لكم على حكم الله ورسوله.. بل عليكم إذا في قصة بدر أول غنيمة كبيرة غنمها المسلمون من المشركين، فحصل بين بعض المسلمين فيها نزاع، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها، فأنزل الأنفال هي الغنائم التي ينفلها الله لهذه الأمة من أموال الكفار، وكانت هذه الآيات في هذه السورة قد نزلت

لا يغالبه مغالب، بل هو القهار، الذي يخذل من بلغوا من الكثرة وقوة العدد والآلات ما بلغوا. حكيم حيث قدر الأمور بأسبابها، ووضع الأشياء مواضعها. 10 وما جعله الله أي: إنزال الملائكة إلا بشرى أي: لتستبشر بذلك نفوسكم، ولتطمئن به قلوبكم وإلا فالنصر بيد الله، ليس بكثرة عدد ولا عدد.. إن الله عزيز قلوبكم أي: يثبتها فإن ثبات القلب، أصل ثبات البدن، ويثبت به الأقدام فإن الأرض كانت سهلة دهسة فلما نزل عليها المطر تلبدت، وثبتت به الأقدام. 11 على النصر والطمأنينة. ومن ذلك: أنه أنزل عليكم من السماء مطرا ليطهركم به من الحدث والخبث، وليطهركم به من وساوس الشيطان ورجزه. وليربط على ومن نصره واستجابته لدعائكم أن أنزل عليكم نعاسا يغشىكم أي فيذهب ما في قلوبكم من الخوف والوجل، ويكون أمانة لكم وعلامة

بدر، أو للمؤمنين يشجعهم الله، ويعلمهم كيف يقتلون المشركين، وأنهم لا يرحمونهم، وذلك لأنهم شاقوا الله ورسوله أي: حاربوها وبارزوها بالعداوة. 12 الرقاب واضربوا منهم كل بنان أي: مفصل. وهذا خطاب، إما للملائكة الذين أوحى الله إليهم أن يثبتوا الذين آمنوا فيكون في ذلك دليل أنهم باسروا القتال يوم لكم عليهم، فإن الله إذا ثبت المؤمنين وألقى الرعب في قلوب الكافرين، لم يقدر الكافرون على الثبات لهم ومنحهم الله أكتافهم. فاضربوا فوق الأعناق أي: على فثبتوا الذين آمنوا أي: ألقوا في قلوبهم، وألهموهم الجراءة على عدوهم، ورغبوهم في الجهاد وفضله. سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب الذي هو أعظم جند ومن ذلك أن الله أوحى إلى الملائكة أني معكم بالعون والنصر والتأييد،

الله ورسوله أي: حاربوها وبارزوها بالعداوة 13 ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب 14 ومن عقابه تسليط أوليائه على أعدائه وتقتيلهم 15

شاقوا

وثبتت أقدامهم، وزال عنهم المكروه والوساوس الشيطانية 16 ومنها أن من لطف الله بعبده أن يسهل عليه طاعته، ويسرها بأسباب داخلية وخارجية 17 الآية 18 ومنها إجابة دعوة الله للمؤمنين لما استغاثوه بما ذكره من الأسباب، وفيها الاعتناء العظيم بحال عباده المؤمنين، وتقييض الأسباب التي بها ثبت إيمانهم، الله وعدهم وعدا، فأنجزهموه 19 ومنها ما قال الله تعالى 20 قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين 21 معجلا 22 وأن للكافرين عذاب النار 23 وفي هذه القصة من آيات الله العظيمة ما يدل على أن ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - رسول الله حقا 24 منها أن ألكم العذاب المذكور 25 وقوه 26 أيها المشاققون لله ورسوله عذابا

من بعض، أقلا تولوهم الأدبار 27 بل اثبتوا لقتالهم، واصبروا على جلادهم، فإن في ذلك نصرة لدين الله، وقوة لقلوب المؤمنين، وإرهابا للكافرين 28 والأبدان، ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان، فقال 29 أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا 30 أي في صف القتال، وتزاحف الرجال، واقترب بعضهم يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة الإيمانية، والقوة في أمره، والسعي في جلب الأسباب المقوية للقلوب

الحال - أن تكون من الأحوال المرخص فيها، لأنه - على هذا - لا يتصور الفرار المنهي عنه، وهذه الآية مطلقة، وسيأتي في آخر السورة تقييدها بالعدد 31 يدل على أن هذا جائز، ولعل هذا يقيد بما إذا ظن المسلمون أن الانهزام أحمد عاقبة، وأبقى عليهم 32 أما إذا ظنوا غلبتهم للكفار في ثباتهم لقتالهم، فيبعد - في هذه محل المعركة كانهزام المسلمين بين يدي الكافرين والتجأهم إلى بلد من بلدان المسلمين أو إلى عسكر آخر من عسكر المسلمين، فقد ورد من آثار الصحابة ما المحاربين، وأن المتحيز إلى فئة تمنعه وتعينه على قتال الكفار، فإن ذلك جائز، فإن كانت الفئة في العسكر، فالأمر في هذا واضح، وإن كانت الفئة في غير فإنه لا بأس بذلك، لأنه لم يول دبره فارا، وإنما ولي دبره ليستعلي على عدوه، أو يأتيه من محل يصيب فيه غرته، أو ليخدعه بذلك، أو غير ذلك من مقاصد نص هنا على وعيده بهذا الوعيد الشديد 33 ومفهوم الآية 34 أن المتحرف للقتال، وهو الذي ينحرف من جهة إلى أخرى، ليكون أمكن له في القتال، وأنكى لعدوه، الله وماواه 35 أي مقره إجهنم وبنس المصير 36 وهذا يدل على أن الفرار من الزحف من غير عذر من أكبر الكبائر، كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة وكما لومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء 37 أي رجع بغضب من

أعلن، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها، فيقدر على العباد أقدارا موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله 38 المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات، ويعطيهم أجرا حسنا وثوابا جزيلا 39 إن الله سميع عليم 40 يسمع تعالى ما أسر به العبد وما



## تفسير السعدي

بقوتنا واقتدارنا<sup>١٨</sup> أوليبي المؤمنين منه بلاء حسنا<sup>١٩</sup> أي إن الله تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال، ولكن الله أراد أن يمتحن أنكسر حدهم، وفتر زندهم، وبأن فيهم الفضل والضعف، فانهزموا<sup>٢٠</sup> يقول تعالى لنبيه<sup>٢١</sup> لست بقوتك - حين رميت التراب - أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم خرج منه، فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأوصلها الله إلى وجوههم، فما بقي منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه وفمه وعينه منها، فحينئذ تقدم ذكره<sup>٢٢</sup> ألوما رميت إذ رميت ولكن الله رمى<sup>٢٣</sup> وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو الله، ويناشده في نصرته، ثم يقول تعالى - لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون أقلم تقتلوهم<sup>٢٤</sup> بحولكم وقوتكم ولكن الله قتلهم<sup>٢٥</sup> حيث أعانكم على ذلك بما

لذلكم النصر من الله لكم<sup>٢٦</sup> وأن الله موهن كيد الكافرين<sup>٢٧</sup> أي<sup>٢٨</sup> مضعف كل مكر وكيد يكيدون به الإسلام وأهله، وجاعل مكرهم محيقا بهم<sup>٢٩</sup>

وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه، لما انهزم لهم راية انهزاما مستقرا<sup>٣٠</sup> ولا أدبيل عليهم عدوهم أبد<sup>٣١</sup> الله أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان<sup>٣٢</sup> فإذا أدبيل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفریطا من المؤمنين الذين تحاربون وتقاتلون، معتمدين عليهم، شيئا وأن الله مع المؤمنين<sup>٣٣</sup> ومن كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفا قليلا عدده، وهذه المعية التي أخبر ولم يعجل لكم النعمة<sup>٣٤</sup> وإن تعودوا<sup>٣٥</sup> إلى الاستفتاح وقاتل حزب الله المؤمنين ثعدا<sup>٣٦</sup> في نصرهم عليكم<sup>٣٧</sup> أولن تغني عنكم فتكم<sup>٣٨</sup> أي<sup>٣٩</sup> أعوانكم وأنصاركم، الظالمين<sup>٤٠</sup> فقد جاءكم الفتح<sup>٤١</sup> حين أوقع الله بكم من عقابه، ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين<sup>٤٢</sup> وإن تنتهوا<sup>٤٣</sup> عن الاستفتاح فهو خيرا<sup>٤٤</sup> لأنه ربما أمهلتكم، إن تستفتحوا<sup>٤٥</sup> أيها المشركون، أي<sup>٤٦</sup> تطلبوا من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين

في جلب مصالحهم ودفع مضارهم الدينية والدنيوية، ويثقون بأن الله تعالى سيفعل ذلك. والتوكل هو الحامل للأعمال كلها، فلا توجد ولا تكمل إلا به. 2 ربه، أو وجلا من العقوبات، وازدجارا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان. وعلى ربه وحده لا شريك له يتوكلون أي: يعتمدون في قلوبهم على ربه التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبة في الخير، واشتياقا إلى كرامة أن يحجز صاحبه عن الذنوب. وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا ووجه ذلك أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم، لأن لشرائع الإيمان. الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي: خافت ورهبت، فأوجب لهم خشية الله تعالى الانكفاف عن المحارم، فإن خوف الله تعالى أكبر علاماته كان الإيمان قسمين: إيمانا كاملا يترتب عليه المدح والثناء، والفوز التام، وإيمانا دون ذلك ذكر الإيمان الكامل فقال: إنما المؤمنون الألف واللام للاستغراق ومن نقصت طاعته لله ورسوله، فذلك لنقص إيمانه، ولما

طاعة الله، وطاعة رسوله<sup>٤٧</sup> أنتم تسمعون<sup>٤٨</sup> ما يتلى عليكم من كتاب الله، وأوامره، ووصاياه، ونصائحه، فتوليكم في هذه الحال من أقبح الأحوال<sup>٤٩</sup> 20 الإيمان الذي يدركون به معيته، فقال<sup>٥٠</sup> أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله<sup>٥١</sup> بامتثال أمرهما واجتناب نهيهما<sup>٥٢</sup> أولا تولوا عنه<sup>٥٣</sup> أي<sup>٥٤</sup> عن هذا الأمر الذي هو لما أخبر تعالى أنه مع المؤمنين، أمرهم أن يقوموا بمقتضى

الدعوى الخالية التي لا حقيقة لها، فإنها حالة لا يرضاها الله ولا رسوله، فليس الإيمان بالتمني والتخلي، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال<sup>٥٥</sup> 21 أي<sup>٥٦</sup> لا تكتفوا بمجرد

سمع الحجة، فقد قامت حجة الله تعالى عليهم بما سمعوه من آياته، وإنما لم يسمعهم السماع النافع، لأنه لم يعلم فيهم خيرا يصلحون به لسماع آياته<sup>٥٧</sup> 22 بصد أن يكونوا من خيار البرية<sup>٥٨</sup> فأبوا هذا الطريق، واختاروا لأنفسهم أن يكونوا من شر البرية، والسمع الذي نفاه الله عنهم، سمع المعنى المؤثر في القلب، وأما الله من جميع الدواب، لأن الله أعطاهم أسماعا وأبصارا وأفئدة، ليستعملوها في طاعة الله، فاستعملوها في معاصيه وعدموا - بذلك - الخير الكثير، فإنهم كانوا لم تفد فيهم الآيات والنذر، وهم الصم<sup>٥٩</sup> عن استماع الحق<sup>٦٠</sup> البكم<sup>٦١</sup> عن النطق<sup>٦٢</sup> به<sup>٦٣</sup> الذين لا يعقلون<sup>٦٤</sup> أما ينفعهم، ويؤثرونه على ما يضرهم، فهؤلاء شر عند يقول تعالى<sup>٦٥</sup> إن شر الدواب عند الله<sup>٦٦</sup> من

الوجوه، وهذا دليل على أن الله تعالى لا يمنع الإيمان والخير، إلا لمن لا خير فيه، الذي لا يزكو لديه ولا يثمر عنده<sup>٦٧</sup> وله الحمد تعالى والحكمة في هذا<sup>٦٨</sup> 23 أولو علم الله فيهم خيرا<sup>٦٩</sup> لسمعهم ولو أسمعهم<sup>٧٠</sup> أعلى الفرض والتقدير<sup>٧١</sup> التولوا<sup>٧٢</sup> عن الطاعة<sup>٧٣</sup> لوهم معرضون<sup>٧٤</sup> إلا التفات لهم إلى الحق بوجه من

دينك، يا مصرف القلوب، أصرف قلبي إلى طاعتك<sup>٧٥</sup> وأنه إليه تحشرون<sup>٧٦</sup> أي<sup>٧٧</sup> تجتمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بعصيانته<sup>٧٨</sup> 24 بعد ذلك، وتختلف قلوبكم، فإن الله يحول بين المرء وقلبه، يقلب القلوب حيث شاء ويصرفها أنى شاء<sup>٧٩</sup> فليكثر العبد من قول<sup>٨٠</sup> أي<sup>٨١</sup> مقلب القلوب ثبت قلبي على حذر عن عدم الاستجابة لله وللرسول فقال<sup>٨٢</sup> أواعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه<sup>٨٣</sup> أي<sup>٨٤</sup> فإياكم أن تردوا أمر الله أول ما يأتيكم، فيحال بينكم وبينه إذا أردتموه وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائده وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام<sup>٨٥</sup> ثم لله وللرسول، أي<sup>٨٦</sup> الانقياد لما أمرا به والمبادرة إلى ذلك والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه، والانكفاف عنه والنهي عنه<sup>٨٧</sup> وقوله<sup>٨٨</sup> إذا دعاكم<sup>٨٩</sup> لما يحييكم<sup>٩٠</sup> يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة

المنكر، وقمع أهل الشر والفساد، وأن لا يمكنوا من المعاصي والظلم مهما أمكن<sup>٩١</sup> أواعلموا أن الله شديد العقاب<sup>٩٢</sup> من تعرض لمساخطه، وجانب رضاه<sup>٩٣</sup> 25 لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة<sup>٩٤</sup> بل تصيب فاعل الظلم وغيره، وذلك إذا ظهر الظلم فلم يغير، فإن عقوبته تعم الفاعل وغيره، وتقوى هذه الفتنة بالنهي عن أواتقوا فتنة

## تفسير السعدي

أعدانكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء<sup>٢٦</sup>العلكم تشكرون<sup>٢٧</sup>الله على منته العظيمة وإحسانه التام، بأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً<sup>٢٨</sup>26 تحت حكم غيركم تخافون أن يتخطفكم الناس<sup>٢٩</sup>أي<sup>٣٠</sup>يأخذونكم<sup>٣١</sup>وأاكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات<sup>٣٢</sup>فجعل لكم بلداً تأوون إليه، وانتصر من يقول تعالى ممتنا على عباده في نصرهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإغنائهم بعد العيلة<sup>٣٣</sup>وآذركوا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض<sup>٣٤</sup>أي<sup>٣٥</sup>مقهورون لله وللرسول ولأمانته، منقصا لنفسه بكونه اتصفت نفسه بأخس الصفات، وأقبح الشيات، وهي الخيانة مفوتا لها أكمل الصفات وأتمها، وهي الأمانة<sup>٣٦</sup>27 وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً فمن أدى الأمانة استحق من الله الثواب الجزيل، ومن لم يؤديها بل خانها استحق العقاب الوبيل، وصار خائناً يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يؤدوا ما اتتمنهم الله عليه من أوامره ونواهيه، فإن الأمانة قد عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها فإن كان لكم عقل ورأي، فآثروا فضله العظيم على لذة صغيرة فانية مضمحلة، فالعقل يوازن بين الأشياء، ويؤثر أولاهما بالإيثار، وأحقها بالتقديم<sup>٣٧</sup>28 أداء أمانته، أخبر الله تعالى أن الأموال والأولاد فتنة يبتلي الله بهما عباده، وأنها عارية ستؤدى لمن أعطها، وترد لمن استودعها<sup>٣٨</sup>وإن الله عنده أجر عظيم<sup>٣٩</sup>ولما كان العبد ممتحناً بأمواله وأولاده، فربما حمله محبة ذلك على تقديم هوى نفسه على

بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر<sup>٤٠</sup>الرابع<sup>٤١</sup>الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه<sup>٤٢</sup>والله ذو الفضل العظيم<sup>٤٣</sup>29 السعادة من أهل الشقاوة<sup>٤٤</sup>الثاني والثالث<sup>٤٥</sup>تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الاجتماع يفسر تكفير السيئات كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها<sup>٤٦</sup>الأول<sup>٤٧</sup>الفرقان<sup>٤٨</sup>وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتب الله على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً، فذكر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، امتثال

رزقناهم ينفقون النفقات الواجبة، كالزكوات، والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة كالصدقة في جميع طرق الخير. 3 الذين يقيمون الصلاة من فرائض ونوافل، بأعمالها الظاهرة والباطنة، كحضور القلب فيها، الذي هو روح الصلاة ولها، ومما

مكة عنوة، وقهر أهلها، فأذنوا له وصاروا تحت حكمه، بعد أن خرج مستخفياً منهم، خائفاً على نفسه<sup>٤٩</sup>فسبحان اللطيف بعبده الذي لا يغالبه مغالب<sup>٥٠</sup>30 التراب عن رأسه، ومنع الله رسوله منهم، وأذن له في الهجرة إلى المدينة، فهاجر إليها، وأيده الله بأصحابه المهاجرين والأنصار، ولم يزل أمره يعلو حتى دخل رءوسهم التراب وخرج، وأعمى الله أبصارهم عنه، حتى إذا استبطؤوه جاءهم آت وقال<sup>٥١</sup>خيبيكم الله، قد خرج محمد وذر على رءوسكم التراب<sup>٥٢</sup>فنفض كل منهم على مقاومة سائر قريش، فترصدوا للنبي - صلى الله عليه وسلم - في الليل ليوقعوا به إذا قام من فراشه<sup>٥٣</sup>فجاءه الوحي من السماء، وخرج عليهم، فذر على من كل قبيلة من قبائل قريش فتى ويعطوه سيفاً صارماً، ويقتله الجميع قتلة رجل واحد، ليتفرق دمه في القبائل<sup>٥٤</sup>فيرضى بنو هاشم ثم بديته، فلا يقدرين - من شره<sup>٥٥</sup>وإما أن يخرجوه ويجلوه من ديارهم<sup>٥٦</sup>فكل أبدي من هذه الآراء رأياً رآه، فاتفق رأيهم على رأي<sup>٥٧</sup>رآه شريبرهم أبو جهل لعنه الله، وهو أن يأخذوا تشاور المشركون في دار الندوة فيما يصنعون بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، إما أن يثبتوه عندهم بالحبس ويوثقوه<sup>٥٨</sup>وإما أن يقتلوه فيستريحوا - بزعمهم أي<sup>٥٩</sup>وإذا أذكر أيها الرسول، ما من الله به عليك<sup>٦٠</sup>إذ يمكر بك الذين كفروا<sup>٦١</sup>أحيان

لا يقرأ ولا يكتب، ولا رحل ليدرس من أخبار الأولين، فأتى بهذا الكتاب الجليل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد<sup>٦٢</sup>31 من دون الله، فلم يقدرُوا على ذلك، وتبين عجزهم<sup>٦٣</sup>فهذا القول الصادر من هذا القائل مجرد دعوى، كذبه الواقع، وقد علم أنه - صلى الله عليه وسلم - أمي قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين<sup>٦٤</sup>وهذا من عنادهم وظلمهم، وإلا فقد تحداهم الله أن يأتوا بسورة من مثله، ويدعوا من استطاعوا يقول تعالى في بيان عناد المكذبين للرسول - صلى الله عليه وسلم -<sup>٦٥</sup>وإذا تتلى عليهم آياتنا<sup>٦٦</sup>الدالة على صدق ما جاء به الرسول<sup>٦٧</sup>القالوا

لهم أن يكونوا على بصيرة ويقين منه، قالوا لمن ناظرهم وادعى أن الحق معه<sup>٦٨</sup>إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، لكان أولى لهم وأستر لظلمهم<sup>٦٩</sup>32 أو اتنا بعباد أليم<sup>٧٠</sup>قالوه على وجه الجزم منهم بباطلهم، والجهل بما ينبغي من الخطاب<sup>٧١</sup>فلو أنهم إذ أقاموا على باطلهم من الشبه والتمويهات ما أوجب لو<sup>٧٢</sup>إذا قالوا اللهم إن كان هذا الذي يدعو إليه محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

رءوس الأشهاد، يدرون بقبحها، فكانوا يخافون من وقوعها فيهم، فيستغفرون الله تعالى فهذا<sup>٧٣</sup>قال تعالى<sup>٧٤</sup>وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون<sup>٧٥</sup>33 فقال<sup>٧٦</sup>وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم<sup>٧٧</sup>فوجوده - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم أمانة لهم من العذاب<sup>٧٨</sup>وكانوا مع قولهم هذه المقالة التي يظهرونها على قولهم أنهم السفهاء الأغبياء، الجهلة الظالمون، فلو عاجلهم الله بالعقاب لما أبقي منهم باقية، ولكنه تعالى دفع عنهم العذاب بسبب وجود الرسول بين أظهرهم، فمنذ قالوا<sup>٧٩</sup>اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك<sup>٨٠</sup>الآية، علم بمجرد

الذين آمنوا بالله ورسوله، وأفردوا الله بالتوحيد والعبادة، وأخلصوا له الدين<sup>٨١</sup>ولكن أكثرهم لا يعلمون<sup>٨٢</sup>فلذلك ادعوا لأنفسهم أمراً غيرهم أولى به<sup>٨٣</sup>34 يحتمل أن الضمير يعود إلى الله، أي<sup>٨٤</sup>أولياء الله<sup>٨٥</sup>ويحتمل أن يعود إلى المسجد الحرام، أي<sup>٨٦</sup>وما كانوا أولى به من غيرهم<sup>٨٧</sup>لأن أوليائه إلا المتقون<sup>٨٨</sup>وهم عن المسجد الحرام، خصوصاً صدهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، الذين هم أولى به منهم، ولهذا قال<sup>٨٩</sup>وما كانوا<sup>٩٠</sup>أي<sup>٩١</sup>المشركون أولياءه<sup>٩٢</sup>من وقوع العذاب بهم، بعد ما انعقدت أسبابه ثم قال<sup>٩٣</sup>وما لهم ألا يعذبهم الله<sup>٩٤</sup>أي<sup>٩٥</sup>شيء يمنعهم من عذاب الله، وقد فعلوا ما يوجب ذلك، وهو صد الناس فهذا مانع يمنع

## تفسير السعدي

ما مكن لهم فيه إيا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال هنا لذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون<sup>35</sup> والذين هم عن اللغو معرضون، إلى آخر ما وصفهم الله به من الصفات الحميدة، والأفعال السديدة<sup>36</sup> لا جرم أورثهم الله بيته الحرام، ومكنهم منه، وقال لهم بعد البقاع وأشرفها، فإذا كانت هذه صلاتهم فيه، فكيف ببقية العبادات<sup>37</sup> فبأي شيء كانوا أولى بهذا البيت من المؤمنين الذين هم في صلاتهم خاشعون، أكبر أنواع العبادات<sup>38</sup> إلا مكاء وتصدية<sup>39</sup> أي<sup>40</sup> صفيها وتصفيقا، فعل الجهلة الأغبياء، الذين ليس في قلوبهم تعظيم لربهم، ولا معرفة بحقوقه، ولا احترام لأفضل الحرام ليقام فيه دينه، وتخلص له فيه العبادة، فالمؤمنون هم الذين قاموا بهذا الأمر، وأما هؤلاء المشركون الذين يصدون عنه، فما كان صلاتهم فيه التي هي يعني أن الله تعالى إنما جعل بيته

ويعذبون في الآخرة أشد العذاب<sup>41</sup> ولهذا قال<sup>42</sup> والذين كفروا إلى جهنم يحشرون<sup>43</sup> أي<sup>44</sup> يجمعون إليها، ليزوقوا عذابها، وذلك لأنها دار الخبث والخبثاء<sup>45</sup> هذه النفقة، وتخف عليهم لتمسكهم بالباطل، وشدة بغضهم للحق، ولكنها ستكون عليهم حسرة، أي<sup>46</sup> ندامة وخزيا وذلا ويغلبون فتذهب أموالهم وما أملاوا، ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله<sup>47</sup> أي<sup>48</sup> ليبطلوا الحق وينصروا الباطل، ويبطل توحيد الرحمن، ويقوم دين عبادة الأوثان<sup>49</sup> أي<sup>50</sup> يسيئونها<sup>51</sup> أي<sup>52</sup> يفسدونها ومبارزتهم لله ولرسوله، وسعيهم في إطفاء نوره وإخماد كلمته، وأن وبال مكرهم سيعود عليهم، ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله، فقال<sup>53</sup> والذين كفروا يقول تعالى مبينا لعداوة المشركين وكيدهم ومكرهم،

والأشخاص<sup>54</sup> أي<sup>55</sup> غيركمه جميعا فيجعلهم في جهنم أولئك هم الخاسرون<sup>56</sup> الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين<sup>57</sup> والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب، ويجعل كل واحدة على حدة، وفي دار تخصصه، فيجعل الخبيث بعضه على بعض، من الأعمال والأموال يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون، فهذا خطابه للمكذبين، وأما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين، فقال<sup>58</sup> وأوقاتلوهم حتى لا تكون فتنة<sup>59</sup> لهم ما قد سلف<sup>60</sup> أي<sup>61</sup> منهم من الجرائم وإن يعودوا<sup>62</sup> إلى كفرهم وعنادهم أقدم مضت سنة الأولين<sup>63</sup> أي<sup>64</sup> بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى، فقال<sup>65</sup> أقلل للذين كفروا إن ينتهوا<sup>66</sup> عن كفرهم وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له<sup>67</sup> أي<sup>68</sup> يغفر هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد، من أن يدعوهم إلى طريق

الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان<sup>69</sup> أي<sup>70</sup> أن انتهوا<sup>71</sup> عن ما هم عليه من الظلم فإن الله بما يعملون بصير<sup>72</sup> أي<sup>73</sup> لا تخفى عليه منهم خافية<sup>74</sup> 39 ويذعنوا لأحكام الإسلام، أي<sup>75</sup> يكون الدين كله لله<sup>76</sup> أي<sup>77</sup> هذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين الله الذي خلق أوقاتلوهم حتى لا تكون فتنة<sup>78</sup> أي<sup>79</sup> شرك وصد عن سبيل الله،

ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ودل هذا على أن من يصل إلى درجتهم في الإيمان وإن دخل الجنة فلن ينال ما نالوا من كرامة الله التامة. 4 المؤمنين حقا فقال: لهم درجات عند ربهم أي: عالية بحسب علو أعمالهم. ومغفرة لذنوبهم ورزق كريم وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، فيزيد بفعل الطاعة وينقص بضدها. وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينمي به، وأن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى والتأمل لمعانيه. ثم ذكر ثواب العلم والعمل، بين أداء حقوق الله وحقوق عباده. وقدم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح وأفضل منها، وفيها دليل على أن الإيمان، يزيد وينقص، أولئك الذين اتصفوا بتلك الصفات هم المؤمنون حقا لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، بين الأعمال الباطنة والأعمال الظاهرة، بين

الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار، وتكالب الأشرار<sup>80</sup> ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومن كان الله عليه فلا عز له ولا قائمة له<sup>81</sup> 40 الإضاعة إقاعلوا أن الله مولاكم نعم المولى<sup>82</sup> الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية<sup>83</sup> أي<sup>84</sup> أنعم النصير<sup>85</sup> وإن تولوا<sup>86</sup> أي<sup>87</sup> عن الطاعة وأوضاعوا في

على رسوله يوم الفرقان، الذي حصل فيه من الآيات والبراهين، ما دل على أن ما جاء به هو الحق<sup>88</sup> أي<sup>89</sup> الله على كل شيء قديرا لا يغالبه أحد إلا غلبه<sup>90</sup> 41 الله به بين الحق والباطل<sup>91</sup> وأظهر الحق وأبطل الباطل<sup>92</sup> أي<sup>93</sup> يوم التقى الجمعان<sup>94</sup> أي<sup>95</sup> جمع المسلمين، وجمع الكافرين، أي<sup>96</sup> إن كان إيمانكم بالله، وبالحق الذي أنزله الله وهذا هو الأول<sup>97</sup> أي<sup>98</sup> جعل الله أداء الخمس على وجهه شرطا للإيمان فقال<sup>99</sup> إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان<sup>100</sup> وهو يوم بدر<sup>101</sup> الذي فرق المنقطع به في غير بلده، أي<sup>102</sup> بعض المفسرين يقول إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع للمصلحة وقد فقد من يقوم بمصالحهم<sup>103</sup> أي<sup>104</sup> الخمس الرابع للمساكين، أي<sup>105</sup> المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث<sup>106</sup> أي<sup>107</sup> الخمس الخامس لابن السبيل، وهو الغريب وأنشأهم<sup>108</sup> أي<sup>109</sup> الخمس الثالث لليتامى، وهم الذين فقدت أبائهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، النبي - صلى الله عليه وسلم - من بني هاشم وبني المطلب<sup>110</sup> أي<sup>111</sup> أضافه الله إلى القرابة دليلا على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله<sup>112</sup> أي<sup>113</sup> لم يعين الله له مصرفا، دل على أن مصرفه للمصالح العامة<sup>114</sup> أي<sup>115</sup> الخمس الثاني<sup>116</sup> الذي القربى، وهم قرابة لفرسه، وسهم له<sup>117</sup> أي<sup>118</sup> وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة، لأن الله جعله له لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها<sup>119</sup> أي<sup>120</sup> قدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للراجل سهم، وللفراس سهمان يقول تعالى<sup>121</sup> أي<sup>122</sup> أنعموا أنما غنمتم من شيء<sup>123</sup> أي<sup>124</sup> أخذتم من مال الكفار قهرا بحق، قليلا كان أو كثيرا<sup>125</sup> أي<sup>126</sup> أن لله خمسة<sup>127</sup> أي<sup>128</sup> وباقية لكم أيها الغانمون، الألباب<sup>129</sup> أي<sup>130</sup> أن الله لسميع عليم<sup>131</sup> أي<sup>132</sup> لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، عليم بالظواهر والضمائر والسرائر، والغيب والشهادة<sup>133</sup> 42

## تفسير السعدي

فلا يبقى له عذر عند الله <sup>أي</sup> لا يوجب من حي عن بيئته <sup>أي</sup> يزداد المؤمن بصيرة ويقينا، بما أرى الله الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي أمرا كان مفعولا <sup>أي</sup> مقدرًا في الأزل، لا بد من وقوعه <sup>أي</sup> يهلك من هلك عن بيئته <sup>أي</sup> ليكون حجة وبينة للمعاند، فيختار الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه، <sup>أي</sup> لا بد من تقدم أو تأخر أو اختيار منزل، أو غير ذلك، مما يعرض لكم أو لهم، يصدقكم عن ميعادكم ولكن الله جمعكم على هذه الحال ليقتضي الله الذي خرجتم لطلبه، وأراد الله غيره أسفل منكم <sup>أي</sup> مما يلي ساحل البحر <sup>أي</sup> ولو تواعدتم أنتم وإياهم على هذا الوصف وبهذه الحال لاختلفتم في الميعاد إذ أنتم بالعدو الدنيا <sup>أي</sup> بعدوة الوادي القريبة من المدينة، وهم بعدوته <sup>أي</sup> جانبه البعيدة من المدينة، فقد جمعكم واد واحدا <sup>أي</sup> والركب بكم إنه عليم بذات الصدور <sup>أي</sup> بما فيها من ثبات وجزع، وصدق وكذب، فعلم الله من قلوبكم ما صار سببا للطفه وإحسانه بكم وصدق رؤيا رسوله 43 ولتنازعتم في الأمر فممنكم من يرى الإقدام على قتالهم، وممنكم من لا يرى ذلك فوقع من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل <sup>أي</sup> ولكن الله سلم <sup>أي</sup> لطف رسوله المشركين في الرؤيا عددا قليلا، فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلوبهم وتثبتت أفئدتهم <sup>أي</sup> ولو أراكم الله إياهم كثيرا فأخبرت بذلك أصحابك فشلتكم وكان الله قد أرى

الله ترجع الأمور <sup>أي</sup> جميع أمور الخلق ترجع إلى الله، فيميز الخبيث من الطيب، ويحكم في الخلق بحكمه العادل، الذي لا جور فيه ولا ظلم 44 الضلال منهم، ولم يبق منهم أحد له اسم يذكر، فيتيسر بعد ذلك انقيادهم إذا دعوا إلى الإسلام، فصار أيضا لطفًا بالباقيين، الذين من الله عليهم بالإسلام <sup>أي</sup> وإلى من الطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى <sup>أي</sup> ليقتضي الله أمرا كان مفعولا من نصر المؤمنين وخذلان الكافرين وقتل قاداتهم ورؤساء فأرى الله المؤمنين عدوهم قليلا في أعينهم، وبقللهم - يا معشر المؤمنين - في أعينهم، فكل بالإكثار من ذكر الله <sup>أي</sup> لتدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر 45 فنة <sup>أي</sup> طائفة من الكفار تقاتلكم <sup>أي</sup> قاتبتوا لقتالها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة، التي عاقبتها العز والنصر <sup>أي</sup> واستعينوا على ذلك يقول تعالى <sup>أي</sup> أيها الذين آمنوا إذا لقيتم

من النصر على طاعة الله ورسوله <sup>أي</sup> وأصابروا نفوسكم على طاعة الله إن الله مع الصابرين <sup>أي</sup> بالنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له 46 <sup>أي</sup> ولا تنازعوا تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقها، اقتفشلوا <sup>أي</sup> أي تجنبوا أو تذهب ريحكم <sup>أي</sup> أي تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به وأطيعوا الله ورسوله <sup>أي</sup> في استعمال ما أمرا به، والمشي خلف ذلك في جميع الأحوال <sup>أي</sup> وجه الله تعالى وإعلاء دين الله، والصد عن الطرق الموصلة إلى سخط الله وعقابه، وجذب الناس إلى سبيل الله القويم الموصل لجنت النعيم 47 سلوكه، والله بما يعملون محيط <sup>أي</sup> فلذلك أخبركم بمقاصدهم، وحذركم أن تشبهوا بهم، فإنه سيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة <sup>أي</sup> فليكن قصدكم في خروجكم وهذا الذي أبرزهم من ديارهم لقصد الأشر والبطر في الأرض، وليراهم الناس ويفخروا لديهم <sup>أي</sup> والمقصود الأعظم أنهم خرجوا ليصدوا عن سبيل الله من أراد <sup>أي</sup> ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله <sup>أي</sup> هذا مقصدهم الذي خرجوا إليه،

الشیطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين 48 قد سول لهم، ووسوس في صدورهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، وأنه جار لهم، فلما أوردتهم مواردهم، نكص عنهم، وتبرأ منهم، كما قال تعالى <sup>أي</sup> اكمل أرى الملائكة الذين لا يبدان لأحد بقتالهم <sup>أي</sup> إني أخاف الله <sup>أي</sup> أي أخاف أن يعاجلني بالعقوبة في الدنيا والله شديد العقاب <sup>أي</sup> ومن المحتمل أن يكون الشيطان، عليه السلام يزع الملائكة خاف خوفا شديدا <sup>أي</sup> ونكص على عقبيه <sup>أي</sup> أي ولي مدبر <sup>أي</sup> وقال لمن خدعهم وغرهم <sup>أي</sup> إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون <sup>أي</sup> كانت بينهم <sup>أي</sup> فقال لهم الشيطان أنا جار لكم، فاطمأنت نفوسهم وأتوا على حرد قادري <sup>أي</sup> فلما تراءت الفئتان المسلمون والكافرون، فرأى الشيطان جبريل لكم <sup>أي</sup> أن يأتيكم أحد ممن تخشون غائلته، لأن إبليس قد تبدى لقريش في صورة سراقاة بن مالك بن جعشم المدلجي، وكانوا يخافون من بني مدلج لعداوة أعمالهم أحسنها في قلوبهم وخدعهم <sup>أي</sup> وقال لا غالب لكم اليوم من الناس <sup>أي</sup> فإنكم في عدد وعدد وهبئة لا يقاومكم فيها محمد ومن معه <sup>أي</sup> وإني جار لإد زين لهم الشيطان

وكان واثقا بربه، مطمئن القلب لا فزعا ولا جبانا، ولهذا قال لؤمن يتوكل على الله فإن الله عزيز لا يغالب قوته قوة <sup>أي</sup> أحكيم <sup>أي</sup> فيما قضاه وأجراه 49 لم يضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحق، وأن الله تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضره - الأخفاء عقولا، الضعفاء أحلاما <sup>أي</sup> فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإن المؤمن المتوكل على الله، الذي هؤلاء دينهم <sup>أي</sup> أوردتهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يبدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقارا لهم واستخفافا لعقولهم، وهم - والله <sup>أي</sup> إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض <sup>أي</sup> أي شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا - مع قلتهم - على قتال المشركين مع كثرتهم <sup>أي</sup> كما بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ويبطل الباطل بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ولو كره المجرمون فلا يبالي الله بهم، 5 الله أن يحق الحق بكلماته فينصر أهله ويقطع دابر الكافرين أي: يستأصل أهل الباطل، ويرى عباده من نصره للحق أمرا لم يكن يخطر ببالهم، ليحق الحق ولأنها غير ذات شوك، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرا أعلى مما أحبوا. أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم، ويريد

## تفسير السعدي

والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريبا من الألف. فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعين، أو بالنفير، فأحبوا العير لقلّة ذات يد المسلمين، عشر رجلا معهم سبعون بعيرا، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع عيرهم، في عدد كثير وعدة وافرة من السلاح مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة، فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس، فخرج معه ثلاثمائة، وبضعة الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقبض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها. وكان أصل خروجهم يتعرضون لعير خرجت فأما إذا وضح وبان، فليس إلا الانقياد والإذعان. هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محلّه وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصا بعد قدره وقضاه. وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال. فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذلك أخرج الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى لقاء المشركين في بدر بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله. فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، تفسير الآيات من 5 حتى 8: قدم تعالى أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة الصفات

أنفسكم، ونفوسهم متمنعة مستعصية على الخروج، لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم، ولهذا قال ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ أَيُّ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ الْمَحْرُوقِ﴾ 50 بآيات الله حين توفاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وقد اشتد بهم القلق وعظم كربهم، والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ﴿أَخْرِجُوا﴾ يقول تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا

المعاصي التي أثرت لكم ما أثرت، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين، فإن دأب هؤلاء المكذبين أي سنتهم وما أجرى الله عليهم من الهلاك بذنوبهم﴾ 51 ذلك العذاب حصل لكم، غير ظلم ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المكذبة كفروا بآيات الله فأخذهم الله بالعقاب بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب لا يعجزه أحد يريد أخذهما من دابة إلا هو أخذ بناصيتهما 52 كدأب آل فرعون والذين من قبلهم من الأمم

سواء من أسر القول ومن جهر به، ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر، وتخفيه السرائر، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته﴾ 53 لم يعاقبهم إلا بظلمهم، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ يسمع جميع ما نطق به الناطقون، إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كماغيروا ما بأنفسهم ﴿وَلِلَّهِ الْحِكْمَةُ فِي ذَلِكَ وَالْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى عِبَادِهِ، حَيْثُ بَأْنَفْسِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مَغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ مِنْ نِعَمِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، بَلْ يَبْقِيهَا وَيَزِيدُهُمْ مِنْهَا، إِنْ أَزْدَادُوا لَهُ شُكْرًا﴾ احتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة لذلك العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما

هلاكها، لم يظلمهم الله، ولا أخذهم بغير جرم اقترفوه، فليحذر المخاطبون أن يشابهوهم في الظلم، فيحل الله بهم من عقابه ما أحل بأولئك الفاسقين﴾ 54 بآيات ربهم حين جاءتهم إياها هلكناهم بذنوبهم أكل بحسب جرمهم ﴿وَأَوَّغَرْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ الْمُهْلَكِينَ الْمَعْذِينَ﴾ كانوا ظالمين لأنفسهم، ساعين في اكدأب آل فرعون أي فرعون وقومه والذين من قبلهم كذبوا

لمن عملها أن لا يعاودها ﴿وَدَلَّ تَقْيِيدُ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ فِي الْحَرْبِ أَنَّ الْكَافِرَ - وَلَوْ كَانَ كَثِيرَ الْخِيَانَةِ سَرِيعَ الْغَدْرِ - أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ عَهْدًا لَا يَجُوزُ خِيَانَتُهُ وَعُقُوبَتُهُ﴾ 55 يُذَكَّرُونَ أَصْنَعُهُمْ، لئلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا لا يكون لهم عهد وميثاق أقشرد بهم من خلفهم أي نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون إياه عبرة لمن بعدهم لعلمهم أي من خلفهم متوقع فيهم، فإنها هؤلاء ومحققهم هو المتعين، لئلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال ﴿إِنَّمَا تَتَّقِ فِي الْحَرْبِ أَيُّ تَجِدْنَهُمْ فِي حَالِ الْمَحَارَبَةِ، بِحَيْثُ وَالْخِيَانَةِ، بِحَيْثُ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى عَهْدٍ عَاهِدُوهُ وَلَا قَوْلٍ قَالُوهُ، هُمْ شَرُّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ فَهُمْ شَرُّ الْحَمِيرِ وَالْكَلابِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ الْخَيْرَ مَعْدُومٌ مِنْهُمْ، وَالشَّرُّ تَفْسِيرُ الْآيَاتِ مِنْ 55 إِلَى 57: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ الْكَفْرَ، وَعَدَمَ الْإِيمَانَ،

لمن عملها أن لا يعاودها ﴿وَدَلَّ تَقْيِيدُ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ فِي الْحَرْبِ أَنَّ الْكَافِرَ - وَلَوْ كَانَ كَثِيرَ الْخِيَانَةِ سَرِيعَ الْغَدْرِ - أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ عَهْدًا لَا يَجُوزُ خِيَانَتُهُ وَعُقُوبَتُهُ﴾ 56 يُذَكَّرُونَ أَصْنَعُهُمْ، لئلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا لا يكون لهم عهد وميثاق أقشرد بهم من خلفهم أي نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون إياه عبرة لمن بعدهم لعلمهم أي من خلفهم متوقع فيهم، فإنها هؤلاء ومحققهم هو المتعين، لئلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال ﴿إِنَّمَا تَتَّقِ فِي الْحَرْبِ أَيُّ تَجِدْنَهُمْ فِي حَالِ الْمَحَارَبَةِ، بِحَيْثُ وَالْخِيَانَةِ، بِحَيْثُ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى عَهْدٍ عَاهِدُوهُ وَلَا قَوْلٍ قَالُوهُ، هُمْ شَرُّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ فَهُمْ شَرُّ الْحَمِيرِ وَالْكَلابِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّ الْخَيْرَ مَعْدُومٌ مِنْهُمْ، وَالشَّرُّ تَفْسِيرُ الْآيَاتِ مِنْ 55 إِلَى 57: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَمَعُوا هَذِهِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ الْكَفْرَ، وَعَدَمَ الْإِيمَانَ،

لمن عملها أن لا يعاودها ﴿وَدَلَّ تَقْيِيدُ هَذِهِ الْعُقُوبَةِ فِي الْحَرْبِ أَنَّ الْكَافِرَ - وَلَوْ كَانَ كَثِيرَ الْخِيَانَةِ سَرِيعَ الْغَدْرِ - أَنَّهُ إِذَا أُعْطِيَ عَهْدًا لَا يَجُوزُ خِيَانَتُهُ وَعُقُوبَتُهُ﴾ 57 يُذَكَّرُونَ أَصْنَعُهُمْ، لئلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجرا

## تفسير السعدي

لا يكون لهم عهد وميثاق إلا قشرد بهم من خلفهم أي نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون إبه أعبرة لمن بعدهم العلم أي من خلفهم متوقع فيهم، فإذا هاب هؤلاء ومحققهم هو المتعين، لئلا يسري داؤهم لغيرهم، ولهذا قال الإمام تتحققهم في الحرب أي تجدنهم في حال المحاربة، بحيث والخيانة، بحيث لا يثبتون على عهد عاهدوه ولا قول قالوه، هم شر الدواب عند الله فهم شر من الحمير والكلاب وغيرها، لأن الخير معدوم منهم، والشر تفسير الآيات من 55 إلى 57: هؤلاء الذين جمعوا هذه الخصال الثلاث الكفر، وعدم الإيمان،

ودل مفهومها أيضا أنه إذا لم يخف منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته 58 المحققة منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله تعالى سواء أوهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم العهد، حتى تخبرهم بذلك لأن الله لا يحب الخائنين بل يبغضهم أشد بغض، فلا بد من أمر بين يبرئكم من الخيانة ودلت الآية على أنه إذا وجدت الخيانة عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم على سواء أي حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدرهم، أو تسعى في شيء مما منعه موجب وميثاق على ترك القتال فخفت منهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة فإن نبذ إليهم عهدهم، أي أرمه أي لا وإذا كان بينك وبين قوم عهد

ابتلاء عباده المؤمنين وامتحانهم، وتزودهم من طاعته ومراضيه، ما يصلون به المنازل العالية، واتصافهم بأخلاق وصفات لم يكونوا بغيره بالغيا، 59 المكذبون بآياته، أنهم سبقوا الله وفاتوه، فإنهم لا يعجزونه، والله لهم بالمرصاد وله تعالى الحكمة البالغة في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، التي من جملتها أي لا يحسب الكافرون بريهم

بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ويبطل الباطل بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ولو كره المجرمون فلا يبالى الله بهم. 60 الله أن يحق الحق بكلماته فينصر أهله ويقطع دابر الكافرين أي: يستأصل أهل الباطل، ويرى عباده من نصره للحق أمرا لم يكن يخطر ببالهم. ليحق الحق ولأنها غير ذات شوك، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمرا أعلى مما أحبوا. أراد أن يظفروا بالنفير الذي خرج فيه كبراء المشركين وصناديدهم. ويريد والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريبا من الألف. فوعد الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالغير، أو بالنفير، فأحبوا الغير لقلّة ذات يد المسلمين، عشر رجلا معهم سبعون بعيرا، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم. فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع غيرهم، في عدد كثير وعدة وافرة من السلاح مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة. فلما سمعوا بروجعها من الشام، ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس. فخرج معه ثلاثمائة، وبضعة الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقبض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها. وكان أصل خروجهم يتعرضون لغير خرجت فأما إذا وضح وبان، فليس إلا الانقياد والإذعان. هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم. وكذلك الذين عاتبهم ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه. فهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محله وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر. يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصا بعد قدره وقضاه. وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال. فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذلك أخرج الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى لقاء المشركين في بدر بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله. فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، تفسير الآيات من 5 حتى 8: قدم تعالى أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة الصفات

كثيرة، حتى إن النفقة في سبيل الله، تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وأنتم لا تظلمون أي لا تنقصون من أجرها وثوابها شيئا 60 في جهاد الكفار ولهذا قال تعالى مرغبا في ذلك أوما تنفقوا من شيء في سبيل الله قليلا كان أو كثيرا يؤف إليكم أجره يوم القيامة مضاعفا أضعافا ممن سيقاتلونكم بعد هذا الوقت الذي يخاطبهم الله به الله يعلمهم فلذلك أمرهم بالاستعداد لهم، ومن أعظم ما يعين على قتالهم بذلك النفقات المالية وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب وقوله ترهبون به عدو الله وعدوكم ممن تعلمون أنهم أعداؤكم أو آخرين من دونهم لا تعلمونهم كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، ترهبون به عدو الله وعدوكم وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وسلم - ألا إن القوة الرمي ومن ذلك الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى أومن رباط الخيل والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، في هلاككم وإبطال دينكم أتما استطعتم من قوة أي كل ما تقدر من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، أي أوعدوا أعدائكم الكفار الساعين

قلبك قل - هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين أي أعانك بمعونة سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة المؤمنين بأن قبضهم لنصرك 61 فقال أوإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله أي كافيك ما يؤذك، وهو القائم بمصالحك ومهماتك، فقد سبق لك نصرة ما يطمئن به

## تفسير السعدي

واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره، فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة يعلى عليه، أفكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك، ومنها أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة، منها أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم، ومنها أن في ذلك إجماعاً لقواكم، تعالى، وإن جنحوا، أي الكفار المحاربون، أي مالوا للسلم، أي الصلح وترك القتال، فاجنح لها وتوكل على الله، أي أجبههم إلى ما طلبوا متوكلاً على تفسير الآيتين 61 و62 - يقول

قلبك، أي - هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين، أي أعانك بمعونة سماوية، وهو النصر منه الذي لا يقاومه شيء، ومعونة بالمؤمنين بأن قضيضهم لنصر الله، فقال، وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله، أي كافيك ما يؤذك، وهو القائم بمصالحك ومهماتك، فقد سبق لك كفايته لك ونصره ما يطمئن به واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم، فأخبرهم الله أنه حسبهم وكافيهم خداعهم، وأن ذلك يعود عليهم ضرره، فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة يعلى عليه، أفكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك، ومنها أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة، منها أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم، ومنها أن في ذلك إجماعاً لقواكم، تعالى، وإن جنحوا، أي الكفار المحاربون، أي مالوا للسلم، أي الصلح وترك القتال، فاجنح لها وتوكل على الله، أي أجبههم إلى ما طلبوا متوكلاً على تفسير الآيتين 61 و62 - يقول

كما قال تعالى، وأذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، 63 ألفت بين قلوبهم، لأنه لا يقدر على قلب القلوب إلا الله تعالى، أولكن الله ألفت بينهم، إنه عزيز حكيم، ومن عزته أن ألفت بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعاً من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة، لما أولف بين قلوبهم، فاجتمعوا واثقفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، على الأعداء، فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بد أن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها، 64 حسبك الله، أي كافيك، ومن اتبعك من المؤمنين، أي وكافي أتباعك من المؤمنين، وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله، بالكفاية والنصرة ثم قال تعالى، أيها النبي

القتال، أنه لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه، والذب عن كتاب الله، وحصول الفوز الأكبر عند الله، وهذه كلها دواعٍ للشجاعة والصبر والإقدام على القتال، 65 بأن الكفار أقوم لا يفقهون، أي لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها، وأنتم تفقهون المقصود من أن يكن منكم، أي فيها المؤمنون، عشرون صابرون يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا، يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار، وذلك الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم، إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون، الجهاد ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من لنبيه - صلى الله عليه وسلم - أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، أي حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشط همهم، من الترغيب في يقول تعالى

أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر الله به من النصر لهذا العدد القليل، 66 تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين، ويجاب عن الثاني، أن المقصود بتقريب ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر، وقد يقال، إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بدعية لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهو ظنهم الضرر، كما تقتضيه الحكمة الإلهية، ويجاب عن الأول بأن قوله، لأن خفف الله عنكم، إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم وأمر محتتم، ثم إن الله العدد أن يكونوا صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر، ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم، إذا غلب على ولكن يرد على هذا أمران، أحدهما، أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع، والثاني، بتقريب ذلك العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية، ولكن معناها حقيقة الأمر، وأن الله أمر المؤمنين - في أول الأمر - أن الواحد لا يجوز له أن يفر من بعونه وتأيدته، وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، ضعفاً، فلذلك اقتضت رحمته وحكمته التخفيف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين، بإذن الله والله مع الصابرين،

## تفسير السعدي

ثم إن هذا الحكم خففه الله على العباد فقال ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم

فيأمركم بما يوصل إلى ذلك﴾ <sup>٦٧</sup> والله عزيز حكيم <sup>٦٨</sup> أي: كامل العزة، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفعّل، لكنه حكيم، يبتلي بعضكم ببعض <sup>٦٩</sup> بأخذكم الفداء وإبقائهم لعرض الدنيا <sup>٧٠</sup> أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم <sup>٧١</sup> والله يريد الآخرة بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، دام لهم شر وصوله، فالأوفق أن لا يؤسروا <sup>٧٢</sup> فإذا أئخذوا، وبطل شرهم، واضمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم <sup>٧٣</sup> يقول تعالى <sup>٧٤</sup> <sup>٧٥</sup> <sup>٧٦</sup> <sup>٧٧</sup> <sup>٧٨</sup> <sup>٧٩</sup> <sup>٨٠</sup> <sup>٨١</sup> <sup>٨٢</sup> <sup>٨٣</sup> <sup>٨٤</sup> <sup>٨٥</sup> <sup>٨٦</sup> <sup>٨٧</sup> <sup>٨٨</sup> <sup>٨٩</sup> <sup>٩٠</sup> <sup>٩١</sup> <sup>٩٢</sup> <sup>٩٣</sup> <sup>٩٤</sup> <sup>٩٥</sup> <sup>٩٦</sup> <sup>٩٧</sup> <sup>٩٨</sup> <sup>٩٩</sup> <sup>١٠٠</sup> <sup>١٠١</sup> <sup>١٠٢</sup> <sup>١٠٣</sup> <sup>١٠٤</sup> <sup>١٠٥</sup> <sup>١٠٦</sup> <sup>١٠٧</sup> <sup>١٠٨</sup> <sup>١٠٩</sup> <sup>١١٠</sup> <sup>١١١</sup> <sup>١١٢</sup> <sup>١١٣</sup> <sup>١١٤</sup> <sup>١١٥</sup> <sup>١١٦</sup> <sup>١١٧</sup> <sup>١١٨</sup> <sup>١١٩</sup> <sup>١٢٠</sup> <sup>١٢١</sup> <sup>١٢٢</sup> <sup>١٢٣</sup> <sup>١٢٤</sup> <sup>١٢٥</sup> <sup>١٢٦</sup> <sup>١٢٧</sup> <sup>١٢٨</sup> <sup>١٢٩</sup> <sup>١٣٠</sup> <sup>١٣١</sup> <sup>١٣٢</sup> <sup>١٣٣</sup> <sup>١٣٤</sup> <sup>١٣٥</sup> <sup>١٣٦</sup> <sup>١٣٧</sup> <sup>١٣٨</sup> <sup>١٣٩</sup> <sup>١٤٠</sup> <sup>١٤١</sup> <sup>١٤٢</sup> <sup>١٤٣</sup> <sup>١٤٤</sup> <sup>١٤٥</sup> <sup>١٤٦</sup> <sup>١٤٧</sup> <sup>١٤٨</sup> <sup>١٤٩</sup> <sup>١٥٠</sup> <sup>١٥١</sup> <sup>١٥٢</sup> <sup>١٥٣</sup> <sup>١٥٤</sup> <sup>١٥٥</sup> <sup>١٥٦</sup> <sup>١٥٧</sup> <sup>١٥٨</sup> <sup>١٥٩</sup> <sup>١٦٠</sup> <sup>١٦١</sup> <sup>١٦٢</sup> <sup>١٦٣</sup> <sup>١٦٤</sup> <sup>١٦٥</sup> <sup>١٦٦</sup> <sup>١٦٧</sup> <sup>١٦٨</sup> <sup>١٦٩</sup> <sup>١٧٠</sup> <sup>١٧١</sup> <sup>١٧٢</sup> <sup>١٧٣</sup> <sup>١٧٤</sup> <sup>١٧٥</sup> <sup>١٧٦</sup> <sup>١٧٧</sup> <sup>١٧٨</sup> <sup>١٧٩</sup> <sup>١٨٠</sup> <sup>١٨١</sup> <sup>١٨٢</sup> <sup>١٨٣</sup> <sup>١٨٤</sup> <sup>١٨٥</sup> <sup>١٨٦</sup> <sup>١٨٧</sup> <sup>١٨٨</sup> <sup>١٨٩</sup> <sup>١٩٠</sup> <sup>١٩١</sup> <sup>١٩٢</sup> <sup>١٩٣</sup> <sup>١٩٤</sup> <sup>١٩٥</sup> <sup>١٩٦</sup> <sup>١٩٧</sup> <sup>١٩٨</sup> <sup>١٩٩</sup> <sup>٢٠٠</sup> <sup>٢٠١</sup> <sup>٢٠٢</sup> <sup>٢٠٣</sup> <sup>٢٠٤</sup> <sup>٢٠٥</sup> <sup>٢٠٦</sup> <sup>٢٠٧</sup> <sup>٢٠٨</sup> <sup>٢٠٩</sup> <sup>٢١٠</sup> <sup>٢١١</sup> <sup>٢١٢</sup> <sup>٢١٣</sup> <sup>٢١٤</sup> <sup>٢١٥</sup> <sup>٢١٦</sup> <sup>٢١٧</sup> <sup>٢١٨</sup> <sup>٢١٩</sup> <sup>٢٢٠</sup> <sup>٢٢١</sup> <sup>٢٢٢</sup> <sup>٢٢٣</sup> <sup>٢٢٤</sup> <sup>٢٢٥</sup> <sup>٢٢٦</sup> <sup>٢٢٧</sup> <sup>٢٢٨</sup> <sup>٢٢٩</sup> <sup>٢٣٠</sup> <sup>٢٣١</sup> <sup>٢٣٢</sup> <sup>٢٣٣</sup> <sup>٢٣٤</sup> <sup>٢٣٥</sup> <sup>٢٣٦</sup> <sup>٢٣٧</sup> <sup>٢٣٨</sup> <sup>٢٣٩</sup> <sup>٢٤٠</sup> <sup>٢٤١</sup> <sup>٢٤٢</sup> <sup>٢٤٣</sup> <sup>٢٤٤</sup> <sup>٢٤٥</sup> <sup>٢٤٦</sup> <sup>٢٤٧</sup> <sup>٢٤٨</sup> <sup>٢٤٩</sup> <sup>٢٥٠</sup> <sup>٢٥١</sup> <sup>٢٥٢</sup> <sup>٢٥٣</sup> <sup>٢٥٤</sup> <sup>٢٥٥</sup> <sup>٢٥٦</sup> <sup>٢٥٧</sup> <sup>٢٥٨</sup> <sup>٢٥٩</sup> <sup>٢٦٠</sup> <sup>٢٦١</sup> <sup>٢٦٢</sup> <sup>٢٦٣</sup> <sup>٢٦٤</sup> <sup>٢٦٥</sup> <sup>٢٦٦</sup> <sup>٢٦٧</sup> <sup>٢٦٨</sup> <sup>٢٦٩</sup> <sup>٢٧٠</sup> <sup>٢٧١</sup> <sup>٢٧٢</sup> <sup>٢٧٣</sup> <sup>٢٧٤</sup> <sup>٢٧٥</sup> <sup>٢٧٦</sup> <sup>٢٧٧</sup> <sup>٢٧٨</sup> <sup>٢٧٩</sup> <sup>٢٨٠</sup> <sup>٢٨١</sup> <sup>٢٨٢</sup> <sup>٢٨٣</sup> <sup>٢٨٤</sup> <sup>٢٨٥</sup> <sup>٢٨٦</sup> <sup>٢٨٧</sup> <sup>٢٨٨</sup> <sup>٢٨٩</sup> <sup>٢٩٠</sup> <sup>٢٩١</sup> <sup>٢٩٢</sup> <sup>٢٩٣</sup> <sup>٢٩٤</sup> <sup>٢٩٥</sup> <sup>٢٩٦</sup> <sup>٢٩٧</sup> <sup>٢٩٨</sup> <sup>٢٩٩</sup> <sup>٣٠٠</sup> <sup>٣٠١</sup> <sup>٣٠٢</sup> <sup>٣٠٣</sup> <sup>٣٠٤</sup> <sup>٣٠٥</sup> <sup>٣٠٦</sup> <sup>٣٠٧</sup> <sup>٣٠٨</sup> <sup>٣٠٩</sup> <sup>٣١٠</sup> <sup>٣١١</sup> <sup>٣١٢</sup> <sup>٣١٣</sup> <sup>٣١٤</sup> <sup>٣١٥</sup> <sup>٣١٦</sup> <sup>٣١٧</sup> <sup>٣١٨</sup> <sup>٣١٩</sup> <sup>٣٢٠</sup> <sup>٣٢١</sup> <sup>٣٢٢</sup> <sup>٣٢٣</sup> <sup>٣٢٤</sup> <sup>٣٢٥</sup> <sup>٣٢٦</sup> <sup>٣٢٧</sup> <sup>٣٢٨</sup> <sup>٣٢٩</sup> <sup>٣٣٠</sup> <sup>٣٣١</sup> <sup>٣٣٢</sup> <sup>٣٣٣</sup> <sup>٣٣٤</sup> <sup>٣٣٥</sup> <sup>٣٣٦</sup> <sup>٣٣٧</sup> <sup>٣٣٨</sup> <sup>٣٣٩</sup> <sup>٣٤٠</sup> <sup>٣٤١</sup> <sup>٣٤٢</sup> <sup>٣٤٣</sup> <sup>٣٤٤</sup> <sup>٣٤٥</sup> <sup>٣٤٦</sup> <sup>٣٤٧</sup> <sup>٣٤٨</sup> <sup>٣٤٩</sup> <sup>٣٥٠</sup> <sup>٣٥١</sup> <sup>٣٥٢</sup> <sup>٣٥٣</sup> <sup>٣٥٤</sup> <sup>٣٥٥</sup> <sup>٣٥٦</sup> <sup>٣٥٧</sup> <sup>٣٥٨</sup> <sup>٣٥٩</sup> <sup>٣٦٠</sup> <sup>٣٦١</sup> <sup>٣٦٢</sup> <sup>٣٦٣</sup> <sup>٣٦٤</sup> <sup>٣٦٥</sup> <sup>٣٦٦</sup> <sup>٣٦٧</sup> <sup>٣٦٨</sup> <sup>٣٦٩</sup> <sup>٣٧٠</sup> <sup>٣٧١</sup> <sup>٣٧٢</sup> <sup>٣٧٣</sup> <sup>٣٧٤</sup> <sup>٣٧٥</sup> <sup>٣٧٦</sup> <sup>٣٧٧</sup> <sup>٣٧٨</sup> <sup>٣٧٩</sup> <sup>٣٨٠</sup> <sup>٣٨١</sup> <sup>٣٨٢</sup> <sup>٣٨٣</sup> <sup>٣٨٤</sup> <sup>٣٨٥</sup> <sup>٣٨٦</sup> <sup>٣٨٧</sup> <sup>٣٨٨</sup> <sup>٣٨٩</sup> <sup>٣٩٠</sup> <sup>٣٩١</sup> <sup>٣٩٢</sup> <sup>٣٩٣</sup> <sup>٣٩٤</sup> <sup>٣٩٥</sup> <sup>٣٩٦</sup> <sup>٣٩٧</sup> <sup>٣٩٨</sup> <sup>٣٩٩</sup> <sup>٤٠٠</sup> <sup>٤٠١</sup> <sup>٤٠٢</sup> <sup>٤٠٣</sup> <sup>٤٠٤</sup> <sup>٤٠٥</sup> <sup>٤٠٦</sup> <sup>٤٠٧</sup> <sup>٤٠٨</sup> <sup>٤٠٩</sup> <sup>٤١٠</sup> <sup>٤١١</sup> <sup>٤١٢</sup> <sup>٤١٣</sup> <sup>٤١٤</sup> <sup>٤١٥</sup> <sup>٤١٦</sup> <sup>٤١٧</sup> <sup>٤١٨</sup> <sup>٤١٩</sup> <sup>٤٢٠</sup> <sup>٤٢١</sup> <sup>٤٢٢</sup> <sup>٤٢٣</sup> <sup>٤٢٤</sup> <sup>٤٢٥</sup> <sup>٤٢٦</sup> <sup>٤٢٧</sup> <sup>٤٢٨</sup> <sup>٤٢٩</sup> <sup>٤٣٠</sup> <sup>٤٣١</sup> <sup>٤٣٢</sup> <sup>٤٣٣</sup> <sup>٤٣٤</sup> <sup>٤٣٥</sup> <sup>٤٣٦</sup> <sup>٤٣٧</sup> <sup>٤٣٨</sup> <sup>٤٣٩</sup> <sup>٤٤٠</sup> <sup>٤٤١</sup> <sup>٤٤٢</sup> <sup>٤٤٣</sup> <sup>٤٤٤</sup> <sup>٤٤٥</sup> <sup>٤٤٦</sup> <sup>٤٤٧</sup> <sup>٤٤٨</sup> <sup>٤٤٩</sup> <sup>٤٥٠</sup> <sup>٤٥١</sup> <sup>٤٥٢</sup> <sup>٤٥٣</sup> <sup>٤٥٤</sup> <sup>٤٥٥</sup> <sup>٤٥٦</sup> <sup>٤٥٧</sup> <sup>٤٥٨</sup> <sup>٤٥٩</sup> <sup>٤٦٠</sup> <sup>٤٦١</sup> <sup>٤٦٢</sup> <sup>٤٦٣</sup> <sup>٤٦٤</sup> <sup>٤٦٥</sup> <sup>٤٦٦</sup> <sup>٤٦٧</sup> <sup>٤٦٨</sup> <sup>٤٦٩</sup> <sup>٤٧٠</sup> <sup>٤٧١</sup> <sup>٤٧٢</sup> <sup>٤٧٣</sup> <sup>٤٧٤</sup> <sup>٤٧٥</sup> <sup>٤٧٦</sup> <sup>٤٧٧</sup> <sup>٤٧٨</sup> <sup>٤٧٩</sup> <sup>٤٨٠</sup> <sup>٤٨١</sup> <sup>٤٨٢</sup> <sup>٤٨٣</sup> <sup>٤٨٤</sup> <sup>٤٨٥</sup> <sup>٤٨٦</sup> <sup>٤٨٧</sup> <sup>٤٨٨</sup> <sup>٤٨٩</sup> <sup>٤٩٠</sup> <sup>٤٩١</sup> <sup>٤٩٢</sup> <sup>٤٩٣</sup> <sup>٤٩٤</sup> <sup>٤٩٥</sup> <sup>٤٩٦</sup> <sup>٤٩٧</sup> <sup>٤٩٨</sup> <sup>٤٩٩</sup> <sup>٥٠٠</sup> <sup>٥٠١</sup> <sup>٥٠٢</sup> <sup>٥٠٣</sup> <sup>٥٠٤</sup> <sup>٥٠٥</sup> <sup>٥٠٦</sup> <sup>٥٠٧</sup> <sup>٥٠٨</sup> <sup>٥٠٩</sup> <sup>٥١٠</sup> <sup>٥١١</sup> <sup>٥١٢</sup> <sup>٥١٣</sup> <sup>٥١٤</sup> <sup>٥١٥</sup> <sup>٥١٦</sup> <sup>٥١٧</sup> <sup>٥١٨</sup> <sup>٥١٩</sup> <sup>٥٢٠</sup> <sup>٥٢١</sup> <sup>٥٢٢</sup> <sup>٥٢٣</sup> <sup>٥٢٤</sup> <sup>٥٢٥</sup> <sup>٥٢٦</sup> <sup>٥٢٧</sup> <sup>٥٢٨</sup> <sup>٥٢٩</sup> <sup>٥٣٠</sup> <sup>٥٣١</sup> <sup>٥٣٢</sup> <sup>٥٣٣</sup> <sup>٥٣٤</sup> <sup>٥٣٥</sup> <sup>٥٣٦</sup> <sup>٥٣٧</sup> <sup>٥٣٨</sup> <sup>٥٣٩</sup> <sup>٥٤٠</sup> <sup>٥٤١</sup> <sup>٥٤٢</sup> <sup>٥٤٣</sup> <sup>٥٤٤</sup> <sup>٥٤٥</sup> <sup>٥٤٦</sup> <sup>٥٤٧</sup> <sup>٥٤٨</sup> <sup>٥٤٩</sup> <sup>٥٥٠</sup> <sup>٥٥١</sup> <sup>٥٥٢</sup> <sup>٥٥٣</sup> <sup>٥٥٤</sup> <sup>٥٥٥</sup> <sup>٥٥٦</sup> <sup>٥٥٧</sup> <sup>٥٥٨</sup> <sup>٥٥٩</sup> <sup>٥٦٠</sup> <sup>٥٦١</sup> <sup>٥٦٢</sup> <sup>٥٦٣</sup> <sup>٥٦٤</sup> <sup>٥٦٥</sup> <sup>٥٦٦</sup> <sup>٥٦٧</sup> <sup>٥٦٨</sup> <sup>٥٦٩</sup> <sup>٥٧٠</sup> <sup>٥٧١</sup> <sup>٥٧٢</sup> <sup>٥٧٣</sup> <sup>٥٧٤</sup> <sup>٥٧٥</sup> <sup>٥٧٦</sup> <sup>٥٧٧</sup> <sup>٥٧٨</sup> <sup>٥٧٩</sup> <sup>٥٨٠</sup> <sup>٥٨١</sup> <sup>٥٨٢</sup> <sup>٥٨٣</sup> <sup>٥٨٤</sup> <sup>٥٨٥</sup> <sup>٥٨٦</sup> <sup>٥٨٧</sup> <sup>٥٨٨</sup> <sup>٥٨٩</sup> <sup>٥٩٠</sup> <sup>٥٩١</sup> <sup>٥٩٢</sup> <sup>٥٩٣</sup> <sup>٥٩٤</sup> <sup>٥٩٥</sup> <sup>٥٩٦</sup> <sup>٥٩٧</sup> <sup>٥٩٨</sup> <sup>٥٩٩</sup> <sup>٦٠٠</sup> <sup>٦٠١</sup> <sup>٦٠٢</sup> <sup>٦٠٣</sup> <sup>٦٠٤</sup> <sup>٦٠٥</sup> <sup>٦٠٦</sup> <sup>٦٠٧</sup> <sup>٦٠٨</sup> <sup>٦٠٩</sup> <sup>٦١٠</sup> <sup>٦١١</sup> <sup>٦١٢</sup> <sup>٦١٣</sup> <sup>٦١٤</sup> <sup>٦١٥</sup> <sup>٦١٦</sup> <sup>٦١٧</sup> <sup>٦١٨</sup> <sup>٦١٩</sup> <sup>٦٢٠</sup> <sup>٦٢١</sup> <sup>٦٢٢</sup> <sup>٦٢٣</sup> <sup>٦٢٤</sup> <sup>٦٢٥</sup> <sup>٦٢٦</sup> <sup>٦٢٧</sup> <sup>٦٢٨</sup> <sup>٦٢٩</sup> <sup>٦٣٠</sup> <sup>٦٣١</sup> <sup>٦٣٢</sup> <sup>٦٣٣</sup> <sup>٦٣٤</sup> <sup>٦٣٥</sup> <sup>٦٣٦</sup> <sup>٦٣٧</sup> <sup>٦٣٨</sup> <sup>٦٣٩</sup> <sup>٦٤٠</sup> <sup>٦٤١</sup> <sup>٦٤٢</sup> <sup>٦٤٣</sup> <sup>٦٤٤</sup> <sup>٦٤٥</sup> <sup>٦٤٦</sup> <sup>٦٤٧</sup> <sup>٦٤٨</sup> <sup>٦٤٩</sup> <sup>٦٥٠</sup> <sup>٦٥١</sup> <sup>٦٥٢</sup> <sup>٦٥٣</sup> <sup>٦٥٤</sup> <sup>٦٥٥</sup> <sup>٦٥٦</sup> <sup>٦٥٧</sup> <sup>٦٥٨</sup> <sup>٦٥٩</sup> <sup>٦٦٠</sup> <sup>٦٦١</sup> <sup>٦٦٢</sup> <sup>٦٦٣</sup> <sup>٦٦٤</sup> <sup>٦٦٥</sup> <sup>٦٦٦</sup> <sup>٦٦٧</sup> <sup>٦٦٨</sup> <sup>٦٦٩</sup> <sup>٦٧٠</sup> <sup>٦٧١</sup> <sup>٦٧٢</sup> <sup>٦٧٣</sup> <sup>٦٧٤</sup> <sup>٦٧٥</sup> <sup>٦٧٦</sup> <sup>٦٧٧</sup> <sup>٦٧٨</sup> <sup>٦٧٩</sup> <sup>٦٨٠</sup> <sup>٦٨١</sup> <sup>٦٨٢</sup> <sup>٦٨٣</sup> <sup>٦٨٤</sup> <sup>٦٨٥</sup> <sup>٦٨٦</sup> <sup>٦٨٧</sup> <sup>٦٨٨</sup> <sup>٦٨٩</sup> <sup>٦٩٠</sup> <sup>٦٩١</sup> <sup>٦٩٢</sup> <sup>٦٩٣</sup> <sup>٦٩٤</sup> <sup>٦٩٥</sup> <sup>٦٩٦</sup> <sup>٦٩٧</sup> <sup>٦٩٨</sup> <sup>٦٩٩</sup> <sup>٧٠٠</sup> <sup>٧٠١</sup> <sup>٧٠٢</sup> <sup>٧٠٣</sup> <sup>٧٠٤</sup> <sup>٧٠٥</sup> <sup>٧٠٦</sup> <sup>٧٠٧</sup> <sup>٧٠٨</sup> <sup>٧٠٩</sup> <sup>٧١٠</sup> <sup>٧١١</sup> <sup>٧١٢</sup> <sup>٧١٣</sup> <sup>٧١٤</sup> <sup>٧١٥</sup> <sup>٧١٦</sup> <sup>٧١٧</sup> <sup>٧١٨</sup> <sup>٧١٩</sup> <sup>٧٢٠</sup> <sup>٧٢١</sup> <sup>٧٢٢</sup> <sup>٧٢٣</sup> <sup>٧٢٤</sup> <sup>٧٢٥</sup> <sup>٧٢٦</sup> <sup>٧٢٧</sup> <sup>٧٢٨</sup> <sup>٧٢٩</sup> <sup>٧٣٠</sup> <sup>٧٣١</sup> <sup>٧٣٢</sup> <sup>٧٣٣</sup> <sup>٧٣٤</sup> <sup>٧٣٥</sup> <sup>٧٣٦</sup> <sup>٧٣٧</sup> <sup>٧٣٨</sup> <sup>٧٣٩</sup> <sup>٧٤٠</sup> <sup>٧٤١</sup> <sup>٧٤٢</sup> <sup>٧٤٣</sup> <sup>٧٤٤</sup> <sup>٧٤٥</sup> <sup>٧٤٦</sup> <sup>٧٤٧</sup> <sup>٧٤٨</sup> <sup>٧٤٩</sup> <sup>٧٥٠</sup> <sup>٧٥١</sup> <sup>٧٥٢</sup> <sup>٧٥٣</sup> <sup>٧٥٤</sup> <sup>٧٥٥</sup> <sup>٧٥٦</sup> <sup>٧٥٧</sup> <sup>٧٥٨</sup> <sup>٧٥٩</sup> <sup>٧٦٠</sup> <sup>٧٦١</sup> <sup>٧٦٢</sup> <sup>٧٦٣</sup> <sup>٧٦٤</sup> <sup>٧٦٥</sup> <sup>٧٦٦</sup> <sup>٧٦٧</sup> <sup>٧٦٨</sup> <sup>٧٦٩</sup> <sup>٧٧٠</sup> <sup>٧٧١</sup> <sup>٧٧٢</sup> <sup>٧٧٣</sup> <sup>٧٧٤</sup> <sup>٧٧٥</sup> <sup>٧٧٦</sup> <sup>٧٧٧</sup> <sup>٧٧٨</sup> <sup>٧٧٩</sup> <sup>٧٨٠</sup> <sup>٧٨١</sup> <sup>٧٨٢</sup> <sup>٧٨٣</sup> <sup>٧٨٤</sup> <sup>٧٨٥</sup> <sup>٧٨٦</sup> <sup>٧٨٧</sup> <sup>٧٨٨</sup> <sup>٧٨٩</sup> <sup>٧٩٠</sup> <sup>٧٩١</sup> <sup>٧٩٢</sup> <sup>٧٩٣</sup> <sup>٧٩٤</sup> <sup>٧٩٥</sup> <sup>٧٩٦</sup> <sup>٧٩٧</sup> <sup>٧٩٨</sup> <sup>٧٩٩</sup> <sup>٨٠٠</sup> <sup>٨٠١</sup> <sup>٨٠٢</sup> <sup>٨٠٣</sup> <sup>٨٠٤</sup> <sup>٨٠٥</sup> <sup>٨٠٦</sup> <sup>٨٠٧</sup> <sup>٨٠٨</sup> <sup>٨٠٩</sup> <sup>٨١٠</sup> <sup>٨١١</sup> <sup>٨١٢</sup> <sup>٨١٣</sup> <sup>٨١٤</sup> <sup>٨١٥</sup> <sup>٨١٦</sup> <sup>٨١٧</sup> <sup>٨١٨</sup> <sup>٨١٩</sup> <sup>٨٢٠</sup> <sup>٨٢١</sup> <sup>٨٢٢</sup> <sup>٨٢٣</sup> <sup>٨٢٤</sup> <sup>٨٢٥</sup> <sup>٨٢٦</sup> <sup>٨٢٧</sup> <sup>٨٢٨</sup> <sup>٨٢٩</sup> <sup>٨٣٠</sup> <sup>٨٣١</sup> <sup>٨٣٢</sup> <sup>٨٣٣</sup> <sup>٨٣٤</sup> <sup>٨٣٥</sup> <sup>٨٣٦</sup> <sup>٨٣٧</sup> <sup>٨٣٨</sup> <sup>٨٣٩</sup> <sup>٨٤٠</sup> <sup>٨٤١</sup> <sup>٨٤٢</sup> <sup>٨٤٣</sup> <sup>٨٤٤</sup> <sup>٨٤٥</sup> <sup>٨٤٦</sup> <sup>٨٤٧</sup> <sup>٨٤٨</sup> <sup>٨٤٩</sup> <sup>٨٥٠</sup> <sup>٨٥١</sup> <sup>٨٥٢</sup> <sup>٨٥٣</sup> <sup>٨٥٤</sup> <sup>٨٥٥</sup> <sup>٨٥٦</sup> <sup>٨٥٧</sup> <sup>٨٥٨</sup> <sup>٨٥٩</sup> <sup>٨٦٠</sup> <sup>٨٦١</sup> <sup>٨٦٢</sup> <sup>٨٦٣</sup> <sup>٨٦٤</sup> <sup>٨٦٥</sup> <sup>٨٦٦</sup> <sup>٨٦٧</sup> <sup>٨٦٨</sup> <sup>٨٦٩</sup> <sup>٨٧٠</sup> <sup>٨٧١</sup> <sup>٨٧٢</sup> <sup>٨٧٣</sup> <sup>٨٧٤</sup> <sup>٨٧٥</sup> <sup>٨٧٦</sup> <sup>٨٧٧</sup> <sup>٨٧٨</sup> <sup>٨٧٩</sup> <sup>٨٨٠</sup> <sup>٨٨١</sup> <sup>٨٨٢</sup> <sup>٨٨٣</sup> <sup>٨٨٤</sup> <sup>٨٨٥</sup> <sup>٨٨٦</sup> <sup>٨٨٧</sup> <sup>٨٨٨</sup> <sup>٨٨٩</sup> <sup>٨٩٠</sup> <sup>٨٩١</sup> <sup>٨٩٢</sup> <sup>٨٩٣</sup> <sup>٨٩٤</sup> <sup>٨٩٥</sup> <sup>٨٩٦</sup> <sup>٨٩٧</sup> <sup>٨٩٨</sup> <sup>٨٩٩</sup> <sup>٩٠٠</sup> <sup>٩٠١</sup> <sup>٩٠٢</sup> <sup>٩٠٣</sup> <sup>٩٠٤</sup> <sup>٩٠٥</sup> <sup>٩٠٦</sup> <sup>٩٠٧</sup> <sup>٩٠٨</sup> <sup>٩٠٩</sup> <sup>٩١٠</sup> <sup>٩١١</sup> <sup>٩١٢</sup> <sup>٩١٣</sup> <sup>٩١٤</sup> <sup>٩١٥</sup> <sup>٩١٦</sup> <sup>٩١٧</sup> <sup>٩١٨</sup> <sup>٩١٩</sup> <sup>٩٢٠</sup> <sup>٩٢١</sup> <sup>٩٢٢</sup> <sup>٩٢٣</sup> <sup>٩٢٤</sup> <sup>٩٢٥</sup> <sup>٩٢٦</sup> <sup>٩٢٧</sup> <sup>٩٢٨</sup> <sup>٩٢٩</sup> <sup>٩٣٠</sup> <sup>٩٣١</sup> <sup>٩٣٢</sup> <sup>٩٣٣</sup> <sup>٩٣٤</sup> <sup>٩٣٥</sup> <sup>٩٣٦</sup> <sup>٩٣٧</sup> <sup>٩٣٨</sup> <sup>٩٣٩</sup> <sup>٩٤٠</sup> <sup>٩٤١</sup> <sup>٩٤٢</sup> <sup>٩٤٣</sup> <sup>٩٤٤</sup> <sup>٩٤٥</sup> <sup>٩٤٦</sup> <sup>٩٤٧</sup> <sup>٩٤٨</sup> <sup>٩٤٩</sup> <sup>٩٥٠</sup> <sup>٩٥١</sup> <sup>٩٥٢</sup> <sup>٩٥٣</sup> <sup>٩٥٤</sup> <sup>٩٥٥</sup> <sup>٩٥٦</sup> <sup>٩٥٧</sup> <sup>٩٥٨</sup> <sup>٩٥٩</sup> <sup>٩٦٠</sup> <sup>٩٦١</sup> <sup>٩٦٢</sup> <sup>٩٦٣</sup> <sup>٩٦٤</sup> <sup>٩٦٥</sup> <sup>٩٦٦</sup> <sup>٩٦٧</sup> <sup>٩٦٨</sup> <sup>٩٦٩</sup> <sup>٩٧٠</sup> <sup>٩٧١</sup> <sup>٩٧٢</sup> <sup>٩٧٣</sup> <sup>٩٧٤</sup> <sup>٩٧٥</sup> <sup>٩٧٦</sup> <sup>٩٧٧</sup> <sup>٩٧٨</sup> <sup>٩٧٩</sup> <sup>٩٨٠</sup> <sup>٩٨١</sup> <sup>٩٨٢</sup> <sup>٩٨٣</sup> <sup>٩٨٤</sup> <sup>٩٨٥</sup> <sup>٩٨٦</sup> <sup>٩٨٧</sup> <sup>٩٨٨</sup> <sup>٩٨٩</sup> <sup>٩٩٠</sup> <sup>٩٩١</sup> <sup>٩٩٢</sup> <sup>٩٩٣</sup> <sup>٩٩٤</sup> <sup>٩٩٥</sup> <sup>٩٩٦</sup> <sup>٩٩٧</sup> <sup>٩٩٨</sup> <sup>٩٩٩</sup> <sup>١٠٠٠</sup> <sup>١٠٠١</sup> <sup>١٠٠٢</sup> <sup>١٠٠٣</sup> <sup>١٠٠٤</sup> <sup>١٠٠٥</sup> <sup>١٠٠٦</sup> <sup>١٠٠٧</sup> <sup>١٠٠٨</sup> <sup>١٠٠٩</sup> <sup>١٠١٠</sup> <sup>١٠١١</sup> <sup>١٠١٢</sup> <sup>١٠١٣</sup> <sup>١٠١٤</sup> <sup>١٠١٥</sup> <sup>١٠١٦</sup> <sup>١٠١٧</sup> <sup>١٠١٨</sup> <sup>١٠١٩</sup> <sup>١٠٢٠</sup> <sup>١٠٢١</sup> <sup>١٠٢٢</sup> <sup>١٠٢٣</sup> <sup>١٠٢٤</sup> <sup>١٠٢٥</sup> <sup>١٠٢٦</sup> <sup>١٠٢٧</sup> <sup>١٠٢٨</sup> <sup>١٠٢٩</sup> <sup>١٠٣٠</sup> <sup>١٠٣١</sup> <sup>١٠٣٢</sup> <sup>١٠٣٣</sup> <sup>١٠٣٤</sup> <sup>١٠٣٥</sup> <sup>١٠٣٦</sup> <sup>١٠٣٧</sup> <sup>١٠٣٨</sup> <sup>١٠٣٩</sup> <sup>١٠٤٠</sup> <sup>١٠٤١</sup> <sup>١٠٤٢</sup> <sup>١٠٤٣</sup> <sup>١٠٤٤</sup> <sup>١٠٤٥</sup> <sup>١٠٤٦</sup> <sup>١٠٤٧</sup> <sup>١٠٤٨</sup> <sup>١٠٤٩</sup> <sup>١٠٥٠</sup> <sup>١٠٥١</sup> <sup>١٠٥٢</sup> <sup>١٠٥٣</sup> <sup>١٠٥٤</sup> <sup>١٠٥٥</sup> <sup>١٠٥٦</sup> <sup>١٠٥٧</sup> <sup>١٠٥٨</sup> <sup>١٠٥٩</sup> <sup>١٠٦٠</sup> <sup>١٠٦١</sup> <sup>١٠٦٢</sup> <sup>١٠٦٣</sup> <sup>١٠٦٤</sup> <sup>١٠٦٥</sup> <sup>١٠٦٦</sup> <sup>١٠٦٧</sup> <sup>١٠٦٨</sup> <sup>١٠٦٩</sup>



## تفسير السعدي

شيءًا لكانهم لو أن استنصروكم في الدين أي لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم فعليكم النصر والقتال معهم، وأما من قاتلهم لغير ذلك من المقاصد من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا فإنهم قطعوا ولايتكم بانفصالهم عنكم في وقت شدة الحاجة إلى الرجال، فلما لم يهاجروا لم يكن لهم من ولاية المؤمنين - وأصحابه وأعوانهم في ديارهم وأموالهم وأنفسهم، فهؤلاء بعضهم أولياء بعض، لكامل إيمانهم وتام اتصال بعضهم ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم بين المهاجرين الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله، وتركوا أوطانهم لله لأجل الجهاد في سبيل الله، وبين الأنصار الذين آووا رسول الله - صلى الله عليه وسلم هذا عقد مولاة ومحبة، عقدها الله

وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض 73 واليتم الكافرين وعاديتهم المؤمنين لأن فتنه في الأرض وفساد كبير فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكفر، الكفر فبعضهم أولياء لبعض فلا يواليتهم إلا كافر مثلهم وقوله لا تفعلوه أي مولاة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتهموهم كلهم أو عاديتهموهم كلهم، أو لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم

أقي كتاب الله أي في حكمه وشرعه لأن الله بكل شيء عليم ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائع الدين عليكم ما يناسبها 74 كتاب الله فلا يرثه إلا أقاربه من العصبات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قرابته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة، وقوله وسلم - آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأنزل الله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في القول لك منكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فهذه المولاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي - صلى الله عليه وسلم - الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله لهم لهم مغفرة من الله تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها ذلتهم، ولهم لرزق كريم أي خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم وربما حصل لهم من الأنصار لهم المؤمنون حقاً لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والمولاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين وهذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم، فقال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك أي المؤمنون من المهاجرين تفسير الآيتين 74 و75 - الآيات السابقات في ذكر عقد المولاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار

وشرعه لأن الله بكل شيء عليم ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائع الدين عليكم ما يناسبها 75 ثم تفسير سورة الأنفال ولله الحمد 75 من العصبات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قرابته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة، وقوله أقي كتاب الله أي في حكمه والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأنزل الله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله فلا يرثه إلا أقاربه وعليهم ما عليكم فهذه المولاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي - صلى الله عليه وسلم - آخى بين المهاجرين وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فآمن وهاجر وجاهد في سبيل الله وأولئك منكم لهم ما لكم سيئاتهم، وتضمحل بها ذلتهم، ولهم لرزق كريم أي خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم وربما حصل لهم من الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، لأنهم صدقوا إيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والمولاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين لهم مغفرة من الله تمحى بها وثوابهم، فقال والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك أي المؤمنون من المهاجرين والأنصار لهم المؤمنون حقاً تفسير الآيتين 74 و75 - الآيات السابقات في ذكر عقد المولاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار وهذه الآيات في بيان مدحهم

بما يظهر من الشواهد والبراهين على صحته وصدقه، ويبطل الباطل بما يقيم من الأدلة والشواهد على بطلانه ولو كره المجرمون فلا يبالى الله بهم. 8 الله أن يحق الحق بكلماته فينصر أهله ويقطع دابر الكافرين أي: يستأصل أهل الباطل، ويرى عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطر ببالهم. ليحق الحق ولأنها غير ذات شوك، ولكن الله تعالى أحب لهم وأراد أمراً أعلى مما أحبوا. أراد أن يظفروا بالفتنة الذي خرج فيه كبراء المشركين وصاديديهم. ويريد والخيل والرجال، يبلغ عددهم قريباً من الألف. فوعده الله المؤمنين إحدى الطائفتين، إما أن يظفروا بالعبير، أو بالنفير، فأحبوا العبير لقلّة ذات يد المسلمين، عشر رجلاً معهم سبعون بعيراً، يعتقبون عليها، ويحملون عليها متاعهم، فسمعت بخبرهم قريش، فخرجوا لمنع غيرهم، في عدد كثير وعدة وافرة من السلاح مع أبي سفيان بن حرب لقريش إلى الشام، قافلة كبيرة، فلما سمعوا برجوعها من الشام، ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس، فخرج معه ثلاثمائة، وبضعة الله، انقادوا للجهاد أشد الانقياد، وثبتهم الله، وقبض لهم من الأسباب ما تطمئن به قلوبهم كما سيأتي ذكر بعضها. وكان أصل خروجهم يتعرضون لعبير خرجت فأما إذا وضح وبان، فليس إلا الانقياد والإذعان. هذا وكثير من المؤمنين لم يجر منهم من هذه المجادلة شيء، ولا كرهوا لقاء عدوهم، وكذلك الذين عاتبهم ما تبين لهم أن خروجهم بالحق، ومما أمر الله به ورضيه، فبهذه الحال ليس للجدال محل فيها لأن الجدال محلّه وفائدته عند اشتباه الحق والتباس الأمر، يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، ويكرهون لقاء عدوهم، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون. والحال أن هذا لا ينبغي منهم، خصوصاً بعد قدره وقضاه. وإن كان المؤمنون لم يخطر ببالهم في ذلك الخروج أنه يكون بينهم وبين عدوهم قتال. فحين تبين لهم أن ذلك واقع، جعل فريق من المؤمنين وجزاءهم هو الحق الذي وعدهم الله به، كذلك أخرج الله رسوله صلى الله عليه وسلم من بيته إلى لقاء المشركين في بدر بالحق الذي يحبه الله تعالى، وقد التي على المؤمنين أن يقوموا بها، لأن من قام بها استقامت أحواله وصلحت أعماله، التي من أكبرها الجهاد في سبيله. فكما أن إيمانهم هو الإيمان الحقيقي، تفسير الآيات من 5 حتى 8: قدم تعالى أمام هذه الغزوة الكبرى المباركة الصفات

## تفسير السعدي

بريكم، وطلبتهم منه أن يعينكم وينصركم فاستجاب لكم وأغاثكم بعدة أمور: منها: أن الله أمدكم بألف من الملائكة مردفين أي: يردف بعضهم بعضا. 9  
أي: اذكروا نعمة الله عليكم، لما قارب التقاؤكم بعدوكم، استغثتم

## سورة 9

يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإنه لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له 1  
الله يتعين أن يتم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد 2 ثم أُنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا الله ولن  
الأربعة الأشهر فلا عهد لهم، ولا ميثاق 3 وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإن  
1 و2: أي هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسبحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد  
تفسير الآيتين

عرف دين الإسلام وشرائع الدين 4 اللهم اجعلنا من القوم الذين يعملون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين 10  
وضح، أحكاما وحكما، وحكما قال 5 ونفصل الآيات أي: نوضحها ونميزها القوم يعملون 6 فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، وبهم  
الدين 7 وتناسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدا حقيقيا 8 لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح منها ما  
بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا 9 فإن تابوا 10 أعن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان 11 وأقاموا الصلاة 12 وأتوا الزكاة 13 فإخوانكم في  
عن دينكم، وانصروه واتخذوا من عاداه لكم عدوا ومن نصره لكم وليا، واجعلوا الحكم يدور مع وجودا وعدما، لا تجعلوا الولاية والعداوة، طبيعية تملون  
إلا ولا ذمة 14 أي: لأجل عداوتهم للإيمان 15 إلا ولا ذمة 16 أي: لأجل عداوتهم للإيمان وأهله 17 فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا  
في الدنيا 18 على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله 19 أقصدوا بأنفسهم، وصدوا غيرهم 20 لئن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن  
تفسير الآيات من 9 إلى 11: اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا 21 أي: اختاروا الحظ العاجل الخسيس

وجدوه 22 ألك الفوز العظيم 23 الذي حصل لهم فيه، كل محبوب للنفوس، ولذة للأرواح، ونعيم للقلوب، وشهوة للأبدان، واندفع عنهم كل محذور 24 100  
الجنان، والحدائق الزاهية الزاهرة، والرياض الناضرة 25 الأخالدين فيها أبدا 26 لا يبغون عنها حولا، ولا يطلبون منها بدلا، لأنهم مهما تمنوه، أدركوه، ومهما أرادوه،  
الكرامات من الله 27 أرضي الله عنهم 28 ورضاه تعالى أكبر من نعيم الجنة، وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار 29 الجارية التي تساق إلى سقي  
ولو كان بهم خصاصة 30 والذين اتبعوهم بإحسان 31 بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل  
الصادقون 32 ومن الأنصار 33 الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم 34 يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا، ويؤثرون على أنفسهم  
والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله 35 آمن المهاجرين 36 الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا، وينصرون الله ورسوله أولئك هم  
السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان

لما يصيب المؤمنين من الفتح والنصر، وفي الآخرة عذاب النار وبئس القرار 37 ويحتمل أن المراد سنغلظ عليهم العذاب، ونضاعفه عليهم ونكرهه 38 101  
أحسن نعلمهم سنعذبهم مرتين 39 يحتمل أن التثنية على بابها، وأن عذابهم عذاب في الدنيا، وعذاب في الآخرة 40 ففي الدنيا ما ينالهم من الهم والحزن، والكرهية  
على النفاق 41 أي: تتمرنون عليه، واستمروا وازدادوا فيه طغيانا 42 لا تعلمهم بأعيانهم فتعاقبهم، أو تعاملهم بمقتضى نفاقهم، لما لله في ذلك من الحكمة الباهرة 43  
يقول تعالى 44 يؤمن من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة 45 أيضا منافقون 46 أمردوا

والرجاء، وهو إلى السلامة أقرب 47 وأما المخلط الذي لم يعترف ويندم على ما مضى منه، بل لا يزال مصرا على الذنوب، فإنه يخاف عليه أشد الخوف 48 102  
قبيل موتهم بأقل القليل، فإنه يعفو عنهم، ويتجاوز عن سيئاتهم، فهذه الآية، دلت على أن المخلط المعترف النادم، الذي لم يتب توبة نصوحا، أنه تحت الخوف  
إن أمسكهما من أحد من بعده إنه كان حليما غفورا 49 ومن مغفرتة أن المسرفين على أنفسهم الذين قطعوا أعمارهم بالأعمال السيئة، إذا تابوا إليه وأنابوا ولو  
بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة 50 لأن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا  
على عبده نوعان 51 الأول 52 التوفيق للتوبة 53 والثاني 54 قبولها بعد وقوعها منهم 55 لأن الله غفور رحيم 56 أي: وصفه بالمغفرة والرحمة اللتان لا يخلو مخلوق منهما،  
من التجرد على بعض المحرمات، والتقصير في بعض الواجبات، مع الاعتراف بذلك والرجاء، بأن يغفر الله لهم، فهؤلاء لعسى الله أن يتوب عليهم 57 وتوبته  
صالحا إلا إذا كان مع العبد أصل التوحيد والإيمان، المخرج عن الكفر والشرك، الذي هو شرط لكل عمل صالح، فهؤلاء خلطوا الأعمال الصالحة، بالأعمال السيئة،  
الإسلامية، اعترفوا بذنوبهم 58 أي: أقروا بها، وندموا عليها، وسعوا في التوبة منها، والتطهر من أدرانها 59 اخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا 60 ولا يكون العمل  
يقول تعالى 61 أو آخرون 62 آمن بالمدينة ومن حولها، بل ومن سائر البلاد

اللين، والدعاء له، ونحو ذلك مما يكون فيه طمأنينة، وسكون لقلبه 63 وأنه ينبغي تنشيط من أنفق نفقة وعمل عملا صالحا بالدعاء له والثناء، ونحو ذلك 64 103  
لمن أدى زكاته بالبركة، وأن ذلك ينبغي، أن يكون جهرا، بحيث يسمعه المتصدق فيسكن إليه 65 ويؤخذ من المعنى، أنه ينبغي إدخال السرور على المؤمن بالكلام  
يتطهر ويتزكى حتى يخرج زكاة ماله، وأنه لا يكفرها شيء سوى أدائها، لأن الزكاة والتطهير متوقف على إخراجها 66 وفيها 67 استحباب الدعاء من الإمام أو نائبه

## تفسير السعدي

بمنزلة الأموال التي يتخذها الإنسان في العادة، مالا يتمول، ويطلب منه المقاصد المالية، وإنما صرف عن المالية بالقبية ونحوها<sup>١٠٤</sup> وفيها<sup>١٠٤</sup> أن العبد لا يمكنه أن التجارة، فإن كان المال ينمي، كالحبوب، والثمار، والماشية المتخذة للنماء والدر والنسل، فإنها تجب فيها الزكاة، وإلا لم تجب فيها، لأنها إذا كانت للقبية، لم تكن الأموال، وهذا إذا كانت للتجارة ظاهرة، فإنها أموال تنمي ويكتسب بها، فمن العدل أن يواسى منها الفقراء، بأداء ما أوجب الله فيها من الزكاة<sup>١٠٤</sup> وما عدا أموال عليه وسلم - يمتثل لأمر الله، ويأمرهم بالصدقة، ويبعث عماله لجبايتها، فإذا أتاه أحد بصدقته دعا له وبركاً<sup>١٠٤</sup> ففي هذه الآية، دلالة على وجوب الزكاة، في جميع واستبشار لهم، <sup>١٠٤</sup>والله سميع<sup>١٠٤</sup>الدعائك، سمع إجابة وقبول<sup>١٠٤</sup>العلم بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عامل بعمله، وعلى قدر نيته، فكان النبي - صلى الله وتتمي أموالهم<sup>١٠٤</sup>أوصل عليهم<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>ادع لهم، أي<sup>١٠٤</sup>للمؤمنين عموماً وخصوصاً عندما يدفعون إليك زكاة أموالهم<sup>١٠٤</sup>أن صلاتك سكن لهم<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>طمأنينة لقلوبهم، بها<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>تطهرهم من الذنوب والأخلاق الرذيلة<sup>١٠٤</sup>وتزكيتهم<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>تنميتهم، وتزيد في أخلاقهم الحسنة، وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه، أما له بما يظهر المؤمنين، ويتم إيمانهم<sup>١٠٤</sup>أخذ من أموالهم صدقة<sup>١٠٤</sup>وهي الزكاة المفروضة، <sup>١٠٤</sup>أطهرهم وتزكيتهم

والشهود عن بابه، وموالاتهم عدوهم<sup>١٠٤</sup>الرحيم<sup>١٠٤</sup>الذي وسعت رحمته كل شيء، وكتبها للذين يتقون، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بآياته، ويتبعون رسوله<sup>١٠٤</sup>104 أي<sup>١٠٤</sup>كثير التوبة على التائبين، فمن تاب إليه تاب عليه، ولو تكررت منه المعصية<sup>١٠٤</sup>أمرار<sup>١٠٤</sup>ولا يمل الله من التوبة على عباده، حتى يملوا هم، ويأبوا إلا النفاق ويأخذها بيمينه، فيريها لأحدهم كما يربي الرجل فله، حتى تكون التمرة الواحدة كالجبل العظيم، فكيف بما هو أكبر وأكثر من ذلك<sup>١٠٤</sup>أأن الله هو التواب كرمه وأنه يقبل التوبة عن عباده<sup>١٠٤</sup>التائبين من أي ذنب كان، بل يفرح تعالى بتوبة عبده، إذا تاب أعظم فرح يقدر<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>يأخذ الصدقات<sup>١٠٤</sup>منهم أي<sup>١٠٤</sup>يقبلها، أي<sup>١٠٤</sup>أما علموا سعة رحمة الله وعموم

وعصيانه<sup>١٠٤</sup>ويحتمل أن المعنى<sup>١٠٤</sup>أنكم مهما عملتم من خير أوشر، فإن الله مطلع عليكم، وسيطلع رسوله وعباده المؤمنين على أعمالكم ولو كانت باطنة<sup>١٠٤</sup>105 أوستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون<sup>١٠٤</sup>من خير وشر، ففي هذا التهديد والوعيد الشديد على من استمر على باطله وطفغياته وغيه ما ترون من الأعمال، واستمروا على باطلكم، فلا تحسبوا أن ذلك، سيخفى<sup>١٠٤</sup>القيصري الله عملكم ورسوله والمؤمنون<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>لا بد أن يتبين عملكم ويتضح، يقول تعالى<sup>١٠٤</sup>أقول<sup>١٠٤</sup>للهؤلاء المنافقين<sup>١٠٤</sup>اعملوا<sup>١٠٤</sup>

وينزلها منازلها، فإن اقتضت حكمته أن يغفر لهم ويتوب عليهم غفر لهم وتاب عليهم، وإن اقتضت حكمته أن يخذلهم ولا يوفقهم للتوبة، فعل ذلك<sup>١٠٤</sup>106 يتوب عليهم<sup>١٠٤</sup>ففي هذا التخويف الشديد للمتخلفين، والحث لهم على التوبة والندم<sup>١٠٤</sup>والله عليهم<sup>١٠٤</sup>أحوال العباد ونياتهم<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>يضع الأشياء مواضعها، أي<sup>١٠٤</sup>أؤا<sup>١٠٤</sup>آخرون<sup>١٠٤</sup>من المخلفين مؤخرون<sup>١٠٤</sup>الأمر الله إما يعذبهم وإما

أردنا<sup>١٠٤</sup>في بنائنا إياه<sup>١٠٤</sup>إلا الحسن<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>الإحسان إلى الضعيف، والعاجز والضرير<sup>١٠٤</sup>والله يشهد إنهم لكاذبون<sup>١٠٤</sup>فشهادة الله عليهم<sup>١٠٤</sup>أصدق من حلفهم<sup>١٠٤</sup>107 - صلى الله عليه وسلم - من يهدمه ويحرقه، فهدم وحرق، وصار بعد ذلك مذبلة<sup>١٠٤</sup>قال تعالى بعدما بين من مقاصدهم الفاسدة في ذلك المسجد<sup>١٠٤</sup>أوليلفن إن بزعمه أنه ينصره، فهلك اللعين في الطريق، وكان على وعد وممالة، هو والمنافقون<sup>١٠٤</sup>فكان مما أعدوا له مسجد الضرار، فنزل الوحي بذلك، فبعث إليه النبي به، وكان متعبداً في الجاهلية، فذهب إلى المشركين يستعين بهم على حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما لم يدرك مطلوبه عندهم ذهب إلى قيصر الذين تقدم حراهم واشتدت عداوتهم، وذلك كأبي عامر الراهب، الذي كان من أهل المدينة، فلما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - وهاجر إلى المدينة، كفر أو تفرقاً بين المؤمنين<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>ليتشعبوا ويتفرقوا ويختلفوا، وإرصاد<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>إعداد<sup>١٠٤</sup>المن حارب الله ورسوله من قبل<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>إعانة للمحاربين لله ورسوله، سرهم فقال<sup>١٠٤</sup>الذين اتخذوا مسجداً ضراراً<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>مضارة للمؤمنين ولمسجدهم الذي يجتمعون فيه<sup>١٠٤</sup>لوكفرا<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>قصدتهم فيه الكفر، إذا قصد غيرهم الإيمان<sup>١٠٤</sup>يريدون به المضارة والمشاقة بين المؤمنين، ويعودونه لمن يرجونه من المحاربين لله ورسوله، يكون لهم حصناً عند الاحتياج إليه، فبين تعالى خزيهم، وأظهر كان أناس من المنافقين من أهل قباء اتخذوا مسجداً إلى جنب مسجد قباء،

على صنيعهم<sup>١٠٤</sup>والله يحب المطهرين<sup>١٠٤</sup>الطهارة المعنوية، كالتنزه من الشرك والأخلاق الرذيلة، والطهارة الحسية كإزالة الأنجاس ورفع الأحداث<sup>١٠٤</sup>108 من مخالفة الله ورسوله<sup>١٠٤</sup>وسألهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد ما نزلت هذه الآية في مدحهم عن طهارتهم، فأخبروه أنهم يتبعون الحجارة الماء، فحمدهم ولهذا كانوا ممن سبق إسلامه، وكانوا مقيمين للصلاة، محافظين على الجهاد، مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإقامة شرائع الدين، وممن كانوا يتحرزون والأحداث<sup>١٠٤</sup>ومن المعلوم أن من أحب شيئاً لا بد أن يسعى له ويجتهد فيما يحب، فلا بد أنهم كانوا حريصين على التطهر من الذنوب والأوساخ والأحداث، وتتعب، وتذكر الله تعالى فهو فاضل، وأهله فضلاء، ولهذا مدحهم الله بقوله<sup>١٠٤</sup>أقبحه رجال يحبون أن يتطهروا<sup>١٠٤</sup>من الذنوب، ويتطهروا من الأوساخ، والنجاسات وهو مسجد إقباء<sup>١٠٤</sup>أسس على إخلاص الدين لله، وإقامة ذكره وشعائره دينه، وكان قديماً في هذا عريقاً فيه، فهذا المسجد الفاضل<sup>٠٤</sup>أحق أن تقوم فيه<sup>١٠٤</sup>تصل في ذلك المسجد الذي بني ضاراً<sup>١٠٤</sup>أبد<sup>١٠٤</sup>الله يغنيك عنه، ولست بمضطرب إليه<sup>١٠٤</sup>المسجد أسس على التقوى من أول يوم<sup>١٠٤</sup>أظهر فيه الإسلام في إقباء<sup>١٠٤</sup>لا تقم فيه<sup>١٠٤</sup>أبد<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>لا

أي<sup>١٠٤</sup>على طرف جرف هاراً<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>بال، قد تداعى للانهدام، إقانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين<sup>١٠٤</sup>لما فيه مصالح دينهم ودنياهم<sup>١٠٤</sup>109 من الله<sup>١٠٤</sup>أي<sup>١٠٤</sup>على نية صالحة وإخلاص<sup>١٠٤</sup>أرضوان<sup>١٠٤</sup>أبان كان موافقاً لأمره، فجمع في عمله بين الإخلاص والمتابعة، أخيراً من أسس بنيانه على شفا<sup>١٠٤</sup>ثم فاضل بين المساجد بحسب مقاصد أهلها وموافقتها لرضاه فقال<sup>١٠٤</sup>أفمن أسس بنيانه على تقوى

## تفسير السعدي

عرف دين الإسلام وشرائع الدين اللهم اجعلنا من القوم الذين يعملون، ويعملون بما يعملون، برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين 111  
وضح، أحكاما وحكما، وحكما قال 112 ونفصل الآيات أي 113 نوضحها ونميزها القوم يعلمون 114 فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، وبهم الدين وتنافسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدا حقيقة 115 لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح منها ما بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا 116 فإن تابوا 117 عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في دينكم، وانصروهم واتخذوا من عاداهم عدوا ومن نصره لكم وليا، واجعلوا الحكم يدور مع وجودا وعدما، لا تجعلوا الولاية والعداوة، طبيعية تميلون إلا ولا ذمة أي 118 لأجل عداوتهم للإيمان إلا ولا ذمة أي 119 لأجل عداوتهم للإيمان وأهلها 120 فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا في الدنيا 121 على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله 122 قصدوا بأنفسهم، وصدوا غيرهم 123 عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن تفسير الآيات من 9 إلى 11: 124 اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا أي 125 اختاروا الحظ العاجل الخسيس

والعمل المبني على سوء القصد وعلى البدع والضلال، هو العمل المؤسس على شفا جرف هار، فانهار به في نار جهنم، والله لا يهدي القوم الظالمين 110  
فيه واختاره الله له من باب أولى وأحرى 126 ومنها 127 أن العمل المبني على الإخلاص والمتابعة، هو العمل المؤسس على التقوى، الموصل لعامله إلى جنات النعيم 128 قلبه من الندم والحسرات 129 ومنها 130 أنه إذا كان مسجد قباء مسجدا أسس على التقوى، فمسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي أسسه بيده المباركة وعمل ومنها 131 أن الأعمال الحسنة الناشئة عن معصية الله لا تزال مبعدة لفاعلها عن الله بمنزلة الإصرار على المعصية حتى يزيلها ويتوب منها توبة تامة بحيث يتقطع أو فيه معصية لله، فإن المعاصي من فروع الكفر، أو فيه تفريق بين المؤمنين، أو فيه معاونته لمن عادى الله ورسوله، فإنه محرم ممنوع منه، وعكسه بعكسه 132 قباء كل سبت يصلي فيه، وحث على الصلاة فيه 133 ومنها 134 أنه يستفاد من هذه التعاليل المذكورة في الآية، أربع قواعد مهمة، وهي 135 كل عمل فيه مضارة لمسلم، فيه 136 المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه 137 ولهذا كان لمسجد قباء من الفضل ما ليس لغيره، حتى كان - صلى الله عليه وسلم - يزور البقاع، كما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضرار، ونهي عن القيام فيه، وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثرت في مسجد اقباء 138 حتى قال الله للنهي عنه، كما يوجب ذلك الكفر والمحاربة لله ورسوله 139 ومنها 140 النهي عن الصلاة في أماكن المعصية، والبعد عنها، وعن قربها 141 ومنها 142 أن المعصية تؤثر في كما أن كل حالة يحصل بها جمع المؤمنين وانتلافهم، يتعين اتباعها والأمر بها والحث عليها، لأن الله علل اتخاذهم لمسجد الضرار بهذا المقصد الموجب عنه، كما قبلت نية أصحاب مسجد الضرار عملهم إلى ما ترى 143 ومنها 144 أن كل حالة يحصل بها التفريق بين المؤمنين، فإنها من المعاصي التي يتعين تركها وإزالتها 145 لمسجد آخر بقربه، أنه محرم، وأنه يجب هدم مسجد الضرار، الذي اطلع على مقصود أصحابه 146 ومنها 147 أن العمل وإن كان فاضلا تغيره النية، فينقلب منها لا يفعل ولا يخلق ولا يأمر ولا ينهى إلا ما اقتضته الحكمة وأمر به فله الحمد 148 وفي هذه الآيات فوائد عدة 149 منها 150 أن اتخاذ المسجد الذي يقصد به الضرار فبنيانهم لا يزيدهم إلا ريبا إلى ريبهم، ونفاقا إلى نفاقهم 151 والله عليهم بجميع الأشياء، ظاهرها، وباطنها، خفيها وجليها، وبما أسره العباد، وأعلنوه 152 أحكيم 153 قلوبهم أي 154 شكاً، وريبا مأكثا في قلوبهم، إلا أن تقطع قلوبهم بأن يندموا غاية الندم ويتوبوا إلى ربهم، ويخافوه غاية الخوف، فبذلك يعفو الله عنهم، وإلا لا يزال بنينا لهم الذي بنوا ريبة في

أحب الأشياء للإنسان 155 وإلى من جرى على يديه عقد هذا التبايع، وهو أشرف الرسل، وبأي كتاب رقم، وهي كتب الله الكبار المنزلة على أفضل الخلق 111  
فانظر إلى المشتري من هو 156 وهو الله جل جلاله، وإلى العوض، وهو أكبر الأعواض وأجلها، جنات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيها، وهو النفس، والمال، الذي هو الذي لا فوز أكبر منه، ولا أجل، لأنه يتضمن السعادة الأبدية، والنعيم المقيم، والرضا من الله الذي هو أكبر من نعيم الجنات، وإذا أردت أن تعرف مقدار الصفة، أيها المؤمنون القائمون بما وعدكم الله، أبيعكم الذي بايعتم به أي 157 لتفرحوا بذلك، وليبشر بعضكم بعضا، ويحث بعضكم بعضا 158 وذلك هو الفوز العظيم 159 الكتب التي طرقت العالم، وأعلاها، وأكملها، وجاء بها أكمل الرسل أولو العزم، وكلها اتفقت على هذا الوعد الصادق 160 مؤمن أوفى بعهده من الله فاستبشروا 161 الله فيقتلون ويقتلون 162 فهذا العقد والمبايعة، قد صدرت من الله مؤكدة بأنواع التأكيدات 163 وأوعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن 164 التي هي أشرف والحوار الحسان، والمنازل الأنبيات 165 وصفة العقد والمبايعة، بأن يبذلوا لله نفوسهم وأموالهم في جهاد أعدائه، لإعلاء كلمته وإظهار دينه 166 فيقاتلون في سبيل المؤمنين أنفسهم وأموالهم 167 فهي المثلث والسلعة المبيعة 168 بأن لهم الجنة 169 التي فيها ما تشتهيhe الأنفس، وتلد الأعين من أنواع اللذات والأفراح، والمسرات، يخبر تعالى خبرا صدقا، ويعد وعدا حقا بمبايعة عظيمة، ومعوضة جسيمة، وهو أنه اشترى 170 بنفسه الكريمة لهم

ثواب الدنيا والدين والآخرة، فالبشارة متناولة لكل مؤمن 171 وأما مقدارها وصفتها فإنها بحسب حال المؤمنين، وإيمانهم، قوة، وضعفا، وعملا بمقتضاه 112  
يدخل في الأوامر والنواهي والأحكام، وما لا يدخل، الملازمون لها فعلا وتركاً 172 وبشر المؤمنين 173 لم يذكر ما يبشرهم به، ليعم جميع ما رتب على الإيمان من الواجبات والمستحبات 174 والناهون عن المنكر 175 وهي جميع ما نهى الله ورسوله عنه 176 والحافظون لحدود الله 177 بتعلمهم حدود ما أنزل الله على رسوله، وما العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك 178 الراكون الساجدون أي 179 المكثرون من الصلاة، المشتتة على الركوع والسجود 180 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر 181 وفسرت بسياسة القلب في معرفة الله ومحبتة، والإنابة إليه على الدوام، والصحيح أن المراد بالسياسة 182 السفر في القربات، كالحج، والعمرة، والجهاد، وطلب من النعم الظاهرة والباطنة، المثنون على الله بذكرها وبذكره في آناء الليل وآناء النهار 183 لسائحون 184 فسرت السياحة بالصيام، أو السياحة في طلب العلم، من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت، فبذلك يكون العبد من العابدين 185 الحامدون لله في السراء والضراء، والبسر والعسر، المعترفون بما لله عليهم الكرامات 186 فقال 187 هم الثابون أي 188 الملازمون للتوبة في جميع الأوقات عن جميع السيئات 189 العابدون أي 190 المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته

## تفسير السعدي

كأنه قيل: من هم المؤمنون الذين لهم البشارة من الله بدخول الجنات ونيل

يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له 113 عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين، وأيضاً فإن النبي والذين آمنوا معه، عليهم أن الجحيم، فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به أن يستغفروا للمشركين، أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ولو كانوا أولي قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب يعنني

سأستغفر لك ربي، فعليكم أن تقتدوا به، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك، كما نهكم الله عليها وعلى غيرها 114 وصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: الأرحمك، وهو يقول له: سلام عليك لربه وتادبا معه، إن إبراهيم لأواه، أي: رجاء إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء، والاستغفار والإنابة إلى ربه، الحليم، أي: ذو رحمة بالخلق، إنه كان بي حقيقاً، وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير، أثراً منه موافقة ولن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه عن موعدة وعدها إياه، في قوله: سأستغفر لك ربي

لهم على ردهم الحق المبين، والأول أولى، لأن الله بكل شيء عليم، فلكمال علمه وعمومه علمكم ما لم تكونوا تعلمون، وبين لكم ما به تنتفعون، 115 ويحتمل أن المراد بذلك لما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، فإذا بين لهم ما يتقون فلم ينقادوا له، عاقبهم بالإضلال جزاء ضرورتهم، فلا يتركهم ضالين، جاهلين بأمور دينهم، ففي هذا دليل على كمال رحمته، وأن شريعته وافية بجميع ما يحتاجه العباد، في أصول الدين وفروعه، يعني أن الله تعالى إذا من على قوم بالهداية، وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم، فإنه تعالى يتمم عليهم إحسانه، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه، وتدعو إليه أعظم توليه لعباده، فلماذا قال: أو ما لكم من دون الله من ولي ولا نصير، أي: ولي يتولاكم بجلب المنافع لكم، أو نصير يدفع عنكم المضار، 116 وأنواع التدابير الإلهية، فإذا كان لا يخل بتدبيره القدري فكيف يخل بتدبيره الديني المتعلق بالهيتة، ويترك عباده سدى مهملين، أو يدعهم ضالين جاهلين، وهو إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت، أي: هو المالك لذلك، المدبر لعباده بالإحياء والإماتة

الوجه الشرعي، وقوله: ثم تاب عليهم، أي: قبل توبتهم، إنه بهم رءوف رحيم، ومن رأفته ورحمته أن من عليهم بالتوبة، وقبلها منهم وثبتهم عليها، 117 المستقيم، فإن كان الانحراف في أصل الدين، كان كفراً، وإن كان في شرائعه، كان بحسب تلك الشريعة، التي زاغ عنها، إما قصر عن فعلها، أو فعلها على غير بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم، أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم وأيدهم وقواهم، وزج القلب هو انحرافه عن الصراط الأعداء في وقعة أثولاً، وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف، فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات، ولهذا قال: الذين اتبعوه في ساعة العسرة، أي: خرجوا معه لقتال يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تاب على النبي - صلى الله عليه وسلم - والمهاجرين والأنصار، فغفر لهم الزلات، ووفر

من بت في قبول عذرهم، أو في رده، وأنهم لم يكن تخلفهم رغبة عن الخير، ولهذا لم يقل: تخلفوا، ومنها: أن الله تعالى من عليهم بالصدق، 118 وانقطع عن المخلوقين، ومنها: أن من لطف الله بالثلاثة، أن سببهم بوسم، ليس بعار عليهم فقال: تخلفوا، إشارة إلى أن المؤمنين خلفوهم، أو خلفوا عن وأن من لا يبالي بالذنب ولا يحرص إذا فعله، فإن توبته مدخولة، وإن زعم أنها مقبولة، ومنها: أن علامة الخير وزوال الشدة، إذا تعلق القلب بالله تعالى تعلقاً تاماً، أن العبادة الشاقة على النفس، لها فضل ومزية ليست لغيرها، وكلما عظمت المشقة عظم الأجر، ومنها: أن توبة الله على عبده بحسب دمه وأسفه الشديد، خواص عباده، وامتن عليهم بها، حين عملوا الأعمال التي يحبها ويرضاها، ومنها: لطف الله بهم وتثبيتهم في إيمانهم عند الشدائد والنوازل المزعجة، ومنها: جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية، وفي هذه الآيات دليل على أن توبة الله على العبد أجل الغايات، وأعلى النهايات، فإن الله جعلها نهاية هو التواب، أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، الرحيم، وصفه الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في وفروا منه إليه، فمكتوا بهذه الشدة نحو خمسين ليلة، ثم تاب عليهم، أي: أذن في توبتهم ووفقه لها ليتوبوا، أي: لتقع منهم، فيتوب الله عليهم، إن الله من الله إلا إليه، أي: يتقنوا وعرفوا بحالهم، أنه لا ينجي من الشدائد، ويلجأ إليه، إلا الله وحده لا شريك له، فانقطع تعلقهم بالمخلوقين، وتعلقوا بالله ربهم، وذلك لا يكون إلا من أمر مزعج، بلغ من الشدة والمشقة ما لا يمكن التعبير عنه، وذلك لأنهم قدموا رضا الله ورضا رسوله على كل شيء، لا وظنوا أن لا ملجأ أي: على سعتها ورحبتها وضاقت عليهم أنفسهم، التي هي أحب إليهم من كل شيء، فضاقت عليهم الفضاء الواسع، والمحبوب الذي لم تجر العادة بالضيق منه، وهم: كعب بن مالك وأصحابه، وقصتهم مشهورة معروفة، في الصحاح والسنن، احتى إذاً حزنوا حزناً عظيماً، وإضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأكذلك لقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفوا، عن الخروج مع المسلمين، في تلك الغزوة،

مشتمة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، قال الله تعالى: أهذا يوم ينفع الصادقين صدقهم، الآية، 119 مع الصادقين، أي: أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم، وأحوالهم لا تكون إلا صدقاً خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، إيا أيها الذين آمنوا بالله، وبما أمر الله بالإيمان به، قوموا بما يقتضيه الإيمان، وهو القيام بتقوى الله تعالى، باجتنب ما نهى الله عنه والبعد عنه، أو كونوا

على الوفاء بها، بل لا يزالون خائنين، ناكثين للعهد، لا يوثق منهم<sup>١٢٠</sup> العلمهم<sup>١٢١</sup> في قتالكم إياهم<sup>١٢٢</sup> إنتهون<sup>١٢٣</sup> عن الطعن في دينكم، وربما دخلوا فيه 12  
جنايتهم، ولأن غيرهم تبع لهم، وليلد على أن من طعن في الدين وتصدى للرد عليه، فإنه من أئمة الكفر<sup>١٢٤</sup> إنهم لا أيمان لهم<sup>١٢٥</sup> أي لا عهود ولا موثيق يلزمون  
الموجهة إلى الدين، أو إلى القرآن، إقتاتلوا أئمة الكفر<sup>١٢٦</sup> أي القادة فيه، الرؤساء الطاعنين في دين الرحمن، الناصرين لدين الشيطان، وخصهم بالذكر لعظم  
عهدهم<sup>١٢٧</sup> أي نقضوها وحلوا، فقاتلوكم أو أعانوا على قتالكم، أو نقصوكم، ووطعنوا في دينكم<sup>١٢٨</sup> أي عابوه، وسخروا منه<sup>١٢٩</sup> ويدخل في هذا جميع أنواع الطعن  
يقول تعالى بعدما ذكر أن المعاهدين من المشركين إن استقاموا على عهدهم فاستقيموا لهم على الوفاء<sup>١٣٠</sup> وإن نكثوا أيمانهم من بعد

إن الله لا يضيع أجر المحسنين<sup>١٣١</sup> الذين أحسنوا في مبادرتهم إلى أمر الله، وقيامهم بما عليهم من حقه وحق خلقه، فهذه الأعمال آثار من آثار عملهم<sup>١٣٢</sup> 120  
والاستيلاء على أوطانهم، أو يبالغون من عدو نبلا<sup>١٣٣</sup> كالظفر بجيش أو سرية أو الغنيمة لمال لا كتب لهم به عمل صالح<sup>١٣٤</sup> لأن هذه آثار ناشئة عن أعمالهم<sup>١٣٥</sup>  
سبيل الله لا يصيبهم ظمأ ولا نصب<sup>١٣٦</sup> أي تعب ومشقة ولا مخمصة في سبيل الله<sup>١٣٧</sup> أي مجاعة<sup>١٣٨</sup> ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار<sup>١٣٩</sup> من الخوض لديارهم،  
الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومحبتة والإيمان التام به، أن لا يتخلفوا عنه، ثم ذكر الثواب الحامل على الخروج فقال<sup>١٤٠</sup> ذلك بأنهم<sup>١٤١</sup> أي المجاهدين في  
بل النبي - صلى الله عليه وسلم - أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فعلى كل مسلم أن يفدي النبي - صلى الله عليه وسلم -، بنفسه ويقدمه عليها، فعلامة تعظيم  
أن يتخلفوا عن رسول الله<sup>١٤٢</sup> أي ما ينبغي لهم ذلك، ولا يليق بأحواهم<sup>١٤٣</sup> أي لا يرغبوا بأنفسهم<sup>١٤٤</sup> في بقائها وراحتها، وسكونه<sup>١٤٥</sup> لأن نفسه<sup>١٤٦</sup> الكريمة الزكية،  
- حائلا لأهل المدينة المنورة من المهاجرين، والأنصار، ومن حولهم من الأعراب، الذين أسلموا فحسن إسلامهم -<sup>١٤٧</sup> أما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب  
يقول تعالى

إلى الجهاد في سبيل الله، والاحتساب لما يصيبهم فيه من المشقات، وأن ذلك لهم رفعة درجات، وأن الآثار المترتبة على عمل العبد له فيها أجر كبير<sup>١٤٨</sup> 121  
ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون<sup>١٤٩</sup> ومن ذلك هذه الأعمال، إذا أخلصوا فيها لله، ونصحوا فيها، ففي هذه الآيات أشد ترغيب وتشويق للنفوس إلى الخروج  
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا<sup>١٥٠</sup> في ذهابهم إلى عدوهم<sup>١٥١</sup> لا كتب لهم

مصلحة دينهم ودنياهم، ولو تفرقت الطرق وتعددت المشارب، فالأعمال متباينة، والقصد واحد، وهذه من الحكمة العامة النافعة في جميع الأمور<sup>١٥٢</sup> 122  
بها، ويوفر وقته عليها، ويجتهد فيها، ولا يلتفت إلى غيرها، لتقوم مصالحهم، وتتم منافعهم، وتكون وجهة جميعهم، ونهاية ما يقصدون قصدا واحدا، وهو قيام  
ومنحه<sup>١٥٣</sup> فهم<sup>١٥٤</sup> وفي هذه الآية أيضا دليل وإرشاد وتنبيه لطيف، لفائدة مهمة، وهي<sup>١٥٥</sup> أن المسلمين ينبغي لهم أن يعدوا لكل مصلحة من مصالحهم العامة من يقوم  
ما لا يعلمون، فأى منفعة حصلت للمسلمين منه<sup>١٥٦</sup> أي نتيجة تنبت من علمه<sup>١٥٧</sup> وأغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علما  
العلم عن العالم، من بركته وأجره، الذي ينمى له<sup>١٥٨</sup> وأما اقتصار العالم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال  
إذا رجعوا إليهم<sup>١٥٩</sup> ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علما، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه فإن انتشار  
أي<sup>١٦٠</sup> القاعدون أي الدين وليندروا قومهم إذا رجعوا إليهم<sup>١٦١</sup> أي ليتعلموا العلم الشرعي، ويعلموا معانيه، ويفقهوا أسرارها، وليعلموا غيرهم، وليندروا قومهم  
إطائفة<sup>١٦٢</sup> تحصل بها الكفاية والمقصود كان أولى<sup>١٦٣</sup> ثم نبه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم، فقال<sup>١٦٤</sup> ليتفقها<sup>١٦٥</sup>  
جميعا لقتال عدوهم، فإنه يحصل عليهم المشقة بذلك، وتفتت به كثير من المصالح الأخرى، إلهولا نفر من كل فرقة منهم<sup>١٦٦</sup> أي من البلدان، والقبايل، والأفخاذ  
يقول تعالى<sup>١٦٧</sup> منبها لعباده المؤمنين على ما ينبغي لهم -<sup>١٦٨</sup> لوما كان المؤمنون لينفروا كافة<sup>١٦٩</sup> أي

وهذا العموم في قوله<sup>١٧٠</sup> إقتاتلوا الذين يلونكم من الكفار<sup>١٧١</sup> مخصوص بما إذا كانت المصلحة في قتال غير الذين يلوننا، وأنواع المصالح كثيرة جدا<sup>١٧٢</sup> 123  
والثبات<sup>١٧٣</sup> أعلموا أن الله مع المتقين<sup>١٧٤</sup> أي وليكن لديكم علم أن المعونة من الله تنزل بحسب التقوى، فلازموا على تقوى الله، يعنكم وينصركم على عدوكم<sup>١٧٥</sup>  
إرشاد آخر، بعدما أرشدهم إلى التدبير فيمن يباشر القتال، أرشدهم إلى أنهم يبدأون بالأقرب فالأقرب من الكفار، والغلبة عليهم، والشدة في القتال، والشجاعة  
وهذا أيضا

من الله عليهم من آياته، والتوفيق لفهمها والعمل بها<sup>١٧٦</sup> وهذا دال على انشراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحتهم عليه<sup>١٧٧</sup> 124  
فزادتهم إيمانا<sup>١٧٨</sup> بالعلم بها، وفهمها، واعتقادها، والعمل بها، والرغبة في فعل الخير، والانكفاف عن فعل الشر<sup>١٧٩</sup> وهم يستبشرون<sup>١٨٠</sup> أي يبشر بعضهم بعضا بما  
أقمنهم من يقول أياكم زادته هذه إيمانا<sup>١٨١</sup> أي حصل الاستفهام، لمن حصل له الإيمان بها من الطائفتين<sup>١٨٢</sup> قال تعالى - مبينا الحال الواقعة -<sup>١٨٣</sup> أقاما الذين آمنوا  
عند نزول القرآن، وتفاوت ما بين الفريقين، فقال<sup>١٨٤</sup> وإذا ما أنزلت سورة<sup>١٨٥</sup> فيها الأمر، والنهي، والخبر عن نفسه الكريمة، وعن الأمور الغائبة، والحث على الجهاد<sup>١٨٦</sup>  
يقول تعالى<sup>١٨٧</sup> مبينا حال المنافقين، وحال المؤمنين

الطبع على قلوبهم، حتى لماتوا وهم كافرون<sup>١٨٨</sup> وهذا عقوبة لهم، لأنهم كفروا بآيات الله وعصوا رسوله، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه<sup>١٨٩</sup> 125  
إلى رجسهم<sup>١٩٠</sup> أي مرضا إلى مرضهم، وشكا إلى شكهم، من حيث إنهم كفروا بها، وعاندوها وأعرضوا عنها، فازداد ذلك مرضهم، وترامى بهم إلى الهلاك<sup>١٩١</sup>  
أو أما الذين في قلوبهم مرض<sup>١٩٢</sup> أي شك ونفاق إزدادتهم رجسا  
يذكرون<sup>١٩٣</sup> وفي هذه الآيات دليل على أن الإيمان يزيد وينقص، وأنه ينبغي للمؤمن، أن يتفقد إيمانه ويتعاهده، فيجده وينمي، ليكون دائما في صعود<sup>١٩٤</sup> 126

## تفسير السعدي

فيفعلونه، وما يضرهم، فيتركونه<sup>١٢</sup> قاله تعالى يبتليهم - كما هي سنته في سائر الأمم - بالسراء والضراء والأوامر والنواهي ليرجعوا إليه، ثم لا يتوبون ولا هم بما يصيبهم من البلاء والأمراض، وبما يبتلون من الأوامر الإلهية التي يراد بها اختبارهم<sup>١٣</sup> لا يتوبون<sup>١٤</sup> عما هم عليه من الشر<sup>١٥</sup> ولا هم يذكرون<sup>١٦</sup> ما ينفعهم، قال تعالى - موبخا لهم على إقامتهم على ما هم عليه من الكفر والنفاق -<sup>١٧</sup> أولًا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين<sup>١٨</sup>

الإيمان، كما قال تعالى عنهم<sup>١٩</sup> فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت<sup>٢٠</sup> لا يفقهون<sup>٢١</sup> فقها ينفعهم، فإنهم لو فقهوا، لكانوا إذا نزلت سورة آمنوا بها، وانقادوا لأمرها<sup>٢٢</sup> والمقصود من هذا بيان شدة نفورهم عن الجهاد وغيره، من شرائع متسللين، وانقلبوا معرضين، فجازاهم الله بعقوبة من جنس عملهم، فكما انصرفوا عن العمل<sup>٢٣</sup> صرف الله قلوبهم<sup>٢٤</sup> أي<sup>٢٥</sup> صداه عن الحق وخذلها<sup>٢٦</sup> أي<sup>٢٧</sup> أنهم قوم ائظر بعضهم إلى بعض<sup>٢٨</sup> جازمين على ترك العمل بها، ينتظرون الفرصة في الاختفاء عن أعين المؤمنين، ويقولون<sup>٢٩</sup> أهل يراكم من أحد ثم انصرفوا<sup>٣٠</sup> يعني<sup>٣١</sup> أن المنافقين الذين يحذرون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم، إذا نزلت سورة ليؤمنوا بها، ويعملوا بمضمونها

الرأفة والرحمة بهم، أرحم بهم من والديهم<sup>٣٢</sup> ولهذا كان حقه مقدما على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به، وتعظيمه، وتعزيره، وتوقيره<sup>٣٣</sup> 128 ويسعى جهده في إيصاله إليكم، ويحرص على هدايتكم إلى الإيمان، ويكره لكم الشر، ويسعى جهده في تنفيركم عنه<sup>٣٤</sup> أي<sup>٣٥</sup> بالمؤمنين رءوف رحيم<sup>٣٦</sup> أي<sup>٣٧</sup> شديد - في غاية النصح لهم، والسعي في مصالحهم<sup>٣٨</sup> أي<sup>٣٩</sup> يشق عليه ما عنتم<sup>٤٠</sup> أي<sup>٤١</sup> يشق عليه الأمر الذي يشق عليكم ويعنتكم<sup>٤٢</sup> أي<sup>٤٣</sup> يحريص عليكم<sup>٤٤</sup> أي<sup>٤٥</sup> فيحب لكم الخير، على عباده المؤمنين بما بعث فيهم النبي الأمي الذي من أنفسهم، يعرفون حاله، ويتمكنون من الأخذ عنه، ولا يأنفون عن الانقياد له، وهو - صلى الله عليه وسلم - يمتن<sup>٤٦</sup> أي<sup>٤٧</sup> ائعالي

العظيم، الذي وسع المخلوقات، كان ربا لما دونه من باب أولى وأحرى<sup>٤٨</sup> تم تفسير سورة التوبة بعون الله ومنه فله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا<sup>٤٩</sup> 129 سواه<sup>٥٠</sup> أي<sup>٥١</sup> اعتمدت ووثقت به، في جلب ما ينفع، ودفع ما يضر، أو هو رب العرش العظيم<sup>٥٢</sup> الذي هو أعظم المخلوقات<sup>٥٣</sup> وإذا كان رب العرش أو<sup>٥٤</sup> أي<sup>٥٥</sup> عن الإيمان والعمل، فامض على سبيلك، ولا تنزل في دعوتك، وقل<sup>٥٦</sup> أي<sup>٥٧</sup> الله<sup>٥٨</sup> أي<sup>٥٩</sup> الله<sup>٦٠</sup> كافي في جميع ما أهمني، لا إله إلا هو<sup>٦١</sup> أي<sup>٦٢</sup> لا معبود بحق إله<sup>٦٣</sup> أي<sup>٦٤</sup> آمنوا، فذلك حظهم وتوفيقهم، وإن

أن تخشوه إن كنتم مؤمنين<sup>٦٥</sup> فإنه أمركم بقتالهم، وأكد ذلك عليكم غاية التأكيد<sup>٦٦</sup> فإن كنتم مؤمنين فامثلوا لأمر الله، ولا تخشوهم فتتركوا أمر الله<sup>٦٧</sup> 13 بكر حلفاءهم على خزاعة حلفاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقاتلوا معهم كما هو مذكور مبسوط في السيرة<sup>٦٨</sup> أي<sup>٦٩</sup> تخشونهم<sup>٧٠</sup> أي<sup>٧١</sup> ترك قتالهم<sup>٧٢</sup> أي<sup>٧٣</sup> قاله الله أحق ويخرجوه من وطنه وسعوا في ذلك ما أمكنهم، أو هم بدءوكم أول مرة<sup>٧٤</sup> أي<sup>٧٥</sup> حيث نقضوا العهد وأعانوا عليكم، وذلك حيث عاوت قريش - وهم معاهدون - بني موصوفون بها، المقتضية لقتالهم فقال<sup>٧٦</sup> أي<sup>٧٧</sup> لا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول<sup>٧٨</sup> الذي يجب احترامه وتوقيره وتعظيمه<sup>٧٩</sup> أي<sup>٨٠</sup> وهم هموا أن يجلوهم ثم حث على قتالهم، وهيج المؤمنين بذكر الأوصاف، التي صدرت من هؤلاء الأعداء، والتي هم

الكفر والفسوق والعصيان<sup>٨١</sup> أي<sup>٨٢</sup> الله عليم حكيم<sup>٨٣</sup> يضع الأشياء مواضعها، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح، فيبقيه في غيه وطغيانه<sup>٨٤</sup> 14 ما في صدورهم وذهب غيظهم<sup>٨٥</sup> أي<sup>٨٦</sup> قال<sup>٨٧</sup> أي<sup>٨٨</sup> يتوب الله على من يشاء<sup>٨٩</sup> أي<sup>٩٠</sup> هؤلاء المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويكره إليهم إطفاء نور الله، وزوال الغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء قلوبهم من الحنق والغیظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في الذين يطلب خزبهم ويحرص عليه، أو ينصرهم عليهم<sup>٩١</sup> هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها<sup>٩٢</sup> أي<sup>٩٣</sup> يكشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم<sup>٩٤</sup> أي<sup>٩٥</sup> فإن في من الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، فقال<sup>٩٦</sup> أي<sup>٩٧</sup> قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم<sup>٩٨</sup> أي<sup>٩٩</sup> بالقتل أو يخزهم<sup>١٠٠</sup> أي<sup>١٠١</sup> إذا نصركم الله عليهم، وهم الأعداء تفسير الآيتين 14 و 15 :- ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم

الكفر والفسوق والعصيان<sup>١٠٢</sup> أي<sup>١٠٣</sup> الله عليم حكيم<sup>١٠٤</sup> يضع الأشياء مواضعها، ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه، ومن لا يصلح، فيبقيه في غيه وطغيانه<sup>١٠٥</sup> 15 ما في صدورهم وذهب غيظهم<sup>١٠٦</sup> أي<sup>١٠٧</sup> قال<sup>١٠٨</sup> أي<sup>١٠٩</sup> يتوب الله على من يشاء<sup>١١٠</sup> أي<sup>١١١</sup> هؤلاء المحاربين، بأن يوفقهم للدخول في الإسلام، ويزينه في قلوبهم، ويكره إليهم إطفاء نور الله، وزوال الغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية - شفاء قلوبهم من الحنق والغیظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله، ساعين في الذين يطلب خزبهم ويحرص عليه، أو ينصرهم عليهم<sup>١١٢</sup> هذا وعد من الله وبشارة قد أنجزها<sup>١١٣</sup> أي<sup>١١٤</sup> يكشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم<sup>١١٥</sup> أي<sup>١١٦</sup> فإن في من الفوائد، وكل هذا حث وإنهاض للمؤمنين على قتالهم، فقال<sup>١١٧</sup> أي<sup>١١٨</sup> قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم<sup>١١٩</sup> أي<sup>١٢٠</sup> بالقتل أو يخزهم<sup>١٢١</sup> أي<sup>١٢٢</sup> إذا نصركم الله عليهم، وهم الأعداء تفسير الآيتين 14 و 15 :- ثم أمر بقتالهم وذكر ما يترتب على قتالهم

المؤمنين<sup>١٢٣</sup> أي<sup>١٢٤</sup> الله خبير بما تعملون<sup>١٢٥</sup> أي<sup>١٢٦</sup> يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها<sup>١٢٧</sup> 16 وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة<sup>١٢٨</sup> أي<sup>١٢٩</sup> ولها من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء<sup>١٣٠</sup> أي<sup>١٣١</sup> فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، الذين جاهدوا منكم<sup>١٣٢</sup> أي<sup>١٣٣</sup> علما يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليترتب عليه الثواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله<sup>١٣٤</sup> أي<sup>١٣٥</sup> لإعلاء كلمته أو لم يتخذوا من

## تفسير السعدي

- يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد ما أمرهم بالجهاد: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ دُونَ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ، وَأَمْرٌ بِمَا يَبِينُ بِهِ الصَّادِقُ وَالكَاذِبُ﴾ ﴿١٧﴾ ولما يعلم الله المؤمنين: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يعلم ما يصير منكم ويصدر، فيبتليكم بما يظهر به حقيقة ما أنتم عليه، ويجازيكم على أعمالكم خيرها وشرها. وهو أن يتميز الصادقون الذين لا يتحيزون إلا لدين الله، من الكاذبين الذين يزعمون الإيمان وهم يتخذون الولائج والأولياء من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أي: ولها من الكافرين، بل يتخذون الله ورسوله والمؤمنين أولياء. فشرع الله الجهاد ليحصل به هذا المقصود الأعظم، الذين جاهدوا منكم أي: علما يظهر مما في القوة إلى الخارج، ليرتب عليه الثواب والعقاب، فيعلم الذين يجاهدون في سبيله: الإغلاء كلمته أولم يتخذوا من يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد ما أمرهم بالجهاد: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ دُونَ ابْتِلَاءٍ وَامْتِحَانٍ، وَأَمْرٌ بِمَا يَبِينُ بِهِ الصَّادِقُ وَالكَاذِبُ﴾ ﴿١٨﴾ ولما يعلم الله واجبة: ﴿وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَزُمْ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا عِنْدَهُ خَشْيَةٌ لِلَّهِ، فَهَذَا لَيْسَ مِنْ عَمَارِ مَسَاجِدِ اللَّهِ، وَلَا مِنْ أَهْلِهَا الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، وَإِنْ زَعَمَ ذَلِكَ وَادْعَاهُ﴾ ﴿١٩﴾ وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها، الذين هم أهلها: ﴿أَقْعَسَى أَوَّلُكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمَهْتَدِينَ﴾ والعسى من الله أي: قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة: فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أمها الصلاة والزكاة، يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن: ﴿وَأَتَى الزَّكَاةَ لِأَهْلِهَا أَوْلَمَ يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ﴾ ثم ذكر من هم عمار مساجد الله فقال: ﴿إِنَّمَا قَالَ﴾
- قال: ﴿يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر: ﴿١٩﴾ وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالا صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك وبه تقبل الأعمال، وتزكو الخصال: ﴿وَأَمَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ ذُرْوَةٌ سَنَامِ الدِّينِ، الَّذِي بِهِ يَحْفَظُ الدِّينَ الْإِسْلَامِي وَيَتَسَّعُ، وَيَنْصُرُ الْحَقَّ وَيُخْذِلُ الْبَاطِلَ﴾ وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله: فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، فقال: ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد: وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإنه لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له: ﴿٢٠﴾ الله يتعين أن يتم له عهده إذا لم يخف منه خيانة، ولم يبدأ بنقض العهد: ﴿ثُمَّ أَنْذَرَ الْمَعَاهدِينَ فِي مَدَّةٍ عَهْدِهِمْ، أَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا آمَنِينَ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَعْبُزُوا اللَّهَ وَلَنْ الْأَرْبَعَةَ الْأَشْهُرَ فَلَا عَهْدَ لَهُمْ، وَلَا مِيثَاقَ﴾ وهذا لمن كان له عهد مطلق غير مقدر، أو مقدر بأربعة أشهر فأقل، أما من كان له عهد مقدر بزيادة على أربعة أشهر، فإن 2 و1: أي: هذه براءة من الله ومن رسوله إلى جميع المشركين المعاهدين، أن لهم أربعة أشهر يسبحون في الأرض على اختيارهم، آمنين من المؤمنين، وبعد تفسير الآيتين
- بالخروج بالنفس أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون: ﴿أَيُّهَا لَا يَفُوزُ بِالْمَطْلُوبِ وَلَا يَنْجُو مِنَ الْمَرْهُوبِ، إِلَّا مَنْ اتَّصَفَ بِصِفَاتِهِمْ، وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ﴾ ﴿٢٠﴾ ثم صرح بالفضل فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ﴾ بالنفقة في الجهاد وتجهيز الغزاة: ﴿وَأَنْفُسِهِمْ﴾ الذي منه أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم: ﴿٢١﴾ فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا: ﴿لَوْجَنَاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ من كل ما اشتتهه الأنفس، وتلذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى، بهم، واعتناء ومحبة لهم، لرحمة منه أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم إليها كل خيرا: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنْهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، الَّذِي هُوَ أَكْبَرُ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَأَجْلَهُ، يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ أَجُودًا مِنْهُ، وَكَرَمًا وَبِرًا﴾
- ولا يبالغون عنها حولا، إن الله عنده أجر عظيم: ﴿لَا تَسْتَغْرِبُ كَثْرَتَهُ عَلَى فَضْلِ اللَّهِ، وَلَا يَتَعَجَّبُ مِنْ عَظَمِهِ وَحُسْنِهِ عَلَى مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿٢٢﴾ تخالدين فيها أبدا: ﴿لَا يَنْتَقِلُونَ عَنْهَا، أَعْدَاءُ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ، وَأَصْلُ الْوَلَايَةِ: الْمَحَبَّةُ وَالنُّصْرَةُ، وَذَلِكَ أَنْ اتَّخَذَهُمْ أَوْلِيَاءَ، مُوجِبٌ لِتَقْدِيمِ طَاعَتِهِمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَمَحَبَّتِهِمْ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿٢٣﴾ إن استحبوا: ﴿أَيُّهَا اخْتَارُوا عَلَى وَجْهِ الرِّضَا وَالْمَحَبَّةِ الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ ومن يتولاهم منكم فأولئك هم الظالمون: ﴿لأنهم تجرؤوا على معاصي الله، واتخذوا توالوا من قام به، وتعادوا من لم يقم به﴾ ولا تتخذوا آباءكم وإخوانكم: ﴿الذين هم أقرب الناس إليكم، وغيرهم من باب أولى وأحرى، فلا تتخذوهم أولياء﴾ يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! اعْمَلُوا بِمَقْتَضَى الْإِيمَانِ، بَأَنَ وَتَشْتَهِيهِ، وَلَكِنَّهُ يَفُوتُ عَلَيْهِ مَحَبُوبًا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، أَوْ يَنْقُصُهُ، فَإِنَّهُ إِنْ قَدَّمَ مَا تَهَوَاهُ نَفْسَهُ، عَلَى مَا يَحِبُّهُ اللَّهُ، دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ ظَالِمٌ، تَارَكَ لِمَا يَجِبُ عَلَيْهِ﴾ ﴿٢٤﴾ أحب إليه من الله ورسوله، وجاهد في سبيله: ﴿وَعَلَامَةٌ ذَلِكَ، أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ، أَحَدُهُمَا يَحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَيْسَ لِنَفْسِهِ فِيهَا هَوًى، وَالْآخَرُ تَحِبُّهُ نَفْسُهُ أَعْظَمُ دَلِيلٍ عَلَى وَجُوبِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَعَلَى تَقْدِيمِهَا عَلَى مَحَبَّةِ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَى الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ وَالْمَقْتِ الْأَكِيدِ، عَلَى مَنْ كَانَ شَيْءٌ مِنْ هَذِهِ الْمَذْكُورَاتِ اللَّهُ بِأَمْرِهِ الَّذِي لَا مَرَدَ لَهُ﴾ والله لا يهدي القوم الفاسقين: ﴿أَيُّهَا الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ، الْمُقَدِّمِينَ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ شَيْئًا مِنَ الْمَذْكُورَاتِ﴾ وهذه الآية الكريمة فإن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجاهد في سبيله: ﴿فَأَنْتُمْ فَسْقَةٌ ظَلَمَةٌ﴾ اقتربصوا: ﴿أَيُّهَا أَنْتَرُوا مَا يَحِلُّ بِكُمْ مِنَ الْعِقَابِ حَتَّى يَأْتِيَ



## تفسير السعدي

من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك<sup>٢٥</sup> ما كان ترضونها<sup>٢٦</sup> من حسناتها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، ممن تأتبه الأموال من غير تعب ولا كد<sup>٢٧</sup> وتجارة تخشون كسادها<sup>٢٨</sup> أي<sup>٢٩</sup> رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، وعشيرتكم<sup>٣٠</sup> أي<sup>٣١</sup> قراباتكم عموما وأموال اقترفتموها<sup>٣٢</sup> أي<sup>٣٣</sup> اكتسبتموها وتعتبتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصا عليها على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال<sup>٣٤</sup> قل إن كان آبؤكم<sup>٣٥</sup> ومثلهم الأمهات<sup>٣٦</sup> أو أبناءكم وإخوانكم<sup>٣٧</sup> في النسب والعشرة أو أزواجكم ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما

ولا كثيرا<sup>٣٨</sup> إضاقت عليكم الأرض<sup>٣٩</sup> بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمت<sup>٤٠</sup> إما رحبت<sup>٤١</sup> أي<sup>٤٢</sup> على رحبها وسعتها، ثم وليتم مدبرين<sup>٤٣</sup> أي<sup>٤٤</sup> منهزمين<sup>٤٥</sup> 25 مواطن كثيرة ويوم حنين<sup>٤٦</sup> وهو اسم للمكان الذي كانت فيه الوقعة بين مكة والطائف<sup>٤٧</sup> إذ أعجبتمكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا<sup>٤٨</sup> أي<sup>٤٩</sup> لم تفدكم شيئا، قليلا رجل واحد، فاجتلدوا مع المشركين، فهزم الله المشركين، هزيمة شنيعة، واستولوا على معسكرهم ونسائهم وأموالهم<sup>٥٠</sup> وذلك قوله تعالى لقد نصركم الله في بن عبد المطلب أن ينادي في الأنصار وبقية المسلمين، وكان رفيع الصوت، فناداهم<sup>٥١</sup> يا أصحاب السمره، يا أهل سورة البقرة<sup>٥٢</sup> فلما سمعوا صوته، عطفوا عطفة وجعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يركض بغلته نحو المشركين ويقول<sup>٥٣</sup> أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب<sup>٥٤</sup> ولما رأى من المسلمين ما رأى، أمر العباس حملة واحدة، فانهزموا لا يولي أحد على أحد، ولم يبق مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا نحو مائة رجل، ثبتوا معه، وجعلوا يقاتلون المشركين، اثني عشر ألفا، والمشركون أربعة آلاف، فأعجب بعض المسلمين بكثرتهم، وقال بعضهم<sup>٥٥</sup> لن نغلب اليوم من قلة<sup>٥٦</sup> فلما التقوا هم وهوازن، حملوا على المسلمين - لما فتح مكة، سمع أن هوازن اجتمعوا لحربه، فسار إليهم - صلى الله عليه وسلم - في أصحابه الذين فتحوا مكة، وممن أسلم من الطلقاء أهل مكة، فكانوا يومئذ<sup>٥٧</sup> الذين اشتدت عليهم فيه الأزمة، ورأوا من التخاذل والفرار، ما ضاقت عليهم به الأرض على رحبها وسعتها<sup>٥٨</sup> وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بنصره إياهم في مواطن كثيرة من مواطن اللقاء، ومواقع الحروب والهيحاء، حتى في

والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم<sup>٥٩</sup> وذلك جزاء الكافرين<sup>٦٠</sup> يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ<sup>٦١</sup> 26 على العباد<sup>٦٢</sup> أو أنزل جنودا لم تروها<sup>٦٣</sup> وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويبشرونهم بالنصر<sup>٦٤</sup> أو عذب الذين كفروا<sup>٦٥</sup> بالهزيمة وعلى المؤمنين<sup>٦٦</sup> أو السكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفطعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة ثم أنزل الله سكنته على رسوله

ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم، وقبول توباتهم، فلا ييأسن أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل<sup>٦٧</sup> 27 الله عليه وسلم - مسلمين تائبين، فرد عليهم نساءهم، وأولادهم<sup>٦٨</sup> أو الله غفور رحيم<sup>٦٩</sup> أي<sup>٧٠</sup> ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء<sup>٧١</sup> افتاب الله على كثير ممن كانت الوقعة عليهم، وأتوا إلى النبي - صلى

من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بعد كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله<sup>٧٢</sup> لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا<sup>٧٣</sup> 28 صار بعد الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية<sup>٧٤</sup> ولما مات النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر أن يجلوا وينزلها منازلها<sup>٧٥</sup> وتدل الآية الكريمة، وهي قوله<sup>٧٦</sup> لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا<sup>٧٧</sup> أن المشركين بعد ما كانوا، هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب<sup>٧٨</sup> أن الله عليم حكيم<sup>٧٩</sup> أي<sup>٨٠</sup> علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها شاء<sup>٨١</sup> تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فهذا علقه الله بالمشيئة<sup>٨٢</sup> فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، فإن الله أكرم الأكرمين<sup>٨٣</sup> وقد أنجز الله وعده، فإن الله قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك<sup>٨٤</sup> وقوله<sup>٨٥</sup> أن مقصورا على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينغلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصا لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، أقسوف يغنيكم الله من فضله<sup>٨٦</sup> فليس الرزق المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة<sup>٨٧</sup> وقوله<sup>٨٨</sup> أو أن خفتم<sup>٨٩</sup> أي<sup>٩٠</sup> المسلمون لعيلة<sup>٩١</sup> أي<sup>٩٢</sup> فقرا وحاجة، الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها<sup>٩٣</sup> والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقذروا منها، تقذرهم من النجاسات، وإنما فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان<sup>٩٤</sup> وليس المراد هنا، نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء هذا<sup>٩٥</sup> وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي - صلى الله عليه وسلم - ابن عمه عليا، أن يؤذن يوم الحج الأكبر ب - إراءة<sup>٩٦</sup> الله ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الإصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم<sup>٩٧</sup> لا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تتفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئا<sup>٩٨</sup> وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل يقول تعالى<sup>٩٩</sup> أي<sup>١٠٠</sup> أيها الذين آمنوا إنما المشركون<sup>١٠١</sup> بالله الذين عبدوا معه غيره<sup>١٠٢</sup> أي<sup>١٠٣</sup>

المسلمين من الصحابة ومن بعدهم أنهم يدعون من يقاتلونهم إلى إحدى ثلاث<sup>١٠٤</sup> إما الإسلام، أو أداء الجزية، أو السيف، من غير فرق بين كتابي وغيره<sup>١٠٥</sup> 29 قتال أهل الكتاب ونحوهم، فيكون هذا القيد إخبارا بالواقع، لا مفهوما له<sup>١٠٦</sup> ويدل على هذا أن المجوس أخذت منهم الجزية وليسوا أهل كتاب، ولأنه قد تواتر عن من الفرس المجوس<sup>١٠٧</sup> وقيل<sup>١٠٨</sup> إن الجزية تؤخذ من سائر الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، لأن هذه الآية نزلت بعد الفراغ من قتال العرب المشركين، والشروع في

## تفسير السعدي

الكتاب في أخذ الجزية وإقرارهم في ديار المسلمين، المجوس، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ الجزية من مجوس هجر، ثم أخذها أمير المؤمنين عمر الجمهور الذين يقولون: لا تؤخذ الجزية إلا من أهل الكتاب، لأن الله لم يذكر أخذ الجزية إلا منهم. وأما غيرهم فلم يذكر إلا قتالهم حتى يسلموا، وألحق بأهل الإمام أو نائبه أن يعقدها لهم. وإلا بأن لم يفوا، ولم يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، لم يجز إقرارهم بالجزية، بل يقاتلون حتى يسلموا. واستدل بهذه الآية وقهرهم، وحال الأمن من شرهم وفتنتهم، واستسلموا للشروط التي أجراها عليهم المسلمون مما ينفي عزمهم وتكبرهم، ويوجب ذلهم وصغارهم، وجب على بها خادما ولا غيره، بل لا تقبل إلا من أيديهم، لوهم صاغرون. فإذا كانوا بهذه الحال، وسألوا المسلمين أن يقرؤهم بالجزية، وهم تحت أحكام المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وغيره، من أمراء المؤمنين. وقوله: «أعن يد أي» حتى يبذلوها في حال ذلهم، وعدم اقتدارهم، ويعطونها بأيديهم، فلا يرسلون قتالهم، وإقامتهم آمنين على أنفسهم وأموالهم، بين أظهر المسلمين، يؤخذ منهم كل عام، كل على حسب حاله، من غني وفقير ومتوسط، كما فعل ذلك إلى ما هم عليه، ويحصل الضرر الكثير منهم للناس، بسبب أنهم أهل كتاب. وغيب ذلك القتال لاحتى يعطوا الجزية أي المال الذي يكون جزاء لترك المسلمين قد شرعه الله، ثم غيره بشريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - فيبقى التمسك به بعد النسخ غير جائز. فأمره بقتال هؤلاء وحث على ذلك، لأنهم يدعون الحق أي لا يدينون بالدين الصحيح، وإن زعموا أنهم على دين، فإنه دين غير الحق، لأنه إما بين دين مبدل، وهو الذي لم يشرعه الله أصلا، وإما دين منسوخ بالله ولا باليوم الآخر. إيماننا صحيحا يصدقونه بأفعالهم وأعمالهم ولا يحرمون ما حرم الله، فلا يتبعون شرعه في تحريم المحرمات، ولا يدينون دين هذه الآية أمر بقتال الكفار من اليهود والنصارى من الذين لا يؤمنون

أن يسلط عليكم عباده المؤمنين. وأبشر الذين كفروا بعداب أليم أي مؤلم مفضل في الدنيا بالقتل والأسر، والجلاء، وفي الآخرة، بالنار، وبئس القرار. بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك فقال: «إن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله أي فائتيه، بل أنتم في قبضته، قادر بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة - يوم النحر - ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ثم رغب تعالى المشركين فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة. وحث بالناس أبو أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بريء ورسوله من المشركين، التسلط عليه من أرض الحجاز. نصر الله رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار. فأمر النبي مؤذنه الله به المؤمنين، من نصر دينه وإعلاء كلمته، وخذلان أعدائهم من المشركين الذين أخرجوا الرسول ومن معه من مكة، من بيت الله الحرام، وأجلوهم، مما لهم هذا ما وعد

قلوبهم، فتشابهت أقوالهم في البطلان. فقاتلهم الله أنى يؤفكون أي كيف يصرفون على الحق، الصرف الواضح المبين، إلى القول الباطل المبين. 30 من الكلام. ولهذا قال: «أيضا هونوا أي يشابهون في قولهم هذا أقول الذين كفروا من قبل أي قول المشركين الذين يقولون: «الملائكة بنات الله» تشابهت قالوه أقولهم بأفواههم لم يقيموا عليه حجة ولا برهانا. ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل، يحجزه، عما يريد عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة. وقالت النصارى المسيح عيسى ابن مريم ابن الله قال الله تعالى: «ذلك القول الذي أنزله ابن الله، أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حملة التوراة، وجدوا عزيزا بعد ذلك حافظا لها أو أكثرها، فأملأها على أن في اليهود من الخبث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرأوا فيها على الله، وتنقصوا عظمتهم وجلاله. وقد قيل: إن سبب ادعائهم في ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: «توقالت اليهود عزيز ابن الله» وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم

فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، والله تعالى العالي في أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس. 31 والدعاء، فنبذوا أمر الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا. تسبحانه وتعالى إنما يشركون أي تنزهه وتقديسه، وتعالى عظمتهم عن شركهم وافترائهم، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على السنة رسله فما أمروا إلا ليعبدوا إله واحد لا إله إلا هو. فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانا تعبد من دون الله، وتقصد بالذبائح، والدعاء والاستغاثة. أو المسيح ابن مريم اتخذوه إلهًا من دون الله، فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها. وكانوا أيضا يغفلون في مشايخهم عليه، فإن لذلك سببا وهو أنهم اتخذوا أحبارهم وعلماءهم أورهبانهم أي العباد المتجردين للعبادة. أربابا من دون الله يحلون لهم ما حرم الله وهذا - وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة، أن تتفق على قول - يدل على بطلانه أدنى تفكر وتسلط للعقل

من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: «أيأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون» وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئا. 32 الله إلا أن يتم نوره. لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلا. أو أيأبى ونور الله دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه الله نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصولوه، وإنما هو مجرد قول قالوه وافترأه أفتروه أخبر أنهم يريدون بهذا أن يطفئوا نور الله بأفواههم

فلما

## تفسير السعدي

وإن كره المشركون ذلك، وبغوا له الغوائل، ومكروا مكروهم، فإن المكر السيئ لا يضر إلا صاحبه، فوعد الله لا بد أن ينجزه، وما ضمنه لأبد أن يقوم به<sup>33</sup> والآخرة<sup>34</sup> فأرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون<sup>35</sup> أي<sup>36</sup> ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، والسيف والسنان، ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يصاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق النافع لودين الحق<sup>37</sup> الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمدا - صلى الله عليه وسلم - مشتتلا على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال<sup>38</sup> هو الذي أرسل رسوله بالهدى<sup>39</sup> الذي هو العلم

بمسكها عن النفقة الواجبة، كأن يمنع منها الزكاة أو النفقات الواجبة للزوجات، أو الأقارب، أو النفقة في سبيل الله إذا وجبت<sup>40</sup> لبشرهم بعذاب أليم<sup>41</sup> عن سبيل الله<sup>42</sup> أو الذين يكتزون الذهب والفضة<sup>43</sup> أي<sup>44</sup> يمسكونها أو لا ينفقونها في سبيل الله<sup>45</sup> أي<sup>46</sup> طرق الخير الموصلة إلى الله، وهذا هو الكنز المحرم، أن يعطوهم ليفتوهم أو يحكموا لهم بغير ما أنزل الله، فهؤلاء الأحرار والرهبان، ليحذر منهم هاتان الحالتان<sup>47</sup> أخذهم لأموال الناس بغير حق، وصددهم الناس فيكون أخذهم لها على هذا الوجه سحتا وظلما، فإن الناس ما بذلوا لهم من أموالهم إلا ليدلوهم إلى الطريق المستقيم<sup>48</sup> ومن أخذهم لأموال الناس بغير حق، رواتب من أموال الناس، أو بذل الناس لهم من أموالهم فإنه لأجل علمهم وعبادتهم، ولأجل هداهم وهدايتهم، وهؤلاء يأخذونها ويصدون الناس عن سبيل الله، المؤمنين عن كثير من الأحرار والرهبان، أي<sup>49</sup> العلماء والعباد الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، أي<sup>50</sup> بغير حق، ويصدون عن سبيل الله، فإنهم إذا كانت لهم هذا تحذير من الله تعالى لعباده

التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله<sup>51</sup> وإما أن يمسك ماله عن إخراجها في الواجبات، والنهي عن الشيء، أمر بضده<sup>52</sup> في ماله، وذلك بأحد أمرين<sup>53</sup> إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات لهذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون<sup>54</sup> فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز<sup>55</sup> وذكر الله في هاتين الآيتين، انحراف الإنسان على حدته<sup>56</sup> اقتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم<sup>57</sup> أي<sup>58</sup> يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخا ولوما<sup>59</sup> أي<sup>60</sup> يوم يحمى عليها<sup>61</sup> أي<sup>62</sup> على أموالهم، أي<sup>63</sup> نار جهنم فيحمى كل دينار أو درهم

في سرهم وعلنكم والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار، فإنه في هذه الحال، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين<sup>64</sup> على هذا الاحتمال بقوله<sup>65</sup> أو ما كان المؤمنون لينفروا كافة<sup>66</sup> الآية<sup>67</sup> أو أعلموا أن الله مع المتقين<sup>68</sup> أبعونه ونصره وتأييده، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله من الشر شيئا<sup>69</sup> ويحتمل أن أكافة<sup>70</sup> حال من الواو فيكون معنى هذا<sup>71</sup> وقتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفي على جميع المؤمنين<sup>72</sup> وقد نسخت برب العالمين<sup>73</sup> ولا تخصوا أحدا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألوهم من قال<sup>74</sup> إن تحريم القتال فيها منسوخ، أخذنا بعموم نحو قوله تعالى<sup>75</sup> وقتلوا المشركين كافة<sup>76</sup> أي<sup>77</sup> قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين غيرها<sup>78</sup> ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال<sup>79</sup> إن القتال في الأشهر الحرام لم ينسخ تحريمه عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها<sup>80</sup> ومنهم أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهى لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على منته بها، وتقييضا لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها<sup>81</sup> ويحتمل وذو الحجة، والمحرم، وسميت حرما لزيادة حرمتها، وتحريم القتال فيها<sup>82</sup> فلا تظلموا فيهن أنفسكم<sup>83</sup> يحتمل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهرا، وأن خلق السموات والأرض<sup>84</sup> وأجرى ليلها ونهارها، وقدر أوقاتها فقسما على هذه الشهور الاثني عشر شهرا<sup>85</sup> أي<sup>86</sup> أربعة حرم<sup>87</sup> وهي<sup>88</sup> رجب الفرد، وذو القعدة، يقول تعالى<sup>89</sup> إن عدة الشهور عند الله<sup>90</sup> أي<sup>91</sup> في قضاؤه وقدره<sup>92</sup> اثنا عشر شهرا<sup>93</sup> وهي هذه الشهور المعروفة أي<sup>94</sup> كتاب الله<sup>95</sup> أي<sup>96</sup> في حكمه القدري، أي<sup>97</sup> يوم

حسنة، بسبب العقيدة المزيينة في قلوبهم<sup>98</sup> أو الله لا يهدي القوم الكافرين<sup>99</sup> أي<sup>100</sup> الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا<sup>101</sup> عاما لبواطنوا عدة ما حرم الله<sup>102</sup> أي<sup>103</sup> ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرم الله<sup>104</sup> أي<sup>105</sup> زين لهم سوء أعمالهم<sup>106</sup> أي<sup>107</sup> زين لهم الشياطين الأعمال السيئة، فرأوها عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال<sup>108</sup> يضل به الذين كفروا يحلون ما يحرمونه ومنها<sup>109</sup> أي<sup>110</sup> أنهم موهوا على الله بزعمهم وعلى عبادته، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله<sup>111</sup> ومنها<sup>112</sup> أي<sup>113</sup> أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار منها<sup>114</sup> أي<sup>115</sup> أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه<sup>116</sup> أي<sup>117</sup> ومنها<sup>118</sup> أي<sup>119</sup> أنهم قبلوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا<sup>120</sup> ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حراما، فهذا - كما أخبر الله عنهم - أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المحاذير<sup>121</sup> - بأرائهم الفاسدة - أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال، في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا

النسيء<sup>122</sup>

الأنفس وتلد الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما أثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عد من أولي الألباب،<sup>123</sup> وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار<sup>124</sup> فبأي رأي رأيتم إثارتها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهي

## تفسير السعدي

- من أولها إلى آخرها - لا نسبة لها في الآخرة<sup>٣٩</sup> فما مقدار عمر الإنسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه متاع الحياة الدنيا<sup>٤٠</sup> التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة<sup>٤١</sup> إلا قليل<sup>٤٢</sup> أفليس قد جعل الله لكم عقولا تزنون بها الأمور، وأيهما أحق بالإيثارة<sup>٤٣</sup> أفليست الدنيا الأرض والدعة والسكون فيها<sup>٤٤</sup> أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة<sup>٤٥</sup> أي<sup>٤٦</sup> ما حالكم إلا حال من رضي بالدنيا وسعى لها ولم يبال بالآخرة، فكأنه ما آمن بها<sup>٤٧</sup> فما لأمر الله، والمصارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فلما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اناقلتم إلى الأرض<sup>٤٨</sup> أي<sup>٤٩</sup> تكاسلتم، وملتم إلى من التناقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى<sup>٥٠</sup> أيها الذين آمنوا<sup>٥١</sup> ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة في غزوة تبوك، إذ ندب النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حارا، والزاد قليلا، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين اعلم أن كثيرا من هذه السورة الكريمة، نزلت

بنصر دينه وإعلاء كلمته، فسواء امتثلتم لأمر الله، أو ألقيتموه، وراءكم ظهر<sup>٥٢</sup> أي<sup>٥٣</sup> الله على كل شيء قديرا<sup>٥٤</sup> لا يعجزه شيء أراد، ولا يغالبه أحد<sup>٥٥</sup> 39 حاله أن يتوعدة الله بالوعيد الشديد، فقال<sup>٥٦</sup> لا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم<sup>٥٧</sup> ثم لا يكونوا أمثالكم<sup>٥٨</sup> أولا تضروه شيئا<sup>٥٩</sup> فإنه تعالى متكفل عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فت في أعضاء من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا الشديدة، فإن المتخلف، قد عصى الله تعالى واركتب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على<sup>٦٠</sup> لا تنفروا يعذبكم عذابا أليما<sup>٦١</sup> في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار كثرت، لأن الإسلام لا يأمر بالخيانة وإنما يأمر بالوفاء<sup>٦٢</sup> لأن الله يحب المتقين<sup>٦٣</sup> الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي<sup>٦٤</sup> 40 المشركين<sup>٦٥</sup> واستمروا على عهدهم، ولم يجر منهم ما يوجب النقض، فلا نقضوكم شيئا، ولا عاونوا عليكم أحدا، فهؤلاء آمنوا لهم عهدهم إلى مدتهم، قلت، أو أي هذه البراءة التامة المطلقة من جميع المشركين<sup>٦٦</sup> إلا الذين عاهدتم من

وفيهما<sup>٦٧</sup> أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبء - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضاعف للقلب، موهن للعزيمة<sup>٦٨</sup> 40 على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته<sup>٦٩</sup> الكريمة، ولهذا عدا من أنكر صحبة أبي بكر للنبي - صلى الله عليه وسلم - كافرا، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها<sup>٧٠</sup> وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله أبي بكر الصديق بخصيصه لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، أحكيم<sup>٧١</sup> أي<sup>٧٢</sup> يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة الإلهية<sup>٧٣</sup> وفي هذه الآية الكريمة فضيلة يقوم الأشهداء<sup>٧٤</sup> أن جندنا لهم الغالبون<sup>٧٥</sup> أي<sup>٧٦</sup> الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر<sup>٧٧</sup> أي<sup>٧٨</sup> الله عزيزا وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله<sup>٧٩</sup> وكان حقا علينا نصر المؤمنين<sup>٨٠</sup> إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا<sup>٨١</sup> ثاني اثنين من هذا النوع<sup>٨٢</sup> وقوله<sup>٨٣</sup> وكلمة الله هي العليا<sup>٨٤</sup> أي<sup>٨٥</sup> كلماته القدسية لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم<sup>٨٦</sup> والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع شيئا منه<sup>٨٧</sup> ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين<sup>٨٨</sup> نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله في ظنهم على قتل الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا وهي الملائكة الكرام، الذين جعلهم الله حرسا له، لوجعل كلمة الذين كفروا السفلى<sup>٨٩</sup> أي<sup>٩٠</sup> الساقطة المخدولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، الله سكنته عليه<sup>٩١</sup> أي<sup>٩٢</sup> الثبات والطمأنينة، والسكون المثبتة للفؤاد، ولهذا لما قلق صاحبه سكنه وقال لا تحزن إن الله معنا<sup>٩٣</sup> أي<sup>٩٤</sup> أيده بجنود لم تروها<sup>٩٥</sup> يخطر على البال<sup>٩٦</sup> إذ يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -<sup>٩٧</sup> صاحبه<sup>٩٨</sup> أي<sup>٩٩</sup> بكر لما حزن واشتد قلقه، لا تحزن إن الله معنا<sup>١٠٠</sup> أي<sup>١٠١</sup> بعونه ونصره وتأنيده<sup>١٠٢</sup> أي<sup>١٠٣</sup> أنزل فيه ليبرد عنهما الطلب<sup>١٠٤</sup> أي<sup>١٠٥</sup> ففهما في تلك الحالة الحرجة الشديدة المشقة، حين انتشر الأعداء من كل جانب يطلبونهما ليقتلوهما، فأنزل الله عليهما من نصره ما لا فألجؤوه إلى أن يخرج<sup>١٠٦</sup> أي<sup>١٠٧</sup> اثنين<sup>١٠٨</sup> أي<sup>١٠٩</sup> هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه<sup>١١٠</sup> أي<sup>١١١</sup> هما في الغار<sup>١١٢</sup> أي<sup>١١٣</sup> لما هربا من مكة، لجأ إلى غار ثور في أسفل مكة، فمكتا فإله غني عنكم، لا تضرونه شيئا، فقد نصره في أقل ما يكون وأذلة<sup>١١٤</sup> أي<sup>١١٥</sup> أخرجه الذين كفروا<sup>١١٦</sup> أي<sup>١١٧</sup> من مكة لما هموا بقتله، وسعوا في ذلك، وحرصوا أشد الحرص، أي<sup>١١٨</sup> لا تنصروا رسوله محمدا - صلى الله عليه وسلم -

والمال، خير لكم من التقاعد عن ذلك، لأن فيه رضا الله تعالى، والفوز بالدرجات العاليات عنده، والنصر لدين الله، والدخول في جملة جنده وحزبه<sup>١١٩</sup> 41 أنه - كما يجب الجهاد في النفس - يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك<sup>١٢٠</sup> أي<sup>١٢١</sup> قال<sup>١٢٢</sup> أي<sup>١٢٣</sup> لكم خير لكم إن كنتم تعلمون<sup>١٢٤</sup> أي<sup>١٢٥</sup> أي<sup>١٢٦</sup> الجهاد في النفس وفي جميع الأحوال<sup>١٢٧</sup> أي<sup>١٢٨</sup> أوجهوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله<sup>١٢٩</sup> أي<sup>١٣٠</sup> أبذلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على يقول تعالى لعباده المؤمنين - مهيجا لهم على النفير في سبيله فقال<sup>١٣١</sup> أي<sup>١٣٢</sup> انفروا خفافا وثقالا<sup>١٣٣</sup> أي<sup>١٣٤</sup> في العسر واليسر، والمنشط والمكره، والحر والبرد، - صلى الله عليه وسلم - عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه الله على هذه المصارعة إلى عذرهم<sup>١٣٥</sup> 42 لكاذبون<sup>١٣٦</sup> وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك<sup>١٣٧</sup> أي<sup>١٣٨</sup> وأبدوا من الأعداء الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي أي<sup>١٣٩</sup> سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعذرا وأنهم لا يستطيعون ذلك<sup>١٤٠</sup> أي<sup>١٤١</sup> يهلكون أنفسهم<sup>١٤٢</sup> أي<sup>١٤٣</sup> بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع، والله يعلم إنهم

## تفسير السعدي

- بل العبد حقيقة هو المتعبد لربه في كل حال، القائم بالعبادة السهلة والشاقة، فهذا العبد لله على كل حال **﴿أَوْ سِيحِلْفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ لَعَدَمَ الْمَشَقَّةِ الْكَثِيرَةِ، وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ أَيْ طَالَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسَافَةُ، وَصَعِبَ عَلَيْهِمُ السَّفَرُ، فَلِذَلِكَ تَثَاقَلُوا عَنْكَ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ أَمَارَاتِ الْعِبَادَةِ، لَوْ كَانَ خُرُوجُهُمْ لَطَلَبَ الْعَرَضَ الْقَرِيبَ، أَيْ مَنْفَعَةَ دُنْيَوِيَّةَ سَهْلَةٍ التَّنَاولِ أَوْ كَانَ السَّفَرُ سَفَرًا قَاصِدًا أَيْ قَرِيبًا سَهْلًا لَا اتَّبَعُوا﴾**
- التخلف أحتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين **﴿بِأَن تَمْتَحِنَهُمْ، لِيَتَبَيَّنَ لَكَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، فَتَعْزُرَ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِزْرَ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّ ذَلِكَ﴾** 43
- يقول تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - **﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ أَيْ سَامَحَكَ وَغَفَرَ لَكَ مَا أَجْرَيْتَ أَلَمْ أَذْنَبْ لَهُمْ﴾** في
- عذر **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾** فيجازيهم على ما قاموا به من تقواه، ومن علمه بالمتقين، أنه أخبر، أن من علاماتهم، أنهم لا يستأذنون في ترك الجهاد **﴿44﴾**
- بأموالهم وأنفسهم، لأن ما معهم من الرغبة في الخير والإيمان، يحملهم على الجهاد من غير أن يحثهم عليه حاث، فضلا عن كونهم يستأذنون في تركه من غير ثم أخبر أن المؤمنين بالله واليوم الآخر، لا يستأذنون في ترك الجهاد
- فلذلك قلت رغبتهم في الخير، وجنبوا عن القتال، واحتاجوا أن يستأذنوا في ترك القتال **﴿لَهُمْ فِي رَبِّهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾** أي لا يزالون في الشك والحيرة **﴿45﴾**
- إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم **﴿أَيْ لَيْسَ لَهُمْ إِيْمَانٌ تَامٌ، وَلَا يَقِينٌ صَادِقٌ، وَحُثُّهُمْ عَلَى الْخُرُوجِ، وَجَعْلُهُمْ مُقْتَدِرِينَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ بِحُكْمَتِهِ مَا أَرَادَ إِعَانَتَهُمْ، بَلْ خَذَلَهُمْ وَثَبَطَهُمْ لَوْ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾** من النساء والمعزورين **﴿46﴾**
- ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج **﴿لَوْ لَكِنَّ اللَّهَ انْبَعَثَ مِنْكُمْ فِي الْخُرُوجِ لِلْغَزْوِ اقْشَبَهُمْ﴾** أقدرأ وقضاء، وإن كان قد أمرهم الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر **﴿لَوْ أَمَا هَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ فَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عِدَّةٌ﴾** أي لا استعدادا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب يقول تعالى مبينا أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن
- ولطفا من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم **﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾** فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفساد الناشئة من مخالطتهم **﴿47﴾**
- فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فله أتم الحكمة حيث ثبطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، **﴿أَيْ مُسْتَجِيبُونَ لِدَعْوَتِهِمْ يَغْتَرُونَ بِهِمْ، فَإِذَا كَانُوا هُمْ حَرِيسِينَ عَلَى خِذْلَانِكُمْ، وَإِلْقَاءِ الشَّرِّ بَيْنَكُمْ، وَتَثْبِيطَكُمْ عَنْ أَعْدَانِكُمْ، وَفِيكُمْ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُمْ وَيَسْتَنْصَحُهُمْ﴾**
- بينكم، وفرقوا جماعتكم المجتمعين، **﴿يُيْغَوْنَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾** أي هم حريصون على فتنتكم وإلقاء العداوة بينكم **﴿لَوْ فَيُكْمُ﴾** أناس ضعفاء العقول أشماعون لهم ثم ذكر الحكمة في ذلك فقال **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾** أي نقصا **﴿لَوْ لَوْ أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾** أي **﴿وَلَسَعُوا فِي الْفِتْنَةِ وَالشَّرِّ﴾**
- أمر الله وهم كارهون **﴿فَبَطَلَ كَيْدُهُمْ وَأَضْمَحَلْ بَاطِلُهُمْ، فَحَقِيقٌ بِمَثَلِ هَؤُلَاءِ أَنْ يَحْذَرَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يَبَالِيَ الْمُؤْمِنِينَ، بِتَخْلُفِهِمْ عَنْهُمْ﴾** 48
- المدنية، بذلوا الجهد، **﴿وَلَقَبَلُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾** أي أداروا الأفكار، وأعملوا الحيل في إبطال دعوتكم وخذلان دينكم، ولم يقصروا في ذلك، أحتى جاء الحق وظهر ثم ذكر أنه قد سبق لهم سوابق في الشر فقال **﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلِ أَيْ حِينَ هَاجَرْتُمْ إِلَى﴾**
- مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم الله بقوله **﴿وَأَنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾** ليس لهم عنها مفر ولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص **﴿49﴾**
- وفتنة عظمية محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، وكفا عن الشر **﴿قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَبِينًا كَذَبَ هَذَا الْقَوْلُ﴾** **﴿لَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾** فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن في التخلف مفسدة كبرى قال ذلك **﴿الْجِدُّ بْنُ قَيْسٍ﴾** ومقصوده - قبحه الله - الرياء والنفاق بأن مقصودي مقصود حسن، فإن في خروجي فتنة وتعرضا للشر، وفي عدم خروجي عافية في التخلف، ويعتذر بعذر آخر عجيب، فيقول **﴿أَذْنَبْتُ لِي﴾** في التخلف **﴿وَلَا تَفْتَنِي﴾** في الخروج، فإنني إذا خرجت، فرأيت نساء بين الأصفر لا أصبر عنهن، كما **﴿أَيْ وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمَنَافِقِينَ مَنْ يَسْتَأْذِنُ﴾**
- قبولها منهم **﴿وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ، دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ امْتَنَعَ مِنْ أَدَاءِ الصَّلَاةِ أَوْ الزَّكَاةِ، فَإِنَّهُ يِقَاتِلُ حَتَّى يُؤْدِيَهُمَا، كَمَا اسْتَدَلَّ بِذَلِكَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ﴾** 5
- سبيلهم **﴿أَيْ أَتْرَكُوهُمْ، وَلِيَكُونُوا مِثْلَكُمْ، لَهُمْ مَا لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْكُمْ﴾** **﴿لَنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** يغفر الشرك فما دونه، للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة، ثم تزالوا على هذا الأمر حتى يتوبوا من شركهم **﴿وَلِهَذَا قَالَ﴾** **﴿إِنْ تَابُوا﴾** من شركهم **﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾** أي أدوها بحقوقها **﴿وَأَتَوْا الزَّكَاةَ﴾** المستحقها **﴿فَخَلُوا﴾**
- الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون **﴿وَأَقْعَدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾** أي كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادهم وابدلوا غاية مجهودكم في ذلك، ولا أهلا لسكانها، ولا يستحقون منها شبرا، لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المنابذون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن يخلو الأرض من دينه، ويأبى مكان وزمان، **﴿وَأَخَذُوهُمْ﴾** أسرى **﴿وَأَحْصَرُوهُمْ﴾** أي ضيقوا عليهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها **﴿لِلَّهِ﴾** لعباده **﴿فَهَؤُلَاءِ لَيْسُوا﴾**
- قتال المشركين المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وتام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذمة **﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾** في أي يقول تعالى **﴿إِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحَرَامُ﴾** أي التي حرم فيها
- من قبل **﴿أَيْ﴾** قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة **﴿وَيُتَبَلَّوْا﴾** وهم فرحون **﴿فِيْفِرْحُونَ بِمَصِيبَتِكَ، وَبَعْدَ مَشَارَكَتِهِمْ إِيَّاكَ فِيهَا﴾** 50
- وإدالة على العدو **﴿سُؤُهُمْ﴾** أي تحزنهم وتغمهم **﴿وَأَنْ تَصْبِكَ مَصِيبَةٌ كَادَالَةَ الْعَدُوِّ عَلَيْكَ﴾** **﴿لَقَوْلُوا﴾** متبجحين بسلامتهم من الحضور معك **﴿لَقَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا﴾**
- يقول تعالى مبينا أن المنافقين هم الأعداء حقا، المبغضون للدين صرفا **﴿لَنْ تَصْبِكَ حَسَنَةً﴾** كنصر

## تفسير السعدي

مصلحتهم ودفع المضار عنهم، ويثقلوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل<sup>51</sup> متولي أمورنا الدينية والدينية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء<sup>52</sup> وأعلى الله وحده اقلية توكل المؤمنون<sup>53</sup> أي يعتمدوا عليه في جلب قال تعالى رادا عليهم في ذلك اقل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا<sup>54</sup> أي ما قدره وأجراه في اللوح المحفوظ<sup>55</sup> هو مولانا<sup>56</sup> أي

بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا، بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم<sup>57</sup> اقتربوا بنا الخير إنا معكم متربصون<sup>58</sup> بكم الشر<sup>59</sup> ونيل الثواب الآخروي والديني<sup>60</sup> وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنازل عند الله<sup>61</sup> وأما تربصنا بكم - يا معشر المنافقين - فنحن نتربص الذين يتربصون بكم الدوائر<sup>62</sup> أي شيء تربصون بنا<sup>63</sup> فإنكم لا تربصون بنا إلا أمرا فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسنيين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم أي قل للمنافقين

طوعا من أنفسكم أو كرها<sup>64</sup> على ذلك، بغير اختياركم<sup>65</sup> لأن يتقبل منكم شيء من أعمالكم<sup>66</sup> إنكم كنتم قوما فاسقين<sup>67</sup> خارجين عن طاعة الله . 53 يقول تعالى مبينا بطلان نفقات المنافقين، وذاكر السبب في ذلك اقل لهم أنفقوا

يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشراح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين<sup>68</sup> يفعلونها من ثقلها عليهم<sup>69</sup> ولا ينفقون إلا وهم كارهون<sup>70</sup> من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال<sup>71</sup> لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى<sup>72</sup> أي متثاقلون، لا يكادون ثم بين صفة فسقهم وأعمالهم، فقال<sup>73</sup> أو ما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله<sup>74</sup> والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم نصيب، فيوجب ذلك أن ينتقلوا من الدنيا<sup>75</sup> وتزهق أنفسهم وهم كافرون<sup>76</sup> فأى عقوبة أعظم من هذه العقوبة الموجبة للشقاء الدائم والحسرة الملازمة<sup>77</sup> حتى في الدنيا<sup>78</sup> ومن وبالها العظيم الخطر، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعداها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعبد البدن<sup>79</sup> فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي - لما ألهمتهم عن الله وذكره - صارت وبالا عليهم قدموها على مراضى ربهم، وعصوا الله لأجلها<sup>80</sup> إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا<sup>81</sup> والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي يقول تعالى فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتنا عليهم أن

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلة الجبن، وحلوا بحلية الكذب<sup>82</sup> وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم<sup>83</sup> فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرأوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب<sup>84</sup> لويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم أقصد<sup>85</sup>هم في حلفهم هذا أنهم أقوم يفرقون<sup>86</sup> أي يخافون الدوائر،

فيها أو مدخلا<sup>87</sup> أي محلا يدخلونه فيتحصنون فيه<sup>88</sup> ألوا إليه وهم يجمحون<sup>89</sup> أي يسرعون ويهرعون، فليس لهم ملكة، يقتدرون بها على الثبات<sup>90</sup> 57 ثم ذكر شدة جبنهم فقال<sup>91</sup> لو يجدون ملجأ<sup>92</sup> يلجأون إليه عندما تنزل بهم الشدائد، أو مغارات<sup>93</sup> يدخلونها فيستقرون

الفاقد، بل الذي ينبغي أن يكون هواه تبعا لمرضاة ربه، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم -<sup>94</sup> لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جنت به<sup>95</sup> يعطوا منها<sup>96</sup> القرآن أعطوا منها رضا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون<sup>97</sup> وهذه حالة لا تبغي للعبد أن يكون رضاء وغضبه، تابعا لهوى نفسه الديني وغرضه أي<sup>98</sup> ومن هؤلاء المنافقين من يعيبك في قسمة الصدقات، وينتقد عليك فيها، وليس انتقادهم فيها وعييبهم لقصد صحيح، ولا لرأي رجيح، وإنما مقصودهم أن

أي متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا، لسلما من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية، ثم بين تعالى كيفية قسمة الصدقات الواجبة 59 لوقالوا حسبنا الله<sup>100</sup> أي كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا<sup>101</sup> سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون<sup>102</sup> لولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله<sup>103</sup> أي أعطاهم من قليل وكثير<sup>104</sup>

الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم<sup>105</sup> أن القرآن مخلوق<sup>106</sup> وكمن الأدلة الدالة على بطلان هذا القول، ليس هذا محل ذكرها<sup>107</sup> 60 كلام الله<sup>108</sup> وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة فرما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمته أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع وينظر حالة الإسلام<sup>109</sup> فأجره حتى يسمع كلام الله<sup>110</sup> ثم إن أسلم، فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي<sup>111</sup> المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون، إذا اقتضت تقريب بعضهم جاز، بل وجب ذلك فقال<sup>112</sup> وإن أحد من المشركين استجارك<sup>113</sup> أي طلب منك أن تجيره، وتمنعه من الضرر، لأجل أن يسمع كلام الله، المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد<sup>114</sup> أما عما في جميع الأحوال، وفي كل الأشخاص منهم، ذكر تعالى، أن المصلحة لما كان ما تقدم من قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا

زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية<sup>115</sup> 60 من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصة في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء لعلمه وحكمه<sup>116</sup> والله عليهم حكيم<sup>117</sup> وأعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين<sup>118</sup> أحدهما<sup>119</sup> من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما<sup>120</sup> والثاني<sup>121</sup> به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم<sup>122</sup> اقربضة من الله<sup>123</sup> فرضها وقدرها، تابعة

## تفسير السعدي

لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله<sup>٦١</sup> وقالوا أيضاً<sup>٦٢</sup> يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، وفيه نظراً<sup>٦٣</sup> والثامن<sup>٦٤</sup> ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعيله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه<sup>٦٥</sup> وقال كثير من الفقهاء<sup>٦٦</sup> إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، ثم أعسر، فإنه يعطى ما يوفى به دينه<sup>٦٧</sup> والسابع<sup>٦٨</sup> الغازي في سبيل الله، وهم<sup>٦٩</sup> الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، الرجل للإصلاح بينهم بمال يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى لعزمه، فيعطى ولو كان غنياً<sup>٧٠</sup> والثاني<sup>٧١</sup> من غرم لنفسه في قوله<sup>٧٢</sup> وفي الرقاب<sup>٧٣</sup> السادس<sup>٧٤</sup> الغارمون، وهم قسمان<sup>٧٥</sup> أحدهما<sup>٧٦</sup> الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى، ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالاً، لدخوله ما يحصل به التأليف والمصلحة<sup>٧٧</sup> الخامس<sup>٧٨</sup> الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون قلبه<sup>٧٩</sup> هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها<sup>٨٠</sup> والرابع<sup>٨١</sup> المؤلف قلوبهم، والمؤلف تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنياً، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم<sup>٨٢</sup> والثالث<sup>٨٣</sup> العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئاً، أو يجد بعض كفايته دون نصفها<sup>٨٤</sup> والمسكين<sup>٨٥</sup> الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف<sup>٨٦</sup> الأول والثاني<sup>٨٧</sup> الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، يقول تعالى<sup>٨٨</sup> إنما الصدقات<sup>٨٩</sup> أي<sup>٩٠</sup> الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد<sup>٩١</sup> أي<sup>٩٢</sup> إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون

وآخرتهم، والذين يؤذون رسول الله<sup>٩٣</sup> بالقول أو الفعل<sup>٩٤</sup> لهم عذاب أليم<sup>٩٥</sup> في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمته<sup>٩٦</sup> 61 وعدم صدقهم، أو رحمة للذين آمنوا منكم<sup>٩٧</sup> فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون<sup>٩٨</sup> وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فخسروا دنياهم ما في قلبه ورأيه، فقال عنه<sup>٩٩</sup> يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين<sup>١٠٠</sup> الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتناله لأمر الله في قوله<sup>١٠١</sup> سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس<sup>١٠٢</sup> وأما حقيقة ولهذا قال تعالى<sup>١٠٣</sup> قل<sup>١٠٤</sup> أذن خير لكم<sup>١٠٥</sup> أي<sup>١٠٦</sup> يقبل من قال له خيراً وصدقاً<sup>١٠٧</sup> وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعذار الكذب، فلسعة ومنها<sup>١٠٨</sup> قدحهم في عقل النبي - صلى الله عليه وسلم - وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلاً، وأنتمهم إدراكاً، وأنقبتهم رأياً وبصيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة<sup>١٠٩</sup> ومنها<sup>١١٠</sup> عدم اهتمامهم أيضاً بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية<sup>١١١</sup> بينهم، أنهم غير مكثرئين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل<sup>١١٢</sup> فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، للنبي، ويقولون<sup>١١٣</sup> إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي<sup>١١٤</sup> يقل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم - قبحهم الله - فيما أي<sup>١١٥</sup> ومن هؤلاء المنافقين الذين يؤذون النبي<sup>١١٦</sup> بالأقوال الردية، والعيب له ولدينه، أو يقولون هو أذن<sup>١١٧</sup> أي<sup>١١٨</sup> لا يبالون بما يقولون من الأذية أن يرضوه إن كانوا مؤمنين<sup>١١٩</sup> لأن المؤمن لا يقدم شيئاً على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله<sup>١٢٠</sup> 62 يحلفون بالله لكم ليرضوكم<sup>١٢١</sup> فيتبرأوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايبتهم أن ترضوا عليهم<sup>١٢٢</sup> والله ورسوله أحق جهم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم<sup>١٢٣</sup> الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عياذاً بالله من أحوالهم<sup>١٢٤</sup> 63 حاده بقوله<sup>١٢٥</sup> ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله<sup>١٢٦</sup> أي<sup>١٢٧</sup> يكون في حد وشق مبعد عن الله ورسوله بأن تهاون بأوامر الله، وتجراً على محارمه<sup>١٢٨</sup> فإن له نار وهذا محادة لله ومشاقة له، وقد تواعد من

أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية<sup>١٢٩</sup> لأن الله مخرج ما تحذرون<sup>١٣٠</sup> وقد وفى تعالى بوعده، فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم، وهتكت أستارهم<sup>١٣١</sup> 64 تنبئهم بما في قلوبهم<sup>١٣٢</sup> أي<sup>١٣٣</sup> تخبرهم وتفضحهم، وتبين أسرارهم، حتى تكون علانية لعباده، ويكونوا عبرة للمعتبرين<sup>١٣٤</sup> قل<sup>١٣٥</sup> استهزئوا أي<sup>١٣٦</sup> استمروا على ما في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً<sup>١٣٧</sup> وقال هنا يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة إلي يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف<sup>١٣٨</sup> قال الله تعالى<sup>١٣٩</sup> لن<sup>١٤٠</sup> لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون لفائدتين<sup>١٤١</sup> أحدهما<sup>١٤٢</sup> أن الله ستيّر يحب الستر على عباده<sup>١٤٣</sup> والثانية<sup>١٤٤</sup> أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم الكريمة تسمى<sup>١٤٥</sup> الفاضحة<sup>١٤٦</sup> لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول<sup>١٤٧</sup> ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم كانت هذه السورة

سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب، وإن كان عظيماً<sup>١٤٨</sup> 65 التي يمكر فيها دينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة<sup>١٤٩</sup> وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو أعذب طائفة<sup>١٥٠</sup> منكم<sup>١٥١</sup> بأنهم يسبب أنهم كانوا مجرمين<sup>١٥٢</sup> مقيمين على كفرهم ونفاقهم<sup>١٥٣</sup> وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة على قوله<sup>١٥٤</sup> بالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون<sup>١٥٥</sup> لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم<sup>١٥٦</sup> وقوله<sup>١٥٧</sup> إن نفع عن طائفة منكم<sup>١٥٨</sup> لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة<sup>١٥٩</sup> ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم

## تفسير السعدي

كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم ونلعب أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب قال الله تعالى - مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك - **﴿أَقْلَهُ لَهُمُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولَهُ أَلَسْنَا وَاجِبِينَ عِنْدَ اللّٰقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ﴾** ولما بلغهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون **﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ الْمُسْلِمِينَ وَفِي دِينِهِمْ، يَقُولُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لَمَّا رَأَيْنَا مِثْلَ قِرَائِنَا هَؤُلَاءِ - يَعْنُونَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابَهُ - أَرْغَبَ بَطُونًا، وَأَكْذَبَ تَفْسِيرَ الْآيَتَيْنِ 65 و 66 :-** أولئن سألتهم عما قالوه من الطعن في

سنة رسوله الثابتة عنه، أو سخر بذلك، أو تنقصه، أو استهزأ بالرسول أو تنقصه، فإنه كافر بالله العظيم، وأن التوبة مقبولة من كل ذنب، وإن كان عظيماً 66 التي يمكر فيها دينه، ويستهزئ به وبآياته ورسوله، فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها، ويعاقبه أشد العقوبة وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو أغضب طائفةً منكم إيانهم بسبب أنهم كانوا مجرمين أمقيمين على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة، خصوصاً السريرة على قوله **﴿أَلَا بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** وقوله إن نفع عن طائفة منكم لتوبتهم واستغفارهم وندمهم، دينه ورسوله، والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل، ومناقض له أشد المناقضة ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة، والرسول لا يزيدهم كنتم تستهزون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم ونلعب أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به، ولا قصدنا الطعن والعيب قال الله تعالى - مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك - **﴿أَقْلَهُ لَهُمُ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولَهُ أَلَسْنَا وَاجِبِينَ عِنْدَ اللّٰقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ﴾** ولما بلغهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد علم بكلامهم، جاءوا يعتذرون إليه ويقولون **﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ الْمُسْلِمِينَ وَفِي دِينِهِمْ، يَقُولُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ لَمَّا رَأَيْنَا مِثْلَ قِرَائِنَا هَؤُلَاءِ - يَعْنُونَ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابَهُ - أَرْغَبَ بَطُونًا، وَأَكْذَبَ تَفْسِيرَ الْآيَتَيْنِ 65 و 66 :-** أولئن سألتهم عما قالوه من الطعن في

لأن فسقهم أعظم من فسق غيرهم، بدليل أن عذابهم أشد من عذاب غيرهم، وأن المؤمنين قد ابتلوا بهم، إذ كانوا بين أظهرهم، والاحتراز منهم شديداً 67 رحمته، فلا يوفقهم لخير، ولا يدخلهم الجنة، بل يتركهم في الدرك الأسفل من النار، خالدين فيها مخلصين إلا أن المنافقين هم الفاسقون أحصر الفسق فيهم، والأعمال الصالحة، والآداب الحسنة لا يقبضون أيديهم عن الصدقة وطرق الإحسان، فوصفهم بالخل لا يسوا الله فلا يذكرونه إلا قليلاً، إقنسيهم من الذي لا يخرج منه صغير منهم ولا كبير، فقال **﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَهُوَ الْكَفَرُ وَالْفُسُوقُ وَالْعِصْيَانُ﴾** أي يهتدون عن المعروف وهو الإيمان، والأخلاق الفاضلة، والمنافقات بعضهم من بعض لأنهم اشتركوا في النفاق، فاشتركوا في تولي بعضهم بعضاً، وفي هذا قطع للمؤمنين من ولايتهم ثم ذكر وصف المنافقين العام، يقول تعالى **﴿الْمُنافِقُونَ**

الله ولهم عذاب مقيم﴾ جمع المنافقين والكفار في النار، واللجنة والخلود في ذلك، لاجتماعهم في الدنيا على الكفر، والمعاداة لله ورسوله، والكفر بآياته 68 **﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنُهُمْ**

الله ليظلمهم﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع أولئك كانوا أنفسهم يظلمون حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيداً 69 به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل قوله **﴿قُلْ مَا كَانَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَإِهْلَاكِ مَا اسْتَحَقَّ مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا كُفْلَهُمْ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَهُمْ وَإِنْ اسْتَمْتَعُوا بِنُصَيْبِهِمْ وَمَا خَلَوْا مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعَانَةِ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا، أَيْ﴾** وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي الله، ولم تعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه المكذبة أقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أي قري قوم لوط فكلهم أئنتهم رسلهم بالبينات أي بالحق الواضح الجلي، تفسير الآيتين 69 و 70 :- قول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم

الحرام فإن لهم في العهد وخصوصاً في هذا المكان الفاضل حرمة، أوجب أن يراعوا فيها أقما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين 71 أما سعوا في الأرض فساداً فيحق عليهم أن يتبرأ الله منهم، وأن لا يكون لهم عهد عنده ولا عند رسوله إلا الذين عاهدتم من المشركين عند المسجد كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله أهل قاموا بواجب الإيمان، أم تركوا رسول الله والمؤمنين من أذيتهم؟ أم حاربوا الحق ونصروا الباطل؟ هذا بيان للحكمة الموجبة لأن يتبرأ الله ورسوله من المشركين، فقال

الله ليظلمهم﴾ إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع أولئك كانوا أنفسهم يظلمون حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيداً 70 به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل قوله **﴿قُلْ مَا كَانَ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَإِهْلَاكِ مَا اسْتَحَقَّ مِنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ فَعَلُوا كُفْلَهُمْ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَهُمْ وَإِنْ اسْتَمْتَعُوا بِنُصَيْبِهِمْ وَمَا خَلَوْا مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّهُ عَلَى وَجْهِ الاسْتِعَانَةِ وَخَضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا، أَيْ﴾** وخضتم بالباطل والزور وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي الله، ولم تعد همتكم وإرادتكم ما خولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم



## تفسير السعدي

المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي بنصيبكم من الدنيا فتناولتموه المكذبة قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أي قري قوم لوطاً فكلهم أنتهم رسلهم بالبينات أي بالحق الواضح الجلي، تفسير الآيتين 69 و 70 :- قول تعالى محذرا المنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم

ويشملهم بإحسانه لأن الله عزيز حكيم أي قوي قاهر، ومع قوته فهو حكيم، يضع كل شيء موضعه اللائق به الذي يحمد على ما خلقه وأمر به 71 الخبيثة، والأخلاق الرذيلة التي يطيعون الله ورسوله أي لا يزالون ملازمين لطاعة الله ورسوله على الدوام أولئك سيرحهم الله أي يدخلهم في رحمته، الصالحة، والأخلاق الفاضلة، وأول من يدخل في أمرهم أنفسهم، لو ينفون عن المنكر وهو كل ما خالف المعروف وناقضه من العقائد الباطلة، والأعمال إبعثهم أولياء بعض في المحبة والموالة، والانتماء والنصرة أي يأمرون بالمعروف وهو اسم جامع، لكل ما عرف حسنه، من العقائد الحسنة، والأعمال بعضهم أولياء بعض ذكر أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض، ووصفهم بضد ما وصف به المنافقين، فقال أو المؤمنون والمؤمنات أي ذكروهم وإناتهم لما ذكر أن المنافقين

هو الفوز العظيم حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده 72 إلا برؤية ربهم ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسموات، أكبر من نعيم الجنات ذلك في جنات عدن، أي إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها أو رضوان من الله أي يحله على أهل الجنة أكبر مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطف بربى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلا، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوقه المتمنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفا في غاية الصفاء والحسن، من الخيرات والبركات إلا الله تعالى الخالدين فيها لا ييغون عنها حولا أو مساكن طيبة في جنات عدن قد زخرت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبساتين الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب فقال أوعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار

الإسلام، ومساوي الشوك والكفر، فهذا ما لهم في الدنيا أو أما في الآخرة، فلهما وأهم جهنم أي مقرهم الذي لا يخرجون منها لو بنس المصير 73 فمن بارز منهم بالمحاربة فيجاهد باليد، واللسان والسيف والبيان ومن كان مدعنا للإسلام بذمة أو عهد، فإنه يجاهد بالحجة والبرهان ويبين له محاسن الكفار والمنافقين أي بالغ في جهادهم والغلبة عليهم حيث اقتضت الحال الغلبة عليهم وهذا الجهاد يدخل فيه الجهاد باليد، والجهاد بالحجة واللسان، يقول تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - يا أيها النبي جاهد

أمورهم، ويحصل لهم المطلوب أولا نصيرا يدفع عنهم المكروه، وإذا انقطعوا من ولاية الله تعالى، فثم أصناف الشر والخسران، والشقاء والحرمان 74 من الهم والغم والحزن على نصرة الله لدينه، وإعزاز نبيه، وعدم حصولهم على مطلوبهم، وفي الآخرة، في عذاب السعير أو ما لهم في الأرض من ولي يتولى بك خيرا لهم لأن التوبة، أصل لسعادة الدنيا والآخرة أو إن يتولوا عن التوبة والإنابة يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة في الدنيا بما ينالهم الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه أو اجتمع الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية ثم عرض عليهم التوبة فقال أو إن يتوبوا الله ورسوله من فضله بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سببا لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومغنيا لهم بعد غزوة تبوك، فقض الله عليهم نأهم، فأمر من يصدهم عن قصدهم أو الحال أنهم لما نقموا وعابوا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا أن أغناهم من دائرة الكفر - فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر أو هموا بما لم ينالوا وذلك حين هموا بالفتك برسول الله - صلى الله عليه وسلم - في من ذلك، جاءوا إليه يحلفون بالله ما قالوا أو قال تعالى مكذبا لهم أو لقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم أو إسلامهم السابق - وإن كان ظاهره أنه أخرجهم الأعز منها الأذل أو الكلام الذي يتكلم به الواحد بعد الواحد، في الاستهزاء بالدين، وبالرسول أو إذا بلغهم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بلغه شيء يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر أي إذا قالوا قولا كقول من قال منهم ليخرجن

الدنيا فبسطها لنا ووسعها لنصدقن ولنكونن من الصالحين أو فنصل الرحم، ونقري الضيف، ونعين على نوائب الحق، ونفعل الأفعال الحسنة الصالحة 75 أي ومن هؤلاء المنافقين من أعطى الله عهده وميثاقه أن آتانا من فضله من

قلما آتاهم من فضله لم يفوا بما قالوا، بل إخلوا به وتولوا عن الطاعة والانقياد أو هم معرضون أي غير ملتفتين إلى الخير 76

وعد أخلفا فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهده، لن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف 77 بالنفاق كما عاقب هؤلاء وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الثابت في الصحيحين الآية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وبما كانوا يكذبون فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفي بذلك، فإنه ربما عاقبه الله فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم فأعقبهم نفاقا في قلوبهم أو مستمرا إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه

وسلم - ثم جاء بها لأبي بكر بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فلم يقبلها، ثم جاء بها بعد أبي بكر لعمر فلم يقبلها، فيقال إنه هلك في زمن عثمان 78 فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثلاثا فلما نزلت هذه الآية فيه، وفي أمثاله، ذهب بها بعض أهله فبلغه إياها، فجاء بزكاته، فلم يقبلها النبي - صلى الله عليه وسلم -

## تفسير السعدي

يأخذ الصدقات من أهلها، فمروا على ثعلبة، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، فلما لم يعطهم جاءوا فأخبروا بذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أبعد، فكان لا يحضر إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت فأبعد بها، فكان لا يحضر جمعة ولا جماعة، ففقدته النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبر بحاله، فبعث من على النواصب، فدعا له النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكان له غنم، فلم تزل تتنامى، حتى خرج بها عن المدينة، فكان لا يحضر إلا بعض الصلوات الخمس، يقال له ثعلبة: جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وسأله أن يدعو الله له، أن يعطيه الله من فضله، وأنه إن أعطاه، ليتصدقن، ويصل الرحم، ويعين أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب، وسيجازيهم على ما عملوا من الأعمال التي يعلمها الله تعالى، وهذه الآيات نزلت في رجل من المنافقين ولهذا توعده من صدر منهم هذا الصنيع، بقوله: ألم يعلموا

إليه أقمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، وفي هذا القول من التثبيط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم، 79 عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله - وإن كان غنيا عنهم - فهم فقراء على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟ ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: الله غني عن صدقة هذا، كلام مقصوده باطل، فإن الله غني إعانته، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تثبيطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه، ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح، ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي هو الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم، ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين، ومنها: أن اللز محرم، بل عذاب أليم، فإنهم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير، منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: إن لا يجدون إلا جهدهم، فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم، فيسخرهم الله على صنيعهم بأن سخر الله منهم ولهم الله تعالى، الذين يلمزون أي: يعيبون ويطنعون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، فيقولون: مراءون، قصدهم الفخر والرياء، أو يلمزون الذين على حسب حاله، منهم المكث، ومنهم المقل، فيلمزون المكث منهم، بأن قصده بنفقتة الرياء والسمعة، وقالوا للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأزله من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا، إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا، فلما حث الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل وهذا أيضا من مخازي المنافقين، فكانوا - قبحهم الله - لا يدعون شيئا

فإنهم يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم، الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقا، المبغضون لكم صدقا، أو أكثرهم فاسقون، لا ديانة لهم ولا مروءة، 80 أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون الله فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا، ولا يغرنكم منهم ما يعملونكم به وقت الخوف منكم، أي: كيف يكون للمشركين عند الله عهد وميثاق أو الحال أنهم لو أن يظهروا عليكم بالقدر والسلطة، لا يرحمكم، ولا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة، صار الفسق لهم وصفا، بحيث لا يختارون عليه سواه ولا يغيثون به بدلا، يأتيهم الحق الواضح فيردونه، فيعاقبهم الله تعالى بأن لا يوفقهم له بعد ذلك، 80 المانع لمغفرة الله لهم فقال: ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والكافر لا ينفعه الاستغفار ولا العمل ما دام كافرا، أو الله لا يهدي القوم الفاسقين، أي: الذين المبالغة، وإلا، فلا مفهوم لها، قلن: يغفر الله لهم، كما قال في الآية الأخرى: أسوء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم، ثم ذكر السبب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة، على وجه

قال: قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون، لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة، 81 على الراحة الأبدية التامة، وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهب البكر والاصل، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية، ولهذا من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه، أو قالوا: أي: المنافقون لا تنفروا في الحر، أي: قالوا إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية إذا تخلفوا - ولو لعذر - حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويحبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به، أو كرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وهذا بخلاف المؤمنين الذين بتخلفهم وعدم مبالاهم بذلك، الدال على عدم الإيمان، واختيار الكفر على الإيمان، أقرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، وهذا قدر زائد على مجرد يقول تعالى مبينا تبجح المنافقين

الدار المنقضية، ويفرحوا بذلتها، ويلهوا بلعبها، فسيكون كثيرا في عذاب أليم، أجزاء بما كانوا يكسبون، من الكفر والنفاق، وعدم الانقياد لأوامر ربهم، 82 قال الله تعالى: قل ليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا، أي: فليتمتعوا في هذه فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخا لهم، وعارا عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعلهم، 83 وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة، فإن المتثاقل المتخلف عن الأمور به عند انتهاز الفرصة، لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه وفيه أيضا تعزير لهم، تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا، فسيغني الله عنكم، أنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين، وهذا كما قال تعالى: لو نقلب أفئدتهم إلى طائفة منهم، وهم الذين تخلفوا من غير عذر، ولم يحزنوا على تخلفهم، أو استأذنوك للخروج، الغير هذه الغزوة، إذا رأوا السهولة، قلل لهم عقوبة، إن رجعت الله

للدعاء لهم، كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقدرا في المؤمنين، 84

## تفسير السعدي

وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلح عليه ولا وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم لا تنفع فيهم الشفاعة إلا أنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ومن كان كافرا ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعة الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، تعالى لا تصل على أحد منهم مات أبدا من المنافقين ولا تقم على قبره بعد الدفن لتدعو له، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعة منه لهم، وهم يقول

الآخرة، حتى ينتقلوا من الدنيا أو تزهد أنفسهم وهم كافرون قد سلبهم حبها عن كل شيء، فماتوا وقلوبهم بها متعلقة، وأفندتهم عليها متحرقة 85  
الله أن يعذبهم بها في الدنيا فينتعبون في تحصيلها، ويخافون من زوالها، ولا يتهننون بها بل لا يزالون يعانون الشدائد والمشاق فيها، وتلهيهم عن الله والدار أي لا تغتر بما أعطاهم الله في الدنيا من الأموال والأولاد، فليس ذلك لكرامتهم عليه، وإنما ذلك إهانة منه لهم إنما يريد يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاسل والاستئذان في القعود وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين 86  
فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله استأذناك أولوا الطول منهم يعني أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات أو إذا أنزلت سورة يؤمنون فيها إرادة لفعل ما فيه الخير والفلاح فهم لا يفقهون مصالحهم، فلو فقهوا حقيقة الفقه، لم يرضوا لأنفسهم بهذه الحال التي تحطهم عن منازل الرجال 87  
أي كيف رضوا لأنفسهم أن يكونوا مع النساء المتخلفات عن الجهاد، هل معهم فقه أو عقل دلهم على ذلك أم طبع الله على قلوبهم فلا تعي الخير، ولا يكون قال تعالى لرضوا بأن يكونوا مع الخوالف

بل هم فرحون مستبشرون، وأولئك لهم الخيرات الكثيرة في الدنيا والآخرة، وأولئك هم المفلحون الذين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب 88  
اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم غير متثاقلين ولا كسلين، يقول تعالى إذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فالله سيغني عنهم، ولله عباد وخواص من خلقه  
أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا وقوله إن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين 89  
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم أفتبا لمن لم يرغب بما رغبو فيه، وخسر دينه ودنياه وأخراه، وهذا نظير قوله تعالى أقل آمنوا به أعد الله لهم جنات

وبهم عرف دين الإسلام وشرائع الدين اللهم اجعلنا من القوم الذين يعلمون، ويعملون بما يعلمون، برحمتك وجودك وكرمك وإحسانك يا رب العالمين 90  
منها ما وضع، أحكاما وحكما، وحكمة قال أن فصل الآيات أي نوضحها ونميزها القوم يعلمون فإليهم سياق الكلام، وبهم تعرف الآيات والأحكام، في الدين وتنافسوا تلك العداوة إذ كانوا مشركين لتكونوا عباد الله المخلصين، وبهذا يكون العبد عبدا حقيقة لما بين من أحكامه العظيمة ما بين، ووضح بهما، حيثما مال الهوى، وتتبعون فيهما النفس الأمارة بالسوء، ولهذا فإن تابوا عن شركهم، ورجعوا إلى الإيمان وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم عن دينكم، وانصروه واتخذوا من عاداهم عدوا ومن نصره لكم وليا، واجعلوا الحكم يدور مع وجودا وعدما، لا تجعلوا الولاية والعداوة، طبيعية تملكون إلا ولا ذمة أي لا أجل عداوتهم للإيمان إلا ولا ذمة أي لا أجل عداوتهم للإيمان وأهله فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويبغضونكم، هو الإيمان، فذبوا في الدنيا على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله قصدوا بأنفسهم، وصدوا غيرهم عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن تفسير الآيات من 9 إلى 11: اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا أي اختاروا الحظ العاجل الخسيس

ورسوله في دعواهم الإيمان، المقتضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة 90  
أن معنى قوله المعذرون أي الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر أو فقد الذين كذبوا الله في الاعتذار لجفائهم وعدم حيائهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف وأما الذين كذبوا الله ورسوله منهم، ففقدوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل يقول تعالى أو جاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم أي جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مباينين المسيء - كالمفرط، أن عليه الضمان أو الله غفور رحيم أو من مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأتابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين 91  
أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن - وهو توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه ويستبدل بهذه الآية على قاعدة وهي أن من أحسن على غيره، في نفسه على الجهاد إنما على المحسنين من سبيل أي من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد - أسقطوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع والفالج، وغير ذلك ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون أي لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا الخروج والقتال ولا على المرضى وهذا شامل لجميع أنواع المرض الذي لا يقدر صاحبه معه على الخروج والجهاد، من عرج، وعمى، وذات الجنب، والمعذرين، وكانوا على قسمين، قسم معذور في الشرع، وقسم غير معذور، ذكر ذلك بقوله ليس على الضعفاء في أبدانهم وأبصارهم، الذين لا قوة لهم على لما ذكر

## تفسير السعدي

سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترب بنيتة الجازمة سعي فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام<sup>92</sup> تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون<sup>93</sup> فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشفقة ما ذكره الله عنهم<sup>94</sup> فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا وُلا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم فلم يصادفوا عندك شيئا فقلت لهم معذرتهم<sup>95</sup> ألا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم

لأن الله طبع على قلوبهم أي<sup>96</sup> ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدنيوية، إهم لا يعلمون عقوبة لهم، على ما اقتروا<sup>97</sup> قادرين على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء أضوا لأنفسهم ومن دينهم<sup>98</sup> إن يكونوا مع الخوالف والنساء والأطفال ونحوهم<sup>99</sup> وإنما رضوا بهذه الحال إنما السبيل<sup>100</sup> يتوجه واللوم يتناول الذين يستأذنونك وهم أغنياء

والتعزير الفعلي على ذنبهم، وإما أن يعرض عنهم، ولا يقابلوا بما فعلوا بالعقوبة الفعلية، وهذه الحال الثالثة هي التي أمر الله بها في حق المنافقين<sup>101</sup> 94 لم يذنب<sup>102</sup> فهذه الحالة هي المذكورة هنا في حق المنافقين، أن عذرهم غير مقبول، وأنه قد تقرر أحوالهم الخبيثة وأعمالهم السيئة، وإما أن يعاقبوا بالعقوبة أو بفضل، من غير أن يظلمكم مثقال ذرة<sup>103</sup> وأعلم أن المسيء المذنب له ثلاث حالات<sup>104</sup> إما أن يقبل قوله وعذره، ظاهرا وباطنا، ويعفى عنه بحيث يبقى كأنه دلالة فيها على شيء من ذلك<sup>105</sup> ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة<sup>106</sup> الذي لا تخفى عليه خافية، إقينكم بما كنتم تعملون<sup>107</sup> من خير وشر، ويجازيكم بعده فيما يخالف خبر الله الذي هو أعلى مراتب الصدق<sup>108</sup> وأسيرى الله عملكم ورسوله<sup>109</sup> في الدنيا، لأن العمل هو ميزان الصدق من الكذب، وأما مجرد الأقوال، فلا الكاذب<sup>110</sup> لقد نبأنا الله من أخباركم<sup>111</sup> وهو الصادق في قوله، فلم يبق للاعتذار فائدة، لأنهم يعتذرون بخلاف ما أخبر الله عنهم، ومحال أن يكونوا صادقين وأنهم لا عذر لهم، أخبر أنهم س- يعتذرون إليكم إذا رجعت إليهم<sup>112</sup> من غراتكم<sup>113</sup> قل لهم لا تعتذروا لن نؤمن لكم<sup>114</sup> أي لن نصدقكم في اعتذاركم لما ذكر تخلف المنافقين الأغنياء،

إنهم رجس<sup>115</sup> أي<sup>116</sup> إنهم قدر خبثاء، ليسوا بأهل لأن يبالى بهم، وليس التوبيخ والعقوبة مفيدا فيهم، أو تكفيهم عقوبة جهنم جزاء بما كانوا يكسبون<sup>117</sup> 95 أسحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم<sup>118</sup> أي لا توبخوهم، ولا تجلدوهم أو تقتلوه<sup>119</sup>

هذا، وفي قوله<sup>120</sup> وأسيرى الله عملكم ورسوله<sup>121</sup> أخبر أنه سيراه بعد وقوعه، وفيها إثبات الرضا لله عن المحسنين، والغضب والسخط على الفاسقين<sup>122</sup> 96 والرجس، وفي هذه الآيات، إثبات الكلام لله تعالى في قوله<sup>123</sup> لقد نبأنا الله من أخباركم<sup>124</sup> وإثبات الأفعال الاختيارية لله، الواقعة بمشيئته تعالى وقدرته في وترضوا وتقبلوا عذرهم، فأما قبول العذر منهم والرضا عنهم، فلا حبا ولا كرامة لهم<sup>125</sup> وأما الإعراض عنهم، فيعرض المؤمنون عنهم، إعراضهم عن الأمور الردية الله أن المنافقين المتخلفين عن الجهاد من غير عذر، إذا اعتذروا للمؤمنين، وزعموا أن لهم أعذارا في تخلفهم، فإن المنافقين يريدون بذلك أن تعرضوا عنهم، يرضى عليهم، لوجود المانع من رضاه، وهو خروجهم عن ما رضى الله لهم من الإيمان والطاعة، إلى ما يغضبه من الشرك، والنفاق، والمعاصي<sup>126</sup> وحاصل ما ذكره لا يرضى عنهم<sup>127</sup> ليدل ذلك على أن باب التوبة مفتوح، وأنهم مهما تابوا هم أو غيرهم، فإن الله يتوب عليهم، ويرضى عنهم<sup>128</sup> وأما ما داموا فاسقين، فإن الله لا عن من لم يرض الله عنه، بل عليكم أن توافقوا ربكم في رضاه وغضبه<sup>129</sup> وتأمل كيف قال<sup>130</sup> فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين<sup>131</sup> ولم يقل<sup>132</sup> فإن الله بل يحبون أن تعرضوا عنهم، كأنهم ما فعلوا شيئا<sup>133</sup> فإن تعرضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين<sup>134</sup> أي فلا ينبغي لكم - أيها المؤمنون - أن تعرضوا وقوله<sup>135</sup> أسحلفون لكم لتعرضوا عنهم<sup>136</sup> أي<sup>137</sup> ولهم أيضا هذا المقصد الآخر منكم، غير مجرد الإعراض،

وإن كان في البادية والحاضرة، كفار ومنافقون، ففي البادية أشد وأغلظ مما في الحاضرة<sup>138</sup> ومن ذلك أن الأعراب أحرص على الأموال، وأشح فيها<sup>139</sup> 97 من لطافة الطبع والانقياد للداعي ما ليس في البادية، ويجالسون أهل الإيمان، ويخالطونهم أكثر من أهل البادية، فلذلك كانوا أحرى للخير من أهل البادية، أقرب لأن يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله، فيحدث لهم - بسبب هذا العلم - تصورات حسنة، وإرادات للخير، الذي يعلمون، ما لا يكون في البادية<sup>140</sup> وفيهم الدينية والأعمال والأحكام، فهم أحرى وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله<sup>141</sup> من أصول الإيمان وأحكام الأوامر والنواهي، بخلاف الحاضرة، فإنهم الأعراب<sup>142</sup> وهم سكان البادية والبراري<sup>143</sup> أشد كفرا ونفاقا<sup>144</sup> من الحاضرة الذين فيهم كفر ونفاق، وذلك لأسباب كثيرة<sup>145</sup> منها<sup>146</sup> أنهم بعيدون عن معرفة الشرائع يقول تعالى<sup>147</sup>

المؤمنون فلهم الدائرة الحسنة على أعدائهم، ولهم العقبي الحسنة، أو الله سميع عليم يعلم نيات العباد، وما صدرت عنه الأعمال، من إخلاص وغيره<sup>148</sup> 98 الدوائر<sup>149</sup> أي<sup>150</sup> من عداوتهم للمؤمنين وبغضهم لهم، أنهم يودون وينتظرون فيهم دوائر الدهر، وفجائع الزمان، وهذا سينعكس عليهم فعليهم دائرة السوء<sup>151</sup> وأما الزكاة والنفقة في سبيل الله وغير ذلك، لمغرم<sup>152</sup> أي<sup>153</sup> يراها خسارة ونقصا، لا يحتسب فيها، ولا يريد بها وجه الله، ولا يكاد يؤديها إلا كرها<sup>154</sup> أو يتربص بكم فمنهم من يتخذ ما ينفق<sup>155</sup>

الأمر بها أو النهي عنها<sup>156</sup> ومنها<sup>157</sup> أنه ينبغي للمؤمن أن يؤدي ما عليه من الحقوق، منشرح الصدر، مطمئن النفس، ويحرص أن تكون مغنما، ولا تكون مغرما<sup>158</sup> 99 والنفاق، والفسوق، والعصيان، والزنا، والخمر، والربا، ونحو ذلك<sup>159</sup> فإن في معرفتها يتمكن من فعلها - إن كانت مأمور بها، أو تركها إن كانت محظورة - ومن ما أنزل الله على رسوله، من أصول الدين وفروعه، كمعرفة حدود الإيمان، والإسلام، والإحسان، والتقوى، والفلاح، والطاعة، والبر، والصلة، والإحسان، والكفر، أشد كفرا ونفاقا، وذكر السبب الموجب لذلك، وأنهم أجدر أن لا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله<sup>160</sup> ومنها<sup>161</sup> أن العلم النافع الذي هو أنفع العلوم، معرفة حدود أن الكفر والنفاق يزيد وينقص ويغلظ ويخف بحسب الأحوال<sup>162</sup> ومنها<sup>163</sup> فضيلة العلم، وأن فاقده أقرب إلى الشر ممن يعرفه، لأن الله ذم الأعراب، وأخبر أنهم

الأعراب كأهل الحاضرة، منهم الممدوح ومنهم المذموم، فلم يذمهم الله على مجرد تعريضهم وباديتهم، إنما ذمهم على ترك أوامر الله، وأنهم في مظنة ذلك ومنها شيء، ويخص عباده المؤمنين برحمة يوفقهم فيها إلى الخيرات، ويحميهم فيها من المخالفات، ويجزل لهم فيها أنواع المثوبات وفي هذه الآية دليل على أن البركة سيدخلهم الله في رحمته في جملة عباد الصالحين إنه غفور رحيم، فيغفر السيئات العظيمة لمن تاب إليه، ويعم عباده برحمته، التي وسعت كل ل - أصول الرسول أي دعائه لهم، وتبريكه عليهم، قال تعالى مبينا لنفع صلوات الرسول إلا أنها قرابة لهم تقربهم إلى الله، وتنمي أموالهم وتحل فيها بذلك من الكفر والنفاق ويعمل بمقتضى الإيمان لا يتخذ ما ينفق قربات عند الله أي يحتسب نفقته، ويقصد بها وجه الله تعالى والقرب منه و يجعلها وسيلة وليس الأعراب كلهم مذمومين، بل منهم آمن يؤمن بالله واليوم الآخر فيسلم

## سورة 10

المشتمل على الحكمة والأحكام، الدالة آياته على الحقائق الإيمانية والأوامر والنواهي الشرعية، الذي على جميع الأمة تلقيه بالرضا والقبول والانقياد 1 يقول تعالى 2 تلك آيات الكتاب الحكيم 3 وهو هذا القرآن،

أن أهل الجنة - إذا احتاجوا إلى الطعام والشراب ونحوهما - قالوا سبحانه اللهم، فأحضر لهم في الحال 4 فإذا فرغوا قالوا الحمد لله رب العالمين 10 عند التلاقي والتزاور، فهو السلام، أي كلام سالم من اللغو والإثم، موصوف بأنه إسلام وقد قيل في تفسير قوله ادعواهم فيها سبحانه إلى آخر الآية، من المأكّل اللذيذة، ألا وهو ذكر الله الذي تطمئن به القلوب، وتفرح به الأرواح، وهو لهم بمنزلة النفس، من دون كلفة ومشقة 11 أما ائحيتهم أيما بينهم فيها لله، أولها تسبيح لله وتنزيه له عن النقائص، وآخرها تحميد لله، فالتكاليف سقطت عنهم في دار الجزاء، وإنما بقي لهم أكمل الذات، الذي هو ألد عليهم ادعواهم فيها سبحانه اللهم أي عبادتهم

الإيمان، وفقه وهداة. ويجعل الرّجس أي: الشر والضلال على الذين لا يعقلون عن الله وأوامره ونواهي، ولا يلقوا بالانصاحه ومواعظه. 100 وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله أي: بإرادته ومشئته، وإذنه القدري الشرعي، فمن كان من الخلق قابلا لذلك، يزكو عنده

ذو الجلال والإكرام، والأسماء والصفات العظام. وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فإنهم لا ينتفعون بالآيات لإعراضهم وعنادهم. 101 والاعتبار والتأمل، لما فيها، وما تحتوي عليه، والاستبصار، فإن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون، وعبرا لقوم يوقنون، تدل على أن الله وحده، المعبود المحمود، يدعو تعالى عباده إلى النظر لما في السماوات والأرض، والمراد بذلك: نظر الفكر

قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين فستعلمون من تكون له العاقبة الحسنة، والنجاة في الدنيا والآخرة، وليست إلا للرسول وأتباعهم. 102 بآيات الله، بعد وضوحها، إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أي: من الهلاك والعقاب، فإنهم صنعوا كصنيعهم وسنة الله جارية في الأولين والآخرين. فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أي: فهل ينتظر هؤلاء الذين لا يؤمنون

ننجي المؤمنين وهذا من دفعه عن المؤمنين، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا فإنه بحسب ما مع العبد من الإيمان تحصل له النجاة من المكارة. 103 ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا من مكارة الدنيا والآخرة، وشدائدهما. كذلك حقا علينا أوجبناه على أنفسنا

الظاهرة والباطنة لله، وأقم جميع شرائع الدين حنيفا، أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، ولا تكونن من المشركين لا في حالهم، ولا تكن معهم. 104 ليجازيكم بأعمالكم، فهو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويخضع ويسجد. وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا أي: أخلص أعمالك من الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضي عبادتها. ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميّتكم، ثم يبعثكم، الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة. ولهذا قال: فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الأنداد، والأصنام وغيرها، لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدبر شيئا إن كنتم في شك من ديني أي: في ريب واشتباه، فإني لست في شك منه، بل لدي العلم اليقيني أنه الحق، وأن ما تدعون من دون الله باطل، ولي على ذلك، تفسير الآيتين 104 و 105: - يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، سيد المرسلين، وإمام المتقين وخير الموقنين: قل يا أيها الناس

الظاهرة والباطنة لله، وأقم جميع شرائع الدين حنيفا، أي: مقبلا على الله، معرضا عما سواه، ولا تكونن من المشركين لا في حالهم، ولا تكن معهم. 105 ليجازيكم بأعمالكم، فهو الذي يستحق أن يعبد، ويصلى له ويخضع ويسجد. وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا أي: أخلص أعمالك من الأمور، وإنما هي مخلوقة مسخرة، ليس فيها ما يقتضي عبادتها. ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم أي: هو الله الذي خلقكم، وهو الذي يميّتكم، ثم يبعثكم، الأدلة الواضحة، والبراهين الساطعة. ولهذا قال: فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله من الأنداد، والأصنام وغيرها، لأنها لا تخلق ولا ترزق، ولا تدبر شيئا إن كنتم في شك من ديني أي: في ريب واشتباه، فإني لست في شك منه، بل لدي العلم اليقيني أنه الحق، وأن ما تدعون من دون الله باطل، ولي على ذلك، تفسير الآيتين 104 و 105: - يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، سيد المرسلين، وإمام المتقين وخير الموقنين: قل يا أيها الناس

الظلم هو الشرك كما قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم. فإذا كان خير الخلق، لو دعا مع الله غيره، لكان من الظالمين المشركين فكيف بغيره؟! 106 النافع الضار، هو الله تعالى. فإن فعلت بأن دعوت من دون الله، ما لا ينفعك ولا يضرك فإنك إذا من الظالمين أي: الضارين أنفسهم بإهلاكها، وهذا

## تفسير السعدي

ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك وهذا وصف لكل مخلوق، أنه لا ينفع ولا يضر، وإنما

والكربات، وأن أحدا من الخلق، ليس بيده من هذا شيء إلا ما أجراه الله على يده، جزم بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل. 107  
بحيث لا تستغنى عن إحسانه، طرفه عين، فإذا عرف العبد بالدليل القاطع، أن الله، هو المنفرد بالنعم، وكشف النقم، وإعطاء الحسنات، وكشف السيئات  
عبده لأسباب مغفرته، ثم إذا فعلها العبد، غفر الله ذنوبه، كبارها، وصغارها. الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، ووصل جوده إلى جميع الموجودات،  
له من بعده يصيب به من يشاء من عبادته أي: يختص برحمته من شاء من خلقه، والله ذو الفضل العظيم، وهو الغفور لجميع الزلات، الذي يوفق  
بخير فلا راد لفضله أي: لا يقدر أحد من الخلق، أن يرد فضله وإحسانه، كما قال تعالى: ما يفتح الله للناس من رحمة، فلا ممسك لها وما يممسك فلا مرسل  
على أن ينفعوا بشيء، لم ينفعوا إلا بما كتبه الله، ولو اجتمعوا على أن يضروا أحدا، لم يقدرُوا على شيء من ضرره، إذا لم يرد الله، ولهذا قال: وإن يردك  
أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار، المعطي المانع، الذي إذا مس بضر، كفف ومريض، ونحوها فلا كاشف له إلا هو لأن الخلق، لو اجتمعوا  
هذا من أعظم الأدلة على

وما أنا عليكم بوكيل فأحفظ أعمالكم وأحاسبكم عليها، وإنما أنا لكم نذير مبين، والله عليكم وكيل. فانظروا لأنفسكم، ما دمت في مدة الإمهال. 108  
ثمرة أعمالهم راجعة إليهم. ومن ضل عن الهدى بأن أعرض عن العلم بالحق، أو عن العمل به، فإنما يضل عليها ولا يضر الله شيئا، فلا يضر إلا نفسه.  
فقد تبين الرشد من الغي، ولم يبق لأحد شبهة. فمن اهتدى بهدى الله بأن علم الحق وتفهمه، وآثره على غيره فلنفسه والله تعالى غني عن عبادته، وإنما  
أن أنزل إليكم هذا القرآن الذي فيه تبيان لكل شيء، وفيه من أنواع الأحكام والمطالب الإلهية والأخلاق المرضية، ما فيه أعظم تربية لكم، وإحسان منه إليكم،  
قد جاءكم الحق من ربكم أي: الخبر الصادق المؤيد بالبراهين، الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه، وهو واصل إليكم من ربكم الذي من أعظم تربيته لكم،  
أي: قل يا أيها الرسول، لما تبين البرهان يا أيها الناس

بالحجة والبرهان، فله الحمد، والثناء الحسن، كما ينبغي لجلاله، وعظمته، وكماله وسعة إحسانه. تم تفسير سورة يونس والحمد لله رب العالمين. 109  
عليه وسلم أمر ربه، وثبت على الصراط المستقيم، حتى أظهر الله دينه على سائر الأديان، ونصره على أعدائه بالسيف والسنان، بعد ما نصره الله عليهم،  
حتى يحكم الله بينك وبين من كذبك وهو خير الحاكمين فإن حكمه، مشتمل على العدل التام، والقسط الذي يحمد عليه. وقد امتثل صلى الله  
إليك علما، وعملا، وحالا، ودعوة إليه، واصبر على ذلك، فإن هذا أعلى أنواع الصبر، وإن عاقبته حميدة، فلا تكسل، ولا تضجر، بل دم على ذلك، واثبت،  
واتبع أيها الرسول ما يوحى

جاءوا به الحق والحد الذي يترددون حائرين، لا يهتدون السبيل، ولا يوفقون لأقوم دليل، وذلك عقوبة لهم على ظلمهم، وكفرهم بآيات الله. 11  
وقوله أفنذر الذين لا يرجون لقاءنا أي: لا يؤمنون بالآخرة، فلذلك لا يستعدون لها، ولا يعلمون ما ينجيهم من عذاب الله، أي طغيانهم أي: باطلهم، الذي  
ويدخل في هذا، أن العبد إذا غضب على أولاده أو أهله أو ماله، ربما دعا عليهم دعوة لو قبلت منه لهلكوا، ولأضره ذلك غاية الضرر، ولكنه تعالى حليم حكيم  
إليهم أجلبهم أي: لمحققتهم العقوبة، ولكنه تعالى يمهلهم ولا يمهلهم، ويعفو عن كثير من حقوقه، فلو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة  
وهذا من لطفه وإحسانه بعباده، أنه لو عجل لهم الشر إذا أتوا بأسبابه، وبأدبرهم بالعقوبة على ذلك، كما يعجل لهم الخير إذا أتوا بأسبابه القضي

وهذا تزيين من الشيطان، زين له ما كان مستهجنًا مستقبًا في العقول والفطر كذلك زين للمسرفين أي: المتجاوزين للحد ما كانوا يعملون. 12  
ما جاءه ضره، فكشفه الله عنه، فأبى ظلم أعظم من هذا الظلم! يطلب من الله قضاء غرضه، فإذا أناله إياه لم ينظر إلى حق ربه، وكأنه ليس عليه لله حق  
وقاعدا ومضطجعا، وألح في الدعاء ليكشف الله عنه ضره قلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضرر مسه أي: استمر في غفلته معرضا عن ربه، كأنه  
وهذا إخبار عن طبيعة الإنسان من حيث هو، وأنه إذا مسه ضرر، من مرض أو مصيبة اجتهد في الدعاء، وسأل الله في جميع أحواله، قائما

أيدي الرسل وتبين الحق فلم ينقادوا لها ولم يؤمنوا! فأحل بهم عقابه الذي لا يرد عن كل مجرم متجرئ على محارم الله، وهذه سنته في جميع الأمم. 13  
يخبر تعالى أنه أهلك الأمم الماضية بظلمهم وكفرهم، بعد ما جاءتهم البينات على

بمن قبلكم واتبعت آيات الله وصدقتم رسله، نجوتم في الدنيا والآخرة! وإن فعلتم كفعل الظالمين قبلكم، أحل بكم ما أحل بهم، ومن أنذر فقد أذعن! 14  
ثم جعلناكم في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون! فإن أنتم اعتبرتم واتعظتم

فكيف بهؤلاء السفهاء الضالين، الذين جمعوا بين الجهل والضلال، والظلم والعناد، والتعنت والتعجيز لرب العالمين، أفلا يخافون عذاب يوم عظيم! 15  
إلا ما يوحى إلي أي: ليس لي غير ذلك، فإني عبد مأمور، إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم! فهذا قول خير الخلق وأدبه مع أوامره وروحه،  
العظيم يأمره الله، أن يقول لهم! قل ما يكون لي أي: ما ينبغي ولا يليق أن أبدله من تلقاء نفسي! فإني رسول محض، ليس لي من الأمر شيء، إن أتبع  
وطلبوا وجوه التعنت فقالوا، جراءة منهم وظلما! أنت بقرآن غير هذا أو بدله! فقبحهم الله، ما أجرأهم على الله، وأشداهم ظلما وردا لآياته! فإذا كان الرسول  
يذكر تعالى تعنت المكذبين لرسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنهم إذا تتلى عليهم آيات الله القرآنية المبينة للحق، أعرضوا عنها،

الذي ليس بعده إلا الضلال، ولكن إذ أبيتم إلا التكذيب والعناد، فأنتم لا شك أنكم ظالمون! أقمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته! 16  
أم هذا دليل قاطع أنه تنزيل من حكيم حميد! فلو أعلمتم أفكاركم وعقولكم، وتدبرتم حالي وحال هذا الكتاب، لجزمتكم جزما لا يقبل الريب بصدقه، وأنه الحق

## تفسير السعدي

أمي لا أقرأ ولا أكتب، ولا أدرس ولا أتعلم من أحداً فأتيتكم بكتاب عظيم أعجز الفصحاء، وأعيا العلماء، فهل يمكن - مع هذا - أن يكون من تلقاء نفسي، تعقلون! أني حيث لم أتقوله في مدة عمري، ولا صدر مني ما يدل على ذلك، فكيف أتقوله بعد ذلك، وقد لبثت فيكم عمراً طويلاً تعرفون حقيقة حالي، بأنني الله ما تلوته عليكم ولا أدراككم به فقد لبثت فيكم عمراً طويلاً من قبله أي قبل تلاوته، وقبل درايتكم به، وأنا ما خطر على بالي، ولا وقع في ظني إلا فلا فهم كذبة في ذلك، فإن الله قد بين من الآيات ما يؤمن على مثله البشر، وهو الذي يصرفها كيف يشاء، تابعا لحكمته الربانية، ورحمته بعباده أقل لو شاء فإن زعموا أن قصدهم أن يتبين لهم الحق بالآيات التي طلبوا

هذا التعتن الذي صدر منهم هو عدم إيمانهم بقاء الله وعدم رجائه، وأن من آمن بقاء الله فلا بد أن ينقاد لهذا الكتاب ويؤمن به، لأنه حسن القصد<sup>17</sup> بها، فتعين فيكم الظلم، ولا بد أن أمركم سيضمحل، ولن تنالوا الفلاح، ما دمتم كذلك ودل قوله قال الذين لا يرجون لقاءنا الآية، أن الذي حملهم على فلو كنت متقولاً لكنت أظلم الناس، وفاتني الفلاح، ولم تخف عليكم حالي، ولكني جئتكم بآيات الله، فكذبتم في العالم العلوي والسفلي سواه، فإنه باطل عقلاً وشرعاً وفطرة ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير<sup>18</sup> وتعالى عما يشركون أي تقديس وتنزه أن يكون له شريك أو نظير، بل هو الله الأحد الفرد الصمد الذي لا إله في السماوات والأرض إلا هو، وكل معبود هذا القول، المتضمن أن هؤلاء الضلال الجهال السفهاء أعلم من رب العالمين! فليكتف العاقل بمجرد تصور هذا القول، فإنه يجزم بفساده وبطلانه! تسبحانه ولا إله معه، أفأنتم - يا معشر المشركين - تزعمون أنه يوجد له فيها شركاء! أففتخبرونه بأمر خفي عليه، وعلمتوه! أنتم أعلم أم الله! فهل يوجد قول أبطل من الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض! الله تعالى هو العالم، الذي أحاط علماً بجميع ما في السماوات والأرض، وقد أخبركم بأنه ليس له شريك الله أي يعبدونهم ليقربوهم إلى الله، ويشفعوا لهم عنده، وهذا قول من تلقاء أنفسهم، وكلام ابتكروه هم، ولهذا قال تعالى - مبطلاً لهذا القول - أقل أتنبئون - آمن دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم! لا تملك لهم مثقال ذرة من النفع ولا تدفع عنهم شيئاً! ويقولون أقولا خالياً من البرهان! هؤلاء شفعاؤنا عند يقول تعالى! ويعبدون! أي المشركون المكذبون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم

ونهلك الكافرين المكذبين، وصار هذا فارقاً بينهم إقياً فيه يختلفون! ولكنه أراد امتحانهم وابتلاء بعضهم ببعض، ليتبين الصادق من الكاذب!<sup>19</sup> الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه! أولول كلمة سبقت من ربك! يا مهال العاصين وعدم معاجلتهم بذنوبهم، القضي بينهم! بأن ننجي المؤمنين، أي! أما كان الناس إلا أمة واحدة! متفقين على الدين الصحيح، ولكنهم اختلفوا، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم يؤمنوا بهذا الرسول الكريم، الذي بعثه الله من أنفسهم، يعرفونه حق المعرفة، فردوا دعوته، وحرصوا على إبطال دينه، والله متم نوره ولو كره الكافرون! على أحد، وهذا من سفههم وعنادهم، فإنهم تعجبوا من أمر ليس مما يتعجب منه ويستغرب، وإنما يتعجب من جهالتهم وعدم معرفتهم بمصالحهم! كيف لم فتعجب الكافرون من هذا الرجل العظيم تعجباً حملهم على الكفر به، فاقال الكافرون! عنه! أن هذا لساحر مبين! أي! بين السحر، لا يخفى بزعمهم الذين آمنوا! إيماناً صادقاً أن لهم قدم صدق عند ربهم! أي! لهم جزاء موفور وثواب مذخور عند ربهم بما قدموه وأسلفوه من الأعمال الصالحة الصادقة! ومع هذا فأعرض أكثرهم، فهم لا يعلمون، فتعجبوا! أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس! عذاب الله، وخوفهم نقم الله، وذكرهم بآيات الله! أوبشر تدبير في حكم ولا دليل، ولا غاية ولا تعليل! فانتظروا! إني معكم من المنتظرين! أي! كل ينتظر بصاحبه ما هو أهل له، فانظروا لمن تكون العاقبة!<sup>20</sup> الآيات! أقل! لهم إذا طلبوا منك آية إنما الغيب لله! أي! هو المحيط علماً بأحوال العباد، فيدبرهم بما يقتضيه علمه فيهم وحكمته البديعة، وليس لأحد يعنون! آيات الاقتراح التي يعينونها كقولهم! لا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً! الآيات! وكقولهم! أو قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً! أو يقولون! أي! المكذبون المتعنتون، لا أنزل عليه آية من ربه!

فمقصودهم منعكس عليهم، ولم يسلموا من التبعة، بل تكتب الملائكة عليهم ما يعملون، ويحصى الله عليهم، ثم يجازيهم الله! عليه أوفر الجزاء!<sup>21</sup> في طغيانهم ومكرهم! ولهذا قال! إذا لهم مكر في آياتنا! أي يسعون بالباطل، ليبطلوا به الحق! أقل! الله أسرع مكر! فإن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، بعد ضراء مستهم! كالصحة بعد المرض، والغنى بعد الفقر، والأمن بعد الخوف، نسوا ما أصابهم من الضراء، ولم يشكروا الله على الرخاء والرحمة، بل استمروا يقول تعالى! وإذا أذقنا الناس رحمة من

من هذه الشدة إلا الله وحده، فدعوه مخلصين له الدين ووعدوا من أنفسهم على وجه الإلزام، فقالوا! لن أنجيتنا من هذه لكونن من الشاكرين!<sup>22</sup> عاصفاً! شديدة الهبوب لوجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم! أي! عرفوا أنه الهلاك، فانقطع حينئذ تعلقهم بالخلق، وعرفوا أنه لا ينجيهم أي! السفن البحرية لوجرين بهم بريح طيبة! موافقة لما يهوونه، من غير انزعاج ولا مشقة! أو فرحوا بها! وأطمأنوا إليها، فبينما هم كذلك، إذ جاءتها ريح والخوف من عواقبه، فقال! أهو الذي يسيركم في البر والبحر! بما يسر لكم من الأسباب المسيرة لكم فيها، وهادكم إليها! أحتى! إذا كنتم في الفلك! لما ذكر تعالى القاعدة العامة في أحوال الناس عند إصابة الرحمة لهم بعد الضراء، واليسر بعد العسر، ذكر حالة، تؤيد ذلك، وهي حالهم في البحر عند اشتداده، جميعاً، ثم تنتقلون عنه بالرغم! إني مرجعكم! في يوم القيامة! اقتنبتكم بما كنتم تعملون! وفي هذا غاية التحذير لهم عن الاستمرار على عملهم!<sup>23</sup> الحياة الدنيا! أي! غاية ما تؤملون بغيكم، وشروءكم عن الإخلاص لله، أن تنالوا شيئاً من حطام الدنيا وجاهها النزر اليسير الذي سينقضي سريعاً، ويمضي فهلاً! أخلصوا لله العبادة في الرخاء، كما أخلصوها في الشدة! ولكن هذا البغي يعود وباله عليهم، ولهذا قال! أيها الناس! إنما بغيكم على أنفسكم متاع

## تفسير السعدي

في الأرض بغير الحق أي نسوا تلك الشدة وذلك الدعاء، وما ألزموه أنفسهم، فأشركوا بالله، من اعترفوا بأنه لا ينجيهم من الشدائد، ولا يدفع عنهم المضايق، قلما أنجاهم إذا هم يبعون

إلى الأذهان، وضرب الأمثال القوم يتفكرون أي يعملون أفكارهم فيما ينفعهم وأما الغافل المعرض، فهذا لا تنفعه الآيات، ولا يزيل عنه الشك البيان 24 أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس أي كأنها ما كانت فهذه حالة الدنيا، سواء بسواء كذلك نفصل الآيات أي نبينها ونوضحها، بتقريب المعاني أنهم قادرون عليها أي حصل معهم طمع، بأن ذلك سيستمر ويدوم، لوقوف إرادتهم عنده، وانتفاء مطالبهم فيه أي فبينما هم في تلك الحالة أتاهم أمرنا ليلا في زينتها، فصارت بهجة للناظرين، ونزهة للمتفرجين، وآية للمتبرسين، فصرت ترى لها منظرا عجيبا ما بين أخضر، وأصفر، وأبيض وغيره أي وطن أهلها والثمار أي مما تأكل الأنعام أنواع العشب، والكأ المختلف الأصناف أي إذا أخذت الأرض زخرفها وزينت أي تزخرفت في منظرها، واكتست من همها وحزنها وحسرتها أي كذلك إكماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض أي ثبت فيها من كل صنف، وزوج بهيج لهما يأكل الناس أي الحبوب وجاهها ونحو ذلك يزهو لصاحبه إن زها وقتا قصيرا، فإذا استكمل وتم اضمحل، وزال عن صاحبه، أو زال صاحبه عنه، فأصبح صفر اليدين منها، ممتلى القلب وهذا المثل من أحسن الأمثلة، وهو مطابق لحالة الدنيا، فإن لذاتها وشهواتها

بعد البيان والرسول، وسمى الله الجنة دار السلام لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه 25 والترغيب، وخص بالهداية من شاء استخلاصه واصطفاه، فهذا فضله وإحسانه، والله يختص برحمته من يشاء، وذلك عدله وحكمته، وليس لأحد عليه حجة عم تعالى عباده بالدعوة إلى دار السلام، والحث على ذلك،

قال الله عنهم - اعرف في وجوههم نضرة النعيم أولئك أصحاب الجنة الملازمون لها هم فيها خالدون لا يحولون ولا يزولون، ولا يتغيرون 26 يرهق وجوههم قطر ولا ذلة أي لا ينالهم مكروه، بوجه من الوجوه، لأن المكروه، إذا وقع بالإنسان، تبين ذلك في وجهه، وتغير وتكدر وأما هؤلاء - فهم كما الله الكريم، وسماع كلامه، والفوز برضاه والبهجة بقربه، فهذا حصل لهم أعلى ما يتمناه الممتنون، ويسأله السائلون ثم ذكر اندفاع المحذور عنهم فقال أولًا المعرضين، وغير ذلك من وجوه البر والإحسان أي هؤلاء الذين أحسنوا، لهم الحسن أي وهي الجنة الكاملة في حسنها وزيادة وهي النظر إلى وجه الله بما يقدرون عليه من الإحسان القولي والفعل، من بذل الإحسان المالي، والإحسان البدني، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهلين، ونصيحة الحسنى وزيادة أي للذين أحسنوا في عبادة الخالق، بأن عبدوه على وجه المراقبة والنصيحة في عبادته، وقاموا بما قدروا عليه منها، وأحسنوا إلى عباد ولما دعا إلى دار السلام، كأن النفوس تشوقت إلى الأعمال الموجبة لها الموصلة إليها، فأخبر عنها بقوله للذين أحسنوا

يومئذ بأسرة تظن أن يفعل بها فاقرة أي وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة 27 الليل مظلمًا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون أي فكم بين الفريقين من الفرق، ويا بعد ما بينهما من التفاوت أي وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ووجوه عذاب الله، لا يدفعه عنهم دافع ولا يعصمهم منه عاصم، وتسري تلك الذلة الباطنة إلى ظاهرها، فتكون سوادا في الوجوه أي كأنما أغشيت وجوههم قطعا من فجراؤهم سينة مثلها أي جزاء يسوؤهم بحسب ما عملوا من السيئات على اختلاف أحوالهم أي وترهقهم أي تغشاهم ذلة أي في قلوبهم وخوف من أصحاب الجنة ذكر أصحاب النار، فذكر أن بضاعتهم التي اكتسبوها في الدنيا هي الأعمال السيئة المسخطة لله، من أنواع الكفر والتكذيب، وأصناف المعاصي، لما ذكر

الوداد، فانقلبت تلك المحبة والولاية بغضا وعداوة وتبرأ شركاؤهم منهم وقالوا أي كنتم إيانا تعبدون فإننا ننزه الله أن يكون له شريك، أو نديد 28 بينكم وبينهم أي فزينا بينهم أي فرقنا بينهم، بالبعد البدني والقلبي، وحصلت بينهم العداوة الشديدة، بعد أن بذلوا لهم في الدنيا خالص المحبة وصفو يوم معلوم، ونحضر المشركين، وما كانوا يعبدون من دون الله أي ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم أي ألزموا مكانكم ليقع التحاكم والفصل يقول تعالى أي يوم نحشرهم جميعا أي نجتمع جميع الخلق، لميعاد

الخصال، ويتبين لهم يومئذ أنهم كانوا كاذبين، وأنهم مفترون على الله، قد ضلت عبادتهم، واضمحل معبوداتهم، وتقطعت بهم الأسباب والوسائل 29 إلى عبادتهم وهم الصادقون البارون في ذلك، فحينئذ يتحسر المشركون حسرة لا يمكن وصفها، ويعلمون مقدار ما قدموا من الأعمال، وما أسلفوا من رديء بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون أي فالملائكة الكرام والأنبياء والأولياء ونحوهم يتبرؤون ممن عبدتهم يوم القيامة ويتصلون من دعائهم إياهم آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين أي وقال أي يوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين أي أمرناكم بها، ولا دعوناكم لذلك، وإنما عبدتم من دعاكم إلى ذلك، وهو الشيطان كما قال تعالى ألم أعهد إليكم يا بني إني كفى بالله شهيدا بيننا

أقاعبدوه أي أفردوه بجميع ما تقدرن عليه من أنواع العبودية، ألا تذكرن الأدلة الدالة على أنه وحده المعبود المحمود، ذو الجلال والإكرام 30 والتوحيد له أي ألكم أي هذا شأنه أي هو الله ربكم أي هو الله الذي له وصف الإلهية الجامعة لصفات الكمال، ووصف الربوبية الجامع لصفات الأفعال أي أما من شفيق إلا من بعد إذنه أي يقدم أحد منهم على الشفاعة، ولو كان أفضل الخلق، حتى يأذن الله ولا يأذن، إلا لمن ارتضى، ولا يرتضى إلا أهل الإخلاص الناس، وكشف الضر عن المضرورين، وإجابة سؤال السائلين أي فأنواع التدابير نازلة منه وصاعدة إليه، وجميع الخلق مدعون لعزه خاضعون لعظمته وسلطانه أي



## تفسير السعدي

والأرض استوى على العرش استواء يليق بعظمته لا يدبر الأمر في العالم العلوي والسفلي من الإمامة والإحياء، وإنزال الأرزاق، ومداولة الأيام بين من الحكمة الإلهية، ولأنه رفيق في أفعاله ومن جملة حكمته فيها، أنه خلقها بالحق وللحق، ليعرف بأسمائه وصفاته ويفرد بالعبادة ثم بعد خلق السماوات مبينا لربوبيته وإلهيته وعظمته أن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام مع أنه قادر على خلقها في لحظة واحدة، ولكن لما له في ذلك يقول تعالى

فخير، وإن شرا فشر، وضل عنهم ما كانوا يفترون من قولهم بصحة ما هم عليه من الشرك وأن ما يعبدون من دون الله تنفعهم وتدفع عنهم العذاب 30  
هناك أي في ذلك اليوم أثبو كل نفس ما أسلفت أي تتفقد أعمالها وكسبها، وتتبعه بالجزاء، وتجازي بحسبه، إن خيرا

المذكورات أقل لهم إلزاما بالحجة أفلا تتقون الله فتخلصون له العبادة وحده لا شريك له، وتخلعون ما تعبدون من دونه من الأنداد والأوثان 31  
والسفلي، وهذا شامل لجميع أنواع التدابير الإلهية، فإنك إذا سألتهم عن ذلك هم يقولون الله لأنهم يعترفون بجميع ذلك، وأن الله لا شريك له في شيء من والنوى، وإخراج المؤمن من الكافر، والطائر من البيضة، ونحو ذلك، ويخرج الميت من الحي عكس هذه المذكورات، ومن يدبر الأمر في العالم العلوي وخصهما بالذكر من باب التنبيه على المفضل بالفاضل، ولكمال شرفهما ونفعهما فمن يخرج الحي من الميت أو يخرج أنواع الأشجار والنبات من الحبوب والأرض لإنزال الأرزاق من السماء، وإخراج أنواعها من الأرض، وتيسير أسبابها فيها فمن يملك السمع والأبصار أي من هو الذي خلقهما وهو مالهما له لهؤلاء الذين أشركوا بالله، ما لم ينزل به سلطانا - محتجا عليهم بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الألوهية - لمن يرزقكم من السماء أي أقل

من الوجوه، ولا يشفع عند الله إلا بإذنه، فتبا لمن أشرك به، وويح لمن كفر به، لقد عدموا عقولهم، بعد أن عدموا أديانهم، بل فقدوا دنياهم وأخراهم 32  
إلى عبادة الذي ليس له من وجوده إلا العدم، ولا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا فليس له من الملك مثقال ذرة، ولا شركة له بوجه يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يدفع السيئات إلا هو، ذو الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العظيمة والجلال والإكرام أفأنتي تصرفون عن عبادة من هذا وصفه، المربي جميع الخلق بالنعم وهو الحق فمادام بعد الحق إلا الضلال فإنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير لجميع الأشياء، الذي ما بالعباد من نعمة إلا منه، ولا هكذا الذي وصف نفسه بما وصفها به الله ربكم أي المألوه المعبود المحمود،

الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون بعد ما أراهم الله من الآيات البينات والبراهين النيرات، ما فيه عبرة لأولي الأبواب، وموعظة للمتقين وهدى للعالمين 33  
إكذلك حقت كلمة ربك على

ولا معاون له على ذلك أفأنتي تؤفكون أي تصرفون، وتتحرفون عن عبادة المنفرد بالابتداء، والإعادة إلى عبادة من لا يخلق شيئا وهم يخلقون 34  
وهذا استفهام بمعنى النفي والتقرير، أي ما منهم أحد يبدأ الخلق ثم يعيده، وهي أضعف من ذلك وأعجز، أقل الله يبدأ الخلق ثم يعيده من غير مشارك يقول تعالى - مبينا عجز آلهة المشركين، وعدم اتصافها بما يوجب اتخاذها آلهة مع الله - أقل هل من شركائكم من يبدأ الخلق أي يبتدئ ثم يعيده  
تحكمون أي أي شيء جعلكم تحكمون هذا الحكم الباطل، بصحة عبادة أحد مع الله، بعد ظهور الحجة والبرهان، أنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده 35  
إلى سلوك أقوم طريقا من لا يهدي أي لا يهدي إلى أن يهدي العدم علمه، ولضلاله، وهي شركاؤهم، التي لا تهدي ولا تهتدي إلا أن تهدي أقما لكم كيف هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ببيانه وإرشاده، أو بإلهامه وتوفيقه أقل الله وحده يهدي للحق بالأدلة والبراهين، وبالإلهام والتوفيق، والإعانة

أقل

مع الله، إن هي إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الله عليم بما يفعلون وسيجزيهم على ذلك بالعقوبة البليغة 36  
أي ما يتبعون في الحقيقة شركاء لله، فإنه ليس لله شريك أصلا عقلا ولا نقلا، وإنما يتبعون الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا فسموها آلهة، وعبدوها تزيين الشيطان للإنسان، أقبح البهتان، وأضل الضلال، حتى اعتقد ذلك وألفه، وظنه حقا، وهو لا شيء ولهذا قال وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء معنوية، ولا أوصافا فعلية، تقتضي أن تعبد مع الله، بل هي متصفة بالنقائص الموجبة لبطلان إلهيتها، فلا شيء جعلت مع الله آلهة فالجواب أن هذا من فإذا تبين أنه ليس في آلهتهم التي يعبدون مع الله أوصافا

بنعمه ومن أعظم أنواع تربيته أن أنزل عليهم هذا الكتاب الذي فيه مصالحهم الدينية والدنيوية، المشتغل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال 37  
الصادقة لا ريب فيه من رب العالمين أي لا شك ولا مرية فيه بوجه من الوجوه، بل هو الحق اليقين تنزيل من رب العالمين الذي ربي جميع الخلق السماوية، بأن وافقها، وصدقها بما شهدت به، وبشرت بنزوله، فوقع كما أخبرت وتفصيل الكتاب للحلال والحرام، والأحكام الدينية والقدرية، والإخبارات لعاجله بالعقوبة، وبادره بالنكال ولكن الله أنزل هذا الكتاب، رحمة للعالمين، وحجة على العباد أجمعين أنزله لصديق الذي بين يديه من كتب الله فإن كان أحد يماثل الله في عظمته، وأوصاف كماله، أمكن أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولو تنزلنا على الفرض والتقدير، فتقوله أحد على رب العالمين، لبعض ظهيرا، وهو كتاب الله الذي تكلم به رب العالمين فكيف يقدر أحد من الخلق، أن يتكلم بمثله، أو بما يقاربه، والكلام تابع لعظمة المتكلم ووصفه أي يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميدا وهو الكتاب الذي لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم يقول تعالى أو ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله أي غير ممكن ولا متصور، أن يفترى هذا القرآن على الله تعالى، لأنه الكتاب العظيم الذي لا

## تفسير السعدي

- من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين<sup>٣٨</sup> يعاونكم على الإتيان بسورة مثله، وهذا محال، ولو كان ممكنا لادعوا قدرتهم على ذلك، ولأتوا بمثله<sup>٣٨</sup> وبغيا<sup>٣٩</sup> افتراه<sup>٤٠</sup> محمد على الله، واختلقه، اقل<sup>٤١</sup> لهم - ملزما لهم بشيء - إن قدروا عليه، أمكن ما ادعوه، وإلا كان قولهم باطلا<sup>٤٢</sup> فأتوا بسورة مثله وادعوا أم يقولون<sup>٤٣</sup> أي<sup>٤٤</sup> المكذبون به عنادا
- بالأمم المكذابين والقرون المهلكين<sup>٤٥</sup> وفي هذا دليل على التثبت في الأمور، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يبادر بقبول شيء أو رده، قبل أن يحيط به علما<sup>٤٦</sup> 39 كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين<sup>٤٧</sup> وهو الهلاك الذي لم يبق منهم أحد<sup>٤٨</sup> فليحذر هؤلاء، أن يستمروا على تكذيبهم، فيحل بهم ما أحل إلى الآن لم يأتهم تأويله الذي وعدهم أن ينزل بهم العذاب ويحل بهم النكال، وهذا التكذيب الصادر منهم، من جنس تكذيب من قبلهم، ولهذا قال<sup>٤٩</sup> كذلك على التكذيب بالقرآن المشتمل على الحق الذي لا حق فوقه، أنهم لم يحيطوا به علما<sup>٥٠</sup> فلو أحاطوا به علما وفهموه حق فهمه، لأنعنوا بالتصديق به، وكذلك ولكن لما بان عجزهم تبين أن ما قالوه باطل، لا حظ له من الحجة، والذي حملهم
- الوجوه، ويقطع الأمعاء<sup>٥١</sup> والعذاب أليم<sup>٥٢</sup> من سائر أصناف العذاب إما كانوا يكفرون<sup>٥٣</sup> أي<sup>٥٤</sup> بسبب كفرهم وظلمهم، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون<sup>٥٥</sup> 40 قد بينه لعباده، وأخبر أنه لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين<sup>٥٦</sup> والذين كفروا<sup>٥٧</sup> آيات الله وكذبوا<sup>٥٨</sup> رسل الله<sup>٥٩</sup> اللهم شراب من حميم<sup>٦٠</sup> أي<sup>٦١</sup> ماء حار، يشوي الجيزي الذين آمنوا<sup>٦٢</sup> بقلوبهم بما أمرهم الله بالإيمان به<sup>٦٣</sup> فعملوا الصالحات<sup>٦٤</sup> أجوارحهم، من واجبات، ومستحبات، بالقسط<sup>٦٥</sup> أي<sup>٦٦</sup> بإيمانهم وأعمالهم، جزاء لأحد المثلين مع إثبات ما هو أولى منه، فهذا دليل عقلي واضح على المعاد<sup>٦٧</sup> وقد ذكر الدليل النقلي فقال<sup>٦٨</sup> لوعد الله حقا<sup>٦٩</sup> أي<sup>٧٠</sup> وعده صادق لا بد من إنمامه يوم معلوم<sup>٧١</sup> لأنه يبدأ الخلق ثم يعيده<sup>٧٢</sup> فالقادر على ابتداء الخلق قادر على إعادته، والذي يرى ابتداءه بالخلق، ثم ينكر إعادته للخلق، فهو فاقد العقل منكر عبادته وحده لا شريك له، ذكر الحكم الجزائي، وهو مجازاته على الأعمال بعد الموت، فقال<sup>٧٣</sup> إليه مرجعكم جميعا<sup>٧٤</sup> أي<sup>٧٥</sup> سيجمعكم بعد موتكم، لميقات فلما ذكر حكمه القدري وهو التدبير العام، وحكمه الديني وهو شرعه، الذي مضمونه ومقصوده
- به، يؤمنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين<sup>٧٦</sup> وهم الذين لا يؤمنون به على وجه العناد والظلم والفساد، فسيجازيهم على فسادهم بأشد العذاب<sup>٧٧</sup> 40 يؤمنهم من يؤمن به<sup>٧٨</sup> أي<sup>٧٩</sup> بالقرآن وما جاء لكل عمله<sup>٨٠</sup> أقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون<sup>٨١</sup> كما قال تعالى<sup>٨٢</sup> فمن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها<sup>٨٣</sup> 41 وإن كذبوا<sup>٨٤</sup> فاستمر على دعوتك، وليس عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء،
- الحجة، فقد سمعوا ما تقوم عليهم به حجة الله البالغة، فهذا طريق عظيم من طرق العلم قد انسد عليهم، وهو طريق المسموعات المتعلقة بالخير<sup>٨٥</sup> 42 إذا كان عقلهم معدوما<sup>٨٦</sup> فإذا كان من المحال إسماع الأصم الذي لا يعقل للكلام، فهؤلاء المكذبون، كذلك ممتنع إسماعك إياهم، إسماعا ينتفعون به<sup>٨٧</sup> وأما سماع قال<sup>٨٨</sup> أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون<sup>٨٩</sup> وهذا الاستفهام، بمعنى النفي المتقرر، أي<sup>٩٠</sup> لا تسمع الصم الذين لا يستمعون القول ولو جهرت به، وخصوصا وجه التفرج والتكذيب وتطلب العثرات، وهذا استماع غير نافع، ولا مجد على أهله خيرا، لا جرم انسد عليهم باب التوفيق، وحرموا من فائدة الاستماع، ولهذا عن بعض المكذابين للرسول، ولما جاء به، و أن<sup>٩١</sup> منهم من يستمعون<sup>٩٢</sup> إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وقت قراءته للوحي، لا على وجه الاسترشاد، بل على يخبر تعالى
- صلى الله عليه وسلم - وهديه وأخلاقه وأعماله وما يدعو إليه من أعظم الأدلة على صدقه وصحة ما جاء به، وأنه يكفي البصير عن غيره من الأدلة<sup>٩٣</sup> 43 التي هي الطرق الموصلة إلى العلم ومعرفة الحقائق، فأين الطريق الموصول لهم إلى الحق<sup>٩٤</sup> أو دل قوله<sup>٩٥</sup> يؤمنهم من ينظر إليك<sup>٩٦</sup> الآية، أن النظر إلى حالة النبي فلا يفيد نظره إليك، ولا سبر أحوالك شيئا، فكما أنك لا تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون، فكذلك لا تهدي هؤلاء<sup>٩٧</sup> فإذا فسدت عقولهم وأسماعهم وأبصارهم ثم ذكر انسداد الطريق الثاني، وهو<sup>٩٨</sup> طريق النظر فقال<sup>٩٩</sup> يؤمنهم من ينظر إليك
- من حسنتهم<sup>١٠٠</sup> ولكن الناس أنفسهم يظلمون<sup>١٠١</sup> أي<sup>١٠٢</sup> يجنيهم الحق فلا يقبلونه، فيعاقبهم الله بعد ذلك بالطبع على قلوبهم، والختم على أسماعهم وأبصارهم<sup>١٠٣</sup> 44 وقوله<sup>١٠٤</sup> إن الله لا يظلم الناس شيئا<sup>١٠٥</sup> فلا يزيد في سيئاتهم، ولا ينقص
- اليوم يربح المتقون، ويخسر الذين كذبوا بقاء الله وما كانوا مهتدين إلى الصراط المستقيم والدين القويم، حيث فاتهم النعيم، واستحقوا دخول النار<sup>١٠٦</sup> 45 إذا حشر الناس وجمعهم ليوم لا ريب فيه، كأنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وكأنه ما مر عليهم نعيم ولا بؤس، وهم يتعارفون بينهم، كحالهم في الدنيا، ففي هذا يخبر تعالى، عن سرعة انقضاء الدنيا، وأن الله تعالى
- إلى الله، وسينبئهم بما كانوا يعملون، أحصاه ونسوه، والله على كل شيء شهيد، ففيه الوعيد الشديد لهم، والتسلي للرسول الذي كذبه قومه وعاندوه<sup>١٠٧</sup> 46 المكذبين، ولا تستعجل لهم، فإنهم لا بد أن يصيبهم الذي نعدهم من العذاب<sup>١٠٨</sup> إما في الدنيا فتراه بعينك، وتقر به نفسك<sup>١٠٩</sup> وإما في الآخرة بعد الوفاة، فإن مرجعهم أي<sup>١١٠</sup> لا تحزن أيها الرسول على هؤلاء
- بأن يعذبوا قبل إرسال الرسول وبيان الحجة، أو يعذبوا بغير جرمهم، فليحذر المكذبون لك من مشابهة الأمم المهلكين، فيحل بهم ما حل بأولئك<sup>١١١</sup> 47 ودينه<sup>١١٢</sup> فإذا جاءهم<sup>١١٣</sup> لرسولهم<sup>١١٤</sup> بالآيات، صدقه بعضهم، وكذبه آخرون، فيقضي الله بينهم بالقسط<sup>١١٥</sup> بجنة المؤمنين، وإهلاك المكذبين<sup>١١٦</sup> لئلا يظلمون<sup>١١٧</sup> يقول تعالى<sup>١١٨</sup> لكل أمة<sup>١١٩</sup> من الأمم الماضية لرسول<sup>١٢٠</sup> يدعوهم إلى توحيد الله

## تفسير السعدي

إن كنتم صادقين فإن هذا ظلم منهم، حيث طلبوه من النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإنه ليس له من الأمر شيء، وإنما عليه البلاغ والبيان للناس<sup>48</sup> ولا يستبطلوا العقوبة ويقولوا<sup>49</sup> امتى هذا الوعد

ساعة ولا يستقدمون، فليحذر المكذبون من الاستعجال بالعذاب، فإنهم مستعجلون بعذاب الله الذي إذا نزل لا يرد بأسه عن القوم المجرمين<sup>49</sup> العذاب عليهم، فمن الله تعالى، ينزله عليهم إذا جاء أجل الذي أجله فيه، والوقت الذي قدره فيه، الموافق لحكمته الإلهية<sup>50</sup> فإذا جاء ذلك الوقت لا يستأخرون وأما حسابهم وإنزال

فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة<sup>51</sup> من المخلوقات المربوبات، المفتقرات إلى الله في جميع شئونها<sup>52</sup> وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، أنه وحده المعبود والمحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرغبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره ما يحصل - يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتناؤه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة<sup>53</sup> وذلك دال على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه<sup>54</sup> وما فيها من أنواع المنافع والمصالح - كجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال استنباط الدليل على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرغبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين<sup>55</sup> وحاصل ذلك والأرض وجميع ما خلق فيها من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات القوم يعلمون<sup>56</sup> والقوم يتقون<sup>57</sup> فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية تفسير الآيتين 5 و 6: لما قرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسموات

أتاكم عذابه بيئات<sup>58</sup> وقت نومكم بالليل أو نهارا<sup>59</sup> في وقت غفلتكم لماذا يستعجل منه المجرمون<sup>60</sup> أي<sup>61</sup> أي بشارة استعجلوا بها<sup>62</sup> وأي عقاب ابتدوه<sup>63</sup> 50 يقول تعالى<sup>64</sup> أقل أرايتم إن

خلت في عبادته<sup>65</sup> وقال هنا<sup>66</sup> أتم إذا ما وقع آمنتم به، الآن<sup>67</sup> تدعون الإيمان<sup>68</sup> لقد كنتم به تستعجلون<sup>69</sup> فهذا ما عملت أيديكم، وهذا ما استعجلتم به<sup>70</sup> 51 وأنا من المسلمين<sup>71</sup> وأنه يقال له<sup>72</sup> الآن<sup>73</sup> وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين<sup>74</sup> وقال تعالى<sup>75</sup> أقلم بك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد قبل وقوع العذاب، فإذا وقع العذاب لا ينفع نفسا إيمانها، كما قال تعالى عن فرعون، لما أدركه الغرق<sup>76</sup> قال آمنتم أنه لا إله إلا الذي آمنتم به بنو إسرائيل تلك الحال التي زعموا أنهم يؤمنون، الآن<sup>77</sup> تؤمنون في حال الشدة والمشقة<sup>78</sup> لقد كنتم به تستعجلون<sup>79</sup> فإن سنة الله في عبادته أنه يعتبهم إذا استعتبوه أتم إذا ما وقع آمنتم به<sup>80</sup> فإنه لا ينفع الإيمان حين حلول عذاب الله، ويقال لهم توبخوا وعتابا في

القيامة<sup>81</sup> لقد قوا عذاب الخلد<sup>82</sup> أي<sup>83</sup> العذاب الذي تخلدون فيه، ولا يفتر عنكم ساعة<sup>84</sup> أهل تجزون إلا بما كنتم تكسبون<sup>85</sup> من الكفر والتكذيب والمعاصي<sup>86</sup> 52 ثم قيل للذين ظلموا<sup>87</sup> حين يوفون أعمالهم يوم

لا مرية فيه ولا شبهة تعتريه<sup>88</sup> أو ما أنتم بمعجزين<sup>89</sup> الله أن يبعثكم، فكما ابتدأ خلقكم ولم تكونوا شيئا، كذلك يعيدكم مرة أخرى ليجازيكم بأعمالكم<sup>90</sup> 53 ليوم المعاد، وجزاء العباد بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر<sup>91</sup> أقل<sup>92</sup> لهم مقسما على صحته، مستدلا عليه بالدليل الواضح والبرهان<sup>93</sup> أي<sup>94</sup> وربي إنه لحق<sup>95</sup> أحق هو<sup>96</sup> أي<sup>97</sup> يستخبرك المكذبون على وجه التعنت والعناد، لا على وجه التبين والرشاد<sup>98</sup> أحق هو<sup>99</sup> أي<sup>100</sup> أصحح حشر العباد، وبعثهم بعد موتهم يقول تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -<sup>101</sup> لا يستنبئونك

لما رأوا العذاب<sup>102</sup> اندموا على ما قدموا، ولات حين مناص، أو قضي بينهم بالقسا<sup>103</sup> أي<sup>104</sup> العدل التام الذي لا ظلم ولا جور فيه بوجه من الوجوه<sup>105</sup> 54 به من عذاب الله لا فتدت به<sup>106</sup> ولما نفعها ذلك، وإنما النفع والضرر والثواب والعقاب، على الأعمال الصالحة والسيئة<sup>107</sup> أو أسروا<sup>108</sup> أي<sup>109</sup> الذين ظلموا<sup>110</sup> الندامة أو إذا كانت القيامة فالو أن لكل نفس ظلمت<sup>111</sup> بالكفر والمعاصي جميع لما في الأرض<sup>112</sup> من ذهب وفضة وغيرهما، لتفتدي

وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون<sup>113</sup> فلذلك لا يستعدون للقاء الله، بل ربما لم يؤمنوا به، وقد تواترت عليه الأدلة القطعية والبراهين العقلية<sup>114</sup> 55 ألا إن لله ما في السموات والأرض<sup>115</sup> يحكم فيهم بحكمه الديني والقدري، وسيحكم فيهم بحكمه الجزائي<sup>116</sup> ولهذا قال<sup>117</sup> ألا إن

أي<sup>118</sup> هو المتصرف بالإحياء والإماتة، وسائر أنواع التدبير، لا شريك له في ذلك<sup>119</sup> أو إليه ترجعون<sup>120</sup> أي<sup>121</sup> يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم خيرها وشرها<sup>122</sup> 56 هو يحيي ويميت<sup>123</sup>

به، ولا يكون رحمة إلا في حق المؤمنين<sup>124</sup> وإذا حصل الهدى، وحلت الرحمة الناشئة عنه، حصلت السعادة والصلاح، والريح والنجاح، والفرح والسرور<sup>125</sup> 57 والرحمة هي ما يحصل من الخير والإحسان، والثواب العاجل والآجل، لمن اهتدى به، فالهدى أجل الوسائل، والرحمة أكمل المقاصد والرغائب، ولكن لا يهتدي من مرضه، ورفل بأثواب العافية، تبعته الجوارح كلها، فإنها تصلح بصلاحه، وتفسد بفساده<sup>126</sup> أو هدى ورحمة للمؤمنين<sup>127</sup> فالهدى هو العلم بالحق والعمل به<sup>128</sup> والأدلة التي صرفها الله غاية التصريف، وبينها أحسن بيان، مما يزيل الشبه القاذحة في الحق، ويصل به القلب إلى أعلى درجات اليقين<sup>129</sup> وإذا صح القلب ما يرد إليها من معاني القرآن، أوجب ذلك تقديم مراد الله على مراد النفس، وصار ما يرضي الله أحب إلى العبد من شهوة نفسه<sup>130</sup> وكذلك ما فيه من البراهين فيه من المواعظ والترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، مما يوجب للعبد الرغبة والرغبة<sup>131</sup> وإذا وجدت فيه الرغبة في الخير، والرغبة من الشر، ونمتا على تكرار

## تفسير السعدي

لما في الصدور وهو هذا القرآن، شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات الصادة عن الانقياد للشرع وأمراض الشبهات، القادحة في العلم اليقيني، فإن ما الناس قد جاءكم موعظة من ربكم أي تعظكم، وتذكركم عن الأعمال الموجبة لسخط الله، المقتضية لعقابه وتحذركم عنها ببيان آثارها ومفاسدها أو شفاء يقول تعالى - مرغباً للخلق في الإقبال على هذا الكتاب الكريم، بذكر أوصافه الحسنة الضرورية للعباد فقال أيها

وكما قال تعالى في الذين فرحوا بما عندهم من الباطل المناقض لما جاءت به الرسل أقلماء جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم 58 فرح محمود، بخلاف الفرح بشهوات الدنيا ولذاتها، أو الفرح بالباطل، فإن هذا مذموم كما قال تعالى عن قوم قارون له لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين بالفرح بفضلته ورحمته، لأن ذلك مما يوجب انبساط النفس ونشاطها، وشكرها لله تعالى، وقوتها، وشدة الرغبة في العلم والإيمان الداعي للزيادة منهما، وهذا من متاع الدنيا ولذاتها فنعمة الدين المتصلة بسعادة الدارين، لا نسبة بينها، وبين جميع ما في الدنيا، مما هو مضمحل زائل عن قريب وإنما أمر الله تعالى هو أعظم نعمة ومنة، وفضل تفضل الله به على عباده لورحمته الدين والإيمان، وعبادة الله ومحبته ومعرفته أقبل بذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ولذلك أمر تعالى بالفرح بذلك فقال أقبل بفضل الله الذي هو القرآن، الذي

منه حراماً وحلالاً لهم - موبخاً على هذا القول الفاسد - الله أذن لكم أم على الله تفترون ومن المعلوم أن الله لم يأذن لهم، فعلم أنهم مفترون 59 ما أحل الله وتحليل ما حرمه - أقبل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق أعني أنواع الحيوانات المحللة، التي جعلها الله رزقاً لهم ورحمة في حقهم فجعلتم يقول تعالى - منكراً على المشركين، الذين ابتدعوا تحريم

فإن بذلك تنفتح البصيرة، ويزداد الإيمان والعقل، وتقوى القريحة، وفي إهمال ذلك، تهاون بما أمر الله به، وإغلاق لزيادة الإيمان، وجمود للذهن والقريحة 60 من المخلوقات المربوبات، المفترقات إلى الله في جميع شئونها وفي هذه الآيات الحث والترغيب على التفكير في مخلوقات الله، والنظر فيها بعين الاعتبار، أنه وحده المعبود والمحبوب المحمود، ذو الجلال والإكرام والأوصاف العظام، الذي لا تنبغي الرغبة والرهبة إلا إليه، ولا يصرف خالص الدعاء إلا له، لا لغيره ما يحصل - يدل ذلك على رحمة الله تعالى واعتناؤه بعباده وسعة بره وإحسانه، وما فيها من التخصيصات دال على مشيئة الله وإرادته النافذة وذلك دال على على كمال حكمة الله، وحسن خلقه وسعة علمه وما فيها من أنواع المنافع والمصالح - كجعل الشمس ضياء، والقمر نورا، يحصل بهما من النفع الضروري وغيره أن مجرد خلق هذه المخلوقات بهذه الصفة، دال على كمال قدرة الله تعالى، وعلمه، وحياته، وقيوميته، وما فيها من الأحكام والإتقان والإبداع والحسن، دال استنباط الدليل على أقرب وجه، والتقوى تحدث في القلب الرغبة في الخير، والرهبة من الشر، الناشئين عن الأدلة والبراهين، وعن العلم واليقين وحاصل ذلك والأرض وجميع ما خلق فيهما من سائر أصناف المخلوقات، وأخبر أنها آيات لقوم يعلمون أو القوم يتقون فإن العلم يهدي إلى معرفة الدلالة فيها، وكيفية تفسير الآيتين 5 و6: لما قرر ربوبيته وإلهيته، ذكر الأدلة العقلية الأفقية الدالة على ذلك وعلى كماله، في أسمائه وصفاته، من الشمس والقمر، والسموات

على طاعته ويستدل بهذه الآية على أن الأصل في جميع الأطعمة الحل، إلا ما ورد الشرع بتحريمه، لأن الله أنكر على من حرم الرزق الذي أنزله لعباده 60 يستعينوا بها على معاصيه، وإما أن يحرموا منها، ويردوا ما من الله به على عباده، وقليل منهم الشاكر الذي يعترف بالنعمة، ويثني بها على الله، ويستعين بها كذبوا على الله وجوههم مسودة 61 إن الله ل ذو فضل على الناس كثير، وذو إحسان جزيل، ولكن أكثر الناس لا يشكرون، إما أن لا يقوموا بشكرها، وإما أن يؤما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة أن يفعل الله بهم من النكال، ويحل بهم من العقاب، قال تعالى يؤيؤم القيامة ترى الذين

الأشياء، وكتابتها المحيطة بجميع الحوادث، كقوله تعالى ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن الله يسيّر 61 إلا في كتاب مبين أي قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر، كثيرا ما يقرن الله بينهما، وهما العلم المحيط بجميع وبواطنكم يؤما يعزب عن ربك أي ما يغيب عن علمه، وسمعته، وبصره ومشاهدته من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر على العمل به فراقبوا الله في أعمالكم، وأدوها على وجه النصيحة، والاجتهاد فيها، وإياكم، وما يكره الله تعالى، فإنه مطلع عليكم، عالم بظواهركم وما تتلو من القرآن الذي أوحاه الله إليك ألا تعملون من عمل أصغير أو كبير إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه أي وقت شروءكم فيه، واستمراركم وسكناتهم، وفي ضمن هذا، الدعوة لمراقبته على الدوام فقال يؤما تكون في شأن أي حال من أحوالك الدينية والدنيوية يؤما تتلو منه من قرآن أي يخبر تعالى، عن عموم مشاهدته، واطلاعه على جميع أحوال العباد في حركاتهم،

لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى 62 أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فقال ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأحوال ألا هم يحزنون على ما أسلفوا، يخبر تعالى عن أوليائه وأحبابه، ويذكر

الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، وصدقوا بإيمانهم، باستعمال التقوى، بامتثال الأوامر، واجتناب النواهي 63 ثم ذكر وصفهم فقال

لغير أهل الإيمان والتقوى والحاصل أن البشرية شاملة لكل خير وثواب، رتبته الله في الدنيا والآخرة، على الإيمان والتقوى، ولهذا أطلق ذلك، فلم يقيدته 64 أحد أن يخالفه فيما قدره وقضاه ذلك هو الفوز العظيم لأنه اشتمل على النجاة من كل محذور، والظفر بكل مطلوب محبوب، وحصر الفوز فيه، لأنه لا فوز بدخول جنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم إلا بتبديل لكلمات الله بل ما وعد الله فهو حق، لا يمكن تغييره ولا تبديله، لأنه الصادق في قوله، الذي لا يقدر

## تفسير السعدي

عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون وفي القبر ما يبشر به من رضا الله تعالى والنعيم المقيم وفي الآخرة تمام البشرى الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق وأما في الآخرة، فأولها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل الدنيا وفي الآخرة أما البشارة في الدنيا، فهي الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به وتيسيره لأحسن فكل من كان مؤمنا تقيا كان لله تعالى وليا، وألهم البشرى في الحياة

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وهو تعالى يسمع قولك، وقول أعدائك فيك، ويعلم ذلك تفصيلا، فاكثف بعلم الله وكفايته، فمن يتق الله، فهو حسبه 65 أي سمعه قد أحاط بجميع الأصوات، فلا يخفى عليه شيء منها وعلمه قد أحاط بجميع الظواهر والبواطن، فلا يعزب عنه مثقال ذرة، في السماوات والأرض، والعمل الصالح يرفعه ومن المعلوم، أنك على طاعة الله، وأن العزة لك ولأتباعك من الله لولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقوله هو السميع العليم يؤتيها من يشاء، ويمنعها ممن يشاء قال تعالى آمن كان يريد العزة فلله العزة جميعا أي فليطلبها بطاعته، بدليل قوله بعده إليه يصعد الكلم الطيب أي ولا يحزنك قول المكذبين فيك من الأقوال التي يتوصلون بها إلى القدر فيك، وفي دينك فإن أقوالهم لا تعزهم، ولا تضرك شيئا لأن العزة لله جميعا ذرة من العبادة، فلن يستطيعوا، فهل منهم أحد يخلق شيئا أو يرزق، أو يملك شيئا من المخلوقات، أو يدبر الليل والنهار، الذي جعله الله قياما للناس 66 من الحق شيئا وإن هم إلا يخرصون في ذلك، خرس كذب وإفك وبهتان فإن كانوا صادقين في أنها شركاء لله، فليظهروا من أوصافها ما تستحق به مثقال لا يستحقون شيئا من العبادة، وليسوا شركاء لله بوجه الوجوه، ولهذا قال أو ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن الذي لا يغني يخبر تعالى أن له ما في السماوات والأرض، خلقا وملكا وعبيدا، يتصرف فيهم بما شاء من أحكامه، فالجميع ممالك لله، مسخرون، مدبرون، فإن في ذلك لآيات، لقوم يسمعون، يستدلون بها على أنه وحده المعبود وأنه الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، وأنه الرؤوف الرحيم العليم الحكيم 67 به الخلق، فيتصرفون في معاشهم، ومصالح دينهم ودنياهم لأن في ذلك لآيات لقوم يسمعون عن الله، سمع فهم، وقبول، واسترشاد، لا سمع تعنت وعناد، فيه في النوم والراحة بسبب الظلمة، التي تغشى وجه الأرض، فلو استمر الضياء، لما قروا، ولما سكنوا أو جعل الله النهار مبصرا أي مضيا، يبصر وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا

وعجزهم عن إقامة الدليل، علم بطلان ما قالوه وأن ذلك قول بلا علم، ولهذا قال أتقولون على الله ما لا تعلمون فإن هذا من أعظم المحرمات 68 الولادة البرهان الثالث، قوله لأن عندكم من سلطان بهذا أي هل عندكم من حجة وبرهان يدل على أن لله ولدا، فلو كان لهم دليل لأدبوه، فلما تحداهم أن هذا الوصف العام ينافي أن يكون له منهم ولد، فإن الولد من جنس والده، لا يكون مخلوقا ولا مملوكا فملكته لما في السماوات والأرض عموما، تنافي له ما في السماوات وما في الأرض وهذه كلمة جامعة عامة لا يخرج عنها موجود من أهل السماوات والأرض، الجميع مخلوقون عبيد ممالك ومن المعلوم الوجوه، فإذا كان غنيا من كل وجه، فلا شيء يتخذ الولد الحاجة منه إلى الولد، فهذا مناف لغناه فلا يتخذ أحد ولدا إلا لنقص في غناه البرهان الثاني، قوله ذلك، بعده براهين أحدها قوله هو الغني أي الغنى منحصر فيه، وأنواع الغنى مستغرقة فيه، فهو الغني الذي له الغنى التام بكل وجه واعتبار من جميع لرب العالمين قالوا اتخذ الله ولدا فنزه نفسه عن ذلك بقوله سبحانه أي تنزه عما يقول الظالمون في نسبة النقص إليه علوا كبيرا، ثم برهن على يقول تعالى مخبرا عن بهت المشركين

وكذبهم، في الدنيا، قليلا، ثم ينتقلون إلى الله، ويرجعون إليه، فيذيبهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون أو ما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون 69 تفسير الآيتين 69 و 70: أقل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم عن آياتنا غافلون فلا ينتفعون بالآيات القرآنية، ولا بالآيات الأفقية والنفسية، والإعراض عن الدليل مستلزم للإعراض والغفلة، عن المدلول المقصود. 7 للبقاء فيها، وكأنها ليست دار ممر، يتزود منها المسافرون إلى الدار الباقية التي إليها يرحل الأولون والآخرون، وإلى نعيمها ولذاتها شمر الموفقون. والذين هم لها وأكبوها على لذاتها وشهواتها، بأي طريق حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحت ابتدروها، قد صرفوا إرادتهم ونباتهم وأفكارهم وأعمالهم إليها. فكأنهم خلقوا أعرضوا عن ذلك، وربما كذبوا به ورضوا بالحياة الدنيا بدلا عن الآخرة. واطمأنوا بها أي: ركنوا إليها، وجعلوها غاية مرامهم ونهاية قصدهم، فسعوا يقول تعالى إن الذين لا يرجون لقاءنا أي: لا يطمعون بلقاء الله، الذي هو أكبر ما طمع فيه الطامعون، وأعلى ما أمله المؤمنون، بل

وكذبهم، في الدنيا، قليلا، ثم ينتقلون إلى الله، ويرجعون إليه، فيذيبهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون أو ما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون 70 تفسير الآيتين 69 و 70: أقل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون أي لا ينالون مطلوبهم، ولا يحصل لهم مقصودهم، وإنما يتمتعون في كفرهم وأبدوا كل ما تقدرون عليه من الكيد، فأوقعوا بي إن قدرتم على ذلك، فلم يقدرنا على شيء من ذلك فاعلم أنه الصادق حقا، وهم الكاذبون فيما يدعون 71 آلهتهم وقد حملوا من بغضه، وعداوته ما هو أعظم من الجبال الرواسي، وهم أهل القدرة والسلطة، وهو يقول لهم اجتمعوا أنتم وشركاؤكم ومن استطعتم، وآية عظيمة على صحة رسالته، وصدق ما جاء به، حيث كان وحده لا عشيرة تحميه، ولا جنود تؤويه وقد بادأ قومه بتسفيه آرائهم، وفساد دينهم، وعيب ليكن ذلك ظاهرا علانية أقم اقضوا إلي أي اقضوا علي بالعقوبة والسوء، الذي في إمكانكم، لولا تنظرون أي لا تهملوني ساعة من نهار فهذا برهان قاطع، مجهودكم شيئا أو أحضروا شركاءكم الذي كنتم تعبدونهم وتوالونهم من دون الله رب العالمين أقم لا يكن أمركم عليكم غمة أي مشتتها خفيا، بل وبما ادعوا إليه، فهذا جندي، وعدتي وأنتم، فأتوا بما قدرتم عليه، من أنواع العدد والعدد أقم أمركم كلكم، بحيث لا يتخلف منكم أحد، ولا تدخروا من

## تفسير السعدي

الواضحة البينة، قد شق عليكم وعظم لديكم، وأردتم أن تتألوني بسوء أو تردوا الحق <sup>٧٢</sup>فعلى الله توكلت أي اعتمدت على الله، في دفع كل شر يراد بي، في دعوتهم، فقال لهم أي قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله أي إن كان مقامي عندهم، وتذكيري بإياكم ما ينفعكم بآيات الله الأدلة مدة طويلة، فمكت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما، فلم يزدتهم دعاؤه إياهم إلا طغيانا، فتملأوا منه وسنموا، وهو عليه الصلاة والسلام غير متكاسل، ولا متوان يقول تعالى لنبيه <sup>٧٣</sup>واتل على قومك أثبا نوح في دعوته لقومه، حين دعاهم إلى الله

والجزاء إلا منه، وإيضا فإني ما أمرتكم بأمر وأخالفكم إلى ضده، بل أمرت أن أكون من المسلمين فأنا أول داخل، وأول فاعل لما أمرتكم به <sup>٧٤</sup>هذا أقما سألتكم من أجراء على دعوتي، وعلى إجابتيكم، فتقولوا <sup>٧٥</sup>هذا جاءنا ليأخذ أموالنا، فتمتنعون لأجل ذلك <sup>٧٦</sup>إن أجري إلا على الله أي لا أريد الثواب إليه، فلا موجب لتوليكم، لأنه تبين أنكم لا تولون عن باطل إلى حق، وإنما تولون عن حق قامت الأدلة على صحته، إلى باطل قامت الأدلة على فساده <sup>٧٧</sup>ومع إقارن توليتكم عن ما دعوتكم

لا تسمع فيهم إلا لوما، ولا ترى إلا قدحا وذما <sup>٧٨</sup>فليحذر هؤلاء المكذبون، أن يحل بهم ما حل بأولئك الأقوام المكذبين من الهلاك، والخزي، والنكال <sup>٧٩</sup>الذين كذبوا بآياتنا بعد ذلك البيان، وإقامة البرهان، إناظر كيف كان عاقبة المنذرين <sup>٨٠</sup>وهو الهلاك المخزي، واللجنة المتتابعة عليهم في كل قرن يأتي بعدهم، تجري بأعيننا، <sup>٨١</sup>لوجعلناهم خلائفا في الأرض بعد إهلاك المكذبين <sup>٨٢</sup>ثم بارك الله في ذريته، وجعل ذريته، هم الباقين، ونشرهم في أقطار الأرض، <sup>٨٣</sup>لأغرقنا عليه القول ومن آمن <sup>٨٤</sup>ففعّل ذلك <sup>٨٥</sup>فأمر الله السماء أن تمطر بماء منهمر وفجر الأرض عيونا، فالتقى الماء على أمر قد قدر <sup>٨٦</sup>لأحملناه على ذات ألواح ودسر <sup>٨٧</sup>دعاؤه إلا فرارا، <sup>٨٨</sup>فنجيناها ومن معه في الفلك الذي أمرناه أن يصنعه بأعيننا، وقلنا له إذا فار التنور <sup>٨٩</sup>فأحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق <sup>٩٠</sup>أهكذبوه <sup>٩١</sup>بعد ما دعاهم ليلا ونهارا، سرا وجهارا، فلم يزدتهم

نطبع على قلوب المعتدين أي <sup>٩٢</sup>نختم عليها، فلا يدخلها خير، وما ظلمهم الله <sup>٩٣</sup>ولكنهم ظلموا أنفسهم بردهم الحق لما جاءهم، وتكذيبهم الأول <sup>٩٤</sup>قلوبهم، وحال بينهم وبين الإيمان بعد أن كانوا متمكنين منه، كما قال تعالى <sup>٩٥</sup>لأنقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة <sup>٩٦</sup>ولهذا قال هنا <sup>٩٧</sup>كذلك الدالة على صحة ما جاء به <sup>٩٨</sup>لأقما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل <sup>٩٩</sup>يعني <sup>١٠٠</sup>أن الله تعالى عاقبهم حيث جاءهم الرسول، فبادروا بتكذيبه، طبع الله على بعد نوح عليه السلام أرسل إلى قومهم <sup>١٠١</sup>المكذبين، يدعونهم إلى الهدى، ويحذرونهم من أسباب الردى <sup>١٠٢</sup>فجاءهم بالبينات أي <sup>١٠٣</sup>كل نبي أيد دعوته، بالآيات أي <sup>١٠٤</sup>لأنهم بعثنا من

الله، والنهي عن عبادة ما سوى الله تعالى، <sup>١٠٥</sup>فاستكبروا <sup>١٠٦</sup>عنها ظلما وعلوا، بعد ما استيقنوها <sup>١٠٧</sup>لأنهم كانوا قوما مجرمين أي <sup>١٠٨</sup>وصفهم الإجرام والتكذيب <sup>١٠٩</sup>أخاه هارون <sup>١١٠</sup>وزيرا بعثناهما إلى فرعون وملئه أي <sup>١١١</sup>كبار دولته ورؤسائهم، لأن عامتهم، تبع للرؤساء <sup>١١٢</sup>لأننا الدالة على صدق ما جاء به من توحيد المهلكين <sup>١١٣</sup>أموسى ابن عمران، كلم الرحمن، أحد أولي العزم من المرسلين، وأحد الكبار المقتدى بهم، المنزل عليهم الشرائع المعظمة الواسعة <sup>١١٤</sup>لأننا جعلنا معه أي <sup>١١٥</sup>لأنهم بعثنا من بعد هؤلاء الرسل، الذين أرسلهم الله إلى القوم المكذبين

- قبحهم الله - إعراضهم ولا ردهم إياه، حتى جعلوه أبطل الباطل، وهو السحرة <sup>١١٦</sup>الذي حقيقته التمويه، بل جعلوه سحرا مبينا، ظاهرا، وهو الحق المبين <sup>١١٧</sup>الرقاب، وهو رب العالمين، الربى جميع خلقه بالنعمة <sup>١١٨</sup>فلما جاءهم الحق من عند الله على يد موسى، رده فلم يقبلوه، وأقالوا إن هذا لسحر مبين <sup>١١٩</sup>لم يكفهم الذي هو أكبر أنواع الحق وأعظمها، وهو من عند الله الذي خضعت لعظمته

له العاقبة، ولمن له الفلاح، وعلى يديه النجاح <sup>١٢٠</sup>وقد علموا بعد ذلك وظهر لكل أحد أن موسى عليه السلام هو الذي أفلح، وفاز بظفر الدنيا والآخرة <sup>١٢١</sup>أسحر هذا أي <sup>١٢٢</sup>فانظروا وصفه وما اشتمل عليه، فبمجرد ذلك يجزم بأنه الحق <sup>١٢٣</sup>لأنه لا يفلح الساحرون إلا في الدنيا، ولا في الآخرة، فانظروا لمن تكون <sup>١٢٤</sup>أقال لهم <sup>١٢٥</sup>أموسى <sup>١٢٦</sup>موبخا لهم عن ردهم الحق، الذي لا يرده إلا أظلم الناس <sup>١٢٧</sup>لأنهم أتقنوا للحق لما جاءكم أي <sup>١٢٨</sup>أتقنوا لإنه سحر مبين <sup>١٢٩</sup>

لا لبطلان ما جاء به موسى وهارون، ولا لاشتباه فيه، ولا لغير ذلك من المعاني، سوى الظلم والعدوان، وإرادة العلو الذي رموا به موسى وهارون <sup>١٣٠</sup>قصده كقصده إخوانه المرسلين، هداية الخلق، وإرشادهم لما فيه نفعهم <sup>١٣١</sup>ولكن حقيقة الأمر، كما نطقوا به بقولهم <sup>١٣٢</sup>لأننا نحن لكما بمؤمنين أي <sup>١٣٣</sup>تكبرا وعنادا، وإخباره عن قصد خصمه، أم كاذبا، مع أن موسى عليه الصلاة والسلام كل من عرف حاله، وما يدعو إليه، عرف أنه ليس له قصد في العلو في الأرض، وإنما عجز موردها، عن الإتيان بما يرد القول الذي جاء خصمه، لأنه لو كان له حجة لأوردها، ولم يلجأ إلى قوله <sup>١٣٤</sup>قصدا كذا، أو مراد كذا، سواء كان صادقا في قوله لا يحتج به، من عرف الحقائق، وميز بين الأمور، فإن الحجج لا تدفع إلا بالحجج والبراهين <sup>١٣٥</sup>وأما من جاء بالحق، فرد قوله بأمثال هذه الأمور، فإنها تدل على أي <sup>١٣٦</sup>لأنهم جئتمونا لتكونوا رؤساء، ولتخرجونا من أرضنا <sup>١٣٧</sup>وهذا تمويه منهم، وترويج على جهالهم، وتهيج لعوامهم على معاداة موسى، وعدم الإيمان به <sup>١٣٨</sup>وهذا الله وحده لا شريك له <sup>١٣٩</sup>فجعلوا قول آبائهم الضالين حجة، يردون بها الحق الذي جاءهم به موسى عليه السلام <sup>١٤٠</sup>وقولهم <sup>١٤١</sup>لأننا نكون لكما الكبرياء في الأرض <sup>١٤٢</sup>لموسى رادين لقوله بما لا يرده <sup>١٤٣</sup>لأننا جئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا أي <sup>١٤٤</sup>لأننا جئتنا لتصدنا عما وجدنا عليه آباءنا، من الشرك وعبادة غير الله، وتأمرا بأن نعبد <sup>١٤٥</sup>أقالوا <sup>١٤٦</sup>

لملئه وقومه <sup>١٤٧</sup>لأنهم سحر عليم أي <sup>١٤٨</sup>ماهر بالسحر، متقن له <sup>١٤٩</sup>فأرسل في مدائن مصر، من أتاه بأنواع السحرة، على اختلاف أجناسهم وطبقاتهم <sup>١٥٠</sup>لأنهم قالوا <sup>١٥١</sup>فرعون <sup>١٥٢</sup>معارضاً للحق، الذي جاء به موسى، ومغالطا

## تفسير السعدي

- أولئك الذين هذا وصفهم أمأواهم النار أي مقرهم ومسكنهم التي لا يرحلون عنها أي كانوا يكسبون من الكفر والشرك وأنواع المعاصي، 8
- للمغالبة مع موسى إقال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون أي شيء أردتم، لا أعين لكم شيئا، وذلك لأنه جازم بغلبته، غير مبال بهم، وبما جاءوا به 80
- أقلما جاء السحرة
- نافعة، مأمور بها، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، وينميها على الدوام، فألقى موسى عصاه، فتلقفت جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم، واضمحل باطلهم 81
- ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن ماله الاضمحلال والمحقق وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله تعالى، وهي أعمال ووسائل
- المفسدين فإنهم يريدون بذلك نصر الباطل على الحق، وأي فساد أعظم من هذا؟ وهكذا كل مفسد عمل عملا، واحتال كيدا، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل
- إذا هي كأنها حيات تسعى، فإقال موسى ما جئتم به السحرا أي هذا السحر الحقيقي العظيم، ولكن مع عظمتها إن الله سيبيطه إن الله لا يصلح عمل
- أقلما ألقوا حبالهم وعصيهم،
- وتقطع الأيدي والأرجل، فلم يبالوا بذلك وثبتوا على إيمانهم. وأما فرعون وملؤه، وأتباعهم، فلم يؤمن منهم أحد، بل استمروا في طغيانهم يعمهون. 82
- فألقي السحرة سجدا حين تبين لهم الحق. فتوعدهم فرعون بالصلب،
- وأُسرع له انقيادا، بخلاف الشيوخ ونحوهم، ممن تربى على الكفر فإنهم بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة أبعد من الحق من غيرهم. 83
- لمن المسرفين أي: المتجاوزين للحد، في البغي والعدوان. والحكمة والله أعلم بكونه ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، أن الذرية والشباب، أقبل للحق،
- وملئهم أن يفتنهم عن دينهم وإن فرعون لعال في الأرض أي: له القهر والغلبة فيها، فحقيق بهم أن يخافوا من بطشته. و خصوصا إنه كان
- فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه أي: شباب من بني إسرائيل، صبروا على الخوف، لما ثبت في قلوبهم الإيمان. على خوف من فرعون
- ذلك فقال: يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فقوموا بوظيفة الإيمان. فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين أي: اعتمدوا عليه، والجؤوا إليه واستنصروه. 84
- وقال موسى موصيا لقومه بالصبر، ومذكرا لهم ما يستعينون به على
- على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين أي: لا تسلطهم علينا، فيفتنونا، أو يغلبونا، فيفتنونا بذلك، ويقولون: لو كانوا على حق لما غلبوا. 85
- فقالوا ممتثلين لذلك
- برحمتك من القوم الكافرين لنسلم من شرهم، ولنقيم على ديننا على وجه نتمكن به من إقامة شرائعه، وإظهاره من غير معارض، ولا منازع. 86
- ونجنا
- يسرا، وحين اشتد الكرب، وضاق الأمر، فرجه الله ووسعاه. فلما رأى موسى، القسوة والإعراض من فرعون وملئه، دعا عليهم وأمن هارون على دعائه. 87
- والبيع العامة. وأقيموا الصلاة فإنها معونة على جميع الأمور، وبشر المؤمنين بالنصر والتأييد، وإظهار دينهم، فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر
- يجعلوا لهم بيوتا، يتمكنون به من الاستخفاء فيها. واجعلوا بيوتكم قبلة أي: اجعلوها محلا، تصلون فيها، حيث عجزتم عن إقامة الصلاة في الكنائس،
- إلى موسى وأخيه حين اشتد الأمر على قومهما، من فرعون وقومه، وحرصوا على فتنتهم عن دينهم. أن تبتوا لقومكما بمصر بيوتا أي: مروهم أن
- وأوحينا
- حيث تجرؤوا على محارم الله، وأفسدوا عباد الله، وصدوا عن سبيله، ولكمال معرفته بربه بأن الله سيعاقبهم على ما فعلوا، بإغلاق باب الإيمان عليهم. 88
- عليهم: إما بالهلاك، وإما بجعلها حجارة، غير منتفع بها. واشدد على قلوبهم أي: قسها فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال ذلك، غضبا عليهم،
- الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك أي: إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك، فيضلون ويضلون. ربنا اطمس على أموالهم أي: أتلها
- ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة يزينون بها من أنواع الحلي والثياب، والبيوت المزخرفة، والمراكب الفاخرة، والخدام، وأموالا عظيمة في
- فأتبعهم بجنوده، بغيا وعدوا أي: خروجهم باغين على موسى وقومه، ومعتدين في الأرض، وإذا اشتد البغي، واستحكم الذنب، فانتظر العقوبة. 89
- في المدائن حاشرين يقولون: إن هؤلاء أي: موسى وقومه: لشزيمة قليلون وإنهم لنا لغائظون وإنا لجميع حاذرون فجمع جنوده، قاصيهم ودانيهم،
- الجهال الضلال، المنحرفين عن الصراط المستقيم، المتبعين لطرق الجحيم، فأمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلا، وأخبره أنهم يتبعون، وأرسل فرعون
- الذي يؤمن، يكون شريكا للداعي في ذلك الدعاء. فاستقيما على دينكما، واستمرا على دعوتكما، ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون أي: لا تتبعان سبيل
- قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما هذا دليل على أن موسى، كان يدعو، وهارون يؤمن على دعائه، وأن
- والمناظر المفرحات ونعيم البدن بأنواع المآكل والمشرب، والمناجح ونحو ذلك، مما لا تعلمه النفوس، ولا خطر ببال أحد، أو قدر أن يصفه الواصفون 9
- ورؤية الرحمن وسماع كلامه، والاغتباط برضاه وقربه، ولقاء الأحبة والإخوان، والتمتع بالاجتماع بهم، وسماع الأصوات المطربات، والنفحات المشجيات،
- من تحتهم الأنهار الجارية على الدوام أي جنات النعيم أضافها الله إلى النعيم، لاشتغالها على النعيم التام، نعيم القلب بالفرح والسرور، والبهجة والحبور،
- في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم وفي الدار الجزاء إلى الصراط الموصل إلى جنات النعيم، ولهذا قال تجري
- بإيمانهم أي بسبب ما معهم من الإيمان، يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية، فيعلمهم ما ينفعهم، ويمن عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية، ويهديهم للنظر

## تفسير السعدي

بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة<sup>90</sup> لآيديهم ربه  
فلما ذكر عقابهم ذكر ثواب المطيعين فقال: يقول تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات<sup>91</sup> أي: أجمعوا

أنه لا إله إلا الذي آمن به بنو إسرائيل وهو الله الإله الحق الذي لا إله إلا هو وأنا من المسلمين أي: المتقادين لدين الله، ولما جاء به موسى. 90  
وجنوده داخلين فيه، أمر الله البحر فالتطم على فرعون وجنوده، فأغرقهم، وبنو إسرائيل ينظرون. حتى إذا أدرك فرعون الغرق، وجزم بهلاكه قال آمنت  
بعصاه، فضربه، فانفلق اثنى عشر طريقا، وسلكه بنو إسرائيل، وساق فرعون وجنوده خلفه داخلين. فلما استكمل موسى وقومه خارجين من البحر، وفرعون  
وجاوزنا ببني إسرائيل البحر وذلك أن الله أوحى إلى موسى، لما وصل البحر، أن يضربه

وصلوا إلى هذه الحالة الاضطرارية أنه لا ينفعهم إيمانهم، لأن إيمانهم، صار إيمانا مشاهدا كإيمان من ورد القيامة، والذي ينفع، إنما هو الإيمان بالغيب. 91  
وتقر برسول الله وقد عصيت قبل أي: بارزت بالمعاصي، والكفر والتكذيب وكنت من المفسدين فلا ينفعك الإيمان كما جرت عادة الله، أن الكفار إذا  
قال الله تعالى مبينا أن هذا الإيمان في هذه الحالة غير نافع له: لأن تؤمن،

وتتكرر فلا ينتفعون بها، لعدم إقبالهم عليها. وأما من له عقل وقلب حاضر، فإنه يرى من آيات الله ما هو أكبر دليل على صحة ما أخبر به الرسل. 92  
باغراقه، وشكوا في ذلك، فأمر الله البحر أن يلقيه على نجوة مرتفعة ببدنه، ليكون لهم عبرة وآية. وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون فلذلك تمر عليهم  
قال المفسرون: إن بني إسرائيل لما في قلوبهم من الرعب العظيم، من فرعون، كأنهم لم يصدقوا

من دينهم، بسبب ذلك ما يموت؟ فنسألك اللهم، لطفا بعبادك المؤمنين، يجمع شملهم ويرأب صدعهم، ويرد قاصيهم على دانيهم، يا ذا الجلال والإكرام. 93  
العامّة متفقة، فلا شيء يختلفون اختلافا يفرق شملهم، ويشتت أمرهم، ويحل رابطتهم ونظامهم، فيفوت من مصالحهم الدينية والدنيوية ما يفوت، ويموت  
ذلك، ثم حصل من تضليل بعضهم لبعض، وعداوة بعضهم لبعض، ما هو قرّة عين اللعين. وإلا فإذا كان ربهما واحدا، ورسولهم واحدا، ودينهم واحدا، ومصالحهم  
وهو: أن الشيطان إذا أعجزوه أن يطيعوه في ترك الدين بالكلية، سعى في التحريش بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، فحصل من الاختلاف ما هو موجب  
يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بحكمة العدل الناشئ عن علمه التام، وقدرته الشاملة، وهذا هو الداء، الذي يعرض لأهل الدين الصحيح.  
لاجتماعهم واتلافهم، ولكن بغى بعضهم على بعض، وصار لكثير منهم أهوية وأغراض تخالف الحق، فحصل بينهم من الاختلاف شيء كثير. إن ربك  
آل فرعون، وأورثهم أرضهم وديارهم. ورزقناهم من الطيبات من المطاعم والمشارب وغيرهما فما اختلفوا في الحق حتى جاءهم العلم الموجب  
أي: أنزلهم الله وأسكنهم في مساكن

أي: الذي لا شك فيه بوجه من الوجوه ولهذا قال: من ربك فلا تكونن من الممتريين كقوله تعالى: كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه 94  
أديان الرسل، وإنما انتسبوا للدين المسيحي، ترويجا لملكهم، وتمويها لباطلهم، كما يعرف ذلك من عرف أحوالهم البيئة الظاهرة. وقوله: لقد جاءك الحق  
الذين أثروا رياستهم على الحق، ومن تبعهم من العوام الجهلة، ومن تدين بدينهم اسما لا معنى، كالإفرنج الذين حقيقة أمرهم أنهم دهرية منحلون عن جميع  
دينه مدة غير كثيرة، حتى انقاد للإسلام أكثر أهل الشام، ومصر، والعراق، وما جاورها من البلدان التي هي مقر دين أهل الكتاب، ولم يبق إلا أهل الرياسات  
ليس أكثر أهل الكتاب، رد دعوة الرسول، بل أكثرهم استجاب لها، وانقاد طوعا واختيارا، فإن الرسول بعث وأكثر أهل الأرض المتدينين أهل كتاب. فلم يمكث  
ذكره الله، لأبدوه وأظهره وبينوه، فلما لم يكن شيء من ذلك، كان عدم رد المعادي، وإقرار المستجيب من أدل الأدلة على صحة هذا القرآن وصدقه. ومنها: أنه  
ذلك وأعلنه على رؤوس الأشهاد. ومن المعلوم أن كثيرا منهم من أحرص الناس على إبطال دعوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فلو كان عندهم ما يرد ما  
فلو اتفقوا من أولهم لآخروهم على إنكار ذلك، لم يقدح بما جاء به الرسول. ومنها: أن الله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بأهل الكتاب على صحة ما جاءه، وأظهر  
الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم مبنية على كتابهم التوراة الذي ينتسبون إليه. فإذا كان موجودا في التوراة، ما يوافق القرآن ويصدق، ويشهد له بالصحة،  
بن سلام وأصحابه وكثير ممن أسلم في وقت النبي صلى الله عليه وسلم، وخلفائه، ومن بعده و كعب الأحبار وغيرهما. ومنها: أن شهادة أهل  
عداهم، فلو كانوا أكثر من غيرهم فلا عبرة فيهم، لأن الشهادة مبنية على العدالة والصدق، وقد حصل ذلك بإيمان كثير من أحبارهم الربانيين، كعبد الله  
فالجواب عن هذا، من عدة أوجه: منها: أن الشهادة إذا أضيفت إلى طائفة، أو أهل مذهب، أو بلد ونحوهم، فإنها إنما تتناول العدول الصادقين منهم. وأما من  
رسول الله وعاندوه، وردوا عليه دعوته. والله تعالى أمر رسوله أن يستشهد بهم، وجعل شهادتهم حجة لما جاء به، وبرهانا على صدقه، فكيف يكون ذلك؟  
فإنهم سيقرون لك بصدق ما أخبرت به، وموافقته لما معهم، فإن قيل: إن كثيرا من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، بل ربما كان أكثرهم ومعظمهم كذبوا  
في شك مما أنزلنا إليك هل هو صحيح أم غير صحيح؟ فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك أي: أسأل أهل الكتب المنصفين، والعلماء الراشخين،  
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فإن كنت

إليه، والإقبال عليه، علما وعملا. فبذلك يكون العبد من الرابحين الذين أدركوا أجل المطالب، وأفضل الرغائب، وأتم المناقب، وانتفى عنهم الخسار. 95  
وذلك بفوات الثواب في الدنيا والآخرة، وحصول العقاب في الدنيا والآخرة، والنهي عن الشيء أمر بضده، فيكون أمرا بالتصديق التام بالقرآن، وطمأنينة القلب  
في هذا القرآن والامتراء فيه. وأشد من ذلك، التكذيب به، وهو آيات الله البينات التي لا تقبل التكذيب بوجه، ورتب على هذا الخسار، وهو عدم الربح أصلا،  
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكونن من الخاسرين وحاصل هذا أن الله نهى عن شيئين: الشك



## تفسير السعدي

لا يجدي عليهم إيمانهم شيئاً، فيؤمنون لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا هم يستعتبون، وأما الآيات فإنها تنفع من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. 96  
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، الذي وعدوا به. فحينئذ يعلمون حق اليقين، أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت  
إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم. وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق، لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله، بأن طبع على قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم،  
حققت عليهم كلمة ربك أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات  
تفسير الآيتين 96 و 97 :- يقول تعالى: إن الذين

لا يجدي عليهم إيمانهم شيئاً، فيؤمنون لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا هم يستعتبون، وأما الآيات فإنها تنفع من له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد. 97  
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، الذي وعدوا به. فحينئذ يعلمون حق اليقين، أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت  
إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم. وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق، لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله، بأن طبع على قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم،  
حققت عليهم كلمة ربك أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات  
تفسير الآيتين 96 و 97 :- يقول تعالى: إن الذين

أن غيرهم من المهلكين، لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه. وأما قوم يونس، فإن الله علم أن إيمانهم سيستمر، بل قد استمر فعلاً وثبتوا عليه والله أعلم. 98  
أفهامنا. قال الله تعالى: وإن يونس لمن المرسلين إلى قوله: وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمعتناهم إلى حين ولعل الحكمة في ذلك،  
عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومعتناهم إلى حين فهم مستثنون من العموم السابق. ولا بد لذلك من حكمة لعالم الغيب والشهادة، لم تصل إلينا، ولم تدركها  
بإيمان حقيقة، ولو صرف عنه العذاب والأمر الذي اضطره إلى الإيمان، لرجع إلى الكفران. وقوله: إلا قوم يونس لما آمنوا بعدما رأوا العذاب، كشفنا عنهم  
وقال تعالى: حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت كلا والحكمة في هذا ظاهرة، فإن الإيمان الاضطرابي، ليس  
وكما قال تعالى: فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده  
عن فرعون ما تقدم قريبا، لما قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين فقيل له الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين  
فلولا كانت قرية من قرى المكذبين آمنت حين رأت العذاب فنفعها إيمانها أي: لم يكن منهم أحد انتفع بإيمانه، حين رأى العذاب، كما قال تعالى  
يقول تعالى:

وبعضهم كافرين. أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين أي: لا تقدر على ذلك، وليس في إمكانك، ولا قدرة لغير الله على شيء من ذلك. 99  
شاء ربك لأمن من في الأرض كلهم جميعاً بأن يلهمهم الإيمان، ويوزع قلوبهم للتقوى، فقدرته صالحة لذلك، ولكنه اقتضت حكمته أن كان بعضهم مؤمنين،  
يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولو

## سورة 11

أنواع البيان، من لدن حكيم يضع الأشياء مواضعها، وينزلها منازلها، لا يأمر ولا ينهى إلا بما تقتضيه حكمته، خبير مطلع على الظواهر والبواطن. 1  
أحكمت آياته أي: أتقنت وأحسن، صادقة أخبارها، عادلة أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه بهية معانيه. ثم فصلت أي: ميزت وبينت بيانا في أعلى  
يقول تعالى: هذا كتاب عظيم، ونزل كريم،

أولئك لهم مغفرة لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. وأجر كبير وهو: الفوز بجنت النعيم، التي فيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين. 10  
من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم يياسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات.  
والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدراؤهم، وأي عيب أشد من هذا؟ وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه  
له ذلك الخير، ويقول: ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور أي: فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشر  
تفسير الآيتين 10 و 11 :- وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم

منها قائم لم يتلف، بل بقي من آثار ديارهم، ما يدل عليهم، و منها حصيد قد تهدمت مساكنهم، واضمحلت منازلهم، فلم يبق لها أثر. 100  
ذكر قصص هؤلاء الأمم مع رسلهم، قال الله تعالى لرسوله: ذلك من أنباء القرى نقصه عليك لتنذر به، ويكون آية على رسالتك، وموعظة وذكرى للمؤمنين.  
ولما

أمر ربك وهكذا كل من التجأ إلى غير الله، لم ينفعه ذلك عند نزول الشدائد. وما زادوهم غير تنبيي أي: خسار ودمار، بالضد مما خطر ببالهم. 101  
وما ظلمناهم بأخذهم بأنواع العقوبات ولكن ظلموا أنفسهم بالشرك والكفر، والعناد. فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء

أي: يقصمهم بالعذاب ويبيدهم، ولا ينفعهم، ما كانوا يدعون، من دون الله من شيء. 102

## تفسير السعدي

- وليبظهر لهم من عظمة الله وسلطانه وعدله العظيم، ما به يعرفونه حق المعرفة. وذلك يوم مشهود أي: يشهده الله وملائكته، وجميع المخلوقين. 103 لهم العقوبة الدنيوية، والعقوبة الأخروية، ثم انتقل من هذا، إلى وصف الآخرة فقال: ذلك يوم مجموع له الناس أي: جمعوا لأجل ذلك اليوم، للمجازاة، إن في ذلك المذكور، من أخذه للظالمين، بأنواع العقوبات، لآية لمن خاف عذاب الآخرة أي: لعبرة ودليلا، على أن أهل الظلم والإجرام، الدنيا وما قدر الله فيها من الخلق، فحينئذ ينقلهم إلى الدار الآخرة، ويجري عليهم أحكامه الجزائية، كما أجرى عليهم في الدنيا، أحكامه الشرعية. 104 وما نؤخره أي: إتيان يوم القيامة إلا لأجل معدود إذا انقضى أجل
- إلا بإذنه، فمنهم أي: الخلق شقي وسعيد فالأشقياء، هم الذين كفروا بالله، وكذبوا رسله، وعصوا أمره، والسعداء، هم: المؤمنون المتقون. 105 يوم يأت ذلك اليوم، ويجتمع الخلق لا تكلم نفس إلا بإذنه حتى الأنبياء، والملائكة الكرام، لا يشفعون
- ففي النار منغمسون في عذابها، مشتد عليهم عقابها، لهم فيها من شدة ما هم فيه زفير وشهيق وهو أشنع الأصوات وأقبحها. 106 وأما جزاؤهم فأما الذين شقوا أي: حصلت لهم الشقاوة، والخزي والفضيحة،
- الأزمان، سوى الزمن الذي قبل الدخول فيها. إن ربك فعال لما يريد فكل ما أراد فعله واقتضته حكمته فعله، تبارك وتعالى، لا يردده أحد عن مراده. 107 إلا المدة التي شاء الله، أن لا يكونوا فيها، وذلك قبل دخولها، كما قاله جمهور المفسرين، فالاستثناء على هذا، راجع إلى ما قبل دخولها، فهم خالدون فيها جميع خالدين فيها أي: في النار، التي هذا عذابها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك أي: خالدين فيها أبداً،
- غير مجذوذ أي: ما أعطاهم الله من النعيم المقيم، واللذة العالية، فإنه دائم مستمر، غير منقطع بوقت من الأوقات، نسأل الله الكريم من فضله. 108 الذين سعدوا أي: حصلت لهم السعادة، والفلاح، والفوز ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ثم أكد ذلك بقوله: عطاء وأما
- والدين الصحيح، إلا من يحب. والحاصل أنه لا يغتر باتفاق الضالين، على قول الضالين من آباؤهم الأقدمين، ولا على ما خولهم الله، وآتاهم من الدنيا 109 الدنيا، مما كتب لهم، وإن كثر ذلك النصيب، أو راق في عينك، فإنه لا يدل على صلاح حالهم، فإن الله يعطي الدنيا من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان وفساد أقوالهم، في أصول الدين، فإن أقوالهم، وإن اتفقوا عليها، فإنها خطأ وضلال. وإنما لموفوهم نصيبهم غير منقوص أي: لا بد أن ينالهم نصيبهم من ومن المعلوم أن هذا، ليس بشبهة، فضلا عن أن يكون دليلا، لأن أقوال ما عدا الأنبياء، يحتج لها لا يحتج بها، خصوصا أمثال هؤلاء الضالين، الذين كثر خطأهم أي: لا تشك في حالهم، وأن ما هم عليه باطل، فليس لهم عليه دليل شرعي ولا عقلي، وإنما دليلهم وشبهتهم، أنهم ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل يقول الله تعالى، لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم: فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء المشركون،
- أولئك لهم مغفرة لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. وأجر كبير وهو: الفوز بجنت النعيم، التي فيها ما تشتهي النفس، وتلذ الأعين. 11 أولئك لهم مغفرة لذنوبهم، يزول بها عنهم كل محذور. وأجر كبير وهو: الفوز بجنت النعيم، التي فيها ما تشتهي النفس، وتلذ الأعين. 11 من هذا الخلق الذميم إلى ضده، وهم الذين صبروا أنفسهم عند الضراء فلم يياسوا، وعند السراء فلم يبطروا، وعملوا الصالحات من واجبات ومستحبات. والبطر والإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم، وأي عيب أشد من هذا؟ وهذه طبيعة الإنسان من حيث هو، إلا من وفقه الله وأخرجه له ذلك الخير، ويقول: ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور أي: فرح بما أوتي مما يوافق هوى نفسه، فخور بنعم الله على عباد الله، وذلك يحمله على الأشهر تفسير الآيتين 10 و 11 :- وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم
- وإذا كانت هذه حالهم، مع كتابهم، فمع القرآن الذي أوحاه الله إليك، غير مستغرب، من طائفة اليهود، أن لا يؤمنوا به، وأن يكونوا في شك منه مريب. 110 معاجلتهم بالعذاب لقضي بينهم بإحلال العقوبة بالظالم، ولكنه تعالى، اقتضت حكمته، أن أخر القضاء بينهم إلى يوم القيامة، وبقوا في شك منه مريب. والاجتماع، ولكن، مع هذا، فإن المنتسبين إليه، اختلفوا فيه اختلافا، أضر بعقائدهم، وبجامعتهم الدينية. ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخيرهم، وعدم يخبر تعالى، أنه أتى موسى الكتاب، الذي هو التوراة، الموجب للاتفاق على أوامره ونواهيه،
- يوم القيامة، بحكمه العدل، فيجازي كلا بما يستحقه. إنه بما يعملون من خير وشر خبير فلا يخفى عليه شيء من أعمالهم، دقيقها وجليلها. 111 وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم أي: لا بد أن الله يقضي بينهم
- إنه بما تعملون بصير أي: لا يخفى عليه من أعمالكم شيء، وسيجازيكم عليها، ففيه ترغيب لسلوك الاستقامة، وترهيب من ضدها 112 ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا على ذلك، ولا يطغوا بأن يتجاوزوا ما حده الله لهم من الاستقامة. وقوله: اختلافهم وافتراقهم، أمر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، ومن معه، من المؤمنين، أن يستقيموا كما أمروا، فيسلوكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ثم لما أخبر بعدم استقامتهم، التي أوجبت
- على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم. وإذا كان هذا الوعيد في الركود إلى الظلمة، فكيف حال الظلمة بأنفسهم؟! نسأل الله العافية من الظلم. 113 ثم لا تنصرون أي: لا يدفع عنكم العذاب إذا مسكم، ففي هذه الآية: التحذير من الركود إلى كل ظالم، والمراد بالركون، الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته ما هم عليه من الظلم فتمسكم النار إن فعلتم ذلك وما لكم من دون الله من أولياء يمنعونكم من عذاب الله، ولا يحصلون لكم شيئا، من ثواب الله.